

بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِشْعَارِ



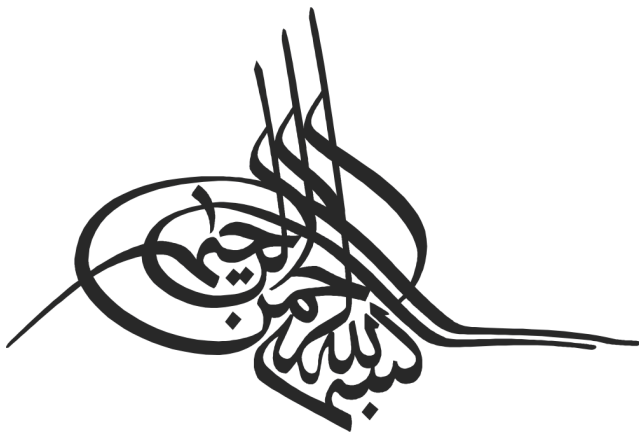
الدُّكْتُورُ ابْنُ عَبَّاسٍ الْعَامِلِيّ

تكوينُ الجيلِ الرَّاشِدِ

بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِشْعَارِ

مِنَ النَّدَاءِ إِلَى الْوَعْيِ : بَيْنَ الْهَاتِفِ وَالْمَسْجِدِ
وَالْمَدْرَسَةِ وَالْبَيْتِ ، دَلِيلٌ لِتَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ فِي زَمَنِ
التَّقَانَةِ

الدُّكْتُورُ ابْنُ عَبَّاسٍ الْعَامِلِيُّ



رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي

(طه : 25-27)

حُقُوقُ الطَّبْعِ وَالنَّشْرِ مَحْفُوظَةٌ ©

الْمُؤَلَّفُ: ابْنُ عَبَّاسٍ الْعَامِلِيُّ - ٢٠٢٥م

جَمِيعُ حُقُوقِ الطَّبْعِ وَالنَّشْرِ مَحْفُوظَةٌ. لَا يَجُوزُ إِعَادَةُ طَبْعِ هَذَا الْكِتَابِ،
أَوْ أَيِّ جُزْءٍ مِنْهُ، أَوْ نَقْلُهُ بِأَيِّ وَسِيلَةٍ مِنَ الْوَسَائِلِ، سَوَاءً أَكَانَتْ إِكْتِرَافِيَّةً أَمْ
مِكَانِيكِيَّةً أَمْ صَوْتِيَّةً أَمْ صَوْتِيَّةً، أَوْ بِأَيِّ طَرِيقَةٍ أُخْرَى، دُونَ إِذْنِ خَطِّيِّ مُسَبِّقٍ مِنْ
الْمُؤَلَّفِ أَوْ النَّاشِرِ. يُسْتَشَى مِنْ ذَلِكَ الْإِفْتِسَاسُ الْقَصِيرُ لِعَرْضِ الْبَحْثِ أَوْ النَّقْدِ،
وَذَلِكَ فِي حُدُودِ مَا تَسْمَحُ بِهِ قَوَانِينُ حُقُوقِ الطَّبْعِ وَالنَّشْرِ الْمَعْمُولُ بِهَا.

تَرْخِصُ أَكَادِيمِيٌّ مُحَدَّدٌ

تَمَّ تَخْصِصُ نُسْخٍ مَحْدُودَةٍ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ لِلتَّوْزِيعِ الْأَكَادِيمِيِّ
وَالْبَحْثِيِّ، وَذَلِكَ لِفَائِدَةِ الطُّلَّابِ وَالْمَرَاكِزِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْبَحْثِيَّةِ. وَيَخْضَعُ اسْتِعْمَالُ
هَذِهِ النُّسَخِ لِلشُّرُوطِ التَّالِيَةِ:

- لَا يُسْتَعْمَلُ الْمُصَنَّفُ فِي أَيِّ اسْتِغْلَالٍ تِجَارِيٍّ.

- أَنْ يُذَكَرَ الْمَصْدَرُ وَالْمُؤَلَّفُ ذِكْرًا وَافِيًا فِي أَيِّ اسْتِشْهَادٍ أَوْ نَقْلِ.
- أَلَّا تُجْرَى عَلَيْهِ تَغْيِيرَاتٌ تَمَسُّ مَضَامِينَهُ الْعِلْمِيَّةَ أَوْ تَحْرِيفَاتٌ تَضُرُّ بِالسِّيَاقِ الْمَقْصُودِ.

للتواصل مع المؤلف : IbnAbbasAlamili@gmail.com

بَيْنَ الْأُذُنِ وَالْإِشْعَارِ - تَكْوِينُ الْجِيلِ الرَّاشِدِ

إِنْ أُريدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ج

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ج

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

(هود: 88)

نُسخةٌ محدودةٌ قبلَ النشرِ

هذه روايةٌ تعليميّةٌ تربويّةٌ مدرسيّةٌ تنتمي إلى سلسلة «تكوين الجيل الرَّاشِد» وتَحْمِلُ عنوانَ «بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِشْعَارِ». تُحوِّلُ الرّوايةُ معاني القيمِ إلى مشاهدٍ حيّةٍ تبدأ بِمَشْهَدٍ مُثِيرٍ لِلْحَسِّ وَسؤالٍ مُوجِّهٍ وَتَمْضِي إلى نشاطٍ مُطَبَّقٍ وَتَنْتَهِي بِ«قَاعِدَةٍ بَيَّتْ» تُمارَسُ في الأسرةِ وَ«مَجْلِسٍ بَيَّتْ» يُراجِعُ الْأَثَرَ وَ«مِيزانِ الْقَوْلِ» يَحْفَظُ اللِّسَانَ وَ«بِطَاقَةِ مَوْقِفٍ» تُقَوِّمُ الشُّلُوكَ عَلَى «سُلَّمِ الْإِتْقَانِ». يَرْبُطُ الْكِتَابُ بَيْنَ الْهَاتِفِ وَالْمَسْجِدِ وَالْمَدْرَسَةِ وَالْبَيْتِ لِيَسُوقَ الْقَارِئُ «مِنَ النَّدَاءِ إِلَى الْوَعْيِ» وَيُقَرِّبَ الْمَسَافَةَ بَيْنَ الْأَجْيَالِ فِي زَمَنِ التَّقَانَةِ وَسُرْعَةِ الْمُعْطِيَّاتِ.

يُقَدِّمُ الْكِتَابُ خُطَّةً مُحْكَمَةً قَابِلَةً لِلتَّطْبِيقِ تُعِينُ الْآبَاءَ وَالْأُمّهَاتِ وَالْمُعَلِّمِينَ عَلَى تَرْتِيبِ الْأَوْقَاتِ وَتَهْذِيبِ الْكَلَامِ وَتَكْوِينِ عَادَاتٍ نَافِعَةٍ لِلِاسْتِعْمَالِ الْمِهْنِيِّ وَالْمَدْرَسِيِّ وَالْمَنْزَلِيِّ. يَمْنَحُ الْقَارِئُ أَدَوَاتٍ بَسِيطَةً مُجَرَّبَةً لِرَدْمِ الْهُوَّةِ بَيْنَ الْأَجْيَالِ وَصِنَاعَةِ بَيْئَةٍ أُسْرِيَّةٍ هَادِئَةٍ تُرْفِقُ التَّعَلَّمَ وَتُثْمِرُ مَكَاسِبَ ظَاهِرَةً فِي الانضِبَاطِ وَالسَّكِينَةِ وَخِدْمَةِ الْمُجْتَمَعِ. هَكَذَا يَتَّصِلُ الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ وَتَصِيرُ الْقِيَمُ عَادَاتٍ رَاسِخَةً تُمَهِّدُ لِجِيلٍ يَبْنِي الْعُمَرَانَ الرَّشِيدَ.

تَنْوِيهٌ: حُدُودُ الْفَهْمِ وَإِمْكَانَاتُ التَّأْوِيلِ

إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ، وَمَا يُقَدِّمُهُ مِنْ تَحْلِيلٍ وَتَأْمُلٍ فِي الْإِسْلَامِ وَالْحَدَاثَةِ، لَيْسَ سِوَى مُحَاوَلَةٍ بَشَرِيَّةٍ لِاسْتِكْشَافِ الْوَاقِعِ وَاسْتِجْلَاءِ مَعَانِي النُّصُوصِ فِي سِيَاقِ التَّجَرُّبَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ. إِنَّ أَيَّ فَهْمٍ يُطْرَحُ هُنَا، سِوَاءَ تَعَلُّقٍ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَوْ بِالْإِسْلَامِ عَامَّةً، إِنَّمَا يُعْبِّرُ عَنِ إِدْرَاكِ الْقَارِئِ وَسَعْيِهِ الْمُخْلِصِ لِلاِفْتِرَاقِ مِنَ الْحَقِيقَةِ، بِقَدْرِ مَا تَسْمَحُ بِهِ أَدَوَاتُهُ الْعَقْلِيَّةُ وَمَعْطَيَاتُهُ الْمَعْرِفِيَّةُ.

غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَدَّعِي، بِأَيِّ حَالٍ، أَنَّهُ الْفَهْمُ النَّهَائِيُّ أَوِ الْمُطْلَقُ لِمَا أَرَادَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَرَسُولُهُ (ص)، فَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ بِالْمُرَادِ الْحَقِّ مِنْ كَلَامِهِ وَسُنَّتِهِ.

إِنَّ طَبِيعَةَ الْفِكْرِ الْبَشَرِيِّ تَقْتَضِي الْبَحْثَ وَالسُّؤَالَ وَإِعَادَةَ النَّظَرِ، وَمَعْرِفَةَ الْإِنْسَانِ تَظَلُّ مُحَدَّدَةً بِحُدُودِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَالْمَقْدَرَةِ الْعَقْلِيَّةِ. وَمِنْ هُنَا، فَإِنَّ أَيَّ تَأْوِيلٍ أَوْ تَحْلِيلٍ يَجِبُ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهِ فِي إِطَارِهِ كَبَشَرٍ يَسْعَى لِلتَّقَرُّبِ إِلَى الْحَقِيقَةِ، لَا كَمَوْقِفٍ قُطْعِيٍّ يُلْزَمُ الْآخَرِينَ أَوْ يَدَّعِي الْعِصْمَةَ مِنَ الْخَطَا.

يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:
﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الْإِسْرَاءُ: ٨٥)،

بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِشْعَارِ - تَكْوِينُ الْجِيلِ الرَّاشِدِ

وَنُرَدُّ فِي دُعَائِنَا:

﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤).

قَائِمَةُ الْمُحْتَوَيَاتِ

9	قَائِمَةُ الْمُحْتَوَيَاتِ
14	الإهداء الأول
15	الإهداء الثاني
16	الإهداء الثالث
17	كَلِمَةُ الْمُؤَلِّفِ
20	التَّمْهِيدُ
22	مُقَدِّمَةُ الْكِتَابِ
24	بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِشْعَارِ
28	مُقَدِّمَةُ الرِّوَايَةِ الْأُولَى: مِيزَانُ الْبَصِيرَةِ قَبْلَ الْبَصَرِ
31	الْدَّرْسُ الْأَوَّلُ: مِيزَانُ السَّكِينَةِ
43	الْدَّرْسُ الثَّانِي: خَرَائِطُ التَّعَارُفِ

56	الدَّرْسُ الثَّلَاثُ: خَرَائِطُ الْعُمَرَانِ
69	الدَّرْسُ الرَّابِعُ: سُؤَالُ الْوَجْهَةِ
80	الدَّرْسُ الْخَامِسُ: جَدَلُ فُرْصَةٍ لِلثَّقَةِ
90	الدَّرْسُ السَّادِسُ: مِثَاقُ الْكَلِمَةِ
102	الدَّرْسُ السَّابِعُ: سَكِينَةُ الْمَسْجِدِ
114	الدَّرْسُ الثَّامِنُ: عِلْمٌ وَعَمَلٌ
127	الدَّرْسُ التَّاسِعُ: الْأُبُوَّةُ الرَّاشِدَةُ
139	الدَّرْسُ الْعَاشِرُ: الْأُمُّ رُوحُ الْبَيْتِ
151	الدَّرْسُ الْحَادِي عَشَرَ: الْعَالِمُ وَالْقُدْوَةُ
163	الدَّرْسُ الثَّانِي عَشَرَ: يَوْمُ الْحَصَادِ الْأَوَّلِ
173	مُقَدِّمَةُ الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ: فَتْنُ الشَّائِعَةِ وَسُلْطَانُ الصُّورَةِ
177	الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: الْهَاتِفُ الْأَوَّلُ
188	الدَّرْسُ الثَّانِي: قَنَوَاتُ الصَّفِّ
198	الدَّرْسُ الثَّلَاثُ: الْإِشَاعَةُ
207	الدَّرْسُ الرَّابِعُ: صُورَةُ الصَّغَارِ

- 217 الدَّرْسُ الْخَامِسُ: الْحِشْمَةُ وَذَوْقُ الصُّورَةِ
- 226 الدَّرْسُ السَّادِسُ: الْإِبْتِزَارُ
- 235 الدَّرْسُ السَّابِعُ: التَّنَمُّرُ
- 245 الدَّرْسُ الثَّامِنُ: التَّحَدِّيَاتُ الْخَطِرَةُ
- 255 الدَّرْسُ التَّاسِعُ: الْأَلْعَابُ وَالشُّرَاءُ
- 268 الدَّرْسُ الْعَاشِرُ: الْوَقْتُ وَالنَّوْمُ
- 278 الدَّرْسُ الْحَادِي عَشَرَ: الرِّفِيقُ الْآلِيُّ
- 297 الدَّرْسُ الثَّانِي عَشَرَ: الْمُحَاكَاةُ الْعَمِيقَةُ
- 306 الدَّرْسُ الثَّلَاثُ عَشَرَ: أَمْنُ الْمَعَارِفِ
- 317 الدَّرْسُ الرَّابِعُ عَشَرَ: قِرَاءَةُ الْخَبَرِ
- 328 مُقَدِّمَةُ الرِّوَايَةِ الثَّلَاثَةِ: مَوَازِينُ الْبَيَانِ وَأَخْلَاقُ الْجَدَلِ
- 331 الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: عَهْدُ الْبَيَانِ
- 340 الدَّرْسُ الثَّانِي: مِيثَاقُ الْعَيْنِ
- 348 الدَّرْسُ الثَّلَاثُ: مِيزَانُ الْمُرَاحِ
- 358 الدَّرْسُ الرَّابِعُ: فَفْهُ الْحُقُوقِ الرَّقْمِيَّةِ

- 368 الدَّرْسُ الْخَامِسُ: صِنَاعَةُ الرَّدِّ الْقَاعِدِيِّ
- 377 الدَّرْسُ السَّادِسُ: مِيقَاتُ التَّرْجَمَةِ
- 386 الدَّرْسُ السَّابِعُ: أَدَبُ الْخِلَافِ
- 396 الدَّرْسُ الثَّامِنُ: لِسَانُ الْجَمَاعَةِ
- 407 الدَّرْسُ التَّاسِعُ: دَلِيلُ الْأُسْلُوبِ
- 417 الدَّرْسُ الْعَاشِرُ: مَجْلِسُ الْإِصْلَاحِ
- 426 الدَّرْسُ الْحَادِي عَشَرَ: جِسْرُ الْمَسْجِدِ وَالسُّوقِ
- 436 الدَّرْسُ الثَّانِي عَشَرَ: حَصَادُ الْجَدَلِ
- 448 مَقْدَمَةُ الرِّوَايَةِ الرَّابِعَةِ: تَثْبِيتُ الْهُوِيَّةِ وَتَفْعِيلُ النَّهْوِصِ
- 451 الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: لَوْحَةُ الْقِيَمِ وَالْقُدْوَاتِ
- 464 الدَّرْسُ الثَّانِي: الْوَقْفُ الْمَنْزِلِيُّ
- 477 الدَّرْسُ الثَّلَاثُ: صُنْدُوقُ الصَّدَقَةِ
- 489 الدَّرْسُ الرَّابِعُ: خَارِطَةُ مُؤَسَّسَاتِ الْحَيِّ
- 500 الدَّرْسُ الْخَامِسُ: مَصْنَعُ الْفَصَاحَةِ
- 513 الدَّرْسُ السَّادِسُ: حَلَقَاتُ الْقُرْآنِ

- 523 الدَّرْسُ السَّابِعُ: خُطَّةُ الْمَدْرَسَةِ
- 533 الدَّرْسُ الثَّامِنُ: مَجْلِسُ الْجِيرَةِ
- 543 الدَّرْسُ التَّاسِعُ: خِدْمَةُ النَّاسِ
- 554 الدَّرْسُ الْعَاشِرُ: مَشْرُوعُ هُويَّةٍ لِلشَّبَابِ
- 566 الدَّرْسُ الْحَادِي عَشَرَ: مَصْفُوفَةُ الْأَثَرِ
- 577 الدَّرْسُ الثَّانِي عَشَرَ: عَهْدُ عَامٍ جَدِيدٍ
- 587 خَاتِمَةُ الْكِتَابِ

الْإِهْدَاءُ الْأَوَّلُ

إِلَى رُوحِي وَالِدَيَّ الطَّاهِرَتَيْنِ،

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَتَقَبَّلَ هَذَا الْعَمَلَ، وَيَجْعَلَهُ صَدَقَةً جَارِيَةً فِي مِيزَانِ
حَسَنَاتِكُمَا، وَأَنْ يَرْفَعَ دَرَجَتَكُمَا فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (إِبْرَاهِيمَ: ٤١)

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي
صَغِيرًا﴾ (الْإِسْرَاءُ: ٢٤)

رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ، وَارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا، وَاجْزِهِمَا
بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا، وَبِالسَّيِّئَاتِ عَفْوًا وَعُفْرَانًا.

رَحِمَكُمَا اللَّهُ بِوَسَائِعِ رَحْمَتِهِ، وَأَسْكَنَكُمَا الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى.

المؤلف

الإهداء الثاني

إِلَى زَوْجَتِي الْحَبِيبَةِ، وَرَفِيقَةِ دَرْبِي مُنْذُ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ عَامًا، أُمِّ أَوْلَادِي
السَّبْعَةِ، وَعَشْقَى الْخَالِدِ، وَصَدِيقَتِي وَمُلْهَمَتِي.

إِلَيْكَ أَهْدِي هَذَا الْعَمَلَ، أَنْتِ الَّتِي كُنْتِ قَبْلَ أَنْ تَصِيرِي أُسْتَاذَةً
جَامِعِيَّةً، الْمُرَبِّيَّةَ الْأُولَى فِي بَيْتِنَا؛ فَرَبَّيْتِ أَوْلَادَنَا السَّبْعَةَ وَعَلَّمْتِهِمْ فِي الْمَدْرَسَةِ
الْبَيْتِيَّةِ، فَتَفَوَّقُوا بِفَضْلِ اللَّهِ فِي الْعِلْمِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالْأَخْلَاقِ وَالدِّينِ.

ثُمَّ انْطَلَقْتَ بَعْدَ ذَلِكَ تُعَلِّمِينَ فِي الْجَامِعَةِ بِرِسَالَةٍ نَبِيلَةٍ، تَفْتَحِينَ لِلْجِيلِ
الْجَدِيدِ أَبْوَابَ الْحَيَاةِ، وَتُرْشِدِينَهُمْ إِلَى طَرِيقِ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ.

فَكُنْتِ نِعَمَ الزَّوْجَةِ، وَنِعَمَ الْأُمِّ، وَنِعَمَ الْمُعَلِّمَةِ، وَنِعَمَ الْحَبِيبَةِ، جَعَلَكَ
اللَّهُ لِي وَلِأَوْلَادِنَا ذُخْرًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

الإهداء الثالثُ

أُهدي هذا العَمَلَ إلى الأُسْتَاذَةِ الْفَاضِلَةِ السِّتِ يُسْرَى قَاسِمٍ عَلِيٍّ مَعْدَلٍ،
الَّتِي طَلَبَتِ التَّعْلِيمَاتِ التَّرْبَوِيَّةَ لِلْجِيلِ الْجَدِيدِ فِي عَصْرِ الْهَاتِفِ وَالتَّقَانَةِ
وَالْحَدَاثَةِ، فَحَمَلَتْ هَمَّ الْأُسْرَةِ وَالْمَدْرَسَةِ وَالْمَسْجِدِ وَالشُّوقِ، وَلَهَمْتَنِي أَنْ
أَصُوغَ مِنَ الْمَشَاهِدِ قَوَاعِدَ بَيْتٍ وَمَوَاقِفَ حِوَارٍ لِنَزْدَمَ فَجْوَةَ الْأَجْيَالِ وَنَزِنَ الْقَوْلَ
وَنُنَظِّمَ الْوَقْتَ وَنُرَبِّي عَادَةً صَالِحَةً.

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٢)،

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤).

جَعَلَ اللَّهُ سَعْيَكُمْ مَبْرُورًا وَأَثَرَكُمْ مَشْكُورًا وَنَصِيْبَكُمْ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ بَاقِيًا
فِي الْقُلُوبِ، وَجَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الْأَبْنَاءِ وَالْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ خَيْرًا.

كَلِمَةُ الْمُؤَلِّفِ

الحمدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْبَيَانَ نُورًا وَهَدَى، وَجَعَلَ الْعَقْلَ أَمَانَةً وَمِيزَانًا،
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الْمَيَامِينِ وَصَحْبِهِ الْمُنتَجِبِينَ.

انْبَنَتْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ التَّرْبَوِيَّةُ «بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِشْعَارِ» فِي سِلْسِلَةٍ «تَكْوِينِ
الْجِيلِ الرَّاشِدِ» لِتُحَوَّلَ رَنَّةُ النَّدَاءِ إِلَى وَعْيٍ مُنْضَبِطٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ. وَقَدْ دَفَعَتْنِي
أَحْوَالُ الزَّمَنِ الَّذِي تَتَكَثَّفُ فِيهِ أَسْئَلَةُ الْهَاتِفِ وَالتَّقَانَةُ وَمَدَافِعُ الْحَدَاثَةِ إِلَى أَنْ
أُقَرَّبَ لِأُسْرِنَا مَسْلَكًا مُيَسَّرًا يَرْفَعُ سُوءَ الْفَهْمِ وَيَزِدُّمُ فُجُورَةَ الْأَجْيَالِ وَيُسَدِّدُ الْقَوْلَ
وَيُنَظِّمُ الْوَقْتَ وَيُرَبِّي الْعَادَةَ الصَّالِحَةَ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الأحزاب: ٧٠)

وَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤)

فَيَهْدِي الْمِيزَانُ طَرِيقَ الْكَلِمَةِ وَالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ.

جَرَى أَنْ يَفْتَتِحَ كُلُّ دَرَسٍ مَشْهَدًا حَسَنًا يَسْتَفِزُّ السُّؤَالَ، ثُمَّ يَصْدُرُ سُّؤَالٌ مُوجَّهٌ يَسْتَخْرِجُ الْفِكْرَ، ثُمَّ تَجْرِي تَجَرِبَةٌ أَوْ نَشَاطٌ يَرْبِطُ الْمَعْرِفَةَ بِالْحَيَاةِ، ثُمَّ تَنْبِتُ «قَاعِدَةٌ بَيَّتْ» تُمَارَسُ فِي الْأُسْرَةِ وَتُرَاجَعُ فِي الْمَجْلِسِ الْقَادِمِ، وَيُلَازِمُ ذَلِكَ «مِيزَانٌ قَوْلٍ» يَحْفَظُ اللِّسَانَ وَ«بِطَاقَةٌ مَوْقِفٍ» تُقَوِّمُ الْأَثَرَ عَلَى سُلَمٍ بَيْنَ لِمَرَاتِبِ الْإِتْقَانِ. هَذَا طَرِيقٌ يَجْمَعُ بَيْنَ الْمَسْجِدِ وَالْمَدْرَسَةِ وَالْبَيْتِ وَالسُّوقِ لِيَتَحَوَّلَ الْعِلْمُ عَمَلًا وَتَصِيرَ الْقِيَمُ عَادَاتٍ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٢).

تَقْصِدُ هَذِهِ الصَّفَحَاتُ الْأَبَاءَ وَالْأُمَّهَاتِ وَالْمُعَلِّمِينَ وَالْمُرَبِّينَ، فَتَقْتَرِحُ أَنْ يُعْقَدَ «مَجْلِسُ بَيَّتٍ» قَصِيرٌ بَعْدَ صَلَاةٍ مَجْرُوسَةٍ فِي الْقَلْبِ، فَتُقْرَأُ قِصَّةُ الْمَشْهَدِ وَيُسْتَخْرَجُ السُّؤَالُ وَتُخْتَارُ قَاعِدَةٌ وَاحِدَةٌ لِلتَّطْبِيقِ فِي أَفْقِ أُسْبُوعٍ، ثُمَّ يُسْتَعَادَ الْأَثَرُ وَيُقَاسَ الْمَسِيرُ وَتُضَبِّطَ الْعَادَاتُ تَدْرِيجًا. هَكَذَا يَكْبُرُ الْوَلَدُ عَلَى سَكِينَةٍ وَيَقْوَى الْقَلْبُ عَلَى الْأَمَانَةِ وَتُسْتَقِيمُ الصُّورَةُ الذَّهْنِيَّةُ عَلَى قَوْلٍ سَدِيدٍ وَفِعْلٍ رَشِيدٍ. وَيَشْهَدُ لِهَذَا الْمِنْهَاجِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿وَالْعَصْرَ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر: ١-٣).

لَمْ تَنْهَضِ الْأُمَمُ بِكَثْرَةِ الشُّعَارَاتِ وَلَا بِحِدَّةِ الْجِدَالِ وَإِنَّمَا نَهَضَتْ بِرَبِّيَّةٍ

قَلْبٍ يَخْشَى وَعَقْلٍ يَفْهَمُ وَعَمَلٍ يَنْفَعُ، وَذَلِكَ مَا نَقْصِدُهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ وَمَا بَعْدَهُ
مِنْ أَجْزَاءِ السَّلْسِلَةِ. وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَجِدَ الْقَارِئُ فِيهِ مِفْتَاحًا يُفَكِّكُ ضَغْطَ
الشَّاشَةِ وَيُعِيدُ لِلْمَجْلِسِ الْأُسْرَى رَوْنَقَهُ، وَأَنْ يَجِدَ الْمُرَبِّي فِيهِ قَوَالِبَ مُيَسَّرَةٍ تُوصِلُ
الدَّرْسَ بِالْحَيَاةِ وَتَصِلُ الْمَعْرِفَةَ بِالْخُلُقِ وَتَجْمَعُ الْمَسْجِدَ وَالْمَدْرَسَةَ وَالْبَيْتَ عَلَى
مِيزَانٍ وَاحِدٍ.

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعَمَلَ خَالِصًا وَأَنْ يَكْتُبَ لَهُ الْقَبُولَ وَالنَّفْعَ، وَأَنْ
يَجْعَلَهُ لَوُجُوهَ أَبْنَائِنَا وَبَنَاتِنَا نُورًا، وَأَنْ يَمْنَحَ أُسْرَنَا سَكِينَةً تَغْلِبُ ضَجِيجَ الشَّاشَةِ
وَتَرْفَعُ وَهَجَ الْحَدَاثَةِ إِلَى حِكْمَةٍ وَقَدْرٍ وَمِيزَانٍ.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾
(الفرقان: ٧٤).

كَتَبَهُ الْمُؤَلِّفُ،

فِي رِحَابِ «تَكْوِينِ الْجِيلِ الرَّاشِدِ».

التَّهْيِيدُ

يَنْهَضُ هَذَا الْكِتَابُ فِي سِلْسِلَةٍ «تَكْوِينِ الْجِيلِ الرَّاشِدِ» لِيُحَوِّلَ الْعُنْوَانَ «بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِشْعَارِ» إِلَى مَسَارٍ عَمَلِيٍّ يَسُوقُ الْقَارِئَ مِنَ النَّدَاءِ إِلَى الْوَعْيِ. يَقْصِدُ الْعَمَلُ أَنْ يُسَاعِدَ الْأُسْرَ وَالْمُعَلِّمِينَ عَلَى تَرْيَةِ الْأَبْنَاءِ بَيْنَ الْهَاتِفِ وَالْمَسْجِدِ وَالْمَدْرَسَةِ وَالْبَيْتِ فِي زَمَنِ تَتَسَارَعُ فِيهِ الْأَخْبَارُ وَتَتَكَثَّفُ فِيهِ الصُّورُ وَيَشْتَدُّ فِيهِ صَغَطُ التَّفَانَةِ. يَسْتَنِدُ الْكِتَابُ إِلَى مِيزَانٍ بَيَانِيٍّ يُسَدِّدُ الْكَلِمَةَ وَيُهْدِّبُ السُّلُوكَ وَيَصِلُ الْعِلْمَ بِالْعَمَلِ وَيَسْتَرْشِدُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (الْمَائِدَةُ: ٢) وَيَسْتَصْدِرُ ذَابَ الطَّلَبِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٤) وَيُثَبِّتُ سَدَادَ اللِّسَانِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الْأَحْزَابُ: ٧٠).

يُقِيمُ الْكِتَابُ كُلَّ دَرْسٍ عَلَى بِنْيَةٍ مُجَرَّبَةٍ تَبْدَأُ بِمَشْهَدٍ حَسِّيٍّ يَسْتَفِزُّ السُّؤَالَ وَتَنْتَقِلُ إِلَى سُؤَالٍ مُوجِّهٍ يَسْتَخْرِجُ الْفِكْرَ وَتَتَعَقَّدُ عَلَى نَشَاطٍ مُطَبَّقٍ يَرِطُ الْمَعْرِفَةَ بِالْحَيَاةِ ثُمَّ تَنْتَهِي بِ«قَاعِدَةٍ بَيِّنَةٍ» تُمَارَسُ فِي الْأُسْرَةِ وَ«مَجْلِسِ بَيِّنَةٍ» يُرَاجَعُ الْأَثَرُ وَ«مِيزَانِ الْقَوْلِ» يَحْفَظُ اللِّسَانَ وَ«بِطَاقَةِ مَوْقِفٍ» تُقَوِّمُ السُّلُوكَ عَلَى

«سَلِّمِ الْإِتْقَانِ». يَدْعُو الْكِتَابُ كُلَّ بَيْتٍ إِلَى مِيثَاقٍ وَقُدُوءٍ وَمُشَارَكَةٍ لِيَرْتَفِعَ صَوْتُ السَّكِينَةِ فَوْقَ ضَجِيجِ الشَّاشَةِ وَتَقْتَرِبَ الْقُلُوبُ بَيْنَ الْأَجْيَالِ وَيَسْتَقِيمَ الْمَسِيرُ إِلَى قِيَمٍ مُعَاشَةٍ تَصْنَعُ نَفْعًا وَتَبْنِي عُمرَانًا. وَيُذَكِّرُ الْمِيزَانُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨) وَيُحَصِّنُ الْأُسْرَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (التَّحْرِيمُ: ٦) حَتَّى يَنْقَلِبَ الدَّرْسُ عَادَةً وَتَنْقَلِبَ الْعَادَةُ مَلَكَةً وَتَنْعَقِدَ الثَّمَارُ عَلَى حَقٍّ وَصَبْرٍ كَمَا فِي ﴿وَالْعَصْرِ﴾ (٣-١).

مُقَدِّمَةُ الْكِتَابِ

يَصْدُرُ هَذَا الْكِتَابُ بِنِيَّةٍ تَعْلِيمِيَّةٍ تَرْبَوِيَّةٍ دِرَاسِيَّةٍ صِرْفَةً؛ فَيَجْعَلُ الرِّوَايَةَ أَدَاةً لِلتَّعَلُّمِ لَا غَايَةَ لِدَانِهَا، وَيَسْتَعْمِلُ الْأُسْلُوبَ السَّرْدِيَّ لِتَيْسِيرِ الدُّرُوسِ وَجَعَلَهَا أَشَدَّ جَاذِبِيَّةً لِلْقِرَاءَةِ وَأَقْوَى إِثَارَةً لِلتَّفَكِيرِ. لَيْسَ الْمَقْصُودُ عَمَلًا أَدَبِيًّا بَحْثًا، بَلْ نَصًّا مُوَجَّهًا لِلْأَبَاءِ وَالْأُمَهَاتِ وَالْمُعَلِّمِينَ يَخْدُمُ التَّرْبِيَةَ الْمَدْرَسِيَّةَ وَالْبَيْتِيَّةَ مَعًا؛ فَتُسَخَّرُ الشَّخْصِيَّاتُ وَالْمَشَاهِدُ لِبِنَاءِ الْفَهْمِ وَتَثْبِيتِ الْقِيَمِ وَتَحْوِيلِ الْمَعْرِفَةِ عَمَلًا بَيْنَ الْهَاتِفِ وَالْمَسْجِدِ وَالْمَدْرَسَةِ وَالْبَيْتِ. وَيَعْتَمِدُ الْكِتَابُ بِنِيَّةً تَعْلِيمِيَّةً مُجَرَّبَةً: مَشْهَدًا حَسِيًّا يُوقِظُ السُّؤَالَ، وَسُؤَالًا مُوَجَّهًا يَسْتَخْرِجُ الْفِكْرَ، وَنَشَاطًا مُطَبَّقًا يَرْبِطُ الدَّرْسَ بِالْحَيَاةِ، ثُمَّ «قَاعِدَةَ بَيْتٍ» لِلتَّطْبِيقِ، وَ«مَجْلِسَ بَيْتٍ» لِمُرَاجَعَةِ الْأَثَرِ، وَ«مِيزَانَ الْقَوْلِ» لِحِفْظِ اللَّسَانِ، وَ«بِطَاقَةَ مَوْقِفٍ» لِتَقْوِيمِ السُّلُوكِ عَلَى «سُلْمِ الْإِتْقَانِ».

وَيَجْرِي فِي الدُّرُوسِ تَكَرَّارٌ مَقْصُودٌ مُنْضَبِطٌ يَهْدِفُ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ الْقَارِئُ مِنْ كُلِّ دَرْسٍ حَافِظًا لِلْمَفَاهِيمِ الرَّئِيسَةِ وَالْآيَاتِ الْمِفْتَاحِيَّةِ؛ فَالْغَايَةُ تَعْلِيمِيَّةٌ أَكْثَرُ مِنْهَا تَثْقِيفِيَّةٌ فَقَطْ أَوْ تَسْلِيَّةٌ. يَخْدُمُ هَذَا التَّكَرَّارُ بِنَاءَ «الْعَادَةِ» وَتَثْبِيتَ «الْقَاعِدَةِ

الْبَيْتِيَّةُ» وَتَقْرِيبَ النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ إِلَى الذَّاكِرَةِ وَالسُّلُوكِ، حَتَّى يَتَّصِلَ الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ وَتُسْتَقِيمَ السَّكِينَةُ فِي الْبُيُوتِ وَتَضُمَّنَّ الْقُلُوبَ إِلَى قَوْلِ سَدِيدٍ وَفِعْلِ رَشِيدٍ. هَكَذَا تَتَحَوَّلُ الرِّوَايَةُ وَسِيلَةً مُؤَثَّرَةً لِلتَّرْبِيَةِ الْمَدْرَسِيَّةِ وَالْأُسْرِيَّةِ، لَا غَايَةَ أَدَبِيَّةً مُنْفَصِلَةً عَنِ مَقَاصِدِ التَّعَلُّمِ.

بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِشْعَارِ

انْسَابَ نَفْسُ الصَّيْفِ عَلَى صَحْنِ الْمَسْجِدِ فَأَهْدَى الْحِجَارَةَ حَرَارَةً
مُشْتَعَلَةً وَأَلْقَى عَلَى الْقَبَابِ رِقَّةً ضَوْءٍ يَتَرَاوَجُ بَيْنَ كَفِّ ظِلٍّ وَكَفِّ سَنَا. تَسَايَرَتْ
خُطَى مُتَرَدِّدَةً تَحْمِلُ هَوَاتِفَ تَصَوُّتٍ بِإِشْعَارٍ وَاحِدٍ ثُمَّ تَسْكُنُ عَلَى حَيَاءِ
الْمَوْقِفِ. أَفْتَرَبَتْ أُمُّ مُحَمَّدٍ وَأَفْتَرَبَ أَبُو مَازِنٍ وَأَفْتَرَبَتْ أُمُّ فَاطِمَةَ وَأَفْتَرَبَ أَبُو عَدْنَانَ
يَسْتَظِلُّونَ بِمَحْرَابِ عَتِيقٍ يُسْكِنُ الصُّدُورَ وَيَجْمَعُ الْقُلُوبَ. دَخَلَ الْإِمَامُ بِخُطَى
وَادِعَةٍ يَحْمِلُ مُصْحَفًا صَغِيرًا وَيَضَعُ إِلَى جَانِبِهِ مِيزَانًا خَشِيبًا ذَا كِفَّتَيْنِ كَانَهُمَا
صَوْتُ الْأَذَانِ وَرَجْعُ الْإِشْعَارِ.

أُنْفَتَحَتْ حَلَقَةُ الْجُلُوسِ وَأُنْفَتَحَتْ مَعَهَا الْعُيُونُ عَلَى سُؤَالٍ يَتَكَرَّرُ فِي
كُلِّ بَيْتٍ: كَيْفَ تُرَبِّي هَذِهِ الْمَسَاجِدُ قُلُوبَنَا فِي زَمَنِ تَزْدَحِمُ فِيهِ الشَّاشَاتُ
وَتَتَسَابَقُ فِيهِ الْإِشْعَارَاتُ.

هَمَسَتْ أُمُّ مُحَمَّدٍ وَعَيْنَاهَا تَسْتَحْضِرَانِ أَوْلَادًا يَكْبُرُونَ بُسْرَعَةٍ: "يَا سَيِّدَنَا
نُرِيدُ طَرِيقًا يَأْخُذُ بِيَدِنَا قَبْلَ أَنْ تَأْخُذَ التَّطْبِيقَاتُ بِيَدِ أِبْنَائِنَا." وَأَشَارَ أَبُو مَازِنٍ إِلَى
هَاتِفٍ وَقَدْ أَطْفَأَ شَاشَتَهُ فِي الْأَوْنَةِ: "تَتَدَاوَعُ الْأَخْبَارُ وَتَخْتَلِطُ الصُّوَرُ وَتَضِيقُ

الْأَلْسُنُ عَنِ التَّثَبُّتِ فَهَلْ نَبْدَأُ مِنْ هُنَا أَمْ مِنْ هُنَاكَ."

تَبَسَّمَ الْإِمَامُ وَيَدُهُ تَمْسُحُ عَلَى كَفَّتَيِ الْمِيزَانِ وَيَسْتَفْتِحُ الْمَجْلِسَ بِتِلَاوَةِ
تُطْمِئِنُّ الْمَسِيرَ:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه 132)

وَيَتَّبِعُهَا بِمَعْيَارٍ يُبَيِّرُ طَرِيقَ الْخَبَرِ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الْحُجُرَاتِ 6).

وَيَرْفَعُ الصَّوْتَ بِعُهُودِ الْبَيُّوتِ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (التَّحْرِيمِ 6).

وَتَسْتَفِيرُ الْقُلُوبَ عَلَى حَدِيثٍ يَعْقِدُ نَبْضَ السَّلْسِلَةِ: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ»
قِيلَ لِمَنْ قَالَ «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»

يُقِيمُ الْإِمَامُ مُقَدِّمَةَ السَّلْسِلَةِ عَلَى «مَوَازِينِ الْبَيَانِ» وَيُجْرِيهَا جَرِي الْمَاءِ
فِي الْعُرُوقِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ كَلَامٌ أَوْ يُتَّخَذَ خِيَارٌ. يُمَسِّكُ «مِيزَانَ التَّلَقِّي» فَيُنْقِي
مَدَاخِلَ الْقَلْبِ وَيَصُونُهَا عَنْ غَوَاشِي الْأَصْوَاتِ ثُمَّ يُجَدِّدُ «مِثْقَالَ التَّمْثِيلِ» فَيَجْعَلُ
كُلَّ حَاكِ أَمِينًا عَلَى مَنْ يَحْكِيهِ وَيَمْنَعُ التَّرْصِيفَ فِي الصُّورِ وَالْأَلْسُنِ ثُمَّ يَضَعُ
«سُلَّمِ النَّصِيحَةِ» فَيَرْقَى عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْ رَفَقٍ مُبْتَدَأٍ إِلَى تَذَكِيرٍ حَسَنِ إِلَى حَزْمٍ

عَادِلٍ إِذَا أَسْتَوْجَبَ الْمَقَامُ ثُمَّ يُؤَكِّدُ «عَهْدَ الْبَيَانِ» فَيُثَبِّتُ أَنَّ الْكَلِمَةَ أَمَانَةٌ وَأَنَّ
الْوَعْدَ دَيْنٌ ثُمَّ يُوزِّنُ «مِيزَانَ الْمُرَاحِ» لِكَيْ لَا يَنْقَلِبَ الضَّحْكُ هَذَرًا لِكِرَامَةٍ وَلَا
كَسْرًا لِقَلْبٍ ثُمَّ يَحْرُسُ «أَمَانَةَ السِّرِّ» لِكَيْ يَبْقَى الْبَيْتُ سِتْرًا لِأَهْلِهِ وَجِيرَانِهِ ثُمَّ
يُبْصِرُ «مِثَاقَ الْعَيْنِ» فَيَعْلَمُ النَّظَرَ حُدُودَهُ وَالتَّصْوِيرَ حُكْمَهُ وَالنَّشْرَ مَالَهُ ثُمَّ يَرْتَبُ
«مِيزَانَ الْوَقْتِ» فَيَبْنِي الْيَوْمَ حَوْلَ الصَّلَوَاتِ وَالْعِلْمِ وَالنَّوْمِ وَيَجْعَلُ لِلْإِشْعَارِ مَوْقِعًا
تَحْتَ الْأَذَانِ لَا فَوْقَهُ

تَرْفَعُ أُمُّ فَاطِمَةَ كَفَّهَا وَتُرَاجِعُ هَمَّهَا بِصَوْتٍ يَسْتَمِدُّ شَجَاعَتَهُ مِنْ سَكِينَةِ
الْمَكَانِ: "يَا سَيِّدَنَا نُرِيدُ قِصَصًا تُشَاهِدُنَا وَنَشَاهِدُهَا فِي بُيُوتِنَا وَمَدَارِسِنَا."
وَيُجِيبُ الْإِمَامُ وَهُوَ يَسْتَدِيرُ بِالْمِيزَانِ نَحْوَ الْحَلَقَةِ: "نُرِيدُ هَذِهِ السَّلْسِلَةَ أَنْ تَسِيرَ
بِكُمْ بَيْنَ مَشْهَدٍ فِي الْمَسْجِدِ وَمَشْهَدٍ فِي الْبَيْتِ ثُمَّ تَتَرَكُّكُمْ عَلَى مَفْتَرَقِ قَرَارٍ
تَقْيِسُونَهُ بِهَذَا الْمِيزَانِ. نُرِيدُ أَنْ تُخَاطَبَ الْإِنْسَانُ كَانْسَانٍ وَأَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الْقُرْآنِ
وَسُنَّةِ الرَّسُولِ (ص) وَمَا يَصْدُقُ عَلَيْهِمَا مِنْ حَكَمٍ مَأْثُورَةٍ ثُمَّ تُضِيفَ إِلَى ذَلِكَ
تَجَارِبَ الْأَسْرِ وَأَنْفَاسَ الشَّبَابِ فِي الصَّيْفِ."

يَقِفُ أَبُو عَدَنَانٍ وَيَسْتَجْلِي طَرِيقًا يَقِفُ عَلَيْهِ الْكِبَارُ وَالصَّغَارُ مَعًا: "كَيْفَ
نَعْدِلُ بَيْنَ رِقَّةِ الرَّحْمَةِ وَحَزْمِ الْحُدُودِ فِي مَوَاقِفٍ تَتَسَارَعُ فِيهَا الصُّورُ وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا
الْأَخْلَامُ فَيُرَدُّ الْإِمَامُ مِيعَارًا يُشْعِلُ فِي الْقَلْبِ مُصْبَحًا: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»
و«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ». ثُمَّ يُشِيرُ إِلَى الْمِيزَانِ

كَأَنَّهُ سَاحَةُ الْإِخْتِيَارِ: "يُقَاسُ كُلُّ قَوْلٍ بِالنِّيَّةِ وَيُقَاسُ كُلُّ فِعْلٍ بِالْمَالِ وَتُقَاسُ كُلُّ وَسِيلَةٍ بِمَا تُصْلِحُهُ وَمَا تُفْسِدُهُ."

تَتَكَثَّفُ الْأَنْفَاسُ حَوْلَ الْمَحْرَابِ وَتَلْتَمِعُ فِي الْعُيُونِ بَشَارَاتُ صَغِيرَةٍ كَأَنَّهَا وَعْدُ قِصَصٍ سَتُؤَلَدُ مَعَ كُلِّ دَرَسٍ قَادِمٍ. تُسْنِدُ أُمُّ مُحَمَّدٍ كِتْفَهَا إِلَى الصَّفِّ الْأَمَامِيِّ وَتُسَارِرُ الْإِمَامَ بِنَبْرَةٍ رَجَاءٍ: نُرِيدُ أَنْ نَسْمَعَ وَنُجَرِّبَ وَنَرْجِعَ بِمَا نُجَرَّبُهُ إِلَى هَذَا الْمِيزَانِ. وَيَرْفَعُ الْإِمَامُ يَدَهُ وَيُصْغِي الْمَسْجِدُ إِلَى دُعَاءٍ قَصِيرٍ يَفْتَحُ الطَّرِيقَ: "اللَّهُمَّ اجْعَلْ بَيْنَ أَذَانِنَا وَإِشْعَارَاتِنَا حِكْمَةً تُقَدِّمُ ذِكْرَكَ وَتُؤَخِّرُ شَتَاتِنَا وَاجْعَلْ بُيُوتَنَا تَتَلَقَّى الْكَلِمَةَ عَلَى مِثَاقٍ وَتَتَحَرَّكَ فِي الْحَيَاةِ عَلَى مِيزَانٍ."

هَذِهِ هِيَ الْمُقَدِّمَةُ الَّتِي تَفْتَحُ السَّلْسِلَةَ وَتُهَيِّئُ الْمَسْرَحَ لِدُرُوسٍ تَنْعَقِدُ فِي الْمَسْجِدِ فِي صَيْفِ عَامِ ٢٠٢٥ وَتَمْتَدُّ إِلَى الْبُيُوتِ وَالسَّاحَاتِ وَالْمَدَارِسِ. يَبْدَأُ كُلُّ دَرَسٍ بِمَشْهَدٍ حَسَنٍ فِي الصَّخْنِ ثُمَّ يَنْعَقِدُ الْحَوَارِيُّ بَيْنَ الْإِمَامِ وَأُمِّ مُحَمَّدٍ وَالْأَهَالِي وَيَتَفَارَعُ الرَّأْيُ بِالرَّأْيِ وَتُسْتَدَلُّ الْآيَاتُ وَتُسْتَطَقُّ الْحِكْمُ ثُمَّ تُخْتَمُ الْحَلَقَةُ بِقَاعِدَةٍ تُقَاسُ فِي الْبَيْتِ وَتُرَاجَعُ فِي الدَّرْسِ التَّالِي. وَبَيْنَ أَذَانٍ يَدْعُو إِلَى الْأَفْلَاحِ وَإِشْعَارٍ يَسْتَجْلِبُ الْإِنْتِبَاهَ تَمْضِي هَذِهِ الرُّوَايَاتُ لِتُعَلِّمَ الْقُلُوبَ كَيْفَ يَزِنُ وَتُعَلِّمَ الْعَيْنَ كَيْفَ تَنْظُرُ وَتُعَلِّمَ اللِّسَانَ كَيْفَ يَنْطِقُ وَتُعَلِّمَ أَلْوَقْتَ كَيْفَ يُرْتَّبُ عَلَى سَلَامٍ الْقِبْلَةَ قَبْلَ صَحْبِ الشَّاشَةِ

مُقَدِّمَةُ الرِّوَايَةِ الْأُولَى: مِيزَانُ الْبَصِيرَةِ قَبْلَ الْبَصَرِ

تَنْطَلِقُ هَذِهِ الرِّوَايَةُ مِنْ قَاعِدَةٍ مُحْكَمَةٍ تُقِيمُ الْعَقْلَ عَلَى مِيزَانٍ وَتَجْعَلُ لِلْعَمَلِ بَابًا يَسْبِقُهُ فَهْمٌ وَبَصِيرَةٌ فَتَقُولُ لِلنَّاشِئِ وَالرَّاشِدِ مَعًا إِنَّ الْأَشْيَاءَ لَا تُقَاسُ بِبَرِّقِهَا وَلَا تُحَبُّ لِشَهْرَتِهَا بَلْ تُوزَنُ بِمَقَاصِدِهَا وَآثَارِهَا وَخُذُودِهَا. تُرِيدُ الرِّوَايَةُ أَنْ تَغْرِسَ فِي الْقَلْبِ أَدَبًا يُسَمِّيُهَا «مِيزَانُ الْبَصِيرَةِ قَبْلَ الْبَصَرِ» فَلَا يُمَدُّ أَلْفَتَى يَدِهِ إِلَى أَدَاةٍ حَتَّى يَعْرِفَ قِيَمَتَهَا وَلَا يَتَعَلَّقَ بِوَسِيلَةٍ حَتَّى يَعْلَمَ سَبِيلَهَا وَمَالَهَا وَلَا يَدْخُلُ فِي مَجَالٍ جَدِيدٍ حَتَّى يُحْكِمَ لَهُ مِفْتَاحَ النِّيَّةِ وَالزَّمَنِ وَالْكَلِمَةِ.

يَسِيرُ النَّصُّ عَلَى خُطُواتٍ مُتَدَارِجَةٍ تُشَبِّهُ مَنَازِلَ السَّائِرِ إِلَى أَطْمَئِنَانِهِ فَيَبْدَأُ بِسَكِينَةِ الدَّاخِلِ ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى تَعَارُفٍ يَعْرِفُ بِهِ نَفْسَهُ وَمَنْ حَوْلَهُ ثُمَّ يَنْظُرُ فِي عُمُرَانِ الْأَشْيَاءِ كَيْفَ تُصْلِحُ وَلَا تُفْسِدُ ثُمَّ يَسْأَلُ عَنِ الْوَجْهِةِ لِكُلِّ خُطْوَةٍ وَكَلِمَةٍ حَتَّى يَبْلُغَ ثِقَةً تُولَدُ مِنْ جِدَالٍ مُؤَدَّبٍ وَعَهْدٍ مَكْتُوبٍ وَمَسْجِدٍ يُعَلِّمُ السَّكِينَةَ وَعِلْمٍ يُثْمِرُ عَمَلًا وَأُسْرَةً تَصُونُ وَتَرْعَى وَعَالِمٍ يَدُلُّ وَيَقُودُ وَحَصَادٍ أَوَّلٍ يُبَشِّرُ بِحَصَادٍ آخَرَ.

تُفْتَحُ الطَّرِيقُ بِ«مِيزَانِ السَّكِينَةِ» فَيُخْلِصُ الْقَلْبُ نِيَّتَهُ وَيَهْدَأُ الْجَوَانِحُ قَبْلَ كُلِّ قَرَارٍ وَقَبْلَ كُلِّ اسْتِعْمَالٍ فَيَقُومُ الْعَقْلُ عَلَى سُكُونٍ يَصْنُهُ مِنْ عَجَلَةٍ وَغَفْلَةٍ

وَيُثَبِّتُهُ عَلَى تَرَاوٍ يُنْبِتُ بَصِيرَةً. ثُمَّ يَدْخُلُ السَّائِرُ «خَرَائِطَ التَّعَارُفِ» فَيَعْرِفُ نَفْسَهُ
مَلَكَاتٍ وَخُدُودًا وَيَعْرِفُ أَهْلَهُ وَمُعَلِّمَهُ وَصَاحِبَهُ حُقُوقًا وَوَاجِبَاتٍ وَيَعْرِفُ أَدَوَاتِهِ
مَنَافِعَ وَمَضَارَّ فَلَا يَقَعُ فِي جَهْلٍ يُزَيِّنُ لَهُ مَا يَضُرُّهُ. ثُمَّ يَتَأَمَّلُ «خَرَائِطَ الْعُمَرَانِ»
فَيَزِنُ كَيْفَ تُسَاهِمُ الْأَدَوَاتُ فِي بِنَاءِ نَفْسٍ وَبَيْتٍ وَمَدْرَسَةٍ وَحَيٍّ فَإِنْ رَأَى بِنَاءً زَادَ
فِيهِ وَإِنْ رَأَى هَدْمًا كَفَّ وَصَلَحَ وَأَصْلَحَ.

ثُمَّ يَسْأَلُ «سُؤَالَ الْوُجْهَةِ» كُلَّمَا هَمَّ بِخُطْوَةٍ فَيَعْرِفُ إِلَى أَيْنَ يَمْضِي وَمَاذَا
يُرِيدُ وَمَا الَّذِي سَيَبْقَى مِنْ أَثَرِهِ إِذَا غَابَ عَنْهُ الْبَرِيقُ فَيَتَخَيَّرُ أَحْسَنَ الطَّرِيقِ وَأَقْرَبَهَا
إِلَى الْحَقِّ. فَإِذَا أَلْتَقَى بِالْآخِرِ فِي مَجْلِسٍ أَوْ مَجْمُوعَةٍ رَفَعَ «جِدَالًا فُرْصَةً لِلثَّقَةِ»
يَسْتَمِعُ فِيهِ وَبَيِّنُ وَيَتَثَبَّتُ ثُمَّ يَنْصَحُ فِتْلَتِمْهُ «مِثَاقُ الْكَلِمَةِ» أَنْ يَقُولَ خَيْرًا أَوْ
يَصْمُتَ وَأَنْ يَزِنَ أَثَرَ الْحَرْفِ قَبْلَ خُرُوجِهِ وَأَنْ يَسْتَحْضِرَ عُهُودَ الْعَدْلِ وَالسَّيْرِ
وَالنَّصِيحَةِ.

وَعِنْدَ «سَكِينَةِ الْمَسْجِدِ» يَتَعَلَّمُ السَّائِرُ أَنَّ مَوَاطِنَ الذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ تُقِيمُ
فِي الرُّوحِ هَيِّئَةً تَصُونُهَا مِنْ فَوْضَى الْوَقْتِ وَتُثَبَّتُ فِي الْعَقْلِ مِيزَانًا يُقَدِّمُ الْأَهَمَّ
عَلَى الْأَهَمِّ وَيَرْفَعُ أَلْفَهُمْ قَبْلَ الْإِسْتِعْمَالِ. ثُمَّ يَمْضِي إِلَى «عِلْمٍ وَعَمَلٍ» فَلَا يَقِفُ
عِنْدَ الْمَعْرِفَةِ الْجَافَةِ وَلَا يَنْدَفِعُ فِي عَمَلٍ أَعْمَى بَلْ يَجْمَعُ بَيْنَ نُورِ الدَّلِيلِ وَصِدْقِ
التَّنْفِيدِ حَتَّى يُصْلِحَ الشَّخْصَ وَيَنْفَعِ الْمَجَالَ.

وَتَقُومُ الْأُسْرَةُ فِي وَسْطِ الطَّرِيقِ عُمُودًا يَحْمِلُ الْبَيْتَ فَيَبْزُرُ «الْأُتُوءُ

الرَّاشِدَةُ» قِيَادَةً بِرَفْقٍ وَحَزْمٍ وَمُبَادَرَةً تَزْرَعُ الْقِيَمَ وَتَحْرُسُ الْوَقْتَ وَتَضَعُ الْحُدُودَ وَتُثَبِّتُ الْمِيزَانَ وَتُظْهِرُ «الْأُمَّ رُوحَ أَلْبَيْتِ» سَكِينَةً تَجْمَعُ وَحَنَانًا يُرَبِّي وَحِكْمَةً تُهْدِي فَيَجْتَمِعُ الْعَقْلُ وَالْقَلْبُ عَلَى مَقْصِدٍ وَاحِدٍ. ثُمَّ يَصْحَبُ السَّائِرُ «الْعَالَمَ وَالْقُدُوةَ» فَيَتَعَلَّمُ بَيَانَ الدَّلِيلِ وَجَمَالَ الْخُلُقِ وَيَرَى كَيْفَ يُتَرْجَمُ الْعِلْمُ هَدًيًا فِي الْحَيَاةِ فَلَا يَغْتَرُّ بِالْمَعْنَى دُونَ أَثَرٍ وَلَا بِالْقَوْلِ دُونَ عَمَلٍ.

وَعِنْدَ «يَوْمِ الْحَصَادِ الْأَوَّلِ» يَنْظُرُ الْقَوْمُ فِي ثَمَرَةِ الْمِيزَانِ فَيَقِفُونَ عَلَى مَا صَلَحَ فَيَشْكُرُونَ وَعَلَى مَا قَصُرَ فَيُصْلِحُونَ وَيَجِدُّونَ الْعَهْدَ لِمَسِيرِ آخِرٍ يَزِيدُ فِيهِ الْفَهْمَ قَبْلَ الْإِسْتِعْمَالِ وَيَرْفَعُ فِيهِ السَّكِينَةَ قَبْلَ الْحَرْفَةِ وَيُقِيمُ فِيهِ الْكَلِمَةَ عَلَى عَدْلِ وَسْتَرٍ وَنُصْحٍ. هَكَذَا تَصِيرُ الْأَدَوَاتُ فِي أَيْدِينَا أَمَانَاتٍ نُؤَدِّيهَا وَلَا تَصِيرُ نُفُوسُنَا أَسَارَى لِمَا نَمْلِكُهُ فَيَسْلَمَ الْوَقْتُ وَتُسْتَقِيمَ الْوُجْهَةُ وَيَزْهَى الْعُمَرَانُ وَتَكْتَسِي الْقُلُوبُ طُمَأْنِينَةً تُثْمِرُ عِلْمًا وَعَمَلًا وَقُرْبًا.

الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: مِيزَانُ السَّكِينَةِ

تَهَابَطَتْ سَكِينَةُ الْمَسَاءِ عَلَى رِوَاقِ الْمَسْجِدِ فَأَنْصَتَتْ الْحِجَارَةُ
وَأَسْتَرَاحَ الظِّلُّ عَلَى الْأَعْمِدَةِ كَأَنَّهُ أَلَيْدُ الْحَنُونِ عَلَى جَبِينِ مُتَعَبٍ وَسَكَنَتْ
الْخُطَى وَأَنْخَفَضَ هَمْسُ الشُّوقِ وَسَكَنَتْ الْقُلُوبُ إِلَى نُورٍ هَادِيٍّ يُضِيءُ الصُّدُورَ
وَيَقُولُ لَهَا بِلِسَانٍ لَطِيفٍ "أَطْمَئِنِّي".

جَلَسَ الْإِمَامُ فِي الْوَسْطِ وَتَحَلَّقَ حَوْلَهُ فَتَيَةٌ وَفَتَيَاتٌ وَأَبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ وَعَلَى
الْوُجُوهِ أَثَرٌ تَعَبٍ يَنْحَسِرُ وَعَلَى الْأَكْفِ دَفَائِرُ نَقِيَّةٍ كَأَنَّهَا صُحُفٌ بَيَضَاءٌ تُعَدُّ
مَسَاحَتَهَا لِكَلِمَاتٍ تُقِيمُ مِيزَانًا وَتُهَدِّبُ نَفْسًا وَتُصْلِحُ بَيْتًا. رَفَعَ الْإِمَامُ بَصَرَهُ إِلَى
الْقِبْلَةِ ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ يَجْمَعُ الطَّمَأْنِينَةَ وَالْحَزَمَ "الْيَوْمَ نَفْتَحُ بَابًا هُوَ أَبُو الْأَبْوَابِ
وَنُقِيمُ حَدًّا هُوَ أُمُّ الْخُدُودِ وَنَسِيرُ فِي طَرِيقٍ لَا يَسْلَمُ بَيْتٌ إِلَّا إِذَا سَارَ فِيهِ وَهُوَ
«مِيزَانُ السَّكِينَةِ». مَا مِنْ آلَةٍ تُسْتَعْمَلُ وَلَا وَسِيلَةٍ تُقْبَلُ وَلَا مَجَالٍ يُفْتَحُ حَتَّى يُقَامَ
فِي الْقَلْبِ سُكُونٌ يَحْرُسُ النَّيَّةَ وَيُقِيمُ الْعَقْلَ عَلَى الرَّقِّ وَيَجْعَلُ لِلْوَقْتِ حُرْمَةً
وَلِلْكَلِمَةِ مِثَاقًا." ثُمَّ قَرَأَ وَالْقُلُوبُ تُصْغِي إِلَى الْهُدَى الرَّحِيمِ

﴿لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ (الرُّومُ 21)

وَجَعَلَ الشَّاهِدَ الثَّانِي دُعَاءَ يَنْحَتْ فِي الصُّدُورِ مَعَالِمَ الرِّضَا وَحُسْنِ
الطَّلَبِ:

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ (الْفُرْقَانُ 74).

ثُمَّ قَالَ "إِنَّ هَذَيْنِ النَّصِّينِ يُقِيمَانِ لَنَا مِيزَانَ الْمَقْصَدِ وَمِيزَانَ الرَّحْمَةِ
فَنَعْرِفُ لِمَنْ نَبْنِي السَّكِينَةَ وَكَيْفَ نَصْنَعُهَا وَأَيْنَ نَضَعُهَا".

هَمَسَ «رِيَانُ» وَفِي عَيْنَيْهِ قَلَقٌ شَابٌّ قَدْ تَخَطَّطَتْهُ الْأَصْوَاتُ وَتَسَجَّنَتْهُ
الْصُّورُ "كَيْفَ نَبْنِي السَّكِينَةَ وَحَوْلَنَا أَصْوَاتٌ تَتَدَفَّعُ وَأَخْبَارٌ تَتَكَاثَرُ وَمَشَاهِدُ
تَسْتَدْعِي الْعَيْنَ كُلَّ سَاعَةٍ".

فَنَظَرَ الْإِمَامُ إِلَيْهِ نَظْرَةً أَبٍ يَجْمَعُ الرَّفَقَ وَالْحَزَمَ ثُمَّ قَالَ "نَبْدَأُ مِنْ هُنَا مِنْ
رَوَاقِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ نَحْمِلُ مَا تَعَلَّمْنَاهُ إِلَى الْبُيُوتِ. لَيْسَتْ السَّكِينَةُ هُدُوءًا فَارِغًا وَلَا
سُكُوتًا بَلَا مَعْنَى بَلْ هِيَ قَصْدٌ يَهْدِفُ وَوَقْتُ يُنْظَمُ وَعَدْلٌ يُقِيمُ كُلَّ شَيْءٍ فِي
مَكَانِهِ وَرَحْمَةٌ تُغْطِي الْقُلُوبَ كَلْبَاسٍ". ثُمَّ أَضَافَ وَهُوَ يُقَرِّبُ الْمَعْنَى "مَنْ أَرَادَ أَنْ
يَسْتَعْمَلَ أَدَاةً فِي بَيْتِهِ فَلْيَبْدَأْ بِقَلْبِهِ فَيَسْأَلْ «لِمَذَا؟» هَذَا الْإِسْتِعْمَالُ فَيُقِيمُ «مِيزَانَ
الْمَقْصَدِ» ثُمَّ يَنْظُرُ فِي «مِيزَانِ الْوَقْتِ» فَيَعْرِفُ مَوَاطِنَ الْحِرَاسَةِ وَمَوَاقِيتَ الرَّاحَةِ
ثُمَّ يَقِفُ عِنْدَ «مِيزَانِ الْعَدْلِ» فَلَا يَطْغَى شَيْءٌ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَحْرِمُ الْوَلَدَ حَقَّهُ وَلَا
يَعْمَلُ عَنْ نَفْسِهِ ثُمَّ يُعْطِي ذَلِكَ كُلَّهُ بِ«مِيزَانِ الرَّحْمَةِ» فَلَا يَكُونُ التَّقْنِينُ سَيِّفًا وَلَا

الترتيب سَجَنًا". ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الْمُصَلَّى وَقَالَ "هُنَا عَلِمْنَا كَيْفَ يَكُونُ السُّكُونُ سَبَبًا فِي الْقُرْبِ وَكَيْفَ تَكُونُ الْعِشَاءُ خَاتِمَةَ النَّهَارِ تَطْوِي عَنْهُ الصَّخْبَ وَتَفْتَحُ بَابَ الرَّاحَةِ".

قَالَتْ «رَأَيْتُ» وَفِي صَوْتِهَا رَوْنٌ فَهَمَّ يَتَطَلَّعُ إِلَى التَّطَبُّعِ "أَتُرِيدُ أَنْ نَحْمِلَ السَّكِينَةَ كَمَا هِيَ إِلَى الْبَيْتِ فَكَيْفَ نُنْزِلُهَا عَلَى الْأَصْوَاتِ وَالْأَنْفَاسِ وَإِقْبَاعِ الْمَسَاءِ".

فَقَالَ الْإِمَامُ "نَعَمْ نَنْقُلُهَا نَقْلَ الْعِطْرِ فِي الرِّيحِ وَنَجْعَلُ لِلْبَيْتِ «زَاوِيَةَ سَكِينَةٍ» تُطْفَأُ فِيهَا الشَّاشَاتُ حَوْلَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَيُحْفَظُ فِيهَا الْكَلَامُ وَتُقْرَأُ فِيهَا صَفَحَاتُ يَسِيرَةٍ وَتُرْفَعُ فِيهَا الْأَكْفُ بِدُعَاءٍ وَتَسْبِيحٍ وَيُتَدَاوَلُ فِيهَا حَدِيثٌ لِيَنْ يُصْلِحَ الرُّوَاطُ وَيَنْسُجُ بَيْنَ الْقُلُوبِ حُسْنُ الْأُلْفَةِ". ثُمَّ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ يَسْتَدِلُّ بِحِكْمَةِ الْخَالِقِ فِي تَأْسِيسِ الْأُسْرَةِ عَلَى السَّكِينَةِ

﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ (الرُّومُ 21)

ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِالْدُّعَاءِ الْمُحْكَمِ

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ (الْفُرْقَانُ 74).

وَقَالَ "يَرْسُمُ هَذَا الْقُرْآنُ لَنَا خَرِيطَةَ السَّكِينَةِ فِي بَيْتٍ يَجْمَعُ الرَّحْمَةَ وَيَحْفَظُ الْعَدْلَ وَيُحْسِنُ التَّوْقِيتَ".

نَهَضَ «أَبُو حَاتِمٍ» وَفِي يَدَيْهِ دَفْتَرٌ سَمِيكٌ كَأَنَّهُ لَوْحٌ مِثْقَالٍ وَقَالَ وَفِي نَبْرَتِهِ حَزْمٌ رَفِيقٌ "نَصَحَبُ الْإِمَامِ إِلَى الْبَيْتِ لِنَقْفٍ عَلَى التَّرْتِيبِ كَيْفَ يَكُونُ وَنَرَى الْمَوَاقِيتَ كَيْفَ تُضْبَطُ وَنَعْرِفُ الْعُدْلَ كَيْفَ يَقُومُ بَيْنَ الْحَاجَاتِ وَالْمَطَالِبِ وَنَتَعَلَّمُ كَيْفَ تُظَلَّلُ الرَّحْمَةُ كُلُّ ذَلِكَ".

فَسَارُوا فِي هَذِهِ يَشْبَهُ فِيءَ الْمَسَاءِ وَفِي الطَّرِيقِ كَانَ الْإِمَامُ يُحَدِّثُهُمْ وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى الْقَلْبِ أَوَّلًا "إِذَا رَجَعْتُمْ فَأَبْدُوا بِالتَّخْفِيفِ مِنْ أَصَوَاتِ الْأَدَوَاتِ وَالْأَجْرَاسِ ثُمَّ نَادُوا لِيَجْمَعَ يَسِيرٌ يُعْلَنُ بَدْءُ السَّكِينَةِ ثُمَّ أَجْعَلُوا لِكُلِّ أَحَدٍ مَقْعَدًا يُشْبَهُ مَصَلَاهُ فَلِلْأَبِ كُتُبٌ وَلِلْإِمَامِ مُصْحَفٌ وَلِلصَّغَارِ قِصَصٌ وَاللَّوَحُ بَيِّنَةٌ".

حِينَ وَصَلُوا دَخَلُوا بَيْتًا يَتَأَلَّأُ فِيهِ الْبَسِيطُ مِنَ النُّورِ وَتَدَلَّى عَلَى الْجُدْرَانِ صُورٌ ذَكَرَى طَبِيعَةً وَتَتَنَفَّسُ فِيهِ الْعُرْفُ بِهُدُوءٍ مُوزُونٍ. قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَأْشُرُ إِلَى رُكْنٍ نَقِيٍّ "هُنَا تَكُونُ «رَاوِيَةُ السَّكِينَةِ» وَفِيهَا نَجْمُ الْقُلُوبِ قَبْلَ الْكَلِمَةِ وَنَضَعُ الْأَدَوَاتِ فِي مَوَاضِعِهَا قَبْلَ الْإِسْتِعْمَالِ". ثُمَّ نَادَى الصَّغَارَ فَأَتَوْا مُسْتَبْشِرِينَ وَعَلَى وُجُوهِهِمْ بَرِيقُ سُؤَالٍ وَتَطَلَّعَ فَقَالَ لَهُمْ "سَنُطْفِئُ أَلْهُوَاتِفَ قُبُلِ الْمَغْرِبِ ثُمَّ نُصَلِّي ثُمَّ نَقْرَأُ صَفَحَاتٍ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سِيرَةٍ أَوْ مَوْعِظَةٍ وَنَرْفَعُ كَفًّا لِدُعَاءٍ يَجْمَعُنَا ثُمَّ نَتَحَدَّثُ حَدِيثًا لَبِنًا ثُمَّ نَسْتَعِدُّ لِلْعِشَاءِ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ لَا مَكَانَ فِيهِ لِجَرَسٍ وَلَا لِصُورَةٍ مُزَاحِمَةٍ". ثُمَّ قَالَ "هَذَا حِفْظٌ لِلْقَصْدِ وَتَوْقِيتٌ لِلزَّمَنِ وَعَدْلٌ بَيْنَ الْحَاجَاتِ وَرَحْمَةٌ بِالْقُلُوبِ".

قَالَتْ «حِلْمَةٌ» وَفِي نَبَرَتِهَا حَنَانٌ يَحْمِلُ حَزْمًا "أَنْعِلْنِ لِلْأُسْرَةِ عَهْدًا مَكْتُوبًا يَحْرُسُ هَذِهِ الرَّأْيِيَّةَ".

فَقَالَ الْإِمَامُ "نَعَمْ نَكْتُبُ جُمْلَةً تَسْتَقِرُّ فِي الصُّدُورِ قَبْلَ الْأَسْطُرِ «فِي بَيْتِنَا لِلْمَسَاءِ سَكِينَةٌ تُطْفَأُ فِيهَا الْأَدَوَاتُ وَتُقْرَأُ فِيهَا الصَّفَحَاتُ وَيُتَحَدَّثُ فِيهَا بِرِفْقٍ وَيُحْفَظُ فِيهَا حَقُّ النَّوْمِ وَالرَّاحَةِ»". ثُمَّ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى مَا يُشِيرُ إِلَى الْغَايَةِ الْعُلْيَا مِنْ الْقُرْبِ وَالْأَلْفَةِ فِي الْبَيْتِ

﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ (الرُّومُ 21)

وَرَفَعَ الدُّعَاءَ الْكَرِيمَ الَّذِي يَجْمَعُ الْقُلُوبَ عَلَى بَابِ اللَّهِ

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ (الْفُرْقَانُ 74).

تَقَدَّمَ «صَفْوَانٌ» وَفِي يَدِهِ قَلَمٌ وَوَرَقَةٌ فَقَالَ "نَجْعَلُ أَيْضًا عَمَلًا مَقِيسًا يَدُلُّ عَلَى ثَمَرَةِ السَّكِينَةِ فَلْنَكْتُبْ «جَدُولَ سِتِّينَ دَقِيقَةً بِلَا هَانِفٍ» كُلَّ مَسَاءٍ وَنَرْصُدَ أَثَرَهُ عَلَى نَوْمِ الصِّغَارِ".

فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا مِنْ إِقَامَةِ «مِيزَانِ الْوَقْتِ» فَإِنَّ الزَّمْنَ إِذَا نُظِّمَ وَقَعَتْ الْقُلُوبُ عَلَى سِلْمٍ وَأَسْتَقَامَتِ النَّفْسُ وَحَسُنَ النَّوْمُ". ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُثَبِّتُ مَعْنَى "مَنْ حَفِظَ هَذِهِ الدَّقَائِقَ كَأَنَّهُ يَزْرَعُ فِي الصَّدْرِ بُذُورًا تُثْمِرُ فِي الصَّبَاحِ هِمَّةً وَفِي النَّهَارِ إِنْتِبَاهًا". فَقَالَتْ «رَائِيَّةُ» "نُثِبْتُ ذَلِكَ فِي دَفْتَرٍ وَنَكْتُبُ مَوَاعِيدَ الْمَغْرِبِ

وَأَلْعِشَاءِ وَنُقَارِنْ بَيْنَ أَمْسٍ وَالْيَوْمِ وَغَدٍ". فَابْتَسَمَ الْإِمَامُ وَقَالَ "هَذَا «عَدْلٌ» بَيْنَ الْمُرَاقَبَةِ وَاللُّطْفِ وَ«رَحْمَةٌ» تُرَاعِي الْأَحْوَالَ فَلَا نُثْقِلُ عَلَى الْأَطْفَالِ بَلْ نُرَبِّهِمْ عَلَى الْحِفْظِ بِحُسْنِ الْقُدْوَةِ".

جَلَسُوا جَمِيعًا فِي «زَاوِيَةِ السَّكِينَةِ» وَوَضَعُوا الْأَدَوَاتِ فِي مَوْضِعٍ جَانِبِيٍّ وَانْعَمُوا النَّظَرَ فِي الرُّكْنِ حَيْثُ طَاوِلَةٌ صَغِيرَةٌ وَمُصْبَاحٌ لَيْنٌ وَمُصْحَفٌ وَكُتُبٌ مُنْتَفَاةٌ وَسُجَّادَةٌ تَفِيءُ عَلَيْهَا رَاحَةُ الْقَلْبِ.

قَالَ الْإِمَامُ "سَنَبْدَأُ مِنَ الْيَوْمِ وَنَتَّخِذُ لِلْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ مَوَاعِيدَ مُعْلَنَةً يُعْرِفُ عِنْدَهَا الْأَطْفَاءُ وَتَسْكُنُ عِنْدَهَا الْأَصْوَاتُ. إِذَا أَذِنَ الْمَغْرِبُ خَفَتِ الْبَيْتُ كُلُّهُ وَإِذَا رُفِعَتِ الْعِشَاءُ أَكْمَلَ السُّكُونُ وَصَارَ النَّوْمُ بَعْدَهُ قَرِيبًا". ثُمَّ قَالَ "لِنَمْتَحِنَ أَنْفُسَنَا بِأُسْبُوعٍ نَحَافِظُ فِيهِ عَلَى «سِتِّينَ دَقِيقَةً بِلاَ هَاتِفٍ» كُلَّ مَسَاءٍ وَنَرْصُدُ أَثَرَ ذَلِكَ عَلَى النَّوْمِ وَسُرْعَةِ الْإِسْتِغْرَاقِ وَنَهَارِ النَّشَاطِ". فَقَالَ «صَفْوَانُ» "أَتَوَلَّى الْكِتَابَةَ وَبَعْدَ أُسْبُوعٍ نَعْرِضُ الثَّمَرَةَ فَإِنْ وَجَدْنَا نُقُوصًا عَالَجْنَا بِرِفْقٍ وَإِنْ وَجَدْنَا تَمَامًا حَمِدْنَا اللَّهَ وَتَبَتَّنَا الْعَهْدَ".

تَقَدَّمَ الصَّغَارُ وَعَلَى شِفَاهِهِمْ بَسْمَةٌ مَنْ يَدْخُلُ جَنَّةً صَغِيرَةً فِي بَيْتِهِ فَقَالَ أَكْبَرُهُمْ "أَيُّهَا الْأَبُ الْكَرِيمُ أَنْقَرُ قِصَّةً قَبْلَ الْعِشَاءِ".

فَقَالَ الْإِمَامُ "اقْرَؤُوا مَا فِيهِ حِكْمَةٌ وَخُلُقٌ وَقِصْرٌ يَحْفَظُ الزَّمْنَ". ثُمَّ قَالَ

لِلْجَمِيعِ "لَا نَنْسَى أَنْ نَرْفَعَ أَكْفًا بِدُعَاءِ يُرْكِي أَلْهَوَاءَ وَيُنْبِتُ الْقَلْبَ وَيَغْسِلُ بَقَايَا
أَيُّومٍ مِنَ الصُّدُورِ". وَقَالَ وَهُوَ يَتَبَسَّمُ "الصَّفَحَاتُ الْقَلِيلَةُ مَعَ التَّكَرَّارِ أَمْتَنُ وَأَعْبَقُ
مِنَ الْكَثِيرِ الْمُنْقَطِعِ". ثُمَّ تَذَكَّرَ حَدِيثًا يُقِيمُ الرَّفْقَ فِي التَّكْلِيفِ فَقَالَ "إِنَّ هَذَا
الَّذِينَ يُسْرُ" (حَدِيثٌ) "فَلَا نُحَوِّلُ السَّكِينَةَ شِدَّةً وَلَا التَّرْتِيبَ عُسْرًا بَلْ نَرْفُقُ
وَنُدَاوِمُ".

كَانَتْ الْأَصَابِعُ فِي الْأَيَّامِ الْأُولِ تَذْهَبُ صَوْبَ الْهَوَاتِفِ عَنِ الْعَادَةِ ثُمَّ
تَتَذَكَّرُ فَتَرْجِعُ وَكَانَ الصَّغَارُ يَنْظُرُونَ إِلَى السَّاعَةِ وَفِي أَلْعِيُونِ سُؤَالٌ فَيَقُولُ الْأَبُ
"أَنْتَظِرُوا حَتَّى نُنْتِمَّ الزَّمَنَ" وَتَقُولُ الْأُمُّ "أَقْرَؤُوا يَا أَحِبَّةُ صَفَحَاتٍ قَلِيلَةً تَزْهَرُ
نُفُوسُكُمْ" وَكَانَ الْإِمَامُ يَتَفَقَّدُ الْقُلُوبَ فَيَرَى ثَقَلًا فَيَقُولُ "إِسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا
وَذَكِّرُوا قُلُوبَكُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ (الْفُرْقَانُ 74)

فَالْقُرَّةُ تَأْتِي مَعَ الصَّبْرِ وَحِفْظِ الْحُدُودِ".

مَضَى أَسْبُوعٌ فَانْتَضَمَ النَّفْسُ وَانْقَطَعَ الْإِرْتِبَاكُ قُبَيْلَ النَّوْمِ وَعَلِمَ الصَّغَارُ أَنَّ
لِلَّيْلِ حُرْمَةً وَأَنَّ الْأَبْوَابَ تُغْلَقُ عَلَى الشَّوْشَرَةِ وَتُفْتَحُ عَلَى السَّكِينَةِ وَأَنَّ الْعِشَاءَ
خَاتِمَةٌ كَرِيمَةٌ لَا يَلِيقُ أَنْ تَقْطَعَ الْأَصْوَاتُ. قَالَ «صَفْوَانُ» وَهُوَ يُقَلِّبُ دَفْتَرَ
الْبَيْتِ "نَرَى فِي الْمَوْشَرِ أَنَّ الْإِسْتِغْرَاقَ فِي النَّوْمِ أَسْرَعُ وَأَنَّ الصُّبْحَ أَنْشَطُ وَأَنَّ

أَلُوْجُوْهُ أَبْهَى". فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا ثَمَرُ «مِيزَانِ الْوَقْتِ» وَ«مِيزَانِ الْمَقْصَدِ» فَإِنَّمَا نَحْفَظُ هَذَا التَّرْتِيبَ لِنَبْلُغَ قُرَّةَ الْعَيْنِ وَسَعَةَ الصَّدْرِ". ثُمَّ نَظَرَ فِي الْوَرَقَةِ وَقَالَ "وَنَرَى أَيْضًا أَنَّ التَّنَزَّاعَ بَيْنَ الْإِخْوَةِ قَدْ خَفَّ وَأَنَّ الْحَوَارِ الْأَطْفَ وَذَلِكَ «عَدْلٌ» بَيْنَ النَّفُوسِ أَقَامَتْهُ السَّكِينَةُ".

قَالَ «رِيَانٌ» وَفِي صَوْتِهِ بِشَارَةٌ مَنْ ذَاقَ الشَّمْرَةَ "كُنْتُ قَبْلَ الزَّوَايَةِ أَدْخُلُ النَّوْمَ وَقَلْبِي مُشْتَتٌ بَيْنَ صُورٍ وَأَصْوَاتٍ فَأَقُومُ وَفِي الصَّدْرِ بَقَايَا غُبَارٍ فَأَجِدُ فِي الْمَدْرَسَةِ تَعَبًا وَثِقَلًا ثُمَّ إِنِّي الْآنَ أَدْخُلُ وَقَلْبِي سَاكِنٌ فَاسْتَيْقِظُ وَقَدْ انْشَرَحَ الصَّدْرُ". فَقَالَ الْإِمَامُ "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ وَهَذَا مِنْ «مِيزَانِ الرَّحْمَةِ» فَإِنَّهُ يُجَمِّلُ الطَّرِيقَ وَيُلَيِّنُ التَّكْلِيفَ وَيَجْعَلُ الْقُلُوبَ يَقْبَلُ الْخَيْرَ طَوْعًا".

ثُمَّ قَالَ "لَنَزِدَ فِي التَّثْبِيتِ فَجَعَلْ فِي الْمِصْرَاعِ الْقَرِيبِ مِنْ «زَاوِيَةِ السَّكِينَةِ» وَرَقَةً كَتَبْنَا فِيهَا آيَتَيْنِ تَكُونَانِ لَنَا عَلَمًا فِي الْمَسَاءِ

﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ (الرُّومُ 21)

و﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ (الْفُرْقَانُ 74)

فَمَنْ دَخَلَ رَأَهُمَا فَسَكَنَ وَمَنْ هَمَّ بِكَلِمَةٍ تَشْقِي السَّكِينَةَ تَذَكَّرَ فَسَكَتَ". وَقَالَ "وَنَثَبْتُ مَعَهُمَا جُمْلَةً مِنَ السُّنَّةِ تُذَكِّرُ بِرَفْقِ الطَّرِيقِ «مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ

إِلَّا زَانَهُ وَمَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ" (حَدِيثٌ).

هُنَا انْفَتَحَ بَابُ حِكَايَةِ صَغِيرَةٍ فِي الْبَيْتِ. دَخَلَ أَصْغَرُ الصَّغَارِ بِوَرَقَةٍ رَسَمَ
قَالَ "أَرْسُمُ زَاوِيَتَنَا لَكِنِّي لَا أَنْسَاهَا" فَأَجَازَهُ الْإِمَامُ وَقَالَ "أَرْسُمِ مُصْبَحًا لَيْتًا
وَمُصْحَفًا وَكِتَابًا وَكُرْسِيًّا صَغِيرًا وَاكْتُبِ فِي أَعْلَاهَا
﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ (الرُّومُ 21)".

فَفَعَلَ الطِّفْلُ وَعَلَّقُوا الرَّسْمَ فَوْقَ الرُّكْنِ فَكَانَ يَذْكُرُهُمْ كُلَّ لَيْلَةٍ بَعْدَهُمْ.

مَعَ قِيَامِ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ فِي الرَّبِيعِ جَاءَ الضُّيُوفُ فَقَالَ الْإِمَامُ لَهُمْ "فِي بَيْتِنَا
زَاوِيَةٌ لِلْمَسَاءِ فَإِذَا حَضَرْتُمْ فَأَعِينُونَا عَلَى حِفْظِهَا" فَقَالَ الضُّيُوفُ "نَلْتَرِمُ وَنُعِينُ"
فَدَخَلُوا وَهُمْ يَرُونَ هُدُوءًا يَتَوَزَّعُ عَلَى الْوُجُوهِ كَنَافِذَةٍ تُفِيءُ عَلَيْهَا رِيحٌ طَيِّبَةٌ. قَالَ
أَحَدُهُمْ "إِنَّهَا زَاوِيَةٌ تُشَبِّهُ جَنَّةَ صَغِيرَةً" فَقَالَ الْإِمَامُ "هِيَ كَذَلِكَ تَبَدُّأً بِقَلْبٍ ثُمَّ
تَمْتَدُّ فِي الْبَيْتِ ثُمَّ تُثْمِرُ فِي الْحَيَاةِ".

وَفِي لَيْلَةٍ نَزَلَ فِيهَا وَجَلٌّ عَلَى قَلْبِ الْبَيْتِ لِحَبْرِ مُقْلِقٍ كَادَ يُفْسِدُ الْمَسَاءَ
قَالَ الْإِمَامُ "نَرْجِعْ إِلَى مِيزَانِنَا فَنُطْفِئِ الْأَدْوَاتِ وَنَذْكُرُ اللَّهَ وَنَقْرَأَ مَا تيسَّرَ وَنَسْتَفْسِرُ
بِرَفْقٍ فَإِنْ تَبَيَّنَ الْخَيْرُ حَمَدْنَا وَإِنْ خَفِيَ الْأَمْرُ أَمْسَكْنَا" ثُمَّ قَالَ "فِي الْمِيزَانِ
«مَقْصِدٌ» يَحْرُسُ وَ«وَقْتُ» يُقَدَّرُ وَ«عَدْلٌ» يَمْنَعُ الظُّلْمَ وَ«رَحْمَةٌ» تُطَيِّبُ الْقَوْلَ".
وَهَكَذَا عَادَ الْهُدُوءُ بَعْدَ قَلْقٍ وَبَقِيَتْ «زَاوِيَةُ السَّكِينَةِ» حَارِسَةً لِلْمَسَاءِ.

فِي خِتَامِ الشَّهْرِ جَمَعُوا الْأُورَاقَ وَقَارَنُوا مَا كَانَ وَمَا صَارَ فَوَجَدُوا التَّوَمَّ
أَسْلَمَ وَالصُّبْحَ أَنْشَطَ وَالْوُجُوهَ أَرْوَقَ وَالْحَوَارِ أَرْقَقَ فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذِهِ ثِمَارُ «مِيزَانِ
السَّكِينَةِ» وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا جَمَعَ بَيْنَ الْقُلُوبِ عَلَى السَّكِينَةِ جَعَلَ لَهَا فِي النَّهَارِ قُوَّةً
وَفِي اللَّيْلِ رَاحَةً". ثُمَّ قَرَأَ الدُّعَاءَ الْكَرِيمَ

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ (الْفِرْقَانُ 74)

وَاتَّبَعَهُ بِتَذْكِيرِ الْغَايَةِ

﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ (الرُّومُ 21)

ثُمَّ قَالَ "وَنُثِبَتْ الْعَهْدُ فَجَعَلُ الزَّايَةِ مِنْ ثَوَابِ الْبَيْتِ وَنُعِلَ الزُّوَارُ
حُرْمَتَهَا وَنُحِبُّ أَلَّا نُخَالَفَهَا لشيءٍ إِلَّا لِعُذْرٍ بَيْنٍ".

وَقَالَ "سَتَمْتَدُّ هَذِهِ السَّكِينَةُ إِلَى الْأَدَوَاتِ إِذَا اسْتُعْمِلَتْ فَيَكُونُ
الِاسْتِعْمَالُ بَعْدَ السُّكُونِ لَا قَبْلَهُ وَتَكُونُ الصُّورَةُ بَعْدَ السِّتْرِ لَا قَبْلَهُ وَيَكُونُ الْكَلَامُ
بَعْدَ الرَّقِ لَا قَبْلَهُ". وَهُنَا تَحَرَّكَتِ الْقُلُوبُ عَلَى إِجْمَالٍ جَمِيلٍ لِلطَّرِيقِ فَقَالُوا
جَمِيعًا "نُقِيمُ مِيزَانَ السَّكِينَةِ قَبْلَ كُلِّ اسْتِعْمَالٍ وَنَحْفَظُ مِيزَانَ الْمَقْصَدِ فِي كُلِّ
قَرَارٍ وَنُرَاعِي مِيزَانَ الْوَقْتِ فِي كُلِّ مَسَاءٍ وَنُعَزِّزُ مِيزَانَ الْعَدْلِ فِي كُلِّ حَاجَةٍ وَنُظِلُّ
هَذَا كُلَّهُ بِمِيزَانِ الرَّحْمَةِ".

وَلَمَّا قَامُوا عَنِ الْمَجْلِسِ كَانَتْ «زَاوِيَةُ السَّكِينَةِ» تُشَبِّهُ نُقْطَةَ صَوءٍ تَتَسَّعُ

فِي الْبَيْتِ وَيُظْهَرُ أَثَرُهَا فِي الثِّيَابِ الْمُرْتَبَةِ وَالْأَخْذِيَةِ الْمَوْضُوعَةِ فِي الْمَكَانِ الْمَعْلُومِ وَفِي الْكَلِمَةِ الَّتِي تُقَالُ فَلَا تُؤْذِي وَفِي النَّظَرَةِ الَّتِي تَرْفَعُ الرَّأْسَ فَلَا تَسْتَفْزُ وَفِي الْبَابِ الَّذِي يُغْلَقُ لِيَحْفَظَ النَّوْمَ وَفِي الصُّبْحِ الَّذِي يُفْتَحُ عَلَى قُرَّةِ عَيْنٍ.

ثُمَّ عَادُوا فِي لَيْلَةٍ جُمُعَةٍ فَجَلَسُوا فِي الزَّوَايَةِ وَقَرَأُوا مَا تَيَسَّرَ وَتَذَكَّرُوا مَا مَضَى مِنْ أُسْبُوعٍ وَكَانَ الْإِمَامُ يَقُولُ لَهُمْ "اسْتَمِرُّوا فَالْعَادَةُ تَصِيرُ طَبْعًا وَالطَّبْعُ يَصِيرُ خُلُقًا وَالْخُلُقُ يُنْبِتُ سَعَادَةً" وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ "الْمُؤْمِنُ أَلْفُ مَالُوفٍ" (حَدِيثٌ) لِيَقِيمَ أَنَّ السَّكِينَةَ تَصْنَعُ أُلْفَةً وَتَبْنِي قُرْبًا. ثُمَّ خَتَمُوا بِدُعَاءٍ يَجْمَعُ الرِّجَاءَ وَالشُّكْرَ "اللَّهُمَّ اجْعَلْ بُيُوتَنَا سَكِينَةً وَقُلُوبَنَا قُرَّةَ عَيْنٍ وَأَسْرَارَنَا صِدْقًا وَالسَّتِنَتَنَا رِفْقًا وَعَافِيَتَنَا دَائِمَةً وَأَعِنَّا عَلَى حِفْظِ الزَّمَنِ وَإِقَامَةِ الْمَقْصِدِ وَتَرْبِيَةِ الْعَدْلِ وَإِظْلَالِ الرَّحْمَةِ".

وَسَارَتْ الْأَيَّامُ بَعْدَ ذَلِكَ وَكَانَ كُلَّمَا ضَعُفَتْ النُّفُوسُ رَجَعُوا إِلَى الزَّوَايَةِ وَقَرَعُوا الْأَيَّتَيْنِ وَتَذَكَّرُوا مِيزَانَهُمْ وَنَظَرُوا فِي دَفْتَرِ «سِتِّينَ دَقِيقَةً بِلَا هَاتِفٍ» فَإِذَا رَأَوْا الْإِلْتِزَامَ ثَبَّتُوا وَإِذَا رَأَوْا نُفُوصًا عَالَجُوا بِرَفْقٍ وَكَانَ الثَّمَرُ يَتَزَايَدُ. وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانُوا يُرَدِّدُونَ فِي النَّهَائِيَةِ مِثْلَ شِعَارٍ يَجْمَعُ الطَّرِيقَ "السَّكِينَةُ قَبْلَ الْإِسْتِعْمَالِ وَالْمَقْصِدُ قَبْلَ الْحَرَكَةِ وَالزَّمَنُ قَبْلَ الْكَثْرَةِ وَالْعَدْلُ قَبْلَ التَّفَاوُتِ وَالرَّحْمَةُ فَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ".

هَكَذَا قَامَ «مِيزَانُ السَّكِينَةِ» فِي بَيْتٍ وَأَثْمَرَ فِي نَفْسٍ وَتَسَلَّسَلَ إِلَى مَجَالٍ أُخْرَى يَحْفَظُهَا الْقَصْدُ وَيُنَظِّمُهَا الزَّمَنُ وَيُقِيمُهَا الْعَدْلُ وَيُحَلِّيهَا الرَّحْمَةُ وَظَلَّتِ الْأَيَّتَانِ عَلَى رَأْسِ الزَّوَايَةِ كَانَهُمَا عِلْمَانِ يَدْلَانِ عَلَى الطَّرِيقِ

﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ (الرُّومُ 21)

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ (الْفُرْقَانُ 74)

وَكُلَّمَا أَذَّنَ الْمُعْرِبُ هَمَسَ الْبَيْتُ بِلِسَانٍ وَاحِدٍ "حَانَتْ السَّكِينَةُ"
فَخَفَّتِ الْأَصْوَاتُ وَتَرْتَبَّتِ الْأَنْفَاسُ وَأَنْسَابُ الْمَسَاءِ كَجَدُولٍ نَقِيٍّ يَسْقِي زَرْعَ
الْقُلُوبِ.

الدَّرْسُ الثَّانِي: خَرَائِطُ التَّعَارُفِ

تَهَابَطَتْ سَكِينَةُ الْعَشِيِّ عَلَى رِوَاقِ الْمَسْجِدِ فَهَدَّاتِ الْخُطَى وَأَنْسَدَلَ
الظِّلُّ عَلَى الْأَعْمَدَةِ كَأَنَّهُ لِبَاسٌ رَقِيقٌ يُطَمِّنُ الْقُلُوبَ وَيَدْعُوهَا إِلَى رَفْعٍ وَتَبْيِينٍ
وَبَصِيرَةٍ. جَلَسَ الْإِمَامُ فِي الْوَسْطِ وَحَوْلَهُ فِتْيَةٌ وَفَتَيَاتٌ وَأَبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ وَمُعَلِّمَانِ
يَسْتَمِعُونَ إِلَى كَلِمَةٍ تُقِيمُ مِيزَانًا لِلْعَلَاqَاتِ كَمَا يُقَامُ مِيزَانٌ لِلْكَلِمَاتِ. رَفَعَ الْإِمَامُ
بَصَرَهُ إِلَى الْقُبْلَةِ ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ يَجْمَعُ الطَّمَأْنِينَةَ وَالْحَزَمَ "الْيَوْمَ نَرَسُمُ فِي عُقُولِنَا
وَدَفَاتِرِنَا «خَرَائِطَ التَّعَارُفِ» لِنَعْرِفَ مَنْ حَوْلَنَا عَلَى بَصِيرَةٍ وَنُقِيمَ لِكُلِّ صِلَةٍ
مَقْصِدَهَا وَحَدَّهَا وَأَدَبَهَا فَلَا نَقْطَعُ رَحِمًا وَلَا نُهْمِلُ جَارًا وَلَا نَغْفِلُ مُعَلِّمًا وَلَا
نُسْقِطُ صَاحِبًا." ثُمَّ تَلَا بِتَرْتِيلٍ يُثَبِّتُ الْأُصُولَ فِي الصُّدُورِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الْحُجُرَاتُ 13).

ثُمَّ قَالَ "تُقِيمُ هَذِهِ الْآيَةُ لَنَا «مِيزَانَ الْمَقْصِدِ» فَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ بَابٌ
لِلتَّعَارُفِ لَا لِلتَّفَاخُرِ وَلَا لِلتَّنَائُعِ وَتُثَبِّتُ «مِيزَانَ اللِّسَانِ وَالْمَعْنَى» فَلَا يَصْلُحُ أَنْ
يَكُونَ الْكَلَامُ بَابًا لِقَطْعِ وَإِهَانَةِ وَتُثَبِّتُ «مِيزَانَ الشُّرُوعِ الْأُسْرِيَّةِ» فَتَدَاوُلُ الرَّأْيِ

فِي مَصَالِحِنَا بِرِفْقٍ وَعَدْلٍ."

هَمَسَ «رِيَانُ» وَفِي عَيْنَيْهِ بَرِيقُ سُؤَالٍ يَطْلُبُ سَبِيلًا "كَيْفَ نَرُسِّمُ هَذِهِ
الْخَرَائِطَ وَقَدْ تَتَشَابَكَ الْعَلَاqَاتُ وَتَتَزَاوَرُ الْأَصْوَاتُ وَيَلْتَبِسُ الْقَصْدُ أَحْيَانًا."

فَنَظَرَ الْإِمَامُ إِلَيْهِ نَظْرَةً أَبٍ يَجْمَعُ الرَّفْقَ وَالْحَزَمَ وَقَالَ "نَبْدَأُ بِقَلْبٍ يَهْدَأُ ثُمَّ
نَنْطَلِقُ إِلَى بَيْتٍ يَتَفَقُّ ثُمَّ نَمْتَدُّ إِلَى حَيٍّ يَتَعَاوَنُ. نَرْفَعُ أَمْرَنَا إِلَى اللَّهِ وَنَسْتَحْضِرُ
أَصْلَ التَّوَاصُلِ بِرِفْقٍ وَعَدْلٍ وَنُثَبِّتُ فِي صُدُورِنَا قَوْلَهُ تَعَالَى
﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (الْبَقَرَةُ 83)

فَلَا يَسْتَقِيمُ تَعَارُفٌ دُونَ حُسْنِ الْكَلَامِ وَلَا تَكْتَمِلُ خَرِيطَةٌ دُونَ حُسْنِ
الْقَصْدِ."

قَالَتْ «حِلْمَةٌ» وَفِي صَوْتِهَا حَنَانٌ يَحْمِلُ حِكْمَةً "أَدْعُوا الْأُسْرَةَ إِلَى
اجْتِمَاعٍ فِي الْمَنْزِلِ لِنَرَسِمَ مَعَ الْخَرِيطَةِ وَنُحَدِّدَ سُبُلَ التَّوَاصُلِ وَأَوْقَاتَهُ."

فَقَالَ الْإِمَامُ "نَعَمْ نَفْعَلُ ذَلِكَ وَنُسَمِّي الْمَجْلِسَ «مَجْلِسَ التَّعَارُفِ»
وَنَجْعَلُ لَهُ «مِخْرَجًا رَحِيمًا» يَقُولُ: «نَصِلُ عَلَى قَدْرِ الْوُسْعِ وَلَا نُكَلِّفُ النَّفْسَ إِلَّا
طَاقَتَهَا وَلَا نُؤْذِي بِالْمُكَاتَرَةِ وَلَا نَنْقُصُ بِالْقَطْعِ». ثُمَّ تَلَا وَهُوَ يُثَبِّتُ قَاعِدَةَ
التَّعَاوُنِ

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (الْمَائِدَةُ 2)

وَقَالَ "فِي التَّعَارُفِ تَعَاوُنٌ وَفِي التَّعَاوُنِ بَرَكَةٌ".

انْفَضَّ الْمَجْلِسُ عَنِ الْمَسْجِدِ وَسَارَ الْقَوْمُ عَلَى هَدًى يُشَبِّهُ فِيهِ الْمَسَاءَ إِلَى الْبَيْتِ. وَقَبْلَ أَنْ يَبْدُؤُوا الرَّسْمَ جَمَعَ الْإِمَامُ الْأُسْرَةَ فِي غُرْفَةٍ وَاسِعَةٍ فِيهَا طَاوِلَةٌ وَرَقٌ سَمِيكٌ وَقَلَمٌ وَمِصْبَاحٌ لَيْنٌ. قَالَ وَهُوَ يُدِيرُ النَّظَرَ عَلَى الْحُضُورِ "سَنَعْقِدُ «شُورَى أُسْرِيَّةً» نُقَدِّمُ فِيهَا الْأَدَبَ قَبْلَ الرَّسْمِ وَالْمَقْصِدَ قَبْلَ التَّفْصِيلِ وَنُثَبِّتُ «مِيزَانَ اللِّسَانِ وَالْمَعْنَى» فَلَا نُلْصِقُ تِسْمَةً مُجَحِّفَةً وَلَا نُطْلِقُ كَلِمَةً جَارِحَةً وَنُثَبِّتُ «مِيزَانَ الْمَقْصِدِ» فنَقُولُ: «نَتَعَارَفُ لِنَتَرَاحَمَ وَلَا نَتَعَارَفُ لِنَتَنَافَرَ». ثُمَّ قَرَأَ يُذَكِّرُ بِحُرْمَةِ الْجَارِ وَبِرِّهِ "«مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ»" (حَدِيثٌ) فَسَكَنْتِ الْقُلُوبُ عَلَى قَصْدٍ وَتَهَيَّأَتْ لِلرَّسْمِ.

أَمْسَكَ «رِيَانُ» الْقَلَمَ وَجَرَ خَطًّا دَائِرِيًّا فِي الْوَسْطِ ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَتَبَسَّمُ "هَذِهِ دَائِرَةُ الْبَيْتِ الصَّغِيرِ نَكْتُبُ فِيهَا الْأَبَ وَالْأُمَّ وَالْأَبْنََاءَ". ثُمَّ جَرَ دَائِرَةً أُخْرَى أَوْسَعَ وَقَالَ "وَهَذِهِ دَائِرَةُ الرَّحِمِ نَذْكُرُ فِيهَا الْأَجْدَادَ وَالْجَدَّاتِ وَالْأَعْمَامَ وَالْعَمَّاتِ وَالْأَخْوَالَ وَالْخَالَاتِ وَأَبْنَائَهُمْ وَبَنَاتَهُمْ". ثُمَّ زَادَ دَائِرَةً ثَالِثَةً تَحِيطُ بِهِمْ وَقَالَ "وَهَذِهِ دَائِرَةُ الْجَوَارِ نَكْتُبُ فِيهَا مَنْ يَسْكُنُ قُرْبَنَا فِي الْبَنَائَاتِ الْمُتَّصِلَةِ وَنُثَبِّتُ مَعَهُمْ أَصْحَابَ الْمَتَاجِرِ الصُّغَارِ وَحَارِسَ الْحَيِّ وَكَبِيرَ السِّنِّ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى سُؤَالٍ وَرَفَقٍ". ثُمَّ رَسَمَ خَطًّا يُشَبِّهُ جِسْرًا وَقَالَ "وَهَذَا مَسْلُكٌ إِلَى الْمَدْرَسَةِ نَكْتُبُ

فِيهِ الْمُعَلِّمِينَ وَالْمُرْشِدَ وَزُمَلَاءَ الصَّفِّ وَالْأَصْدِقَاءَ الْمُقَرَّبِينَ.

قَالَتْ «رَابِيَةُ» وَهِيَ تُدْفِقُ فِي الْأَسْمَاءِ "نُسَمِّي كُلَّ صِلَةٍ بِالْإِسْمِ الَّذِي يُكْرِمُهَا وَلَا نُدْخِلُ لَقَبًا يُؤْذِي."

فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا مِنْ «مِيزَانِ اللَّسَانِ وَالْمَعْنَى» فَإِنَّ الْأَلْفَاظَ مَطَالِعُ الْمَعَانِي فَإِذَا تَهَدَّيْتُ سَهْلَ التَّعَارُفِ وَإِذَا فَحُشْتُ تَعَسَّرَ الْإِلْتِقَاءُ وَتَبَاعَدَتْ الْقُلُوبُ." ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُشَبِّتُ أَدَبَ الْخُطَابِ "لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ" (حَدِيثٌ) فَتُصْلِحُ أَلْسِنَتَنَا لِتَسْلَمَ قُلُوبُنَا وَنُكْرِمَ مَنْ حَوْلَنَا."

تَقَدَّمَ «صَفْوَانُ» وَقَالَ وَفِي صَوْتِهِ عَزْمٌ حَارِسٌ لِلْبَيْتِ "نُشِبْتُ فِي رَأْسِ الصَّحِيفَةِ «خَطًّا رَحِيمًا» نَرْبِطُ بِهِ دَائِرَةَ الرَّحِمِ وَدَائِرَةَ الْمَدْرَسَةِ فَنَجْعَلُ لِكُلِّ شَهْرِ زِيَارَةً خَفِيفَةً لِكَبِيرٍ مِنْ أَهْلِنَا وَسُؤَالَ مُنْتَظِمًا عَنْ جَارٍ وَمُكَالَمَةً مُؤَدَّبَةً مَعَ مُعَلِّمٍ الصَّفِّ فِي زَمَنِ مَعْلُومٍ."

فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ فَقَدْ قَالَ (ص) «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ» (حَدِيثٌ) وَقَالَ «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» (حَدِيثٌ) "فَالْخَطُّ الرَّحِيمُ يَرْبِطُ الدَّوَائِرَ بِرَفْقٍ وَيَجْعَلُ التَّعَارُفَ قُرْبَةً."

رَفَعَتْ «حِلْمَةً» دَفْتَرًا صَغِيرًا وَقَالَتْ "نُسَمِّي هَذَا الدَّفْتَرَ «بِطَاقَةِ التَّعَارُفِ»
نُشِبْتُ فِيهِ الْأَسْمَاءَ وَأَوَقَاتِ التَّوَاصُلِ وَنُحَدِّثُهُ فِي آخِرِ كُلِّ شَهْرٍ لِنَرَى مَنْ قَرُبَ
وَمَنْ بَعُدَ وَمَنْ يَحْتَاجُ إِلَى زِيَادَةِ رَفْقٍ". فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا مِنْ «مِيزَانِ الشُّورَى
الْأُسْرِيَّةِ» فَتَدَاوَلُ النَّظَرُ فِي مَصَالِحِنَا وَنَتَفَقُّ عَلَى الْخُطَّةِ ثُمَّ نَرْجِعُ بَعْدَ شَهْرٍ لِنَقُومَ
وَنُصْلِحَ وَنَزِيدَ الْخَيْرَ خَيْرًا".

ابْتَدَأُوا الْعَمَلَ. رَسَمُوا عِنْدَ الطَّرَفِ الْأَيْسَرِ «مَسْلَكًا» لِأَهْلِ الرَّحِمِ وَكُتِبَتْ
أَمَامَ كُلِّ أَسْمٍ جُمْلَةٌ صَغِيرَةٌ تَهْدِي إِلَى سَبِيلِ الْوَصْلِ. قَالَتْ «رَابِيعَةٌ» وَهِيَ تَكْتُبُ
"تَزُورُ الْجَدَّةَ كُلُّ أُسْبُوعَيْنِ زِيَارَةً بَرَّ خَفِيفَةٍ مَعَ هَدِيَّةٍ يَسِيرَةٍ وَتَسْأَلُهَا عَنْ صِحَّتِهَا
وَتَسْتَمِعُ إِلَى خَبَرِهَا".

فَقَالَ الْإِمَامُ "أَلْبِرْ مَعَ الْكِبَارِ يُثَبِّتُ الْقُلُوبَ عَلَى الرِّقَّةِ وَيُهْدِئُ الْأَلْسِنَةَ
عَلَى الْأَدَبِ". ثُمَّ كَتَبُوا عِنْدَ الطَّرَفِ الْأَيْمَنِ «سَبِيلَ الْجَوَارِ» وَثَبَّتُوا فِيهِ "سُؤَالَ
مُنْتَظِمًا عَنْ حَالِ الْجَارِ الْمُسِنَّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي الشَّهْرِ وَعَوْنًا يَسِيرًا فِي شُؤُونِ
يَطِيقُهَا الصَّغَارُ" فَقَالَ الْإِمَامُ "تَبَشُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ" (حَدِيثٌ) "فَلَا
نَسْتَصْغِرُ بَابَ الْبِشْرِ وَحُسْنِ الْقَوْلِ فَهُمَا يُجَمِّلَانِ التَّعَارُفَ وَيَفْتَحَانِ لَهُ أَبْوَابًا".

ثُمَّ مَضَوْا إِلَى «سَبِيلِ الْمَدْرَسَةِ». قَالَ «أَبُو حَاتِمٍ» وَفِي صَوْتِهِ بَيَانُ خَبِيرٍ
"نُشِبْتُ الْإِلْتِصَالَ بِمُعَلِّمِ الصَّفِّ فِي «زَمَنِ مَعْلُومٍ» لَا يُزَاحِمُهُ وَنَجْعَلُ سُؤَالَنا
«مُحَدَّدًا» وَ«مُؤَدَّبًا» فَلَا نُطِيلُ فِي غَيْرِ فَائِدَةٍ وَلَا نَدْخُلُ الْخُصُوصِيَّاتِ فِيمَا لَا

يَلِيقُ". فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا مِنْ «مِيزَانِ اللِّسَانِ وَالْمَعْنَى» فَخَتَارُ الْأَلْفَاظِ وَأَبْيَنُهَا وَنَجَعُ سُؤَالِنَا مُحْكَمًا وَرَدَّنَا رَفِيقًا". ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الْإِسْرَاءُ 53)

وَقَالَ "هَذِهِ قَاعِدَةٌ تُدِيرُ الْخِطَابَ مَعَ الْمُعَلِّمِ وَمَعَ الزَّمِيلِ وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ".

تَحَرَّكَ الصَّغَارُ فِي غُرْفَةِ الرَّسْمِ كَأَنَّهُمْ يَبْنُونَ جِسُورًا صَغِيرَةً. قَالَ أَصْغَرُهُمْ وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى أَلْجِهَةِ الْقُصُوصِ "أَيُّنَ نَضَعُ صَاحِبِي الَّذِي أَلْعَبُ مَعَهُ فِي الْمَسْجِدِ بَعْدَ الصَّلَاةِ".

فَقَالَ الْإِمَامُ "أَضَعُهُ فِي دَائِرَةِ «الصُّحْبَةِ الْمُقَرَّبَةِ» وَاجْعَلْ مَعَهُ «شَرْطَ الْخُلُقِ» فَالصَّاحِبُ مَنْ صَدَقَكَ وَسَتَرَكَ وَأَعَانَكَ عَلَى الْخَيْرِ وَكَفَلَكَ عَنِ السُّوءِ" ثُمَّ تَلَا التَّنْبِيهَ الزَّاجِرَ مِنْ حِكْمَةِ الْقُرْآنِ

﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (الْفُرْقَانُ 28)

لِيُثْبِتَ أَنَّ «مِيزَانَ الصُّحْبَةِ» بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ التَّعَارُفِ يَحْتَاجُ إِلَى بَصِيرَةٍ.

ثُمَّ قَالَ "نَعْقِدُ الْآنَ «مَشْهَدًا عَمَلِيًّا» فِي الْبَيْتِ". فَنَادَى "يَا أَبْنَائِي وَيَا بَنَاتِي نَجْتَمِعُ بَعْدَ الْمَغْرَبِ فِي غُرْفَةِ الْجُلُوسِ لِنُثَبِّتَ «حُطَّ اتِّصَالٍ رَحِيمًا» مَعَ

ذَوِي الْقُرْبَى وَمَعَ مُعَلِّمِي الصَّفِّ وَتَتَفَقَّ عَلَى زَمَنِ وَأَدَبٍ وَطَرِيقَةٍ. " فَاجْتَمَعُوا وَفِي
الْغُرْفَةِ طِيبُ الْمِسْكِ وَصَوْتُ مَاءٍ يَسِيرُ يَهْدِي الْأَنْفَاسَ.

قَالَ الْإِمَامُ "نَجْعَلُ لِكُلِّ جِهَةٍ «وَكِيلاً» مِنْ أَفْرَادِ الْبَيْتِ يَتَوَلَّى التَّوَاصُلَ
بِأَدَبٍ ثُمَّ يُخْبِرُ الْأُسْرَةَ بِمَا يَلِيقُ مِنْ خَيْرٍ" ثُمَّ قَالَ "نُثَبِّتُ «أَصُولاً ثَلَاثَةً» لِلْكَلامِ:
«الرَّفْقُ وَالْإِيجَازُ وَالْحِفْظُ لِلْخُصُوصِيَّةِ». " وَذَكَرَ بِحَدِيثٍ يُقِيمُ حُرْمَةَ اللِّسَانِ "مَنْ
كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ" (حَدِيثٌ).

تَحَدَّثُوا بِرَفْقٍ. قَالَتْ «رَابِيعَةُ» "أَتَوَلَّى الْإِتِّصَالَ بِجَارَتِنَا الْمُسْنَةِ فِي الطَّابِقِ
الْأَعْلَى وَأَزُورُهَا مَعَ أُخْتِي مَرَّةً فِي كُلِّ أُسْبُوعَيْنِ وَأَسْأَلُهَا عَنْ حَاجَتِهَا."

فَقَالَ الْإِمَامُ "بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ فَهَذَا مِنْ صِلَةِ الْبَرِّ وَحِفْظِ الْجَوَارِ." وَقَالَ
«رِيَانُ» "أَتَوَلَّى التَّوَاصُلَ مَعَ مُعَلِّمِ الصَّفِّ فِي زَمَنِ مَعْلُومٍ أَخْبِرُهُ بِتَقْدُمِي وَأَسْتَفْسِرُ
عَمَّا أَشْكَلُ عَلَيَّ" فَقَالَ الْإِمَامُ "الْحَدَاثَةُ فِي الْخَبَرِ وَحُسْنُ الْأَدَبِ فِي السُّؤَالِ
يُثْمِرَانِ فَهَمَّا وَثَقَةً." ثُمَّ قَالَ "نُثَبِّتُ فِي «بِطَاقَةِ التَّعَارُفِ» الْأَسْمَاءَ وَالزَّمَنَ
وَنُرَاجِعُهَا كُلَّ شَهْرٍ فَنَزِيدُ وَنُنَقِّحُ وَنُصْلِحُ."

جَرَى الْعَمَلُ عَلَى هَذَا النَّسْقِ أَيَّامًا. كَانَ الْبَيْتُ يَزْدَهِي بِزِيَارَةِ رَحِمِ
وَسُؤَالِ جَارٍ وَمُكَالَمَةِ مُعَلِّمٍ مُحْسُوبَةٍ وَكُلَّمَا انْفَتَحَ بَابٌ مِنْ خَيْرٍ زَادُوا خَطَأً رَقِيقًا
فِي الْخَرِيطَةِ كَأَنَّهُ جِسْرٌ جَدِيدٌ عَلَى نَهْرِ الرَّحْمَةِ. وَإِذَا عَرَضَتْ مُشْكِلَةٌ رَفَعُوهَا

إِلَى «شُورَى أَلْبَيْتِ» فَتَكَلَّمُوا بِالْأَدَبِ وَتَبَادَلُوا النَّظَرَ وَاحْتَرَمُوا «مِيزَانَ اللِّسَانِ» فَلَا مُقَاطَعَةَ وَلَا سُخْرِيَّةَ وَذَكَّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى

﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ (الْحُجُرَاتُ 11)

وَتَذَكَّرُوا أَنْيَضًا

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الْحُجُرَاتُ 10)

لِيُنْثَبِتُوا مَقَاصِدَ الْأُلُفَةِ.

وَقَعَتْ حَادِثَةٌ تُخْتَبِرُ بِهَا الْخَرِيطَةُ. وَرَدَ خَبَرٌ مَعَ الْمَسَاءِ يُشِيرُ إِلَى ضَيْقٍ أَصَابَ أَحَدَ أَبْنَاءِ الْعَائِلَةِ الْبَعِيدَةِ. فَقَالَ الْإِمَامُ "نَرْفَعُ الْأَمْرَ إِلَى «سَبِيلِ الرَّحْمِ» وَنَبْدَأُ بِالتَّثَبُّتِ ثُمَّ نَقْدِرُ الْمَقْصِدَ وَنَخْتَارُ أَرْفَقَ طَرِيقٍ" ثُمَّ قَرَأَ

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ (الْحُجُرَاتُ 6)

وَقَالَ "نَسْتَعِينُ بِاللَّهِ ثُمَّ نَتَّصِلُ فِي زَمَنِ مُنَاسِبٍ وَبِلِسَانٍ لَيِّنٍ وَنَعْرِضُ الْأَعْوَنَ بِحَسَبِ الطَّاقَةِ". فَفَعَلُوا وَانْفَتَحَ بَابُ خَيْرٍ وَسَكَنَ قَلْبُ الْمُتَبَتِّلِي وَرَجَعَ أَلْبَيْتٌ وَفِي النُّفُوسِ شُكْرٌ.

ثُمَّ جَاءَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فَجَمَعُوا «بِطَاقَةَ التَّعَارُفِ» وَقَرَأُوا مَا فِيهَا. قَالَ «صَفْوَانُ» وَهُوَ يُقَلِّبُ الْأَصْفَحَاتِ "قَدْ زِدْنَا جِسْرًا إِلَى الْجَارِ الْبَعِيدِ وَاتَّعَمْنَا سُؤْلًا

عَنْ مُعَلِّمٍ جَدِيدٍ وَثَبَّتْنَا زِيَارَةً لِلْعَمِّ الْكَبِيرِ.

فَقَالَ الْإِمَامُ "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُثَبِّتُ الْخَيْرَ فِي الْقُلُوبِ." ثُمَّ قَالَ "نُجَدِّدُ
الْعَهْدَ لَشَهْرِ آخِرٍ وَنُثَبِّتُ فِي صَدْرِ الدَّفْتَرِ قَوْلَهُ تَعَالَى

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
لِتَعَارَفُوا﴾ (الْحُجُرَاتُ 13)

لِيَتَقَى الْمِيزَانُ أَمَامَ الْعُيُونِ." وَقَالَ "نَزِيدُ مَعَهُ قَوْلًا يَسِيرًا مِنَ السُّنَّةِ يُذَكِّرُ
بِأَدَبِ الطَّرِيقِ «مَنْ لَا يَرْحَمَ لَا يُرْحَمُ»" (حَدِيثٌ).

فِي الْأُسْبُوعِ الَّذِي تَلَاهُ عَرَضَ الْبَيْتُ مِحْنَةً صَغِيرَةً فِي التَّخَاطُبِ مَعَ
زَمِيلٍ فِي الصَّفِّ. تَسَابَقَ الْكَلَامُ وَكَادَ يَخْرُجُ عَنِ الْحُدُودِ. فَنَادَى الْإِمَامُ "نَرْجِعُ
إِلَى «مِيزَانِ اللَّسَانِ وَالْمَعْنَى» فَنَقُولُ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وَنَكْفُتُ عَنِ التَّعْرِيزِ وَنَبْدَأُ
بِالسَّلَامِ وَنَسْتَحْضِرُ قَوْلَهُ تَعَالَى

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (الْبَقَرَةُ 83).

ثُمَّ قَالَ "وَنُثَبِّتُ فِي الْخَرِيطَةِ «جِسْرَ الْإِصْلَاحِ» فَإِذَا اضْطَرَبَ الْكَلَامُ
مَشِينًا عَلَيْهِ بَرْقٍ حَتَّى يَعُودَ الْهَدُوءُ." فَسَكَنَتِ النُّفُوسُ وَعَادَ الْحَوَارِيُّ إِلَى الْأَدَبِ.

وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّهْرِ الثَّانِي جَلَسُوا مَرَّةً أُخْرَى حَوْلَ الصَّحِيفَةِ. رَاجِعُوا

الْأَسْمَاءَ وَنَقَحُوا الْخُطُوطَ وَأَضَافُوا فِي «بِطَاقَةِ التَّعَارُفِ» رُكْنًا جَدِيدًا يُسَمَّى «مَنْ تَقَدَّمَ نَحْوُهُ وَمَنْ تَقَدَّمَ نَحُونَا» لِيُثَبِّتُوا أَنَّ التَّعَارُفَ سَبِيلٌ ذَاتُ طَرَفَيْنِ. ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ "نُثَبِّتُ أَيْضًا «مِيزَانَ الْمَقْصِدِ» فِي رَأْسِ الْوَرَقَةِ بِجُمْلَةٍ مُحْكَمَةٍ تَقُولُ: «نَتَعَارَفُ لِنَزْدَادَ تَقَى وَنُصُولَ إِلَى الْعَدْلِ وَنَحْفَظَ لِسَانَنَا وَنُرَبِّي قُلُوبَنَا» ثُمَّ قَرَأَ

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الْحُجُرَاتُ 13).

مَعَ تَكَثُّرِ الْخُطُوطِ وَاسْتِقَامَةِ الْمَقَاصِدِ بَدَأَ أَثَرُ الْخَرِيطَةِ يَظْهَرُ فِي الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ. صَارَ السَّلَامُ أَسْبَقَ وَصَارَ الْإِسْتِئْذَانُ أَوْكَدَ وَصَارَ الدُّعَاءُ لِلْغَائِبِ حَاضِرًا فِي الْمَجْلِسِ. وَإِذَا لَقِيَ الْبَيْتُ مُعَلِّمًا فِي الطَّرِيقِ قِيلَ لَهُ "جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا عَلَى التَّعْلِيمِ" وَإِذَا رَأَوْا جَارًا مُتَعَبًا سَاعَدُوهُ بِلَفْتَةٍ. وَكَانَ الْإِمَامُ يَذْكُرُهُمْ مِنْ حِينٍ "«مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ»" (حَدِيثٌ) لِيَقُومَ «مِيزَانُ الْمَعْنَى» عَلَى الْإِعْتِرَافِ بِالْفَضْلِ.

وَفِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الشِّتَاءِ هَبَّ رِيحٌ بَارِدٌ وَانْقَطَعَ النُّورُ قَلِيلًا فَاجْتَمَعُوا عَلَى الشَّمْعَةِ وَعَلَى الرَّسْمِ الْقَدِيمِ. قَالَ الْإِمَامُ "الآنَ نَقْرَأُ فِي الْخَرِيطَةِ «مَوَاقِعَ الضَّعْفِ» فَتُثَبِّتُ مَا يُصْلِحُهَا" فَقَالَتْ «حِلْمَةٌ» "نَقَصَ سُؤْلُنَا عَنْ جَارَةٍ فِي الطَّابِقِ الْأَسْفَلِ فَنَزِيدُهُ" وَقَالَ «رِيَانٌ» "قَصُرَتْ زِيَارَتُنَا لِأَلَعَمَّ الْبَعِيدِ فَتُثَبِّتُ لَهُ زَمَنًا" فَقَالَ الْإِمَامُ "هَكَذَا تَكْبِيرُ الْخَرِيطَةِ وَتَنْضَجُ بَعْدَ التَّقْوِيمِ".

ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَحْضِرُ سِرَّ التَّعَارُفِ "الْقَلْبُ يَعْرِفُ وَاللِّسَانُ يُبَيِّنُ وَالْعَمَلُ يُصَدِّقُ" ثُمَّ قَرَأَ

﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الْأَحْزَابُ 70)

وَقَالَ "الْقَوْلُ السَّدِيدُ جِسْرٌ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ أَصْلًا لِلصَّلَاةِ الصَّالِحَةِ".

افْتَرَبَ نِصْفُ الْعَامِ فَدَعَا الْإِمَامُ إِلَى «يَوْمٍ لِلْحَصَادِ الْخَفِيِّ» يَنْظُرُونَ فِيهِ إِلَى ثَمَرَةِ الْخَرِيطَةِ فِي الْقُلُوبِ وَفِي الْحَيَاةِ. جَاءُوا بِقُلُوبٍ مُبْتَهَجَةٍ وَكِتَابٍ صَغِيرٍ فِيهِ «بِطَاقَاتُ التَّعَارُفِ» لِأَشْهُرٍ مَضَتْ. قَالَ «صَفْوَانُ» "نَرَى أَنَّ صَلَاةَ الرَّحِمِ قَدْ أَنْتَضَمَتْ وَأَنَّ الْحِوَارَ قَدْ تَحَسَّنَ وَأَنَّ الْخِطَابَ مَعَ الْمُعَلِّمِ قَدْ اسْتَقَامَ" فَقَالَ الْإِمَامُ "الْحَمْدُ لِلَّهِ" وَقَرَأَ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الْحُجُرَاتُ 13)

ثُمَّ قَالَ "نَمْضِي فِي الطَّرِيقِ وَنَزِيدُهُ حُسْنًا وَتَشْيِيتًا".

وَعِنْدَمَا خَتَمُوا ذَلِكَ الْمَجْلِسَ رَفَعَ الْإِمَامُ كَفَّهُ وَقَالَ دُعَاءَ يَجْمَعُ الرَّحْمَةَ وَالْعَدْلَ وَالْقَصْدَ "اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَرَائِطَنَا سُبُلًا لِلرَّحْمَةِ وَلَا تَجْعَلْهَا أَسْبَابًا لِلْمُنِّ وَالْفَخْرِ وَافْتَحْ لَنَا أَبْوَابَ الْبِرِّ مَعَ الرَّحِمِ وَالْجَارِ وَالْمُعَلِّمِ وَأَصْرِفْ عَنَّا الزَّلَلَ فِي

اللِّسَانِ وَالْقَلْبِ وَالْعَمَلِ وَأَجْعَلْنَا مِمَّنْ قَالَ فَسَدَّدَ وَتَعَارَفَ فَتَرَا حَمَّ. " ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُنَبِّتُ الْخُطَّةَ "نَحَافِظُ عَلَى «بِطَاقَةِ التَّعَارُفِ» وَنُحَدِّثُهَا شَهْرِيًّا وَنُقِيمُ لَهَا مَجْلِسًا قَبْلَ الْمَغْرِبِ يَوْمَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ فَنَقْرَأُ وَنَزِيدُ وَنُصَلِّحُ."

خَرَجُوا إِلَى الْمَسْجِدِ لَصَلَاةِ الْعِشَاءِ وَفِي الصُّدُورِ خَطٌّ يَتَمَدَّدُ مِنَ الْقَلْبِ إِلَى الْقَلْبِ وَفِي الْأَيْدِي صَحِيفَةٌ تُشَبِّهُ خَرِيطَةً لَا تَنْقُضِي. وَإِذَا مَرُّوا بِالنَّاسِ قَالُوا لَهُمْ "سَلَامًا" وَإِذَا لَقُوا جَارًا أَطْرَقُوا لَهُ بِالْبِشْرِ وَإِذَا سَمِعُوا خَبْرًا ذَكَرُوا «مِيزَانَ اللِّسَانِ» وَ«مِيزَانَ الْمَقْصِدِ» وَ«مِيزَانَ الشُّورَى» فَلَا يَجُورُونَ وَلَا يَهْمَزُونَ وَلَا يُسْرِفُونَ فِي الدَّعْوَى. وَكَانُوا كُلَّمَا فَتَحُوا دَفْتَرَهُمْ رَأَوْا فِي صَدْرِهِ نُورَ آيَةٍ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الْحُجُرَاتُ 13)

فَتَهَادَتِ الْقُلُوبُ عَلَى مَعْنَى أَنَّ الْخَيْرَ يَكْثُرُ بِالتَّعَارُفِ وَأَنَّ التَّعَارُفَ يَسْمُو بِالتَّقْوَى وَأَنَّ التَّقْوَى تُصْلِحُ اللِّسَانَ وَالْمَقْصِدَ وَالصَّحَابَ.

وَمَضَتْ الْأَيَّامُ بَعْدَ ذَلِكَ وَالْبَيْتُ يَزْدَادُ سَعَةً وَجِلْمًا وَصِلَةً. فَإِذَا ذَكَرُوا خَرِيطَتَهُمْ ذَكَرُوا مَعَهَا دُعَاءً يُنَبِّتُ الطَّرِيقَ "اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الْأَقْوَالِ وَأَحْسَنِ الْأَعْمَالِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ" (حَدِيثٌ) ثُمَّ يَمْضُونَ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ يَرُسُّونَ كُلَّ شَهْرٍ خَطًّا جَدِيدًا وَيَمْحُونَ خَطًّا قَدْ ضَعُفَ وَيَقِفُونَ عِنْدَ «بِطَاقَةِ

التَّعَارُفِ» يُحْدِثُونَهَا عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ حَتَّى يَبْقَى الْقَلْبُ مُتَّصِلًا وَاللِّسَانُ مُهَذَّبًا
وَالْمَقْصِدُ مُسْتَقِيمًا وَالشُّرَى مُتَجَدِّدَةً.

هُنَالِكَ يُثْمَرُ التَّعَارُفُ «طُمَأْنِينَةً» فِي الْبَيْتِ وَ«كَرَامَةً» فِي الْحَيِّ وَ«حُسْنَ
خُلُقٍ» فِي الْمَدْرَسَةِ وَ«نَفْعًا مُتَعَادِلًا» فِي كُلِّ مَجَالٍ حَتَّى يُقَالَ فِي حَقِّهِمْ: "قَوْمٌ
جَمَعُوا التَّعَارُفَ وَالتَّقْوَى فَرَزَانَتُهُمُ الْأُلْفَةُ وَحَفِظَهُمُ الْعَدْلُ."

الدَّرْسُ الثَّلَاثُ: خَرَائِطُ الْعُمَرَانِ

تَهَابَطَتْ سَكِينَةُ الْمَغْرِبِ عَلَى رِوَاقِ الْمَسْجِدِ فَسَكَنَتْ الْأَصْوَاتُ
وَأَنَسَدَلِ الظُّلُّ عَلَى الْأَعْمَدَةِ، وَجَلَسَ الْإِمَامُ فِي الْوَسْطِ كَمَنْ يَفْتَحُ نَافِذَةً عَلَى
نَهْرِ هَادِيٍّ، وَتَحَلَّقَتْ الْأُسْرَةُ حَوْلَهُ: أَبٌ وَأُمٌّ وَأَبْنَاءٌ وَبَنَاتٌ، وَمَعَهُمْ جَارَانِ
كَرِيمَانِ جَاءَا يَسْتَرِيدَانِ مِنَ الدَّلِيلِ وَيَسْتَرَوِيَانِ مِنْ أَدَبِ الطَّرِيقِ. رَفَعَ الْإِمَامُ بَصَرَهُ
إِلَى الْقُبْلَةِ ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ يَجْمَعُ اللَّيْنَ وَالْحَزَمَ "الْيَوْمَ نَرْسُمُ «خَرَائِطَ الْعُمَرَانِ»
لِنَفْهَمِ الْبَيِّنَاتِ الْحَاضِنَةِ لِعَائِلَتِنَا وَنَنْتَفِي الصَّالِحَ مِنْهَا، وَنَصِلَ بَيْنَ الْمَسْجِدِ
وَالْمَدْرَسَةِ وَالسُّوقِ صِلَةً تُقِيمُ «مِيزَانَ الْمَنْفَعَةِ وَالضَّرَرِ» وَ«مِيزَانَ الْمَالِ» وَ«مِيزَانَ
الْوَقْتِ». ثُمَّ تَلَا بِتَرْتِيلٍ يُثَبِّتُ الْقَصْدَ فِي الصَّدُورِ

﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هُود 61)،

وَقَالَ "هَذَا نَصٌّ يُعَلِّمُنَا أَنَّ الْإِقَامَةَ فِي الْأَرْضِ عَهْدٌ بِالْبِنَاءِ وَالْإِصْلَاحِ،
فَلَا نَكْتَفِي بِمَسَارِبِ الْمُرُورِ بَلْ نَجْعَلُ لِكُلِّ خُطْوَةٍ مَالًا صَالِحًا وَآثَرًا نَافِعًا."

هَمَسَ «رِيَانٌ» وَعَيْنَاهُ تَسْتَشْرِفَانِ خُرُوجًا مُنَظَّمًا إِلَى الْحَيَاةِ "كَيْفَ نَبْدَأُ يَا

سَيِّدَنَا وَالْأَمَّاكُنْ كَثِيرَةٌ وَالْأَصَوَاتُ مُتَزَاحِمَةٌ وَالْمَصَالِحُ تَتَدَافَعُ".

فَابْتَسَمَ الْإِمَامُ وَقَالَ "نَبْدَأُ بِمِيزَانٍ يُقِيمُ الطَّرِيقَ عَلَى الرَّفْقِ وَالتَّوَدِّعِ،
فَنَسْأَلُ أَوَّلًا: مَا الْمَنْفَعَةُ وَمَا الضَّرَرُ؟ ثُمَّ نَسْأَلُ: إِلَى أَيْنَ يُؤُولُ هَذَا الْإِخْتِيَارُ بَعْدَ
أَسَابِيعَ وَأَشْهُرٍ؟ ثُمَّ نَنْظُرُ فِي الزَّمَنِ كَيْفَ يُقَسَّمُ فَلَا تَطْغَى مَحْطَةٌ عَلَى أُخْرَى."
ثُمَّ قَرَأَ وَهُوَ يُتَبَّتُ عُرْفَ التَّعَاوُنِ

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (الْمَائِدَةُ 2)،

وَقَالَ "فِي الْعُمَرَانِ تَعَاوُنٌ، وَفِي التَّعَاوُنِ بَرَكَةٌ، وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ
لِلنَّاسِ" (حَدِيثٌ فِي الْمُعْجَمِ الْأَوْسَطِ).

وَقَامَ الْقَوْمُ بَعْدَ الصَّلَاةِ يَتَّبِعُونَ خُطُوبَاتِ الْإِمَامِ فِي جَوْلَةٍ أُسْرِيَّةٍ تُنْقِي
النَّظَارَةَ وَتَضَعُ لِكُلِّ بَابٍ أَسْمًا وَحَدًّا. خَرَجُوا مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ وَعَلَى الْهَوَاءِ عَبِيرُ
تُرَابٍ بَعْدَ مَطَرٍ، وَإِذَا بِالسَّاحَةِ الصَّغِيرَةِ قُرْبَ الرِّوَاقِ تَضُمُّ صَبِيحَانًا يَلْعَبُونَ عَلَى قَدَرٍ
مِنَ الْأَدَبِ. قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يُشِيرُ بِكَفِّهِ "هُنَا «مَحْطَةٌ أَمَنَةٌ» تَتَعَلَّمُ فِيهَا الْقُلُوبُ
الْإِنْصَاتِ وَالْأَلْسِنَةُ الْحِفْظَ وَالْأَقْدَامُ الْإِقْتِصَادَ فِي الْحَرَكَةِ؛ هُنَا نُقِيمُ صُلْبَ
الْخَرِيطَةِ: الْمَسْجِدَ وَمَا يَتَفَرَّغُ عَنْهُ مِنْ أَدَبٍ وَنَافِعٍ". ثُمَّ تَلَا

﴿فِي يُبُوتِ أَذِنَ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ (النُّورُ 36)،

وَقَالَ "إِنَّ الرَّفْعَ هُنَا لَيْسَ لِلْجُذْرَانِ وَحَسْبُ بَلْ لِلْقُلُوبِ وَالْخُلُقِ وَالزَّمَنِ".

سَارُوا خُطُوتًا حَتَّى أَشْرَفُوا عَلَى الطَّرِيقِ الْمُوَدِّي إِلَى الْمَدْرَسَةِ،
وَالطَّابُورُ صَبَاحًا بَعْدَ صَبَاحٍ يَجْمَعُ أَلَوَانًا مِنَ التُّفُوسِ. قَالَ الْإِمَامُ "هُنَا نَزْنُ «مَنْفَعَةً
الْتَّعَلَّمِ» بِ«مَالِ الصُّحْبَةِ» وَ«حِرَاسَةِ الزَّمَنِ»، فَلَا يَكْفِي أَنْ يَكُونَ الْبَابُ قَرِيبًا إِنْ
كَانَ الْخُرُوجُ مِنْهُ يُفْضِي إِلَى صُحْبَةٍ تُضَرُّ؛ نَسَأَلُ وَنَرْصُدُ وَنُقِيمُ حُدُودًا." ثُمَّ قَالَ
مُسْتَشْهِدًا "«الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»" (حَدِيثٌ)، "فَنَطْلُبُ
مُعِينًا فِي الْمَدْرَسَةِ مِنْ مُرَبِّ أَوْ مُرْشِدٍ يَدُلُّنَا عَلَى الْأَحْسَنِ وَيُحَذِّرُنَا مِنَ
الْأَضْعَفِ." ثُمَّ تَلَا

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (التَّحْرِيمُ 6)

لِيُقِيمَ «مِيزَانَ الْمَالِ» فِي الْاِخْتِيَارِ.

وَمَالُوا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى السُّوقِ، فَفِي الْمَمْشَى بَاعَةً يَدْعُونَ وَالْوَانُ تَزَاحِمُ
النَّظَرَ وَالرَّغْبَةَ. وَقَفَ الْإِمَامُ قُبَيْلَ مَدْخَلٍ تَعْلُقُ فَوْقَهُ لَافِتَةٌ قَدِيمَةٌ فَقَالَ "هُنَا يُمْتَحَنُ
«مِيزَانُ الْمَنْفَعَةِ وَالضَّرَرِ»، فَمَا نَفَعَ الْبَيْتَ وَأَصْلَحَ الْمَعَاشَ وَحَفِظَ الْحُدُودَ
أَقَرَّرْنَاهُ، وَمَا فَسَدَ فِيهِ الْقَوْلُ أَوْ الْمَنْظَرُ أَوْ الْمِيزَانُ رَدَدْنَاهُ بِرَفْقٍ وَبَيَانٍ." ثُمَّ قَالَ
مُحَذِّرًا "«لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»" (حَدِيثٌ)، "فَإِذَا رَأَيْنَا بَابًا يُؤَدِّي إِلَى الْإِسْرَافِ فِي
النَّفَقَةِ أَوْ إِلَى فَسَادٍ فِي الْأَخْلَاقِ أَعْلَقْنَاهُ وَاتَّخَذْنَا بَدَلَهُ مَوْضِعًا آمِنًا."

ثُمَّ أَشَارَ إِلَى دُكَّانٍ صَغِيرٍ لِرَجُلٍ كَبِيرٍ فِي السَّنِّ يَبِيعُ الْخُبْزَ وَيُسَلِّمُ عَلَى

الْعَابِرِينَ بِوَجْهِ بَشُوشٍ، فَقَالَ "هَذَا «مَحَوْرُ الْمَنْفَعَةِ» فِي السُّوقِ، نُثَبِّتُهُ فِي خَرِيطَتِنَا مَحَطَّةً آمِنَةً لِلْمُرُورِ وَقَفَةً لِلسَّلَامِ وَسُؤَالًا عَنْ حَالِ الرَّجُلِ، فَإِنَّ «تَبَسُّمَكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ» (حَدِيثٌ). ثُمَّ مَشَوْا حَتَّى بَلَّغُوا بَابَ «جَمْعِيَّةِ» صَغِيرَةٍ لِلخَيْرِ تُدِيرُ مَخْبَرًا وَتَجْمَعُ تَبَرُّعًا لِمَرْضَى وَمَحْتَاجِينَ، فَقَالَ الْإِمَامُ "هُنَا تُوَصَّلُنَا خَرِيطَةُ الْعُمَرَانِ إِلَى «خِدْمَةِ نَافِعَةٍ» نَعْلَمُ أَبْنَاءَنَا فِيهَا أَدَبَ الْعَطَاءِ وَحِسَابَ الزَّمَنِ وَنِسْبَةَ الْأَنْثَرِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ» (حَدِيثٌ).

عَادُوا مَعَ الْمَسَاءِ إِلَى الْبَيْتِ وَفِي الْقُلُوبِ نَقْطُ ضَوْءِ تَشْبِيهِ رُؤُوسِ الْخُطُوطِ الَّتِي سَتَنَبِسطُ فِي صَحِيفَةٍ. جَمَعَ الْإِمَامُ الْأُسْرَةَ فِي غُرْفَةٍ وَاسِعَةٍ وَأَمَامَهُمْ وَرَقٌ سَمِيكٌ وَقَلَمٌ وَمِصْبَاحٌ لَيْلٍ. قَالَ "نَرَسُمُ الْآنَ «مُضْفُوفَةَ الْعُمَرَانِ»، لَا جَدُولًا مُجَرَّدًا بَلْ حِكَايَةً مَكْتُوبَةً تَضَعُ كُلَّ مَوْضِعٍ فِي مَكَانِهِ وَكُلَّ زَمَنٍ فِي حَقِّهِ، وَنُثَبِّتُ فِيهَا الْمَسْجِدَ وَالْجَمْعِيَّةَ وَ«مَجْلِسَ الْحَيَرَةِ» وَ«نُقْطَةَ الْخِدْمَةِ». ثُمَّ قَالَ مُسْتَشْهِدًا "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" (حَدِيثٌ)، "فَنُقَسِّمُ الْأَدْوَارَ وَنَحْفَظُ الزَّمَنَ وَنُقِيمُ الْمَقْصِدَ. ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الْحَشْرُ 18)

لِيُثَبِّتَ «مِيزَانَ الْأَمَالِ».

قَالَتْ «حِلْمَةٌ» وَنَبَرْتُهَا تَجْمَعُ الْحَرَارَةَ وَالْتَنَظِيمَ "أَتَوَلَّى كِتَابَةَ زَاوِيَةِ

الْمَسْجِدِ فِي الْمِصْفُوفَةِ، فَجَعَلَ لِلْمَسَاءِ «مَوْعِدَ سَكِينَةٍ» وَلِلصُّبْحِ «مَوْعِدَ انْطِلَاقٍ»، وَنُثِبَتْ مَعَهُمَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى

﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هُود 61)

لِكَيْ نَتَذَكَّرَ أَنَّ الْعِمَارَةَ تَبْدَأُ بِالصَّلَاةِ وَتَمْتَدُّ إِلَى الْحَيَاةِ. فَقَالَ الْإِمَامُ "نَعَمْ، وَنُضِيفُ مَعَ الْمَسْجِدِ «نُقْطَةَ خِدْمَةٍ» قُرْبَ بَابِهِ: مَاءٌ بَارِدٌ لِلْمُرُورِ وَسَلَّةٌ لِلتَّبْرِيعِ وَوَرَقَةٌ لِلْحَاجَاتِ، فَإِنَّ «عَلَى كُلِّ حَدِيثٍ صَدَقَةٌ» (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَالَ "وَنُثِبَتْ مَعَ الْمَسْجِدِ «مَحْطَةٌ آمِنَةٌ» لِلصِّبْيَانِ بَعْدَ الْمَدْرَسَةِ، يَقْرَأُونَ فِيهَا صَفَحَاتٍ وَيَتَعَلَّمُونَ آدَابًا وَيَسْتَرِيحُونَ فِي ظِلِّ الدُّكْرِ".

وَقَالَ «صَفْوَانُ» وَفِي يَدِهِ قَلَمٌ يُشِيرُ إِلَى الطَّرَفِ الْأَيْمَنِ مِنَ الصَّحِيفَةِ "أَتَوَلَّى كِتَابَةَ زَاوِيَةِ «الْجَمْعِيَّةِ»، فَنُثِبَتْ يَوْمًا فِي الشَّهْرِ نُعَيْنٌ فِيهِ عَلَى تَرْتِيبِ الْمَخْزَنِ أَوْ التَّغْلِيفِ، وَنَجَعُ لِلْأَبْنَاءِ «حِصَّةَ عَطَاءٍ» بِمَقْدَارِ مُعَلِّينَ، فَ«اللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» (حَدِيثٌ). فَقَالَ الْإِمَامُ "وَنَزِنُ ذَلِكَ بِ«مِيزَانِ أَلُوقَتِ»، فَلَا نُثْقِلُ عَلَى الدِّرَاسَةِ وَلَا نَقْطَعُ صِلَةَ الْبَيْتِ، بَلْ نُقَدِّرُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرَهُ، وَنَتَذَكَّرُ

﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (الْعَصْرِ 1-3).

ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ "وَنُثِثُ فِي الْمَصْفُوفَةِ «مَجْلِسَ الْحِيرَةِ» وَهُوَ مَجْلِسٌ خَفِيفٌ يَجْمَعُ ثَلَاثَ أَسْرِ كُلِّ شَهْرٍ فِي سَاحَةِ قَرِيبَةٍ، نَتَذَكَّرُ فِيهِ أَخْبَارَ الْحَيِّ وَنُصْلِحُ نَعْرَةً وَنُقِيمُ عَهْدًا عَلَى حِفْظِ النِّظَافَةِ وَسُؤَالِ الضَّعِيفِ". ثُمَّ قَالَ "مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِثُنِي" (حَدِيثٌ)، "فَنَجْعَلُ لِلْجَارِ خَطًّا صَرِيحًا فِي خَرِيطَتِنَا، نَسْأَلُهُ عَنْ حَاجَتِهِ وَنُعِينُهُ بِقَدْرِ وَنَحْفَظُ حُدُودَهُ بِأَدَبٍ".

وَعِنْدَ زَاوِيَةِ الصَّحِيفَةِ سَطَّرُوا "نُقْطَةَ خِدْمَةٍ" لِلْحَيِّ: مَوْقِفًا صَغِيرًا قُرْبَ الْمَسْجِدِ تُوَضَّعُ فِيهِ "حَقِيبَةُ إِسْعَافٍ" وَإِنَاءٌ مَاءٍ وَمِكَنَسَةٌ وَقَفَّازَاتٌ لِلتَّنْظِيفِ، وَوَرَقَةٌ تُقَيَّدُ فِيهَا حَاجَاتُ يَسِيرَةِ لِكِبَارِ السَّنِّ. قَالَ الْإِمَامُ "نَدِيرُ هَذِهِ النُّقْطَةِ بِ«مِيزَانِ الْمَنْفَعَةِ وَالضَّرَرِ»، فَلَا نُخْرِجُهَا عَنِ الْقَصْدِ وَلَا نَتْرُكُهَا لِلْفَوْضَى، بَلْ نُحْسِنُ التَّوْقِيتَ وَنَتَفَقَّحُ عَلَى مُرَاجَعَةِ أُسْبُوعِيَّةٍ". ثُمَّ قَالَ يَسْتَحْضِرُ بَابَ الْإِتْقَانِ "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" (حَدِيثٌ).

وَحِينَ تَمَّ رَسْمُ الْمَصْفُوفَةِ قَالَ الْإِمَامُ "لَا تَكْتَفُوا بِالرَّسْمِ، فَالْخَرِيطَةُ مَا لَمْ تَسِرْ فِيهَا الْأَقْدَامُ وَتَتَكَلَّمْ بِهَا الْأَفْعَالُ لَا تُثْمِرُ. نُحَوِّلُهَا الْيَوْمَ إِلَى «خُطَّةِ خِدْمَةِ نَافِعَةٍ»". ثُمَّ قَالَ "نُخْرِجُ غَدًا بَعْدَ الصُّبْحِ فِي جَوْلَةٍ خَفِيفَةٍ، نَمُرُّ بِالْمَسْجِدِ فَنَنْظِفُ رُكْنَا وَنَضْعُ إِنَاءَ الْمَاءِ فِي «نُقْطَةِ الْخِدْمَةِ»، ثُمَّ نَسْأَلُ الْجَمْعِيَّةَ عَنْ عَمَلٍ يَحْتَاجُ إِلَى يَدٍ، ثُمَّ نَمُرُّ عَلَى السُّوقِ فَنُسَلِّمُ عَلَى الرَّجُلِ الْكَبِيرِ وَنَحْمِلُ لَهُ مَا

يُثْقَلُ، ثُمَّ نَقِفُ فِي «مَجْلِسِ الْحِجْرَةِ» وَنُثَبِتُ مَوْعِدًا لِلِقَاءِ الْأَوَّلِ. "ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الْحَجُّ 77).

فِي الصَّبَاحِ الْمُتَرَجِّ بِرَطَابَةِ نَسِيمٍ قَامُوا. حَمَلَ «رِيَانُ» مِكَنَسَةً، وَحَمَلَتْ «رَابِيعَةُ» إِنَاءَ الْمَاءِ، وَحَمَلَ «صَفْوَانُ» حَقِيبةَ الْإِسْعَافِ، وَحَمَلَتْ «حِلْمَةُ» دَفْتَرًا تُثَبِتُ فِيهِ مَا يَقَعُ مِنْ خَيْرٍ. دَخَلُوا الْمَسْجِدَ فَسَلَّمُوا وَنَظَّفُوا رُكْنًا وَرَتَّبُوا مَصَاحِفَ وَوَضَعُوا إِنَاءَ الْمَاءِ فِي مَوْضِعٍ مُعْلَنٍ، ثُمَّ كَتَبُوا فِي الدَّفْتَرِ "تَمَّتْ «مَحْطَةُ الْمَسْجِدِ» الْأُولَى". وَقَالَ الْإِمَامُ "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ" (حَدِيثٌ)، "وَهَذَا الطَّرِيقُ يَجْمَعُ بَيْنَ عِلْمٍ وَخِدْمَةٍ فَيُثَمِّرُ أَثْرًا."

ثُمَّ مَضُوا إِلَى «الْجَمْعِيَّةِ» فَوَجَدُوا الْمَخْزَنَ يَحْتَاجُ إِلَى تَرْتِيبٍ. قَالَ الْمُشْرِفُ "جَزَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا عَلَى الزِّيَارَةِ"، فَقَالَ الْإِمَامُ "نَحْنُ ضُيُوفُ خِدْمَةٍ، وَنُحِبُّ أَنْ نَتَّقِنَ مَا نَسْتَطِيعُ." فَارْتَبَوْا وَغَلَّفُوا وَسَجَّلُوا مَحْتَوَى، وَفِي كُلِّ خَطْوَةٍ يَذْكُرُونَ

﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هُود 61)

كَأَنَّهَا نُقْطَةُ نُورٍ عَلَى رَأْسِ الصَّفْحَةِ. ثُمَّ خَرَجُوا وَفِي أَيْدِيهِمْ وَرَقَةٌ صَغِيرَةٌ فِيهَا «حَاجَاتُ أُسْبُوعِيَّةٍ» لِكِبَارٍ وَمَرْضَى، لِيَكُونَتْ «نُقْطَةُ الْخِدْمَةِ» مَمْلُوءَةً

بِالْمَعْنَى.

مَرُّوا بَعْدَ ذَلِكَ بِالسُّوقِ. سَلَّمُوا عَلَى الرَّجُلِ الْكَبِيرِ وَحَمَلُوا لَهُ صُنْدُوقًا ثَقِيلًا، فَأَبْتَسَمَ وَقَالَ "رَبَّنَا يَجْزِيكُمْ"، فَقَالَ الْإِمَامُ "مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ" (حَدِيثٌ)، "وَنَحْنُ نَشْكُرُكَ عَلَى لُطْفِكَ وَصِدْقِكَ". ثُمَّ نَصَحَ الْأَبُ أَبْنَاءَهُ "إِذَا أَدْخَلَ السُّوقَ فِي قُلُوبِكُمْ رَغْبَةً بِلَا قَصْدٍ فَاسْأَلُوا اللَّهَ الْكِفَافَ وَانْظُرُوا فِي «مِيزَانِ الْمَنْفَعَةِ وَالضَّرَرِ»؛ فَ«مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» (حَدِيثٌ)، "وَالْغَشُّ لَيْسَ فِي الْأَبْنَعِ وَحَسْبُ، بَلْ فِي كُلِّ سَبِيلٍ يَسْتَرْقُ الْقَلْبُ عَنْ قَصْدِهِ". ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الْأَعْرَافُ 31)

لِيَتِمَّ «مِيزَانُ النِّفَقَةِ» فِي التَّسْوُقِ.

وَفِي الْمَسَاءِ اجْتَمَعُوا فِي الْبَيْتِ لِقِرَاءَةِ مَا كُتِبَ فِي «مِصْفُوفَةِ الْعُمَرَانِ». قَالَتْ «رَايِيَّةُ» وَهِيَ تُقَلِّبُ أَلْوَرَقَ "زِدْنَا «مَحْطَّةً آمِنَةً» قُرْبَ الْمَدْرَسَةِ: مَكْتَبَةً صَغِيرَةً فِيهَا كُتُبٌ مُنْتَقَاةٌ، وَنَجْعَلُ لَهَا زَمَنًا قَبْلَ الرُّجُوعِ إِلَى الْبَيْتِ". فَقَالَ الْإِمَامُ "نَعَمْ الْإِخْتِيَارُ، فَ«أَطْلُبُوا الْعِلْمَ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ» (يُذَكَّرُ مَرْوِيًّا)، "وَنُثِبَتْ فِيهَا قَوْلُهُ تَعَالَى

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزُّمَرُ 9)

لِيَكُونَ الْعِلْمُ مِفْتَاحًا لِكُلِّ مَحْطَّةٍ".

ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ "إِنَّ الْخَرِيطَةَ إِذَا لَمْ تُرَاجَعَ ضَعُفَتْ، فَجَعَلْ لَهَا «مُرَاجَعَةً شَهْرِيَّةً» نَقُومُ فِيهَا الْمُنْفَعَةَ وَنُعْلِقُ بَابَ ضَرَرٍ إِنْ ظَهَرَ، وَنَزِنُ الْأَعْمَالَ بِ«مِيزَانِ الْمَالِ»: مَاذَا تَتْرُكُ فِي الْقُلُوبِ؟ مَاذَا تُحَدِّثُ فِي الزَّمَنِ؟" ثُمَّ قَرَأَ

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النَّحْلُ 90)

لِيَقِيمَ الْقَصْدَ فِي التَّقْوِيمِ. وَقَالَ "وَنَخْتَرُ زَمَنًا بِمَثَلِ «سِتِّينَ دَقِيقَةً» نَقْسَمُهَا بَيْنَ مَحْطَةٍ فِي الْمَسْجِدِ وَمَحْطَةٍ فِي «نُقْطَةِ الْخِدْمَةِ» لِنَرَى أَيُّهُمَا أَنْفَعُ فَتَشَبَّهَتْهُ."

مَضَتْ أَسَابِيْعُ وَخَرِيطَتُهُمْ تَكْبُرُ هَوَادًا كَزَرْعٍ يَسْتَتِيبُ لِلْمَطَرِ. وَقَدْ بَدَأَ الْحَيُّ يُحْسِسُ بِثَمَرَةِ الْخِدْمَةِ: نَظَافَةٌ فِي الرِّكَانِ قُرْبُ الْمَسْجِدِ، وَسَلَّةٌ مَمْلُوءَةٌ بِالْخَيْرِ فِي «نُقْطَةِ الْخِدْمَةِ»، وَتَبَادُلُ سَلَامٍ يُطِيبُ الْقُلُوبَ فِي السُّوقِ، وَمَرَّةٌ كَانَ هُنَاكَ مَرِيضٌ يَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَحْمِلُ عَنْهُ، فَأَنْطَلَقَتِ الْأُسْرَةُ وَجَارَانِ مَعَهُمْ، فَقَضَوْا الْحَاجَةَ وَعَادُوا وَهُمْ يَقُولُونَ

﴿وَمَا تَقْدَمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (الْبَقَرَةُ 110).

وَقَالَ الْإِمَامُ "«خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ»" (حَدِيثٌ)، "فَإِذَا رَأَيْتُمْ ثَمَرًا فَاتَّبِعُوا وَزِيدُوا شُكْرًا."

وَفِي لَيْلَةٍ، قَالَ «رِيَانُ» وَفِي صَوْتِهِ ابْتِهَاجٌ مَنْ رَأَى الْأَثَرَ "كُنْتُ أَمْرًا

بِالسُّوقِ وَلَا أَرَى فِيهِ إِلَّا زَحْمَةً، وَالْآنَ أَرَاهُ بَابًا لِلسَّلَامِ وَالْخِدْمَةِ، وَكُنْتُ أَدْخُلُ الْمَدْرَسَةَ وَلَا أَنْظُرُ إِلَّا إِلَى الدَّرْسِ، وَالْآنَ أَنْظُرُ إِلَى «مَالِ الصُّحْبَةِ» وَ«تَقْوِيمِ الزَّمَنِ». فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذِهِ ثِمَارُ «مِيزَانِ الْمَنْفَعَةِ وَالضَّرَرِ» وَ«مِيزَانِ الْمَالِ»؛ تَنْقَلِبُ الْأَمَاكِنُ مَعْنَى وَتَهْذِيْبًا فَتَصْبِحُ الطُّرُقُ أَمْنًا وَأَدَبًا". ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ (التَّوْبَةُ 105).

وَلَمَّا كَادَ الشَّهْرُ يَنْتَصِفُ، دَعَا الْإِمَامُ إِلَى «مَجْلِسِ الْمُرَاجَعَةِ». اجْتَمَعُوا قُبَيْلَ الْمَغْرِبِ فِي الْغُرْفَةِ الْوَاسِعَةِ، وَوَضَعُوا «مِصْفُوفَةَ الْعُمَرَانِ» أَمَامَهُمْ. قَالَتْ «حِلْمَةُ» "زِدْنَا «مَحْطَةً أَمَنَةً» جَدِيدَةً فِي الْحَيِّ: «حَدِيقَةً صَغِيرَةً» نَتَعَاهَدُ فِيهَا النِّظَافَةَ وَنَبْذُرُ فِيهَا شُجَيْرَاتٍ، وَنَجْعَلُ مَعَهَا «لَا فِتْنَةَ» تَقُولُ:

﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هُود 61).

فَقَالَ الْإِمَامُ "نِعْمَ الزِّيَادَةُ؛ فَالْأَرْضُ تَسْتَرِيحُ لِمَنْ يُحْسِنُ إِلَيْهَا". وَقَالَ «صَفْوَانُ» "وَأَقْتَرِحُ «خَطًّا سَرِيعًا» بَيْنَ الْمَسْجِدِ وَالْمَكْتَبَةِ نَسْلُكُهُ بَعْدَ الْمَدْرَسَةِ يَوْمَيْنِ فِي الْأُسْبُوعِ، لِيَزْدَادَ الْعِلْمُ مَعَ الْخِدْمَةِ". فَقَالَ الْإِمَامُ "نَزَنُهُ بِ«مِيزَانِ الْوَقْتِ»، فَإِنْ لَمْ يَطْغَ عَلَى بَابٍ آخَرَ ثَبَّتْنَاهُ".

وَفِي خِتَامِ الْمَجْلِسِ قَالَ الْإِمَامُ "نُثِبْتُ فِي صَدْرِ «مِصْفُوفَةِ الْعُمَرَانِ» هَذِهِ الْكَلِمَاتِ: «نُقِيمُ خَرَائِطَنَا عَلَى مِيزَانٍ مِنْ مَنَفَعَةٍ لَا ضَرَرَ فِيهَا، وَمَالٍ يُثْمَرُ فِي

الْقُلُوبِ قَبْلَ الْمَظَاهِرِ، وَوَقْتُ يُقَدَّسُ فَلَا يُبَدَّرُ». ثُمَّ قَرَأَ

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (التَّوْبَةُ 120).

وَقَالَ "وَنَجْعَلُ «بِطَاقَةَ الْمُرَاجَعَةِ» فِي آخِرِ كُلِّ شَهْرٍ نَسْأَلُ فِيهَا: هَلْ بَقِيَتْ «الْمَحَطَّاتُ الْأَمِنَةُ» آمِنَةً؟ هَلْ زَادَتْ مِنْفَعَتُنَا وَخَفَّ ضَرَرُنَا؟ هَلْ تَحَسَّنَ «مَالُ الصُّحْبَةِ» وَ«مِقْدَارُ الزَّمَنِ»؟"

وَبَيْنَمَا الْقِصَّةُ تَنْسَابُ كَنَهْرٍ، كَانَ لِكُلِّ كَلِمَةٍ نَبْرَةٌ دُرْبِيَّةٌ وَتَجْرِبِيَّةٌ. نَعَمْ، قَدْ تَعَرَّضَ مَتَاعِبُ: مِيعَادُ يَنْفَلِتُ، أَوْ مَحَطَّةٌ تَضْعُفُ، أَوْ سُوقٌ يَسْتَفِزُّ رَغْبَةً. وَلَكِنَّهُمْ كُلَّمَا زَلُّوا رَجَعُوا إِلَى «مِيزَانِهِمْ»: يَسْأَلُونَ «مَا الْمَنْفَعَةُ؟» فَإِنْ قَلَّتْ رَفَعُوهَا، وَ«مَا الضَّرَرُ؟» فَإِنْ ظَهَرَ قَطَعُوهُ، وَ«إِلَى مَاذَا يُؤُولُ هَذَا؟» فَإِنْ سَاءَ الْمَالُ تَرَكُّوهُ، وَ«مَاذَا فِي الزَّمَنِ؟» فَإِنْ اخْتَلَّ رَتَّبُوهُ. وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يُرَدِّدُونَ

﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هُود 61)

كَأَنَّهَا مِفْتَاحَ الْخَرِيطَةِ وَعَهْدَ الطَّرِيقِ.

ثُمَّ جَاءَ «يَوْمٌ لِلْحَصَادِ الْخَفِيِّ» بَعْدَ أَشْهُرٍ ثَلَاثَةٍ. اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ بَعْدَ الْعَصْرِ وَقَدْ حَمَلَ كُلُّ مِنْهُمْ قِطْعَةً مِنْ «مِصْفُوفَةِ الْعُمَرَانِ»: صُورَةَ «نُقْطَةِ الْخِدْمَةِ»، وَوَرَقَةَ «مَجْلِسِ الْجَبْرِ»، وَمِثَالَ «مَحَطَّةِ آمِنَةٍ» فِي الْمَكْتَبَةِ. قَالَ الْإِمَامُ وَعَلَى وَجْهِهِ سُرُورٌ مَنْ رَأَى ثَمَرًا "الآنَ نَرَى الْمَعْنَى وَقَدْ صَارَ سِمَةً فِي الْحَيِّ:

السَّلَامُ أَيْبُنُ، وَالسُّوقُ أَلْطَفُ، وَالْمَسْجِدُ أُنْقَى، وَالْمَدْرَسَةُ أَقْرَبُ إِلَى الْقَصْدِ." ثُمَّ قَالَ "وَكَانَ اللَّهُ قَدْ وَعَدَ

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (الطَّلَاقُ 2)

وَقَدْ جَعَلَ لَنَا مِنْ خَرَائِطِنَا مَخَارِجَ مِنَ الْفَوْضَى إِلَى النِّظَامِ وَمِنْ الرَّغْبَةِ الْمُطْلَقَةِ إِلَى الْمَقْصِدِ الْمَحْرُوسِ."

وَقَامُوا بَعْدَ الْمَجْلِسِ فِي الصُّدُورِ حَمِيمٍ لِمَا يُحِبُّ مِنْ خَيْرٍ. قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَخْتِمُ "يَا أَحِبَّتِي، إِذَا رَسَمْنَا الْخَرَائِطَ وَأَقَمْنَا الْمَوَازِينَ صَقَلْنَا الْحَيَاةَ وَحَفِظْنَا الْأَهْلَ وَجَمَلْنَا الزَّمَنَ؛ فَلْنَجْعَلْ شِعَارَنَا مَعَ كُلِّ بَابٍ نَدْخُلُهُ

﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هُود 61)،

وَلِنَذْكُرَ مَعَهُ «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» (حَدِيثٌ)، «وَلِنَقُلْ فِي نَفْسِنَا: «الَّذِي يَنْفَعُنَا نُثَبِّتُهُ وَالَّذِي يَضُرُّنَا نَدْعُهُ، وَالَّذِي يَحْسُنُ مَالَهُ نُقْبِلُ عَلَيْهِ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ نَحْفَظُ الزَّمَنَ». وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرَى ثَمَرَةَ الْعُمَرَانِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى الْقُلُوبِ حِينَ تَنْفَادُ لِلرَّفَقِ وَإِلَى الْحَيِّ حِينَ يَسْتَبْشِرُ بِالْخَيْرِ."

وَهَكَذَا بَقِيَتْ «خَرَائِطُ الْعُمَرَانِ» صَحِيفَةٌ مَبْسُوطَةٌ فِي بَيْتِهِمْ تَحْتَ «مِيزَانِ الْمَنْفَعَةِ وَالضَّرَرِ» وَ«مِيزَانِ الْمَالِ» وَ«مِيزَانِ الْوَقْتِ»، وَبَقِيَتْ «الْمَحَطَّاتُ الْأَمَنَةُ» نَقْطًا مُضِيئَةً بَيْنَ الْمَسْجِدِ وَالْمَدْرَسَةِ وَالسُّوقِ وَالْجَمْعِيَّةِ وَ«مَجْلِسِ

الْجِيرَةَ»، وَبَقِيَتْ «نُقْطَةُ الْخِدْمَةِ» عَلَامَةً تُنَادِي كُلَّ مَارٍّ: "هُنَا مَاءٌ وَرَفِقٌ وَقَلْبٌ
يَخْدُمُ"، وَكُلَّمَا قَرَأُوا فِي صَدْرِ الصَّحِيفَةِ

﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هُود 61)

شَعَرُوا أَنَّ الطَّرِيقَ يَزْدَادُ نُورًا، وَأَنَّ الْحَيَّ يَقْرَأُ فِي سُلُوكِهِمْ دُرُوسًا لِلْبِنَاءِ
وَالْإِصْلَاحِ، وَأَنَّ «الْخَرِيطَةَ» مَا دَامَتْ تُرَاجَعُ وَتُتَرْجَمُ إِلَى خِدْمَةِ بَقِيَّتِ نَبْضًا
يَحْرُسُ الْبَيْتَ وَيَجْمَلُ الزَّمَنَ وَيَرْفَعُ الْحَيَّ عَلَى سُلَمٍ مِنْ نَفْعٍ وَأَدَبٍ وَعَدْلٍ.

الدَّرْسُ الرَّابِعُ: سُؤَالُ الْوَجْهَةِ

تَهَابَطَتْ سَكِينَةُ الْمَغْرِبِ عَلَى رِوَاقِ الْمَسْجِدِ فَهَدَّاتِ الْخُطَى وَأَنْسَدَلَ
الظِّلُّ عَلَى الْأَعْمَدَةِ كَأَنَّهُ لِبَاسٌ يُؤْوِي الْقُلُوبَ إِلَى رِفْقٍ وَتَبَيَّنَ. جَلَسَ الْإِمَامُ فِي
الْوَسْطِ وَحَوْلَهُ الْأُسْرُ الصَّغِيرَةُ قَدْ جَمَعَتْ هُمُومَ الْيَوْمِ وَأَمَالَ الْغَدِ وَتَقَاطَعَتْ فِي
الصُّدُورِ مَيُولُ الْأَبْنَاءِ وَقَصْدُ الْأَبَاءِ كَخَيْوِطٍ تَطْلُبُ نَسِيجًا أَمِينًا. رَفَعَ الْإِمَامُ بَصَرَهُ
إِلَى الْقِبْلَةِ ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ يَجْمَعُ الطَّمَأْنِينَةَ وَالْحَزَمَ "السُّؤَالُ الْيَوْمَ سَهْلٌ فِي اللَّفْظِ
عَسِيرٌ فِي الْأَحْكَامِ إِلَى أَيْنَ نَسِيرُ." ثُمَّ تَلَا وَهُوَ يُثَبِّتُ فِي الصُّدُورِ مِيزَانَ
الِاسْتِفْهَامِ الرَّاجِرِ

﴿فَإَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ (التَّكْوِيرُ 26)

وَقَالَ "لَوْ سَارَ الزَّمَنُ دُونَ وَجْهَةٍ لَصَارَ رِيحًا تَذْرُوهُ الْمَشَاغِلُ وَإِذَا
اسْتَقَامَتِ الْوَجْهَةُ قَادَ الزَّمَنُ خُطُوتَهَا."

قَالَ «صَفْوَانُ» وَفِي صَوْتِهِ نَفْسُ الْوَالِدِ الْحَفِيِّ "نَحْمِلُ هُمُومًا لِلرِّزْقِ
وَالصَّحَّةِ وَلِلصَّغَارِ فَتَتَرَاخَمُ الْأَبْوَابُ فِي الْقَلْبِ" فَنَظَرَ الْإِمَامُ إِلَيْهِ نَظْرَةً تُقِيمُ

أَلْقَصَدَ عَلَى الْعَدْلِ وَقَالَ "أَلْقَلْبُ إِذَا أَخْلَصَ الْوَجْهَةَ سَهَلَتِ الْأَبْوَابُ وَالْأَعْمَالُ"
ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَحْضِرُ أَصْلَ الْبَيِّنَةِ "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ أَمْرٍ مَا
نَوَى" (حَدِيثٌ) "فَنَثَبْتُ فِي أَوَّلِ الطَّرِيقِ مِيزَانَ الْمَقْصِدِ ثُمَّ نَظَرْتُ فِي مَالِهِ
وَنَصَعْدُ سُلَّمِ النَّصِيحَةِ رَفِيقًا بَيْنًا مُتَدَرِّجًا."

قَالَتْ «حِلْمَةٌ» وَفِي عَيْنِهَا بَصِيرَةُ الْأُمِّ الَّتِي تَجْمَعُ رِقَّةَ الْقَلْبِ وَحِكْمَةَ
التَّوْبَةِ "يَا سَيِّدَنَا مَيُولُ الْأَبْنَاءِ تَتَسَّعُ فِي الصُّورِ وَالْأَلْوَانِ وَنَحْنُ نَخْشَى أَنْ
نَحْجُبَ الْخَيْرَ بِالتَّضْيِيقِ أَوْ نُطْلِقَ الزَّمَامَ فَيَنْفِلَتِ الْقَصْدُ" فَقَالَ الْإِمَامُ "الْمِيزَانُ
يَعْدِلُ بَيْنَ الرُّغْبَةِ وَالْقَصْدِ فَتَسْأَلُ عَنِ الْمَنْفَعَةِ وَتَرْصُدُ الْمَالَ وَنَجْعَلُ لِكُلِّ وَجْهَةٍ
عَهْدًا يُحَافِظُ عَلَيْهَا الزَّمَنُ وَيَحْرُسُهَا اللِّسَانُ."

هَمَسَ «رِيَانُ» وَفِي صَوْتِهِ خَلِيطُ الْحَمَاسِ وَالْحَيَرَةِ "أَحْبُ الرِّسْمَ وَأَمِيلُ
إِلَى حِفْظِ الْأَشْعَارِ وَأَرْجُو أَنْ أَعْتَلَّمَ الْحِسَابَ عَلَى وَجْهِ أَحْكَمٍ فَإِلَى أَيِّ وَجْهَةٍ
أَقُودُ نَفْسِي" فَأَجَابَهُ الْإِمَامُ وَفِي كَلِمَاتِهِ سُلَّمٌ يَصْعَدُ عَلَيْهِ الْفَهْمُ دَرَجَةً بَعْدَ دَرَجَةٍ
"نَسْأَلُ الْآنَ لِكُلِّ نَفْسٍ وَجْهَتَهَا ثُمَّ نَجْمَعُهَا فِي «وَجْهَةِ الْبَيْتِ» لِكَيْ لَا تَتَدَافَعَ
الْقُوى فِي الصُّدُورِ وَنَجْعَلُ الزَّمَنَ خَادِمًا لِلْقَصْدِ لَا سَيِّدًا عَلَيْهِ." ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الْحَشْرُ 18)

وَقَالَ "هَذَا نَصُّ يُرَبِّي فِي الصُّدُورِ بَصِيرَةَ التَّقْدِيمِ فَلَا نُسَلِّمُ غَدًا لِعَرَضِ

الْيَوْمَ."

تَقَدَّمَ الْإِمَامُ خُطُوبًا وَقَالَ "نَعْقِدُ الْيَوْمَ «مَجْلِسَ سُؤَالِ الْوُجْهَةِ»
فَنَسْتَفْتِيهِ بِنِيَّةِ مُحْكَمَةٍ ثُمَّ نُدَاوِلُ الرَّأْيَ عَلَى سُلَمٍ لَهُ خَمْسُ دَرَجَاتٍ إِخْلَاصُ
فَعِلْمٍ فَرَفُقٌ فَيَبَانٌ فَتَدْرُجُ". ثُمَّ قَالَ "«الَّذِينَ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا لِمَنْ قَالَ «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ
وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»" (حَدِيثٌ) "فَنَجْعَلُ كُلَّ قَوْلٍ فِي هَذَا
الْمَجْلِسِ نَصِيحَةً مَحْرُوسَةً بِالْأَدَبِ وَالْعَدْلِ."

اِفْتَتَحَ الْمَجْلِسَ بِدُعَاءٍ قَرِيبٍ مِنَ الْقُلُوبِ ثُمَّ قَالَ "مَنْ يَبْدَأُ بِوُجْهَتِهِ"
فَرَفَعَتْ «رَابِيَةً» يَدَهَا وَقَالَتْ وَفِيهَا ثَقَّةُ الْفَتَاةِ الْمُسْتَقِيمَةِ "وَجْهَتِي فِي هَذَا الْفَصْلِ
أَنْ أَحْفَظَ جُزْءًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَأَتَعَلَّمَ عِلْمَ الْحِسَابِ عَلَى نِسْبَةِ مُحْكَمَةٍ وَأَنْ
أَخْدِمَ جَارَةً مُسِنَّةً فِي الطَّابِقِ الْأَسْفَلِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَعَمْ الْوُجْهَةُ" ثُمَّ قَرَأَ

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزُّمَرُ 9)

وَقَالَ "نُثَبِّتُ لِكُلِّ وَجْهَةٍ زَمَنًا وَدَلِيلًا وَشَرِيكًا يُعِينُ" ثُمَّ نَادَى "مَنْ شَرِيكَ
رَابِيَةٍ" فَقَالَ «حِلْمَةٌ» "أَنَا أَكُونُ شَرِيكَتَهَا فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ وَنُثَبِّتُ لَهَا زَمَنَ
الْمُرَاجَعَةِ قَبْلَ الْفَجْرِ بِنُصْفِ سَاعَةٍ."

قَالَ «رِيَانُ» وَفِي صَوْتِهِ نُضْجُ سَائِلٍ عِلِمَ أَنَّ الْوُجْهَةَ قَبْلَ الْوَسِيلَةِ "أُحِبُّ
أَنْ أَرْسُمَ مَعَ الْمُعَلِّمِ خَرِيطَةَ الْأَشْيَاءِ الصَّغِيرَةِ فِي الْحَيِّ ثُمَّ أَقْدِمَ لِزُمَلَائِي فِي

الْصَّفِّ مَشْهَدًا فِيهِ دَلِيلُ التَّنْظِيمِ وَبَيَانُ الْمَنْفَعَةِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَسْمَحُ لِلْفَنِّ أَنْ يَخْدِمَ الْقَصْدَ لَا أَنْ يَقُودَهُ" ثُمَّ تَلَا

﴿اعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ﴾ (التَّوْبَةُ 105)

وَقَالَ "وَنُثِبْتُ مَعَ الْعَمَلِ سُلَّمِ النَّصِيحَةِ فَإِذَا رَأَيْنَا خَلَلًا نُصْلِحُهُ بِرَفْقٍ".

تَقَاطَعَتْ الْهُمُومُ مَعَ الْمَيُولِ فَسَأَلَ الْإِمَامُ بِحِكْمَةٍ "مَاذَا يَحْمِلُ الْآبَاءُ مِنْ وَجْهَةٍ لِهَذَا الْفَصْلِ" فَقَالَ «صَفْوَانُ» "أَتَوَجَّهُ أَنْ أُسْلِمَ الزَّمَنَ لِلصَّلَاةِ فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ ثُمَّ أَثْبِتَ لِأُسْرَتِي «يَوْمًا لِلخِدْمَةِ» فِي الْجَمْعِيَّةِ وَأَنْ أُقِيمَ لِنَفْسِي «وَرْدًا فِي الْقِرَاءَةِ»" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَعَمْ الْوَجْهَةُ" ثُمَّ قَالَ "«اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا»" (حَدِيثٌ) "فَنَجْعَلُ بَدَايَةَ النَّهَارِ مِفْتَاحًا لِلْوَجْهَةِ وَنَتَوَاسَى فِي الْبُكُورِ".

بَعْدَ أَنْ أَنْتَهَتْ الْأَصْوَاتُ إِلَى سُكُونٍ لَيِّنٍ قَالَ الْإِمَامُ "الآنَ نَحْتَاجُ إِلَى «بَيَانِ الْوَجْهَةِ» لِلْفَصْلِ الدَّرَاسِيِّ نَكْتُبُهُ بِأَقْلَامِنَا وَنَسْتَحْضِرُ فِيهِ مِيزَانَ الْمَقْصِدِ وَمِيزَانَ الْمَالِ وَحِرَاسَةَ الزَّمَنِ وَنَصِيحَةَ الرَّفِيقِ". ثُمَّ أَشَارَ إِلَى صَفْحَةٍ سَمِيكَةٍ وَقَالَ "اُكْتُبُوا فِي صَدْرِهَا أَوَّلًا هَذِهِ الْآيَةَ

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الْحَشْرِ 18)

ثُمَّ اجْعَلُوا تَحْتَهَا جُمْلَةً مُحْكَمَةً تَقُولُ «نُسَلِّمُ زَمَنَ الْفَصْلِ لَوَجْهَةِ تَجْمَعُ الْعِلْمَ وَالْعِبَادَةَ وَالْخِدْمَةَ وَالصِّحَّةَ».

اِقْتَرَبَ الصَّغَارُ وَالْكِبَارُ مِنَ الطَّائِلَةِ وَقَدْ اُمْسَكَتِ الْأَقْلَامُ كَانَهَا مَفَاتِيحُ
بَابٍ مُقْفَلٍ. قَالَ الْإِمَامُ "اَكْتُبُوا مَعَ كُلِّ وَجْهَةٍ مِثَاقًا صَغِيرًا يَحْرُسُهُ زَمَنٌ وَرَفِيقٌ
وَدَلِيلٌ" ثُمَّ قَالَ "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ" (حَدِيثٌ)
"فَنَجْعَلُ الذِّكْرَ رُوحًا لِلْوَجْهَةِ".

كُتِبَ فِي الصَّدْرِ "وَجْهَةُ الْعِلْمِ" وَبِأَزَائِهَا زَمَنٌ صَبَاحٍ بَعْدَ الْفَجْرِ لِلْقِرَاءَةِ
وَمَسَاءٍ قَبْلَ النَّوْمِ لِلْمُرَاجَعَةِ وَكُتِبَ "وَجْهَةُ الْعِبَادَةِ" تُقِيمُ فِيهَا الصَّلَوَاتُ فِي أَوَّلِ
الْوَقْتِ وَنَافِلَةٍ خَفِيفَةً فِي الصُّبْحِ وَكُتِبَ "وَجْهَةُ الْخِدْمَةِ" فِيهَا «نُقْطَةُ عَوْنٍ» لِلْحَيِّ
قُرْبَ الْمَسْجِدِ وَ"وَجْهَةُ الصَّحَّةِ" تُسَلِّمُ النَّوْمَ لِلَّيْلِ وَتُطْفِئُ الشَّاشَةَ قَبْلَ النَّوْمِ
بِسَاعَةٍ. قَالَ الْإِمَامُ "لَا نُكْثِرُ الْإِشْعَارَ بِلَا زَمَنِ وَلَا نُثْقِلُ الزَّمَنَ بِلَا وَجْهَةٍ" ثُمَّ قَالَ
"أَحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَأَسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجزْ" (حَدِيثٌ).

رَفَعَ «رِيَانُ» يَدَهُ وَقَالَ "هَلْ نَجْعَلُ لَوِجْهَاتِنَا مُرَاجَعَةً مَعْلُومَةً" فَقَالَ الْإِمَامُ
"نَعَمْ نَجْعَلُ لَهَا «مِثَاقَ مُرَاجَعَةٍ» كُلُّ أُسْبُوعَيْنِ عَلَى قَدَرِ سَاعَةٍ نَقِفُ فِيهَا عِنْدَ كُلِّ
وَجْهَةٍ فَنَسْأَلُ سُؤَالَ وَاحِدًا بِسُهُولَةٍ وَحَزْمٍ هَلْ نَحْتَاجُ تَعْدِيلًا صَغِيرًا وَاحِدًا" ثُمَّ قَرَأَ

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التَّغَابُنُ 16)

وَقَالَ "الْقَصْدُ الْقَصْدُ تَبَلُّغُوا وَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا" ثُمَّ ذَكَرَ "«سَدِّدُوا وَقَارِبُوا»
وَأَبْشِرُوا وَأَسْتَعِينُوا بِالْعُدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلِيلَةِ" (حَدِيثٌ) "فَنَسَلَّمَ الزَّمَنَ

لِلسَّيْرِ الْمُتَّزِنِ."

عِنْدَهَا قَالَتْ «حِلْمَةٌ» "يَا أَبَتَاهُ أَخَشَى أَنْ يَنْزِلِقَ الْحَوَارُ إِذَا تَعَارَضَتْ رَغْبَةُ وَقْصْدٍ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَزَقَى سُلَّمِ النَّصِيحَةِ دَرَجَةً دَرَجَةً فَلَا نَبْدَأُ بِتَجْرِيحٍ وَلَا نَنْتَهِي بِقَطْعٍ بَلْ نُخْلِصُ الْقَصْدَ ثُمَّ نَسْتَعْلِمُ ثُمَّ نُرَفِّقُ ثُمَّ نُبَيِّنُ ثُمَّ نَتَدَرَّجُ" ثُمَّ قَالَ "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ" (حَدِيثٌ) "فَنَجْعَلُ لِلْسَّانِ حِرَاسَةً وَلِلْقَلْبِ رِفْقًا."

ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ "نُجَرِّبُ الْآنَ مَشْهَدًا عَمَلِيًّا فِي الْبَيْتِ نَكْتُبُ فِيهِ «بَيَانَ الْوَجْهَةِ» عَلَى صَفْحَةٍ وَاحِدَةٍ كَأَنَّهُ مِيثَاقٌ يَتَدَلَّى عَلَى حِدَارٍ فَتَقْرَأُهُ الْعُيُونُ كُلُّ صَبَاحٍ" ثُمَّ قَالَ "يُقَالُ فِي صَدْرِهِ «وَجْهَتُنَا فِي هَذَا الْفَضْلِ أَنْ نَزْدَادَ عِلْمًا وَعِبَادَةً وَخِدْمَةً وَصِحَّةً وَأَدَبًا وَأَنْ نُرَاجِعَ طَرِيقَنَا كُلُّ أُسْبُوعَيْنِ بِتَعْدِيلٍ صَغِيرٍ وَاحِدٍ». وَقَالَ "نُذِيلُهُ بِدُعَاءٍ يُثَبِّتُ الْقَلْبَ «اللَّهُمَّ أَهْدِنَا لِأَحْسَنِ الْأَقْوَالِ وَأَحْسَنِ الْأَعْمَالِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ»" (حَدِيثٌ).

انْقَلَبُوا إِلَى الْبَيْتِ فِي الْمَسَاءِ وَقَدْ حَمَلَ كُلُّ مِنْهُمْ شُعَاعًا صَغِيرًا مِنَ الْمَسْجِدِ. جَلَسُوا فِي الْعُرْفَةِ الْوَاسِعَةِ وَأَمَامَهُمْ وَرَقٌ سَمِيكٌ وَقَلَمٌ وَمَصْبَاحٌ لَيِّنٌ وَقَلْبٌ يَسْأَلُ بِهَدْوٍ. قَالَ الْإِمَامُ "اُكْتُبُوا آيَةَ الْأُولَى فِي الصِّدْرِ

﴿فَإِنَّ تَذَهُبُونَ﴾ (التَّكْوِيرُ 26)

لِتَسْأَلَ الْقُلُوبُ قَبْلَ الْأَقْدَامِ ثُمَّ الثَّانِيَةَ تَحْتَهَا

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الْحَشْرُ 18)

لِتَحْفَظَ الْأَقْدَامُ مَا قَرَّرَهُ الْقَلْبُ. "ثُمَّ قَالَ "رَسُمُ تَحْتَهُمَا جُمْلَةٌ وَاحِدَةٌ
تَقُولُ «الزَّمَنُ مُؤْتَمَنٌ لَا يُسَلَّمُ لِلصُّدْفَةِ»."

كَانَ الْهَوَاءُ رَطْبًا وَشَدَى الْفِرَاءِ يَمْلَأُ الْعُرْفَةَ. قَالَتْ «رَابِيَةٌ» وَهِيَ تَكْتُبُ
"أُثْبِتْ لِنَفْسِي زَمَنًا لِلْفِرَاءِ قَبْلَ الْفَجْرِ وَزَمَنًا لِلْخِدْمَةِ فِي الْجَمْعِيَّةِ وَأَخْصُ يَوْمَ
الْجُمُعَةِ بِلِقَاءِ الْجَارَةِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَعَمْ مَا أَرْتَبَطْتَ الْوَجْهَةَ بِالزَّمَنِ" ثُمَّ قَالَ "مَا
زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِّثُهُ" (حَدِيثٌ).

قَالَ «رِيَانُ» "أَجْعَلْ لَوَجْهَةِ الرَّسْمِ زَمَنًا قَبْلَ الْعَصْرِ يَوْمَيْنِ فِي الْأُسْبُوعِ
وَأَرْبُطْهَا بِقِصَّةٍ أَفْرُؤُهَا فِي الْمَكْتَبَةِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَزَعْنِي مَالَ هَذِهِ الْوَجْهَةِ فَلَا
تَطْغَى عَلَى الدَّرْسِ وَلَا تُهْمِلَ صِلَةَ الرَّحِمِ" ثُمَّ قَالَ "«كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ
عَنْ رَعِيَّتِهِ»" (حَدِيثٌ).

لَمَّا أَسْتَوَتْ الْكَلِمَاتُ عَلَى الصَّفْحَةِ قَالَ الْإِمَامُ "نُقِيمُ عَلَى هَذَا الْبَيَانِ
«عَهْدَ الْوَجْهَةِ» فَنَمْضِي عَلَيْهِ شَهْرًا ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَيْهِ فَنُصْلِحُ وَنَزِيدُ وَنُقَلِّلُ بِقَدْرِ" ثُمَّ
قَالَ "نَخْتِمُهُ بِمُصَافَحَةٍ قَلْبِيَّةٍ تَقُولُ «لِزِمِ نَفُوسَنَا بَعْدَهُ لَا يُنْقَضُ إِلَّا لِمَصْلَحَةٍ
بَيِّنَةٍ»."

مَضَتْ أَيَّامٌ بَعْدَ ذَلِكَ كَانَتْهَا خُطَى تَحْفَظُ نَبْرَةَ الْمِيثَاقِ. كَانَ الصَّبَاحُ أَقْرَبَ إِلَى النُّورِ وَكَانَ الْمَسَاءُ أَلْيَنَ فِي السُّكُونِ وَكَانَتِ الْكَلِمَاتُ فِي الْبَيْتِ تَخْرُجُ مَوْزُونَةً عَلَى قَدْرِ الْوَجْهَةِ. وَمَرَّتْ حَادِثَةٌ تَخْتَبِرُ الْمِيثَاقَ إِذْ جَاءَ عَرْضٌ لِلْمُسَابَقَةِ يَسْتَهْلِكُ الزَّمَنَ فَقَالَ الْإِمَامُ "نَصْعَدُ سُلَّمِ النَّصِيحَةِ فَنَسْأَلُ أَوَّلًا الْمَقْصِدَ ثُمَّ الْمَالَ ثُمَّ نَرَى هَلْ يُوَافِقُ الْوَجْهَةَ أَمْ يَشُقُّهَا" ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (البقرة 110)

فَسَكَتِ النُّفُوسُ وَرَجَعَ الْعَرْضُ إِلَى بَابِهِ.

لَمَّا حَلَّ الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ لِلْمُرَاجَعَةِ أَقْتَرَبُوا مِنَ الصَّفْحَةِ وَفِي أَيْدِيهِمْ قُلُوبٌ صَغِيرَةٌ تُرِيدُ أَنْ تَسْمَعَ وَتُصَلِّحَ. قَالَ الْإِمَامُ "السُّؤَالُ الْيَوْمَ وَاحِدٌ مَاذَا نَعْدِلُ تَعْدِيلًا صَغِيرًا وَاحِدًا" فَقَالَتْ «رَابِيَةٌ» "نَنْقُلُ زَمَنَ الْمُرَاجَعَةِ قَلِيلًا قَبْلَ النَّوْمِ لِكَيْ يَكُونَ النَّوْمُ أَسْلَمَ" فَقَالَ الْإِمَامُ "حَسَنٌ" ثُمَّ قَالَ "«مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»" (حَدِيثٌ) "فَنَتْرُكُ مَا لَا يَخْدُمُ الْوَجْهَةَ وَنَحْفَظُ زَمَنَنَا." وَقَالَ «رِيَانُ» "أَقَلُّ يَوْمًا مِنْ زَمَنِ الرَّسْمِ لِكَيْ أُزِيدَ قِرَاءَةَ الْقِصَّةِ الْمُتَّصِلَةِ بِالْمَوْضُوعِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا تَعْدِيلٌ يَحْفَظُ الْمَقْصِدَ وَيُهَذِّبُ الزَّمَنَ."

بَعْدَ أَسَابِيعَ خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ أَثَرٌ يَشْهَدُ لِلْوَجْهَةِ. صَارَ الطَّرِيقُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ أَتْيَنَ وَصَارَ الْمَرْءُ بِالْمَسْجِدِ أَكْثَرَ سَلَامًا وَصَارَ السُّوقُ مَوْقِفَ سَلَامٍ لَا

مَزِيدَ مِنْ رَغْبَةٍ مُنْفَلِتَةٍ. وَإِذَا غَلَبَتْ هُمُ الرِّزْقِ عَلَى قَلْبِ صَاحِبٍ قَالَ الْإِمَامُ "لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُفِقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا" (حَدِيثٌ) "فَنَجْعَلُ التَّوَكُّلَ يَحْرُسُ الْوَجْهَةَ مِنْ فَرْعٍ وَنَجْعَلُ الْأَخْذَ بِالْأَسْبَابِ يَصُونُهَا مِنْ تَوَانٍ".

وَفِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الشِّتَاءِ هَبَّ رِيحٌ بَارِدٌ وَانْقَطَعَ الثُّورُ قَلِيلًا فَاجْتَمَعُوا عَلَى شَمْعَةٍ صَغِيرَةٍ وَوَرَقَةٍ أَلْمِثَاقٍ. قَالَ الْإِمَامُ "نَقْرَأُ بَيَانَنَا فَإِنْ رَأَيْنَا مَوْضِعًا ضَعْفَ قَوَيْنَاهُ وَإِنْ رَأَيْنَا مَوْضِعًا طَعَى هَذَبْنَاهُ" ثُمَّ قَرَأَ

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل 90)

فَسَكَتِ الْقُلُوبُ عَلَى قَدْرِ وَتَعَادَلَ الْقَصْدُ مَعَ الزَّمَنِ.

كَانَ مِنْ ثَمَرَاتِ «سُؤَالِ الْوَجْهَةِ» أَنَّ الْأَكَلِمَاتِ فِي الْبَيْتِ أَصْبَحَتْ أَقْرَبَ إِلَى التَّشْجِيعِ وَأَبْعَدَ عَنِ التَّثْرِيبِ وَأَنَّ الْعُمُيُونَ صَارَتْ تُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَافَةِ الَّتِي تُضِلُّ وَالطَّرِيقِ الَّذِي يُقِيمُ الْقَصْدَ وَأَنَّ اللَّيَالِي عَادَتْ إِلَى نِسْبَةِ مِنَ السُّكُونِ تُسَلِّمُ النَّوْمَ لِمَا وَضِعَ لَهُ وَتَحْفَظُ لِلصُّبْحِ فَضْلَهُ. وَإِذَا رَأَوْا فِي الْحَيِّ صَدِيقًا تَحَيَّرَ فِي الْوَجْهَةِ قَالُوا لَهُ "هَلْ سَأَلْتَ قَلْبَكَ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ" ثُمَّ قَرَأُوا عَلَيْهِ

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ (التكوير 26)

"وَهَلْ نَظَرْتَ مَاذَا قَدَّمْتَ لِعَدِيكَ" ثُمَّ قَرَأُوا

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الْحَشْرُ 18)

فَتَهْدَى الْفِكْرُ وَانْقَادَ الزَّمَنُ.

جَاءَ آخِرُ الْفَصْلِ وَفِي الْقُلُوبِ شُهُودٌ لِمَا مَضَى مِنَ السَّيْرِ. اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ فِي «يَوْمِ الْحَصَادِ الْأَوَّلِ» وَعَرَضُوا مَا كُتِبَ وَمَا عُمِلَ. قَالَتْ «حِلْمَةٌ» وَفِيهَا أَمْتَانٌ "قَدْ حَفِظَ الْوَرْدُ وَقَدْ ثَبَتَ زَمَنُ النَّوْمِ وَقَدْ رَأَيْنَا الْخِدْمَةَ تُثْمِرُ فِي الْحَيِّ سَلَامًا" فَقَالَ الْإِمَامُ "الْحَمْدُ لِلَّهِ" ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (الطَّلَاقُ 2)

وَقَالَ "وَجَعَلَ لَنَا مِنْ هَذَا الْعَهْدِ مَخْرَجًا مِنْ فَوْضَى الزَّمَنِ إِلَى قَصْدِهِ."

خَتَمَ الْمَجْلِسَ بِكَلِمَةٍ تُشَبِّهُ خَاتِمًا عَلَى صَحِيفَةٍ "لَا نَرْفَعُ عَهْدَ الْوَجْهَةِ بَعْدَ الْفَصْلِ بَلْ نُجَدِّدُهُ فِي أَوَّلِ كُلِّ فَصْلٍ وَنَحْمِلُهُ فِي طُرُقِنَا كَالدَّلِيلِ يَسْأَلُنَا كُلَّ مَسَاءٍ

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ (التَّكْوِينُ 26)

وَيُبَشِّرُنَا كُلَّ صَبَاحٍ

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الْحَشْرُ 18)

وَنُسَلِّمُ فِي الطَّرِيقِ لِسَلَامِ النَّصِيحَةِ أَنْ يَرْفَعَنَا دَرَجَةً بَعْدَ دَرَجَةٍ. " ثُمَّ قَالَ
"إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ" (حَدِيثٌ) "فَتَتَقَنُ كِتَابَتَنَا
وَنَتَقَنُ زَمَنَنَا وَنَتَقَنُ نَصِيحَتَنَا."

خَرَجُوا إِلَى الْعِشَاءِ وَفِي الْأَيْدِي وَرَقَةٌ تُسَمَّى «بَيَانَ الْوَجْهَةِ» وَفِي
الْصُّدُورِ عَهْدٌ يُسَمَّى «قَسَمَ الزَّمَنِ» فَإِذَا مَرُّوا بِالنَّاسِ قَالُوا لَهُمْ "سَلَامًا" وَإِذَا نَظَرُوا
فِي السَّاعَةِ ذَكَّرُوا أَنَّ الزَّمَانَ لَا يَزْدَادُ بِكَثْرَةِ النَّظَرِ إِلَيْهِ بَلْ يَزْدَادُ بِالْوَجْهَةِ الْمُحْكَمَةِ
وَإِذَا أَصَابَ أَحَدَهُمْ فُتُورٌ قَالَ لِنَفْسِهِ "أَحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَأَسْتَعِنْ بِاللَّهِ"
(حَدِيثٌ) وَإِذَا فَرِحَ قَالَ "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ
هَدَانَا اللَّهُ" ثُمَّ يُجَدِّدُ فِي الصَّبَاحِ قِرَاءَةَ الْآيَتَيْنِ فَيَسِيرُ عَلَى ضَوْئِهِمَا وَيَحْفَظُ
لِوَجْهَتِهِ حُرْمَتَهَا وَيُقَدِّمُ لِعَدِهِ مَا يَسْرُهُ أَنْ يَجِدَهُ عِنْدَ رَبِّهِ.

الدَّرْسُ الْخَامِسُ: جَدَلُ فُرْصَةٍ لِلثِّقَةِ

تَهَايَبْتُ سَكِينَةَ الْمَغْرِبِ عَلَى رِوَاقِ الْمَسْجِدِ فَسَكَنْتِ الْأَصْوَاتُ
وَأَنْطَوَتْ فِي الْقُلُوبِ خُطَى كَانَتْ تَسْرِعُ بِغَيْرِ بَصِيرَةٍ وَجَلَسَ الْإِمَامُ فِي الْوَسْطِ
يَجْمَعُ الْأَنْفَاسَ عَلَى قَدَرٍ وَيُهْدِئُ النَّظَرَ إِلَى الْكَلِمَةِ قَبْلَ الصَّوْتِ وَالصَّوْتِ قَبْلَ
الْحُكْمِ. تَحَلَّقَتْ أُسْرَةٌ صَالِحَةٌ حَوْلَهُ وَفِي الْوُجُودِ أَثَرُ نِقَاشٍ عَائِلِيٍّ قَدْ طَفَحَ نَهَارًا
فَتَشَابَهَتْ فِيهِ الْحُجُبُ وَالرَّغَبَاتُ كَمَا تَتَشَابَهُ الْأَمْوَاجُ عِنْدَ مُفْتَرَقِ الرِّيَّاحِ. رَفَعَ
الْإِمَامُ صَوْتَهُ بِلِينٍ يُحَسِّنُ التَّوَجُّيَةَ وَقَالَ "الْخِلَافُ يَا أَحِبَّتِي لَيْسَ أَبَا لِلْقَطِيعَةِ بَلْ
هُوَ فُرْصَةٌ نَادِرَةٌ لِنِسْبِي «الثِّقَّة» عَلَى «مِيزَانِ الْحِكْمَةِ» وَ«سُلَمِ النَّصِيحَةِ» وَ«أَدَبِ
الْإِخْتِلَافِ» وَ«أَمَانَةِ السِّرِّ». " ثُمَّ تَلَا بِتَرْتِيلٍ يُثَبِّتُ الْمَقْصِدَ فِي الصُّدُورِ

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ﴾ (النَّحْلُ 125)

ثُمَّ اتَّبَعَهَا بِمِفْتَاحِ الْإِسْتِمَاعِ الْمُنْصِفِ

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الزُّمَرُ 18)

وَقَالَ "إِذَا صَارَ الْقَلْبُ يَتَّبِعُ أَحْسَنَ الْقَوْلِ صَارَ الْجِدَالُ سُلْمًا لِمَزِيدٍ مِنَ الثِّقَّةِ لَا مَقْصَلَةَ لِلْأُلْفَةِ."

تَلَفَّتْ «صَفْوَانُ» وَفِي عَيْنَيْهِ أَثَرُ الْوَالِدِ إِذْ يَشْفُقُ عَلَى سَكِينَةَ الْبَيْتِ وَقَالَ "تَصَادَمَتْ رَأْيَاتُنَا الْيَوْمَ فِي أَمْرِ رَحْلَةٍ لِلطُّلَّابِ فَقَدْ رَأَيْتُ التَّاجِيلَ وَرَأَتْ «حِلْمَةُ» الْمُبَادَرَةَ وَاشْتَدَّ الْحَدِيثُ فَخِفْتُ عَلَى الْقُلُوبِ." فَابْتَسَمَ الْإِمَامُ ابْتِسَامَةً مَنْ يَدُلُّ الْقَدَمَ عَلَى الطَّرِيقِ وَقَالَ "نُعِيدُ الْأَمْرَ إِلَى «مِيزَانِ الْحِكْمَةِ» وَنَقُولُ مِنْ فَوْرِنَا «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»" (حَدِيثٌ) "فَنَصَحَحَ الْقَصْدَ أَوَّلًا ثُمَّ نَتَدَارَسُ الطَّرِيقَ بِرَفْقٍ."

هَمَسَتْ «حِلْمَةُ» وَفِي لَفْظِهَا حَرَارَةُ الرَّعَايَةِ "أَخَافُ أَنْ يَنْقَلِبَ الْجِدَالُ خُصُومَةً وَأَنْ تَسْتَحْكِمَ الْعِبَارَةُ فَتَجْرَحَ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نُثَبِّتُ لَأَلْسِنَتِنَا حَارِسًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ (ص) فَنَقُولُ

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (الْبَقَرَةُ 83)

وَنُرَدِّدُ «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»" (حَدِيثٌ) "فِيُصْبِحَ الصَّمْتُ حِكْمَةً إِذَا خَافَ الْقَلْبُ التَّجَاوُزَ وَتُصْبِحَ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ جِسْرًا إِلَى الثِّقَّةِ."

وَقَالَ «رِيَانُ» وَفِي صَوْتِهِ خَلِيطٌ مِنَ الْحَمَاسِ وَالتَّوَجُّسِ "أَيُّهَا السَّيِّدُ إِذَا

اُخْتَلَفْنَا فِي تَقْدِيرِ الْمَنْفَعَةِ وَالْمَضَرَّةِ فِيمَاذَا نَتَوَاسَى " فَقَالَ الْإِمَامُ "نَصْعَدُ «سَلَمَ النَّصِيحَةِ» دَرَجَةً بَعْدَ دَرَجَةٍ فَنُخْلِصُ الْقَصْدَ ثُمَّ نَسْتَعْلِمُ ثُمَّ نُرْفِقُ ثُمَّ نُبَيِّنُ ثُمَّ نَتَدَرَّجُ ثُمَّ نَقِفُ عِنْدَ «مِيزَانِ الْمَالِ» وَنَسْأَلُ مَاذَا يَتْرُكُ هَذَا الْخِيَارُ فِي الْقُلُوبِ وَفِي الزَّمَنِ. " ثُمَّ قَرَأَ

﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾
(فُصِّلَتْ 34)

لِيُثَبِّتَ أَنَّ حُسْنَ الْمُقَابَلَةِ يُقَلِّبُ الْخِلَافَ أَلْفَةً.

أَطْفُؤُوا أَضْوَاءَ الصَّخْرِ إِلَّا مِصْبَاحًا لَيْنًا وَانْتَقِلُوا إِلَى أَلْبَيْتِ لِتُقِيمُوا «مَشْهَدَ الْمُنَاطَرَةِ الْمُنْضَبِطَةِ». جَلَسُوا حَوْلَ طَاوِلَةٍ وَاسِعَةٍ وَوَضَعُوا فِي أَلْوَسَطِ صَحِيفَةً تُسَمَّى «صَحِيفَةُ الثَّقَةِ» ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ "نَجْعَلُ لِهَذَا الْمَشْهَدِ أَدَبًا يَحْرُسُهُ «مِيزَانُ الْحِكْمَةِ» فَلَا مُقَاطَعَةَ وَلَا تَجْرِيحَ وَلَا تَكَلُّفَ لِلِانْتِصَارِ وَنُثِبَتْ قَاعِدَةٌ تُقَالُ فِي الصَّدْرِ «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَالَ "يَتَكَلَّمُ كُلُّ طَرَفٍ بِقَدْرِ مَعْلُومٍ وَيُسَجَّلُ «الْكَاتِبُ الْأَمِينُ» عُقُودَ الْكَلِمَةِ وَدَلَائِلُهَا وَنَجْعَلُ «أَمَانَةَ السِّرِّ» شَرْطًا مُقَدِّمًا فَمَا قِيلَ فِي الْمَجْلِسِ لَا يُخْرَجُ لِمَنْ خَارِجُهُ إِلَّا بِرِضَى بَيْنٍ فَ«الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ» (حَدِيثٌ).

أَبْتَدَأَتِ الْمُنَاطَرَةُ عَلَى أَمْرِ الرَّحْلَةِ. قَالَتْ «حِلْمَةٌ» وَفِي نَبَرَتِهَا مَزِيحٌ

الْغَيْرَةِ عَلَى الْأَبْنَاءِ وَحِرْصُ الْمَنْفَعَةِ "أَرَى أَنَّ الرَّحْلَةَ تُقِيمُ فِي الْقُلُوبِ فَرَحًا نَقِيًّا وَتُعَلِّمُ النَّظَرَ فِي الْأَمَاكِينِ وَالْأَزْمَنَةِ وَتُثَبِّتُ صِلَةَ الصُّحْبَةِ عَلَى قَدَرٍ" فَأَشَارَتْ إِلَى «مِيزَانِ الْمَالِ» وَقَالَتْ "أُقَدِّرُ لِهَذَا أَثَرًا بَعْدَ أُسْبُوعٍ وَشَهْرٍ فَيَكُونُ الْإِنْسَاطُ أَلَيْنَ وَيَكُونُ الْعِلْمُ أَقْرَبَ". ثُمَّ تَكَلَّمَ «صَفْوَانُ» وَقَالَ "أَخْشَى تَزَاوَحَ الْبَرَامِجِ وَأَخْشَى إِرْهَاقَ الزَّمَنِ فَتَفْقِدَ قَدْرًا مِنْ دِرَاسَةٍ أَوْ صِلَةٍ" وَأَشَارَ إِلَى «مِيزَانِ الْوَقْتِ» وَقَالَ "نُرَاجِعُ الْأَثَرَ قَبْلَ الْإِبْتِدَاءِ".

تَدَاوَلُوا الرَّأْيَ وَقَدْ وَقَفَ «الْإِمَامُ» حَكَمًا رَحِيمًا لَا يَمِيلُ إِلَّا لِلْأَدَبِ. قَالَ "نُدْخِلُ آيَةَ الْأَمِّ فِي كُلِّ حِوَارٍ

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ (النحل 125)

فَنَضْعُ «الْحِكْمَةَ» فِي الصَّدْرِ ثُمَّ نَجْعَلُ «الْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ» ظِلًّا يَرِيقُ مَعَ الْقَلْبِ ثُمَّ نُقِيمُ «الْمُجَادَلَةَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» سُلْمًا لَا سَيْفًا. "ثُمَّ ذَكَرَ" «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ» (حَدِيثُ) "فَنَجْعَلُ كُلَّ جُمْلَةٍ نَصِيحَةً لَا تَشْهَرُ وَأَكُلَّ تَصْوِيبٍ رِفْقًا لَا كِبَرًا".

حِينَ ارْتَفَعَ الْحِوَارُ دَرَجَةً قَالَ الْإِمَامُ "نَسْتَحْضِرُ قَاعِدَةً تُطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»" (حَدِيثُ) "فَلَا نَسْرِفُ فِي نَقْلِ الْكَلِمَاتِ وَلَا نَبْنِي الْحُكْمَ عَلَى ظَنٍّ مُتَعَجِّلٍ". ثُمَّ قَرَأَ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ (الْحُجُرَاتُ 12)
لِيُطَهَّرَ مَجْرَى الْجَوَارِ مِنَ الظَّنَّةِ.

طَالَ الْكَلَامُ قَلِيلًا ثُمَّ انْقَادَ لِلْأَدَبِ. نَظَرَ «رِيَانُ» إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ "أَتَعَلَّمُ
الْآنَ أَنَّ أَقُولَ «لَا أَدْرِي» إِذَا ضَاقَ عَلَمِي وَأَنْ أَتَسِمَّ لِأَخْتِي وَهِيَ تُخَالِفُنِي". فَقَالَ
الْإِمَامُ "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَذْكُرُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ" (حَدِيثٌ)
"فَاحْفَظُوا حُسْنَ الْخُلُقِ فَهُوَ سَلَمُ الثَّقَةِ". ثُمَّ زَادَ "أَثْقَلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ
حُسْنُ الْخُلُقِ" (حَدِيثٌ) فَاسْتَقَرَّتِ الْعِبَارَاتُ فِي الصُّدُورِ كَأَنَّهَا مَفَاتِيحُ أَمَانٍ.

لَمَّا أَنْتَهَى الْمَشْهُدُ وَقَدْ زَالَتْ حِدَّةُ النَّفُوسِ قَالَ الْإِمَامُ "نُحَوِّلُ هَذِهِ
الدُّرُوسَ إِلَى عَمَلٍ مُّتِمِّمٍ فَنُنَشِّئُ «بِطَاقَةَ حُكْمٍ عَائِلِيَّةٍ» نُسَجِّلُ فِيهَا أَثْنَاءَ الْأُسْبُوعِ
«نُقْطَ الْأَدَبِ» وَ«نُقْطَ الرَّفْقِ» وَ«نُقْطَ الْإِنْصَاتِ» وَ«نُقْطَ كَظْمِ الْغَيْظِ» ثُمَّ نَكَافِي
«أَحْسَنَ خُلُقٍ» فِي آخِرِ الْأُسْبُوعِ". ثُمَّ قَالَ "نَجْعَلُ لِلْبِطَاقَةِ شَاهِدَيْنِ مِنَ الْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ فَنَكْتُبُ فِي صَدْرِهَا

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (فُصِّلَتْ 34)

وَنُشِبَّتْ تَحْتَهَا «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُتَّقِ اللَّهَ تَقَاتُلًا أَوْ
لِيَصُمُتْ» (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَالَ "وَنُخْفِي مَعَ الْبِطَاقَةِ قَاعِدَةَ السَّرِّ فَمَنْ أَوْثَمَ عَلَى
كَلِمَةٍ فَلْيَصْنُهَا فَ«الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ»" (حَدِيثٌ) "وَمَنْ سَتَرَ حَدِيثًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ" (حَدِيثٌ).

انْصَرَفُوا ذَلِكَ الْمَسَاءَ وَفِي الْبَيْتِ نَفْسٌ جَدِيدٌ. صَارَتِ الْكَلِمَاتُ أَلَيْنَ
وَصَارَ الْإِشَارَةُ إِلَى الْحُجَّةِ تَكْرِيماً لَا تَنْقِصاً وَصَارَ الصَّمْتُ عِنْدَ الْإِشْتِيَاهِ عِبَادَةً
يُوجَرُ عَلَيْهَا الْقَلْبُ. وَحِينَ دَخَلَ الصَّبَاحُ قَرَأُوا مَعاً

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الرُّمُّ 18)

فَتَذَكَّرُوا أَنَّ سَبِيلَ الْفَضْلِ أَنْ يَبْحَثَ الْقَلْبُ عَنْ «أَحْسَنِ الْقَوْلِ» لَا عَنْ
«أَعْلَاهُ». ثُمَّ قَرَأُوا فِي الْمَسَاءِ

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (الْبَقَرَةُ 83)

فَتَذَكَّرُوا أَنَّ الْكَلِمَةَ زَرْعٌ وَأَنَّ الْحَصَادَ سَيَاتِي لَا مَحَالَةَ.

وَقَعَتْ بَعْدَ أَيَّامٍ حَادِثَةٌ اخْتَبَرْتُ «مِيزَانَ الثَّقَةِ». اخْتَلَفَ «رِيَانُ» وَ«رَابِيعَةُ»
فِي قِصَّةِ مَشْرُوعٍ صَفِّيٍّ، أَيْ عَمَلٍ جَمَاعِيِّ يَتَقَاسَمُ فِيهِ طُلَّابُ الصَّفِّ الْمَهَامَ
بِإِشْرَافِ الْمُعَلِّمِ وَعَلَى هَدَفٍ تَعْلُمِيٍّ مُحَدَّدٍ وَزَمَنِ مَعْلُومٍ وَنَتَاجٍ يُعْرَضُ عَلَى
الْجَمَاعَةِ، ثُمَّ ارْتَفَعَ الصَّوْتُ قَلِيلاً ثُمَّ تَذَكَّرَا «سَلَّمَ النَّصِيحَةِ» فَاسْتَأْنَسَا بِالرَّفْقِ
وَجَلَسَا يَتَبَادَلَانِ الْقَوْلَ بِأَدَبٍ. قَالَتْ «رَابِيعَةُ» «أَعْتَرِفْتُ أَنِّي تَعَجَّلْتُ» فَقَالَ «رِيَانُ»
«وَأَنَا زِدْتُ فِي الشَّرْحِ فَاتَّعَبْتُكَ» فَابْتَسَمَ الْإِمَامُ وَقَالَ «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ
وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» (حَدِيثٌ)

"فَالْعَفْوُ يَنْبِي الثِّقَّةَ وَيَرْفَعُ قَدْرَ الْمُتَنَاظِرِينَ".

وَكَانَ مِنْ سُنَنِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَفْتَتِحُوا كُلَّ نِقَاشٍ بِقِرَاءَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ (النحل 125)

وَأَنْ يَخْتِمُوهُ بِدُعَاءٍ وَادِعٍ "اللَّهُمَّ اهْدِنَا لَأَحْسَنِ الْأَقْوَالِ وَأَحْسَنِ الْأَعْمَالِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ" (حَدِيثٌ). فَإِذَا أَنْفَضَ الْمَجْلِسُ تَفَقَّدُوا «بِطَاقَةَ الْحُكْمِ» فَيَزِيدُونَ نُقْطَةً لِحُسْنِ خُلُقٍ وَنُقْطَةً لِرَفْقٍ وَنُقْطَةً لِكَلِمَةٍ حَقٍّ قِيلَتْ بِلِينٍ. وَفِي آخِرِ الْأُسْبُوعِ يَقُومُ الْإِمَامُ فَيُعَلِّمُ "صَاحِبَ أَحْسَنِ الْخُلُقِ" ثُمَّ يَهْدِي جَائِزَةً مَعْنَوِيَّةً يُقَالُ فِيهَا "سَلَامًا عَلَيْكَ مَا أَحْسَنَكَ أَدَبًا وَمَا أَنْصَفَكَ سَمْعًا" فَيَسْتَقِرُّ فِي الْقُلُوبِ أَنَّ الْفَضْلَ لِلْأَدَبِ قَبْلَ الْعَلَبَةِ.

مَرَّتْ شُهُورٌ قَلِيلٌ وَقَدْ تَحَوَّلَتْ «فُرْصَةُ الْجَدَلِ» إِلَى رَأْسِ مَالٍ عَائِلِيٍّ يُمَوِّلُ «ثِقَةً» تَكْبُرُ مَعَ الزَّمَنِ. صَارَ الْغَدُوُّ إِلَى الْمَدْرَسَةِ أَيْسَرَ لِأَنَّ الْقُلُوبَ تَتَبَادَلُ الْغُدْرَ قَبْلَ الْمَلَامِ وَصَارَ الْمَسَاءُ أَلْيَنَ لِأَنَّ الْأَلْسِنَةَ تَعْرِفُ مَوَاضِعَ الصَّمْتِ وَمَوَاقِعَ الْبَيَانِ وَصَارَ الصَّغَارُ يُجَرَّبُونَ «حَوَارًا صَغِيرًا» فِي فَنَائِهِمْ فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ "أَرَى كَذَا" فَيَقُولُ ثَانِيهِ "أَسْمَعُكَ" ثُمَّ يَقُولَانِ سَوِيًّا "نَتَّبِعُ أَحْسَنَ الْقَوْلِ" تَذْكَارًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الزمر 18).

وَإِذَا عَرَضَتْ قَضِيَّةٌ تَمَسُّ الْخُصُوصِيَّةَ قَالَ الْإِمَامُ "هَا هُنَا تُقِيمُ «أَمَانَةً

السِّرِّ» سُلْطَانَهَا فَلَا نَبُوحُ بِمَا يَفْضَحُ أَلْبَيْتَ وَلَا نَنْقُلُ مَا يُثِيرُ فِتْنَةً فَالْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ" (حَدِيثٌ) "وَمَنْ سَتَرَ حَدِيثًا سَتَرَهُ اللَّهُ" (حَدِيثٌ) "وَنَجْعَلُ لِحِفْظِ الْأَسْرَارِ ثَوَابًا يَظْهَرُ فِي «بِطَاقَةِ الْحُكْمِ» نَقْطَةً زَائِدَةً تُمَازِلُ نَقْطَةَ الرَّفْقِ". وَإِذَا وَقَعَتْ نَازِلَةٌ فِي الْحَيِّ قَالَ "تَتَشَاوَرُ عَلَيَّ «سَلَامُ النَّصِيحَةِ» ثُمَّ نُبَلِّغُ مَنْ يَلْزَمُ بِلِسَانٍ لَيْنٍ وَحُجَّةٍ بَيِّنَةٍ" تَذْكَارًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾ (النحل 125).

حَفِظَ أَلْبَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ «مِثَاقًا» يُتْلَى عِنْدَ الْإِخْتِلَافِ. يَقُومُ الْكَبِيرُ فَيَقُولُ "نُشْهِدُ اللَّهَ أَنَّ قَصْدَنَا الْحَقَّ وَالرَّفْقَ" ثُمَّ يَقُولُ "نَنْبَعُ فِي الْحَوَارِ «مِيزَانَ الْحِكْمَةِ» وَ«أَدَبَ الْإِخْتِلَافِ» وَ«سَلَامَ النَّصِيحَةِ» وَنَحْفَظُ «أَمَانَةَ السِّرِّ» ثُمَّ يَخْتِمُ "نَرْجُو مِنَ اللَّهِ سَدَادًا وَهُدًى" وَيَقُولُ "اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الْأَقْوَالِ" (حَدِيثٌ). فَيُصْبِحُ أَلْبَيْتُ كَأَنَّهُ مَدْرَسَةٌ لِلْقَلْبِ تَعَلَّمَتْ كَيْفَ تَحَوُّلِ الْإِخْتِلَافِ تَدْرِيبًا عَلَى الثَّقَةِ.

وَحِينَ جَاءَ «يَوْمَ الْحَصَادِ الْأَوَّلِ» فِي آخِرِ الْفَصْلِ اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ وَقَدْ حَمَلَ كُلُّ مِنْهُمْ «صَحِيفَةً نُقِطَ» تَحْكِي أَدَبًا تَزَايَدَ وَصَبْرًا تَثَبَّتْ وَثَقَّةً نَمَتْ. قَالَ الْإِمَامُ "انْظُرُوا كَيْفَ صَارَ الْجِدَالُ سَبَبًا فِي قُرْبٍ لَا بُعْدَ وَكَيْفَ صَارَتْ الْكَلِمَةُ مِفْتَاحًا لِلْقَلْبِ لَا مِعْوَلًا يَهْدِمُ أَلْبُيُوتَ" ثُمَّ قَرَأَ

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (فصلت 34)

وَاتَّبَعَهَا

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الرُّمُّ 18)

وَقَالَ "هَذَانِ مِفْتَاحَا «ثِقَةٍ» تُبْنَى وَ«خِلَافٍ» يُهْذَبُ."

ثُمَّ قَامَ فَأَعْلَنَ "صَاحِبَ أَحْسَنِ الْخُلُقِ" فَإِذَا هُوَ «رِيَانُ» لِأَنَّهُ كَظَمَ غَيْظًا
يَوْمًا وَقَالَ كَلِمَةً حَقٌّ بِلِينٍ وَأَعْتَذَرَ عَنْ زَلَّةٍ عِبَارَةٍ فَصَارَتْ لَهُ فِي الْقُلُوبِ مَكَانَةً
وَفِي الصَّحِيفَةِ نُقْطَةً زَائِدَةً. وَقَالَ الْإِمَامُ "نُهِدِيكَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ «أَسْتَمْسِكُ بِالْحِلْمِ
فَإِنَّهُ زِينَةُ الْعِلْمِ وَمِفْتَاحُ الثَّقَةِ»" ثُمَّ دَعَا لِلْبَيْتِ بِالسَّدَادِ وَقَالَ "نُجَدِّدُ عَهْدَنَا أَنْ
نَجْعَلَ كُلَّ خِلَافٍ مُحَرَّابًا لِلتَّقْوَى وَمَعُولًا لِلْبِنَاءِ."

وَهَكَذَا اسْتَقَامَ «جَدَلُ فُرْصَةِ الثَّقَةِ» طَرِيقًا يُفِيضُ عَلَى الْبَيْتِ أَمْنًا وَعَدْلًا
وَأَدَبًا. فَإِذَا سَارُوا فِي الطَّرِيقِ تَذَاكَّرُوا

﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ (النَّحْلُ 125)

فَلَا يَدْعُونَ إِلَّا بِالْحِلْمِ وَلَا يُجَادِلُونَ إِلَّا بِأَحْسَنِهَا وَإِذَا جَلَسُوا عَلَى مَائِدَةٍ
تَذَاكَّرُوا

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الرُّمُّ 18)

فَيُحِثُّونَ عَنْ أَحْسَنِ الْقَوْلِ فَيَتَّبِعُونَهُ وَيَدْعُونَ مَا سِوَاهُ. وَإِذَا بَاغَتْهُمْ

غَضَبٌ قَالُوا "لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ" (حَدِيثٌ) فَيَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَيَعْبُرُونَ إِلَى سَعَةٍ.

وَبَقِيَتْ «بِطَاقَةُ الْحُكْمِ الْعَائِلِيَّةِ» تُعَلِّقُ قُرْبَ «صَحِيفَةِ الثَّقَةِ» تَشْهَدُ أَنَّ الْأُسْرَةَ إِذَا جَعَلَتْ الْكِتَابَ دَلِيلًا وَالسُّنَّةَ مِيزَانًا وَالرَّفْقَ سَبِيلًا انْقَلَبَ الْخِلَافُ مَهْرَجَانِ فَضْلٍ. وَكُلَّمَا قَرَأُوا فِي الصَّدْرِ

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾ (النحل 125)

وَالَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴿(الزمر 18)

شَعُرُوا أَنَّ الْكَلِمَةَ إِذَا أُحْسِنَتْ صَارَتْ عِمَادًا لِلثَّقَةِ وَأَنَّ الْحُكْمَةَ إِذَا تَقَدَّمَتْ صَارَ الْجِدَالُ طَرِيقًا إِلَى الْمَحَبَّةِ لَا مَطِيَّةَ لِلشُّفَاقِ. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ وَسَخَّرَ لِلْقُلُوبِ مِيزَانًا يَعْدِلُ وَسَلَامًا يَرْفَعُ وَأَدَابًا تُزْهَدُ فِي الدَّعَاوَى وَتُقْبَلُ عَلَى الْبَيِّنَاتِ.

الدَّرْسُ السَّادِسُ: مِثَاقُ الْكَلِمَةِ

تَهَا بَطَتْ سَكِينَةُ الْمَغْرِبِ عَلَى رِوَاقِ الْمَسْجِدِ فَهَدَّاتِ الْخُطَى وَأَنْثَنَتْ
الْأَصْوَاتُ كَأَنَّهَا أَمْوَاجُ صَغِيرَةٍ تَتَكَسَّرُ عَلَى شَاطِئِ الطُّمَانِينَةِ، وَجَلَسَ الْإِمَامُ فِي
الْوَسْطِ يُقِيمُ لِلْقُلُوبِ مِيزَانًا وَلِلْأَلْسِنَةِ حَارِسًا، وَحَوْلَهُ أُسْرَةٌ تَسْتَمِعُ بِقُلُوبٍ مُنْصِتَةٍ
إِلَى كَلَامٍ يُرِيدُ أَنْ يَصِيرَ عَهْدًا. رَفَعَ الْإِمَامُ بَصَرَهُ وَقَدْ سَكَنَتِ النُّفُوسُ، ثُمَّ تَلَا
بِصَوْتٍ يُثَبِّتُ الْمَقْصِدَ فِي الصُّدُورِ

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الْأَسْرَاءُ 53)،

ثُمَّ اتَّبَعَهَا بِحَارِسِ الْكَلِمَةِ الْخَفِيِّ

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق 18)،

وَقَالَ "إِذَا حَفِظَ الْقَلْبُ مِثَاقَهُ حَفِظَتِ الْكَلِمَةُ نَسَبَهَا فَلَا تَتَسَرَّعُ إِلَى
أَدَى وَلَا تَنْزِلِقُ إِلَى بَهْتٍ، وَإِذَا تَرَكَ الْقَلْبُ مِيزَانَهُ خَرَجَتِ الْكَلِمَةُ عَارِيَةً فَشَقَّتْ
وَأَوْجَعَتْ."

قَالَ «صَفْوَانُ» وَفِي صَوْتِهِ هَمْ رَشِيدٌ "يَا سَيِّدَنَا تُسَابِقُنَا الْكَلِمَاتُ فِي أَلْبَيْتٍ حِينَ يَغْلِبُ الْأَرْهَاقُ وَتَتَفَتَّحُ لِلصَّغَارِ أَبْوَابُ الْحَوَارِ فَلَا نُحْسِنُ فِي كُلِّ مَوْقِعِ الْإِخْتِيَارِ" فَأَبْتَسَمَ الْإِمَامُ وَقَالَ "نُقِيمُ الْيَوْمَ «مِيثَاقَ الْبَيَانِ» فِي بَيْتِكُمْ كَمَا يُقِيمُ الرَّاعِي حَرَسًا عَلَى الْمَسِيرِ، وَنُدْرِبُ أَلْسِنَتَنَا عَلَى «جُمْلِ التَّهْدِئَةِ» الَّتِي تُطْفِئُ السَّجَالَ وَ«إِحَالَةَ الْخِلَافِ» إِذَا ضَاقَ الْوَقْتُ أَوْ اشْتَدَّتِ النَّفُوسُ. ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَحْضِرُ عَظَمَ الْخَطَرِ "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ" (حَدِيثٌ)، "فَكَيْفَ بِكَلِمَةٍ تَخْرُجُ عِنْدَ غَضَبٍ أَوْ عُجْبٍ أَوْ مُسَارَعَةٍ لَا رَشَادَ مَعَهَا."

جَلَسَتْ «حِلْمَةُ» قَرِيبًا مِنَ الْإِمَامِ وَقَالَتْ وَعَيْنَاهَا تَلْتَمِسَانِ دَلِيلًا لِالْتِرْبِيَةِ "نَحْتَاجُ يَا سَيِّدَنَا جُمْلًا قَصِيرَةً تَرُدُّ عَنَّا سُورَةَ الْحَوَارِ إِذَا أَرْنَفَعَ وَتُبْقِي عَلَى مَوَدَّةٍ تُنَادِي الْقُلُوبَ قَبْلَ الْأَسْمَاعِ." فَقَالَ الْإِمَامُ "نَعَمْ، وَنَزِدُ عَلَى ذَلِكَ «مِيزَانَ الْوَقْتِ» فَلَا نُجِيبُ عِنْدَ الْإِشْتِعَالِ بَلْ نَأْخُذُ لَأَنْفُسِنَا نَفْسًا وَقَدْرًا، وَنُقِيمُ «مِيزَانَ الْمَزَاحِ» فَلَا نَجْعَلُ الضَّحْكَ سُلْمًا لِيُجْرَحَ وَلَا لَسَعًا لِقَلْبٍ، وَنَحْرُسُ مَعَ اللِّسَانِ «مِيثَاقَ الْعَيْنِ» فَالْعَيْنُ بَابُ الْكَلِمَةِ وَالنَّظَرُ يَجْرُ الْعِبَارَةُ؛ فَإِذَا غَضَّتِ الْعَيْنُ اسْتَقَامَتِ الْكَلِمَةُ." ثُمَّ قَرَأَ

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾

(النُّورُ 30-31)،

وَعَقَّبَ "حِينَ يَسْتَقِيمُ بَابُ النَّظَرِ تَسْلَمُ سَاحَةُ الْبَيَانِ".

وَقَامَ «رِيَّانُ» وَفِي صَوْتِهِ نَبْرَةٌ شَابٌّ يَتَعَلَّمُ ضَبْطَ نَفْسِهِ "أَطْلُبْ يَا سَيِّدَنَا صِغَةً أَتَمَرْنُ عَلَيْهَا عِنْدَ الْإِسْتِبَاكِ فِي الْحَوَارِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَبْدًا بِقَوْلٍ يُثَبِّتُ الْإِنْتِسَابَ إِلَى الْخَيْرِ وَيُهْدِي الْمَوْقِفَ، فَتَقُولُ «أَسْمَعُكَ الْآنَ وَأَحْتَاجُ إِلَى نَفْسٍ قَصِيرٍ ثُمَّ أُجِيبُ»، وَتَقُولُ «الْتِمَسْ لَكَ عُذْرًا فَهَلْ نُؤَجِّلُ الْحُكْمَ حَتَّى تَتَبَيَّنَ الْمَعْلُومَاتُ»، وَتَقُولُ «قَدْ أَخْطَأْتُ فِي الْعِبَارَةِ فَأَغْفِرْ لِي» إِنْ كَانَتْ أُخْطِئَ، وَتَقُولُ «أَعُدُّ إِلَى الْمَوْضُوعِ دُونَ تَجْرِيجٍ» إِذَا زَلَّ الْحَوَارُ إِلَى الْأَشْخَاصِ. " ثُمَّ قَالَ "وَإِنْ أَشْتَدَّ الْأَمْرُ قُلْ «نُحِيلُ الْخِلَافَ إِلَى مَجْلِسِ الْعَائِلَةِ بَعْدَ الْعِشَاءِ» فَتَجْمَعُ «مِيزَانَ الْوَقْتِ» وَ«سَلَّمَ النَّصِيحَةَ» فِي جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ."

أَطْفَأُوا مَصَابِيحَ الرُّوَاقِ إِلَّا ضَوْءًا لَيْنًا وَانْتَفَلُوا إِلَى الْبَيْتِ كَيْ يَنْعَقِدَ «مَشْهُدُ التَّدْرِيبِ». جَلَسُوا حَوْلَ طَاوِلَةٍ وَاسِعَةٍ وَفِي الْوَسْطِ صَحِيفَةٌ سَمِيكَةٌ خَالِيَةٌ كَأَنَّهَا قَلْبٌ يَنْتَظِرُ عَهْدًا. قَالَ الْإِمَامُ "نَكْتُبُ فِي الصِّدْرِ «مِيثَاقُ الْبَيَانِ» ثُمَّ نُثَبِّتُ تَحْتَهُ آيَةَ الْأَمِّ

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الْإِسْرَاءُ 53)

وَنَجْعَلُ بِإِزَائِهَا

﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق 18)

لِيُظَلَّ الْقَلْبُ مُسْتَحْضِرًا الرَّقِيبَ وَالْإِحْسَانَ. " ثُمَّ قَالَ "نَسْتَفْتِحُ الْقَوَاعِدَ بِكَلِمَةٍ مِنْ سُنَّتِهِ (ص) «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُتَّقِ اللَّهَ تَقَاتُلًا أَوْ لِيَصُمْتُ»" (حَدِيثٌ)، "فَالصَّوْمُ فِي مَوْضِعِهِ عِبَادَةٌ وَحِرَاسَةٌ."

قَالَتْ «رَابِيَّةُ» وَقَلْبُهَا يَتَعَلَّمُ رِفْقَ الْعِبَارَةِ "أَجْرِبُ الْآنَ يَا سَيِّدَنَا" ثُمَّ مَالَتْ إِلَى «رِيَّانَ» وَقَالَتْ "أَسْمِعْكَ وَأَحْتَاجُ إِلَى نَفْسٍ قَصِيرٍ ثُمَّ أَرُدُّ فَهَلْ تَأْذُنُ" فَابْتَسَمَ «رِيَّانُ» وَقَالَ "أَذْنْتُ وَأَنَا أَلْتَمِسُ لَكَ عُذْرًا"، فَقَالَ الْإِمَامُ "هَكَذَا تُؤَلِّدُ الطَّمَأْنِينَةَ مِنْ جُمْلَتَيْنِ وَتَنْطَفِئُ نَزْعَةُ الشَّيْطَانِ. " ثُمَّ قَرَأَ

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ (الْإِسْرَاءُ 53)

مَذْكُرًا بِخَطُورَةِ الْفُرْقَةِ إِذَا سَاءَ الْبَيَانُ.

وَقَالَ الْإِمَامُ "نَتَدَرَّبُ عَلَى «إِحَالَةِ الْخِلَافِ» فَإِذَا ضَاقَ الْمَجْلِسُ عَنِ الْبَيَانِ قَالَ الْأَحَدُ «تُوجَّلُ الْحُكْمُ وَنَرْجِعُ بَعْدَ سَكِينَةٍ»، وَنَضَعُ لِذَلِكَ مِيزَانًا مِنَ الْكِتَابِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الْحُجُرَاتُ 6)

فَلَا يَصِحُّ الْحُكْمُ قَبْلَ التَّبَيُّنِ، وَنَسْتَحْضِرُ «مِيزَانَ الْوَقْتِ» فَتُسَلِّمُ السَّاعَةُ لِلشُّكُونِ ثُمَّ نَعُودُ. " ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (الْعَصْرُ 1-3)

لِيُثَبِّتَ أَنَّ حِفْظَ الزَّمَنِ وَالصَّبْرَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَعْدَةِ فِي الْبَيَانِ.

وَنَظَرَ الْإِمَامُ نَحْوَ الصَّغَارِ وَقَالَ "لِلْمِزَاحِ مِيزَانٌ كَمِيزَانِ الذَّهَبِ فَإِنْ زَادَ
أَدَّى كَانَ شَرًّا، وَإِنْ صَادَفَ قَلْبًا رَقِيقًا كَانَ جُرْحًا. «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا
اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ»" (حَدِيثٌ)، "وَوَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ
لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ" (حَدِيثٌ)، "فَنَقِمْ مِيزَانًا يَقُولُ «نَمْرُحُ بِحَقٍّ وَلَا نَسْتَهْزِئُ
بِنَفْسٍ وَلَا نَلْمُ وَلَا نُغْرِي قَلْبًا بِغَمٍّ». ثُمَّ قَرَأَ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ﴾ (الْحُجُرَاتُ 11)

لِيُحَصِّنَ الْمِزَاحَ بِالْأَدَبِ.

وَأَمْسَكَ الْإِمَامُ قَلَمًا وَقَالَ "نَكْتُبُ الْآنَ صِغَةً مُحْكَمَةً نَتَدَرَّبُ عَلَيْهَا" ثُمَّ
أَشَارَ إِلَى الصَّحِيفَةِ فَقَالَ "نَجْعَلُ فِيهَا عَشْرَ جُمَلٍ لِلتَّهْدِئَةِ وَخَمْسَ جُمَلٍ لِإِحَالَةِ
الْخِلَافِ وَثَلَاثَ إِشَارَاتٍ لِمِيشَاقِ الْعَيْنِ". وَقَالَ "تَقُولُ «سَمِعْتُكَ وَأَحْتَاجُ إِلَى
تَدَبُّرٍ»، وَلَا أُرِيدُ الْجَرْحَ وَإِنَّمَا أَبْتَغِي الْبَيَانَ»، وَ«نُؤَخِّرُ الرَّدَّ حَتَّى يَسْكُنَ الْقَلْبُ»،
و«أَعْتَذِرُ عَنْ شِدَّةِ اللَّفْظِ»، وَ«هَلْ نُرْتَّبِ لِلْجَوَابِ وَقَتًا مُّحَدَّدًا». ثُمَّ قَالَ "وَفِي
«إِحَالَةِ الْخِلَافِ» نَقُولُ «نَجْعَلُ لِلْقَضِيَّةِ مَحَلًّا مُّشْتَرَكًا غَدًا»، وَ«نَسْتَدْعِي شَاهِدًا

مِنَ الْعَائِلَةِ يَسْمَعُ وَيَقُومُ»، وَ«نُحِيلُ التَّغَابُنَ إِلَى مَجْلِسِ الرَّحْمَةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ». ثُمَّ اتَّبَعَ "وَفِي «مِيثَاقِ الْعَيْنِ» نُسِيتُ «أَغْضُ نَظْرِي عَمَّا يُهْدِرُ كَرَامَتَكَ»، وَ«لَا أَنْظُرُ إِلَى عَثْرَتِكَ لِأَكْبَرَهَا»، وَأَقِفْ عِنْدَ حُدُودِ الْخُصُوصِيَّةِ فَلَا أَتَجَسَّسُ». ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ (الْحُجُرَاتُ 12)

تَثْبِيثًا لِلْحَدِّ.

هُنَا قَالَ «رِيَّانُ» وَهُوَ يَتَذَكَّرُ مَوَاقِفَ سَابِقَةٍ "قَدْ تَعَجَّلُ الْأَسْتِنَا فَنَقَعَ فِي تَوْقِيعٍ عَلَى مَا لَا نَعْلَمُ" فَقَالَ الْإِمَامُ "هَهُنَا يَحْضُرُنَا قَوْلُهُ تَعَالَى

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الْإِسْرَاءُ 36)

فَلَا نُلْحِقُ حُكْمًا بِدُونِ بَيِّنَةٍ، وَنَتَذَكَّرُ قَاعِدَةَ جَامِعَةٍ «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» (حَدِيثٌ)، "فَتَرَفُّقُ بِالْأَخْبَارِ وَنُحْسِنُ التَّثَبُّتَ، وَنَجْعَلُ لِكَلِمَاتِنَا «سُلَّمُ قَبُولٍ» أَوَّلَ دَرَجَاتِهِ الصَّدْقُ ثُمَّ الْعَدْلُ ثُمَّ الرَّحْمَةُ".

وَإِذَا وَقَفَ أَلْبَيْتُ عَلَى حَافَةِ غَضَبٍ قَالَ الْإِمَامُ "نُحِكُ قُلُوبَنَا بِحِكْمَةٍ مَأْثُورَةٍ «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالْصُّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»" (حَدِيثٌ)، "فَإِذَا مَلَكَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ مَلَكَ كَلِمَتَهُ، وَإِذَا مَلَكَ كَلِمَتَهُ نَالَ مَحَبَّةً فِي الْأَقْلُوبِ وَسَكِينَةً فِي الْبُيُوتِ". ثُمَّ زَادَ "وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ الْأَسْتِنَةِ" (حَدِيثٌ) فَارْتَجَّ لِلْقَلْبِ وَقَارَ يَحْرُسُ اللَّفْظَ.

وَلَمَّا اكْتَمَلَتِ الْأَنْقَوَاعُ قَالَ الْإِمَامُ "نَمْضِي إِلَى الْمَشْهَدِ الْعَمَلِيِّ" فَجَمَعَ الْأُسْرَةَ فِي الْغُرْفَةِ الْوَاسِعَةِ وَقَالَ "سَنُجْرِي مُنَاطَرَةً خَفِيفَةً فِي أَمْرِ يَتَكَرَّرُ فِي الْأُبُيُوتِ لِنَرَى كَيْفَ يَعْمَلُ «مِيثَاقُ الْبَيَانِ» وَ«مِيزَانُ الْمِزَاحِ» وَ«مِيثَاقُ الْعَيْنِ». " ثُمَّ طَرَحَ مَسْأَلَةً لَطِيفَةً فِي تَنْظِيمِ زَمَنِ الْقِرَاءَةِ وَالْإِسْتِرَاحَةِ. تَكَلَّمَ «رِيَّانُ» فَقَالَ "أَفْتَرِحُ أَنْ نُقَدِّمَ زَمَنَ الْقِرَاءَةِ قَبْلَ الْعِشَاءِ" فَقَالَتْ «رَايِيَّةُ» "أَرَى أَنْ يَبْقَى بَعْدَهُ لِأَنَّهُ أَدْوَمُ"، فَقَالَ الْإِمَامُ "هُنَا نَفْعَلُ «جُمْلَ التَّهْدِيَةِ» فَتَقُولُ «أَسْمَعُكَ وَأُجَرِّبُ يَوْمَيْنِ» وَتَقُولِينَ «أَسْمَعُكَ وَأُقِيمُ الْأَثَرَ بَعْدَ يَوْمَيْنِ» ثُمَّ نَقِفُ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى

﴿فَتَسَيِّئُوا﴾ (الْحُجُرَاتُ 6)

فَنَحْكُمُ لِلْمَصْلَحَةِ بَعْدَ بَيِّنَةٍ."

وَقَامَ «صَفْوَانُ» يَكْتُبُ فِي صَحِيفَةٍ صَغِيرَةٍ «مِيثَاقَ الْكَلِمَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِمْ مَا كَتَبَ "نَقُولُ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَنَكْتُبُ كُلَّ صَبَاحٍ هَذِهِ الْآيَةَ

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الْإِسْرَاءُ 53)،

وَنَتَذَكَّرُ عِنْدَ الْمَسَاءِ

﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق 18).

نُؤَخِّرُ الرَّدَّ عِنْدَ الْإِشْتِعَالِ، وَنُحِيلُ الْخِلَافَ إِلَى مَجْلِسٍ مَعْلُومٍ. نَمْرُحُ

بِحَقٍّ وَلَا نُؤْذِي، نَسْتُرُ الْعَثَرَاتِ وَلَا نَفْتَحُ أَبْوَابَ التَّجَسُّسِ، نَغْضُ النَّظَرَ وَنَحْفَظُ الْخُصُوصِيَّةَ". فَقَالَ الْإِمَامُ "أَحْسَنْتَ، وَنَزِيدُ تَحْتَ الْعَهْدِ كَلِمَتَيْنِ مِنْ سُنَّتِهِ «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ»" (حَدِيثٌ)، "و«مَنْ سَتَرَ حَدِيثًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»" (حَدِيثٌ) لِيَبْقَى السُّتْرُ سَرِيرَ الْبَيْتِ".

ثُمَّ قَالَ "نَعْلُقُ «مِثَاقَ الْكَلِمَةِ» قُرْبَ «مَجْلِسِ الْعَائِلَةِ» لِيُصْبِحَ دَلِيلًا يَتْلُوهُ الصَّغَارُ قَبْلَ اللَّعِبِ وَيَسْتَحْضِرُهُ الْكِبَارُ قَبْلَ الْحَوَارِ، وَنَجْعَلُ لَهُ «مُرَاجَعَةً» كُلَّ أُسْبُوعٍ نُسَجِّلُ فِيهَا جُمْلَةً طَيِّبَةً قِيلَتْ وَكَلِمَةً شَدِيدَةً تَرَكْنَاهَا لَوَجْهِ اللَّهِ". ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (الْبَقَرَةُ 83)

لِيَكُونَ الشَّعَارُ ذِكْرًا دَائِمَةً.

مَضَتْ أَيَّامٌ وَقَدْ غَيَّرَ الْبَيْتُ نَفْسَهُ. صَارَ الصَّبَاحُ يَفْتَتِحُ بِقِرَاءَةِ الْآيَةِ، وَصَارَ الْمَسَاءُ يَخْتِمُ بِالْمُرَاجَعَةِ، وَصَارَتِ الْكَلِمَةُ تَخْرُجُ مُرَوَّدَةً بِحِرَاسَةٍ لَا تَسْتِيحُ قَلْبًا وَلَا تَهْدِمُ أُلُودًا. وَفِي يَوْمٍ اخْتَبَرَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ بِمَوْقِفٍ سَرِيعٍ؛ تَصَادَمَتْ رَأْيَاتٌ فِي تَنْظِيمِ زِيَارَةِ لَقْرِبٍ مَرِيضٍ. ارْتَفَعَ الصَّوْتُ قَلِيلًا ثُمَّ تَذَكَّرُوا الْجَمَلَ الَّتِي تَدْرَبُوا عَلَيْهَا، فَقَالَتْ «حِلْمَةٌ» "أَسْمَعُكُمْ وَأَقْتَرِحُ نَفْسًا قَصِيرًا ثُمَّ نُوَجِّلُ الْحُكْمَ" فَسَكَتَتِ الْقُلُوبُ وَقَالَ «صَفْوَانُ» "نُحِيلُ الْخِلَافَ إِلَى مَجْلِسِ الْمَسَاءِ" فَاتَّسَعَ أَلَوْقُتُ لِلْبَيَانِ. لَمَّا جَاءَ الْمَسَاءُ قَالَ الْإِمَامُ "نَتَذَكَّرُ أَنَّ «الدِّينَ النَّصِيحَةُ»"

(حَدِيثٌ) "فَتَتَنَاصَحُ عَلَى قَدَرٍ وَنَمْضِي إِلَى مَا يُرْضِي اللَّهَ وَيَحْفَظُ الْوَصَالَ." ثُمَّ قَرَأَ

﴿أَدْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (فُصِّلَتْ 34)

فَانْقَلَبَ الْخِلَافُ قُرْبًا.

وَفِي يَوْمٍ آخَرَ جَرَّبُوا «مِيزَانَ الْمِرَاحِ». أَطْلَقَ أَحَدُ الصَّغَارِ كَلِمَةً فِيهَا لَمَزٌ يَسِيرٌ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْإِمَامُ نَظْرَةً فِيهَا رِفْقٌ وَحَزْمٌ وَقَالَ "نُعِيدُ الْكَلِمَةَ إِلَى الْحَقِّ أَوْ نَجْعَلُ الصَّمْتَ خَيْرًا" ثُمَّ ذَكَرَ "وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ" (حَدِيثٌ)، وَقَرَأَ

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق 18).

فَانْخَفَضَتِ الْأَنْفُسُ إِلَى حُدُودِ الْأَدَبِ وَعَادَ الضُّحْكُ نَقِيًّا لَا يَكْسِرُ قَلْبًا.

ثُمَّ دَعَا الْإِمَامُ إِلَى «لَيْلَةِ التَّوْقِيعِ». وَقَفَ الْأَبُ وَالْأُمُّ وَالْأَبْنَاءُ عِنْدَ الصَّحِيفَةِ وَفِي الْقُلُوبِ وَقَارُ الْعَهْدِ. قَالَ الْإِمَامُ "نَقُولُ سَوِيًّا قَبْلَ التَّوْقِيعِ" نَشْهَدُ اللَّهَ عَلَى أَنْ نَقُولَ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وَأَنْ نَحْفَظَ أَلْسِنَتَنَا وَأَعْيُنَنَا وَأَوْقَاتَنَا" ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (الْبَقَرَةُ 83)

وَقَالَ "نُجَدِّدُ هَذَا الْعَهْدَ كُلَّ شَهْرٍ." فَوَقَّعُوا وَعَلَّقَ «مِثَاقَ الْكَلِمَةِ» قُرْبَ

«مَجْلِسِ الْعَائِلَةِ» لِيَكُونَ عَلَى مَرَأَى مِنَ الْعُيُونِ وَمَسْمَعٍ مِنَ الْقُلُوبِ.

وَحِينَ مَضَتْ أَسَابِيعُ قَلِيلَةً أَخَذَتِ الْبُيُوتُ الْمُجَاوِرَةَ تَسْتَفْسِرُ عَنِ السِّرِّ
الَّذِي أَصْبَحَ يُزْهَرُ فِي هَذَا الْبَيْتِ. قَالَ «صَفْوَانُ» لِجَارِهِ "سِرُّنَا كَلِمَةٌ وَعَهْدُ
وَمِيزَانٌ" ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الْإِسْرَاءُ 53)

وَقَالَ "نَتَدَارَبُ عَلَى جُمْلٍ تُطْفِئُ وَتُوجِّلُ الْحُكْمَ حَتَّى يَسْكُنَ الْقَلْبُ".
فَابْتَسَمَ الْجَارُ وَقَالَ "نَسْتَعِينُ بِاللَّهِ وَنَفْعُهُ". وَبَعَثَ الْإِمَامُ إِلَيْهِمْ نُسخَةً صَغِيرَةً مِنْ
الْمِيثَاقِ لِيَنْتَشِرَ الْخَيْرُ بِحِكْمَةٍ وَلِينٍ.

وَفِي «يَوْمِ الْحَصَادِ الْأَوَّلِ» اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ بَعْدَ الْعَصْرِ وَقَدْ حَمَلَ
كُلُّ مِنْهُمْ قِصَّةَ كَلِمَةٍ سَلِمَتْ وَحَوَارٍ أُنْقَلَبَ قُرْبًا. قَالَتْ «رَايَةُ» "قُلْتُ لِصَدِيقَتِي
يَوْمًا «أُرِيدُ لَكَ الْخَيْرَ فَاتَّرْتُ الصَّمْتَ» فَازْدَادَتْ قُرْبًا بَعْدَ بَعْدٍ" فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا
أَثَرُ «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ... فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»" (حَدِيثٌ). وَقَالَ «رِيَّانُ»
"تَذَكَّرْتُ «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا...»" (حَدِيثٌ) "فَلَمْ أُنْقُلْ خَيْرًا غَيْرَ مُحَقَّقٍ فَجَعَلْنَا
مِنْ غَشِيَانِ شُبْهَةٍ". فَقَالَ الْإِمَامُ "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِلْكَلِمَةِ مِيزَانًا وَجَعَلَ
لِلْقَلْبِ حَارِسًا".

ثُمَّ قَالَ "نُجَدِّدُ عَهْدَنَا مَرَّةً أُخْرَى فَنَقُولُ «نُقَدِّمُ قَوْلًا حَسَنًا وَنُؤَخِّرُ حُكْمًا

مُتَعَجِّلًا، نَسْتَعِينُ بِاللَّهِ عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ وَنُزَاعِي مَقَاصِدِ الْكَلِمَةِ وَمَا لَهَا" ثُمَّ قَرَأَ

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (فُصِّلَتْ 34)

وَالَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الزُّمَرُ 18)

لِيَكُونَ الشَّعَارُ خَاتِمَ الْمَجْلِسِ.

خَرَجُوا إِلَى الْعِشَاءِ وَفِي الصُّدُورِ نُورُ كَلِمَةٍ صَالِحَةٍ وَفِي الْأَيْدِي صَحِيفَةٌ
«مِيثَاقِ الْكَلِمَةِ» تُشَبِّهُ مِفْتَاحًا لِبَابٍ يُفْتَحُ كُلُّ مَسَاءٍ. وَكُلَّمَا أَحْسُوا غَلَبَةً لِلنَّفْسِ
تَذَكَّرُوا "لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ" (حَدِيثٌ)، وَكُلَّمَا طَلَبَتْ نَفُوسُهُمْ مَزِيدًا مِنْ
ضِحْكِ تَذَكَّرُوا "لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ ... «" (حَدِيثٌ)، وَكُلَّمَا أَرَادُوا الْحُكْمَ
عَلَى خَبَرٍ تَذَكَّرُوا

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ (الْحُجُرَاتُ 6)،

وَكُلَّمَا غَاب عَنْهُمْ شَهِدٌ مِنْ حِكْمَةٍ قَرَأُوا

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الْإِسْرَاءُ 53)

فَسَكَنَتْ الْقُلُوبُ وَاسْتَقَامَتِ الْكَلِمَةُ وَزَانَ الزَّمَنُ مَوَاعِيدَهُ.

وَبَقِيَ «مِيثَاقُ الْكَلِمَةِ» مُعَلَّقًا قُرْبَ «مَجْلِسِ الْعَائِلَةِ» كَأَنَّهُ مَصْبَاحٌ يُنِيرُ

طَرِيقَ الْقَوْلِ، وَبَقِيَتْ أَلْعُيُونُ تَغْضُ حِفْظًا لِلْقُلُوبِ، وَبَقِيَ الْمِزَاحُ مَوْزُونًا يُدْخِلُ
الْفَرَحَ وَلَا يَخْدِشُ الْكَرَامَةَ، وَبَقِيَ الزَّمَنُ مَصُونًا فَلَا تُسْرِفُهُ الْمُنَازَعَاتُ. وَكُلَّمَا
عَادُوا إِلَى الْمَسْجِدِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ قَرَأُوا مَعَ الْإِمَامِ مَا يُنِيرُ الطَّرِيقَ

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق 18)

وَقَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ "اللَّهُمَّ اجْعَلْ كَلِمَاتِنَا طَيِّبَةً وَنِيَّاتِنَا صَالِحَةً وَمَالَنَا
رَحْمَةً" ثُمَّ يَمْضُونَ وَقَدْ حُمِلَتِ الْكَلِمَةُ عَلَى عَهْدٍ يَحْرُسُهَا وَمِيزَانٍ يُقِيمُهَا وَسَلَّمٍ
يَرْفَعُهَا مِنْ سَاحَةِ الْفَوْضَى إِلَى مَقَامِ الْإِحْسَانِ.

الدَّرْسُ السَّابِعُ: سَكِينَةُ الْمَسْجِدِ

تَهَابَطَتْ سَكِينَةُ الْمَغْرِبِ عَلَى رِوَاقِ الْمَسْجِدِ فَأَطْلَّ الصَّوُّ الْوَادِعُ مِنْ بَيْنِ الْأَعْمِدَةِ كَأَنَّهُ خَيْطٌ يَجْمَعُ الْقُلُوبَ إِلَى مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، وَهَدَّاتِ الْأَقْدَامُ فِي السَّاحَةِ وَصَوْتُ الْمَاءِ مِنْ مَصَابِعِ الْوُضُوءِ يَجْرِي كَالنَّهْرِ الصَّغِيرِ يُغْسِلُ وَجَلَ النَّفُوسِ وَيُهْدِبُ أَطْرَافَ الْيَوْمِ.

جَلَسَ الْإِمَامُ فِي الْوَسْطِ وَحَوْلَهُ الْأُسْرُ الصَّغِيرَةُ وَفِي الْقُلُوبِ سُؤَالٌ يَلْتَمِسُ جَوَابَهُ فِي هَذَا الْحِضْنِ الْمُبَارَكِ: كَيْفَ تُسْتَرَدُّ لِلْبَيْتِ سَكِينَةُ الْمَسْجِدِ وَكَيْفَ تُنْظَمُ الزِّيَارَةُ عَلَى قَدَرٍ يُثْمِرُ تَرْكِيَةً وَعَمَلًا. رَفَعَ الْإِمَامُ صَوْتَهُ بِتَرْتِيلٍ يَفْتَحُ أَبْوَابَ الرَّجَاءِ وَقَالَ وَهُوَ يَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ

﴿فِيهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ (التَّوْبَةُ 108)

وَاتَّبَعَهَا بِآيَةٍ تَشْهَدُ لِلْقُلُوبِ الْمُعَلَّقَةِ بِالْقِبْلَةِ

﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ (النُّورُ 37)

ثُمَّ قَالَ "إِذَا طَهَّرْتَ الْجَوَارِحَ مِنْ مَاءِ الْوُضُوءِ وَطَهَّرَ الْقَلْبَ مِنْ تَعَلُّقِ
الْغَفْلَةِ انْفَتَحَ بَابٌ مِنْ رَحْمَةٍ لَا يُغْلَقُهُ إِلَّا سُوءُ عَادَةٍ أَوْ تَفْرِيطٌ فِي مِيزَانِ الْوَقْتِ
وَالْمَقْصِدِ."

قَالَ «صَفْوَانُ» وَفِي صَوْتِهِ هَمٌّ يَسْتَنْصِحُ "يَا سَيِّدَنَا نَحْبُ أَنْ نُعِيدَ لِبَيْتِنَا
نَسَمَ الْمَسْجِدِ، وَلَكِنَّ الْأَشْغَالَ تَتَدَاوَعُ وَالْأَوْقَاتُ تَتَزَاوَحُ فَتَفُوتُنَا الْمُواظَبَةُ" فَنَظَرَ
الْإِمَامُ إِلَيْهِ نَظْرَةً رَاعٍ يَعْرِفُ مَسَالِكَ الْقُلُوبِ وَقَالَ "نَسْتَفْتِحُ مَعَ الْمَسْجِدِ «مِيزَانَ
الْوَقْتِ» فَنَجْعَلُ لَهُ مَوْعِدًا ثَابِتًا يَقُومُ مَقَامَ الرِّيحِ الَّتِي تَدْفَعُ السَّفِينِ إِلَى الشَّاطِئِ،
وَنَسْتَحْضِرُ «مِيزَانَ الْأُسْنَنِ وَالْعَادَةِ» فَنتَّخِذُ مِنَ الزِّيَارَةِ وَرَدًا يُنْبِئُ فِي الْيَوْمِ سُرُورًا
وَفِي الْقَلْبِ نُورًا، وَنُحْكِمُ «مِيزَانَ الْمَقْصِدِ» فَلَا نَأْتِي الْمَسْجِدَ لِسُمُوعِ الْوُجُوهِ بَلْ
نَأْتِيهِ لَوَجْهِ اللَّهِ وَحْدَهُ."

قَالَتْ «حِلْمَةُ» وَعَيْنَاهَا تَلْمَعَانِ بِشَوْقٍ إِلَى السَّكِينَةِ "نَحْتَاجُ يَا سَيِّدَنَا إِلَى
خُطُوطٍ بَيِّنَةٍ نَرْبِطُهَا بِأَيَّامِنَا لِكَيْ لَا تَجْرِيَ الْحَيَاةُ فَوْقَ الْقَلْبِ وَلَا تُتْعَبَ الصَّغَارُ"
فَقَالَ الْإِمَامُ "نَجْعَلُ لِكُلِّ أُسْرَةٍ «مَوْعِدَ مَسْجِدٍ ثَابِتًا» يُعْقَدُ بَعْدَ الْعَصْرِ يَوْمًا فِي
الْأُسْبُوعِ ثُمَّ نَزِيدُهُ بَعْدَ الْإِسْتِوَاءِ عَلَى الْعَادَةِ، وَنَجْعَلُ مَعَ الصَّلَاةِ «جَلْسَةَ تَدَارُسٍ»
لِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنَّ الْخَبَرَ الصَّادِقَ أَخْبَرَنَا أَنَّ «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ
يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ
وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَرَأَ

﴿فِي يُبَيِّتِ أَذِنَ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ (النُّورُ 36)

لِيُقِيمَ فِي الْقُلُوبِ مَعْنَى لِلرَّفْعَةِ وَالتَّذْكِيرِ.

وَقَامَ «رِيَّانُ» وَقَدْ بَدَتْ عَلَيْهِ هِمَّةُ الشَّبَابِ وَقَالَ "أَتَشَوُّقُ إِلَى الْمَسِيرِ مَعَ أَبِي إِلَى الْمَسْجِدِ فِي الْفَجْرِ، وَلَكِنِّي أَخَافُ فَوْتَ النَّوْمِ وَتَعَبَ الدَّرْسِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَسْتَعِينُ عَلَى هَذَا بِ«مِيزَانِ السُّنَنِ وَالْعَادَةِ» فَتُطْفِئُ الْأَصْوَاتَ قَبْلَ النَّوْمِ وَنُسَلِّمُ لِلَّيْلِ لِيَأْسَهُ كَمَا قَالَ رَبُّنَا

﴿وَجَعَلْنَا الْإِيلَ لِيَأْسًا﴾ (النَّبَأُ 10)

ثُمَّ نَسْتَفْتِحُ الصَّبَاحَ بِأَذَانٍ يُذَكِّرُ وَقَلْبٍ يُجِيبُ، فَإِذَا سِرْتَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَتَذَكَّرْ مَا وَعَدَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزُلًا فِي الْجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ» (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَالَ "وَإِذَا ثَبَتَتْ أَلْقَدَمُ فِي الْغَلَسِ فَعَلَيْكَ بِبُشْرَى الْحَبِيبِ «بَشِّرِ الْمَشَائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»" (حَدِيثٌ).

وَقَالَتْ «رَايَةُ» وَفِي صَوْتِهَا نَفْسُ أَلْبَنَتِ الْمُقْبِلَةِ عَلَى الْقُرْآنِ "أَتَوَدَّدُ إِلَى اللَّهِ بِحِفْظِ كَلِمَاتِهِ، فَهَلْ نَجْعَلُ لِي مَجْلِسًا قَرِيبًا مِنَ الْمَسْجِدِ أَسْتَمِدُّ مِنْهُ نُورًا" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَعَمْ، فَإِنَّ الْمَسْجِدَ مُصْبَاحُ الْمَدِينَةِ، وَقَدْ قَالَ رَبُّنَا

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى

الرَّكَاءَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴿الَّتُوبَةُ 18﴾

فَاكْتُبِي مِنْ عُمَارِ الْمَسَاجِدِ بِمُوَظَبَةٍ عَلَى الصَّلَاةِ وَحِفْظِ يَزَادُ وَحُسْنِ خُلُقٍ يَظْهَرُ.

وَبَيْنَمَا الْكَلِمَاتُ تَسْكُنُ عَلَى قَدَرٍ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْحَيِّ وَقَالَ "غَلَبَتْنِي تِجَارَتِي وَتَأَخَّرْتُ عَنِ الْجَمَاعَةِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "اقْرَأْ مَعِي

﴿رَجُلًا لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾ (النُّورُ 37)

وَأَسْتَعِنْ بِاللَّهِ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ التِّجَارَةَ خَادِمَةً لِقَلْبِكَ لَا سَيِّدَةً عَلَيْهِ، ثُمَّ تَرَوُذُ بِمَا يَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ «أَلَا أَذَلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ إِنْ بَاغُ الْوُضُوءُ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثُرَتْ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَأَنْتَظَرُ الصَّلَاةَ بَعْدَ الصَّلَاةِ» (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَالَ "وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ رُتَبَةِ الْمُعَلِّقِينَ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ فِي السَّابِعَةِ الْمَذْكُورِينَ" (حَدِيثٌ).

انْفَضَّ الْمَجْلِسُ عَلَى بَيْتَةٍ مُحْكَمَةٍ وَعَزِمَ مُتَرَنِّمٌ، وَرَجَعَتِ الْأُسْرَةُ إِلَى الْبَيْتِ وَفِي الصُّدُورِ ضِيَاءٌ يَسِيرُ أَمَامَ الْخُطَى. وَفِي الْمَسَاءِ قَالَ الْإِمَامُ لِأَهْلِ بَيْتِهِ "نُشِبْتُ الْآنَ «مَوْعِدَ الْمَسْجِدِ الثَّابِتِ» يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ «جَلَسَةِ تَدَارُسٍ» تَجْمَعُ قِرَاءَةً وَتَدَبُّرًا وَسُؤَالًا وَجَوَابًا عَلَى قَدَرٍ، وَنَزِيدُ فِي الْأُسْبُوعِ مَوْعِدًا آخَرَ لِلرَّحَلَةِ الصَّغِيرَةِ إِلَى مَصْحَفٍ أَوْ زَائِرٍ صَالِحٍ لِنُشْمَرِ الْمَحَبَّةَ فِي اللَّهِ." ثُمَّ قَالَ

"نَفِيسٌ مُوَاطَبَتَنَا فِي آخِرِ كُلِّ شَهْرٍ فَنَنْظُرُ هَلْ ثَبَتَ الْقَدَمُ وَزَادَ الْقَلْبُ أَمْ ذَبَلَتْ عَادَةً فَتُسْقِيهَا."

وَفِي الْجُمُعَةِ الْمَوْعُودَةِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ جَلَسُوا فِي الرَّوَّاقِ عَلَى حَلَقَةٍ صَغِيرَةٍ وَفِي يَدِ الْإِمَامِ مُصْحَفٌ يُجَلِّلُهُ الْوَقَارُ. قَالَ "نَسْتَفْتِحُ عَلَى سُنَّةِ جَامِعَةٍ «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ... إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ»" (حَدِيثٌ) ثُمَّ قَرَأَ مِنْ أَوَاخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ وَفِي الصَّوْتِ حُنُوٌّ يُشَبِّهُ نَفْسَ الرِّيحِ حِينَ تَمُرُّ فَوْقَ سَعَفِ النَّخْلِ. تَدَبَّرُوا الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى وَتَسَابَقَ الصِّغَارُ إِلَى سُؤَالِ يَلْتَمِسُ فَهَمًّا، فَقَالَ الْإِمَامُ "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ" (حَدِيثٌ) فَتَبَّتْ فِي الْقُلُوبِ أَنَّ طَرِيقَ الْمَسْجِدِ طَرِيقَانِ مَعًا طَرِيقَ الصَّلَاةِ وَطَرِيقَ الْعِلْمِ.

وَبَعْدَ أُسْبُوعَيْنِ تَغَيَّرَتْ مَعَالِمُ الْبَيْتِ عَلَى قَدَرٍ مِنَ الرَّفْقِ. صَارَتْ الْكَلِمَةُ تَخْرُجُ هَادِنَةً كَمَا تَخْرُجُ النَّسِيمَةُ مِنْ بَيْنِ الْحُقُولِ وَصَارَ النَّوْمُ أَقْرَبَ إِلَى السَّكِينَةِ لِأَنَّ الْقُلُوبَ أَفَاضَتْ فِي الْمَسْجِدِ مَا تَحْمِلُهُ مِنْ عَنَاءِ النَّهَارِ، وَصَارَ الصَّبَاحُ أَنْشَطَ لِأَنَّ الْأَقْدَامَ عَلِمَتْ طَرِيقَ الْقِبْلَةِ. وَإِذَا أَقَامَ الْمُؤَذِّنُ صَوْتَهُ عَلَى الْمَنَارَةِ تَفَتَّحَتْ فِي الصُّدُورِ أَبْوَابٌ صَغِيرَةٌ تَقُولُ "حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ" فَيَرُدُّ الْقَلْبُ "صَدَقْتَ" ثُمَّ يُقِيمُ الْقَدَمَ عَلَى الطَّرِيقِ وَهُوَ يَتَذَكَّرُ "لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا" (حَدِيثٌ).

وَحَدَّثَ فِي لَيْلَةِ مَطِيرَةٍ أَنَّ أَنْقَطَعَ النُّورُ قَلِيلًا وَالرَّيْحُ تَسْرِي فِي الْأَرْقَةِ،
فَنَادَى «صَفْوَانُ» أَهْلَهُ "نَمْضِي إِلَى الْمَسْجِدِ وَإِنْ قَصَرَ النُّورُ فَإِنَّ النُّورَ فِي
الْقَلْبِ" فَضَحِكَ الصَّغَارُ وَتَدَثَّرُوا بِثِيَابِهِمْ وَمَشَوْا خَلْفَهُ عَلَى قَدَرٍ. لَمَّا دَخَلُوا
الْمَسْجِدَ وَجَدُوا نَفَرًا مِنْ جِيرَانِهِمْ قَدْ سَبَقُوهُمْ فَسَلَّمُوا وَصَلُّوا وَجَلَسُوا بَعْدَ الصَّلَاةِ
عَلَى قَصَصٍ خَفِيفَةٍ مِنْ سِيرِ الصَّالِحِينَ. قَالَ الْإِمَامُ "هَذِهِ عَادَةٌ تُنْبِتُ فِي الْحَيِّ
مَوَدَّةً وَتُثْمِرُ لِلنَّاسِ عَوْنًا، وَأَنْتُمْ إِذَا جَلَسْتُمْ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَجَالِسِ فَاسْتَحْضِرُوا
قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُ﴾" (الْكَهْفُ 28).

وَتَتَابَعَتِ الْأَسَابِيعُ وَقَدْ بَدَأَتْ «الْعَادَةُ» تَبْنِي فِي الْقُلُوبِ قَصْرًا صَغِيرًا مِنْ
الطُّمَائِنَةِ. كَانَ «رِيَّانُ» يَلْحَقُ بِأَبِيهِ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ وَيَحْفَظُ عَيْنَيْهِ مِنَ التَّلَفُّتِ
وَيَتَعَلَّمُ أَدَبَ السُّجُودِ عَلَى قَدَرٍ، وَكَانَتْ «رَايَةُ» تُسَابِقُ نَفْسَهَا فِي تَدْبِيرِ آيَاتِ
وَتَسْأَلُ بَعْدَ الصَّلَاةِ سُؤَالَ حَسَنًا. وَفِي آخِرِ كُلِّ شَهْرٍ يَجْلِسُونَ فِي أَلْبَيْتٍ وَفِي
أَيْدِيهِمْ صَحِيفَةٌ صَغِيرَةٌ يَكْتُبُونَ فِيهَا عَدَدَ الْمَرَّاتِ الَّتِي لَزِمُوا فِيهَا «مَوْعِدَ
الْمَسْجِدِ الثَّابِتِ»، فَإِذَا وَجَدُوا نَقْصَانًا قَالُوا "نَزِيدُ فِي الْأَسْبَابِ" وَإِذَا وَجَدُوا زِيَادَةً
حَمِدُوا اللَّهَ عَلَى التَّوْفِيقِ.

وَفِي يَوْمٍ خَاصٍّ دَعَا الْإِمَامُ أَهْلَ الْحَيِّ إِلَى «مَجْلِسِ سَكِينَةٍ» بَعْدَ
الْمَغْرِبِ. قَالَ "نُزِتْ أَلْيَوْمَ مِيثَاقًا لِرِيَازَةِ الْمَسْجِدِ، نُثِبَتْ فِيهِ أَنْ نُسَلَّمَ لِلصَّلَوَاتِ

الْخُمْسِ حُرْمَتَهَا وَأَنْ نَحْفَظَ لِلْفَجْرِ خُصُوصِيَّتَهُ، وَأَنْ نُجْرِيَ لِصِبْيَانِنَا مَجْلِسًا صَغِيرًا بَعْدَ الْعَصْرِ يَوْمًا فِي الْأُسْبُوعِ، وَأَنْ نُقِيمَ لِلنِّسَاءِ حَلَقَةً يَتَدَارَسْنَ فِيهَا الْقُرْآنَ وَأَدَبَ الْبَيْتِ". ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الْجِنُّ 18) لِيُثَبِّتَ التَّوْحِيدَ فِي صَدْرِ الْمِثَاقِ. وَقَالَ "نَحْفَظُ أَدَبَ الْمَسْجِدِ فَلَا نَرْفَعُ صَوْتًا إِلَّا لِيَذْكُرَ وَلَا نُؤْذِيَ مُصَلِّيًا وَلَا نَتَخَطَّى رِقَابًا" ثُمَّ ذَكَرَ «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي التَّهْجِيرِ» وَأَنْتَنِي عَلَى السَّابِقِينَ إِلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ (حَدِيثٌ).

وَحِينَ كَادَ الْكَلَامُ يَنْقُضِي قَامَ «صَفْوَانُ» وَقَالَ "أَشْهَدُ اللَّهَ أَنِّي أَجْعَلُ لِنَفْسِي وَلِابْنِي «سَبْعَ مَرَّاتٍ» فِي الشَّهْرِ لِلْفَجْرِ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ أَزِيدُ عَلَيْهَا، وَأَجْعَلُ لِبَيْتِي مَوْعِدًا ثَابِتًا لِحَلَقَةِ الْقُرْآنِ" فَسَرَّ الْإِمَامُ وَقَالَ "اللَّهُمَّ بَارِكْ" ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (الْعَنْكَبُوتُ 45). وَقَالَتْ «حِلْمَةُ» "أَتَبَنَّى لِلنِّسَاءِ مَجْلِسًا قَرِيبًا مِنَ الْمَسْجِدِ نَتَعَاهَدُ فِيهِ سُورَةَ فَسُورَةً" فَقَالَ "نِعْمَ الْعَهْدُ" وَاثْبَتَ لَهُنَّ دُعَاءَ "اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُكَ وَخَاصَّتُكَ" (حَدِيثٌ).

وَفِي صَبَاحٍ مُشْمِسٍ خَرَجَ الصَّغَارُ قَبْلَ الْمَدْرَسَةِ إِلَى الْمَسْجِدِ مَعَ آبِيهِمْ، فَإِذَا الْهَوَاءُ طَرِيٌّ وَالطَّرِيقُ قَصِيرٌ وَالْأَذَانُ يَتَسَلَّلُ فِي الْأَزَقَةِ كَأَنَّهُ أَمْلٌ يَتَكَبَّرُ فِي الْأُصْدُورِ. لَمَّا اتَّوَا الْمَسْجِدَ سَلَّمُوا عَلَى الْبَابِ وَكَانَ «رِيَّانُ» يُسَاقِ الرَّاكِلِينَ إِلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ وَ«رَابِيعَةُ» تَحْفَظُ صَوْتَهَا فِي الزِّيَادَةِ وَتُكْمِلُ دُعَاءَهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ

وَتَسْأَلُ اللَّهُ لِحَاجَتِهَا شِفَاءً. وَإِذَا خَرَجُوا قَالَ الْإِمَامُ "اسْتَبَشِرُوا فَإِنَّ لِكُلِّ خُطْوَةٍ أَثْرًا، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ كَانَتْ خُطُوتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً» (حَدِيثٌ).

وَبَلَغَ الْخَبَرُ أَهْلًا فِي الطَّرَفِ الْآخِرِ مِنَ الْحَيِّ أَنَّ الْمَسْجِدَ صَارَ يَحْتَضِرُنَ «جَلْسَةَ تَدَارُسٍ» أُسْبُوعِيَّةً، فَجَاءُوا يَسْتَأْنِسُونَ. وَقَفَّ الْإِمَامُ وَقَالَ "مَرْحَبًا بِكُمْ فِي بَيْتِ اللَّهِ؛ هَاهُنَا نُقِيمُ «مِيزَانَ الْوَقْتِ» فَنَأْتِي عَلَى السَّاعَةِ وَنَنْصَرِفُ عَلَى السَّاعَةِ لِكَيْ لَا نُثْقِلَ عَلَى الْقُلُوبِ، وَهَاهُنَا نَعْظُمُ «مِيزَانَ الشَّنَنِ» فَنُسَلِّمُ لِلْمَسَاجِدِ أَذْبَهَا وَلِلصَّفِّ نِظَامَهُ وَلِلْمَكْثِ سَكِينَتَهُ، وَهَاهُنَا نُحْكِمُ «مِيزَانَ الْمَقْصِدِ» فَلَا نَطْلُبُ الثَّنَاءَ وَلَا الذِّكْرَ بَلِ الْقُرْبَ مِنَ اللَّهِ." ثُمَّ قَرَأَ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

(الْمُؤْمِنُونَ 1-2)

فَخَشَعَتْ الْقُلُوبُ.

وَجَرَى فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ مِحْنَةٌ صَغِيرَةٌ تُخْتَبَرُ بِهَا الْعَادَةُ؛ تَقَاعَسَ «رِيَّانُ» يَوْمًا عَنِ الْفَجْرِ فَحَزَنَ وَقَالَ "غَلَبَنِي النَّوْمُ" فَقَالَ الْإِمَامُ "لَا يَحْزُنُكَ الْفَوْتُ إِنْ تَبِعَهُ عَزْمٌ وَتَوْبَةٌ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ (ص) «مَنْ نَامَ عَنْ صَلَاةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا

ذَكَرَهَا» (حَدِيثٌ) "وَاجْعَلْ لِلْفَجْرِ سَبَبًا يُوقِظُكَ: قَلْبًا مُشْتَاقًا وَنَفْسًا سَلِيمَةً وَنَوْمًا مُبَكَّرًا." فَتَمَاسِكَ وَعَادَ فِي الْغَدِ أَنْشَطَ.

وَفِي طَرَفٍ آخَرَ مِنَ الْحَيِّ تَحَلَّقَ الْفَتَيَانُ فِي الْمَسْجِدِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَجَاءَهُمُ الْإِمَامُ بِكَلِمَاتٍ تَزِنُ لَهُمُ الْحَيَاةَ عَلَى قَدَرٍ وَقَالَ "الْمَسْجِدُ لَا يُصْلِحُ صَلَاةً فَقَطْ بَلْ يُقِيمُ لِلْأَعْمَالِ مِيزَانًا وَيَفْتَحُ لِلنَّاسِ بَابَ خِدْمَةٍ وَنَفْعٍ. مَنْ خَرَجَ مِنْ هُنَا فَلْيَحْمِلْ لِعَارِهِ سَلَامًا وَلْيَكْسِرْ مِنْ فَوْضَى الطَّرِيقِ بِحِلْمٍ وَزِيَارَةٍ وَقَضَاءٍ حَاجَةٍ." ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الْحَشْرِ 9)

فَتَحَرَّكَتِ الْأَيْدِي إِلَى خَيْرٍ.

وَقَدْ جَرَتْ عَادَةٌ فِي بَيْتِ «صَفْوَانَ» أَنْ يَرْجِعُوا بَعْدَ مَوْعِدِ الْمَسْجِدِ فَيَجْلِسُوا فِي «زَاوِيَةِ السَّكِينَةِ» وَيَقْرَأُوا مَا تيسَّرَ وَيُحَاسِبُوا النَّفْسَ عَلَى أَدَبٍ فِي الْمَسْجِدِ أَوْ تَقْصِيرٍ فِي الْخُشُوعِ، ثُمَّ يَكْتُبُوا فِي صَحِيفَةِ الشَّهْرِ عَدَدَ الْمَوَاعِيدِ الْمَحْفُوظَةِ، فَإِذَا انْقَضَى الشَّهْرُ عَادُوا إِلَى الْإِمَامِ فَأَخْبَرُوهُ بِمَا ظَهَرَ لَهُمْ. يَسْمَعُ وَيُشَجِّعُ وَيَزِيدُ عَلَيْهِمْ مِنَ السُّنَنِ مَا يَصُقِّلُ الْعَادَةَ كَأَن يَقُولَ "زِيدُوا سَلَامًا بَعْدَ الصَّلَاةِ وَزُورُوا مَرِيضًا وَاحْمِلُوا مَعَ الْمَسِيرِ دُعَاءً لِأَهْلِ الْحَيِّ" ثُمَّ يَذْكُرُهُمْ "مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طُبْتُ وَطَابَ مَمَشَاكَ وَتَبَوَّاتُ مِنْ

الْجَنَّةِ مِنْزِلًا» (حَدِيثٌ).

وَعَرَفَ النَّاسُ بَعْدَ أَشْهُرٍ أَنَّ سَكِينَةَ الْمَسْجِدِ إِذَا دَخَلَتِ الْبُيُوتَ أَخْرَجَتْ مِنْهَا خُصُومَةً كَثِيرَةً وَأَدْخَلَتْ فِيهَا هَوَادَّةً وَنَظْمًا فِي الزَّمَنِ. صَارَ الطِّفْلُ يَعْرِفُ أَنَّ ضَحِكَتَهُ فِي الْمَسْجِدِ لَهَا حَدٌّ وَأَنَّ حَرَكَتَهُ فِيهَا لَهَا أَدَبٌ، وَصَارَ الشَّابُّ يَعْرِفُ أَنَّ صَوْتَهُ لَا يَعْلُو عَلَى ذِكْرِ وَلَا يُزَاحِمُ قَارِئًا، وَصَارَ الْكَبِيرُ يَسْتَبْشِرُ بِوَجْهِ اللَّهِ فِي وُجُوهِ الْمُصَلِّينَ. وَلَمَّا سُئِلَ الْإِمَامُ عَنْ سِرِّ هَذَا التَّحَوُّلِ قَالَ "سِرُّهُ أَنَّ الْمَسْجِدَ دَارُ التَّزَكِّيَةِ وَمَرْكَزُ الْعَمَلِ، فَإِذَا صَلَحَتْ فِيهِ النَّيَّةُ وَاسْتَقَامَتِ الْعَادَةُ وَتَرْتَّبَ الْوَقْتُ بَرَكَ اللَّهُ فِي الشُّعُورِ وَأَثْمَرَتِ الْأَعْمَالُ."

وَجَاءَ «يَوْمَ الْحَصَادِ الْأَوَّلِ» فِي آخِرِ الْفَصْلِ فَاجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَقَدْ حَمَلَ كُلُّ مِنْهُمْ صَحِيفَتَهُ فِيهَا عَدَدُ الْمَوَاعِيدِ وَدَمْعَةٌ فَرِحَ تَشْهَدُ لِقَلْبٍ تَعَلَّمَ الشُّكُونَ. قَالَ الْإِمَامُ "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ بُيُوتَهُ مَعْقِلًا لِلرَّاحَةِ وَمِفْتَاحًا لِلْعَمَلِ، وَهَا أَنْتُمْ قَدْ نَقَلْتُمْ سَكِينَتَهُ مِنَ الرِّوَاقِ إِلَى الْبَيْتِ فَازْدَادَ النُّورُ وَقَالَ الْفَوْضَى وَتَعَلَّمَ الزَّمَنُ أَنْ يَسِيرَ لَا أَنْ يَجْرِيَ." ثُمَّ قَرَأَ

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ (التَّوْبَةُ 108)

و﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾ (النُّورُ 37)

وَقَالَ "هَذِهِ صِفَاتُ إِذَا حَضَرَتْ فِي الْحَيِّ صَارَ الْمَسْجِدُ قَلْبًا يَضُخُّ فِيهِ

الْخَيْرُ".

ثُمَّ قَامَ الْإِمَامُ وَقَالَ "نُجَدُّ لِفَضْلِنَا الْقَادِمِ عَهْدًا عَلَى «مَوْعِدِ الْمَسْجِدِ الثَّابِتِ» وَنَزِيدُ عَلَيْهِ خَيْرًا، نَجْعَلُ لِلصَّغَارِ خِدْمَةً صَغِيرَةً بَعْدَ الصَّلَاةِ كَتَرْتِيبِ مَصَاحِفَ أَوْ تَقْدِيمِ مَاءٍ، وَنَجْعَلُ لِلشَّبَابِ رِحْلَةَ عِلْمٍ إِلَى مَجْلِسٍ آخَرَ، وَنَجْعَلُ لِلنِّسَاءِ صُحْبَةً صَالِحَةً تَتَعَاهَدُ فِيهَا الْقُرْآنَ وَالْقَلْبَ". ثُمَّ ذَكَرَ "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَفَنَّهُ" (حَدِيثٌ) فَاسْتَقَرَّ فِي الصُّدُورِ أَنْ يَبْلُغُوا فِي الْإِتْقَانِ قَدْرَ الْوُسْعِ.

وَخَرَجُوا إِلَى الْمَسَاءِ وَفِي الْأَيْدِي صُحُفٌ صَغِيرَةٌ تُسَجَّلُ الْمَوَاطَبَةُ وَفِي الْقُلُوبِ نُورٌ يُشْبِهُ الْمَصْبَاحَ إِذَا أُضِيءَ فِي رَحْلِ. كَانُوا إِذَا سَارُوا فِي الطُّرُقِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ "رَزَقَنَا اللَّهُ قَلْبًا مُعَلَّقًا بِالْمَسْجِدِ" ثُمَّ يَتَذَكَّرُونَ "«سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ... وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ»" (حَدِيثٌ). وَإِذَا بَاغَتَتْهُمُ النَّفْسُ بِتَكْسِيلِ ذِكْرُوا أَنْفُسَهُمْ "«مَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ إِلَّا تَقَبَّلَهُ اللَّهُ»" وَأَنَّ لِكُلِّ خُطْوَةٍ بَصْمَةً فِي الصَّحِيفَةِ. فَيَمْضُونَ عَلَى نَسْقِ الْعَادَةِ الرَّاشِدَةِ وَسِيرِ الْمَقْصِدِ الْمُخْلِصِ وَنَظْمِ الْوَقْتِ الْمَحْفُوظِ، يَسْتَخْرِجُونَ مِنْ سَكِينَةِ الْمَسْجِدِ قُوَّتًا لِلْقَلْبِ وَقَامَةً لِلْخُلُقِ وَمِثْرَاسًا لِلْبُيُوتِ مِنْ فَوْضَى الْعَادَاتِ. وَإِذَا سُئِلُوا عَنْ سِرِّ هَذَا النِّظَامِ قَالُوا "الْجَوَابُ فِي كَلِمَتَيْنِ سَكِينَةٌ تُنْقَلُ وَمَوْعِدٌ يُثَبَّتُ" ثُمَّ يَتَلَوْنَ عَلَى السَّائِلِ

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ (التَّوْبَةُ 108)

﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾ (النُّورُ 37)

فَيَعْرِفُ أَنَّ الْقُرْبَ مِنَ الْمَسْجِدِ لَيْسَ خُطُواتٍ فَقَطْ بَلْ هُوَ نِسْبَةٌ فِي
الْقَلْبِ وَعَهْدٌ فِي الزَّمَنِ وَخُلُقٌ فِي السُّكُونِ. وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى سَبِيلِ
السَّكِينَةِ وَيَفْتَحُ لِلأَهْلِ الْبُيُوتِ مِنْ بَرَكَاتِهِ مَا يُصْلِحُ الدُّنْيَا وَيُنِيرُ طَرِيقَ الْآخِرَةِ.

الدَّرْسُ الثَّامِنُ: عِلْمٌ وَعَمَلٌ

تَهَا بَطَتْ سَكِينَةُ الْمَسَاءِ عَلَى الرِّوَاقِ فَسَكَنتِ الْأَصْوَاتُ وَأَنْحَسَرَ
ضَجِيجُ النَّهَارِ كَأَنَّهُ مَوْجٌ يَرْتَدُّ إِلَى سَاحِلٍ بَعِيدٍ، وَجَلَسَ الْإِمَامُ فِي الْوَسْطِ وَفِي
يَدِهِ مُصْحَفٌ يُجَلِّلُهُ الْوَقَارُ وَتَحْفُهُ الْأَنْفَاسُ الْمُنْصِتَةُ، ثُمَّ تَلَا بِصَوْتٍ يُقِيمُ مِيزَانَ
الضَّمِيرِ قَبْلَ مِيزَانِ الْعَمَلِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا
لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الْصَّفُّ 2-3).

تَمَوَّجَتِ الْقُلُوبُ لِلْآيَةِ وَكَأَنَّهَا تَنْظُرُ فِي مِرَاةٍ تُبْدِي فَجْوةً خَفِيَّةً بَيْنَ قَوْلٍ
يَكْثُرُ وَعَمَلٍ يَقِلُّ، ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُقَرِّرُ طَلَبَ الزِّيَادَةِ فِي الْعِلْمِ مِنْ بَابِ الْعُبُودِيَّةِ

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه 114)،

وَاتَّبَعَهَا بِمَا يَفْتَحُ بَابَ الْإِنْجَارِ وَيَشْدُ الْعَزَمَ

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَی اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

(التَّوْبَةُ 105).

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْجَمْعِ وَقَالَ "إِذَا صَدَقَ الْعِلْمُ وَسَارَ مَعَهُ الْعَمَلُ أَخْضَرَّتِ
الْأَيَّامُ وَإِنْ كَثُرَ الْقَوْلُ وَقَلَّ الْفِعْلُ أَصْفَرَّتِ الْقُلُوبُ وَذُبُلَتِ الْعَوَائِدُ."

قَالَ «صَفْوَانُ» وَفِي صَوْتِهِ وَقَارُ الرَّجُلِ إِذَا نَظَرَ فِي نَفْسِهِ "نَسَمْعُ كَثِيرًا
مِنَ النَّصَائِحِ وَنَعْدُ وَلَكِنَّ أَيْدِيَنَا لَا تَبْلُغُ كُلَّ مَا نَقُولُ" فَأَبْتَسَمَ الْإِمَامُ وَقَالَ "نَجْمُعُ
الْيَوْمَ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ فِي «مَشْرُوعٍ أَثَرٍ» يُزَوِّجُ الْمَعْرِفَةَ بِالتَّنْفِيزِ وَيَرْقُبُ النَّتِيجَةَ
لِيَتَحَوَّلَ الْقَوْلُ عَمَلًا وَالْعَمَلُ عَادَةً وَالْعَادَةُ سُنَّةً حَسَنَةً." ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَثْبُتُ
الْمَقْصِدَ بِالْحَدِيثِ "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى" (حَدِيثٌ)،
"فَنَحْسِنُ النِّيَّةَ أَوَّلًا ثُمَّ نَحْسِبُ الْأَثَرَ ثَانِيًا."

قَالَتْ «حِلْمَةُ» وَعَيْنَاهَا تَلْتَمِسَانِ مِفْتَاحًا يُفْضِي مِنَ التَّذَكُّرِ إِلَى التَّحَرُّكِ
"كَثُرَتْ فِي بَيْنِنَا قَوَائِمُ الْمَهَامِ وَقَلَّ الْإِنْجَازُ، فَهَلْ نَجْعَلُ لِأُسْرَتِنَا خُطُوبًا قَرِيبَةً
تُطَابِقُ الْوُسْعَ لَا الْخَيَالَ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَعَمْ، وَنَضْعُ لَهَا «مِيزَانَ الْمَنْفَعَةِ وَالضَّرَرِ»
فَلَا نَقْدِمُ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْنَا خَيْرَهُ وَشَرَّهُ، وَ«مِيزَانَ الْمَالِ» فَتَنْظُرُ فِي عَاقِبَتِهِ
بَعْدَ أُسْبُوعٍ وَشَهْرٍ، وَ«مِيزَانَ السَّنَنِ» فَتُوْزِنُ الدَّوَامَ عَلَى الْكَثَرَةِ، فَقَدْ قَالَ الصَّادِقُ
الْمُصَدِّقُ «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» (حَدِيثٌ).

وَقَالَ «رِيَّانُ» وَنَبْرَتُهُ نَبْرَةُ شَابٍّ يَطْلُبُ الْخُطُوةَ الْأُولَى "أُرِيدُ عَمَلًا أَرَى

أَثَرُهُ بِعَيْنِي لَا أَنْ يَبْقَى شِعَارًا فِي اللِّسَانِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَفْتَحُ لِأُسْرَتِكُمْ «دَفْتَرِ الْأَثَرِ» وَنَجْعَلُ فِيهِ صَحِيفَةً لِكُلِّ أُسْبُوعٍ، نَكْتُبُ فِي صَدْرِهَا الْمَقْصِدَ وَفِي أَطْرَافِهَا الْوَسِيلَةَ وَالزَّمْنَ وَعَلَامَةَ الْأَثَرِ وَالشَّاهِدَ، ثُمَّ نَجْعَلُ فِي ذَيْلِهَا قَوْلُهُ تَعَالَى

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ (الشَّرحُ 7-8)

لِيَبْقَى الْقَلْبُ عَلَى الْجِدِّ مَا دَامَ الْعَمَلُ يَحْتَاجُ إِلَى نَفْسٍ.

عَادَتِ الْأُسْرَةُ إِلَى الْبَيْتِ وَفِي الصُّدُورِ عَزْمٌ هَادِيٌّ يُشْبِهُ نَبْضًا يَسِيرُ عَلَى مِهْلٍ لِكِنَّهُ لَا يَنْقَطِعُ. جَلَسُوا فِي «زَاوِيَةِ السَّكِينَةِ» وَوَضَعُوا الدَّفْتَرَ عَلَى الطَّائِلَةِ وَقَالَتْ «رَابِيعَةٌ» وَهِيَ تَثَبَّتْ قَلَمَهَا "نَكْتُبُ فِي صَدْرِ الصَّفْحَةِ «مَشْرُوعُ أَثَرٍ» لِهَذَا الْأُسْبُوعِ" فَقَالَ «صَفْوَانُ» "نَخْتَارُ عَمَلًا قَرِيبًا مِنْ بَيْنِنَا وَحِينًا لِكَيْ يَسْهُلَ الْمُوَاطَبَةُ" فَقَالَ الْإِمَامُ الَّذِي حَضَرَ مَعَهُمْ لِيُدَرِّبَ "نَقْتَرِخُ «سَقْيَ شَجَرَةٍ فِي طَرِيقِ الْمَسْجِدِ وَإِصْلَاحِ رُكْنِ الْقِرَاءَةِ فِي الْبَيْتِ» فِي الْأَوَّلِ إِحْيَاءٌ لِلْأَرْضِ وَفِي الثَّانِي إِحْيَاءٌ لِلْقَلْبِ." ثُمَّ قَرَأَ

﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هُودٌ 61)

وَقَرَأَ

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ (ق 37)

لِيَرْبِطَ الْعَمَلَ بِالْإِعْمَارِ وَالتَّذَكُّرِ.

قَالَ «رِيَّانُ» وَفِي عَيْنَيْهِ بَشَارَةٌ شَابٌّ يَسْتَقْبِلُ طَرِيقًا "أَتَوَلَّى سَقْيَ الشَّجَرَةِ قُرْبَ الْمَسْجِدِ" فَقَالَتْ «رَايِيَّةُ» "أَتَوَلَّى تَرْتِيبَ رُكْنِ الْقِرَاءَةِ وَتَرْزِينَهُ بِآيَاتٍ وَأَسْمَاءِ اللَّهِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نُثِبْتُ مَعَ كُلِّ عَمَلٍ قَاعِدَةٌ؛ «الْإِتْقَانُ قَبْلَ التَّسْرِيعِ» فَقَدْ قَالَ الصَّادِقُ «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَفَنَّهُ» (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَالَ "نَزَّسُمُ لِلْعَمَلِ وَقْتًا وَمَقْدَارًا وَشَاهِدًا، فَنَقُولُ «سَقْيِ بَعْدَ الْعَصْرِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي الْأُسْبُوعِ» وَ«رُكْنُ قِرَاءَةٍ يُسْتَعْمَلُ كُلَّ مَسَاءٍ نِصْفَ سَاعَةٍ»."

كَانَ الصَّبَاحُ الْأَوَّلُ لِلْعَمَلِ صَافِيًا، فَخَرَجَ «صَفْوَانُ» مَعَ «رِيَّانُ» وَفِي أَيْدِيهِمَا قَرْبَةُ مَاءٍ وَادَاةٌ لِنَتْفِيقِ التُّرْبَةِ، وَمَشَىا نَحْوَ الشَّجَرَةِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي تُظَلُّ مَدْخَلَ الْمَسْجِدِ، ثُمَّ قَالَ «صَفْوَانُ» وَهُوَ يَغْرِسُ مَعْنَى فِي قَلْبِ ابْنِهِ "«أَحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَأَسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ»" (حَدِيثٌ) "فَإِنَّ الْعَمَلَ إِذَا لَازَمَهُ الْإِسْتِعَانَةُ نَمَا وَإِذَا لَازَمَهُ التَّوَانِي خَبَا." سَقَّى الشَّجَرَةَ وَنَقَّى حَوْلَهَا وَتَأَمَّلَا الْأَثَرَ وَالْأَفَقَ يَلْمَعُ فِي الْعَمِيقِ.

وَفِي أَلْبَيْتِ كَانَتْ «رَايِيَّةُ» تَرْتَّبُ «رُكْنَ الْقِرَاءَةِ» وَتُلْصِقُ فَوْقَهُ آيَةً تَفْتَحُ أَبْطَابَ لِلطَّلَبِ

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه 114)

وَتَكْتُبُ عَلَى الْجَانِبِ كَلِمَةً تَحْرُسُ الْعَادَةَ "«سَدُّوْا وَقَارِبُوْا»" (حَدِيثٌ) ثُمَّ تَضَعُ كُتُبًا قَرِيبَةً وَمَصْحَفًا وَمَذْكِرَةً لِّتَسْجِلَ مَا يَفْتَحُ مِنْ فَهْمٍ. وَعِنْدَ الْمَسَاءِ جَلَسُوا نِصْفَ سَاعَةٍ يَقْرَءُونَ وَيَتَدَبَّرُونَ وَيَسْأَلُونَ، ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَزُورُهُمْ "«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»" (حَدِيثٌ) فَاطْمَأَنَّتِ الْقُلُوبُ بِأَنَّ الدَّرْسَ طَرِيقٌ وَأَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ مَمْهُودٌ بِالْقِرَاءَةِ وَالْعَمَلِ.

مَضَى الْأُسْبُوعُ وَفِي آخِرِهِ قَالَ «صَفْوَانُ» "نَكْتُبُ «تَقْرِيرًا مُصَغَّرًا» يَرُصِدُ أَثَرَ الْعَمَلِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نُثَبِّتُ لِلتَّقْرِيرِ خَمْسَ جُمَلٍ تَحْرُسُ الْمَقْصِدَ؛ «مَاذَا فَعَلْنَا»، «مَاذَا نَعْمِرُ»، «مَا الْمَنْفَعَةُ وَمَا الضَّرَرُ»، «مَا الْمَالُ إِنْ دَاوَمْنَا»، «مَا خُطْوَةُ الْأُسْبُوعِ الْقَادِمِ». " وَقَالَ وَهُوَ يُثَبِّتُ الْأَمْرَ فِي الْقُلُوبِ

﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾

(النَّجْمُ 39-40)

لِيَكُونَ الْمَعْيَارُ سَعْيًا لَا تَذْكُرًا فَقَطْ. كَتَبُوا فِي التَّقْرِيرِ أَنَّ الشَّجَرَةَ بَدَأَتْ تَرْتَوِي وَأَنَّ طَرِيقَ الْمَسْجِدِ أَصْبَحَ أَنْظَفَ وَأَنَّ «رُكْنَ الْقِرَاءَةِ» جَمَعَ الْأُسْرَةَ نِصْفَ سَاعَةٍ فِي كُلِّ مَسَاءٍ، وَأَنَّ الْأَنْفَاسَ سَكَنْتَ قَلِيلًا عِنْدَ النَّوْمِ لِأَنَّ الْقُلُوبَ حَمَلَتْ مِنْ الْقُرْآنِ نَصِيبًا.

وَقَالَ الْإِمَامُ "نَزِيدُ عَلَى مَشْرُوعِنَا خُطْوَةً تُصْلِحُ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ؛

«زِيَارَةُ مَرِيضٍ أَوْ قَضَاءُ حَاجَةٍ جَارٍ» ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الْحَشْرُ 9)

وَقَالَ "مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ" (حَدِيثٌ). فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَحْمِلُوا إِلَى جَارَتِهِمُ الْمَرِيضَةَ طَعَامًا وَكَلِمَةً طَيِّبَةً بَعْدَ الْعَصْرِ، وَعَادُوا فِي الْمَسَاءِ يُسَجِّلُونَ فِي الدَّفْتَرِ أَنَّ أَلْبَيْتَ ابْتَسَمَ وَأَنَّ الْقُلُوبَ رَأَتْ أَثَرَ الْمَحَبَّةِ عَمَلًا لَا شِعَارًا.

وَحِينَ تَطَاوَلَ الْأُسْبُوعُ الثَّانِي قَالَتْ «حِلْمَةُ» "نَجْعَلُ لِلْأَنْبَاءِ مَا يَلِيقُ بِهِمْ مِنْ خُطُوبَاتٍ؛ «تَعَلَّمْ مَهَارَةَ صَغِيرَةٍ وَتَعْلِيمُهَا لِصَغِيرٍ» فَقَالَ الْإِمَامُ "نَعَمْ الْمَشْرُوعُ وَفِيهِ مَعْنَى مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ (الْأَحْزَابُ 39)

وَمِنْ أَلْسِنَةِ «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا» (حَدِيثٌ). فَعَلِمَ «رِيَّانُ» صَدِيقًا صَغِيرًا قَاعِدَةً فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَّمَتْ «رَابِيعَةً» صَدِيقَتَهَا طَرِيقَةً فِي تَلْخِصِ الدُّرُوسِ، وَفِي النِّهَايَةِ كَتَبُوا فِي التَّقْرِيرِ أَنَّ «الْمَعْرِفَةَ» تَحَوَّلَتْ «نَفْعًا» وَأَنَّ «النَّصِيحَةَ» صَارَتْ «تَدْرِيبًا» وَأَنَّ الشُّعُورَ بِالْقَدْرِ زَادَ.

وَلَا بُدَّ مِنْ مُحَنَةٍ تُصَفِّي الْقَصْدَ؛ فَقَدْ ضَاقَ الزَّمَنُ يَوْمًا وَكَثُرَتْ الْأَعْمَالُ
فَقَالَ «صَفْوَانُ» "نَحْشَى أَنْ تَضِيقَ الْأُسْبُوعَاتُ عَنْ مَشْرُوعِنَا" فَقَالَ الْإِمَامُ "لَا
تَدْعُوا لِلنَّفْسِ سَبِيلًا إِلَى الْيَأْسِ؛ «أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا» وَادْكُرُوا

﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الْمُلْكُ 2)

فَالْمِيزَانُ «أَحْسَنُ» لَا «أَكْثَرُ»، وَأَسْتَحْضِرُوا «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ أَدْوَمُهَا»
(حَدِيثُ). ثُمَّ قَالَ "إِنَّ ضَاقَ الزَّمَنُ فَقَدِّمُوا خُطْوَةً صَغِيرَةً عَلَى وَعْدٍ كَبِيرٍ، فَقَدْ
قَالَ النَّبِيُّ (ص) «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا» (حَدِيثُ).

وَتَفَجَّرَ مِنْ «مِيزَانِ الْمَنْفَعَةِ وَالضَّرَرِ» مِقْدَارٌ مِنَ الْفَقْهِ الْعَمَلِيِّ؛ فَعِنْدَمَا
عَرَضَ «رَبَّانُ» مَشْرُوعًا لِيَجْمَعَ أَلْعَابَ لِلصَّبِيَّانِ قَالَتْ «حِلْمَةٌ» "نَزِنُ الْأَمْرَ؛ أَتُثْمِرُ
الْأَلْعَابُ نَفْعًا أَمْ تُكْثِرُ الشَّغَبَ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نُحَوِّلُهُ إِلَى «جَمْعِ أَدَوَاتِ رِيَاضَةِ
نَافِعَةٍ» لِيَجْتَمَعَ الْفَرَحُ وَالْقُوَّةُ؛ «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ
الضَّعِيفِ» (حَدِيثُ). فَفَعَلُوا وَظَهَرَ الْأَثَرُ فِي السَّاحَةِ.

وَكَانَ مِنْ «مِيزَانِ الْمَالِ» أَنْ يَنْظُرُوا فِي عَاقِبَةِ الْخُطُوبَاتِ؛ فَاقْتَرَحَتْ
«رَابِيعَةٌ» أَنْ يُقِيمُوا مَجْلِسًا صَغِيرًا لِلصَّبِيِّاتِ تَقْرَأُ فِيهِ كُلُّ مِنْهُنَّ صَفْحَتَيْنِ ثُمَّ تُخْبِرُ
بِأَثَرِهَا فِي الْأَخْلَاقِ، فَقَالَ الْإِمَامُ "نَنْظُرُ فِي الْمَالِ؛ هَلْ يُثْمِرُ التَّزَامًا دَائِمًا وَهَلْ
يَحْفَظُ الْخُصُوصِيَّةَ وَهَلْ يَزِيدُ الْحَيَاءَ وَالتَّعَاوُنَ" ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (الْمَائِدَةُ 2)

وَقَالَ "إِنْ رَأَيْنَا الْخَيْرَ دَاوَمْنَا وَإِنْ رَأَيْنَا غَيْرَهُ غَيَّرْنَا."

وَفِي لَيْلَةٍ هَادِيَةٍ جَلَسَتِ الْأُسْرَةُ يَتَفَقَّدُونَ «دَفْتَرَ الْأَثَرِ». قَالَ «صَفْوَانُ»
"نُشِبْتُ فِي صَدْرِ الدَّفْتَرِ شِعَارًا يَجْمَعُ طَلَبَ الْعِلْمِ وَالتَّنْفِيدِ؛

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الْبَقَرَةُ 127)

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (الْبَقَرَةُ 197)

لِنَجْمَعَ بَيْنَ تَقَبُّلِ يَطْلُبُ رِضَاهُ وَزَادِ يَحْرُسُ الطَّرِيقَ. ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ
"نَجَدُّ عَهْدِ النَّبِيِّ قَبْلَ كُلِّ خُطْوَةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِنَا وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى
قُلُوبِنَا وَأَعْمَالِنَا."

وَتَحَوَّلَتِ الْكَلِمَاتُ فِي الْبَيْتِ إِلَى صِيغٍ تَدْفَعُ إِلَى الْعَمَلِ. كَانُوا إِذَا قَالُوا
"سَنَفْعَلُ" قَالُوا مَعَهَا "مَتَى" وَ"كَيْفَ" وَ"مَا الْأَثَرُ" وَإِذَا فَرَعُوا قَالُوا "مَاذَا تَغَيَّرَ"
وَ"مَاذَا نَحْسِنُ". وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَتَذَكَّرُونَ قَوْلَهُ تَعَالَى

﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (الْبَقَرَةُ 110)

فَيَنْشُطُ الْقَلْبُ لِأَنَّ الْخَيْرَ لَا يَضِيعُ.

وَأَرَادَ اللَّهُ لِلنَّيِّتِ اخْتِبَارًا يُطَهِّرُ الْقَصْدَ؛ سَقَطَ الْمَطَرُ فَتَعَطَّلَ مَشْرُوعُ السَّقْيِ فِي يَوْمٍ، فَقَالَ «رِيَّانُ» "نَحْزَنُ لِفَوَاتِ الْعَمَلِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "لَا يَحْزَنُكَ؛ إِذَا قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسَهَا" (حَدِيثٌ) "فَمَا لَا يَتَأَتَّى لَنَا فِي الْخَارِجِ نُحُولُهُ فِي الدَّاخِلِ؛ نُرْتَبُ كُتُبًا وَنَجْمَعُ أَدَوَاتٍ لِحِدْمَةِ الْمَسْجِدِ وَنَدْعُو لِلْحَدِيثَيْنِ." فَتَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يُعْطِلُ وَأَنَّ الْعَزَمَ إِذَا تَحَوَّلَ مِنْ بَابٍ دَخَلَ مِنْ آخَرٍ.

وَتَوَالَتِ الْأُسْبُوعَاتُ عَلَى نَفْسِ النَّظَامِ؛ «مَشْرُوعُ أَثَرٍ» يَجْمَعُ قَلْبًا وَيُحَرِّكُ يَدًا وَيُسَجِّلُ تَغْيِيرًا صَغِيرًا لِكِنَّةٍ ثَابِتَةٍ. فِي أُسْبُوعٍ أَقَامُوا «رُكْنًا لِصِنَاعَةِ الْفَائِدَةِ» فِي الْمَطْبَخِ يَقِيسُ الْمَاءَ الْمُسْتَعْمَلَ وَيَقْلُلُ الْهَذَرَ ثُمَّ يَتَصَدَّقُ بِمَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، وَفِي آخَرٍ جَمَعُوا «كَلِمَةً طَيِّبَةً» يَقُولُهَا كُلُّ وَاحِدٍ لِصَاحِبِهِ بَعْدَ الْعِشَاءِ فَسَكَنتِ النُّفُوسُ وَانْكَسَرَتْ حِدَّةُ النَّهَارِ. وَفِي آخَرٍ نَظَّمُوا «يَوْمًا لِلْقِرَاءَةِ» يَجْلِسُونَ فِيهِ سَاعَتَيْنِ بِلَا هَوَاتِفٍ فَارْتَفَعَ مِقْدَارُ الْفَهْمِ وَالْحِفْظِ. وَفِي آخَرٍ خَدَمُوا «بَابَ الْمَسْجِدِ» بِنِظَافَةٍ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَبَشِّرَ الْمُصَلُّونَ وَدَعَا لَهُمْ.

وَكُلَّمَا كَتَبُوا تَقْرِيرَ أَثَرٍ قَرَأُوا فِي ذِيهِ

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزُّلْزَلَةُ 7)

فَيَسْتَفِيدُ الرَّجَاءُ وَيَبْعُدُ الرَّيَاءُ. وَإِذَا رَأَوْا تَفَاوُتًا بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ عَادُوا

إِلَى آيَةِ الْأُولَى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصَّف 2-3)

فِيحْيَا الصَّمِيرُ وَيَسْتَحْيِي اللِّسَانُ.

وَحَدَّثَ فِي يَوْمٍ أَنْ اخْتَلَفُوا فِي تَرْتِيبِ الْأُولَوِيَّاتِ؛ أَيْقَدَّمُونَ «مَشْرُوعَ الزِّيَارَةِ» أَمْ «مَشْرُوعَ التَّعْلِيمِ» فَقَالَ الْإِمَامُ "نُحَكِّمُ «مِيزَانَ الْمَنْفَعَةِ وَالضَّرَرِ» وَ«مِيزَانَ الْمَالِ» وَ«مِيزَانَ السَّنَنِ»؛ أَيُّهَا أَدُوْمُ وَأَنْفَعُ وَأَقْرَبُ إِلَى الْمَقْصِدِ نُقَدِّمُهُ، وَنَقُولُ مَعَ ذَلِكَ

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (الْبَقَرَةُ 45)

فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا سَكَنَ قَامَ الْحُكْمُ عَلَى بَيِّنَةٍ. وَقَالَ "نَحْفَظُ كَذَلِكَ «أَمَانَةَ الزَّمَنِ»

﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (الْعَصْرِ 1-3)

فَنَرُصِدُ اللَّحْظَاتِ لِتُثْمَرَ وَلَا تَضِيعَ.

وَأَثْمَرَتِ الْخُطُوبَاتُ أَثَرًا يَرَاهُ الْجِيرَانُ؛ سَأَلَ رَجُلٌ «صَفْوَانُ» "مَا السِّرُّ فِي هَذِهِ النَّهْضَةِ الصَّامِتَةِ فِي بَيْنِكُمْ" فَقَالَ "سِرُّنَا آيَةُ تَذَكُّرٍ وَعَمَلٌ يُجَرِّبُ وَتَقَرُّيرٌ

يُرْصَدُ" ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ (التَّوْبَةُ 105)

وَقَالَ "مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ" (حَدِيثٌ). فَقَالَ الرَّجُلُ
"نَلْتَرِمُ مَعَكُمْ" فَبَشَّرَهُ الْإِمَامُ وَجَعَلَ لَهُمْ صَحِيفَةً مِنْ «دَفْتَرِ الْأَثَرِ» لِيَبْدُؤُوا.

وَفِي «يَوْمِ الْحَصَادِ الْأَوَّلِ» اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ بَعْدَ الْعَصْرِ يَحْمِلُ كُلُّ
مِنْهُمْ «تَقْرِيرًا مُصَغَّرًا» لِمَا صَنَعَتْ يَدَاهُ. قَالَتْ «رَايَةُ» "زَادَتْ سَاعَاتُ قِرَاءَتِنَا
وَخَفَّتْ حِدَّةُ الْكَلَامِ عِنْدَ النَّوْمِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا أَثَرٌ

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ (الشَّرْحُ 7)

وَأَثَرٌ «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ أَذْوَمُهَا» (حَدِيثٌ). وَقَالَ «رِيَّانُ» "أَصْلَحْنَا طَرِيقَ
الْمَسْجِدِ وَتَكَاثَرَ الدَّاعُونَ لَنَا" فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا أَثَرٌ

﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (الْبَقَرَةُ 110). "

ثُمَّ قَالَ "نَجِدُ دَافِعًا لِفَضْلِنَا الْقَادِمِ عَهْدًا عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ وَنَزِيدٌ فِيهِ خُطْوَةٌ
«تَعْلِيمِ آيَةٍ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ» عَلَى مَنْ نَسْتَطِيعُ."

وَفِي اللَّيْلِ إِذَا سَكَنَ الْبَيْتُ كَانُوا يَقْرَءُونَ مَا يُثَبِّتُ الطَّرِيقَ

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (التَّوْبَةُ 120 مَعْنَى وَدَلَالَةً)

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾

(النِّسَاءُ 125)،

ثُمَّ يَقُولُونَ "اللَّهُمَّ أَعِنَّا وَلَا تُعِنْ عَلَيْنَا وَأَنْصُرْنَا وَلَا تَنْصُرْ عَلَيْنَا" (حَدِيثٌ) لِيُنْقَى الْعَزْمُ فِي رَحْمَةٍ وَالطَّلَبُ فِي التَّجَاهِ الصَّحِيحِ.

وَيَبْنِمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ قَالَ الْإِمَامُ "أَحِبُّ أَنْ أَذْكُرْكُمْ بِجَامِعٍ يَضُمُّ طَلَبَ الْعِلْمِ وَخَطْوَةَ الْعَمَلِ

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ (النَّجْمُ 40)

وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ" (حَدِيثٌ)، "فَمَنْ صَحَّ قَصْدُهُ وَصَلَحَ سَعْيُهُ رَأَى أَثَرَهُ فِي الدُّنْيَا سَكِينَةً وَفِي الْآخِرَةِ رِضْوَانًا." ثُمَّ قَالَ وَفِي صَوْتِهِ بَرَكَتُ الْخِتَامِ "مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ" (حَدِيثٌ) فَشَكَرُوا بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى مَا جَرَى مِنْ مُعَاوَنَةٍ وَتَنَاضُحٍ وَخِدْمَةٍ.

وَخَرَجُوا إِلَى الْحَيَاةِ وَفِي الْقُلُوبِ شِعَارٌ يَجْمَعُ مَا قَرَأُوا وَمَا فَعَلُوا؛

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الْأَنْعَامُ

.(162)

فَصَارَ «الْعِلْمُ» سُلَّمًا وَ«الْعَمَلُ» مِشْيًا عَلَيْهِ وَ«دَفْتَرُ الْأَثَرِ» شَاهِدًا لَا يَكْذِبُ، وَكُلَّمَا فَتَحُوا صَفْحَةً جَدِيدَةً كَتَبُوا فِي صَدْرِهَا

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه 114)

وَفِي ذَيْلِهَا

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا﴾ (التَّوْبَةُ 105)

لِيَجْمَعُوا بَيْنَ الطَّلَبِ وَالْمَسِيرِ، وَفِي الْيَوْمِ الَّذِي يَقِيسُونَ فِيهِ أَثَرَ «عَمَلٍ وَاحِدٍ» يَجِدُونَ أَنَّ الْقَلْبَ قَدْ سَمَا وَأَنَّ الْعَادَةَ قَدْ رَسَخَتْ وَأَنَّ الْكَلِمَةَ قَدْ صَدَقَتْ. وَهَكَذَا يَبْقَى «مَشْرُوعُ الْأَثَرِ» جِسْرًا بَيْنَ مَجْلِسٍ يُتَلَّى فِيهِ الْكِتَابُ وَبَيْنَ سَاعَةٍ تُنْفَقُ فِي الْحَيَاةِ لِخَيْرٍ يُرَى وَيُدَوَّنُ، حَتَّى إِذَا قَامَ «يَوْمُ الْحَصَادِ» كَانَتْ الصُّحُفُ بِأَيْدِيهِمْ شَاهِدَةً وَكَانَتْ الْقُلُوبُ عَلَى نِيَّةٍ قَدِيمَةٍ مُتَجَدِّدَةٍ، وَكَانَ الدُّعَاءُ خَاتِمًا "اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَقَلْبًا خَاشِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا" (حَدِيثٌ).

الدَّرْسُ التَّاسِعُ: الْأُبُوَّةُ الرَّاشِدَةُ

تَرَاجَعَ صَوْنُ الْعَصْرِ عَنِ الْأَسْطِخَةِ الصَّامِتَةِ وَأَنْسَلَ مِنْ نُثُوءَاتِ الْجِدَارِ
خَيْطٌ مِنْ ذَهَبٍ يَتَدَثَّرُ بِأَنْفَاسِ الْمَسَاءِ، وَفِي الْبَيْتِ حَرَكَةٌ تَلْطُفُ حِينًا وَتَشْتَدُّ
حِينًا كَأَنَّهَا نَبْضُ مَدِينَةٍ صَغِيرَةٍ تَتَرَيَّثُ عِنْدَ الصَّلَاةِ. دَخَلَ «صَفْوَانُ» مُتَعَبًا مِنْ
طُولِ سَعْيٍ وَوَجْهِهِ عَلَيْهِ أَثَرُ هَمٍّ نَبِيلٍ يَجْمَعُ هَمَّ الرِّزْقِ وَهَمَّ الْقُرْبِ، فَنَظَرَ إِلَى
«رِيَّانَ» وَ«رَابِيَةَ» يَنْقُلَانِ كُتُبًا إِلَى «زَاوِيَةِ السَّكِينَةِ» فَابْتَسَمَ وَجَلَسَ يُرَتِّبُ أَنْفَاسَهُ
كَمَنْ يَضَعُ حَجَرَ الْأَسَاسِ لِبِنَاءٍ أَمِينٍ. تَقَدَّمَ الْإِمَامُ لِرِيَاةٍ وَقَدْ تَمَشَّى فِي مَدْخَلِ
الْبَيْتِ عَلَى قَدَرٍ مِنَ السُّكُونِ يُشْبِهُ نَفْسَ التَّلَاوَةِ، ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَفْتَحُ بَابَ الْمَقْصِدِ
بِالْقُرْآنِ

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا
أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لُقْمَانُ 17)

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ (لُقْمَانُ 18)

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ (لُقْمَانُ 19).

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى «صَفْوَانَ» وَقَالَ "هَهُنَا مِيزَانُ الْأَبْوَةِ الرَّاشِدَةِ؛ صَلَاةٌ تُقَامُ وَقَوْلٌ يُؤْمَرُ بِهِ وَمُنْكَرٌ يُنْهَى عَنْهُ وَصَبْرٌ يَحْمِلُ الْأَثْقَالَ، وَفِي الْخُلُقِ قَصْدٌ وَخَفْضُ صَوْتٍ وَتَوَاضُعٌ يَزِنُ الْمَشْيَ وَالْكَلِمَةَ."

قَالَ «صَفْوَانَ» وَفِي صَوْتِهِ مَزِيحٌ الْأَعْتِدَارِ وَالْعَزَمُ "أَخَذَنِي السَّعْيُ فِي الرِّزْقِ وَأَخَذَنِي مَعَهُ الشَّوْقُ إِلَى الْمَجْلِسِ مَعَ أَبْنَائِي، فَكَيْفَ أَوَازُنُ بَيْنَ يَدِ تَعْمَلٍ وَقَلْبٍ يُرِيدُ الْقُرْبَ."

فَقَالَ الْإِمَامُ "تَجَمُّعُ «مِيزَانَ الْقُدْوَةِ» وَ«مِيزَانَ الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ» وَ«مِيزَانَ الشُّورَى»، فَتَسِيرُ فِي أَلْبَيْتٍ عَلَى سُنَّةٍ لَا عَلَى عَاطِفَةِ الْوَقْتِ. وَافْتَحْ لِقَلْبِكَ بَابَ الْأَطْلَبِ قَوْلًا وَعَمَلًا

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه 132)

وَأَجْعَلْ لِأَبْنَائِكَ نَصِيبًا مِنَ الْحُسْنَى

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾
(الْفُرْقَانُ 74).

ثُمَّ قَالَ "وَأَسْتَعِزْ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ (ص)؛ «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»" (حَدِيثٌ) "فَأَنْتَ رَاعٍ فِي بَيْتِكَ وَمَسْئُولٌ عَنْ هَذِهِ الْقُلُوبِ الصَّغِيرَةِ، وَقَدْ قَالَ أَيْضًا «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»" (حَدِيثٌ).

هَزَّ «صَفْوَانُ» رَأْسَهُ وَقَالَ "أَجْعَلْ لِي سِنِي «مَجْلِسِ أَبِي وَأَبْنِي» يَجْتَمِعُ فِيهِ الْقُلُبَانِ عَلَى مَسَاءَلَةٍ صَادِقَةٍ وَمُكَاشَفَةٍ لَطِيفَةٍ" فَابْتَسَمَ الْإِمَامُ وَقَالَ "نُثِبْتُ لَهُ مَوْعِدًا بَعْدَ الْمَغْرِبِ مِنْ كُلِّ أُسْبُوعٍ، وَلَهُ «قَاعِدَةٌ» تُطْفِئُ الصَّخَبَ قَبْلَ الْكَلَامِ؛ «ثَلَاثُ دَقَائِقَ قُدُورَةٍ صَامِتَةٍ قَبْلَ كُلِّ صَلَاةٍ مَعَ الْأَبْنَاءِ» فَيَرُونَكَ وَأَنْتَ تُسَابِقُ إِلَى الْوُضُوءِ وَتُقِيمُ سُنَّةَ وَتُهْدِي النَّفْسَ، ثُمَّ تَتَكَلَّمُ". ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ (الْمَائِدَةُ 49)

لِيُثْبِتَ «مِيزَانَ الْعَدْلِ»، وَقَرَأَ

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النَّحْلُ 90)

وَقَالَ "وَفِي السُّنَّةِ «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»" (حَدِيثٌ) "فَاجْمَعْ بَيْنَ حَزْمٍ يَقُومُ بِالْحَقِّ وَرَفْقٍ يُبْقِي وَدًّا".

أَطْفَأُوا الْأَصْوَاتَ حَوْلَ الْمَغْرِبِ وَنَضَرُوا وُجُوهَهُمْ بِمَاءِ الْوُضُوءِ، ثُمَّ جَلَسَ «صَفْوَانُ» أَمَامَ الْأَبْنَاءِ ثَلَاثَ دَقَائِقَ صَامِتَةٍ، يَضَعُ الْقَلْبَ عَلَى الْقِبْلَةِ وَيَنْظُرُ فِي مِرَاةِ الضَّمِيرِ، وَفِي الْقُلُوبِ يَنْبُوعٌ صَغِيرٌ يَتَفَجَّرُ بِالطُّمَأْنِينَةِ. ثُمَّ صَلَّوْا وَجَلَسُوا فِي الْمَجْلِسِ الْأُسْبُوعِيِّ عَلَى سَجَادَةٍ تَشْهَدُ لِقَدَمَيْنِ تَتَعَلَّمَانِ الشَّبَاتَ. قَالَ «رِيَّانُ» وَفِي عَيْنَيْهِ لَمْعَةٌ الْإِحْفَاطِ وَالرَّهْبَةِ "أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ يَا أَبَتِ؛ لِمَذَا تَغِيبُ عَنَّا أَحْيَانًا ثُمَّ تَرْجِعُ مَثْقُولًا بِهِمَّ الْعَمَلِ" فَوَضَعَ «صَفْوَانُ» يَدَهُ عَلَى كَتِفِهِ

وَقَالَ "السَّعْيُ لِلرِّزْقِ فَرَضٌ يَا بُنَيَّ، وَأَنَا أَسْعَى لِأَكْرِمَكُم؛ لَكِنَّ الْقَلْبَ لَا يَحْقُ لَهْ أَنْ يَبْعُدَ. سَنَكْتُبُ «عَهْدًا» لِهَذَا الْمَجْلِسِ لَا يُكْسِرُهُ الْعَمَلُ إِلَّا لِعُذْرٍ بَيْنٍ". ثُمَّ قَرَأَ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (التَّحْرِيمُ 6)

لِيُثَبِتَ أَنَّ الْحِفَاطَ عَلَى الْأَبْنَاءِ أَمَانَةٌ كُبْرَى، وَقَالَ "مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدَهُ مِنْ نِحْلَةٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنِ" (حَدِيثٌ)، "فَسَنَجْعَلُ هَذَا الْمَجْلِسَ مِفْتَاحًا لِلْأَدَبِ وَحِصْنًا لِلرَّحْمَةِ".

وَقَالَتْ «رَايِيَّةُ» وَقَلْبُهَا يَنْطِقُ بِلُغَةِ الْبِنْتِ إِذَا اسْتَأْنَسَتْ بِوُجُودِ أَبِيهَا "أَحِبُّ يَا أَبَتِ أَنْ تَقْرَأَ مَعَنَا آيَةً قَبْلَ أَنْ نَتَحَاوَرَ" فَقَرَأَ «صَفْوَانُ» بِهَذِهِ

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الْإِسْرَاءُ 23)

وَاتَّبَعَهَا بِمَا يُلَطِّفُ نَفْسَ الْوَلَدِ

﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الْإِسْرَاءُ 24)،

ثُمَّ قَالَ "أَتَوَسَّلُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يُحْسِنَ لِي وَأَنْ يُحْسِنَ لَكُمْ؛ «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُثِقَنَهُ»" (حَدِيثٌ). فَسَكَنَتِ الْقُلُوبُ وَاشْتَغَلَتِ الْعُيُونُ بِنُورِ خَفِيِّ يُسَمَّى «الْأَمْنُ فِي الْبَيْتِ».

تَسَلَّلَ صَوْتُ الْمُنَادِي مِنَ الْمَسْجِدِ كَنَسِيمٍ يَقُولُ «اللَّهُ أَكْبَرُ»، فَقَامَ «صَفْوَانُ» وَهُوَ يُمَسِّكُ بِيَدِ «رِيَّانَ» قَائِلًا "سَتَرَانِي بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ أَصْلِحْ نَفْسِي وَأَسْتَغْفِرُ وَأُهْدِي الرُّوحَ؛ هَذِهِ «ثَلَاثُ دَقَائِقَ قُدُوةٍ صَامِتَةٍ» قَبْلَ الصَّلَاةِ، تَحْفَظُ لِلْقَلْبِ قِبْلَتَهُ وَلِلْبَيْتِ وَجْهَتَهُ." ثُمَّ صَلَّوْا وَبَعْدَ الصَّلَاةِ جَلَسُوا فِي الْمَجْلِسِ وَقَالَ الْإِمَامُ "نُثِبْتُ لِمَجْلِسِكُمْ «مِيزَانَ الشُّورى»

﴿وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آلْ عِمْرَانَ 159)

فَيَسْأَلُ الْأَبَ أَوَّلًا وَيَسْمَعُ، ثُمَّ يُعَلِّقُ ثَانِيًا عَلَى قَدْرِ، ثُمَّ يَقْضِي بِالْحَقِّ ثَالِثًا لِئَلَّا يَسْرِقَ الْحُبُّ نِصْفَ الْحَقِّ وَلَا يَسْرِقَ الْحَزْمُ نِصْفَ الرَّحْمَةِ."

مَرَّتْ أَيَّامٌ وَ«مِيزَانُ الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ» يَتَجَلَّى فِي صُورٍ صَغِيرَةٍ تُشَبِّهُ قَطْرَ الْمَطَرِ. تَأَخَّرَ «رِيَّانُ» عَنْ وَاجِبٍ فَقَالَ «صَفْوَانُ» بِصَوْتِ هَادِيٍّ "سَأُحَاسِبُكَ بَعْدَ أَنْ أُحَاسِبَ نَفْسِي؛ أَأَطَلْتُ الْغِيَابَ ثُمَّ طَلَبْتُ مِنْكَ دِقَّةَ الْحُضُورِ" ثُمَّ قَرَأَ

﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ (النِّسَاءُ 135)

وَقَالَ "أَعْطَيْكَ فُرْصَةً، وَأَعْطَيْ نَفْسِي مَعَكَ قَدْرًا أَرِيدُ فِيهِ قُرْبًا" ثُمَّ اسْتَحْضَرَ حَدِيثًا يُطْمَئِنُّ الْقَلْبُ "«الرَّفْقُ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ»" (حَدِيثٌ). فَتَعَلَّمَ الْغُلَامُ أَنَّ الْعَدْلَ لَيْسَ غِلْظَةً وَأَنَّ الرَّحْمَةَ لَيْسَتْ تَرْكًا لِلْحَدِّ.

وَحِينَ تَزَاحَمَتِ الْأَعْمَالُ عَلَى «صَفْوَانٍ» فِي يَوْمٍ شَدِيدٍ وَهُوَ قُبَيْلَ مَوْعِدِ
الْمَجْلِسِ رَنَّتِ السَّاعَةُ وَالْمُكَالِمَةُ تَسْتَدْعِيهِ، فَنَظَرَ إِلَى الْأَبْنَاءِ وَقَالَ "سَأُوجِّلُ
الْمُكَالِمَةَ إِلَى بَعْدِ الْمَجْلِسِ، فَالْعَهْدُ أَمَانَةٌ"، ثُمَّ قَرَأَ

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ (النِّسَاءُ 58)

وَأَسْتَحْضَرَ فِي الصَّدْرِ "«لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةٌ لَهُ»" (حَدِيثٌ) فَكَانَتْ
تِلْكَ الدَّقَائِقُ الصَّامِتَةُ قَبْلَ الصَّلَاةِ شَاهِدًا لِلْأَبْنَاءِ عَلَى قُدْوَةٍ تُقَدِّمُ الْعَهْدَ عَلَى
الْعَرَضِ.

فِي «مَجْلِسِ الشُّورَى» تَعَلَّمَ «رِيَّانُ» أَنْ يَسْأَلَ سُؤَالَ يَبْنِي وَلَا يَهْدِمُ. قَالَ
"كَيْفَ أَصْبَحُ قَوِيًّا فِي دِرَاسَتِي وَفِي أَخْلَاقِي مَعًا" فَقَالَ «صَفْوَانُ» "نَجْمَعُ لَكَ
بَيْنَ الْآيَةِ وَالْقَدَمِ؛

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ (الْعَلَقُ 1)

فَهَذَا طَلَبُ الْمَعْرِفَةِ، وَثَلَاثُ دَقَائِقَ قُدْوَةٍ قَبْلَ كُلِّ صَلَاةٍ فَهَذِهِ قَدَمٌ
عَلَى طَرِيقِ التَّهْدِيدِ، وَعَمَلٌ صَغِيرٌ تَظْهَرُ فِيهِ أَدَبًا لِأُمِّكَ وَأَخْتِكَ، فَإِنَّ «خَيْرَكُمْ
خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ» (حَدِيثٌ). وَقَالَ "وَأَسْتَعِنَ بِاللُّغَاةِ

﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه 114)

وَبِالْعَزْمِ

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (آلُ عِمْرَانَ 159).

وَفِي يَوْمٍ آخَرَ أَخَذَ «صَفْوَانُ» بِيَدِ «رَيَّانَ» إِلَى الْمِشْغَلِ الصَّغِيرِ فِي الْبَيْتِ فَأَصْلَحَا رَفًّا مَكْسُورًا، وَفِي الْقَلْبِ كَلِمَةٌ تَكْتُبُهَا الْأَعْمَالُ "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ" (حَدِيثٌ)، ثُمَّ قَالَ لِأَبْنَيْهِ "انْظُرْ إِلَى يَدَيْكَ؛ إِنَّهُمَا تُعَلِّمَانِ قَلْبَكَ مَا لَا تُعَلِّمُهُ الْكَلِمَةُ وَحْدَهَا". وَبَعْدَهَا مَضَيَا إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّيَا وَجَلَسَا دَقَائِقَ لِلتَّسْبِيحِ وَالِدُّعَاءِ، وَقَدْ عَلِمَ «رَيَّانُ» أَنَّ أَقْرَبَ مَحَالِّ الْقُرْبِ إِلَى اللَّهِ هُوَ السُّجُودُ "أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ" (حَدِيثٌ).

تَغَيَّرَتْ مَعَالِمُ الْبَيْتِ بَعْدَ أَسَابِيْعٍ؛ خَفَّ صَخْبُ الْكَلِمَةِ وَسَكَنَتْ عَجَلَةُ الْخُطُوبَاتِ وَصَارَ «مَوْعِدُ الْمَجْلِسِ» مَثَلًا يُقَالُ فِي الْحَيِّ. سَأَلَ جَارُ «صَفْوَانِ» "مَا الَّذِي غَيَّرَ طَرِيقَكَ مَعَ أَبْنَائِكَ" فَقَالَ "آيَاتُ لُقْمَانَ وَثَلَاثُ دَقَائِقِ قُدُوءِ قَبْلِ كُلِّ صَلَاةٍ وَ«مَجْلِسُ أَبِي وَابْنٍ» يَسْأَلُ وَيَسْمَعُ وَيَقْضِي بِالْحَقِّ". ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الرُّمُّ 18)

وَقَالَ "مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ" (حَدِيثٌ) فَاسْتَبَشَرَ الْجَارُ وَجَعَلَ لِبَيْتِهِ مِثْلَ ذَلِكَ.

وَحِينَ تَعَرَّضَ الْبَيْتُ لِمِحْنَةٍ صَغِيرَةٍ انْكَسَرَ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ النَّظَامِ لِمَرَضٍ

«صَفْوَان» أَيَّامًا، لَمْ يَغِبْ «مِيزَانُ الْقُدُورَةِ»؛ قَامَ «رَبَّانٌ» يُؤَدِّنُ لِأُمِّهِ وَلِأُخْتِهِ ثَلَاثَ دَقَائِقَ صَامِتَةً قَبْلَ الصَّلَاةِ، ثُمَّ قَالَ لِأَبِيهِ "سَأَحْمِلُ مَكَانَكَ حَتَّى تَعُودَ" فَأَبْتَسَمَ «صَفْوَانُ» وَقَالَ "هَذَا ثَمَرُ الْعَهْدِ وَهَذِهِ قُرَّةُ الْعَيْنِ؛

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ (الْفُرْقَانُ 74).

وَقَدْ لَطَفَ اللَّهُ لَهُمُ الْبَلَاءَ بِرَفْقٍ "إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ" (حَدِيثٌ).

فِي أَنْتِهَاءِ الشَّهْرِ اجْتَمَعُوا لِيَوْمِ الْحَصَادِ الصَّغِيرِ فِي بَيْتِهِمْ قَبْلَ الْمَسْجِدِ؛ صَحِيفَةٌ يَسْتَعْرِضُونَ فِيهَا مَا غَيَّرَتْهُ «ثَلَاثُ دَقَائِقَ قُدُورَةٍ» فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ مِنْ هُدُوءٍ وَحُسْنِ اسْتِعْدَادٍ، وَمَا أَثْمَرَهُ «مَجْلِسُ الشُّورَى» مِنْ صِدْقِ سُؤَالٍ وَأَدَبِ جَوَابٍ، وَمَا أَوْحَى بِهِ «مِيزَانُ الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ» مِنْ حُدُودٍ يَسْكُنُ فِيهَا الْبَيْتُ. قَالَتْ «حِلْمَةُ» "خَفَّ صَخَبُ النَّهَارِ وَزَادَتْ مُبَادَرَةُ الْأَبْنَاءِ فِي خِدْمَةِ الْبَيْتِ" فَقَالَ «صَفْوَانُ» "نَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى التَّوْفِيقِ

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (النَّحْلُ 53)

وَنُجِدُّدَ عَهْدِ الْقُرْبِ

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (الْبَقَرَةُ 110).

ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ "نَزِيدُ خُطُوءَ؛ تَجْعَلُونَ لِقَلْبِكُمْ وَقْتًا تَقْرَءُونَ فِيهِ صَفْحَةً مِنْ

سِيرَةِ النَّبِيِّ (ص) لَتَرَوْا فِي الْقُدُوءِ كَمَالَهَا؛ «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ» (حَدِيثٌ).

وَحِينَ قَامُوا لِلْمَسْجِدِ بَعْدَ الْعَصْرِ تَقَدَّمَ «صَفْوَانُ» وَخَلْفَهُ الْأَبْنَاءُ، وَقَدْ صَارَتْ «ثَلَاثُ دَقَائِقٍ قُدُوءٍ صَامِتَةٍ» كَالْمِفْتَاحِ يَفْتَحُ بَابَ الصَّلَاةِ، وَصَارَ «مَجْلِسُ الشُّورَى» كَالْمِيزَانِ يُقِيمُ الْكَلِمَةَ عَلَى قَدَرٍ، وَصَارَ «مِيزَانُ الْقُدُوءِ» كَالنُّورِ يُرَى وَلَا يُسْمَعُ. وَفِي الطَّرِيقِ قَالَ «صَفْوَانُ» لِأَبْنِهِ "سَتَسْمَعُ الْآنَ آيَةً تَجْمَعُ لَكَ الطَّرِيقَ"

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الْأَنْعَامُ

(162)

فَإِذَا ظَهَرَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي الْبَيْتِ رَأَيْتَ كُلَّ حَرَكَةٍ سَعِيًّا إِلَيْهِ وَكُلَّ سُكُونٍ تَسْلِيمًا لَهُ."

وَقَعَدُوا بَعْدَ الصَّلَاةِ فِي رِوَاقِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ الْإِمَامُ "يَا «صَفْوَانُ»، أَتَذْكُرُ وَصَايَا لُقْمَانَ لِأَبْنِهِ؟ قَدْ جَمَعْتُ لَنَا مِنْهَا جَ الْأُبُوءَ؛ عِبَادَةً وَأَخْلَاقًا وَتَوَاضُعًا وَقَصْدًا فِي الْحَرَكَةِ وَصَوْنًا لِلصَّوْتِ. فَاجْعَلْهَا تُتْلَى فِي بَيْتِكَ كُلِّ أُسْبُوعٍ، وَاقْرِئْهَا بِحَدِيثٍ يُثَبِّتُ مَعْيَارَ الْقِيَادَةِ فِي الْبَيْتِ «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ» (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَالَ "وَلْيَكُنْ لِقَلْبِكَ دُعَاءٌ يَحْفَظُ لَكَ قَصْدَكَ؛ «اللَّهُمَّ هَبْ لِي فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي سَمْعِي نُورًا وَفِي بَصَرِي نُورًا»" (حَدِيثٌ) لِيَتَحَوَّلَ الْقُدُوءُ نُورًا يَتَسَلَّلُ إِلَى

الْأَبْنَاءِ بِلَا صَخَبٍ."

وَفِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الْقَمَرِ وَقَدْ هَدَأَ الْحَيُّ وَأَنْحَسَرَتْ الْأَصْوَاتُ، قَالَ
«صَفْوَانُ» لِأَهْلِهِ "سَأَجِدُّ عَزْمِي بِآيَتَيْنِ؛

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (الْبَيِّنَةُ 5)

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ (هُودُ 112)

لِقَلَّا يَا كُلَّ النَّشْتِ قَلْبِي. "ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَنْظُرُ فِي وُجُوهِ أَوْلَادِهِ "سَأَبْقَى
لَكُمْ قُدْوَةً تَرَوْنَهَا قَبْلَ أَنْ تَسْمَعُوهَا؛ سَتَرَوْنِي أَسْتَقِظُ لِلْفَجْرِ عَلَى هُدُوءٍ وَأُسَلِّمُ
لِلْأَمِّ قَدْرَهَا وَأَقُومُ بِحَقِّهَا، فَإِنَّ «خَيْرَكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ» (حَدِيثٌ). قَالَ «رِيَّانُ»
وَفِي صَوْتِهِ نَفْسٌ مِنْ «لُقْمَانَ» "وَأَنَا أَعِدُّكَ أَنْ أُفِيمَ الصَّلَاةَ وَأَصْبِرَ عَلَى مَا يُنَالْنِي"
فَقَالَ الْأَبُّ "بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ؛

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (الْبَقَرَةُ 45).

تَتَالَتِ الْأَسَابِيعُ وَ«مَجْلِسُ الْأَبِ وَالْأَبْنِ» يَعْقِدُ الْقُلُوبَ عَلَى صِدْقٍ،
وَ«ثَلَاثُ دَقَائِقَ قُدْوَةٍ صَامِتَةٍ» تُصْلِحُ مَدَارَ الْيَوْمِ، وَ«مِيزَانُ الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ» يُقِيمُ
الْحُدُودَ وَيُزْهِرُ الْوَدَّ. وَمَعَ كُلِّ جَمْعَةٍ كَانُوا يَزُورُونَ الْمَسْجِدَ فَيَجْلِسُونَ قَلِيلًا
لِلْقِرَاءَةِ وَالتَّدْبِيرِ، وَفِي صُدُورِهِمْ آيَةٌ تَتَجَدَّدُ

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزُّلْفَةُ 7).

وَفِي آخِرِ الْفَصْلِ قَامُوا لِيَوْمِ الْحَصَادِ الْأَوَّلِ فِي الْمَسْجِدِ وَقَدْ حَمَلَ كُلُّ مِنْهُمْ شَهَادَةَ قَلْبٍ لَا تُكَذِّبُهَا أَلْعْيُونُ؛ قَالَ الْإِمَامُ "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي الْقُرْآنِ وَصَايَا تُرَبِّي وَفِي السُّنَّةِ قَوَاعِدَ تُهَذِّبُ؛ قَدْ رَأَيْنَا الْآنَ أَثَرَ

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ (لُقْمَانُ 17) فِي سُكُونِ الْبَيْتِ، وَأَثَرَ

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ (لُقْمَانُ 19)

فِي قَدَمٍ تَسِيرُ عَلَى قَدَرٍ، وَأَثَرَ حَدِيثِ «كُلُّكُمْ رَاعٍ» (حَدِيثٌ) فِي قَلْبِ أَبِي جَعَلٍ لِلْقِيَادَةِ وَجْهًا رَحِيمًا. ثُمَّ دَعَا لَهُمْ وَقَالَ "أَنْتَبِهُوا عَلَى الْمِيثَاقِ وَزِيدُوا خُطْوَةَ خَيْرٍ؛ «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا»" (حَدِيثٌ).

وَعَادُوا إِلَى الْبُيُوتِ وَفِي الرُّوحِ بَرَقَةٌ مِنْ نُورٍ تَقُولُ "قَدْ عَرَفْنَا الطَّرِيقَ؛ قُرْآنٌ يَهْدِي وَقُدُوءٌ تَدُلُّ وَمَجْلِسٌ يُصْغِي". وَإِذَا قَامَتِ الصَّلَاةُ رَأَيْتَ «ثَلَاثَ دَقَائِقَ قُدُوءٍ صَامِتَةٍ» تَسْبِقُهَا، وَإِذَا دَارَ الْحَدِيثُ رَأَيْتَ «مِيزَانَ الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ» يُقِيمُهُ، وَإِذَا تَشَابَكَتِ الْخُطُوبَاتُ رَأَيْتَ «مِيزَانَ الشُّورَى» يُوجِّهُهَا. وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ كُلِّهِ يَبْقَى لِقَلْبٍ «صَفْوَانٌ» دُعَاءٌ يَخْتِمُ بِهِ يَوْمَهُ "اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لِأَهْلِي قُدُوءَةً بِالْحَقِّ وَارْزُقْنِي عَدْلًا يُقِيمُهُ رَفَقٌ وَرَحْمَةٌ" (مَأْثُورٌ مَشْرُوعُ الْمَعْنَى). ثُمَّ يَرُدُّ فِي النِّهَايَةِ

﴿وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه' 132)

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ﴾ (الْأَنْعَامُ 162)

لِيَبْقَى مِيثَاقُ الْأَبُوَّةِ مَوْضُوعًا بِالسَّمَاءِ وَمُثَمِّرًا فِي الْأَرْضِ، وَيَبْقَى الْبَيْتُ
كَسَفِينَةٍ يَقُودُهَا رَبُّنَا رَاشِدٌ، يَزِنُ الرِّيحَ وَيُهْدِبُ الشَّرَّاعَ وَيُدَوِّنُ فِي دَفْتَرِ قَلْبِهِ كُلَّ
مَرَّةٍ «ثَلَاثَ دَقَائِقَ قُدُوءٍ» قَبْلَ الصَّلَاةِ، لِيَبْقَى الْوَجْهَةُ مُسْتَقِيمَةً وَالطَّرِيقُ نَيِّرًا
وَالثَّمَرَةُ قُرَّةَ عَيْنٍ فِي الدُّنْيَا وَوِفَاقًا يَوْمَ الْلِقَاءِ.

الدَّرْسُ الْعَاشِرُ: الْأُمُّ رُوحُ الْبَيْتِ

تَسَلَّلَ نَفْسُ الْمَسَاءِ هَادِئًا إِلَى الرَّوَاقِ فَسَكَتَتِ الْأَصْوَاتُ وَخَفَّ ضَجِيجُ النَّهَارِ كَأَنَّهُ يُطْفِئُ سِرَاجَهُ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى يَبْقَى مِنْهُ لَمْعَةٌ تَهْتَدِي بِهَا الْقُلُوبُ إِلَى السَّكِينَةِ. وَفِي وَسْطِ الْبَيْتِ جَلَسَتِ الْأُمُّ «حِلْمَةً» تُرْتَّبُ الْأَكْوَابَ وَتَنْشُرُ عَلَى الطَّائِلَةِ دَفْئًا أَيْضًا يُسَمَّى «دَفْئَ الْعَادَاتِ»، ثُمَّ نَادَتْ بِصَوْتِ الطَّفْلِ مَنْ نَسِيمٍ "يَا بَنِي اجْتَمِعُوا؛ فَقَدْ بَلَّغْنَا مِيعَادَ «سَاعَةِ الْأُمُومَةِ». " دَخَلَ «صَفْوَانُ» وَ«رِيَّانُ» وَ«رَابِيعَةُ» كَأَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ حَرَمًا صَغِيرًا يَسْتَعِيدُ فِيهِ الْبَيْتُ نَبْضَهُ، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ قِرَاءَةٌ تَتَرَجَّعُ فِي الصُّدُورِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ (الْأَحْقَافُ 15).

وَعِنْدَ بَدْءِ الْجُلُوسَةِ قَالَ الْإِمَامُ الرَّائِزُ الَّذِي جَاءَ يُرْشِدُ وَيُؤَنِّسُ "إِنَّ رُوحَ الْبَيْتِ الَّتِي تَجْمَعُ الْعَادَةُ وَالرَّحْمَةُ وَالنَّظَرُ الْبَعِيدُ هِيَ الْأُمُّ؛ فَبِهَا يَسْتَقِيمُ الْإِقَاعُ وَعَلَيْهَا يَقُومُ النِّظَامُ". ثُمَّ تَلَا بِصَوْتٍ يَشُقُّ الدُّرُوبَ إِلَى الْقُلُوبِ

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الْبَقَرَةُ 83)

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الْإِسْرَاءُ 23)

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الْإِسْرَاءُ 24).

ثُمَّ قَالَ "وَفِي السُّنَّةِ حُكْمٌ يُؤَكِّدُ الْأَوَلَوِيَّةَ؛ «مَنْ أَحَقَّ النَّاسُ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أَبُوكَ» (حَدِيثٌ). فَاطْرَقَ الْجَمْعُ وَالْآيَاتُ تَنَحَّتْ فِي الصُّدُورِ مِيزَانًا يَجْمَعُ «مِيزَانَ الرَّحْمَةِ» وَ«مِيزَانَ السُّنَنِ» وَ«مِيزَانَ الْمَقْصِدِ».

قَالَتْ «حِلْمَةٌ» وَفِي صَوْتِهَا سَكِينَةٌ مَنْ يَضَعُ فِي الْأَرْضِ بَذْرَةً "سَأَصْنَعُ لِبَيْتِنَا عَادَاتٍ صَغِيرَةً دَائِمَةً يَحْفَظُهَا الْقَلْبُ قَبْلَ الْقَلَمِ، وَسَأَجْعَلُ لَهَا وَقْتًا مَعْلُومًا يُسَمَّى «سَاعَةَ الْأُمُومَةِ» لَا تُقَاطِعُهَا الْمُكَالِمَاتُ وَلَا تَشْتَتِهَا الْأَصْوَاتُ." ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ تَسْتَحْضِرُ قُوَّةَ الْمَعْنَى فِي التَّادِيْبِ "«اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»" (حَدِيثٌ)، "فَبِالْخَيْرِ يَثْبُتُ الْبَيْتُ وَبِالْعَدْلِ يَعْدِلُ الْقَلْبُ وَبِالرَّحْمَةِ يَحْيَا الْأَدَبُ." وَدَعَتْ أَهْلَهَا إِلَى تَرْتِيبِ مَوَاعِيدِ النَّوْمِ وَنِظَامِ الطَّعَامِ وَأَدَبِ اللَّبَاسِ وَتَهْذِيبِ الْكَلِمَةِ وَمَرَاكِزِ الْقِرَاءَةِ، ثُمَّ قَرَأَ الْإِمَامُ لِيُؤَكِّدَ سُنَّةَ التَّرْبِيَةِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (التَّحْرِيمُ 6)

وَقَالَ "وَفِي الْحَدِيثِ «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»"

(حَدِيثُ)، "فَالْأُمُّ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنِ الْعَادَاتِ الَّتِي تَنْقُشُهَا فِي قُلُوبِ الصِّغَارِ".

تَقَدَّمَ «رِيَّانُ» وَفِي عَيْنَيْهِ بَحْثُ الْفَتَى عَنْ مَعْنَى "كَيْفَ تَجْعَلِينَ يَا أُمًّا لِهَذِهِ الْعَادَاتِ قُوَّةً لَا تَفْنَى" فَقَالَتْ "أَجْعَلُهَا عَلَى «مِيزَانِ السُّنَنِ» لَا عَلَى دَوَافِعِ الْحَالِ؛ قَلِيلًا دَائِمًا يَغْلِبُ كَثِيرًا مُنْقَطِعًا. وَأَسْتَخْرِجُ لَهَا قَصْدًا صَادِقًا؛ فَالطَّعَامُ تَقْوِيَةٌ لِلْبَدَنِ لِبَاعَةِ اللَّهِ، وَالنَّوْمُ تَرْوِيدٌ لِلْعَقْلِ لِيَقُومَ بِمَعْرِفَتِهِ، وَاللِّبَاسُ صَوْنٌ لِلْحَيَاءِ لِيُرْضِيَ رَبَّهُ". ثُمَّ تَلَّتْ قَوْلَهُ تَعَالَى

﴿وَالْوَلَدُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ (الْبَقَرَةُ 233)

لِتَشِيرَ إِلَى سُنَّةِ الْأُمِّ فِي الْغِرَاسِ الطَّوِيلِ، وَقَرَأَ الْإِمَامُ تَمَامَ الْمَعْنَى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ (الْأَحْقَافُ

(15)

لِيُظْهَرَ أَنَّ الْمَشَقَّةَ فِي الْبِدَايَةِ تَصْنَعُ رَاحَةً فِي الْمَالِ.

وَأَشَارَتْ «حِلْمَةُ» إِلَى السَّاعَةِ فَقَالَتْ "هَذِهِ «سَاعَةُ الْأُمُومَةِ»؛ نُطْفِئُ فِيهَا الْأَجْهَرَةَ وَنُسْتَفْتِحُهَا بِآيَةٍ وَدُعَاءٍ وَنُرْتَّبُ فِيهَا الْقَوَائِمَ الصَّغِيرَةَ لِأَيُّومِ الْقَادِمِ". ثُمَّ قَرَأَتْ

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه 132)

وَقَالَتْ "سَنُقِيمُ الصَّلَاةَ فِي وَفْتِهَا وَنُهَيِّي لَهَا الْقُلُوبَ بِسُكُونِ قَبْلَهَا
وَنُظَافَةِ وَوُضُوءٍ وَأَدَبٍ فِي اللَّبَاسِ". وَاتَّخَذَتْ مِنْ الْمَاءِ شُرْبَةً ثُمَّ قَالَتْ "وَفِي
الطَّعَامِ نَجْعَلُ لَهُ مِيزَانًا؛ لَا إِسْرَافَ وَلَا تَقْتِيرَ

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (الْأَعْرَافُ 31)

وَنُقَدِّمُ الصَّحَّةَ عَلَى اللَّذَّةِ، وَفِي النَّوْمِ نُطْفِئُ الْأُسُوفَةَ الصَّاحِبَةَ قَبْلَهُ
بِسَاعَةِ لِيَبْقَى الْقَلْبُ عَلَى سَكِينَةٍ."

قَالَ «صَفْوَانُ» وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْأَثَرِ يَتَشَكَّلُ فِي الْقِصَاعِ وَالْوُجُوهِ
"تُدِيرِينَ يَا حِلْمَةُ رَحَى تَدُورُ عَلَى الرَّحْمَةِ وَتُطْعِمُ كُلَّ مَوْضِعٍ مِقْدَارَهُ" فَقَالَتْ
"إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ" (حَدِيثٌ) "فَالرَّفْقُ فِي التَّعْلِيمِ وَفِي
الْعُقُوبَةِ وَفِي الطَّعَامِ وَفِي النَّوْمِ يَصْنَعُ طِفْلاً هَادِئًا وَشَابًّا رَصِينًا". ثُمَّ قَالَ الْأَمَامُ
"وَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" (حَدِيثٌ) "فَلْيَكُنْ إِحْسَانُكَ يَا ابْنَتُهَا
الْأُمَّهَاتُ فِي التَّدْيِيرِ وَفِي الْكَلِمَةِ وَفِي الْمَنْظَرِ وَفِي الْجَوِّ الَّذِي يَحْمِلُ الْأَبْنَاءَ
عَلَى الْفَضِيلَةِ."

وَبَدَأَتْ «سَاعَةُ الْأُمُومَةِ» عَلَى مَسِيرٍ مَحْكُومٍ بِالسَّنَنِ. جَلَسُوا نِصْفَ سَاعَةٍ
لِلْقِرَاءَةِ فِي الزَّوَايَةِ الْهَادِئَةِ ثُمَّ نَظَرَتْ «حِلْمَةُ» فِي دَفْتَرِهَا وَقَالَتْ "سَنُسَجِّلُ ثَلَاثَ

عَادَاتٍ صَغِيرَةٍ دَائِمَةٍ» لِهَذَا الْأُسْبُوعِ؛ تَهَيَّئَةُ الصَّلَاةِ قَبْلَ الْأَذَانِ بِخَمْسِ دَقَائِقٍ وَقِرَاءَةُ صَفْحَةٍ بَعْدَ الْعِشَاءِ وَتَقْدِيمُ خُضْرَةٍ وَمَاءٍ قَبْلَ الطَّعَامِ لِيَهْدَأَ الْجَسَدُ وَيَرْتُدَّ الْأَكْلُ. "ثُمَّ قَالَتْ "وَسَنُرَاجِعُ أَثَرَهَا فِي آخِرِ الْأُسْبُوعِ؛ هَلْ سَكَنَ النَّوْمُ وَهَلِ انْتَضَمَ الْأَدَبُ وَهَلْ لَانَ الْكَلَامُ". وَقَرَأَ الْإِمَامُ تَأْيِيدًا لِلْقَصْدِ

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزُّلْفَةُ 7)

لِيَتَقَى الرَّجَاءُ مَفْتُوحًا لِكُلِّ خُطْوَةٍ صَغِيرَةٍ.

وَقَامَتِ الْأُمُّ تُهَنْدِسُ الْمَكَانَ عَلَى قَدْرِ الْمَقْصِدِ؛ رَفَعَتْ مَا يَشْغَلُ الْبَصَرَ عَنِ الْقِرَاءَةِ وَوَضَعَتْ سَلَّةَ لِكُتُبِ الْأَبْنَاءِ وَعَلَّقَتْ عَلَى الْجِدَارِ آيَةً تُنَادِي التَّقْوَى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطَّلَاقُ

، (3-2)

ثُمَّ قَالَتْ "سِيرِي الصَّبَاغُ النَّظَامَ بِأَعْيُنِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعُوهُ، فَالْعَيْنُ تُرَبِّي مَعَ الْكَلِمَةِ". وَنَظَرْتُ فِي الْمِرَاةِ قَبْلَ الْخُرُوجِ إِلَى الشُّوقِ فَقَالَتْ "نَقِمْ «مِيزَانَ الْحَيَاءِ» فِي اللَّبَاسِ وَنُخْفِضِ الصَّوْتَ وَنَقْصِدْ فِي الْمَشْيِ" ثُمَّ تَلَتْ

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضِضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ (لُقْمَانُ 19)،

وَبِذَلِكَ صَارَتْ الطَّرِيقَةُ دَرْسًا بَصَرِيًّا يُدَرِّبُ الْأَبْنَاءَ عَلَى الْوَقَارِ.

وَعِنْدَ الظُّهْرِ نَظَّمَتْ «حِلْمَةُ» مَائِدَةً تَجْمَعُ «الْقَلِيلَ الْمُقَنَّ» وَ«الدُّعَاءَ الْقَبْلِيَّ» وَ«سُنَّةَ الْيَمِينِ» وَ«أَدَبَ الْقِسْمَةِ». قَالَ «رِيَّانُ» مُبْتَسِمًا "أَصْبَحَ الطَّعَامُ دَرْسًا وَالسُّكُوتُ عِلْمًا" فَقَالَتْ "هَكَذَا تَصْنَعُ الْعَادَاتُ عُرْفًا صَالِحًا؛ «مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا نُزْعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ»" (حَدِيثٌ). وَبَعْدَ الطَّعَامِ جَلَسُوا قَلِيلًا لِيَذْكُرَ اللَّهُ ثُمَّ قَالَتْ "سَنُخَفِّضُ الْحُلُوقَ وَنَزِيدُ الثَّمَارَ لِيَهْدَأَ النَّوْمُ لَيْلًا؛ فَالْنُّظْمُ الصَّحِيَّةُ مِنْ «مِيزَانِ السَّنَنِ» الَّذِي يُصْلِحُ الطَّرِيقَ كُلَّهُ".

وَعِنْدَ الْمَسَاءِ أَطْفَأَتِ الْأُمُّ الْأَصْوَاتَ الْمُرْجَجَةَ قُبَيْلَ النَّوْمِ بِسَاعَةٍ وَفَتَحَتْ كِتَابًا فِي «رَاوِيَةِ السَّكِينَةِ» وَقَالَتْ "نَحْفَظُ لِلَّيْلِ لِبَاسَهُ

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ (النَّبَأُ 10)

وَنَجْعَلُ لِلنَّوْمِ سَبَاتَهُ

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ (النَّبَأُ 9)

لِيَرْتَاحَ الْجَسَدُ وَتَصْفُو الرُّوحُ". ثُمَّ قَالَتْ "سَنَقْرَأُ صَفْحَةً وَنَدْعُو دُعَاءَ قَصِيرًا وَنَضَعُ الْهَوَاتِفَ خَارِجَ الْغُرْفِ". وَنَظَرَتْ إِلَى «رَايَةِ» فَقَالَتْ بِحَنَانٍ "سَيُصْلِحُ اللَّهُ بِهِذِهِ النَّظْمُ قَلْبَكَ وَعَيْنَيْكَ وَسَيُزِيلُ غَدَاكَ".

وَفِي آخِرِ الْأُسْبُوعِ جَمَعَتِ «حِلْمَةُ» الْأَثَرِ عَلَى صَفْحَةٍ وَقَالَتْ "لِنَنْظُرَ هَلْ ثَبَتَتِ الْعَادَاتُ وَمَاذَا أَنْجَبَتْ". قَالَ «صَفْوَانُ» "خَفَّ التَّوَتُّرُ قَبْلَ النَّوْمِ وَأَصْبَحَ

الصَّبَاحُ أَسهَلُ" وَقَالَ «رَبَّانُ» "سهلَ عَلَيَّ الْحِفْظُ وَزَادَ الْهُدُوهُ" وَقَالَتْ «رَابِيَةُ»
 "تَحَسَّنَ أَدَبُ الْكَلِمَةِ فِي الْبَيْتِ وَقَلَّ الْعِتَابُ." فَقَالَتْ الْأُمُّ "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُنِّمُ
 النَّعَمَ

﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ (النحل 53)،

وَسَنَزِيدُ خُطُوَةً صَغِيرَةً؛ دُقَائِقَ لِمُرَاجَعَةِ «الرَّفَقِ فِي الْكَلِمَةِ» بَعْدَ كُلِّ
 مَغْرِبٍ." وَقَالَ الْإِمَامُ "«خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»" (حَدِيثٌ)
 "فَلْيَكُنْ خَيْرُكُمْ ظَاهِرًا هُنَا أَوَّلًا ثُمَّ يَنْسَاحُ فِي الْحَيِّ."

وَحِينَ خَرَجُوا إِلَى الْمَسْجِدِ بَعْدَ الْعَصْرِ قَالَ الْإِمَامُ "تَبْتَدِئُ النَّهْضَةَ مِنْ
 بَيْتٍ تُدِيرُهُ أُمَّ بَصِيرَةً؛ تَعْرِفُ الْمَقْصِدَ فَتُخَفِّفُ التَّشْتِ وَتَحْفَظُ السُّنَنَ فَتُقِيمُ
 الْإِقَاعَ وَتَرْحَمُ فُتْرَبِيَّ." ثُمَّ تَلَا

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (البقرة 110)

وَقَالَ "وَإِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ؛ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ
 وَعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ وَوَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ" (حَدِيثٌ)، "فَمَنْ رَبِّي وَلَدًا صَالِحًا فَقَدْ
 جَعَلَ لِنَفْسِهِ عَمَلًا لَا يَنْقَطِعُ." فَأُطْرِقَتْ «حِلْمَةُ» وَقَلْبُهَا يَقُولُ "اللَّهُمَّ اجْعَلْ هَذِهِ
 الْعَادَاتِ بَذْرَةَ صَالِحٍ لَا تَبْيَسُ."

وَعَادَتِ الْأُمُّ تُقِيمُ «سَاعَةَ الْأُمُومَةِ» كُلَّ يَوْمٍ عَلَى سُكُونٍ وَعَزْمٍ، فَتَبْدَأُ بِآيَةِ

تُنِيرُ الطَّرِيقَ

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾

(النِّسَاءُ 125)

وَتَتَّبِعُهَا بِدُعَاءٍ فَصِيرٍ وَتُحَدِّثُ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ «عَادَةً وَاحِدَةً» تُصْلِحُ جَانِبًا؛ يَوْمًا لِـ «أَدَبِ الْكَلِمَةِ»، وَيَوْمًا لِـ «نِظَامِ النَّوْمِ»، وَيَوْمًا لِـ «سُنَّةِ الضِّيَافَةِ»، وَيَوْمًا لِـ «مُرَاقَبَةِ الْمَصْرُوفِ»؛ كُلُّ ذَلِكَ عَلَى «مِيزَانِ الرَّحْمَةِ» لِئَلَّا يَنْقَلِبَ النَّظَامُ غِلْظَةً، وَعَلَى «مِيزَانِ السُّنَنِ» لِئَلَّا يَسْتَجِيرَ الْقَلْبُ بِالْعَجَلَةِ، وَعَلَى «مِيزَانِ الْمَقْصِدِ» لِيَبْقَى الْأَعْمَلُ لِلَّهِ. وَكَانَتْ كُلَّمَا ضَاقَتْ أَلُوسَعَةُ قَالَتْ "سَدُّوْا وَقَارِبُوا" (حَدِيثٌ) فَيَسْتَرِيحُ الْبَيْتُ وَيَثْبُتُ عَلَى الْقَلِيلِ الدَّائِمِ.

وَفِي يَوْمٍ الْتَبَسَتْ فِيهِ الْأَحْوَالُ وَاشْتَدَّ الْأَعْمَلُ عَلَى «حِلْمَةٍ» دَخَلَ «صَفْوَانُ» فَوَجَدَهَا جَالِسَةً تَسْتَعِينُ بِذِكْرِ هَادِيٍّ، فَقَالَ "أَتَنْتَعِينَ" فَقَالَتْ "التَّرْيِيَةُ سَفَرٌ طَوِيلٌ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ

﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الرُّمُّرُ 10).

فَقَالَ الْإِمَامُ الَّذِي زَارَهُمْ "إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا" (حَدِيثٌ)،

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (الْبَقَرَةُ 45).

فَابْتَسَمَتْ وَقَامَتْ تُتِمُّ «سَاعَتَهَا» بِلَيْنٍ.

وَأَمَّا «جَدُولُ الْعَادَاتِ الصَّغِيرَةِ الدَّائِمَةِ» فَقَدْ صَارَ كِتَابًا يُجَدِّدُ كُلَّ شَهْرٍ؛
يُكْتَبُ فِي صَدْرِهِ «أَسْمُ اللَّهِ» وَتُذَكَّرُ فِيهِ الْآيَةُ الْمُؤَسَّسَةُ

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ (الْأَحْقَافُ 15)،

ثُمَّ تُسَطَّرُ عَادَاتُ عَشْرِ صِبَاغٍ تُرَاجَعُ أَثَرًا؛ تَهْيِئَةُ الصَّلَاةِ وَنِظَامُ النَّوْمِ
وَقِرَاءَةُ الصَّفْحَةِ وَآدَابُ الطَّعَامِ وَسَاعَةُ الْخِدْمَةِ فِي الْبَيْتِ وَكَلِمَةُ الشُّكْرِ بَعْدَ
الْعُشَاءِ وَصَوْنُ الْبَصَرِ فِي الطَّرِيقِ وَتَخْفِيزُ الصَّوْتِ وَتَرْتِيبُ الْمَكَانِ قَبْلَ النَّوْمِ
وَسُؤَالُ النَّفْسِ فِي آخِرِ الْيَوْمِ «مَاذَا قَدَمْنَا لَوُجُوهِنَا الْآخِرَةَ»

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الْحَشْرُ 18).

وَكُلَّمَا كَتَبُوا أَمْرًا قَالَتِ الْأُمُّ "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ" (حَدِيثٌ) لِيُحْرَسَ
الْعَمَلُ مِنَ الرِّيَاءِ وَيَبْقَى لِلَّهِ.

وَطَالَ الزَّمَانُ عَلَى هَذَا النِّظَامِ فَتَغَيَّرَ الْبَيْتُ بِلَا صَحَبٍ؛ لَيْنٌ فِي الْكَلِمَةِ
وَنَظَرٌ يَحْفَظُ الْحُرُمَاتِ وَغِذَاءٌ يُقِيمُ الْبَدَنَ عَلَى الطَّاعَةِ وَنَوْمٌ يُرْتَّبُ النَّهَارَ. وَحِينَ
سَأَلَ جَارٌ «صَفْوَانُ» "مَا سِرُّ هَذَا الْإِنْتِزَانِ" قَالَ "أُمُّ أَقَامَتْ «سَاعَةَ الْأُمُومَةِ» وَجَدُولًا
لِلْعَادَاتِ وَقَلْبًا يَجْمَعُ الرَّحْمَةَ وَالسَّنَنَ وَالْمَقْصِدَ." ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (النِّسَاءُ 124)

وَقَالَ "وَإِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ" (حَدِيثٌ)، "فَفِي شَقِيقَتِنَا أَلَمٌ
قَسَمٌ كَبِيرٌ مِنْ نُهَضَّتِنَا".

وَحِينَ جَاءَ «يَوْمُ الْحَصَادِ الْأَوَّلِ» فِي آخِرِ الْفَصْلِ دَخَلُوا الْمَسْجِدَ
يَحْمِلُونَ «صَحِيفَةَ الْأَثَرِ»؛ فِيهَا مَا وَقَعَ مِنْ سَكِينَةٍ فِي الْكَلِمَةِ وَمَا زَادَ مِنْ قِرَاءَةٍ
وَمَا أُنْتَظَمَ مِنْ نَوْمٍ وَمَا أُنْقَادَ مِنْ طَعَامٍ لِلصَّحَّةِ. قَالَ الْإِمَامُ "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ
فِي الْقُرْآنِ هِدَايَةً تَخْرُجُ مَعَ الْعَادَةِ عَمَلًا؛ قَدْ رَأَيْنَا أَثَرَ
﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ (الْأَخْقَافُ 15)

وَأَثَرَ

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ (لُقْمَانُ 19)

وَأَثَرَ «أَسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» (حَدِيثٌ). "ثُمَّ دَعَا لِلْأُمِّ وَقَالَ "جَزَاكَ اللَّهُ
خَيْرًا؛ فَبِكَ قَامَ الْمِيزَانُ وَمَعَكَ أُنْتَظَمَ أَلْبَيْتٌ".

وَعَادُوا بَعْدَ الصَّلَاةِ إِلَى أَلْبَيْتٍ وَفِي الرُّوحِ بَرَقَتْ نُورٌ تُشَبِّهُ الرِّضَا، وَقَالَتْ
«حِلْمَةٌ» وَهِيَ تُغْلِقُ «دَفْتَرَ الْعَادَاتِ» عَلَى صَفْحَةٍ جَدِيدَةٍ "سَنَسْتَأْنِفُ عَلَى مِيزَانٍ

وَسَنَزِيدُ فِي الرِّقَابَةِ اللَّطِيفَةِ وَسُنْثِبُ «سَاعَةَ الْأُمُومَةِ» كَثَبَاتِ الْعَصْرَيْنِ. ثُمَّ رَفَعَتْ كَفَّيْهَا وَقَالَتْ "اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لِبَيْتِي رُوحًا وَلِأَهْلِي رَحْمَةً وَلِأَوْلَادِي قُدْوَةً حَسَنَةً" ثُمَّ تَلَتْ

﴿رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الْإِسْرَاءُ 24)

وَقَالَ «صَفْوَانُ» "أَمِينَ، وَزَادَكَ اللَّهُ نَظْرًا وَرِقَّةً وَقُدْرَةً". وَنَظَرَ «رَيَّانُ» وَ«رَابِيعَةُ» إِلَى أُمِّهِمَا فَقَالَا مَعًا "سَنَحْفَظُ عَهْدَكَ يَا أُمُّاهُ وَسَنَقْبَلُ يَدَكَ فِي كُلِّ «سَاعَةِ أُمُومَةٍ» لِنَتَعَلَّمَ مِنْهَا آدَبَ الشُّكْرِ".

وَهَكَذَا بَقِيَ أَلْبَيْتُ يَتَنَفَّسُ مِنْ رُوحِ أُمِّ تُدِيرُهُ عَلَى رَحْمَةٍ وَسُنَّةٍ وَمَقْصِدٍ، فَإِذَا نَادَى النَّدَاءُ قَامَتْ قِيَامَتُهُ، وَإِذَا أَقْبَلَ الطَّعَامُ حَضَرَ إِحْسَانُهُ، وَإِذَا أَقْبَلَ التَّوَمُّ نَزَلَ سَكِينُهُ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ كَانَتْ الْأُمُّ رُوحًا تُضِيءُ وَتُدَبِّرُ وَتَرْحَمُ، تُذَكِّرُ كُلَّ يَوْمٍ بَآيَةٍ وَتُنْثِبُ كُلَّ أُسْبُوعٍ عَادَةً وَتُسَمِّي كُلَّ شَهْرٍ حَصَادًا، حَتَّى إِذَا نَظَرَ النَّاسُ قَالُوا "قَدْ أَقَامَتْ هَذِهِ الْأُمُّ مِيزَانَ الْبُيُوتِ".

وَفِي خِتَامِ اللَّيْلِ كَانَ الدُّعَاءُ يَصْعَدُ كَطِيبٍ "اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي أُمَّهَاتِنَا وَاجْعَلْهُنَّ مَفَاتِيحَ خَيْرٍ وَمَغَالِيقَ شَرٍّ" (حَدِيثٌ) ثُمَّ يَتْبَعُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هُودٌ 88)

لِيَبْقَى الطَّرِيقُ مَوْضُوعًا وَالرُّوحُ مَعْمُورَةً وَأَلْبَيْتُ نَابِضًا بِأَمِّ هِيَ رُوحُهُ

بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِشْعَارِ - تَكْوِينُ الْجِيلِ الرَّاشِدِ

وَمِيزَانُهُ وَضِيأُوهُ.

الدَّرْسُ الْحَادِي عَشَرَ: الْعَالِمُ وَالْقُدْوَةُ

تَسَلَّلَ نَفْسُ الْمَسَاءِ عَلَى مَهَلٍ فِي دَارِ «صَفْوَانَ» فَخَفَّ صَجِيجُ النَّهَارِ
وَسَكَتَتِ الْخُطُوبَاتُ عَلَى سَجَادَةِ مَفْرُوشَةٍ بَيْنَ «زَاوِيَةِ السَّكِينَةِ» وَرُفُوفِ كُتُبٍ
يَشْمُهَا الْوَقَارُ. وَقَدْ جَلَسَتِ «حِلْمَةُ» تَرْتَبُ صُحُفًا صَغِيرَةً أَعَدَّتْهَا لِمَجْلِسِ
الْعَشِيِّ، وَجَلَسَ «رَبَّانٌ» وَ«رَابِيَةُ» يَتَطَلَّعَانِ إِلَى بَابٍ يَنْتَظِرُ طَرَفًا مَحْبُوبًا. وَمَا هِيَ
إِلَّا لِحَظَاتٌ حَتَّى وَقَفَ «الْإِمَامُ» عَلَى الْعَتَبَةِ وَمَعَهُ رَائِحَةُ الْمِحْرَابِ وَظِلٌّ مِنْ
هَيْبَةِ الْعِلْمِ، فَسَلَّمَ وَجَلَسَ وَقَالَ وَالْقُرْآنُ يَسُوقُ كَلِمَاتِهِ سَوْقًا لَطِيفًا

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الْأَحْزَابُ 21).

ثُمَّ قَالَ "تَبْتَدِئُ طَرِيقَ الْعِلْمِ بِ«قُدْوَةٍ» تُقِيمُ الصُّورَةَ فِي الْقَلْبِ كَمَا يُقِيمُ
الْتَّقْوِيمُ الْعُودَ، فَإِذَا وَجِدْتَ الْقُدْوَةَ صَحَّ التَّعَلُّمُ وَاتَّسَعَ الْقَصْدُ." ثُمَّ تَلَا

﴿فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النَّحْلُ 43)

وَقَالَ "وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ" (حَدِيثٌ) "فَمَنْ تَعَلَّقَ بِوَارِثٍ أَخَذَ

حَظًّا مِنْ مِرَاثِهِ."

قَالَ «صَفْوَانُ» وَعَلَى صَوْتِهِ عَيْمَةٌ تَوْقٍ "نُرِيدُ يَا شَيْخَنَا أَنْ نَنْسُجَ لِأَبْنَائِنَا صِلَةً بِعَالِمٍ يَحْيَا بَيْنَنَا، نَرَاهُ وَنَسْمَعُهُ وَنَتَعَلَّمُ مِنْ سِيرَتِهِ قَبْلَ عِبَارَتِهِ." فَقَالَ الْإِمَامُ "سَنَزُورُ غَدًا رَجُلًا عَرَفْنَا بِهِ اللَّهَ فِي الْمَسْجِدِ، قَدْ جَمَعَ الْخَشْيَةَ وَالتَّوَاضُعَ وَالرَّفْقَ، وَسَنَحْمِلُ مَعَنَا «دَفْتَرَ الْأَقْتِدَاءِ» لِيَسْجُلَ أَلْبَيْتُ فِيهِ خُطُوبَاتٍ تَتَّبِعُ أَثَرَهُ." ثُمَّ قَرَأَ

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فَاطِرٌ 28)

وَقَالَ "أَلْعِلْمُ يَبْقَى ظِلًّا بَلَا مَطَرٍ إِنْ لَمْ تُسْقِهِ الْخَشْيَةُ."

أَضَاءَتِ الْعُيُونُ وَقَالَ «رَبَّانُ» وَهُوَ يَقْبِضُ دَفْتَرًا صَغِيرًا بِيَدِهِ "أَكْتُبْتُ فِيهِ مَا أَسْمَعُهُ يَا سَيِّدَنَا" فَقَالَ الْإِمَامُ "أَكْتُبْ أَوَّلًا مَا تَرَاهُ، فَإِنَّ النَّظَرَ إِلَى الصُّورَةِ الصَّادِقَةِ يُنْبِتُ مَعْنَى لَا تُدْرِكُهُ الْأَلْفَاظُ. ثُمَّ أَكْتُبْ ثَانِيًا مَا تُرِيدُ أَنْ تَضَعَهُ فِي نَفْسِكَ أَخْلَاقًا وَسُلُوكًا." وَقَالَتْ «رَايِيَّةٌ» وَفِي صَوْتِهَا نَبْرَةٌ الْحَيَاءِ "أَخَافُ أَنْ أَقْتَرِبَ فَلَا أُؤَدِّي حَقَّ الْأَدَبِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "اقْتَرِبِي بِقَلْبٍ مُتَضِعٍ وَزِدِي الْأَسْتِزْدَانَ وَتَوَسَّلِي بِالْدُّعَاءِ، فَ«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»" (حَدِيثٌ). ثُمَّ تَلَا

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو

الْأَلْبَابُ ﴿ (الزُّمَرُ 9) .

طَلَعَ صُبْحُ الْغَدِ عَلَى قُلُوبٍ مُتَوَقِّدَةٍ، فَمَضَوْا مَعَ الْإِمَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ لِقَاءِ «الشَّيْخِ عَادِلٍ». وَكَانَ الْمَسْجِدُ بَعْدَ الضُّحَى هَادِئًا إِلَّا مِنْ لَهَجٍ بِتِلَاوَةِ وَخْطُوٍ يُشْبِهُ نَبْضَ الْقَلْبِ. وَقَدْ دَخَلَ «الشَّيْخُ» عَلَيْهِمْ عَلَى ثِيَابٍ بَيْضَاءَ وَبَسْمَةٍ تَسْتُرُ جَلَالَ الْعِلْمِ. جَلَسَ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ "نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْإِخْلَاصَ وَالْقَبُولَ." ثُمَّ تَلَا

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ (الْبَيْتَةُ 5).

فَخَفَضَ «صَفْوَانُ» صَوْتَهُ وَقَالَ "جِئْنَا نَطْلُبُ نَصِيًّا مِنْ نُورِ التَّلَعُّمِ وَأَدَبِ الْإِقْتِدَاءِ." فَقَالَ «الشَّيْخُ» "الْعِلْمُ لَا يَبْقَى عَلَى لِسَانٍ يُزَاحِمُهُ الرِّيَاءُ، بَلْ يَسْكُنُ قَلْبًا يُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ؛ فَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ" (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَرَأَ

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (الْمُجَادَلَةُ

(11).

جَلَسَ الْفَتَيَانِ قُرْبَ «الشَّيْخِ» وَقَالَ «رِيَّانُ» وَعَيْنَاهُ تَلْمَعَانِ "كَيْفَ نَتَعَلَّمُ عَلَى قَدَرٍ يُثْمِرُ الْعَمَلَ" فَقَالَ «الشَّيْخُ» "إِبْدُؤُوا بِكِتَابِ اللَّهِ قِرَاءَةً وَتَدَبُّرًا وَعَمَلًا، فَ«خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»" (حَدِيثٌ)، وَقَدِّمُوا مَعَ التَّلَعُّمِ أَدَبًا يُثَبِّتُهُ، وَصِدْقًا يُطَهِّرُهُ، وَتَوَاضُعًا يُنْمِيهِ، وَثُمَّ خُذُوا مِنْ كُلِّ فَنٍّ قَدْرًا يَخْدِمُ مَقْصِدَكُمْ فِي

الْعِبَادَةِ وَالْعِمَارَةِ وَالْإِصْلَاحِ. "ثُمَّ قَرَأَ

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يُوسُفُ

(108

وَقَالَ "لَا تَكُونُوا أَصْحَابَ شِعَارٍ بِلَا عَمَلٍ؛ فَالْعِلْمُ طَرِيقٌ إِلَى الْأَثَرِ لَا سِتَارٌ لِلتَّصَدُّرِ."

تَمَالَكَتِ «رَابِئَةُ» حَجَلَهَا وَقَالَتْ "أَرَيْنَا فِي الْمَسَاكِينِ وَفِي الْمَدْرَسَةِ مَنْ يَتَرَتَّبُ بَعَارَاتٍ كَثِيرَةً ثُمَّ يُخَالِفُهَا عِنْدَ أَوَّلِ الْأَخْتِبَارِ" فَقَالَ «الشَّيْخُ» "ذَلِكَ مِمَّا أَخْبَرَ عَنْهُ النَّبِيُّ (ص)؛ «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ أَنْتَرَاعًا يَنْتَرَعُهُ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَاًلًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الْإِسْرَاءُ 36)

وَقَالَ "هَذَا «مِثَاقُ التَّمَثِيلِ»؛ لَا نَنْسِبُ إِلَى الْعُلَمَاءِ مَا لَمْ يَقُولُوهُ، وَلَا نَتَحَدَّثُ فِيمَا لَا نَعْلَمُ، وَلَا نَتَقُولُ عَلَى اللَّهِ مَا لَا حُجَّةَ لَنَا فِيهِ."

حَرَكَ «الْإِمَامُ» دَفْتَرًا بَيْنَ يَدَيْ «رَبَّانٍ» وَقَالَ "سَتَكْتُبُ الْيَوْمَ فِي أَوَّلِ صَفْحَةٍ «قَصْدَكَ»، ثُمَّ سَتَكْتُبُ خَلْفَهَا «خُلُقًا وَاحِدًا» تَأْخُذُهُ عَنْ قُدْوَتِكَ وَتُلَازِمُهُ أَسْبُوعًا كَامِلًا." فَقَالَ «رَبَّانٍ» "سَأَخْتَارُ «صِدْقَ الْكَلِمَةِ»؛ لَا أَبَالِغُ وَلَا أُؤْذِي وَلَا

أَقُولُ إِلَّا خَيْرًا" فَقَالَ «الشَّيْخُ» "حَسَنًا؛

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التَّوْبَةُ 119)،

وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ" (حَدِيثٌ).
وَقَالَتْ «رَابِيعَةُ» "سَأْخُذُ «تَوَاضَعَ الْقَلْبُ» وَخَفَضَ الصَّوْتِ فِي الْحِوَارِ" فَقَالَ
«الشَّيْخُ» "نَعَمْ؛

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ (لُقْمَانُ 19)."

إِمْتَدَّ الْحَدِيثُ عَلَى قَدَرٍ وَالْقُلُوبُ تُدَوِّنُ أَكْثَرَ مِمَّا تُسَجِّلُ الْأَقْلَامُ. قَالَ
«صَفْوَانُ» "نُرِيدُ أَنْ نَتَوَسَّعَ فِي دَائِرَةِ التَّعَلُّمِ حَتَّى لَا نُحْصِرَ فِي نَفْسِنَا، فَمَا
الطَّرِيقُ" فَقَالَ «الشَّيْخُ» "إِبْدُوا بِأَسْرَتِكُمْ ثُمَّ اتَّحِقُوا بِحَلَقَةِ تَعَلُّمٍ وَتُرْكِيٍّ، وَكَثُرُوا
مِنْ صُحْبَةِ مَنْ يُذَكِّرُكُمْ بِاللَّهِ رُؤْيَيْتُهُ؛ «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ" (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (الْمَائِدَةُ 2)

وَقَالَ "وَلْيَكُنْ لَكُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْخِدْمَةِ؛ فَ"مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ
فَاعِلِهِ" (حَدِيثٌ)."

عَادَ الْبَيْتُ يَحْمِلُ فِي صَدْرِهِ عِبْرَةَ اللِّقَاءِ، فَنَشَرَ «صَفْوَانُ» عَلَى الطَّائِلَةِ
«دَفْتَرَ الْأَقْتِنَاءِ» وَقَالَ "سَنَكْتُبُ فِي صَدْرِهِ «الْآيَةَ الْمُؤَسَّسَةَ»

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الْأَحْزَابُ 21)،

ثُمَّ سَنَسْطُرُ قَاعِدَةَ الْقَصْدِ «لِلَّهِ نَطْلُبُ» وَقَاعِدَةَ التَّمَثِيلِ «لَا نَنْسِبُ إِلَّا مَا أَثَرُ بَيِّنَةٍ» وَقَاعِدَةَ الْعَمَلِ «نُلْزِمُ خُلُقًا وَاحِدًا فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ». "فَقَالَتْ «حِلْمَةٌ» "وَسَأَجْعَلُ فِي آخِرِ كُلِّ أُسْبُوعٍ «صَفْحَةَ مُرَاجَعَةٍ» نَسْأَلُ فِيهَا قُلُوبَنَا «مَاذَا غَيَّرَ الْعِلْمُ مِنْ سُلُوكِنَا». "ثُمَّ قَرَأَتْ

﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (الْعَصْرُ 1-3).

مَضَى الْأُسْبُوعُ وَ«رَيَّانُ» يَحْرُسُ كَلِمَتَهُ حِرَاسَةً الْأَمَانَةِ، فَإِذَا سُئِلَ أَجَابَ عَلَى قَدْرِ وَإِذَا أَمْكَنَهُ الصَّمْتُ صَمَتَ، وَإِذَا حَضَرَ الْخِلَافُ قَالَ "سَأَرْجِعُ إِلَى الْعَالَمِ" وَقَرَأَ فِي نَفْسِهِ

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الْإِسْرَاءُ 36).

وَأَمَّا «رَابِيَةُ» فَقَدْ لَزِمَتْ حَفْضَ الصَّوْتِ وَقَصَدَ الْمَشْيَ وَآدَابَ النَّظَرِ، فَكَانَتْ كُلَّمَا ارْتَفَعَ الْحَدِيثُ تَذَكَّرُ

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ (لُقْمَانَ 18)

وَتَتَبَسَّمُ فِي وُجُوهِ أَهْلِهَا "فَإِنَّ تَبَسُّمَكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ"

(حَدِيثٌ). وَكَانَ «صَفْوَانُ» يَجْلِسُ كُلَّ مَغْرِبٍ فَيَقْرَأُ صَفْحَةً مِنْ سِيرَةِ يُمْلِكُهَا عَلَى الْأَبْنَاءِ لِيَرَوْا «أُسْوَةً» تَمْشِي فِي التَّارِيخِ، ثُمَّ يَقُولُ "لَيْسَ الْمَقْصِدُ حِفْظُ الْأَحْدَاثِ فَقَطْ بَلْ التَّخَلُّقُ بِمَعَانِيهَا" وَيَقْرَأُ

﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة 282).

حَضَرُوا بَعْدَ أُسْبُوعٍ إِلَى «الشَّيْخِ عَادِلٍ» لِيَعْرِضُوا «دَفْتَرَ الْأَفْتِدَاءِ». فَقَالَ «رِيَّانُ» وَفِي صَوْتِهِ بِشَارَةٌ مَنْ رَأَى أَثَرًا "وَجَدْتُ أَنَّ صِدْقَ الْكَلِمَةِ يُهْدِي الْقُلُوبَ وَيُقَرِّبُنِي مِنْ زُمَلَائِي" فَقَالَ «الشَّيْخُ» "الْحَمْدُ لِلَّهِ، زِدْ مَعَهُ «كَظَمَ الْغَيْظُ» فَ

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُطُومِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ (آلِ عِمْرَانَ 133-134).

وَقَالَتْ «رَابِيعَةُ» "وَجَدْتُ فِي خَفْضِ الصَّوْتِ وَقَصْدِ الْحَرَكََةِ نُورًا يَتَسَلَّلُ إِلَى النَّفْسِ" فَقَالَ «الشَّيْخُ» "ذَلِكَ نَتِيجَةُ «مِيزَانِ الْقُدْوَةِ»؛ تَرْبِيَّتِي فِي الْمَجْلِسِ أَقَلُّ الْكَلَامِ وَأَكْثَرُ الْإِسْتِمَاعِ، فَلَا أَخْذُ عَنِ الْحَالِ أَقْوَى مِنَ الْأَخْذِ عَنِ الْمَقَالِ". ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (الكَهْفُ 28).

وَقَالَ «صَفْوَانُ» "نَخْشَى أَنْ نُحَوِّلَ أَلْعِلْمَ شِعَارًا نَتَزَيَّنُ بِهِ فِي الْمَجْلِسِ ثُمَّ لَا يَظْهَرُ فِي الْخُطُوبِ" فَقَالَ «الشَّيْخُ» "أَحْرِسُوا عَلَى «مِيزَانِ الْمَقْصِدِ»؛ سَلُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ كُلِّ مَجْلِسٍ «فِيمَ نَطْلُبُ»، وَبَعْدَ كُلِّ مَجْلِسٍ «مَاذَا عَمَلْنَا»، وَأَسْتَعِينُوا بِهِذِهِ آيَةٍ

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الْأَنْعَامُ 162).

وَأَذْكُرُوا «الدِّينَ النَّصِيحَةَ»" (حَدِيثٌ) "فَتَتَنَاصَحُوا لِلْحَقِّ وَلَا تُجَامِلُوا فِي الْبَاطِلِ". ثُمَّ قَرَأَ

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النَّحْلُ 125).

اتَّسَعَتْ بَعْدَ ذَلِكَ دَائِرَةُ التَّلَعُّمِ؛ حَضَرَ الْأَبْنَاءُ مَجْلِسًا لِقِرَاءَةِ كِتَابٍ صَغِيرٍ فِي الزُّهْدِ، وَجَلَسُوا فِي آخِرِ الْمَجْلِسِ عَلَى طَرَفِ الْأَصْفِ كَمَا يَجْلِسُ الطَّالِبُ يَتَشَرَّفُ بِالْأَدَبِ. وَذَكَرَ «الْإِمَامُ» قَوْلَهُ تَعَالَى

﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الْإِسْرَاءُ 85)

فَحَفِظَ ذَلِكَ رُءُوسًا لَا تَنْتَفِخُ وَرَفَعَ قُلُوبًا لَا تَتَكَبَّرُ. وَفِي طَرِيقِ الْعُودَةِ قَالَ «رِيَّانُ» "لَمْ أَعُدْ أَرَى أَلْعِلْمَ كَلِمَاتٍ، بَلْ صِحْبَةً تَدُلُّ وَخُطُوبَاتٍ تُثْمِرُ". فَقَالَ

«صَفَوَانُ» "هَذِهِ بَذْرَةُ «الْقُدْوَةِ» إِذَا وَقَعَتْ فِي أَرْضٍ طَيِّبَةٍ،

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿

(الْبَقَرَةُ 269)."

جَاءَتْ «سَاعَةُ الْمُرَاجَعَةِ» فِي آخِرِ الْأُسْبُوعِ، فَنَشَرُوا فِي «دَفْتَرِ الْإِفْتِدَاءِ»
صَفْحَةً جَدِيدَةً وَكَتَبُوا فِيهَا مَا صَنَعَ الْعِلْمُ فِي الدَّارِ. وَقَالَتْ «حِلْمَةُ» "خَفَّ
الْجِدَالُ لِأَنَّ الْكَلِمَةَ عَادَتْ تَزِنُهَا الْخَشْيَةُ" وَقَالَ «رَيَّانُ» "سَهَلْتُ عَلَى الصَّلَاةِ
فِي أَوَّلِ أَلَوْقَتِ" وَقَالَتْ «رَابِيَةُ» "ازْدَادَ الْحَيَاءُ فِي الْمَشْيِ وَالنَّظَرِ". فَقَالَ «الْإِمَامُ»
"الْحَمْدُ لِلَّهِ، زِيدُوا عَلَى الْخُلُقِ الْوَاحِدِ «خِدْمَةُ صَغِيرَةٍ»؛ تُعِينُونَ فِيهَا جَارًا أَوْ
تُضْلِحُونَ مَكَانًا أَوْ تَحْمِلُونَ عِلْمًا بِالْحِكْمَةِ لِصَاحِبِهِ؛ فَ«خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ
لِلنَّاسِ»" (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آلْ عِمْرَانَ 103).

وَحِينَ وَقَعَتْ حَادِثَةٌ فِي الْمَدْرَسَةِ زِيغٌ فِيهَا حَدِيثٌ وَتَصَدَّرَ لَهُ غَيْرُ أَهْلِهِ،
تَذَكَّرَ «رَيَّانُ» «مِيثَاقَ التَّمَثِيلِ»، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ "سَرَجِعْ إِلَى الْمُعَلِّمِ وَإِلَى الْعَالِمِ،
وَلَا نَقُلْ مَا نَجْهَلُهُ" ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِمْ

﴿تَتَّبِعُونَا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُكُمْ عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نُدْمِينَ﴾
(الْحُجُرَاتُ 6).

فَسَكَنَ الْحَدِيثُ وَرَجَعَ الْأَمْرُ إِلَى أَهْلِهِ، وَسَجَّلَ «رِيَّانُ» فِي «دَفْتَرِ الْأَقْتِدَاءِ» جُمْلَةً صَغِيرَةً "إِذَا أَشْتَبَهَ الْأَمْرُ فَالْعِلْمُ يَقُولُ: رُوَيْدًا."

وَفِي مَسَاءٍ جُمُعَةٍ بَارِدَةٍ جَاءَ «الشَّيْخُ عَادِلٌ» إِلَى الدَّارِ لِيُزَوِّرَ الْأُسْرَةَ فِي «مَجْلِسِ شُكْرِ صَغِيرٍ»، فَجَلَسَ وَتَبَسَّمَ وَقَالَ "أَفْرَحُ بِمَا أَرَى مِنْ تَحَوُّلِ الْعِلْمِ إِلَى «أَثَرٍ»" ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَالَّذِينَ جُهِدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾
(الْعَنْكَبُوتُ 69)

وَقَالَ "زِيدُوا فِي الْإِحْسَانِ يَزِدْكُمْ اللَّهُ هُدًى." ثُمَّ ذَكَرَ "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ؛ رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ" (حَدِيثٌ). فَقَالَ «صَفْوَانُ» "نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَنَسْأَلُهُ عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا."

وَفِي آخِرِ الْفَصْلِ أَعَدَّ الْبَيْتُ «صَفْحَةَ الْحَصَادِ» فِي «دَفْتَرِ الْأَقْتِدَاءِ»، فَكَتَبُوا أَنَّهُمْ لَقُوا عَالِمًا فَتَعَلَّمُوا خُطُوبَاتِ الْقُلُوبِ قَبْلَ عِبَارَاتِ اللَّسَانِ، وَأَنَّهُمْ لَزِمُوا خُلُقًا وَاحِدًا فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ فَأَنْبَتَ فِي الدَّارِ سَكِينَةٌ وَوَقَارًا، وَأَنَّهُمْ وَسَّعُوا الدَّائِرَةَ فَخَدَّمُوا حِيرَانًا وَحَمَلُوا نُورًا فِي الطَّرِيقِ. وَقَالَ «الْإِمَامُ» وَهُوَ يَقْرَأُ خَاتِمَةَ الصَّفْحَةِ

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (الْبَقَرَةُ 110)

وَقَالَ "وَإِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ؛ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ وَعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ وَوَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُوهُ" (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزُّلْفَةُ 7).

أَمَّا «الْوَاجِبُ» فَقَدْ اثْبَتُوهُ فِي صَدْرِ «الدَّفْتَرِ» بِلَا صَحَبٍ؛ «تَطْبِيقُ خُلُقٍ وَاحِدٍ» أَخَذَ عَنْ تِلْكَ الْقُدُورَةِ أُسْبُوعًا كَامِلًا، فيَقُولُ «رَيَّانُ» "هَذَا أُسْبُوعُ «حُسْنِ الظَّنِّ»" وَتَقُولُ «رَايِيَّةُ» "هَذَا أُسْبُوعُ «حِفْظِ اللِّسَانِ»" وَتَقُولُ «حِلْمَةُ» "هَذَا أُسْبُوعُ «حُسْنِ التَّبَعْلِ»" وَتَقُولُ «صَفْوَانُ» "هَذَا أُسْبُوعُ «إِقَامَةِ الصَّلَاةِ فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ»". ثُمَّ يَجْتَمِعُونَ فِي آخِرِ الْأُسْبُوعِ عَلَى «صَفْحَةِ الْمُرَاجَعَةِ» لِيَقُولَ الْعِلْمُ فِي الْقُلُوبِ «قَدْ ائْتَمَرْتُ» أَوْ «زِيدُونِي سُقِيًا». وَكُلَّمَا رَأَوْا تَقْصِيرًا تَذَكَّرُوا «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا» (حَدِيثٌ) وَقَرَأُوا

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هُودٌ 88).

وَقَدْ ثَبَتَ فِي قُلُوبِهِمْ بَعْدَ الْأَيَّامِ أَنَّ «الْعَالِمَ وَالْقُدُورَةَ» سَبِيلُ بِنَاءٍ لَا شِعَارٌ يُرْفَعُ ثُمَّ يُطْوَى، فَإِذَا ذَكَرُوا الْمَجَالِسَ وَالزِّيَارَاتِ ذَكَرُوا مَعَهَا سُؤْلًا دَائِمًا "مَاذَا غَيَّرَ فِينَا هَذَا الْقَلَاءُ" وَإِنْ ذَكَرُوا «الدَّفْتَرِ» وَصَفُوهُ بِأَنَّهُ «شَاهِدٌ صَامِتٌ» يُخْصِي خُطُواتِ الْقُلُوبِ. وَكَانُوا كُلَّمَا رَأَوْا «الشَّيْخَ عَادِلًا» يَبْدَأُونَ بِسَمَةِ وَيَقُولُونَ "جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا" ثُمَّ يَسْتَأْذِنُونَ فِي سُؤَالِ صَغِيرٍ وَيَخْتِمُونَ بِدُعَاءٍ قَصِيرٍ.

وَهَكَذَا سَارَ أَلْبَيْتُ فِي مَدَارِ الْقُدْوَةِ عَلَى «مِيزَانِ الْقُدْوَةِ» وَ«مِثَاقِ
الْتِمَهِيلِ» وَ«مِيزَانِ الْمَقْصِدِ»، فَلَا تَتَقَدَّمُ الْكَلِمَةُ عَلَى الْعَمَلِ وَلَا يُحْمَلُ عَنِ الْعَالِمِ
إِلَّا مَا صَحَّ وَتَبَيَّنَ، وَلَا يُطْلَبُ مَا لَا يُقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى خَيْرِ النَّاسِ. وَإِذَا جَنَّ
الْلَّيْلُ جَمَعُوا أَيْدِيَهُمْ وَقَالُوا "اللَّهُمَّ أَصْرِفْ عَنَّا عِلْمًا لَا يَنْفَعُ وَارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا
وَقُلُوبًا خَاشِعَةً وَأَعْمَالًا صَالِحَةً مُتَقَبَّلَةً" ثُمَّ قَرَأُوا

﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه 114)

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (الْبَقَرَةُ 282)

وَانْصَرَفُوا عَلَى سَكِينَةٍ يَحْمِلُونَ فِي الطَّرِيقِ كِتَابًا وَبَسْمَةً وَنِيَّةً، فَتَبَارَكُ لَهُمُ
الْآيَاتُ وَتَشْهَدُ لَهُمُ الْأَعْمَالُ وَتَكْتُبُ لَهُمُ الصِّفَاتُ «وَلَدًا صَالِحًا» وَ«عِلْمًا
يُنْتَفَعُ بِهِ» وَ«خُطُوبًا» تَدُلُّ عَلَى طَرِيقٍ يَبْدَأُ بِآيَةٍ وَيَنْتَهِي إِلَى «قُرْبٍ» يَعْلَمُهُ اللَّهُ.

الدَّرْسُ الثَّانِي عَشَرَ: يَوْمُ الْحَصَادِ الْأَوَّلِ

تَهَادَى نَفْسُ الصَّبَاحِ فِي الْحَيِّ الْقَدِيمِ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ عَلَى سَكُونٍ يَحْمِلُ رَائِحَةَ الْمَاءِ وَصَوْتَ التَّسْبِيحِ وَوَقَارَ الْمُصْحَفِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ «صَفْوَانُ» وَزَوْجُهُ «حِلْمَةُ» وَأَبْنَاؤُهُمَا «رِيَّانُ» وَ«رَايِيَةُ» نَحْوَ الرُّوَاقِ الْأَسْفَلِ وَفِي أَيْدِيهِمْ صُحُفٌ أَنْقَاها «صَحِيفَةُ الْعَهْدِ» وَأَجْمَعَهَا «مَحْضَرُ الْأَثَرِ». وَكَانَ الْمَسْجِدُ قَدْ دَعَا الْأُسْرَ كَافَّةً إِلَى «يَوْمِ الْحَصَادِ الْأَوَّلِ» لِيُقَاسَ الْأَثَرُ وَتُجَدَّدَ الْعُهُودُ وَلِيُرَاجَعَ الْقَصْدُ فِي ضَوْءِ الْمَالِ. وَجَلَسَ الْإِمَامُ بَيْنَ النَّاسِ وَفِي يَدِهِ قَلَمٌ يُشَبِّهُ مِيزَانًا يُعْطِي كُلَّ قَوْلٍ قَدْرَهُ، ثُمَّ قَرَأَ بِصَوْتٍ يَشُقُّ النُّفُوسَ إِلَى التَّنْبِيهِ

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الْحَشْرُ 18)

وَتَلَا بَعْدَهَا عَلَى وَقَعِ الْوَعْدِ وَالْعَدْلِ

﴿أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النَّجْمُ 39).

ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَنْظُرُ فِي الْوُجُوهِ "هَذَا يَوْمٌ لَا لِلشَّعَارِ فِيهِ بَلْ لِلْأَثَرِ، وَلَا لِلدَّعْوَى فِيهِ بَلْ لِلبَيِّنَةِ. هُنَا يَقُومُ «مِيزَانُ الثَّبَاتِ وَالْمُرَاجَعَةِ» عَلَى «مِيزَانِ الْمَقْصِدِ

وَالْمَالِ» فَيَزِنُ الْخُطُوبَ وَيُنْضِجُ الْعُهُودَ."

تَقَدَّمَ «صَفْوَانُ» فَسَلَّمَ وَقَالَ وَقَلْبُهُ يَحْمِلُ مَخَافَةَ الْمُحَاسَبَةِ وَرَجَاءَ الزِّيَادَةِ
"جِئْنَا نَحْمِلُ «مَحْضَرَ الْأَثَرِ» لِفَصْلِ مَضَى، لِنَعْرِضَ مَا غَيَّرَتْهُ الْعَادَاتُ وَمَا زَادَتْهُ
الْمَجَالِسُ وَمَا نَقَصَتْهُ الزَّوَائِدُ." فَأَشَارَ الْإِمَامُ أَنْ يَقْعُدَ الْقَوْمُ حَلَقَاتٍ وَأَنْ يَقُومَ
الْمُؤَذِّنُ يَسْتَفْتِحُ الْمَجْلِسَ بِآيَاتٍ تُثَبِّتُ الْقُلُوبَ، فَتَلَا عَلَى هُدُوءٍ

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزُّلْزَلَةُ 7)

وَتَبِعَهَا بِآيَةِ الْعَمَلِ الْوَاضِحِ

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَی اللّٰه عَمَلْکُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾
(التَّوْبَةُ 105).

ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ "سَنَسْمَعُ قِصَصًا قَصِيرَةً تَشْهَدُ لِلْعَمَلِ وَتُبَيِّنُ طَرِيقَ
الْحِكْمَةِ. وَلِيَتَقَدَّمَ الصِّغَارُ قَبْلَ الْكِبَارِ لِأَنَّ الْبِدَايَاتِ فِي قُلُوبِهِمْ أَصْدَقُ وَأَبِينُ."

نَهَضَ «رِيَّانُ» وَفِي جَبِينِهِ أَثَرُ سُهُودٍ قَدِيمٍ أَرَاثَتْهُ عَادَاتُ «سَاعَةِ
السَّكِينَةِ»، فَقَالَ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْمِحْرَابِ نَظْرَةً شَاكِرٍ "بَدَأْتُ فِي أَوَّلِ الْفَصْلِ
أَسَاقِيُ الْهَاتِفَ وَأُطَارِدُ الْإِشْعَارَاتِ فَتَتَبَدَّدُ بَيْتِي وَيَضْعُفُ حِفْظِي، ثُمَّ أَقَمْنَا «سَاعَةَ
السَّكِينَةِ» وَأَخْرَجْنَا الْهَوَاتِفَ مِنَ الْغُرَفِ وَقَرَأْنَا صَفْحَةً قَبْلَ النَّوْمِ، فَتَبَّتِ النَّوْمُ
وَقَوِيَ الْحِفْظُ وَهَانَ الصُّبْحُ. وَقَدْ رَأَيْتُ أَثَرَ هَذَا التَّدْبِيرِ فِي نَفْسِي فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْ

رَبِّي وَقُلْتُ فِي سِرِّي

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الْحَشْرُ 18).

فَابْتَسَمَ الْإِمَامُ وَقَالَ "زَادَكَ اللَّهُ رُشْدًا؛ «أَحْرَصُ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزُ»" (حَدِيثٌ).

وَقَامَتْ «رَابِيَةُ» تَطْوِي خَجَلَهَا فِي لُغَةٍ مُوقَرَةٍ، فَقَالَتْ "تَعَلَّمْتُ فِي «مِثَاقِ الْكَلِمَةِ» أَنْ أَقُولَ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وَأَنْ أَرُدَّ الْخِلَافَ إِلَى الْهُدُوءِ وَأَنْ أُطْفِئَ السَّجَالَ بِجَمَلٍ قَصِيرَةٍ. وَكُنْتُ قَبْلَ ذَلِكَ أُسَارِعُ إِلَى الرَّدِّ فَتَزِيدُ الْفَوْضَى، ثُمَّ تَدْرَبُنَا عَلَى التَّثَبُّتِ وَعَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ، وَعَلَى خَفْضِ الصَّوْتِ، فَرَأَيْتُ كَيْفَ تَسْكُنُ أَلْبَيُوتُ إِذَا حَضَرَ الْأَدَبُ." ثُمَّ رَفَعَتْ صَوْتَهَا بِتِلَاوَةِ تَسْكُنُ فِيهَا الرِّقَّةُ

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الْإِسْرَاءُ 53).

فَقَالَ الْإِمَامُ "نَعَمْ وَ«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْلِ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ»" (حَدِيثٌ).

وَتَقَدَّمَتْ «حِلْمَةُ» فَقَالَتْ وَفِي نَبَرَتِهَا نَفْسُ الْمُدَبِّرَةِ الرَّحِيمَةِ "لَمَّا شَرَعْنَا فِي «سَاعَةِ الْأُمُومَةِ» أَتَبَتْنَا فِيهَا قَوَاعِدَ صَغِيرَةً دَائِمَةً؛ تَهْيِئَةُ الصَّلَاةِ قَبْلَ الْأَذَانِ وَقِرَاءَةُ صَفْحَةٍ بَعْدَ الْعِشَاءِ وَخَفْضُ الْحَلْوَى لِأَجْلِ النَّوْمِ. فَتَقْصُ التَّوَتُّرُ قَبْلَ النَّوْمِ وَزَادَ الْهُدُوءُ فِي الصَّبَاحِ وَقَوِيَ الْإِنْتِبَاهُ فِي الدَّرَاسَةِ." ثُمَّ قَالَتْ "وَلَمْ نَجْعَلْهَا

عَادَاتٍ جَافَةً بَلْ رَبَطْنَاهَا بِمَقْصِدٍ؛ أَنْ يَكُونَ الْبَيْتُ مَحَلًّا سَكِينَةً يَتَعَلَّمُ فِيهَا الصَّغَارُ أَنَّ النَّظَامَ رَحْمَةٌ. " فَهَزَّ الْإِمَامُ رَأْسَهُ وَقَالَ "وَاللَّهُ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ" (حَدِيثٌ).

وَتَحَرَّكَ قَلْبُ «صَفْوَانَ» فَقَالَ وَهُوَ يَقْرَأُ مِنْ «مَحْضَرِ الْأَثَرِ» «أَتَبْنَا أَرْقَامًا تَدُلُّ عَلَى نُزُولِ فَتَحَاتِ الْهَاتِفِ بَعْدَ الْعِشَاءِ وَأَنْشَأْنَا «مَوْعِدَ الْمَسْجِدِ الثَّابِتِ» وَقِيَاسَ الْمُواظَبَةِ عَلَيْهِ، فَبَلَغَ الْإِلْتِزَامُ مِقْدَارًا يُفْرِحُ. " ثُمَّ قَالَ "وَقَدْ رَبَطْنَا ذَلِكَ بِمَقْصِدِ «نَمَاءِ الْقَلْبِ» لَا بِصُورَةِ الْعَدَدِ، فَالْعَدَدُ شَاهِدٌ وَقْتِيٌّ وَالْمَقْصِدُ هُوَ الْبَاقِي. " فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا هُوَ «مِيزَانُ الْمَقْصِدِ وَالْمَالِ» إِذْ لَا يُرَادُ الرَّقْمُ لِنَفْسِهِ بَلْ يَخْدُمُ طَرِيقَ التَّنْفُوزِ".

وَأَذِنَ الْإِمَامُ أَنْ يَتَحَدَّثَ الْأَبْنَاءُ وَالْبَنَاتُ مِنْ سَائِرِ الْحَلَقِ، فَتَقَدَّمَ فَتَى يَقُولُ "كَادَ التَّنَمُّرُ يُزِلُّنِي فِي سُوءِ الرَّدِّ ثُمَّ تَعَلَّمْتُ «وَتَّقِ ثُمَّ أَحْجُبْ ثُمَّ أَخْبِرْ» فَسَكَنْتُ نَفْسِي وَخَفِظَ كَرَمِي " وَقَرَأَ عَلَى الْمَجْلِسِ

﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ﴾ (الْحُجُرَاتُ 11).

وَقَالَتْ فَتَاةٌ "كَانَتْ صُورُ الصَّغَارِ تَتَنَازَرُ فِي سَاحَاتٍ لَا نَعْرِفُ أَبْوَابَهَا فَأَنْشَأْنَا «مَجَلَّدًا عَائِلِيًّا مَخْصُوصًا» وَحَدَدْنَا الْمُرْسَلَ إِلَيْهِ، فَسَلِمَ السُّتْرُ وَسَكَنْتِ الْقُلُوبُ بِرَاحَةٍ. " فَقَالَ الْإِمَامُ "وَمَنْ سَتَرَ حَدِيثًا سَتَرَهُ اللَّهُ" (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَامَ

آخِرُ يَقُولُ "أَغْرَتْنِي تَحَدِّياتُ خَطِرَةٍ فَذَكَرْتُ

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة 195)

فَأَعْرَضْتُ وَسَلِّمْتُ" فَكَبَّرَ النَّاسُ عَلَى نَجَاةِ عَقْلِ وَبَدَنِ.

وَبَيْنَمَا الْقَصَصُ يَتَرَاكِبُ فَوْقَ بَعْضِهِ طَلَبَ الْإِمَامُ مِنْ «الْكَاتِبِ» أَنْ يَفْتَحَ «مَحْضَرَ الْأَثَرِ» فَسَطَّرَ فِي أَعْلَاهُ «بِسْمِ اللَّهِ» ثُمَّ كَتَبَ تَحْتَهَا «شَهَادَاتٌ وَشَوَاهِدُ» وَقَالَ "سَنُثَبِّتُ مَا قَالَتْهُ الْقُلُوبُ وَمَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْيُنُ وَمَا ذَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَقْدَامُ مِنْ خُطَى". ثُمَّ قَرَأَ عَلَى الْمَلَأِ

﴿وَمَا تَقْدِّمُوا لِنَفْسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (البقرة 110)

وَقَالَ "وَإِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ؛ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ وَعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ وَوَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ" (حَدِيثٌ) لِيَعْقِدَ الْأَلْسَنَةُ بِمَعْنَى يَرْفَعُ الْعَمَلَ إِلَى الْبَقَاءِ.

وَبَعْدَ أَنْ اسْتَوَى الْمَجْلِسُ عَلَى هَذِهِ الشَّهَادَاتِ أَغْلَقَ الْإِمَامُ صَفْحَةَ الْمَاضِي عَلَى شُكْرِ وَفَتَحَ صَفْحَةَ «الْعَهْدِ الْجَدِيدِ». فَقَالَ وَهُوَ يُثَبِّتُ آيَةَ فِي صَدْرِ الصَّحِيفَةِ

﴿أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم 39)

ثُمَّ قَالَ "سَنَكْتُبُ عَهْدًا لِأَنْتَنِي عَشْرَةَ أَسْبُوعًا قَادِمَةً، نُنَبِّئُ فِيهِ مَا نَجَحَ وَنَزِيدُ فِيهِ مَا يَحْتَاجُ إِلَى زِيَادَةٍ وَنَرْفَعُ فِيهِ هِمَّةَ الْقُلُوبِ إِلَى مَقْصِدٍ أَعْلَى." ثُمَّ قَالَ "سَنَسِيرُ عَلَى «مِيزَانِ الثَّبَاتِ»: قَلِيلٌ دَائِمٌ وَأَنْ نَرْفَعَ «مِيزَانَ الْمُرَاجَعَةِ»: مُسَاءَلَةٌ رَقِيقَةٌ أَسْبُوعِيَّةٌ، وَأَنْ نَحْرُسَ «مِيزَانَ الْمَقْصِدِ»: نِيَّةٌ تُجَدِّدُ عِنْدَ كُلِّ بَدْءٍ، وَأَنْ نُبْصِرَ «مِيزَانَ الْمَالِ»: نَظَرٌ إِلَى مَا تَتَوَلَّى إِلَيْهِ الْأَخْطَوَاتُ بَعِيدًا." ثُمَّ تَلَا

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام 162).

وَأَشَارَ إِلَى الصَّغَارِ أَنْ يَكْتُبُوا سَطُورًا مِنْ قُلُوبِهِمْ، فَرَفَعَ «رِيَّانُ» قَلَمًا وَقَالَ "سَأَجْعَلُ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ خُلُقًا أَثْبَتَهُ وَعَمَلًا أَرْصُدُ أَثَرَهُ وَآيَةً أَسْتَفْتَحُ بِهَا، لِيَبْقَى الْأَمْرُ لِلَّهِ" ثُمَّ كَتَبَ عَلَى صَدْرٍ صَفْحَتِهِ
﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه 114).

وَقَالَتْ «رَايِيَّةُ» "سَأَجْعَلُ لِسَانِي يَسْتَأْذِنُ قَلْبِي قَبْلَ أَنْ يَنْطِقَ وَسَأُرَاجِعُ نَفْسِي فِي آخِرِ كُلِّ أُسْبُوعٍ بِسُؤَالٍ وَاحِدٍ «مَاذَا غَيَّرَ الْقُرْآنُ فِي هَذَا الْأُسْبُوعِ»" ثُمَّ كَتَبَتْ

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الزمر 18).

فَقَالَ الْإِمَامُ "هَكَذَا تَصِيرُ الصَّحِيفَةُ جِسْرًا بَيْنَ النَّيَّةِ وَالْأَثَرِ."

وَطَلَبَ الْإِمَامُ مِنَ الْحَلَقَاتِ أَنْ تَعْرِضَ «قِصَصًا قَصِيرَةً» تَدُلُّ عَلَى تَحَوُّلِ
بَاطِنٍ وَعَمَلٍ ظَاهِرٍ. فَقَالَ غُلَامٌ "تَعَلَّمْتُ فِي بَابِ «الرَّفِيقِ الْآلِيِّ» أَنْ أَسْتَعْمِلَهُ
لِلتَّعَلُّمِ وَأَنْ أَرْجِعَ فِي كُلِّ جَوَابٍ إِلَى رَاشِدٍ. فَسَلِمَ قَلْبِي مِنْ تَعَلُّقٍ غَيْرِ صَحِيٍّ
وَسَلِمَ لِسَانِي مِنَ الْأَنْسِيَاقِ". وَقَالَتْ فَتَاةٌ "جَعَلْتُ لِصُورِي «دَلِيلَ ذَوْقٍ» فَحَضَرَ
الْحَيَاءُ وَأَنْقَطَعَتِ التَّعْلِيقَاتُ الْمُوَحِيَّةُ". فَقَالَ الْإِمَامُ "نَعَمْ وَمَا كَانَ الرَّفْقُ فِي
شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ" (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَامَ شَابٌّ يَقُولُ "نَظَّمْنَا «فَنَوَاتِ الصَّفِّ» فَصَارَ
لِلْإِعْلَانِ مَوْضِعٌ وَلِلنَّقَاشِ مَوْضِعٌ وَانْخَفَضَ اللَّغَطُ فِي الْأَوْقَاتِ الْحَاسِمَةِ". فَسَرَّ
الْقَوْمُ بِصَلَاحِ النَّسِيَانِ إِلَى تَذْكِيرٍ وَبِانْضِبَاطِ الْكَلِمَةِ إِلَى أَدَبٍ.

ثُمَّ رَفَعَ الْإِمَامُ يَدَهُ وَقَالَ "قَدْ سَمِعْنَا مَا فِيهِ كِفَايَةٌ لِشَهَادَةِ الْيَوْمِ، وَبَقِيَ أَنْ
نَعْقِدَ الْعَهْدَ عَلَى وَجْهِهِ". فَفَتَحَ «صَفْوَانُ» صَفْحَةً «الْعَهْدِ الْجَدِيدِ» وَقَالَ وَهُوَ
يُمْلِي عَلَى الْكَاتِبِ "نُشِيتُ فِي الصَّدْرِ أَنْ يَبْقَى لَنَا «مَوْعِدُ الْمَسْجِدِ الثَّابِتُ» وَأَنْ
نُحَافِظَ عَلَى «سَاعَةِ السَّكِينَةِ» وَأَنْ نَجْعَلَ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ «عَمَلَ أَثَرٍ» نُرَاجِعُ نَتِيجَتَهُ
فِي آخِرِهِ". فَقَالَ الْإِمَامُ "وَنُشِيتُ مَعَ ذَلِكَ «سُؤَالُ الْمُرَاجَعَةِ»: مَاذَا قَدَّمْنَا لِغَدِنَا
هَذَا الْأُسْبُوعَ

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الْحَشْرُ 18).

ثُمَّ قَالَ "وَنَسْتَفْتِي كُلَّ بَدِءٍ بِ«النِّيَّةِ»؛ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»" (حَدِيثٌ)
"لِكِنِّي يَبْقَى الْعَمَلُ لِلَّهِ وَيَسْلَمُ مِنْ رِيَاءٍ وَعُجْبٍ". ثُمَّ تَلَا

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هُودٌ 88).

وَحِينَ أَخَذَ الْمَجْلِسُ يَنْفَتِحُ عَلَى دُعَاءِ خَاتِمِ طَلَبِ الْإِمَامِ مِنْ كُلِّ أُسْرَةٍ أَنْ تَقُولَ كَلِمَةً تَخْتِمُ بِهَا «مَحْضَرَ الْأَثَرِ». فَقَالَتْ «حِلْمَةٌ» "نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ خُطُوبَةً صَادِقَةً وَنَظْرًا بَصِيرًا وَرِقَّةً فِي الْعُقُوبَةِ وَحِكْمَةً فِي التَّذْيِيرِ" وَقَالَ «صَفْوَانُ» "نَتَعَاهَدُ أَنْ نُقِيمَ الْمِيزَانَ فِي النَّفْعِ وَالزَّمَنِ وَالْمَقْصِدِ فَلَا نَغْلُو وَلَا نُفَرِّطَ." وَقَالَ «رِيَّانُ» "نَتَعَاهَدُ أَنْ نَحَافِظَ عَلَى صِدْقِ الْكَلِمَةِ وَأَنْ نَرْفَعَ الْأَثَرَ عَلَى الدَّعْوَى" وَقَالَتْ «رَابِيعَةُ» "نَتَعَاهَدُ أَنْ نَزِيدَ فِي الْحَيَاءِ وَفِي التَّوَاضُعِ وَأَنْ نَجْعَلَ الْعِلْمَ خِدْمَةً لِلْقُلُوبِ لَا زِينَةً لِلْأَلْسُنِ." ثُمَّ قَامَ الْإِمَامُ فَقَالَ "اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَا سَمِعْنَا وَفَقَّا عَلَى الطَّاعَةِ وَاجْعَلْ مَا كَتَبْنَا نُورًا يَهْدِي الْخُطُوبَاتِ" ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (الْعَصْرِ 1-3).

وَخَرَجَ النَّاسُ يَحْمِلُونَ فِي أَيْدِيهِمْ «صُحُفَ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ» وَفِي قُلُوبِهِمْ «مِيزَانَ الثَّقَاتِ» وَفِي خُطُوبَاتِهِمْ «نَظَرَ الْمَالِ». وَمَا إِنْ عَادَتِ الْأُسْرَةُ إِلَى الدَّارِ حَتَّى أَخَذَتْ «حِلْمَةٌ» صَفْحَةً جَدِيدَةً وَكَتَبَتْ فِي صَدْرِهَا

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الْإِسْرَاءُ 34)

ثُمَّ قَالَتْ "سَنَخْتِمُ كُلَّ مَسَاءٍ بِسُؤَالٍ وَاحِدٍ «هَلْ زَادَ الْقَلْبُ وَقَارًا وَهَلْ

ظَهَرَ ذَلِكَ فِي الْعَمَلِ". وَقَالَ «صَفْوَانُ» "وَسَنَفْتُحْ صَفْحَةً «خِدْمَةٍ» نُسَجِّلُ فِيهَا مَا خَدَمْنَا بِهِ جَارًا أَوْ مَكَانًا أَوْ طَلَبًا صَادِقًا لِلْعِلْمِ" ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (الْمَائِدَةُ 2)

وَقَالَ "و«مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»" (حَدِيثٌ).

وَعِنْدَ الْمَغْرِبِ أَجْلَسُوا الْأَطْفَالَ فِي «زَاوِيَةِ السَّكِينَةِ» فَقَرَأُوا صَفْحَةً وَدَعَوْا دُعَاءَ قَصِيرًا وَأَغْلَقُوا الْأَجْهَرَةَ ثُمَّ وَضَعُوا «صَحِيفَةَ الْعَهْدِ» عَلَى الرَّفِّ الْأَعْلَى تَحْتَ آيَةِ تَنْبِيهِ الطَّرِيقِ

﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (الْبَقَرَةُ 282).

وَنَظَرَ «رِيَّانُ» إِلَى الصَّحِيفَةِ فَقَالَ "سَابَدًا غَدًا بِ«عَمَلٍ أَثَرٍ» يَصْنَعُ فَرَقًا فِي الْبَيْتِ وَفِي الصَّفِّ" وَقَالَتْ «رَابِيعَةُ» "سَارَتُبُ كَلِمَتِي حَتَّى تَكُونَ دَلِيلًا عَلَى نُورِ الْقَلْبِ" فَقَالَتْ «حِلْمَةُ» "وَسَأُحْرُسُ «مِيزَانَ الثُّبَاتِ» لِكَيْ لَا تَذْهَبَ بِنَا أُنْعِجَلُهُ" وَقَالَ «صَفْوَانُ» "وَأَنَا سَأُرَاجِعُ فِي آخِرِ كُلِّ أُسْبُوعٍ «حِسَابَ الْمَقْصِدِ» لِئَلَّا يَتَسَرَّبَ الرِّيَاءُ".

وَلَمَّا جَاءَ آخِرُ اللَّيْلِ جَمَعُوا أَيْدِيَهُمْ وَقَالُوا "اللَّهُمَّ اجْعَلْ هَذَا الْحَصَادَ أَوَّلَ خَيْرٍ يَتَّبِعُهُ خَيْرٌ وَزِدْنَا هُدًى وَثَبَّتْ خُطَانَا عَلَى الْحَقِّ" ثُمَّ قَرَأُوا

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطَّلَاقُ

2-3) وَفَرُّوا

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الْبَقَرَةُ 127).

ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ فِي خِتَامِ الْمَسْجِدِ "سَدُّوا وَقَارِبُوا وَأَبْشُرُوا" (حَدِيثٌ)
"فَإِنَّ طَرِيقَ الْأَثَرِ يُسَافِرُ عَلَى قَدَرٍ وَيَعُودُ كُلُّ أَسْبُوعٍ بِبِشَارَةٍ". وَأَطْبَقَ اللَّيْلُ عَلَى
حَيِّ يُسْمِعُ فِيهِ الْجِيرَانُ رَجَعَ الْقُرْآنَ وَيَرُونَ فِي الصَّبَاحِ خُطُواتِ أَرْوَغٍ مِنْ
الْكَلِمَاتِ.

وَهَكَذَا يَبْقَى «يَوْمُ الْحَصَادِ الْأَوَّلِ» بَدَاءَةً لَا نِهَآيَةً وَمِيزَانًا يُصْلِحُ الطَّرِيقَ
فِي كُلِّ فَصْلٍ وَصَفْحَةٍ تُثَبِّتُ مَا غُرِسَ فِي الْقُلُوبِ مِنْ عَهْدٍ وَنُورٍ وَأَدَبٍ. فَإِذَا سَارَ
الزَّمَانُ عَلَى هَذَا النِّظَامِ رَأَى النَّاسُ أَنَّ الْقُرْآنَ إِذَا نَزَلَ فِي الْعَادَاتِ أَنْبَتَ «سَكِينَةً»
و«عِلْمًا نَافِعًا» وَ«أَثَرًا صَالِحًا» فَتَبَارَكَ الْعَمَلُ وَأَنْتَظِمَ الْحَالُ وَصَارَتِ الصَّحَائِفُ
شُهُودًا تَقُولُ لِكُلِّ قَلْبٍ "أَمْضِ فَإِنَّ الطَّرِيقَ مُوصُولٌ بِآيَةٍ وَمَوْعِدٍ وَمِيزَانٍ". وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

مُقَدِّمَةُ الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ: فَتْنُ الشَّائِعَةِ وَسُلْطَانُ الصُّورَةِ

تَنْفَتِّحُ أَبْوَابُ الزَّمَانِ عَلَى سَاحَاتٍ جَدِيدَةٍ يَجْتَمِعُ فِيهَا الصَّوْتُ وَالصُّورَةُ
وَالْكَلِمَةُ كَأَنَّهَا سُوقٌ لَا تَعْلُقُ أَبْوَابَهَا وَمَجْلِسٌ لَا يَنْفَضُّ أَهْلُهُ. وَتَدْخُلُ الْأُسْرُ هَذِهِ
الرَّحَابَ عَلَى أَمَلٍ فِي نَفْعٍ وَعِلْمٍ وَوَصْلٍ رَحِيمٍ ثُمَّ تَتَسَلَّلُ مَعَ الْفَوَائِدِ فَتَنْ دَقِيقَةً
وَمَصَائِدُ خَفِيَّةٍ تَحْمِلُهَا الشَّاشَاتُ وَتُؤَزُّهَا الْإِشْعَارَاتُ. وَتَسْأَلُ الْقُلُوبُ عَلَى الْعَتَبَةِ
"بِأَيِّ مِيزَانٍ نَدْخُلُ وَعَلَى أَيِّ طَرِيقٍ نَمْشِي" فَيَجِيءُ الْجَوَابُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ نُورًا
يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ (الْحُجُرَاتُ 6)

وَحِكْمَةٌ تَكْفُفُ اللِّسَانَ عَنِ التَّعَجُّلِ

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الْإِسْرَاءُ 53)

وَمِعْيَارًا يَحْرُسُ الْعَقْلَ مِنَ الْإِتِّبَاعِ بِلاَ بَصِيرَةٍ

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الْإِسْرَاءُ 36)

وَمِثَاقًا يُثَبِّتُ الْوَقْتَ عَلَى مَقَاصِدِهِ

﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر 1-3).

تَسِيرُ هَذِهِ الرَّوَايَةُ عَلَى خُطُوطٍ مَوْزُونَةٍ تُقِيمُ كُلَّ بَابٍ عَلَى مِيزَانِهِ قَبْلَ أَنْ تُطْلَقَ أَيْدٍ فِي الْأَسْتِعْمَالِ. فَتَبْدَأُ مِنْ «الْهَاتِفِ الْأَوَّلِ» لِتَجْعَلَهُ أَمَانَةً تُسْتَصْحَبُ وَلَيْسَتْ لُغْبَةً تُسْتَهْلَكُ، ثُمَّ تَنْتَقِلُ إِلَى «قَنَوَاتِ الصَّفِّ» لِتُقِيمَ فِيهَا النِّظَامَ الَّذِي يَصُونُ حُرْمَةَ الْمَكَانِ وَيُحَسِّنُ قِسْمَةَ الْكَلِمَةِ. وَتَتَعَقَّبُ «الْإِشَاعَةَ» لِتَكْسِرَ سِلْسِلَتَهَا قَبْلَ أَنْ تَنْتَشِرَ ثُمَّ تُقِيمُ مَعَ «صُورَةِ الصَّغَارِ» سِتْرًا وَحِرَاسَةً وَتُؤَدِّبُ «الْحِشْمَةَ وَذَوْقَ الصُّورَةِ» حَتَّى يَسْتَقِيمَ النَّظَرُ وَيَطِيبَ التَّعْلِيلُ. وَتُفَكِّكُ «الْإِبْتِزَارَ» لِتَجْعَلَ لَهُ مَخَارِجَ نَجْدَةٍ سَرِيعَةٍ وَتُعَالِجُ «الْتَّنَمُّرَ» لِتَحُولَ الْإِنْفِعَالَ حِكْمَةً وَوَثَاقَةً. ثُمَّ تَقِفُ عِنْدَ «التَّحَدِّيَّاتِ الْخَطِرَةِ» لِتَرْفُضَ ثَقَافَةَ الْإِسْتِعْرَاضِ وَتُزَكِّيَ مِيزَانَ حِفْظِ النَّفْسِ وَتَزُنْ «الْأَلْعَابَ وَالشَّرَاءَ» بِمِيزَانِ الْوَقْتِ وَالْمَالِ وَالْمَنْفَعَةِ. وَتُقِيمُ «الْوَقْتَ وَالنَّوْمَ» عَلَى سُنَنِهِمَا لِيَرْجِعَ اللَّيْلُ لِيَأْسًا وَيَبْقَى النَّهَارُ مَعَاشًا، وَتُحَاوِرُ «الرَّفِيقَ الْآلِيَّ» لِتَحُدَّ الْأَسْتِعْمَالَ بِقَصْدِ التَّعَلُّمِ لَا بِدِيلِ الْعَاطِفَةِ. ثُمَّ تُعَرِّفُ بَابَ «الْمُحَاكَاةِ الْعَمِيقَةِ» لِتُفَرِّقَ بَيْنَ الصَّدَقِ وَالتَّزْوِيرِ وَتُقِيمَ «أَمَنَ الْمَعَارِفِ» عَلَى مِثَاقِ الْحِفْظِ حَتَّى تَسْلَمَ الْهُوَيَّاتُ وَتَصْدُقَ الْمُرَاسَلَاتُ. وَتَخْتِمُ الرِّحْلَةَ بِ«قِرَاءَةِ الْخَبَرِ» لِتَسْتَوِيَ فِيهَا عُيُونٌ نَاقِدَةٌ وَقُلُوبٌ عَادِلَةٌ يَسْتَمِعُ أَهْلُهَا الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الرُّمُزُ 18).

تَبْنِي هَذِهِ الرُّوَايَةُ لِكُلِّ بَابٍ مَشْهَدًا يُشَاهَدُ وَعَهْدًا يُكْتَبُ وَوَاجِبًا يُقَاسُ
وَمُؤَشَّرًا يَدُلُّ، فَلَا تَبْقَى أَلْمَعَانِي صُورًا فِي الْأَذْهَانِ بَلْ تَنْقَلِبُ أَعْمَالًا فِي الْبُيُوتِ
وَالصُّفُوفِ وَسَاحَاتِ الْحَيَاةِ. وَتُصَاحِبُهَا «مَوَازِينُ» مُفَعَّلَةٌ تُجْرِي الْأَحْكَامَ عَلَى
قَدْرِهَا؛ فَمِيزَانُ التَّنَبُّهِ يَحْرُسُ الْخَبَرَ وَمِثَاقُ الْكَلِمَةِ يُرَكِّي اللِّسَانَ وَمِيزَانُ الْحَيَاءِ
يُؤَدِّبُ النَّظَرَ وَمِيزَانُ الْوَقْتِ يُقِيمُ الْإِقَاعَ وَمِيزَانُ الْمَقْصِدِ يَرْبِطُ كُلَّ خُطْوَةٍ بِغَايَتِهَا
وَمِيزَانُ الْكِرَامَةِ يَرْفَعُ النَّاسَ عَلَى خُلُقِ الْعِصْمَةِ مِنَ الْأَذَى. وَتَبْقَى الْأُخُوَّةُ فِي
الْخَاتِمَةِ رَابِطًا يَشُدُّ الْمَجْلِسَ وَيَحْفَظُ الْمَسِيرَ

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الْحُجُرَاتُ 10).

تَقْصِدُ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةُ أَنْ تُعَلِّمَ الدُّخُولَ قَبْلَ الْإِسْتِعْمَالِ وَأَنْ تُقِيمَ الْفَهْمَ
قَبْلَ الْحَاكِيَاةِ وَأَنْ تَضَعَ لِكُلِّ سَاحَةِ «مِفْتَاحًا» مِنْ قُرْآنٍ وَحِكْمَةٍ وَتَجَرِبَةٍ مُقَاسَةٍ.
فَإِذَا مَضَتْ الْحَلَقَاتُ عَلَى نَسَقِهَا رَجَعَ الدِّينُ ذَلِيلًا فِي الرَّقْمِ كَمَا كَانَ ذَلِيلًا فِي
الطَّرِيقِ وَصَارَتِ الْمَعَارِفُ حِرَاسَةً لِلْقُلُوبِ لَا زِينَةً لِللِّسَنِ وَتَحَوَّلَ الْوَقْتُ الْمُبْعَثُ
إِلَى إِقَاعٍ يَحْمِلُ الْعِبَادَةَ وَالْعُمُرَانَ. وَعِنْدَ كُلِّ بَابٍ تَتَجَدَّدُ النَّيَّةُ وَيُسْتَفْتَحُ الْعَمَلُ
عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الْأَنْعَامُ

بَيْنَ الْأُذُنِ وَالْإِشْعَارِ - تَكْوِينُ الْجِيلِ الرَّاشِدِ

(162

لِيَبْقَى الْمِيزَانُ مُسْتَقِيمًا وَالطَّرِيقُ مُوصِلًا وَالْقَلْبُ عَلَى نُورٍ.

الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: الْهَاتِفُ الْأَوَّلُ

تَهَابَطَ الْمَسَاءُ عَلَى صَحْنِ الْمَسْجِدِ كَأَنَّهُ رِذَاءٌ مِنْ نَسِيمِ رَطْبٍ يَلْفُ
الْحَصَى بِرِقَّةٍ وَيُهْدِي الْأَصْوَاتَ حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا خَفَقُ الْقُلُوبِ وَخَشْخَشَةُ
الْأَكْفِ وَهِيَ تُرْتَّبُ الْمَصَاحِفَ فِي الرَّفِّ الْعَتِيقِ. وَقَفَ الْفَتَى «يَاسِرٌ» عَلَى
الْعَتَبَةِ يَسْتَأْنِسُ بِظِلِّ الرَّوَاقِ وَيُطْلِقُ نَظْرًا مُتَرَدِّدًا نَحْوَ مَجْلِسٍ يَحْتَفُّ بِهِ الْفَتْنَةُ فِي
نِصْفِ الدَّائِرَةِ. أَشَارَ الْإِمَامُ بِكَفِّ مُطْمَئِنَّةٍ فَانْتَضَمَ الْجُلُوسُ وَأَنْسَابُ الصَّمْتِ
عَلَى الْمَكَانِ كَمَا يَنْسَابُ الضُّوءُ عَلَى صَفْحَةِ الْمَاءِ عِنْدَ الْغُرُوبِ.

أَنْحَدَرَ صَوْتُ الْمُؤَذِّنِ بِتَرْتِيلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْقُلُوبِ فَانْفَلَقَ الْحَضُورُ إِلَى
صَفٍّ يَتَمَاسِكُ وَيَلْتَمِسُ ثُمَّ عَادُوا إِلَى حَلَقَةِ التَّدْرِيسِ وَقَدْ صَفَا الْوَقْتُ وَأُنْقَادَ
الْخَاطِرُ لِمَا هُوَ أَنْفَعُ وَأَبْقَى. تَقَدَّمَ «يَاسِرٌ» خُطُوبَاتٍ وَقَفَ أَمَامَ الْإِمَامِ ثُمَّ مَالَ عَلَى
الْأَرْضِ وَأَثْبَتَ رُكْبَتَيْهِ كَمَا يُثْبِتُ مَنْ يَسْتَعِدُّ لِلْإِصْغَاءِ الْبَعِيدِ. تَرَقَّرَقَ الْهَمْسُ فِي
حَافَةِ الدَّائِرَةِ ثُمَّ سَكَنَ.

هَمَسَ يَاسِرٌ وَعَيْنَاهُ تَلْمَعَانِ بِخَلِيطٍ مِنَ الرَّغْبَةِ وَالْتَوَجُّسِ "يَا سَيِّدَنَا هَلْ
يَحِلُّ لِي هَاتِفٌ جَدِيدٌ أَتَّصِلُ بِهِ بِرَفَاقِي وَأَطْلُعُ بِهِ عَلَى الْعِلْمِ وَأُرَتِّبُ بِهِ أَوْقَاتِي."

يَتَحَدَّثُونَ فِي الصَّفِّ عَنِ الْمَجْمُوعَاتِ وَالتَّبَادُلِ وَالْمُسَابَقَاتِ وَأَخَافُ أَنْ أَتَأَخَّرَ."
انْفَتَحَ وَجْهُ الْإِمَامِ بِشَاشَةٍ وَيَقِينًا ثُمَّ تَلَا بِلَهْجَةٍ تَخْتَلِطُ فِيهَا التَّأْدِيبُ
وَالْأَنَسُ وَالتَّنْبِشِيرُ

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا
وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الْأَحْزَابُ 72).

"ثَمَّتْ هَاتِفٌ يَا يَاسِرُ وَلَكِنَّهُ لَيْسَ لُغْبَةً يُقَذَّفُ فِي كَفِّ الصَّبِيِّ كَمَا
يُقَذَّفُ الْكُرَّةُ فِي الْمَرْجِ بَلْ هُوَ أَمَانَةٌ تُسْتَأْمَنُ فِيهَا الْأَعْيُنُ وَالْأَذَانُ وَالْأَوْقَاتُ
وَصُحْبَةُ الْقَلْبِ."

انْسَابَتْ هَمَمُهُ قَصِيرَةً تَسْتَطِيعُ الْمَعْنَى ثُمَّ ارْتَقَى الْإِمَامُ بِالنَّظَرِ إِلَى
الْأَفْقِ الْمُتَوَرِّدِ فَوْقَ سَاحَةِ الصَّحْنِ وَأَشَارَ إِلَى مِيزَانٍ قَلْبِيٍّ لَا يُرَى فِي الْأَيْدِي
وَأِنَّمَا يُحَسُّ فِي سُكُونِ الصُّدُورِ وَقَرَارِهَا. "تَسْتَأْذِنُ الْأَدَوَاتُ فِي طُرُوقِ الْبُيُوتِ
وَالْقُلُوبِ فَإِذَا فُتِحَ لَهَا دَخَلَتْ عَلَى قَدَرٍ مَا يُؤْمَنُ مِنْهَا وَعَلَى قَدَرٍ مَا تُسْتَصْحَبُ
لِأَجْلِهِ. فَأَمَّا الْوَقْتُ فَهُوَ رَأْسُ مَالِنَا وَقَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِ فَقَالَ

﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (الْعَصْرِ 1-3).

وَأَمَّا الْمَقْصِدُ فَهُوَ الَّذِي يُقَوِّمُ الْخُطَى وَيَحْفَظُ الْإِتِّجَاهَ وَقَدْ قَالَ رَبُّنَا

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الْإِسْرَاءُ 36).

فَالْهَاتِفُ يَا بُنَيَّ يَدْخُلُ بِمِيزَانِ الْأَمَانَةِ وَالْوَقْتِ وَالْمَقْصِدِ لَا بِرَغْبَةٍ
الْجَمَاعَةِ وَلَا بِسُلْطَانِ الْفُضُولِ.

أَتَتَبَهُ الْفَتِيَّةُ كَانَتْهُمْ عَلَى مَشْرِفٍ مِنْ تَجَرِبَةٍ يَتَرَقَّبُونَ شُرُوعَهَا. "تُقَدِّمُ يَا
يَاسِرُ أُلْعَلَةَ وَتُقَدِّمُ الْمِيزَانَ ثُمَّ نَمْضِي مَعًا إِلَى مَشْهَدٍ يَقْتَرِنُ فِيهِ الْقَوْلُ بِالْفِعْلِ
فَلَيْسَ الْعَهْدُ كَلَامًا يُكْتَبُ فِي وَرَقٍ ثُمَّ يُطَوَّى بَلْ هُوَ صَفْقَةُ قَلْبٍ وَنَظَرٌ وَوَقْتُ
وَمَكَانٍ وَمُحْتَوَى يُسْتَأْمَنُ."

تَحَرَّكَ الْمَجْلِسُ بِنَبْضٍ حَيٍّ وَخَطَوْا نَحْوَ بَابِ الْمَسْجِدِ. أُنْزِلَتْ الشُّعَاعُ
الْأَخِيرُ لِلشَّمْسِ فِي حَافَةِ السَّاحَةِ وَسُرُجُ الزَّيْتِ تَسْتَعِدُّ لِلْحُضُورِ. خَرَجُوا إِلَى
الدَّرَبِ الْمُؤَدِّي إِلَى بُيُوتِ الْحَيِّ وَكَأَنَّ الْحَصَى يُحَدِّثُ أَقْدَامَهُمْ بِمَا يُحِبُّ اللَّهُ
مِنَ التَّأَنِّي وَحُسْنِ الْمَقَاصِدِ.

فِي أَلْبَيْتٍ أَنْفَرَشَتْ سَجَادَةً صَالَةً مُتَّسِعَةً وَأَنْتَصَبَتْ طَاوِلَةً صَغِيرَةً تَتَوَسَّطُ
الْمَكَانَ وَعَلَيْهَا دَفْتَرٌ سَمِيكٌ وَقَلَمٌ وَمَحْبَرَةٌ بِلَوْنٍ أَخْضَرَ. رَفَعَ الْإِمَامُ الْقَلَمَ ثُمَّ تَأَمَّلَ
الْوُجُوهَ وَهِيَ تَتَرَقَّبُ سَطُورًا سَتَشُدُّ الْقُلُوبَ إِلَى الْجَدِّ وَتُبْعِدُهَا عَنْ فَوْضَى
الْإِشْعَارَاتِ. أَشَارَ إِلَى يَاسِرٍ أَنْ يَقْرُبَ وَإِلَى وَالِدِهِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَى جَانِبِهِ فَقَرَّبَا

وَتَنَفَّسًا نَفْسًا مُشْتَرَكًا يَخْرُجُ مِنْ صَدْرَيْنِ إِلَى مِيثَاقٍ وَاحِدٍ.

أَنْطَلَقَ الْقَلَمُ يَرْسُمُ الْعُنْوَانَ فِي صَدْرِ الصَّحِيفَةِ «صَحِيفَةُ عَهْدِ الْهَاتِفِ»
ثُمَّ نَزَلَ سَطْرًا بَعْدَ سَطْرِ كَأَنَّهُ يَخْطُ سِلْكًَا مِنْ نُورٍ يَقُودُ الْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ:

«نُشْهَدُ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَمَنْ حَضَرَ مِنْ أَهْلِنَا أَنَّ هَاتِفَ يَاسِرٍ أَمَانَةٌ تُسْتَعْمَلُ
لِلتَّعَلُّمِ وَالتَّوَاصُلِ الْمُبَارَكِ وَخِدْمَةِ الْخَيْرِ. وَنُلْزِمُ أَنْفُسَنَا بِالْقَوَاعِدِ الْآتِيَةِ عَلَى مِيزَانِ
الْوَقْتِ وَالْمَكَانِ وَالْمُحْتَوَى».

تَوَقَّفَ الْقَلَمُ لَحِظَةً كَأَنَّهُ يَسْتَأْذِنُ الْقُلُوبَ ثُمَّ اتَّبَعَ:

«أَوَّلًا الْوَقْتُ: لَا يُسْتَعْمَلُ الْهَاتِفُ فِي نِصْفِ سَاعَةٍ قَبْلَ الْمَغْرِبِ وَلَا فِي
نِصْفِ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعِشَاءِ وَتُجْعَلُ الْإِشْعَارَاتُ صَامِتَةً فِي هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ لِحَقِّ
الصَّلَاةِ وَالْأُسْرَةِ وَالسَّكِينَةِ. وَيُحَدَّدُ لِالِاسْتِعْمَالِ تَوَافِيقٌ مُحَسُوبَةٌ بَيْنَ الدَّرَاسَةِ
وَالِاسْتِرَاحَةِ فَلَا يَزِيدُ الْمَجْمُوعُ عَلَى سَاعَةٍ وَنِصْفٍ فِي الْيَوْمِ وَيُقَدَّمُ نَافِعُ الْعِلْمِ
عَلَى غَيْرِهِ».

«ثَانِيًا الْمَكَانُ: لَا يُصَحَبُ الْهَاتِفُ إِلَى سَرِيرِ النَّوْمِ وَيُجْمَعُ مَعَ أَجْزَةِ
الْبَيْتِ فِي رَكْنٍ ظَاهِرٍ يُسَمَّى «زَاوِيَةَ السَّكِينَةِ» يَسْتَرِيحُ فِيهَا الْقَلْبُ وَتَهْدَأُ الْعَيْنُ
وَيَضِيقُ مَدْخَلُ الشَّيْطَانِ».

«ثَالِثًا الْمُحْتَوَى: لَا يُتَابَعُ فِي الْهَاتِفِ إِلَّا مَا شَهِدَ لَهُ الْعَقْلُ بِالنَّفْعِ

وَالْخُلُقِ بِالْقَبُولِ وَالْقَلْبِ بِالسَّلَامَةِ وَيُمْنَعُ كُلُّ مَا يُهَيِّجُ الشَّهْوَةَ أَوْ يَسْتَضْعِفُ الْحَيَاءَ أَوْ يُضَيِّعُ الْأَوْقَاتَ فِي سَفْسَافِ الْأُمُورِ.»

«رَابِعًا الْمُرَاقَبَةُ وَالْعَدْلُ: يُؤَكِّدُ الْوَالِدُ وَالْوَالِدَةُ الْعَهْدَ وَيَرْتَضِيَانِ لَابْنَيْهِمَا الْأَسْتِعْمَالَ الْمُؤَدَّبَ وَيُرَاجِعَانِ مَعَهُ فِي نِهَايَةِ الْأُسْبُوعِ «دَفْتَرَ الْأَسْتِفَادَةِ» لَا «دَفْتَرَ التَّجَسُّسِ».»

وُضِعَ الْقَلَمُ وَتَنَاولَ يَاسِرُ الصَّحِيفَةَ يَمْسَحُ عَلَيْهَا بِكَفِّهِ كَمَنْ يَتَلَمَّسُ عَهْدًا قَدْ نَشَأَ فِي صَدْرِهِ قَبْلَ أَنْ يُوَلَّدَ عَلَى الْوَرَقِ. تَمَايَلَتْ أُمُّهُ الْجَالِسَةُ إِلَى الْجَوَارِ بِنَظَرَةٍ دُعَاءٍ ثُمَّ تَبَسَّمَ الْأَبُ وَقَدْ رَأَى فِي الْأَمْرِ مَخْرَجًا بَيْنَ حَاجَةِ الْعَصْرِ وَحَقِّ الدِّينِ وَسَكِينَةِ الْبَيْتِ.

تَاجَعَ السُّؤَالُ فِي صَدْرِ الْفَتَى وَهُوَ يَحْسُبُ زَمَنًا يَسْمَحُ لَهُ بِالِاتِّصَالِ بِرِفَاقِهِ. هَلْ تَصْلُحُ سَاعَةٌ وَنِصْفٌ لِجَمِيعِ مَا يُرِيدُ الشَّابُّ مِنْ مُرَاجَعَةٍ وَتَوَاصُلٍ وَتَرْفِيهِ. تَلَمَّحَ الْإِمَامُ الْخَاطِرَ فِي طَرَفِ الْعَيْنِ فَاقْتَرَبَ مِنَ الْجُدَارِ الْمُقَابِلِ لِزَاوِيَةِ السَّكِينَةِ وَعَلَّقَ صَفْحَةً صَغِيرَةً عُلِّمَتْ فِيهَا أَيَّامُ الْأُسْبُوعِ وَسَاعَاتُهُ. "هَذَا «مِيزَانُ الْوَقْتِ» يَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي قَدَرِهِ وَيُخْرِجُ لَنَا مِنَ الْحَيَاةِ أَطْيَبَهَا. سَنَجْعَلُ مِنْ هَذَا الْيَوْمِ «وَاجِبًا مُقَاسًا» تُرْصَدُ فِيهِ «سِتُّونَ دَقِيقَةً نَافِعَةً» يَوْمِيًّا فِي «تَطْبِيقَيْنِ تَعْلِيمِيَّيْنِ» يَخْتَارُهُمَا يَاسِرٌ وَيُصَوِّبُ الْأَبُ خِيَارَهُ، ثُمَّ نَقِيسُ بَعْدَ أُسْبُوعَيْنِ «مُؤَشِّرَ الْأَثَرِ» فَجِدْ عَدَدَ «فَتْحَاتِ الْهَاتِفِ» بَعْدَ الْعِشَاءِ قَدْ أَنْخَفَضَ ثَلَاثِينَ فِي الْمِائَةِ أَوْ أَكْثَرَ."

أَنْسَابَتِ الْأُمُّ إِلَى الْمَطْبَخِ تُعَدُّ شَايًا بِالتَّعْنَاعِ ثُمَّ عَادَتْ حَامِلَةً صَحْنًا صَغِيرًا فِيهِ بَعْضُ مَا تَيْسَّرَ مِنْ تَمْرٍ وَجَوْزٍ. أَشَارَ الْإِمَامُ إِلَى الزَّوَايَةِ الْمُسَمَّاةِ بِالسَّكِينَةِ فَرَفَعَ عَلَيْهَا الْهَاتِفَ وَقَدْ جُعِلَتْ لَهُ قَاعِدَةٌ مِنْ خَشَبٍ يَسْتَرِيحُ عَلَيْهَا وَيَنْقَطِعُ عَنِ الْغُرُوبِ فِي الْوُجُوهِ وَيَنْفَصِلُ عَنِ الْعَيْنِ فِي حِينٍ لَهُ حُرْمَةٌ.

أَنْقَلَبَ الْمَشْهُدُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ فِي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ التَّالِي وَجَرَتْ خُطُوَاتُ التَّلَامِيذِ فِي السَّاحَةِ كَأَنَّهَا طَارَاتُ طُيُورٍ صَغِيرَةٍ تَتَنَادَى. تَقَرَّبَ زَمِيلٌ إِلَى يَاسِرٍ وَهُوَ يَسْتَعْرِضُ مَجْمُوعَةَ الْأَصْفِّ وَيَدْعُوهُ إِلَى الْإِنْضِمَامِ فِي سَاعَاتٍ مُتَأَخِّرَةٍ. «نَرْتَبُ الْوَاجِبَاتِ وَنَتَبَادُلُ الْأَلْعَازَ وَنَنْشُرُ الْمَقَاطِعَ الْمُضْحِكَةَ». تَنْفَسُ يَاسِرٌ بَطْنًا ثُمَّ لَفَّ صَدْرَهُ بِالْعَهْدِ وَأَجَابَ بِخُفُوتٍ "لِي أَوْقَاتٌ مَحْسُومَةٌ وَقَاعِدَةٌ تُسَمَّى السَّكِينَةُ، فَلَا أَصَاحِبُ هَاتِفِي بَعْدَ الْعِشَاءِ وَلَا أَقْتَرِبُ مِنَ الْمَجْمُوعَاتِ الَّتِي تُضَيِّعُ قَلْبِي". تَفَاوَتَتْ الْأَنْفَاسُ حَوْلَهُ بَيْنَ مُسْتَعْرِبٍ وَمُسْتَحْسِنٍ ثُمَّ تَمَالَكَ وَأَكْمَلَ "هَذَا لَا يَمْنَعُنِي مِنْ تَبَادُلِ الْعِلْمِ فِي وَقْتِ الْأَذْنِ".

فِي السَّاعَةِ الْمَحْدُودَةِ لِلتَّعَلُّمِ فَتَحَ يَاسِرٌ «تَطْبِيقًا» لِتَذْرِيبِ الرِّيَاضِيَّاتِ يَنْتَقِلُ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَةٍ إِلَى مَسْأَلَةٍ وَيَمْلَأُ «دَفْتَرَ الْأَسْتِفَادَةِ» بِعَدَدِ الْأَسْئَلَةِ الْمَحْلُولَةِ وَمَا انْكَسَرَ فِيهِ فَيُصْلِحُهُ فِي الْجُلُوسَةِ التَّالِيَةِ. ثُمَّ نَقَلَ الْوَقْتَ إِلَى «تَطْبِيقِ» آخَرَ فِي الْقِرَاءَةِ الْعِلْمِيَّةِ يُسْتَمْلَحُ فِيهِ مَقَالٌ قَصِيرٌ عَنْ تَشْكِيلِ الْغَيْمِ وَانْهَالِ الْمَطَرِ فَيُنْشِدُ قَلْبُهُ سُبْحَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُدَوِّنُ فِي آخِرِ الصَّفْحَةِ «مَا الَّذِي تَعَلَّمْتُهُ الْيَوْمَ» وَمَا الَّذِي

سَاجِرُهُ غَدًا».

عِنْدَ الْمَغْرِبِ أُطْفِئَتِ الْإِشْعَارَاتُ فِي الزَّوَايَةِ وَانْفَتَحَتْ أَبْوَابُ الْقُلُوبِ
لِلصَّلَاةِ وَالْمَجْلِسِ الْأُسْرِيِّ. تَلَّتِ الْأُسْرَةُ آيَاتِ قَصِيرَةٍ ثُمَّ انْتَقَلُوا إِلَى «حِكَايَةِ يَوْمٍ»
يُرْوِيهَا الْإِبْنُ وَتُضِيفُ الْبِنْتُ وَتُخْتِمُ الْأُمُّ بِالتَّقْوِيمِ الرَّحِيمِ. اسْتَرَاحَ الْهَاتِفُ عَلَى
قَاعِدَتِهِ وَاسْتَرَاحَتِ الْعُيُونُ مِنَ التَّلَصُّصِ عَلَى الْأَنْوَارِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي تُثْعَبُ
الْأَعْصَابُ وَتُبَدِّدُ السَّكِينَةَ.

مَرَّتْ أَيَّامٌ ثُمَّ أَسْبُوعٌ وَنِصْفٌ وَكَانَ قَلْبُ يَاسِرٍ يَتَرَاوَحُ بَيْنَ الْإِسْتِجَابَةِ
وَالْإِمْتِحَانِ. مِرَارًا تَتَسَلَّلُ رَغْبَةٌ فِي الْأَنْضِمَامِ إِلَى لَعِبٍ مِنْهُمْ فِي سَاعَاتِ التَّأَخُّرِ
وَمِرَارًا يَنْتَفِضُ الْعَهْدُ فِي الصَّدْرِ كَأَنَّهُ سُورٌ مِنْ نُورٍ يُرَدُّ عَادِي النَّفْسِ عَنْ مَدَى لَا
يَلِيقُ. فِي لَيْلَةٍ مَا تَدْفَقُ الرِّسَالَاتُ فِي «مَجْمُوعَةٍ» يُلَاحِظُ فِيهَا الصَّبِيَّةُ مَقْطَعًا
مُسْتَفِيزًا يُزَعِّجُ الْحَيَاءَ وَيُثِيرُ الشُّخْرِيَّةَ مِنْ زَمِيلٍ لَهُمْ فِي الصَّفِّ. تَفْتَحَتْ عَيْنَا يَاسِرٍ
عَلَى نَبْرَةٍ فِي الْخَافِقِ تُنَادِي «مِيزَانُ الْمَقْصِدِ يَا فَتَى» فَأَعْلَقَ الرِّسَالََةَ وَأَبْعَدَ
الْهَاتِفَ وَمَضَى إِلَى الزَّوَايَةِ يَضَعُهُ عَلَى قَاعِدَتِهِ وَيَسْتَرِيحُ. ثُمَّ نَقَلَ الْأَمْرَ إِلَى الْوَالِدِ
فِي الصَّبَاحِ وَتَشَاوَرَا فِي الْمَسْأَلَةِ وَأَخْبَرَا الْمُرْشِدَ التَّرْبَوِيَّ فَأُطْفِئَتْ فِتْنَةٌ قَدْ كَادَتْ
تُقِيمُ ضَجِيجًا.

فِي الشُّوقِ الْقَرِيبِ مِنَ الْمَسْجِدِ دُكَّانٌ كَهْرَبَائِيٌّ يُعَلِّقُ أَمَامَهُ أَجْهَرَةً
تُغْرِى النَّظَرَ وَاللَّمَسَ وَتَعِدُّ الْمُرُورَ بِمَا يُلْهِمِهِ. دَخَلَ الْإِمَامُ مَعَ يَاسِرٍ وَأَبِيهِ عَلَى

صَاحِبِ الدُّكَّانِ وَاسْتَأْذَنَ فِي قَلِيلٍ مِنَ الزَّمَنِ لِبُحْبُوحَةِ بَصِيرَةٍ. وَضَعَ عَلَى الْمِيزَانِ سَلْتَانِ صَغِيرَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا «فَوَائِدُ الْهَاتِفِ» وَالْأُخْرَى «مَضَارُّهُ» ثُمَّ أَخَذَ حَبَابٌ مِنْ أَلْتَمَرٍ يُقَابِلُ «دَقَائِقُ التَّعَلُّمِ» وَحَبَابٌ مِنَ الْحَصَى يُقَابِلُ «فَتْحَاتِ الْفُضُولِ». كُلَّمَا تَعَلَّمَ أَلْفَتَى شَيْئًا وَضَعَ تَمْرًا فِي سَلَّةِ الْفَوَائِدِ وَكُلَّمَا اسْتَجَابَ لِفَتْحَةٍ فَضُولِيَّةٍ وَضَعَ حَصَى فِي الْأُخْرَى. بَعْدَ أَيَّامٍ جَاءَ يَاسِرٌ إِلَى الدُّكَّانِ وَقَدْ مَالَ الْمِيزَانُ لِصَالِحِ التَّمْرِ وَأَعْتَدَلَتْ نَفْسُهُ وَاتَّضَحَ لَهُ أَنَّ الْمَقْصِدَ إِذَا حَكَمَ اسْتِرَاحَ الْقَلْبُ.

عِنْدَ انْتِصَافِ الْأُسْبُوعَيْنِ الْمَحْدُودَيْنِ لِلْقِيَاسِ تَجَمَّعَتِ الْأُسْرَةُ فِي الزَّوَايَةِ وَأَحْضَرَ الْأَبُ جَدُولًا بَسِيطًا مَدَّ فِيهِ أَعْمِدَةَ الْأَيَّامِ وَصُفُوفَ «عَدَدِ الْفَتْحَاتِ بَعْدَ الْعِشَاءِ». سَجَلُوا قَبْلَ الْعَهْدِ مُتَوَسِّطًا يَزِيدُ عَلَى الْحَدِّ الْمُسْتَطَابِ ثُمَّ رَاقَبُوا النُّقُوطَ تَهْبِطُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ حَتَّى بَلَغَتِ النَّسَبَةُ «خُمُسًا وَثَلَاثِينَ فِي الْمِائَةِ» فَانْشَرَحَتِ الصُّدُورُ وَتَبَادَلُوا «تَسْبِيحَ النِّعْمَةِ» وَشُكْرَ الْمُعِينِ.

لَمْ تَكُنِ الطَّرِيقُ سَهْلَةً كُلَّهَا فَقَدْ تَعَثَّرَ يَاسِرٌ فِي مَرَّةٍ أَوْ مَرَّتَيْنِ وَنَسِيَ «زَاوِيَةَ السَّكِينَةِ» وَأَنْجَرَ لِبَعْضِ الْفُضُولِ فَقَبَضَتْ أُمُّهُ كَفَّهُ بِرَفْقٍ وَذَكَرَتْهُ «الْعَهْدَ» وَقَرَأَتْ عَلَيْهِ «وَالْعَصْرِ» فَانْتَبَهَ وَاسْتَدَارَ وَلَمْ يَسْقُطْ فِي الْحُفْرَةِ. وَهَكَذَا تَعَلَّمَ أَلْفَتَى أَنَّ الْعَهْدَ لَا يَمْنَعُ الْإِنْسَانَ مِنَ الْأَمْتِحَانِ وَلَكِنَّهُ يُعِيدُهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ إِلَى «الْإِتِّجَاهِ الصَّحِيحِ» فَيَرْجِعُ وَيُصْلِحُ وَيَسْتَمِرُّ.

فِي لَيْلَةِ جُمُعَةٍ جَرَى الْإِنْتِقَالُ مِنَ الزَّوَايَةِ إِلَى الْمَسْجِدِ ثُمَّ إِلَى «مَجْلِسِ

السَّبَابِ» فِي صَحْنِ الرُّوَاقِ. جَلَسَ الْفَتِيَّةُ مُحَلِّقِينَ وَفِي النِّصْفِ يَاسِرٌ وَفِي طَرَفِ الدَّائِرَةِ الْإِمَامُ وَإِلَى جَانِبِهِ الْأَبْوَانِ وَاثْنَانِ مِنَ الْمُعَلِّمِينَ. أَشَارَ الْإِمَامُ إِلَى الصَّحِيفَةِ فَرَفَعَتْ وَتَلَيْتَ فِقْرَاتُهَا وَأُثْبِتَتْ بِالتَّوْقِيعِ وَالشُّهُودِ. ثُمَّ قَالَ بِلَهْجَةٍ تَنْبِيتٍ وَتَشْجِيعٍ «الْأَمَانَةُ تُؤَدِّي بِالضَّبْطِ وَالْوَقْتُ يُحْفَظُ بِالْوَجْهَةِ وَالْمَقْصِدُ يُبَيِّرُ لَنَا الطَّرِيقَ فَلَا نَتَّبِعْ مَا لَيْسَ لَنَا بِهِ عِلْمٌ وَنَتَحَرَّى فِي كُلِّ قَوْلٍ وَصُورَةٍ وَنَشْرِ».

أَنْفَعَلَ الْمَجْلِسُ وَتَحَرَّكَتْ فِيهِ الْأَسْئَلَةُ حَتَّى شَبَّهَ بَعْضُهُمْ «فَوْضَى الْإِشْعَارَاتِ» بِسُوقِ صَاحِبَةٍ تُنَادِي كُلَّ خَطْوَةٍ وَتَسْتَجْلِبُ كُلَّ نَظَرٍ فَأَجَابَ الْإِمَامُ «نُنَشِّئُ لِهَذِهِ السُّوقِ بَابَيْنِ يَسُدُّهُمَا الذِّكْرُ وَالْوَجْهَةُ فَمَتَى دَخَلَ الذِّكْرُ وَتَبَتِ الْوَجْهَةُ سَكَتَتِ الْأَصْوَاتُ الضَّارَّةُ وَبَقِيَ مَا فِيهِ نَفْعٌ وَجَمَالٌ».

أَنْطَوَى الْأُسْبُوعَانِ وَحَصَلَ «مَحْضَرُ الْأَثَرِ». جُمِعَتِ الْأَرْقَامُ وَقُورِنَتْ «سِتُونَ دَقِيقَةً نَافِعَةً» فِي التَّطْبِيقِينَ بِمَا تَرَكَهُ الْفَتَى مِنْ «فَتْحَاتٍ بَعْدَ الْعِشَاءِ» فَظَهَرَ الْإِنْخِفَاضُ أَعْظَمَ مِنَ الْمُسْتَهْدَفِ. رُفِعَ الْمَحْضَرُ فِي الْمَسْجِدِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَقُرِئَتْ فِيهِ آيَةُ «الْعَصْرِ» وَآيَةُ «الْأَمَانَةِ» وَآيَةُ «الْعِلْمِ» فَافْتَرَنْتِ الْكَلِمَاتُ بِالْوَاقِعِ وَصَارَ «الْهَاتِفُ» بَعْدَ الْعَهْدِ خَادِمًا يُؤَدِّي فَرَضَهُ وَلَيْسَ سَيِّدًا يَسُوقُ الْقُلُوبَ إِلَى التَّبَدُّدِ.

وَلِأَنَّ الْمَشْرُوعَ لَا يَنْقَطِعُ بِجَاحِ الْبِدَايَةِ فَقَدْ جُدِّدَ الْعَهْدُ بِقَاعِدَتَيْنِ زَادَتَا لَهُ ثِقَلًا وَوُضُوحًا. أُولَاهُمَا «الْمُرَافَقَةُ الرَّحِيمَةُ» وَمَعْنَاهَا أَنْ يُرَافِقَ الْأَبُّ أَبْنَاهُ فِي

جَلَسَةٍ مِنْ جَلَسَاتِ التَّعَلُّمِ كُلِّ أُسْبُوعٍ فَيَرَى مَا يَرَى وَيَسْمَعُ مَا يَسْمَعُ وَيُشَارِكُهُ سُؤلاً وَجَوَاباً. وَثَانِيَتُهُمَا «الْبَدِيلُ الْحَيُّ» وَمَعْنَاهَا أَنْ لَا يُسْحَبَ الْهَاتِفُ مِنَ الْفَتَى دُونَ أَنْ يُوضَعَ لَهُ بَدِيلٌ يَصْرِفُ الطَّاقَةَ فِي نَافِعٍ كَالرِّيَاضَةِ وَالْقِرَاءَةِ وَالْخِدْمَةِ. فَإِذَا ضَاقَ الْمَجَالُ صَارَ الْقَلْبُ إِلَى مَا يُصْلِحُ وَأَنْقَادَ الزَّمَنِ إِلَى مَا يَنْفَعُ.

وَحِينَ أَقْبَلَ آخِرَ اللَّيْلِ وَتَهَيَّأَ الْبَيْتُ لِلنَّوْمِ وَضَعَ يَاسِرٌ هَاتِفَهُ فِي «زَاوِيَةِ السَّكِينَةِ» وَمَسَحَ عَلَى صَحِيفَةِ الْعَهْدِ كَمَنْ يُجَدِّدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ مِيثَاقاً ثُمَّ أَطْفَأَ النُّورَ وَأَعْلَقَ الْعَيْنَ وَقَدْ رَأَى فِي قَلْبِهِ ضَوْءًا يَتَسَّعُ. وَفِي طَرَفِ الْعُرْفَةِ كَانَ الْأَبُ يَنْظُرُ إِلَى «جَدُولِ الْوَقْتِ» وَيُحْصِي وَقْتَ النَّوْمِ وَوَقْتَ التَّعَلُّمِ وَوَقْتَ التَّرْفِيهِ ثُمَّ يَرْفَعُ الرِّفْمَ الصَّغِيرَ الْمَكْتُوبَ تَحْتَ «عَدَدِ الْفَتْحَاتِ بَعْدَ الْعِشَاءِ» فَيَجِدُهُ أَقَلَّ مِنْ أَمْسٍ وَأَقَلَّ مِنْ أَمْسٍ أَمْسٍ وَيَبْتَسِمُ.

أَنْسَدَلَ السُّتَارُ عَلَى الْمَشْهَدِ وَالْمُدُنُ تَنَامُ وَحِكَايَاتُ الْحَيَاةِ لَا تَنَامُ. غَدًا سَيُقْبَلُ الشَّبَابُ بِأَسْئَلَةٍ جَدِيدَةٍ وَسَيَحْمِلُ الْهَاتِفُ إِلَيْهِمْ دُرُوبًا مِنَ الْعِلْمِ وَدُرُوبًا مِنَ الْفِتْنَةِ وَسَيَقْبَلُ «مِيزَانَ الْأَمَانَةِ وَالْوَقْتِ وَالْمَقْصِدِ» فَإِذَا يُشِيرُ إِلَى الطَّرِيقِ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ اسْتَقَامَ وَمَنْ أَعْرَضَ تَشَتَّتَتْ بِهِ الْأَصْوَاتُ الصَّغِيرَةُ وَضَاعَتْ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ.

وَفِي خِتَامِ الدَّرْسِ يَتَأَكَّدُ «الْوَاجِبُ الْمُقَاسُ» كَمَا شَرَحَ فِي السَّرْدِ فَيُرْصَدُ كُلُّ يَوْمٍ «سِتُونَ دَقِيقَةً نَافِعَةً» فِي «تَطْبِيقَيْنِ تَعْلِيمِيَّيْنِ» وَتُعْلَقُ «الْإِشْعَارَاتُ»

حَوْلَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَيُسَجَّلُ «عَدَدُ الْفَتْحَاتِ بَعْدَ الْعِشَاءِ» فِي جَدْوَلٍ يُعْرَضُ فِي «مَجْلِسِ الْأُسْرَةِ» كُلَّ الْجُمُعَةِ وَيُقَارَنُ «مُؤَشِّرُ الْأَثَرِ» بَيْنَ بَدَايَةِ الْعَهْدِ وَنَهَايَةِ الْأُسْبُوعَيْنِ حَتَّى يَثْبُتَ انْخِفَاضُ «ثَلَاثِينَ فِي الْمِائَةِ» عَلَى الْأَقَلِّ وَيَتِمَّ تَجْدِيدُ الْعَهْدِ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَوْسِمٍ آخَرَ.

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

الدَّرْسُ الثَّانِي: قَنَوَاتُ الصَّفِّ

تَهَابَطَتْ سَكِينَةُ الْعَشِيِّ عَلَى رِوَاقِ الْمَسْجِدِ فَسَكَنَتْ الْخُطَى وَأَنْكَفَأَ
ضَجِيجُ الشُّوقِ كَأَنَّهُ مَاءٌ هَدَأَ فِي حَوْضٍ قَدِيمٍ وَأَنْبَسَطَ نُورٌ لَيْنٌ يَسْرِي عَلَى
الْأَعْمِدَةِ فَيَجْمَعُ الْقُلُوبَ عَلَى قَصْدٍ وَرُشْدٍ. جَلَسَ الْإِمَامُ فِي الْوَسْطِ وَتَحَلَّقَ حَوْلَهُ
فَتِيَّةٌ وَفَتَيَاتٌ وَأَبَاءٌ وَأُمَهَاتٌ وَمُعَلِّمَانِ يَسْأَلُونَ مِيزَانًا يُقِيمُ لَهُمْ طَرِيقَ الْكَلِمَةِ فِي
الْمَجْمُوعَاتِ وَيَحْفَظُ حُرْمَةَ الْمَكَانِ الرَّقْمِيِّ كَحُرْمَةِ الْبَيْتِ. رَفَعَ الْإِمَامُ كَفَّهُ ثُمَّ
قَالَ بِصَوْتٍ يَجْمَعُ التَّطْيِيبَ وَالْحَزَمَ: "الْيَوْمَ نُدِيرُ «قَنَوَاتِ الصَّفِّ» عَلَى قَوَاعِدَ
تُحَافِظُ عَلَى الْقُلُوبِ وَتَكْفُفُ الْأَلْسُنَ عَمَّا لَا يَلِيقُ وَتَجْعَلُ لِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحًا
وَلِكُلِّ كَلِمَةٍ مَوْضِعًا." ثُمَّ تَلَا الزَّاجِرَ الْمُمِينُ:

﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ (النُّورُ 27)

وَاتَّبَعَهُ بِشَاهِدِ الْأَلْفَةِ الْمُقِيمِ لِحُرْمَةِ الصُّحْبَةِ:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الْحُجُرَاتُ 10).

ثُمَّ قَالَ وَفِي نَبَرَتِهِ بَرِيقُ تَثْيِيتٍ: "مَنْ جَعَلَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ أَمَامَ عَيْنَيْهِ فِي

كُلَّ مَرَّةٍ يَكْتُبُ فِيهَا أَوْ يَدْخُلُ مَجْمُوعَةً حَفِظَ الْحُقُوقَ وَصَانَ الْقُلُوبَ وَالْبَيِّتَ.

هَمَسَ «رِيَانُ» وَفِي عَيْنَيْهِ قَلْقٌ مُتَعَلِّمٍ يَطْلُبُ سَبِيلًا: "تَتَكَاثَرُ الرِّسَالُ فِي مَجْمُوعَتِنَا فَلَا نَذَرِي أَيْنَ نَضَعُ الْوَاجِبَ وَأَيْنَ نَتَحَاوَرُ وَتَنْفَلِتُ كَلِمَاتٌ فِي اللَّيْلِ تُوقِظُ نَائِمًا وَتُشَوِّشُ عَلَى ذَاكِرٍ". فَتَنْظَرُ الْإِمَامُ إِلَيْهِ نَظْرَةً تَجْمَعُ الرِّفْقَ وَالْحَزَمَ ثُمَّ قَالَ: "نُقِيمُ لِلْمَكَانِ حُرْمَتَهُ كَمَا نُقِيمُ لِلْبَيْتِ بَابًا وَسِتْرًا. نُنْشِئُ «قَنَاةَ الْأَعْلَانَاتِ» لِلْوَاجِبَاتِ وَالْأَوْقَاتِ وَالتَّكْلِيفِ وَنُفَرِّدُ «قَنَاةَ النَّفَاشِ» لِلْحَوَارِ وَالْإِسْتِفْسَارِ. فَلَا تَدْخُلُ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى كَمَا لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ بَيْتًا غَيْرَ بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنٍ

﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ (النُّورُ 27).

ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُشَبِّتُ الْقَاعِدَةَ فِي الصُّدُورِ: "نَجْعَلُ لِلنَّشْرِ أَوْقَاتًا مَعْلُومَةً لَا نَتَعَدَّاهَا وَنَرْفَعُ فِي وَصْفِ كُلِّ قَنَاةٍ «قَوَاعِدَ ثَلَاثًا» تَقُولُ لِلْقُلُوبِ قَبْلَ الْيَدِ: «أَحْفَظِ الْحُرْمَةَ وَالْخُصُوصِيَّةَ وَادِّ الْكَلِمَةَ بِعَدَلٍ».

قَالَتْ «رَايِيَّةُ» وَفِي صَوْتِهَا رَوْنَقٌ عَزِيمٌ يَلْتَمِسُ التَّفْصِيلَ: "كَيْفَ نَصُوغُ هَذِهِ الْقَوَاعِدَ حَتَّى تُطَاعَ وَلَا تُثْقَلَ". فَقَالَ الْإِمَامُ مُبِينًا وَهُوَ يُمَسِّكُ قَلَمًا وَدَقْتَرًا: "نَكْتُبُ فِي وَصْفِ «قَنَاةِ الْأَعْلَانَاتِ» جُمْلَةً بَيِّنَةً: «يَنْحَصِرُ النَّشْرُ فِي هَذِهِ الْقَنَاةِ فِي الْوَاجِبَاتِ وَمَوَاعِيدِ التَّسْلِيمِ وَتَذَكِيرِ الْمُلَاحِظَاتِ الرَّسْمِيَّةِ خِلَالَ أَوْقَاتٍ مَعْلُومَةٍ» وَنَكْتُبُ فِي وَصْفِ «قَنَاةِ النَّفَاشِ» جُمْلَةً تُقِيمُ الْحَدَّ: «يَجُوزُ الْإِسْتِفْسَارُ

وَالْحَوَارُ الْمُوَدَّبُ وَيَمْنَعُ التَّعَرُّضُ لِلْأَشْخَاصِ وَنَشْرُ الْخُصُوصِيَّاتِ وَتَجَاوُزُ الْأَوْقَاتِ". ثُمَّ قَالَ وَفِي صَوْتِهِ مَسْرَّةٌ تَرْيِيَّةٌ: "وَنَجْعَلُ «السَّاعَةَ الْمُعْلَنَةَ» لِلنَّشْرِ صَبَاحًا قَبْلَ الدَّرَاسَةِ وَمَسَاءً قَبْلَ الْمَغْرِبِ بِنَصْفِ سَاعَةٍ لِمَنْ فَاتَهُ الْإِشْعَارُ وَنُمْسِكُ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ حِفْظًا لِلسَّكِينَةِ."

قَالَ «صَفْوَانُ» الْأَبُ وَفِي عَيْنِهِ حِرْصٌ حَارِسٍ لِلْبَيْتِ: "أَخْشَى أَنْ تَتَسَلَّلَ الْكَلِمَةُ فِي اللَّيْلِ فَتُقَوِّظَ نَائِمًا وَتَكْسِرَ حُرْمَةَ الْبُيُوتِ". فَقَالَ الْإِمَامُ: "نُثِبْتُ فِي أَلْقُلُوبِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى

﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ (النُّورُ 27)

فَنَجْعَلُ لِلْقَنَوَاتِ أَوْقَاتًا كَأَوْقَاتِ الزِّيَارَةِ وَنَسْتَحْضِرُ أَلْفَةَ الْإِخْوَةِ

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الْحُجُرَاتُ 10)

فَلَا نُؤْذِي وَلَا نُشَوِّشُ". ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُثْبِتُ نَفْسَ الْمِيزَانِ: "نَعْقِدُ شُورَى سَرِيعَةً فِي الصَّفِّ فَتَتَفَقَّ عَلَى «أَوْقَاتِ النَّشْرِ» وَ«أَدَبِ الْكَلِمَةِ» وَ«حُدُودِ الْخُصُوصِيَّةِ» فَإِذَا أَجْمَعْنَا عُذْنَا إِلَى الْقَنَوَاتِ وَنَشْرُنَا الْقَوَاعِدَ فِي الْوَصْفِ."

اِفْتَرَبَ «أَبُو حَاتِمٍ» الْمُعَلِّمُ وَفِي يَدِهِ دَفْتَرٌ وَقَلَمٌ فَقَالَ وَهُوَ يَرَسُمُ خُطُوطًا فِي الْهَوَاءِ كَأَنَّهُ يَنْقُشُ الْقَاعِدَةَ فِي لَوْحٍ: "سَنَجْعَلُ الْيَوْمَ «مَشْهَدًا عَمَلِيًّا». سَنُنَشِّئُ «فَنَاءَ الْأَعْلَانَاتِ» وَ«فَنَاءَ النَّقَاشِ» فَنَسَمِّي الْأُولَى «بَابَ التَّكْلِيفِ»

وَالْأُخْرَى «مَجْلِسَ الْحَوَارِ». سَنَكْتُبُ فِي وَصْفِ الْأُولَى: «لَا يُنْشَرُ هَهُنَا إِلَّا الْوَاجِبُ وَمَوَاعِيدُهُ وَمَلَا حِظَاتُ التَّقْوِيمِ فِي السَّاعَةِ الْمُعْلَنَةِ» وَنَكْتُبُ فِي وَصْفِ الثَّانِيَةِ: «يَجُوزُ السُّؤَالُ وَالتَّبَادُلُ الْمُنَاسِبُ فِي أَدَبٍ وَيُمْنَعُ التَّعَرُّضُ لِلْأَشْخَاصِ وَذِكْرُ الْخُصُوصِيَّاتِ وَالْإِرْسَالُ خَارِجَ الْأَوْقَاتِ». ثُمَّ قَالَ وَفِي صَوْتِهِ حَزْمٌ رَفِيقٌ: "وَنَجْعَلُ «قَفْلَ الْإِشْعَارِ» فِي اللَّيْلِ لِكُلِّ مَنْ يَسْتَطِيعُ حِفْظًا لِلْسَّكِينَةِ."

قَالَتْ «حِلْمَةٌ» الْأُمُّ وَفِي صَوْتِهَا حَنَانٌ يَحْمِلُ حَزْمًا: "تَقَعُ أَحْيَانًا كَلِمَاتٌ تَخْدِشُ الْقُلُوبَ وَتَتَسَلَّلُ «صُورًا» لَا تُرَاعِي الْخُصُوصِيَّةَ فَتَضِيقُ النَّفُوسَ". فَقَالَ الْإِمَامُ: "سَتَحْضُرُ «مِيثَاقَ الْكَلِمَةِ» فَلَا نَكْتُبُ إِلَّا مَا نُحِبُّ أَنْ نُقَالَ لَنَا وَنَذْكُرُ حَدِيثَهُ (ص): «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» (حَدِيثٌ) فَنَكُفُّ الْأَذَى وَنُقِيمُ حُرْمَةَ الْإِخْوَةِ

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الْحُجُرَاتُ 10).

ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَشْهَدُ بِبَرَّةِ تَقِيمِ اللِّسَانِ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ" (حَدِيثٌ) فَلَا نُخْرِجُ كَلِمَةً إِلَّا عَلَى مِيزَانٍ."

اسْتَأْذَنَ «رِيَانُ» فَقَالَ وَهُوَ يَتَلَفَّتُ إِلَى الْحَلَقَةِ: "أَتَخَوَّفُ أَنْ نَقَعَ فِي تَجَاوُزِ الْخُصُوصِيَّةِ فَيُرْسَلَ بَعْضُنَا «صُورًا» لِمَنْ لَا يَعْرِفُ أَوْ «مَعْلُومَاتٍ» لَا تَخْتَصُّ بِالْدَّرْسِ". فَقَالَ «أَبُو حَاتِمٍ» وَفِي صَوْتِهِ بَيَانٌ خَبِيرٌ: "نَضْعُ فِي وَصْفِ «قَنَاةِ

النَّقَاشِ» جُمْلَةً قَاطِعَةً: «تَمْنَعُ نَشْرُ صُورٍ أَوْ مَعْلُومَاتٍ تُعَرِّفُ شَخْصًا أَوْ بَيْتًا أَوْ عَادَةً خَاصَّةً دُونَ إِذْنٍ صَرِيحٍ» وَنُثِبَتْ فِي الصُّدُورِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ (النُّورُ 27)

فَنَتَأَدَّبُ مَعَ الْحُدُودِ وَنَكْفُ عَمَّا لَا يَلِيْقُ. "ثُمَّ قَالَ: "وَإِذَا أَشْتَبَهَ الْأَمْرُ فَلَنَرْجِعْ إِلَى رَاشِدٍ وَنَقِفْ".

نَهَضَ الْإِمَامُ إِلَى طَرَفِ الرِّوَاقِ وَفِي يَدِهِ هَاتِفٌ مَحْفُوظٌ فِي «صُنْدُوقِ الْأَمَانَةِ» لِغَايَةِ التَّعْلِيمِ فَقَالَ وَهُوَ يَفْتَحُ الْمَجْمُوعَةَ: "سَنُسَمِّي الْقِنَاتَيْنِ وَنَكْتُبُ الْوَصْفَ وَنُعَلِّنُ الْأَوْقَاتِ. سَنَجْعَلُ «سَاعَةَ الصَّبَاحِ» بَعْدَ الْفَجْرِ بِقَلِيلٍ لِلتَّذْكِيرِ الْأَوَّلِ وَ«سَاعَةَ الْمَسَاءِ» قَبْلَ الْمَغْرِبِ بِنِصْفِ سَاعَةٍ لِلتَّذْكِيرِ الثَّانِي وَنُمَسِّكُ مَا بَيْنَهُمَا إِلَّا لِأَمْرِ طَارِيٍّ يُعْلِنُهُ الرَّاشِدُ". ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ يَحْمِلُ التَّرْبِيَّةَ: "وَنَجْعَلُ «مُقَدِّمًا» يَتَوَلَّى النِّشْرَ فِي «قَنَاةِ الْإِعْلَانَاتِ» لِكَيْلَا يَخْتَلِطَ الْأَمْرُ وَنُفْرِدُ «مُيَسَّرًا» لِقَنَاةِ النَّقَاشِ يَسْتَقْبِلُ الْأَسْئَلَةَ وَيُصَفِّي التَّعْقِيبَ".

تَقَدَّمَ «رِيَانُ» فَقَالَ وَهُوَ يَكْتُبُ جُمْلَةَ الْوَصْفِ: "أَكْتُبُ «يَنْحَصِرُ النِّشْرُ هُنَا فِي الْوَاجِبَاتِ وَمَوَاعِيدِهَا وَتَذْكِيرِ التَّقْوِيمِ فِي الْأَوْقَاتِ الْمُعْلَنَةِ». " فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَبْتَسِمُ: "وَأَضِفْ «مَنْعَ التَّعْلِيلِ فِي قَنَاةِ الْإِعْلَانَاتِ» حِفْظًا لِلْبَيَانِ وَنَظْمًا لِلتَّذْكِيرِ". ثُمَّ انْتَفَتَ إِلَى «رَابِيَّةَ» فَقَالَ: "أَكْتُبِي لِقَنَاةِ النَّقَاشِ جُمْلَةً تُفْصِحُ عَنِ

الْأَدَبِ". فَقَالَتْ وَهِيَ تَخُطُّ بِطُمَائِنَةٍ: "اَكْتُبْ «يَجُوزُ الْحَوَارُ فِي سُؤَالٍ وَجَوَابٍ وَتَجَرِبَةٍ نَافِعَةٍ وَتُمْنَعُ الْمَشَاجِرَةُ وَالْتَعْرِیْضُ وَیُمْنَعُ نَشْرُ الْخُصُوصِیَّاتِ وَتَجَاوُزُ الْأَوْقَاتِ». فَقَالَ الْإِمَامُ: "هَكَذَا یَسْتَفِیْمُ الطَّرِیْقُ".

قَالَ «قِتَادَةٌ» وَفِي صَوْتِهِ أَثَرُ تَجَرِبَةٍ سَابِقَةٍ: "تَقَعُ فِي الْمَجْمُوعَاتِ أحيانًا مَرِيَّةٌ تَنْزِلُ إِلَى جَدَلٍ لَا یَسْتَمِعُ فِيهِ أَحَدٌ لِأَحَدٍ". فَقَالَ الْإِمَامُ: "نَسْتَحْضِرُ «مِيزَانَ الشُّورَى» فَإِذَا نَزَلَتْ مَرِيَّةٌ فِي أَمْرِ لَا یَحْسِمُهُ الْحَوَارُ قَطْعَانَهُ وَرَفَعَانَهُ إِلَى رَاشِدٍ یَقْضِي فِيهِ بَعْدَ سَمَاعٍ وَتَثَبُّتٍ وَعَدْلٍ وَنَجْعَلُ لِلِاسْتِمَاعِ نَصِیبًا كَبِیرًا فَنَحْفَظُ قَوْلَهُ نَعَالَى

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الْحُجُرَاتُ 10)

فَلَا نَسُبُّ وَلَا نُجَرِّحُ وَلَا نَسْتَطْعِمُ الْفُضُولَ". ثُمَّ قَالَ وَهُوَ یَسْتَشْهَدُ: "«الَّذِينَ النَّصِيحَةُ» (حَدِيثٌ) فَلْتَكُنْ كَلِمَاتُنَا نَصْحًا لِلْحَقِّ لَا لِالِاشْتِعَالِ".

مَضَى الْمَجْلِسُ إِلَى «مَشْهَدِ عَمَلِيٍّ» فِي الْقِسْمِ الْخَلْفِيِّ مِنَ الرُّوَاقِ. وَقَفَ «أَبُو حَاتِمٍ» وَعَلَى الطَّائِلَةِ هَاتِفٌ وَدَفْتَرٌ وَوَرَقَةٌ وَصَفٍ. قَالَ وَهُوَ یَكْتُبُ: "سُعْلُنُ «أَوْقَاتِ النَّشْرِ» فِي صَدْرِ كُلِّ قَنَاءَةٍ وَسَنَجْعَلُ «رَقِیْبًا» یَرْصُدُ الْخُرُوجَ عَنِ الْأَوْقَاتِ لِیُخْبِرَ الْمَجْمُوعَةَ بِلُطْفٍ". ثُمَّ قَالَ: "وَسَنَعُدُّ «دَفْتَرُ مُؤَشِّرٍ» نَكْتُبُ فِيهِ «عَدَدَ الرِّسَائِلِ خَارِجَ الْوَقْتِ» فَنَرْصُدُ الْإِنْخِفَاضَ حَتَّى نَبْلُغَ الْمَقْصُودَ".

قَالَتْ «رَأَيْتُ» وَفِي عَيْنِهَا شُعَاعٌ فَهَمَّ يَكْبُرُ: "أَرَى أَنْ نَكْتُبَ «قَوَاعِدَ ثَلَاثًا» فِي وَصْفِ كُلِّ فَنَاءٍ لِكَيْ يَعْرِفَ كُلُّ حَدَّةٍ". فَقَالَ الْإِمَامُ مُؤَيَّدًا: "اُكْتُبِي لَنَا الْآنَ". فَقَالَتْ وَهِيَ تُنْشِدُ بِرَفْقٍ: "أَوَلَاهُنَّ «حُرْمَةُ الْبَيْتِ» فَلَا نُرْسِلُ فِي اللَّيْلِ وَلَا نُخْرِجُ كَلِمَةً تُوقِظُ قَلْبًا إِلَّا لِضَرُورَةٍ يُعْلِنُهَا الرَّاشِدُ. وَثَانِيَتُهُنَّ «حِفْظُ الْخُصُوصِيَّةِ» فَلَا نَذْكُرُ أَسْمَاءَ وَلَا صُورَةً تَدُلُّ عَلَى دَاخِلٍ فِي الْبَيْتِ دُونَ إِذْنِ صَرِيحٍ. وَثَالِثَتُهُنَّ «مِثَاقُ الْكَلِمَةِ» فَنَقُولُ خَيْرًا أَوْ نَصْمُتُ وَنَتَأَدَّبُ فِي الْإِسْتِفْسَارِ وَالرَّدِّ". فَقَالَ الْإِمَامُ: "وَأَتِمِّمِي بِنُصُوصٍ تُشَبِّهُهَا فِي الْقُلُوبِ". فَقَالَتْ: "أَخْتِمِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى

﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ (النُّورُ 27)

وَقَوْلِهِ

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الْحُجُرَاتُ 10)

وَحَدِيثِهِ (ص) «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» (حَدِيثٌ).

جَرَى الْعَمَلُ عَلَى مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ. أُعْلِنَتْ «فَنَاءُ الْإِعْلَانَاتِ» فَسَكَنَ الْخَلْطُ وَاسْتَقَامَ الطَّرِيقُ. كَتَبَ «أَبُو حَاتِمٍ» تَذْكِيرًا قَبْلَ الطَّلُوعِ بِقَلِيلٍ وَكَتَبَتْ «رَأَيْتُ» تَذْكِيرًا قَبْلَ الْمَغْرِبِ بِنُصْفِ سَاعَةٍ فَعَرَفَ الطُّلَّابُ أَنَّ لِلْكَلِمَةِ مَوْعِدًا وَلِلْوَجِبِ بَابًا فَخَفَّتِ الرِّسَائِلُ فِي أَوْقَاتِ الْقَرَارِ. وَفِي «فَنَاءِ النَّقَاشِ» جَرَى الْحَوَارُ

بَادِبٍ وَطُمَأْنِينَةٍ وَإِذَا زَلَّتْ كَلِمَةُ قَامَ «الْمُسِيرُ» فَقَالَ بِرْفِي: «إِحْفَظُوا أَلْحُدُودَ»
وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ قَوْلَهُ تَعَالَى

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الْحُبْرَاتُ 10)

فَسَكَنَ النَّفْسُ وَعَادَ الْخِطَابُ إِلَى مِيزَانِ الْعَدْلِ.

وَقَعَتْ بَعْدَ أَيَّامٍ حَادِثَةٌ تَحْتَبِرُ الْقَاعِدَةَ: تَدَافَعَتْ فِي الْمَجْمُوعَةِ رَغَبَاتٌ
فِي «مُسَابَقَةٍ» فِي غَيْرِ أَوْقَاتِ النَّشْرِ وَتَعَالَتْ رُءُوسُ الْحَوَارِ. فَقَامَ «صَفْوَانُ» وَفِي
صَوْتِهِ حِكْمَةٌ مَنْ تَعَلَّمَ الْمِيزَانَ فَقَالَ: «نُرْجِي الْحَدِيثَ إِلَى سَاعَةِ النَّقَاشِ»
وَذَكَرَ بِالْقَاعِدَةِ الَّتِي كَتَبَتْ فِي الْوَصْفِ فَسَكَنَ الْحَدِيثُ. ثُمَّ جَاءَ الْمَوْعِدُ فَفُتِحَ
الْبَابُ وَتَكَلَّمَ النَّاسُ فِي «مَوْضُوعٍ مُحَدَّدٍ» فَمَشَى الْحَوَارُ عَلَى قَدَمٍ وَتَيْنٍ وَخَرَجَ
الْقَرَارُ بَعْدَ شُورَى مُوثَّقَةٍ. هُنَاكَ قَالَ الْإِمَامُ: «الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ» (حَدِيثٌ)
فَأَدَّوْا الْأَمَانَةَ فِي الْكَلِمَةِ كَمَا تُؤَدُّونَهَا فِي أَلْمَالِ.

ثُمَّ جَرَى «مَشْهُدٌ ثَانٍ» يَزِنُ الْخُصُوصِيَّةَ. أَرْسَلَ أَحَدُ الطُّلَّابِ «صُورَةً»
لِوَرَقَةٍ وَاجِبٍ يَظْهَرُ فِيهَا «أَسْمُ بَيْتٍ» عَلَى طَرَفِ الصُّورَةِ وَلَمْ يَتَنَبَّهُ. فَقَامَ
«الْمُسِيرُ» فَقَالَ بِرْفِي وَحَزَمَ: «نَسْتَأْذِنُ فِي حِفْظِ الْخُصُوصِيَّةِ» ثُمَّ ذَكَرَ بِقَوْلِهِ
تَعَالَى

﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ (النُّورُ 27)

فَحَذِفَتِ الصُّورَةَ وَتَعَلَّمَ الطُّلَّابُ دَرَسًا يُقِيمُ الْبَابَ عَلَى سِتْرِ.

وَفِي آخِرِ الْأُسْبُوعِ جَمَعَ الْإِمَامُ الدَّفْتَرُ الَّذِي رُصِدَ فِيهِ «عَدَدُ الرِّسَائِلِ خَارِجَ الْأَوْقَاتِ» فَنَظَرَ وَهُوَ يَبْتَسِمُ وَقَالَ: "«قَدْ أَنْخَفَضَ الْعَدَدُ إِلَى النِّصْفِ»" فَابْتَهَجَتْ الْحَلَقَةُ وَقَالَ «أَبُو حَاتِمٍ»: "هَذَا ثَمَرُ «مِيزَانِ الشُّورَى» وَ«مِيزَانِ الْخُصُوصِيَّةِ» وَ«مِثَاقِ الْكَلِمَةِ»."

وَعِنْدَ الْخِتَامِ رَفَعَ الْإِمَامُ كَفَّهُ فَقَالَ وَفِي صَوْتِهِ دُعَاءٌ يَجْمَعُ الْعَقْلَ وَالرُّوحَ: "اللَّهُمَّ اجْعَلْ قَنَوَاتِنَا بَابًا لِلْعِلْمِ وَسَبِيلًا لِلْأَدَبِ وَاحْفَظْهَا بِحُرْمَةِ الْبُيُوتِ كَمَا أَمَرْتَ

﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ (النُّورُ 27)

وَاجْمَعْ قُلُوبَنَا عَلَى الْأَلْفَةِ كَمَا قُلْتَ

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الْحُجُرَاتُ 10).

ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُوكِّدُ مِثَاقَ اللِّسَانِ: "«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ» (حَدِيثٌ) فَلْتَكُنْ كَلِمَاتُنَا حَقًّا وَرِفْقًا." ثُمَّ قَامُوا وَهُمْ يَقُولُونَ فِي صُدُورِهِمْ كَلِمَةً تُجَمِّلُ الطَّرِيقَ: "نَحْفَظُ حُرْمَةَ الْمَكَانِ وَنُقِيمُ لِلْكَلِمَةِ مِيزَانًا وَنَرْصُدُ لِأَجْلِ الدَّرْسِ مُؤَشِّرًا يُظْهِرُ الْإِنْخِفَاضَ فِي الْخُرُوجِ عَنِ الْأَوْقَاتِ حَتَّى نَبْلُغَ الْمَقْصُودَ."

وَمَضَتْ الْأَيَّامُ وَتَبَتَ «الْمُؤَشِّرُ» فِي دَفْتَرِ الصَّفِّ نَقِيًّا يَقُولُ: "قَدْ
انْخَفَضَتِ الرِّسَائِلُ خَارِجَ الْوَقْتِ الْمَحْدَدِ بِنِسْبَةِ خَمْسِينَ فِي الْمِائَةِ" فَسَرَّ الْأَهْلُ
وَتَبَتَ فِي الصُّدُورِ «مِثَاقٌ» يَقُولُ كُلَّمَا هَمَّ الْقَلْبُ بِرِسَالَةٍ أَوْ حَوَارٍ: "أَسْتَأْذِنُ قَبْلَ
الدُّخُولِ وَانْظُرْ فِي الْوَقْتِ وَأَدِّ الْكَلِمَةَ بَعْدَ وَرْفِقٍ".

الدَّرْسُ الثَّلَاثُ: الْإِشَاعَةُ

تَهَا بَطَّتْ سَكِينَةُ الْعَشِيِّ عَلَى رِوَاقِ الْمَسْجِدِ فَسَكَنتِ الْخُطَى وَأَنْكَفَأَ
صَبْجِيحُ الشُّوقِ كَمَا يَنْكَفِي الْمَوْجُ عَنْ شَاطِئِ سَاكِنٍ وَأَنْبَسَطَ نُورٌ لَيْنٌ يَسْرِي
عَلَى الْأَعْمَدَةِ فَيَغْسِلُ مَا تَعَلَّقَ بِالْقُلُوبِ مِنْ غُبَارِ النَّهَارِ وَيُهَيِّئُهَا لِمِثَاقٍ جَدِيدٍ فِي
حُرْمَةِ الْكَلِمَةِ. جَلَسَ الْإِمَامُ فِي الْوُسْطِ وَتَحَلَّقَ حَوْلَهُ فَتِيَّةٌ وَفَتَيَاتٌ وَأَبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ
وَمُعَلِّمَانِ تَبْدُو عَلَى الْوُجُوهِ سِمَةُ الْإِنْتِبَاهِ وَعَلَى الْأَيْدِي دَفَائِرُ نَقِيَّةٍ تُشَبِّهُ صُحُفًا
تُهْدَى إِلَى الْخَيْرِ. رَفَعَ الْإِمَامُ كَفَّهُ ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ يَجْمَعُ الطَّمَأْنِينَةَ وَالْحَزَمَ:
"الْيَوْمَ نَقِيمُ لِلْكَلِمَةِ سُورًا يَحْرُسُهَا وَنَجْعَلُ لِلْخَبَرِ مِيزَانًا يَزِنُهُ فَلَا يَمِيلُ بِنَا إِلَهْوَى
وَلَا تَسْتَفْزِنَا الْعَنَاوِينَ الْمُثِيرَةَ وَلَا تُسَاقِ قُلُوبُنَا إِلَى عَجَلَةٍ تُورِثُ نَدَمًا." ثُمَّ تَلَا وَهُوَ
يُثَبِّتُ أَصْلَ التَّكْلِيفِ فِي الصُّدُورِ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الْحُجُرَاتُ 6)

وَاتَّبَعَهَا بِالتَّذْكِيرِ الزَّاجِرِ عَمَّا يَقَعُ فِي الْمَجَالِسِ حِينَ تَطِيرُ الْكَلِمَةُ غَيْرَ
مُوزُونَةٍ:

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (النور 15).

ثُمَّ قَالَ وَفِي نَبَرْتِهِ بَرِيقُ تَشْيِيتٍ: "وَمَنْ جَعَلَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ سِرَاجًا أَمَامَ قَلْبِهِ كَسَرَ سِلْسِلَةَ الْإِشَاعَةِ قَبْلَ أَنْ تَكْتَمِلَ حَلَقَاتُهَا."

هَمَسَ «رِيَانُ» وَفِي عَيْنَيْهِ قَلَقٌ شَابٌّ ذَاقَ طَعَمَ الْعَجَلَةِ وَنَدِمَهَا: "تَأْتِينَا رِسَالَةٌ مُقْلِقَةٌ فِي الْمَجْمُوعَةِ فَتَدْفَعُ بِالرَّدِّ وَالتَّعْلِيلِ ثُمَّ نَكْتَشِفُ بَعْدَ سَاعَةٍ أَنَّ الْخَبَرَ مُزَوِّقٌ أَوْ مَبْتُورٌ أَوْ مَبْنِيٌّ عَلَى ظَنٍّ فَيَتَفَرَّقُ الْقَلْبُ وَتَسْوِءُ الظُّنُونُ." فَظَرَّ الْأِمَامُ إِلَيْهِ نَظْرَةً أَبٍ يَجْمَعُ الرِّفْقَ وَالْحَزَمَ وَقَالَ: "نُقِيمُ لِلْيَوْمِ «سُلْمًا لِلتَّحَقُّقِ» نَرَفَاهُ كُلَّمَا خَاطَبْتَنَا الْإِشَاعَةُ بِصَوْتِهَا الْمُسْتَفِزِّ، وَقَاعِدَتُهُ ثَلَاثُ مُحْكَمَةٍ تُجْمَعُ فِي كَلِمَاتٍ قَلِيلٍ وَتَحْمِلُ مَعَانِي كَثِيرَةً: «تَثَبَّتْ ثُمَّ نَاقِشْ ثُمَّ أَنْصَحْ»."

قَالَتْ «رَابِيعَةٌ» وَفِي صَوْتِهَا رَوْنَقٌ فَهَمَّ يَتَطَلَّعُ إِلَى التَّفْصِيلِ: "كَيْفَ نَتَثَبَّتُ وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ التَّثَبُّتِ وَالتَّرَدُّدِ الْمُثْبِطِ." فَقَالَ الْأِمَامُ وَهُوَ يَخْطُ فِي الْهَوَاءِ كَأَنَّهُ يَنْفُسُ قَاعِدَةً فِي لَوْحٍ: "التَّثَبُّتُ أَنْ تَطْلُبِي دَلِيلًا مُعْتَبَرًا أَوْ شَاهِدًا مُوثِقًا أَوْ مَصْدَرًا يُرْجَعُ إِلَيْهِ وَأَنْ تَرْضَيْهِ الْإِكْتِفَاءَ بِعُنْوَانٍ مُثِيرٍ أَوْ لُغَةٍ مُهَوِّلَةٍ أَوْ قِصَّةٍ تَنْفُصُهَا الْبَيِّنَةُ وَأَنْ تَتَذَكَّرِي كُلَّمَا هَمَمْتَ بِالرِّسَالَةِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الْحُجُرَاتُ 6).

ثُمَّ قَالَ: "وَالنَّقَاشُ أَنْ نَرْفَعَ الْأَمْرَ إِلَى مَجْلِسِ رَاشِدٍ فَنَسْأَلُ وَنَسْتَفْسِرُ وَنُقَارِنَ الْمَصَادِرَ وَنُقِيمَ لِكُلِّ قَوْلٍ شَاهِدَهُ فَلَا نَكُونُ جُنْدًا لِلْعَاطِفَةِ دُونَ الْحُجَّةِ. وَأَمَّا النَّصْحُ فَإِنْ نَنْتَقِلَ بَعْدَ الْبَيَانِ إِلَى حِفْظِ الْأَعْرَاضِ وَسِتْرِ الْعُورَاتِ وَتَقْوِيمِ الْخَطِّ بِرِفْقٍ مِنْ غَيْرِ تَشْهِيرٍ وَلَا تَخْوِيفٍ وَأَنْ نَسْتَحْضِرَ قَوْلَهُ (ص): «مَنْ سَتَرَ حَدِيثًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (حَدِيثٌ)." .

نَهَضَ «أَبُو حَاتِمٍ» الْمُعَلِّمُ وَفِي يَدِهِ دَفْتَرٌ سَمِيكَ كَأَنَّهُ لَوْحٌ مِثْقَالٍ فَقَالَ وَفِي نَبْرَتِهِ حَزْمٌ رَفِيقٌ: "سَنُجْرِي الْآنَ مَشْهَدًا نُدْرِبُ فِيهِ الْأُسْرَةَ عَلَى «سَلَمِ التَّحْقِيقِ». سَنَفَرِّضُ أَنَّ «خَبْرًا مُفْلِقًا» جَاءَ مُتَسَرِّبًا مِنْ مَجْمُوعَةٍ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِشَأْنٍ يَمَسُّ الطُّلَّابَ." ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَرْفَعُ كَفَّهُ مُنَادِيًا كَأَنَّهُ يُسْمَعُ قَاعِدَةً: "أَوَّلُ مَا نَصْنَعُهُ «أَمْسِكْ» فَلَا تُعِدَّ إِزْسَالًا وَلَا تُعَلِّقْ وَلَا تُزْهِزْ نَبَاتَ الشَّكِّ فِي قُلُوبِ النَّاسِ قَبْلَ التَّبَيُّنِ. ثُمَّ «أَطْلُبِ الْمَصْدَرَ» وَهُوَ سُؤَالٌ عَنِ صَاحِبِ الْخَبَرِ وَسِلْسِلَةِ نَقْلِهِ وَشَاهِدِهِ الْمُعْتَبَرِ. ثُمَّ «اعْرِضْ عَلَى رَاشِدٍ» فَارْفَعْهُ إِلَى مُعَلِّمٍ أَوْ أَبٍ أَوْ مَجْلِسٍ يُحْسِنُ النَّظَرَ فِي الْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ وَيَزِنُ الْكَلِمَةَ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ."

قَالَ «صَفْوَانُ» الْأَبُ وَفِي عَيْنِهِ عَزْمٌ حَارِسٍ لِلْبَيْتِ: "أَخْشَى أَنْ يَسُوفَنَا الْخَوْفُ أَوْ الْغَضَبُ إِلَى تَعْجِيلِ الْحُكْمِ فَنَسْلُكَ سَبِيلًا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ." فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي صَوْتِهِ بَصِيرَةٌ مُرْشِدٍ: "ادْفَعْ نَفْسَكَ عَنِ الْعَجَلَةِ بِهَذَا الذِّكْرِ الْمُحْكَمِ وَهُوَ كَافٍ لِمَنْ تَذَكَّرَ:"

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (النور 15)

فَلَا تَجْعَلُوا أَلْسِنَتَكُمْ سَبِيلَ التَّلَقِّيِ وَالتَّسْرِيعِ وَإِنَّمَا اجْعَلُوا «الْقَلْبَ الْمُتَّقِي» وَ«الْعَقْلَ الْمُتَثَبِّتَ» بَابِينَ لِلْقَبُولِ وَالرَّدِّ. وَتَذَكَّرُوا قَوْلَهُ (ص): «يَاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ» (حَدِيثٌ) فَلَا تُقِيمُوا الْحُكْمَ عَلَى خِيَالٍ وَظَنٍّ.

تَقَدَّمَتِ «حِلْمَةُ» الْأُمِّ وَفِي يَدِهَا دَفْتَرُ أَلْبَيْتِ فَقَالَتْ وَفِي صَوْتِهَا حَنَانٌ يَحْمِلُ حَزْمًا: "سَنَكْتُبُ فِي صَدْرِ دَفْتَرِنَا جُمْلَةَ أَلْقَاعِدَةِ وَسَنُعَلِّمُ الصَّغَارَ أَنْ يَقُولُوا لِأَنْفُسِهِمْ كُلَّمَا جَاءَهُمْ خَبَرٌ مُفْلِقٌ: «تَثَبَّتْ ثُمَّ نَاقِشْ ثُمَّ أَنْصَحْ». فَقَالَ الْإِمَامُ رَاضِيًا: "هَذَا مِيثَاقٌ يَحْمِلُهُ الدَّفْتَرُ وَتَحْرُسُهُ الْقُلُوبُ."

اِفْتَتَحَ الْمَشْهُدُ الْعَمَلِيُّ فِي الرُّوَاقِ. وَقَفَ «أَبُو حَاتِمٍ» إِلَى طَاوِلَةٍ عَلَيْهَا «رِسَالَةُ مُفْتَرَضَةٍ» تَحْمِلُ عُنْوَانًا مُثِيرًا وَتَتَضَمَّنُ قَوْلًا يُشِيعُ سُوءًا فِي حَقِّ شَخْصٍ مَعْرُوفٍ فِي الْحَيِّ. قَالَ وَهُوَ يَتْلُو بِنَبَرَةٍ مُحَايِدَةٍ حَتَّى لَا يَسْتَفِزَّ الْقُلُوبُ: "جَاءَنَا الْخَبَرُ مِثْلَمَا جَاءَ لِكَثِيرٍ، فَمَاذَا نَصْنَعُ." فَقَالَ الْإِمَامُ: "نُطْفِئُ أَوَّلًا «نَارَ التَّوْقِيدِ» بِالْإِمْسَاكِ عَنِ الرَّدِّ وَالتَّعْلِيلِ ثُمَّ نَطْلُبُ «الْمَصْدَرَ الْأَصْلِيَّ» وَنَسْأَلُ: مَنْ قَالَ وَمَتَى قِيلَ وَأَيْنَ الشَّاهِدُ الْمُعْتَبَرُ. فَإِنْ لَمْ نَجِدْ بَيْنَهُ أَمْسَكْنَا وَذَكَرْنَا قَوْلَهُ (ص): «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَالَ: "فَإِنْ وَجَدْنَا أَثَرًا

رَفَعَنَاهُ إِلَى رَاشِدٍ يَنْظُرُ فِي الْمَصْلَحَةِ وَالْمَفْسَدَةِ وَلَا نَقْضِي لِأَحَدٍ وَلَا عَلَيْهِ قَبْلَ الْبَيِّنَةِ."

قَالَ «قِتَادَةُ» وَفِي صَوْتِهِ أَثَرُ تَجَرِبَةٍ: "سَبَقَ أَنْ نَشَرْتُ خَبْرًا ثُمَّ ظَهَرَ خِلَافُهُ فَنَدِمْتُ نَدَمًا شَدِيدًا وَوَدِدْتُ لَوْ لَمْ أَكُنْ كَتَبْتُ حَرْفًا." فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَرِيطُ بِالْقَلْبِ بِالرِّضَا وَالْعَمَلِ: "الْتَدِمُ يُصْلِحُ مَا كَانَ وَالْقَاعَادَةُ تُصْلِحُ مَا يَكُونُ. فَمَنْ خَفَتْ عَنْهُ الْحَقِيقَةُ فَلَا يُخْرِجُ كَلِمَةً حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ سَبِيلُهَا وَمَنْ بَدَأَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ سُوءٌ فَلْيَلْتَمِسْ لَهُ الْعُذْرَ وَالْبَيِّنَةَ وَيَسْتَحْضِرْ قَوْلَهُ (ص): «أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرْهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ أَنْصُرْهُ ظَالِمًا قَالَ «نَحْجُزْهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ» (حَدِيثٌ) فَالْحَبْسُ عَنِ النَّشْرِ الْمُضِلِّ نُصْرَةٌ لِأَخِيكَ وَسِتْرٌ لِمَجْلِسِكَ."

ثُمَّ قَالَتْ «رَايَةُ» وَهِيَ تُقَلِّبُ الرِّسَالَةَ بَصَرًا وَقَلْبًا: "أَرَى الْفَاطَا تُثِيرُ وَتُكَبِّرُ وَأَعْدَادًا لَا شَاهِدَ عَلَيْهَا وَعُنْوَانًا يَسْبِقُ الْمَعْنَى فَأَكْتُبُ فِي دَفْتَرِي: «لَا بَيِّنَةَ، لُغَةُ تَهْوِيلٍ، مَصْلَحَةُ الْإِمْسَاكِ أَرْجَحُ»." فَقَالَ الْإِمَامُ: "هَكَذَا يَعْمَلُ «مِيزَانُ الْمَالِ» فَإِنَّ لِلْكَلِمَةِ مَالًا يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ وَإِنَّ مِنْ حُسْنِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَكُفَّ عَمَّا لَا يَعْنِيهِ وَيُقِيمَ لِكُلِّ خَبَرٍ بَابَهُ قَبْلَ الدُّخُولِ. وَتَذَكَّرُوا حَدِيثَهُ (ص): «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» (حَدِيثٌ)."

إِنْتَقَلَ الْمَجْلِسُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى تَدْرِيبٍ أَوْسَع. جَمَعَ الْحُضُورُ ثَلَاثَةَ أَخْبَارٍ

مِمَّا يَتَدَاوُلُهُ النَّاسُ فِي يَوْمِهِمْ ثُمَّ جَلَسُوا عَلَى هُدُوٍ يُشْبِهُ الصَّفْحَةَ الْبَيْضَاءَ وَكُلُّ يَكْتُبٍ فِي دَفْتَرِهِ "أَسْمُ الْخَبَرِ، الْمَصْدَرُ الْأَوَّلُ، الْمَصْدَرُ الثَّانِي، الشَّاهِدُ الْمُعْتَبَرُ، مَا يَدْعُو إِلَى الْقَبُولِ، مَا يَدْعُو إِلَى الرَّدِّ، مَا الْمَصْلَحَةُ فِي النَّشْرِ، مَا الْمَفْسَدَةُ فِيهِ". وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَ الْإِمَامُ يُذَكِّرُهُمْ وَهُوَ يَتْلُو بِرَفْقٍ:

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (النُّورُ 15)

فَيَسْكُنُ الْقَلْبُ وَيَقْتَرِبُ الْحُكْمُ مِنَ الْعَدْلِ. وَإِذَا خَفَّتْ عَلَى قَلْبِ أَحَدِهِمْ شُبْهَةٌ قَالَ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَسْتَحْضِرُ الْأَصْلَ الْمُحْكَمَ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الْحُجُرَاتُ 6).

ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَجْمَعُ الطَّرِيقَ فِي جُمْلَةٍ تَسْهُلُ عَلَى الصَّغَارِ وَتَثْبُتُ عِنْدَ الْكِبَارِ: "مَنْ سَمِعَ خَبْرًا فَلْيَقُلْ لِقَلْبِهِ «أَمْسِكْ» وَلْيَقُلْ لِعَقْلِهِ «أَيِّنَ الْبَيِّنَةُ» وَلْيَقُلْ لِلِّسَانِ «أَنْصَحْ وَلَا تُفْضَحْ». فَإِنْ قَامَتِ الْحُجَّةُ بَعْدَ التَّثَبُّتِ فَلْيَكُنِ النَّصْحُ سِرًّا وَبِرَفْقٍ وَفِي مَحَلِّهِ وَإِلَّا فَلَا إِمْسَاكَ عِبَادَةً تُثَابُ عَلَيْهَا الرُّوحُ وَيَسْلَمُ مِنْهَا الْمَجْلِسُ".

انْفَضَّ الْمَجْلِسُ عَلَى عَهْدٍ مُعَيَّنٍ. كَتَبَ الْإِمَامُ فِي دَفْتَرِ الْبَيْتِ وَدَفْتَرِ الصَّفِّ "وَاجِبُ آلِهَذَا الْأُسْبُوعِ" وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ: "نَلْزِمُ أَنْفُسَنَا أَنْ «نُرَاجِعَ مَصْدَرَ

ثَلَاثَةِ أَخْبَارٍ» قَبْلَ أَنْ نَنْشُرَ أَوْ نُعَلِّقَ وَأَنْ نَرْفَعَ مَا أَشْكَلَ إِلَى رَاشِدٍ، فَمَنْ كَانَ لَهُ دَلِيلٌ فَلْيَأْتِ بِهِ وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُمْسِكْ وَهُوَ مَأْجُورٌ." ثُمَّ قَالَ وَفِي صَوْتِهِ بَشَارَةٌ تَمَامٌ: "وَسَنَرُصِّدُ «الْمُؤَشِّرَ» فِي دَفْتَرِنَا فَإِذَا تَوَقَّفَتْ «إِعَادَةُ تَوْجِيهِ الْأَخْبَارِ غَيْرِ الْمُؤَثَّقَةِ» عَلِمْنَا أَنَّ الْقَاعِدَةَ قَدْ أَثْمَرَتْ."

وَقَعَتْ بَعْدَ أَيَّامٍ حَادِثَةٌ تَخْتَبِرُ الْمِيثَاقَ. تَدَافَعُ فِي الْمَجْمُوعَاتِ «خَبَرٌ مُقْلِقٌ» عَنْ تَغْيِيرٍ فِي شَأْنٍ يَهُمُّ الطُّلَّابَ فَتَعَالَى الصَّوْتُ وَالْحِمَاسُ وَانْدَفَعَتْ تَعْلِيلَاتُ تُشْبِهُ السَّيْلَ. فَهَضَّ «صَفْوَانُ» وَفِي صَوْتِهِ حِكْمَةٌ مَنْ تَعَلَّمَ مِيزَانَ الْكَلِمَةِ فَقَالَ: "نَرْفَعُ الْأَمْرَ إِلَى «سَلَمِ التَّحْقُقِ» فَنَبْدَأُ بِالْإِمْسَاكِ ثُمَّ نَطْلُبُ الْمَصْدَرَ ثُمَّ نَرْفَعُهُ إِلَى الرَّاشِدِ." فَفَعَلُوا وَبَعْدَ سَاعَاتٍ بَانَ لَهُمْ أَنَّ الْأَمْرَ «مُقْتَرَحٌ» لَمْ يَصِرْ «قَرَارًا» وَأَنَّ عُنْوَانًا مُثِيرًا حَمَلَ الْقُلُوبَ عَلَى ظُلٍّ وَسَرْعَةٍ. فَامْتَنَعُوا عَنِ النَّشْرِ وَكَتَبُوا فِي دَفْتَرِ الْمُؤَشِّرِ: "تَوَقَّفَتْ الْإِعَادَةُ لِلْأَخْبَارِ غَيْرِ الْمُحَقَّقَةِ" وَسَادَ السَّكِينَةُ.

وَقَالَتْ «رَآيِيَّةٌ» وَهِيَ تُرَاجِعُ صَفَحَاتِ الدَّفْتَرِ: "كُنَّا نُورِّخُ لِكُلِّ خَبَرٍ وَنَكْتُبُ «سَبَبَ الْقَبُولِ» وَ«سَبَبَ الرَّدِّ» وَنَرْفَعُ «الْخُلَاصَةَ» فِي سَطْرٍ وَاحِدٍ ثُمَّ نَقْرَأُ فِي الْمَجْلِسِ مَاذَا صَنَعَتِ الْقَاعِدَةُ فِي الْقُلُوبِ." فَقَالَ الْإِمَامُ مُسْتَبْشِرًا: "هَكَذَا تَصِيرُ الْكَلِمَةُ عِبَادَةً وَتَصِيرُ الْمَجْمُوعَاتُ سَبِيلًا لِلْعِلْمِ لَا جِسْرًا لِلنُّهْتَانِ." ثُمَّ قَرَأَ وَهُوَ يُثَبِّتُ قَلْبَ الْحَلَقَةِ عَلَى الرَّاشِدِ مِنَ الْأُمُورِ:

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالِاسْتِنْتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ

هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿الْأَنْزُورُ 15﴾

وَاتَّبَعَهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (النَّمْلُ 64).

ثُمَّ قَامَ «رِيَانُ» فَقَالَ وَفِي صَوْتِهِ جِدٌّ يَشِي بِشَمَرَةِ الدَّرْسِ: "قَدْ جَرَّبْتُ الْأَمْرَ فِي مَوْضُوعٍ آخَرَ فَأَمْسَكْتُ وَرَاجَعْتُ الْمَصْدَرَ وَنَاقَشْتُ مَعَ مُعَلِّمِي فَبَانَ لِي أَنَّ الْخَبَرَ «قِصَّةٌ مَجْهُولَةٌ الْعَيْنِ» تُشَبِّهُ الْأَسَاطِيرَ الَّتِي تَطِيرُ فِي الْأَسَافِيرِ. فَلَوْ أَنِّي نَشَرْتُهُ لَأَذْكَيْتُ نَارًا وَأَنَا أَظُنُّ أَنِّي أَطْفِئُهَا." فَقَالَ الْإِمَامُ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرَاكَ مَزَالِقَ الْكَلِمَةِ فَتَجَنَّبْتَهَا وَأَقَامَكَ عَلَى مِيزَانِ التَّثَبُّتِ وَالْمَالِ."

وَفِي آخِرِ الْأُسْبُوعِ قَرَأَ «أَبُو حَاتِمٍ» دَفْتَرَ الْمُؤَشِّرِ وَقَالَ وَفِي وَجْهِهِ بَشَاشَةٌ فَوْزٍ صَغِيرٍ يُنْبِئُ فَوْزًا كَبِيرًا: "يُظْهِرُ لَنَا أَنَّ «التَّوَقُّفَ عَنِ إِعَادَةِ التَّوْجِيهِ لِلْأَخْبَارِ غَيْرِ الْمُؤَثَّقَةِ» قَدْ تَحَقَّقَ فِي الْأُسْرَةِ وَالصَّفِّ." فَابْتَهَجَ الْقَوْمُ وَقَالَتْ «حِلْمَةٌ»: "هَذَا ثَمَرُ «مِثَاقِ الْكَلِمَةِ» وَ«مِيزَانِ التَّثَبُّتِ» وَ«مِيزَانِ الْمَالِ»."

وَعِنْدَ الْخِتَامِ رَفَعَ الْإِمَامُ كَفَّهُ وَقَالَ وَفِي صَوْتِهِ دُعَاءٌ يَجْمَعُ الْعَقْلَ وَالرُّوحَ: "اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَلْسِنَتَنَا صَادِقَةً وَقُلُوبَنَا مُتَثَبَّةً وَكَلِمَاتِنَا نُصْحًا لِلْحَقِّ لَا سُبُلًا لِلْبُهْتَانِ، وَاحْفَظْ لَنَا مِثَاقَ الْكَلِمَةِ وَارْزُقْنَا الْعَدَلَ فِي الْحُكْمِ وَالرَّفْقَ فِي النَّهْيِ وَالْأَمْرِ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ إِذَا جَاءَهُمْ خَبَرٌ تَبَيَّنُوا (الْحُجْرَاتُ 6) وَإِذَا سَمِعُوا

أَلْقَوْلَ اتَّبِعُوا أَحْسَنَهُ (الزُّمَرُ 18). " ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُؤَكِّدُ حُرْمَةَ الْأَعْرَاضِ وَصِيَانَةَ الْمَجَالِسِ: "«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» (حَدِيثٌ) وَ«الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ» (حَدِيثٌ) فَلَا تَخُونُوا الْكَلِمَةَ وَلَا تَجْعَلُوهَا سَهْمًا يُدْمِي الصُّدُورَ."

خَرَجُوا مِنَ الْمَسْجِدِ وَفِي الصُّدُورِ "سَلَامٌ" يُرْتَقَى إِذَا نَادَتْ الْأَشَاعَةُ وَ"مِيزَانٌ" يُرْفَعُ إِذَا تَزَيَّنَ الْعُنْوَانُ وَ"دَفْتَرٌ" يُكْتَبُ فِيهِ الْوَاجِبُ وَالْمُؤَشَّرُ. فَإِذَا مَرَّتِ الْأَيَّامُ قِيلَ فِي بُيُوتِهِمْ وَصُفُوفِهِمْ: "لَا نُرَاجِعُ خَبْرًا دُونَ بَيْنَةٍ وَلَا نَنْشُرُ قَوْلًا يُؤْذِي أَخَانًا وَلَا نُمْكِّنُ لِلْعَجَلَةِ أَنْ تَقُودَ عُقُولَنَا" وَتُتَلَّى عَلَيْهِمْ كُلَّمَا هَمَّ لِسَانٌ بِكَلِمَةٍ أَوْ هَمَّ قَلْبٌ بِحُكْمٍ أَلَايَةُ اللَّيْلِ جَعَلُوهَا سِرَاجًا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الْحُجُرَاتُ 6)

وَيُتْبَعُهَا تَذَكِيرُ اللَّهِ لَهُمْ بِعَظَمِ الْكَلِمَةِ إِذَا فَارَقَتْ مِيزَانَهَا:

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (الْأَنْعَامُ 15-16).

فَيُثْبِتُونَ عَلَى الْقَاعِدَةِ وَيَحْفَظُونَ لِأَخِيهِمْ سِرَّهُ وَلِمَجْلِسِهِمْ حُرْمَتَهُ وَلِكَلِمَتِهِمْ عِزَّتَهَا.

الدَّرْسُ الرَّابِعُ: صُورَةُ الصَّغَارِ

تَهَابَطَ الْمَسَاءُ عَلَى رِوَاقِ الْمَسْجِدِ فَسَكَنَتِ الْخُطَى وَانْخَفَضَ هَمْسُ
الْفَتِيَّةِ حَتَّى لَا يُسْمَعَ إِلَّا خَفَقُ قُلُوبٍ تَتَطَلَّعُ إِلَى كَلِمَةٍ تَهْدِي وَنَفْسٍ تَسْتَأْنِسُ
بِذِكْرِ اللَّهِ. جَلَسَ الْإِمَامُ فِي الْوَسْطِ وَتَحَلَّقَ حَوْلَهُ فِتْيَةٌ وَفَتَيَاتٌ وَأَبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ وَقَدْ
تَسَلَّلَ إِلَى الْمَجْلِسِ قَلْقٌ لَطِيفٌ كَأَنَّهُ سُؤَالٌ مُتَرَدِّدٌ فِي صُدُورِ الْحَاضِرِينَ يَطْلُبُ
تَبْيِينَاً وَحُكْماً وَسَبِيلاً يُصَانُ فِيهِ الْحَيَاءُ وَيُظْهَرُ فِيهِ الْحَقُّ. رَفَعَ الْإِمَامُ كَفَّهُ وَقَالَ
بَصَوْتٍ هَادِيٍّ يَمَزْجُ التَّعْلِيمَ بِالتَّطْيِيبِ وَيَضَعُ فِي الْقُلُوبِ مِيزَانًا يَهْدِي عِنْدَ
الِاشْتِبَاهِ: "الْيَوْمَ نَتَذَكَّرُ أَمْرًا دَقِيقًا تَتَسَاهَلُ فِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَعْظُمُ فِيهِ الْعَوَاقِبُ وَهُوَ
«صُورَةُ الصَّغَارِ». نُرِيدُ أَنْ نُقِيمَ لَهَا سُورًا مِنَ الْعِلْمِ وَحَارِسًا مِنَ الْحَيَاءِ وَمِيزَانًا مِنَ
الْإِذْنِ وَالْخُصُوصِيَّةِ وَالسَّتْرِ."

تَلَا وَالسَّكِينَةُ تَنْسَابُ عَلَى الْقُلُوبِ وَالْعَيْنُونَ تُصْغِي إِلَى نُورِ الْكَلِمَاتِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا
عَلَى أَهْلِهَا﴾ (النُّور 27)

ثُمَّ اتَّبَعَهَا بِآلَايَةِ اللَّيْلِ تَغْرِسُ فِي الصُّدُورِ حَقَّ السِّرِّ وَجَمَالَ الزِّيِّ
الْمَصُونِ

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ
ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ (الْأَعْرَافُ 26).

ثُمَّ قَالَ وَفِي صَوْتِهِ تَشَبُّهُتْ مِثَاقٍ وَتَطْيِيبُ نَفُوسٍ "إِذَا كَانَتْ أَلْبِيُوتُ لَهَا
أَبْوَابٌ وَآدَابٌ فَإِنَّ صُورَ الصَّغَارِ أَيْبَاتُ قُلُوبٍ وَحَرَمٌ لَا تُخْتَرَقُ إِلَّا بِإِذْنٍ صَرِيحٍ
وَقَصْدٍ صَالِحٍ وَمَالٍ مَأْمُونٍ".

أَقْتَرَبَ أَلْفَتَى «مَهْدِيٌّ» وَفِي يَدِهِ جِهَازٌ قَدْ أَظْلَمَتْ شَاشَتُهُ قَرِيبًا وَقَدْ بَدَا
عَلَى أَلْوَجِهِ أَثَرُ تَرْدُدٍ يَلْتَمِسُ تَوْجِيهًا يَقْطَعُ شَكًّا وَيُثَبِّتُ قَاعِدَةً. قَالَ وَهُوَ يَضُمُّ كَفَّهُ
عَلَى الْجِهَازِ "تَلَقَّيْتُ صُورًا لِأَطْفَالِ الْحَيِّ وَطَلَبَ مِنِّي أَنْ أَنْشُرَهَا فِي
الْمَجْمُوعَاتِ لِلتَّهْنِئَةِ بِمُنَاسَبَةٍ سَعِيدَةٍ فَهَلْ أَفْعَلُ". نَظَرَ الْإِمَامُ إِلَيْهِ نَظْرَةً شَفَقٍ
وَحَزَمٍ ثُمَّ قَالَ "نَقِمْ لِهَذَا الْأَمْرِ مِيزَانًا يُسَمَّى «مِيزَانُ السِّرِّ» فَجَعَلُ الْأَصْلَ فِيهِ
الْحِفْظَ وَالْحَجَبَ وَالْمَنْعَ عَنِ الْعُرْبَاءِ وَنُخْرِجُ مِنْهُ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ وَالْإِذْنَ
وَالْمَصْلَحَةَ الْبَيِّنَةَ".

تَقَدَّمَ الْأَبُ «سَعِيدٌ» وَعَلَى وَجْهِهِ سِمَةٌ مُرَاقِبَةٍ رَشِيدَةٍ فَقَالَ "نَرَى الْيَوْمَ أَنَّ
الصُّورَ تَخْرُجُ مِنْ بُيُوتِنَا ثُمَّ تَسِيرُ فِي الطُّرُقَاتِ كَأَنَّهَا لَا أَهْلَ لَهَا فَيُحَدِّقُ فِيهَا مَنْ

يَعْرِفُ وَمَنْ لَا يَعْرِفُ وَتُخَزَنُ فِي صُدُورٍ لَا نَعْلَمُهَا وَتُسْتَخْرَجُ يَوْمًا لِاسْتِغْلَالٍ أَوْ سُخْرِيَّةٍ أَوْ تَتَّبِعُ خَفِيٍّ فَكَيْفَ نَضَعُ حَدًّا يَكْفُ هَذَا السَّيْلَ. " قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يُقَرِّبُ الْمَعْنَى إِلَى الْقُلُوبِ "نُنْشِئُ لِأُسْرَتِنَا «قَائِمَةً لِمَنْ يُرْسَلُ إِلَيْهِ» فَلَا تَخْرُجُ صُورَةٌ لِصَغِيرٍ إِلَّا إِلَى مَنْ ثَبَتَ فِي قُلُوبِنَا الثِّقَةُ بِهِ وَقَبِلَ بِمِثَاقِ الْإِذْنِ وَالسَّتْرِ وَحَفِظَ الْحُدُودَ فِي التَّدَاوُلِ وَالْحِفْظِ وَالْمَسَحِ عِنْدَ انْقِضَاءِ الْحَاجَةِ. "

انْفَلَقَتْ مَوْجَةٌ مِنْ هَمْسٍ فِي الْمَجْلِسِ ثُمَّ سَكَتَتْ عَلَى نَبْرَةٍ طُمَائِنَةٍ. اقْتَرَبَتْ الْأُمُّ «حِلْمَةً» وَهِيَ تَضُمُّ طِفْلَتَهَا «سَلَمَى» وَقَالَتْ "أُرِيدُ لِابْنَتِي أَنْ تَكْبُرَ وَوَجْهَهَا مَصُونٌ وَذِكْرُهَا كَرِيمٌ وَلَا تُتَابِعُهَا عُيُونُ الْعُرَبَاءِ فِي مَجَالِ الْأَحْيَانِ وَالْإِمْكِنَةِ فَكَيْفَ نَفْعَلُ. " فَقَالَ الْإِمَامُ "نُقِيمُ «مِيزَانَ الْخُصُوصِيَّةِ» فَجَعَلُ لِلصُّورَةِ دَائِرَةً ضَيِّقَةً تُسَمَّى «الدَّائِرَةُ الْخَاصَّةُ» يَدْخُلُهَا الْأَقَارِبُ الْمُحْرَمُونَ وَصَاحِبُ الصُّحْبَةِ الْقَدِيمَةِ الْمَأْمُونَةِ وَمَنْ اكْتَمَلَ فِيهِ شَرْطُ الْأَمَانَةِ ثُمَّ نُقِفَلُ مَا سِوَى ذَلِكَ إِلَّا لِضَرُورَةٍ يُشْهَدُ لَهَا الْعَقْلُ وَيَرْضَاهَا الْحَيَاءُ. "

نَهَضَ الْفَتِيَّةُ وَالْأَوْلِيَاءُ مَعًا إِلَى صَفْحَةٍ مُعَلَّقَةٍ فِي صَدْرِ الرِّوَاقِ وَفِيهَا قَلَمٌ وَمِخْبَرَةٌ فَكُتِبَ فِي أَعْلَاهَا «صَحِيفَةُ صُورِ الصِّغَارِ: مِثَاقُ الْإِذْنِ وَالسَّتْرِ وَالْخُصُوصِيَّةِ» ثُمَّ رُفِعَتِ الْأَيْدِي وَتَنَاقَبُوا عَلَى تَشْيِيتِ الْأُصُولِ بِالْفَافِظِ مُقْتَصِدَةً تَمْلِكُ الدَّلَالََةَ وَتُقِيمُ الْحُدُودَ فَقَالَ الْإِمَامُ "نُشْهَدُ اللَّهَ أَنَّ صُورَ الصِّغَارِ أَمَانَةٌ لَا تُنْشَرُ فِي الْمَجَالِ الْعَامِّ وَلَا تُرْسَلُ إِلَّا إِلَى أَسْمَاءٍ مَحْدُودَةٍ مُثَبَّتَةٍ فِي «قَائِمَةٍ مَنْ

يُرْسَلُ إِلَيْهِمْ» وَأَنَّ «الْإِذْنَ» شَرَطُ قَبْلِ كُلِّ بَعْثٍ وَأَنَّ «السِّرَّ» أَصْلٌ لَا يُخْتَرَقُ وَأَنَّ «الْخُصُوصِيَّةَ» حَدٌّ يَحْرُمُ تَعَدِّيهِ. "ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَنْقُلُ الْكَلِمَةَ مِنَ الصَّدْرِ إِلَى الْعَمَلِ "نُنْشِئُ لِهَذَا مَحَلًّا يُسَمَّى «مَجْلَدًا عَائِلِيًّا خَاصًّا» فِيهِ تُحْفَظُ الصُّورُ وَتُقَسَّمُ عَلَى الْأَعْمَامِ وَالْخَالَاتِ وَأَصْحَابِ الْحُرْمَةِ بِمُشَارَكَةٍ مَحْدُودَةٍ تُرَاجِعُهَا الْأُسْرَةُ كُلُّ شَهْرٍ وَتَمْسَحُ مَا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ."

تَحَوَّلَ الْمَجْلِسُ إِلَى مَشْهَدٍ يُمَارَسُ فِيهِ الْحَاضِرُونَ مَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ فَقَامَ الْأَبُ وَالْأُمُّ وَالْإِبْنُ وَالْبِنْتُ وَأَقْتَرَبُوا مِنْ رُكْنٍ فِي الْمَسْجِدِ تُعْلَقُ فِيهِ الصُّحُفُ وَالْإِعْلَانَاتُ فَوُضِعَتْ صَفْحَةٌ جَدِيدَةٌ كُتِبَ فِي صَدْرِهَا «أَسْمَاءُ الدَّائِرَةِ الْخَاصَّةِ» وَتَحْتَهَا سُطُورٌ تَتَسِعُ لِأَقَارِبِ قَلِيلِينَ وَأَحْلَاءَ مَأْمُونِينَ وَمَنْ يَسْكُنُ الْقَلْبَ إِلَى نُصْحِهِ. كَتَبُوا الْأَسْمَاءَ وَأَثَبْتُوْا مَعَ كُلِّ اسْمٍ عَهْدًا مُوجِزًا يُقَالُ فِيهِ "أُرَاسِلُكَ لِأَنِّي أَثِقُ بِدِينِكَ وَحَيَاتِكَ وَحِفْظِكَ وَأُظْهِرُ لَكَ مَا أَخْفَيْتُهُ عَنْ غَيْرِكَ فَاحْفَظْ لَنَا السِّرَّ وَامْسَحْ مَا لَا حَاجَةَ لَهُ وَاعِدْ الْأَمَانَةَ إِلَى أَهْلِهَا."

تَحَرَّكَتِ الْأَعْيُنُ بَيْنَ الصَّفْحَةِ وَوُجُوهِ الْأَبْنَاءِ وَتَسَلَّلَتْ دَمْعَةٌ فِي طَرَفِ الْأَعْيُنِ حِينَ قِيلَ لِلصُّورَةِ إِنَّهَا لَيْسَتْ لِلْمَرَأَى الْعَامِّ وَلَا لِلتَّصَفُّحِ الْمُسْتَرَسِلِ وَإِنَّمَا هِيَ ذِكْرٌ فِي صَدْرِ الْبَيْتِ وَأَمَانَةٌ تُحْمَلُ عَلَى الْحَيَاءِ. قَالَ الْإِمَامُ "لَوْ قُلْنَا لِلصُّورَةِ أَنْ تَنْطِقَ لَقَالَتْ أَنَا وَجُوهُ صِغَارِكُمْ فَلَا تُطَافِحُوا بِي فِي الْمَجَالِ وَأَنَا سِرُّ بَيَاتِكُمْ فَلَا تُظْهِرُونِي لِمَنْ لَا يَعْرِفُ حُرْمَتِي."

فِي اللَّيْلِ عَادَتِ الْأُسْرَةُ إِلَى بَيْتِهَا وَمَعَهَا عَزْمٌ يَدْفَعُ وَرَقَةً تُدَاوِي وَمِيزَانٌ يَقُومُ. جَلَسُوا فِي غُرْفَةِ الْجَمْعِ وَأَمَامَهُمُ اللَّوْحُ الَّذِي كُتِبَ فِيهِ الْعَهْدُ وَقَرِيبًا مِنْهُ صُنْدُوقٌ صَغِيرٌ فِيهِ صُحُفٌ وَقَلَمٌ. قَالَ الْأَبُ "نَبْدَأُ الْآنَ بِالْعَمَلِ فَنفْتَحُ حِسَابَاتِنَا الظَّاهِرَةَ وَنُفَكِّرُ فِي كُلِّ صُورَةٍ لِلصَّغَارِ فَنَسْأَلُ عَنْ مَالِهَا وَحَاجَتِنَا إِلَيْهَا. مِنْهَجُنَا أَنْ نَمْسَحَ «عَشْرَ صُورٍ» قَدْ انْتَشَرَتْ فِي الْمَجَالِ الْعَامِّ وَنُقَيِّدَ ذَلِكَ فِي صَحِيفَةٍ نَرْجِعُ إِلَيْهَا". فَقَالَتِ الْأُمُّ وَهِيَ تَضُمُّ كُتُبَ الصَّغَارِ فِي الرَّفِّ "نَفْعَلُ ذَلِكَ وَنَجْعَلُ لِكُلِّ صُورَةٍ سَبِيلًا مِنَ الْقِيَاسِ فَإِنْ كَانَتْ تَكْشِفُ سِمَةً خَاصَّةً أَوْ تُظْهِرُ بَيْتًا أَوْ غُرِيًّا أَوْ لَهْوًا لَا يَلِيقُ مَسْحَنَاهَا وَإِنْ كَانَتْ ذَكَرَى صَافِيَةً لَا تُنْشَرُ حَفِظْنَاهَا فِي «الْمَجْلَدِ الْعَائِلِيِّ الْخَاصِّ» وَأَغْلَقْنَا عَلَيْهَا الْبَابَ."

جَرَى الْعَمَلُ عَلَى وَجْهِ يُشَبِّهُ الْجِدَّ فِي الْعِبَادَةِ فَنَظَرُوا إِلَى الصُّورِ الْقَدِيمَةِ وَتَذَكَّرُوا مَوَاسِمَ ضَحِكٍ وَمَوَاقِفَ بُكَاءٍ وَأَيَّامًا مُبَارَكَةً حَفَلَتْ بِعَتَقِ قُلُوبٍ وَرَفَقٍ فِي التَّرْبِيَةِ ثُمَّ جَعَلُوا الْمِيزَانَ فَوْقَ النَّفْسِ فَمَسَحُوا صُورًا كَانَتْ تَسِيرُ فِي الطَّرِيقَاتِ بِلَا رَاعٍ وَنَقَلُوا صُورًا أُخْرَى إِلَى «الْمَجْلَدِ الْعَائِلِيِّ الْخَاصِّ» وَأَغْلَقُوا عَلَيْهَا غِلَافًا كَانَهُ لِبَاسٌ تَقْوَى يُوَارِي وَيُكْرِمُ. وَكُلَّمَا مَسَحُوا صُورَةً أَحْسَوْا أَنَّ أَبَا مِنْ أَبْوَابِ التَّتَبُّعِ قَدْ أَغْلَقَ وَأَنَّ ظِلًّا مِنْ ظِلَالِ الْإِسْتِغْلَالِ قَدْ أَنْكَفَأَ.

رَفَعَ الْإِبْنُ «مَهْدِيٌّ» رَأْسَهُ وَفِي عَيْنَيْهِ ضِيَاءٌ فَهَمَّ جَدِيدٍ وَقَالَ "كُنْتُ أَظُنُّ النُّشْرَ بَسِيطًا لَا يَتَعَدَّى الْمَزَاحَ وَالتَّهْنِئَةَ فَإِذَا هُوَ بَابٌ يَدْخُلُ مِنْهُ التَّتَبُّعُ الْخَفِيُّ

وَيَتَسَلَّلُ مِنْهُ مَنْ لَا نَعْلَمُهُ وَيُولَدُ مِنْهُ الْأَسْتِغْلَالُ فِي يَوْمٍ لَا نَرْتَقِبُهُ. " فَقَالَ الْأَبُّ
" هَكَذَا يُقِيمُ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْفَتَى مِيزَانًا يَرُدُّ الْهَوَى وَيُقَدِّمُ الْعَاقِبَةَ عَلَى الْعَاجِلَةِ. "

طَالَ الْمَسَاءُ وَأَصَوَاتُ السُّكُونِ تَرْتَقِي فِي أَلْبَيْتٍ كَأَنَّهَا سَيِّحَاتٌ مِنْ نُورٍ
تَمُرُّ عَلَى الْجُدْرَانِ وَتُسْقِطُ عَنْ الْقُلُوبِ مَا عُلِقَ بِهَا مِنْ بَهْرَجِ الزَّمَنِ وَمُفَاجَاتِ
التَّقْلِيلِ وَالتَّنَاوُلِ. سَأَلَتِ أَلْبَيْتُ «سَلَمَى» وَفِي لِسَانِهَا بَرَاءَةٌ مَسْئُولَةٌ "إِذَا طَلَبْتَ
خَالَتَنِي أَنْ أُرْسِلَ لَهَا صُورَةٌ لِي فِي يَوْمٍ التَّخْرِجِ مَاذَا أَقُولُ". قَالَتِ الْأُمُّ وَهِيَ تَضَعُ
كَفَّهَا عَلَى رَأْسِ الصَّغِيرَةِ "تَقُولِينَ لَهَا بِأَدَبٍ وَبَصْرَاحَةٍ مَحْمُودَةٍ أَنَّ لِلصُّورَةِ
حُدُودًا وَأَنَّ أَلْبَيْتَ قَدْ جَعَلَ لَهَا دَائِرَةً خَاصَةً ثُمَّ تُرْسِلِينَ لَهَا مَا لَا يُظْهِرُ وَجْهَهَا
بُوضُوحٍ أَوْ يُظْهِرُ مَوْقِفًا يَمَسُّ خُصُوصِيَّةً وَتَذَكِّرِينَ لَهَا عَهْدَنَا فَتَفْهَمُ وَتُعِينُ. "

فِي الْعَدِ انْتَقَلَ الْمَشْهَدُ إِلَى سَاحَةِ الْمَدْرَسَةِ وَقَدْ تَنَاثَرَ الضَّوْءُ عَلَى
الْأَرْضِ تَنَاثُرَ حَبَابِ النَّدَى وَتَرَاقَصَتْ ظِلَالُ الْأَسَاتِيدِ عَلَى الْجُدْرَانِ كَأَنَّهَا تُشِيرُ
إِلَى دَرَسٍ جَدِيدٍ يَتَّصِلُ بِدَرَسِ الْأَمْسِ. تَقَدَّمَ الْإِمَامُ وَإِلَى جَانِبِهِ مُعَلِّمَانِ وَوَلِيَّانِ
وَقَالَ "نُشِيتُ الْيَوْمَ فِي فَنَوَاتِنَا قَاعِدَةً تُقَالُ فِيهَا «لَا نَشْرَ لُصُورِ الصِّغَارِ فِي الْمَجَالِ
الْعَامِّ» وَنُشِيتُ لِمَنْ أَحْتَاجَ إِلَى التَّبَادُلِ دَائِرَتَهُ الْخَاصَّةَ وَمِثَاقَهُ الْمَوْقِعَ. " ثُمَّ أَشَارَ
إِلَى جِهَةِ الرُّكْنِ الَّذِي تَعْلَقُ فِيهِ الصُّحُفُ فَرَفَعَتْ صَفْحَةً فِيهَا سَطُورٌ قَصِيرَةٌ
تُثَبِّتُ الْمَعْنَى بِعِبَارَاتٍ مِثَاقِيَّةٍ وَقُلُوبُ الْفِتْيَةِ تَقْرُؤُهَا كَأَنَّهَا آيَاتٌ تَنْزَلُ عَلَى نَفْسٍ
تَتَحَرَّرُ وَتَسْتَحْيِي وَتَسْتَبْصِرُ.

عَادَ الشَّبَابُ بَعْدَ الدَّرَاسَةِ إِلَى بُيُوتِهِمْ وَقَدْ صَارَ لِلْكَلِمَةِ وَزْنٌ وَالصُّورَةُ
مَعْنَى وَالزِّيَّ قَدْرٌ وَالْإِذْنَ مَكَانٌ لَا يُتَجَاوَزُ. وَقَبْلَ الْمَغْرِبِ يَبْسِيرُ اجْتَمَعَتِ الْأُسْرَةُ
فِي الْبَيْتِ وَفِي الْمُقَابِلِ مِنَ الْجُدْرَانِ صُحُفٌ وَجَدُولٌ صَغِيرٌ كُتِبَ فِي أَعْلَاهُ
«مَحْضَرُ الْأَثَرِ» وَتَحْتَهُ خُطُوطٌ تُثَبِّتُ مَا فُعِلَ وَمَا ظَهَرَ مِنْ نَتِيجَةٍ. قَالَ الْأَبُ
"حَصَلْنَا عَلَى مَقْصُودِنَا فِي خُطُوبِنَا الْأُولَى فَحَذِفْتُ «عَشْرَ صُورٍ» كَانَتْ مُنْتَشِرَةً
وَأُغْلِقْتُ أَبْوَابَ كَانَ الْفُضُولُ يَتَسَلَّلُ مِنْهَا وَنُقِلَتْ ذِكْرِيَّاتٌ طَيِّبَةٌ إِلَى «الْمَجْلَدِ
الْعَائِلِيِّ الْخَاصِّ» وَصَارَ النُّشْرُ مُنْحَصِرًا فِي «الدَّائِرَةِ الْخَاصَّةِ» لَا يَتَعَدَّاهَا."
فَابْتَسَمَتِ الْأُمُّ وَقَالَتْ "هَذَا هُوَ الْمُؤَشِّرُ الَّذِي نُرِيدُهُ فَقَدْ صَارَ «النُّشْرُ مُنْحَصِرًا
مِائَةً فِي الْمِائَةِ فِي الدَّائِرَةِ الْخَاصَّةِ» وَلَا يَخْرُجُ شَيْءٌ إِلَى الْمَجَالِ الْعَامِّ."

تَحَرَّكَتِ الْأَيَّامُ عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ فِي التَّجَرِبَةِ وَالتَّثَبُّتِ وَزَارَ الْبَيْتَ ضُيُوفٌ
فِي مَوَاسِمَ مُخْتَلِفَةٍ وَسُئِلَتِ الْأُمُّ عَنْ صُورَةٍ لِالصَّغَارِ فَقَالَتْ بِأَدَبٍ "نُكْرِمُكُمْ
بِالْقَوْلِ الْحَسَنِ وَنَحْفَظُ لِأَطْفَالِنَا السِّرَّ فَمَا كَانَ فِي «الدَّائِرَةِ الْخَاصَّةِ» لَا يَخْرُجُ
إِلَى الْعَامِّ." فَوَالَ الْحَرْجُ وَقُرِئَ فِي الْوُجُوهِ مَعْنَى جَمِيلًا يَجْمَعُ بَيْنَ إِكْرَامِ الزَّائِرِ
وَحِفْظِ الْحُدُودِ. وَكَلَّمَا عَرَضَتْ مُنَاسَبَةٌ جَدِيدَةٌ انْظَرَفَتِ الْأُسْرَةُ إِلَى مِثَاقِهَا فَإِنْ
أَحْتِيجَ إِلَى التَّبَادُلِ أُرْسِلَ فِي «الدَّائِرَةِ الْخَاصَّةِ» وَإِلَّا حَفِظُوا الصُّورَةَ فِي الْقَلْبِ
وَفِي «الْمَجْلَدِ الْعَائِلِيِّ الْخَاصِّ» وَأُغْلِقُوا عَلَيْهَا بَابًا مِنْ ذِكْرِ وَدُعَاءٍ.

وَقَعَتْ مِحْنَةٌ تُثَبِّتُ الْقَاعِدَةَ فِي الصُّدُورِ فِي لَيْلَةٍ تَأَخَّرَ فِيهَا النَّوْمُ وَتَتَأَلَّتْ

فِيهَا الرِّسَالُ فِي مَجْمُوعَةٍ وَاسِعَةٍ تَدْعُو إِلَى نَشْرِ صُورَةِ «حَفْلِ» لِلصَّغَارِ فِي السَّاحَةِ. انْتَبَهَ الْأَبْنُ فَقَالَ لِنَفْسِهِ "السَّتْرُ أَصْلٌ وَالْإِذْنُ شَرْطٌ وَالْخُصُوصِيَّةُ حَدٌّ" ثُمَّ أَغْلَقَ الرِّسَالَ وَنَقَلَ الْحَدِيثَ إِلَى الْأَبِ فِي الصَّبَاحِ فَأَثْنَى الْأَبُ وَقَالَ "ثَبَّتَكَ اللَّهُ فَقَدْ حَفِظْتَ مِيثَاقَ الْبَيْتِ". وَفِي الْمَسَاءِ بَعْدَ الْعِشَاءِ عُقِدَ مَجْلِسٌ قَصِيرٌ فِي الْمَسْجِدِ وَقُرِئَ فِيهِ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْعَهْدِ ثُمَّ تَلَا الْإِمَامُ مَرَّةً أُخْرَى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾

فَقَالَ "مَعْنَاهُ فِي صُورِ الصَّغَارِ أَنْ لَا نَدْخُلَ بُيُوتَ الزُّهُورِ بِالنَّظَرِ وَلَا نَعْرِضَهَا لِمَنْ لَا يَعْرِفُ حُرْمَتَهَا".

تَعَاقَبَتِ الْأُسْبُوعَاتُ وَثَبَتَ الْفَرِيقَانِ فِي الْبَيْتِ وَاتَّسَعَ «الْمَجْلَدُ الْعَائِلِيُّ الْخَاصُّ» بِمَا حَفِظَ مِنْ ذِكْرِ مَصُونَةٍ وَقِلَّ الطَّلُبُ إِلَى النَّشْرِ فِي الْمَجَالِ الْعَامِّ حَتَّى صَارَ كَالْغَرِيبِ الَّذِي لَا يَجِدُ فِي الْبَيْتِ مَدْخَلًا. وَكُلَّمَا جَاءَ مَوْسِمُ مَرَاجَعَةِ عَلَّقُوا فِي الْجِدَارِ صُحُفًا صَغِيرَةً فِيهَا سَطْرَانٌ أَوْ ثَلَاثَةٌ يُكْتَبُ فِيهَا "مَاذَا مَسَحْنَا" وَ"مَاذَا نَقَلْنَا إِلَى الدَّائِرَةِ الْخَاصَّةِ" وَ"مَا الْقِصَّةُ الَّتِي تَعَلَّمْنَاهَا مِنْ مِيثَاقِ الْإِذْنِ". وَإِذَا تَسَلَّلَتِ دَعْوَةٌ إِلَى نَشْرِ فِي غَيْرِ مَحَلٍّ ذَكَرُوا لِصَاحِبِهَا بِرَفْقٍ "السَّتْرُ أَصْلٌ وَالْإِذْنُ قَبْلُ الْبُعْثِ وَالْدَّائِرَةُ الْخَاصَّةُ حَدٌّ".

وَحِينَ رَأَى الْإِمَامُ تَحَقُّقَ الْأَثَرِ قَالَ فِي مَجْلِسٍ يَزُورُهُ النُّورُ وَتَتَلَطَّفُ فِيهِ

الرَّيْحُ "قَدْ ظَهَرَ لَنَا أَنَّ النَّشْرَ قَدْ انْحَصَرَ فِي «الدَّائِرَةِ الْخَاصَّةِ» وَلَمْ يَبْقَ لِلْمَجَالِ
الْعَامِّ نَصِيبٌ فَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ وَهَذَا هُوَ الْمِيزَانُ الَّذِي يُقِيمُ الْحَيَاءَ وَيَحْفَظُ الْوُجُوهَ
وَيُكْرِمُ الْبُيُوتَ." ثُمَّ قَالَ وَفِي صَوْتِهِ دَعْوَةٌ وَتَثْبِيتٌ "نُجَدُّ عَهْدَنَا فَنَحْفَظُ صُورَ
الصَّغَارِ عَنِ الْغُرَبَاءِ وَنُقِيمُ «قَائِمَةً مَنْ يُرْسَلُ إِلَيْهِمْ» وَنَحْرُسُ «الْمَجْلَدَ الْعَائِلِيَّ
الْخَاصَّ» وَنَتَذَكَّرُ دَائِمًا أَنَّ «لِبَاسَ التَّقْوَى خَيْرٌ» فَلَبَسُهُ لَوُجُوهَ صِغَارِنَا وَنَسْتُرُهُمْ بِهِ
مِنْ نَظَرِ الْغُرَبَاءِ وَمِنْ تَتَبُعٍ خَفِيٍّ وَمِنْ اسْتِغْلَالٍ يَتَلَصَّصُ فِي الْعَيْنِ وَالْقُلُوبِ."

أَنْسَدَلَ اللَّيْلُ وَفِي الْبُيُوتِ نُورٌ خَفِيٌّ يَتَحَدَّثُ عَنْ مِيثَاقٍ جَدِيدٍ وَوَجْهٍ
مَصُونٍ وَقَلْبٍ مُطْمَئِنٍّ بِأَنَّ مَا فِي الْبَيْتِ لِلْبَيْتِ وَمَا فِي الدَّائِرَةِ الْخَاصَّةِ لِلْخَاصَّةِ
وَأَنَّ الزَّيَّ الْمَعْنَوِيَّ الَّذِي أَلْبَسُوهُ صُورَ الصَّغَارِ قَدْ حَفِظَهَا مِنَ الْبَرْدِ الْقَاسِيِ
لِلْعَيْنِ الْغَرِيبَةِ وَمِنْ رِيَّاحِ الْإِسْتِغْلَالِ الَّتِي تَهْبُ فِي أَزَقَّةِ الزَّمَنِ. وَفِي آخِرِ
الْلَحْظَاتِ قَبْلَ النَّوْمِ تَقَدَّمَ الْأَبُ إِلَى الْمَرْأَةِ فَنَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ ثُمَّ إِلَى وَجْهِ ابْنَتِهِ فَقَالَ
لِنَفْسِهِ "هَذَا وَجْهٌ أَمَانَةٌ وَذَلِكَ وَجْهٌ أَمَانَةٌ فَلَا نُخْرِجُهُمَا إِلَّا عَلَى مِيثَاقٍ وَمِيزَانٍ
وَمَالٍ." ثُمَّ أَطْفَأَ النُّورَ وَأَغْلَقَ الْعَيْنَ وَفِي الصَّدْرِ تَسْبِيحَةٌ تُرْسِلُهَا النَّفْسُ شُكْرًا
"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ."

وَعَدًا حِينَ تَسْتَقِظُ الْمُدُنُ عَلَى أَذَانٍ جَدِيدٍ سَيَسِيرُ الشَّبَابُ إِلَى
مَجَالِسِهِمْ وَفِي قُلُوبِهِمْ قَاعِدَةٌ مُبَيَّنَةٌ تَقُولُ "الَسْتُرُ أَصْلٌ وَالْخُصُوصِيَّةُ حَدٌّ وَالْإِذْنُ
قَبْلُ الْبَعْثِ" وَسَيَجِدُ الْغُرَبَاءُ أَبْوَابًا مُعْلَقَةً وَسَتَجِدُ الْبُيُوتَ فِي قُلُوبِ أَهْلِهَا سَلَامًا

يَقُولُ "لَا تَدْخُلُوا" وَسَتَجِدُ الصُّورَةَ فِي «الْمَجْلَدِ الْعَائِلِيِّ الْخَاصِّ» أَمَّا يَقُولُ "هُنَا
الذِّكْرُ يُحْفَظُ وَهُنَا الْحَيَاءُ يُكْرَمُ وَهُنَا الْمِيزَانُ يَقُومُ". وَسَيَبْقَى الْقَوْلُ الَّذِي قَرَأَهُ
الْإِمَامُ يَوْمًا فَصَارَ قَاعِدَةً فِي الصُّدُورِ يُنَادِي كُلَّمَا هَمَّتْ يَدٌ أَنْ تُرْسَلَ أَوْ عَيْنٌ أَنْ
تَنْشُرَ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا
عَلَى أَهْلِهَا﴾

وَسَيَتَلَأُّ فِي الْعُقُولِ وَالْقُلُوبِ لِبَاسٌ مِنْ نُورٍ يَقُولُ

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾

فَيَسْتُرُ الصُّورَ وَيَحْرُسُ الْحُدُودَ وَيَهْبُ لِلْبَيْتِ سَكِينَةً تُشَبِّهُ رُوحَ الْفَجْرِ
حِينَ يَنْصَرِفُ الظَّلَامُ وَتَبْدَأُ الْأَطْفَالُ يَوْمَهَا عَلَى حُرْمَةٍ وَنُورٍ وَمِثَاقٍ.

الدَّرْسُ الْخَامِسُ: الْحِشْمَةُ وَذَوْقُ الصُّورَةِ

تَهَابَطَتْ سَكِينَةُ الْمَسَاءِ عَلَى رِوَاقِ الْمَسْجِدِ فَانْطَوَى الْهَمْسُ فِي الْأَرْكَانِ وَأَنْسَدَلَ الثُّورُ عَلَى الْأَعْمَدَةِ سُتُورًا رَقِيقَةً كَأَنَّهَا رِيَشُ نُورٍ يُدَارِي الْقُلُوبَ مِنْ غِلْظِ الْيَوْمِ وَضَجِيجِ السَّاحَاتِ الرَّفْمِيَّةِ فَجَلَسَ الْإِمَامُ فِي الْوَسْطِ وَحَلَقَ حَوْلَهُ فِتْيَةً وَفَتَيَاتٍ وَأَبَاءَ وَأُمَّهَاتٍ وَعَلَى الْوُجُوهِ أَثَرُ سُؤَالٍ يَلْتَمِسُ مِيزَانًا يَضْبِطُ النَّظَرَ وَيَقُومُ الصُّورَةَ وَيَحْفَظُ الْحَيَاءَ فِي زَمَنِ تَكَثَّرَ فِيهِ الْعُيُونُ وَتَقَلُّ فِيهِ الْأَبْوَابُ فَرَفَعَ الْإِمَامُ كَفَّهُ وَقَالَ بِصَوْتٍ يَجْمَعُ التَّعْلِيمَ وَالتَّطْيِيبَ وَيَضْعُ لِلنَّفُوسِ قَاعِدَةً تَسْتَنِدُ إِلَيْهَا عِنْدَ الْأَشْتِبَاهِ "الْيَوْمَ نُقِيمُ مِيزَانًا يَقُومُ الصُّورَةَ وَيَحْرُسُ الْحَيَاءَ وَيُجَمِّلُ الذَّوْقَ وَيَحْفَظُ الْكَلِمَةَ فَجَمْعُ بَيْنَ «مِيزَانِ الْحَيَاءِ» وَ«مِيزَانِ الذَّوْقِ» وَ«مِيثَاقِ الْكَلِمَةِ» لِنَضْبِطِ اللَّبَاسَ وَالزَّوَايَا وَالتَّعْلِيقَ عَلَى الصُّورِ فَتَصَانَ الْوُجُوهُ وَتُكْرَمَ الْقُلُوبُ وَتُغْلَقَ الْأَبْوَابُ فِي وَجْهِ الْإِوْحَاءِ وَالتَّلَصُّصِ وَتَطْبِيعِ التَّعَرُّضِ".

ثُمَّ تَلَا بِاطْمِئْنَانٍ يَشْقُ طَرِيقَ الْهُدَى فِي الصُّدُورِ

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

وَتَلَا بَعْدَهَا

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾

مِنْ سُورَةِ النَّورِ فَانْخَفَضَتْ الْأَنْفُسُ لِمَا سَمِعَتْ وَتَهَيَّأَ الْقَلْبُ لِمِثَاقٍ
يَحْرُسُ النَّظَرَ قَبْلَ الصُّورَةِ وَيَقْدُمُ الْحَيَاءُ قَبْلَ الزَّيْنَةِ ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ
تَعَالَى

﴿وَلِبَاسِ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾

مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ "فَإِذَا كَانَ اللَّبَاسُ يُدَارِي أَلْبَدَنَ فَإِنَّ «لِبَاسَ التَّقْوَى»
يُدَارِي الصُّورَةَ وَيَقُومُ زَاوِيَتَهَا وَيُهْدَبُ التَّعْلِيقُ عَلَيْهَا فَيَصِيرُ النَّشْرُ عِبَادَةً تُرَاعِي
الْحُدُودَ وَلَا تَتَعَدَّى."

اِفْتَرَبَ الْفَتَى «مَرْوَانُ» وَفِي نَظَرِهِ أَثَرُ حَيْرَةٍ تَسْتَفْتِي وَيَدُهُ تَقْبِضُ عَلَى
جِهَازٍ قَدْ بَرَقَ نُورُهُ قَرِيبًا فَقَالَ وَهُوَ يَسْتَأْنِسُ بِمَجْلِسِ الْإِمَامِ "أَصُوغُ صُورِي
لِلذِّكْرِى وَأَسْتَأْنِسُ بِنِئَاءِ الْإِخْوَةِ فَأَيُّ زَاوِيَةٍ أَضَعُ وَأَيُّ لِبَاسٍ أَخْتَارُ وَمَاذَا أَقُولُ إِذَا
كَتَبْتُ بِنَفْسِي تَحْتَ الصُّورَةِ." فَنَظَرَ الْإِمَامُ إِلَيْهِ نَظْرَةَ الْأَبِ الرَّحِيمِ وَقَالَ وَفِي
صَوْتِهِ حَزْمٌ يُثَبِّتُ الْحُدُودَ وَرَفَقَةٌ تُقَرِّبُ الْمَعَانِي "نَقِمْ لِقُلُوبِنَا «دَلِيلًا مُبَسِّطًا لِآدَابِ
الصُّورَةِ» يَجْمَعُ أَرْبَعَةَ أَبْوَابٍ تَدُورُ عَلَيْهَا الْعَافِيَةُ فَتَقْدُمُ فِيهَا اللَّبَاسَ وَنَظَافَةَ
الْخَلْفِيَّةِ وَالضِّيَاءِ وَحُسْنَ التَّعْلِيقِ فَتَسْلَمُ الْقُلُوبُ وَتَنْقَطِعُ أَسْبَابُ التَّلَصُّصِ

وَيَضَعُفُ أَثَرُ لُغَةِ الْإِيحَاءِ."

قَالَ وَهُوَ يَرَسُمُ الْأَبَابَ الْأَوَّلَ فِي الصُّدُورِ "أَمَّا اللَّبَاسُ فَأَصْلُهُ السِّتْرُ وَخُدُودُهُ الْوَسْطُ الْكَرِيمُ فَلَا تَضْيِيقَ يُحَدِّقُ بِالْأَعْضَاءِ وَلَا رِقَّةَ تُظْهِرُ مَا وَرَاءَهَا وَلَا زِينَةَ مُتَكَبِّرَةً تَسْتَدْعِي النَّظَرَ وَتَثِيرُ الْفُضُولَ بَلْ حِلْمٌ فِي الْخِيَارِ وَنَظَافَةٌ تَشْهَدُ لِلْقَلْبِ قَبْلَ الْقَمَاشِ وَحَيَاءٌ يَدْفَعُ مَا لَا يَلِيْقُ فَإِذَا قَامَ اللَّبَاسُ عَلَى هَذَا الْمِيزَانِ زَانَ الصُّورَةِ وَحَرَسَهَا" ثُمَّ قَالَ "وَأَمَّا الْخَلْفِيَّةُ فَمِرَاةُ السَّرِّ وَسَاحَةُ الْبَيْتِ فَلَا نَعْرِضُ مِنْهَا مَا يَمَسُّ الْخُصُوصِيَّةَ وَلَا نُظْهِرُ رُكْنًا يَفْضَحُ أَهْلًا أَوْ يُفْشِي شَأْنًا مَسْتُورًا فَجَعَلُ الْخَلْفِيَّةِ نَظِيفَةً مُحْتَشِمَةً تُظْهِرُ الْهَدَفَ وَلَا تَسْحَبُ الْأَبْصَارَ إِلَى مَا لَا يَنْبَغِي."

وَاتَّبَعَ الْكَلِمَةَ بِمَا يُقَوِّدُ إِلَى فَهْمِ الزَّاوِيَةِ فَقَالَ "وَأَمَّا الزَّاَوِيَاتُ فَهِيَ مَفَاتِيحُ النَّظَرِ فَإِنْ أَحْسَنَّاها أَغْلَقْنَا أَبْوَابَ التَّعَرُّضِ وَإِنْ أَفْسَدْنَاها فَتَحْنَا سُبُلَ الْإِيحَاءِ وَمَجَالَ التَّلَصُّصِ فَجَعَلُ الْقُرْبِ بِقَدْرِ وَنَبْتَاعِدُ عَنْ زَوَايَا تُحَدِّقُ فِي الْبَدَنِ مِنْ أَسْفَلٍ أَوْ أَعْلَى تَحْتَالُ عَلَى الْحَيَاءِ وَنَسْتَصْحِبُ زَاوِيَةً تُظْهِرُ فِيهَا الْوُجْهَةَ الشَّرِيفَةَ لِلْمَعْنَى لَا لِلْجَسَدِ" ثُمَّ قَالَ "وَأَمَّا الضِّيَاءُ فَهُوَ لِسَانُ الصُّورَةِ فَإِنْ لَانَ زَانَ وَإِنْ تَغَيَّرَ إِثَارَةُ الْأَعْضَاءِ أَفْسَدَ فَجَعَلُ الضِّيَاءِ هَادِيًا لَا يَنْحِتُ الْجَوَانِبَ وَلَا يَرَسُمُ التَّفَاصِيلَ عَلَى شَكْلِ مَا يُؤْذِي الْحَيَاءَ وَنَتَخَيَّرُ مَوْضِعًا يَشْهَدُ لِلْمَقْصِدِ بِالْوُقَارِ."

ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْأَبَابِ الرَّابِعِ وَهُوَ لِسَانُ الصُّورَةِ بَعْدَ التَّقَاطُفِ فَقَالَ "وَأَمَّا التَّلْعِيقُ فَهُوَ عَقْدُ الْمَعْنَى فَإِنْ صَلَحَ أَصْلَحَ وَإِنْ فَسَدَ أَفْسَدَ فَجَعَلُهُ عَلَى «مِثَاقِ

الْكَلِمَةِ» فَلَا لُغَةَ إِيمَاءٍ تُهَيِّجُ وَلَا عَمْرًا يَسْتَدْعِي وَلَا مَدْحًا يُخَالِطُهُ تَعْرِيضٌ
يَسْتَحْيِي مِنْهُ الصَّادِقُونَ بَلْ قَوْلٌ قَلِيلٌ سَدِيدٌ يُظْهِرُ الْقَصْدَ وَيَسْتُرُ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَ
وَيُقَدِّمُ الْمَعْنَى عَلَى الْمَنْظَرِ وَإِنْ خِفْنَا مِنْ أَنْفِلَاتِ الْكَلَامِ فِي سَاحَةِ نُشْرِفُ
عَلَيْهَا فَنُغَيِّرُ «إِعْدَادَاتِ التَّلْعِيقَاتِ» وَنُعَلِّقُ أَلْبَابَ عِنْدَ الْحَاجَةِ فَلَا نُفْتَحُ لِمَنْ يَقُولُ
مَا يُفْسِدُ أَوْ يُوحِي أَوْ يُحَرِّضُ.

هُنَا رَفَعَتِ الْفَتَاةُ «رَايِيَّةُ» يَدَهَا وَفِي صَوْتِهَا صِدْقٌ رَغْبَةٌ فِي الْإِسْتِبَانَةِ
فَقَالَتْ «أَحْتَاجُ أَحْيَانًا إِلَى نُشْرِ صُورَةٍ لِمُنَاسَبَةٍ دَاخِلِ الدَّائِرَةِ الْخَاصَّةِ فَأَيْنَ وَقِفُ
الذَّوْقِ فِي ثَوْبِي وَفِي الْخَلْفِيَّةِ وَفِي الْكَلِمَاتِ الَّتِي أَكْتُبُهَا». فَقَالَ الْإِمَامُ «الذَّوْقُ
وَقَافٌ عِنْدَ الْحُدُودِ فَلَا يُضَيِّعُ الْغُرُضَ وَلَا يَتَعَدَّى فَنَحْتَارُ مِنَ اللَّبَاسِ مَا يَسْتُرُ وَمِنْ
الْخَلْفِيَّةِ مَا يَحْفَظُ سِرَّ الْبَيْتِ وَمِنْ الزَّوَايَا مَا يَظْهَرُ فِيهِ الْمَعْنَى لَا أَلْغُصُ وَمِنْ
الضِّيَاءِ مَا يُجَمِّلُ وَلَا يَكْشِفُ وَمِنْ الْكَلِمَةِ مَا يَقُولُ الْحَقُّ بِرَفْقٍ دُونَ إِوْحَاءٍ أَوْ
تَحْرِيطٍ» ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَحْضِرُ قَاعِدَةَ الْقَصْدِ «وَإِذَا شَكَّ الْقَلْبُ فِي صُورَةٍ
فَلْيَجْعَلْ مِيزَانَ الْحَيَاءِ حَاكِمًا فَمَا رَأَهُ يَسْتَحْيِي مِنْهُ فَلْيَدْعُهُ وَمَا رَأَهُ يَزِيدُ الْقَلْبَ
نُورًا فَلْيَقْرَبْهُ».

ثُمَّ دَعَا الْإِمَامُ إِلَى تَحْوِيلِ الْكَلِمَةِ عَمَلًا فَقَالَ «نُنْشِئُ فِي الْبَيْتِ
«صَحِيفَةَ الذَّوْقِ وَالْحِشْمَةِ فِي الصُّورَةِ» فَكَتُبُ فِيهَا مَا اتَّفَقْنَا عَلَيْهِ وَنُثَبِّتُ فِيهَا
أَنَّ الْغَايَةَ أَنْ تُضَبَّطَ الْحِشْمَةُ فِي اللَّبَاسِ وَالزَّوَايَا وَالتَّلْعِيقِ وَأَنْ نُقِيمَ «دَلِيلًا

مُبَسَّطًا» يَهْدِي الْبَيْتَ وَالصَّفَّ وَأَنْ نَقِفَ عِنْدَ الْخُطُوطِ الْحُمْرِ فِي وَجْهِ لُغَةِ
الْإِيحَاءِ وَالْتَّلَاصِ وَتَطْبِيعِ التَّعَرُّضِ" ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَرْفَعُ لَوْحَةً صَغِيرَةً إِلَى صَدْرِ
الرَّوَّاقِ "وَنُثِبَتْ آيَتَيْنِ تَنْطِقَانِ فِي الْقُلُوبِ كُلَّمَا قَامَتْ صُورَةٌ عَلَى الْبَابِ

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ (النور: 30)

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾. (الأعراف: 26)"

ثُمَّ قَالَ وَفِي عَيْنَيْهِ بَرِيقُ عَمَلٍ يُرِيدُ أَنْ يَنْزِلَ فِي الْبُيُوتِ "نُقِيمُ الْآنَ
«مَشْهَدًا عَمَلِيًّا» نُرَاجِعُ فِيهِ آخِرَ عَشْرِ صُورٍ نُشَرَتْ لَنَا فَنَعْرِضُهَا عَلَى الدَّلِيلِ
وَنَسْتَخْرِجُ مَوَاضِعَ الْإِصْلَاحِ" فَتَقَدَّمَ الْفَتْيَةُ وَالْفَتَيَاتُ وَالْأَبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ وَوُضِعَ
الْجِهَازُ فِي الْوَسْطِ فَقَالَ الْإِمَامُ "نَتَعَاهَدُ عَلَى الْعَدْلِ فَلَا نُشْهِرُ شَخْصًا وَلَا
نَسْتَخْفِي بِعَيْبٍ بَلْ نَسْتَنْصِحُ الْقَلْبَ وَنَرْجِعُ إِلَى الْمِيزَانِ" ثُمَّ فَتَحُوا الصُّورَةَ
الْأُولَى فَنَظَرُوا فِيهَا إِلَى اللَّبَاسِ وَالْخَلْفِيَّةِ وَالزَّوَايَةِ وَالضِّيَاءِ وَإِلَى الْكَلِمَةِ الْمَكْتُوبَةِ
تَحْتَ الصُّورَةِ فَقَالَ الْإِمَامُ "هُنَا زَاوِيَةٌ قَرِيبَةٌ لَا تَزِيدُ الْمَعْنَى بَلْ تَسْحَبُ النَّظَرَ إِلَى
مَا لَا يَنْبَغِي فَنُصْلِحُهَا بِالْإِبْتِعَادِ قَلِيلًا وَهُنَا كَلِمَةٌ فِي التَّلْعِيقِ تَتَضَمَّنُ إِيْمَاءً
فَنُبَدِّلُهَا بِقَوْلٍ سَدِيدٍ يَظْهَرُ فِيهِ الشُّكْرُ وَلَا يَظْهَرُ فِيهِ التَّعْرِيزُ."

تَعَاقَبَتِ الصُّورُ وَقُلُوبُ الْحَاضِرِينَ تَتَعَلَّمُ مَعْنَى الْوَقْفِ عِنْدَ الْحُدُودِ
فَهَذِهِ خَلْفِيَّةٌ تَكْشِفُ رُكْنًا مِنَ الْبَيْتِ لَا يَلِيقُ إِظْهَارُهُ فَيُسْتَبَدَلُ مَوْضِعُ التَّصْوِيرِ

وَتِلْكَ إِضَاءَةٌ تَنَحُّتُ الْجَانِبَ فَتَهْدُبُ وَهُنَالِكَ ثَوْبٌ يَحْتَاجُ إِلَى سَعَةٍ فَيَقُومُ وَقَدْ يَجِيءُ تَحْتَ بَعْضِ الْأُصُورِ قَوْلٌ يَسْتَدْعِي التَّعْلِيْقَ الْمَوْجِي فَيُغَيِّرُ بِقَوْلٍ حَسَنٍ وَيُضَبِّطُ بَابَ التَّعْلِيْقِ عَلَى «إِعْدَادٍ مُحْكَمٍ» فَإِذَا احْتَبَجَ إِلَى الْإِغْلَاقِ أَغْلَقَ وَإِذَا احْتَبَجَ إِلَى التَّوْقِيفِ وَقَفَ.

وَفِي أَثْنَاءِ الْمُرَاجَعَةِ أَطْلَلَ أَلْفَتَى «حَسَّانُ» وَفِي صَوْتِهِ شَجَاعَةٌ الْإِعْتِرَافِ فَقَالَ "كُنْتُ أَفْرَحُ بِالْإِطْرَاءِ فَأَكْتُبُ كَلِمَاتٍ تُوحِي وَتَسْتَدْعِي وَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ أَنَّهَا تُفْسِدُ الْقُلُوبَ قَلِيلًا قَلِيلًا" فَقَالَ الْإِمَامُ "قَدْ بَيَّنْتَ وَصَدَقْتَ وَالْيَوْمَ نَجْعَلُ لِقُلُوبِنَا حَارِسًا مِنْ «مِثَاقِ الْكَلِمَةِ» فَلَا نَقُولُ إِلَّا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وَنَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ الْأَدَبِ وَنَكْسِرُ سِلْسِلَةَ الْإِيحَاءِ بِالصَّرَاحَةِ الرَّحِيمَةِ وَالْإِعْتِذَارِ إِنْ أَفْتَضَى الْمَقَامُ". وَقَالَتْ أَلْفَتَاؤُهُ «هَنَاءُ» "وَأَنَا كُنْتُ أَسْتَحْيِي مِنْ غَلَقِ بَابِ التَّعْلِيْقِ فَكَانَ يَدْخُلُ مَنْ لَا يَرَعَى الْحُدُودَ" فَقَالَ الْإِمَامُ "الْحَيَاءُ حَقٌّ وَلَيْسَ ضَعْفًا فَإِذَا كَانَ فِي الْإِغْلَاقِ صَوْنٌ فَلَا غِلَاقَ أَدَبٌ وَإِذَا كَانَ فِي التَّوْقِيفِ حِكْمَةٌ فَالتَّوْقِيفُ عَدْلٌ".

وَإِذَا بِالْمَجْلِسِ يَنْتَقِلُ مِنَ التَّقْوِيمِ إِلَى التَّرْسِيخِ فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَجْمَعُ الْقُلُوبَ عَلَى قَاعِدَةٍ جَامِعَةٍ "نَقُولُ فِي كُلِّ صُورَةٍ قَبْلَ النُّشْرِ «أَيْنَ اللَّبَّاسُ مِنْ لِبَاسِ التَّقْوَى» وَ«أَيْنَ الزَّوَايَةِ مِنْ مِيزَانِ الْحَيَاءِ» وَ«أَيْنَ التَّعْلِيْقِ مِنْ مِثَاقِ الْكَلِمَةِ» ثُمَّ قَالَ وَفِي صَوْتِهِ دَعَاوَى صَالِحَةٌ "وَاللَّهُ شَاهِدٌ عَلَى قُلُوبِنَا أَنَّ مَا رَدَدْنَا زِينَةً حَلَالًا وَلَكِنَّا أَقَمْنَا لَهَا حَدًّا يَصُونُ وَيُكْرِمُ".

وَلَمَّا انْفَضَّ الْمَجْلِسُ عَادَ الْقَوْمُ إِلَى بُيُوتِهِمْ وَقَدْ حَمَلَ كُلُّ مَنْهُمْ «صَحِيفَةَ الذُّوقِ وَالْحِشْمَةِ» فِي صَدْرِهِ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ فِي جَنْبِهِ فَجَلَسَ الْأَبُ وَالْأُمُّ وَالْأَبْنَاءُ فِي غُرْفَةٍ تُشَبِّهُ الْحِرْفَةَ فِي دِقَّتِهَا وَالْعِبَادَةَ فِي حُلُولِ الرِّقَّةِ عَلَيْهَا وَقَالَ الْأَبُ "نَفْتَحُ حِسَابَاتِنَا وَنُرَاجِعُ آخِرَ عَشْرِ صُورٍ نَشَرْنَاهَا وَنُطَبِّقُ الدَّلِيلَ عَلَيْهَا" فَتَعَاوَنُوا عَلَى النَّظَرِ وَالتَّفْقِيمِ وَالْإِسْتِبْدَالِ فَمَا وَافَقَ الْمِيزَانَ بَقِيٍّ وَمَا خَالَفَ أُخَرَ وَمَا أَحْتَاجَ إِلَى تَهْذِيبٍ هُدْبٍ وَمَا خِيفَ مِنْهُ أَنْفَلَاتُ التَّعْلِيقِ ضَبْطٌ وَأُغْلِقَ بَابُهُ عِنْدَ الْحَاجَةِ فَشَعَرُوا وَهُمْ يَعْمَلُونَ بِأَنَّ الْبَيْتَ قَدْ أُكْتَسِيَ سِتْرًا مَعْنَوِيًّا وَأَنَّ الْقَلْبَ قَدْ خَفَّ الْعَلْقُ عَنْهُ.

ثُمَّ قَامَ الْأَبُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَقَالَ وَنَفْسُهُ تَسْتَرِيحُ لِمَا صَنَعُوا "نُعَدِّلُ بَوَابَاتِ التَّعْلِيقِ فَنَجْعَلُهَا عَلَى قَدَرٍ وَنُغْلِقُهَا إِذَا غَلَبَ عَلَيْهَا مَنْ لَا يَرَعَى الْحُدُودَ وَنُبْقِيهَا لِمَنْ يَقُولُ حَسَنًا وَيَدْعُو خَيْرًا" فَأَقْتَرَبَ الْأَبْنُ وَقَالَ وَفِي صَوْتِهِ عَزَمٌ "أُغَيِّرُ الْوَضْعَ فِي الْحِسَابِ الَّذِي كَانَ يَكْثُرُ فِيهِ التَّعْلِيقُ وَأُغْلِقُهُ فِي الصُّورِ الَّتِي يَبْدُو فِيهَا الْخَوْفُ مِنْ لُغَةِ الْإِيحَاءِ" فَسَرَ الْبَيْتَ بِذَلِكَ وَعَلِمُوا أَنَّ الْمِيزَانَ قَدْ قَامَ فِي الْقُلُوبِ قَبْلَ الْأَرْرِ الْخَفِيَّةِ فِي الْأَجْهَرَةِ.

وَفِي الْغَدِ اجْتَمَعَ الصَّفُّ فِي رِوَاقِ الْمَسْجِدِ وَقَدْ حَمَلَ كُلُّ مَا تَيَسَّرَ مِنْ صُورٍ صَحَّحَهَا عَلَى الدَّلِيلِ فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَتَأَمَّلُ الْوُجُوهَ "كَيْفَ وَجَدْتُمْ أَثَرَ الدَّلِيلِ فِي قُلُوبِكُمْ" فَقَالَ الْفَتَى «مَرَّوَانُ» "أَحْسَسْتُ أَنَّ الصُّورَةَ صَارَتْ تَخْدِمُ

الْمَعْنَى وَلَا تَسْتَدْعِي النَّظَرَ إِلَى مَا لَا يَحْسُنُ" وَقَالَتْ «رَأْيِي» "شَعَرْتُ بِأَنَّ الْكَلِمَةَ تَحْتَ الصُّورَةِ صَارَتْ أَخْفَ وَأَقْرَبَ إِلَى الْأَدَبِ" وَقَالَ «حَسَّانُ» "إِنْ قَطَعْتَ عَنِّي التَّعْلِيلَاتُ الْمُوحِيَّةُ بَعْدَ أَنْ أَغْلَقْتُ بِأَبْهَا حَيْثُ يَلْزَمُ فَاسْتَرَاحَ الْقَلْبُ."

فَابْتَسَمَ الْإِمَامُ وَقَالَ وَهُوَ يَضَعُ الْخِتَامَ مِثَاقًا "إِنَّمَا نُرِيدُ أَنْ «تَخْتَفِيَ التَّعْلِيلَاتُ الْمُوحِيَّةُ وَالْمُحَرِّضَةُ تَمَامًا» فَإِذَا غَلَبَتْ رَحْمَةُ الْكَلِمَةِ وَسَكِينَةُ الذُّوقِ وَسِرُّ اللَّبَاسِ فَقَدْ بَلَغْنَا الْمَوْشَرَ الَّذِي نُرِيدُهُ وَإِذَا اسْتَقَامَتِ الزَّوَايَةُ عَلَى الْحَيَاءِ وَالضِّيَاءِ عَلَى الرَّفْقِ وَالْخَلْفِيَّةِ عَلَى الْوَقَارِ وَالتَّعْلِيلُ عَلَى السَّدَادِ فَقَدْ تَحَقَّقَتِ الْغَايَةُ."

ثُمَّ قَامَ فِي الرُّوَاقِ وَتَحْتَ اللَّوْحَةِ الْمُعَلَّقَةِ عَائِثُ الدُّرُوسِ السَّابِقَةِ فَقَالَ وَهُوَ يَضَعُ كَلِمَةً تُوقِظُ الْوَعْيَ وَتَسْنُدُ الْعَزَمَ "لَيْسَتْ الصُّورَةُ عَدُوًّا نُحَارِبُهُ وَلَكِنَّهَا ضَيْفٌ نُؤَدِّبُهُ فَإِذَا دَخَلَتْ عَلَى الْحَيَاءِ اسْتَأْنَسَتْ وَإِذَا دَخَلَتْ عَلَى الْهَوَى أَفْسَدَتْ فَاجْعَلُوا لَهَا بَابًا وَمِفْتَاحًا وَسُورًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ" ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْدُّعَاءِ "اللَّهُمَّ اكْسِنَا لِبَاسَ التَّقْوَى وَزَيْنًا بِحَيَاءِ الْقُلُوبِ وَأَجْرَ الصُّورِ فِي بُيُوتِنَا مَجْرَى الذِّكْرِ الطَّيِّبَةِ لَا مَجْرَى التَّعَرُّضِ وَالتَّلَصُّصِ."

وَعِنْدَمَا انْفَضُّوا اسْتَأْنَسَتْ الْقُلُوبُ بِمَعْنَى جَدِيدٍ لِلْجَمَالِ مَشْدُودٍ بِعَرَى الْحَيَاءِ فَصَارَتْ الصُّورَةُ فِي الْبَيْتِ تُقَالُ لَهَا "إِدْخُلِي عَلَى قَلْبٍ قَدْ غَضَّ بَصَرَهُ وَعَقَلَ زَاوِيَتَهُ وَزَيْنَ كَلِمَتِهِ" وَصَارَ النَّشْرُ فِي الدَّائِرَةِ الْخَاصَّةِ أَمَانًا وَفِي الْعَامِّ حِسَابًا

يُرَاجِعُهُ الْحَيَاءُ قَبْلَ الْإِرْسَالِ وَتَحْتَ كُلِّ صُورَةٍ كَلِمَةٌ تَشْهَدُ لِلْقَلْبِ قَبْلَ الْعَيْنِ وَعَلَى كُلِّ بَابٍ حَارِسٌ يَقُولُ "إِنْ كَانَ فِي الْقَوْلِ مَا يُوحِي أَوْ يُحَرِّضُ فَهَنَا يُقْطَعُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا يَهْدِي وَيُطَيِّبُ فَهَنَا يُفْتَحُ."

وَأَمْسَى اللَّيْلُ يَزُورِي لِلْجُدْرَانِ حِكَايَةَ بُيُوتٍ لَبِسَتْ «لِبَاسَ التَّقْوَى» وَقُلُوبٍ تَعَلَّمَتْ «غَضَّ الْبَصَرِ» وَأَبْصَارٍ تَأَذَّبَتْ حِينَ رَأَتْ الصُّورَةَ فَلَمْ تَسْتَطِعْ وَلَمْ تَسْتَخْفِ وَالسُّنَّ حَفِظَتْ «مِثَاقَ الْكَلِمَةِ» فَلَمْ تَقُلْ إِلَّا حَسَنًا فَخَفَّتِ التَّعْلِيقَاتُ الْمُوَحِيَّةُ وَالْمُحَرِّضَةُ حَتَّى اخْتَفَتْ وَتَحَقَّقَ الْمُؤَشِّرُ الَّذِي وُضِعَ فِي الصُّدُورِ وَسَارَ الشَّبَابُ إِلَى الْعَدِ وَفِي أَيْدِيهِمْ دَلِيلٌ مُبَسَّطٌ وَفِي قُلُوبِهِمْ مِيزَانٌ يُحْسِنُ الْأَخْتِيَارَ وَفِي أَبْصَارِهِمْ غَضٌّ يَقُولُ "هَذَا جَمَالٌ يَهْتَدِي وَهَذَا زِينَةٌ تَسْتَحْيِي" وَفِي بُيُوتِهِمْ سُتُورٌ مِنْ نُورٍ يَقُولُ "الْحِشْمَةُ تَعْدِلُ وَالذَّوْقُ يُجَمِّلُ وَالْكَلِمَةُ تُقَدِّسُ" فَيَحْيَا الصُّورَةُ عَلَى هُدًى وَيَبْقَى الْبَيْتُ عَامِرًا بِالْحَيَاءِ وَالسَّكِينَةِ وَالْمَعْنَى.

الدَّرْسُ السَّادِسُ: الْإِبْتِرَازُ

تَهَابَطَتْ سَكِينَةُ الْمَسَاءِ عَلَى رِوَاقِ الْمَسْجِدِ فَاسْتَرَاحَتْ الْقُلُوبُ مَعَ
سَكَنِ الضَّوئِ عَلَى الْأَعْمَدَةِ وَأَنْقَطَعَ ضَجِيجُ النَّهَارِ، وَاجْتَمَعَ الْفَتِيُّ وَمَعَهُمْ آبَاءُ
وَأُمَّهَاتُ وَمُعَلِّمَانِ وَالْإِمَامُ فِي أَوْسَطِ الرِّوَاقِ كَمَا يَجْتَمِعُ الْقَلْبُ عَلَى قِبْلَةِ
الْطُّمَانِينَةِ حِينَ يَحْتَاجُ إِلَى بَيَانٍ يَكْسِرُ الْخَوْفَ وَيُثَبِّتُ الْخَطُوبَ. رَفَعَ الْإِمَامُ كَفَّهُ
وَقَالَ بِصَوْتٍ يَمِزُجُ التَّطْيِيبَ بِالْحَزَمِ وَيَضَعُ لِلنَّفُوسِ مِيزَانًا يَهْدِي عِنْدَ الْمَحَنِ:
"الْيَوْمَ نَفَكُّ آيَاتِ الْإِبْتِرَازِ وَنُنَشِئُ «فَنَوَاتِ نَجْدَةٍ سَرِيعَةٍ» تَكْسِرُ سِلْسِلَةَ
الْخَوْفِ وَتَرْفَعُ الْأَذَى قَبْلَ أَنْ يَتِمَكَّنَ. قَاعِدَتُنَا الْمُحْكَمَةُ فِي هَذَا الْبَابِ: «لَا
تُفَاوِضَ مُنْفَرِدًا، وَلَا تُخْفِ سِرًّا، وَأَعْلِنْ لِلرَّاشِدِ». ثُمَّ تَلَا وَالنَّفُوسُ تُضْغِي إِلَى
الْهَدَى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة 2)،

وَقَرَأَ لِيَفْهَمَ الْحَاضِرُونَ فَصَلَ الشَّكْوَى مِنَ التَّشْهِيرِ:

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾

(النساء 148)،

ثُمَّ قَالَ وَفِي الْعَيْنِ نُورٌ تَشِيَّتْ: "هَذَا الْإِسْتِنَاءُ بَابٌ لِلْإِسْتِعَاةِ لَا لِلتَّشْهِيرِ، فَمَنْ ظَلِمَ شَكَا إِلَى الرَّاشِدِ وَالْجِهَةِ الْمُخْتَصَّةِ لِيُرْفَعَ الظُّلْمُ".

أَقْتَرَبَ أَلْفَتَى «نُضَالٌ» وَعَلَى وَجْهِهِ أَثَرُ أَرْتَجَافٍ يَتَّقِدُ فِي طَرَفِ الْعَيْنِ كَشْعَاعِ نَارٍ يَسْتَعِيثُ مِنْ سِتْرِ ثَقِيلٍ، وَصَمَّ كَفَّهُ عَلَى هَاتِفِهِ كَأَنَّهُ يَمْنَعُ عَنْهُ رِيحًا بَارِدَةً تَسْتَبِيحُ الطُّمَأْنِينَةَ. قَالَ وَحَلَقُهُ يَنْتَلِعُ غُصَّةً: "وَصَلَّتَنِي رِسَالَةٌ فِي اللَّيْلِ تَطْلُبُ مَا لَا وَتَهْدِدُنِي بِإِظْهَارِ مَا لَا أَحِبُّ إِظْهَارَهُ، وَزَادُوا فِيهَا كَلِمَاتٍ تُفْرِغُ أَلْقَلْبَ وَيَطْلُبُونَ رَدًّا سَرِيعًا. مَاذَا أَفْعَلُ". نَظَرَ الْإِمَامُ إِلَيْهِ بِلُطْفٍ يَحْمِلُ الْحَزَمَ وَقَالَ: "تَبَدُّا النَّجْدَةُ مِنْ قَلْبِكَ، فَقُلْ الْآنَ مَعَنَا: «لَا أَفَاوِضُ مُنْفَرِدًا، وَلَا أُخْفِي سِرًّا، وَأُعْلِنُ لِلرَّاشِدِ». " فَتَابَعَ أَلْفَتَى وَهُوَ يَتَنَفَّسُ: "لَا أَفَاوِضُ مُنْفَرِدًا، وَلَا أُخْفِي سِرًّا، وَأُعْلِنُ لِلرَّاشِدِ". فَقَالَ الْإِمَامُ: "الْآنَ نَبْنِي قَنَاةَ النَّجْدَةِ وَنُعَلِقُ أَبْوَابَ الْإِنْفِرَادِ وَالْخَوْفِ".

أَنْحَنَى الْحَلْقَةُ إِلَى أَمَامٍ كَانَتْهُمْ عَلَى مِحْرَابٍ يُصَلُّونَ، وَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يُقَرِّبُ أَلْمَعْنَى: "الْإِبْتِزَازُ يَقُومُ عَلَى ثَلَاثٍ: خَوْفٌ يَقِيدُ، وَعُزْلَةٌ تُضْعِفُ، وَتَنَازُلٌ يَسْتَدِيمُ الضَّرَرَ. وَنَحْنُ نَدْفَعُهُ بِثَلَاثٍ تُقَابِلُهَا: «النَّجْدَةُ» تُفَكُّ قَيْدَ الْخَوْفِ، وَ«الْأَسْتَرُ» يَحْفَظُ الْوُجُوهَ وَيَمْنَعُ التَّشْهِيرَ، وَ«الشُّورَى» تَكْسِرُ الْعُزْلَةَ وَتُقِيمُ قَرَارًا رَاشِدًا". ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُثَبِّتُ أَلْقُلُوبَ بِالْوَعْدِ الشَّرْعِيِّ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): «مَنْ سَتَرَ حَدِيثًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (حَدِيثٌ)، فَحْنُ نَسْتُرُ الْمُتَبَتَّلِي

وَنَكْشِفُ الْأَذَى لِلْمُخْتَصِّ رَحْمَةً وَحِفَاطًا لِلْحُدُودِ. " ثُمَّ قَالَ: "وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ: «أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» (حَدِيثٌ)، وَنُصْرَةُ الْمَظْلُومِ هُنَا أَنْ نَرْفَعَ
عَنْهُ الصَّرَرَ وَنَكْفُفَ يَدَ الظَّالِمِ."

هَمَسَ الْفَتَى «نُضَالٌ» وَعَيْنَاهُ تَلْمَعَانِ بِخَلِيطٍ مِنَ الرَّهْبَةِ وَالرَّجَاءِ: "هَلْ
أَقُولُ لِأَبِي الْآنَ مَعَ أَنِّي أَخَافُ أَنْ يَحْزَنَ." فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي صَوْتِهِ رِفْقٌ يَشْدُو
الْعَزَمَ: "تَقُولُ لَهُ الْآنَ فَالْحُزْنُ الَّذِي يَمْنَعُ الصَّرَرَ رَحْمَةً وَحِكْمَةً، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ
الشَّكْوَى سَبِيلًا لِرَفْعِ الْأَذَى لِمَنْ ظَلِمَ، فَقَالَ:

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾

(النساء 148).

تَقَدَّمَ الْأَبُ «صَفْوَانُ» وَفِي وَجْهِهِ سِمَةٌ رَفِيقَةٌ مُتَمَالِكَةٌ وَحَزَمٌ يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ
الْقَرَارُ، فَوَضَعَ كَفَّهُ عَلَى كَتِفِ ابْنِهِ وَقَالَ: "أَنْتَ فِي الْبَيْتِ، وَالْبَيْتُ حِصْنٌ لَا
يَدْخُلُهُ الْخَوْفُ وَحَدَهُ، قُلْ كُلُّ مَا عِنْدَكَ." فَقَالَ الْفَتَى: "أَرْسَلُوا إِلَيَّ رِسَالَةً تَذَكُرُ
مَا لَا أُحِبُّ، وَطَلَبُوا مَا لَا فَإِنْ لَمْ أَدْفَعْ نَشَرُوا." فَقَالَ الْإِمَامُ: "الْآنَ نَبْنِي خُطُوبَاتِ
النَّجْدَةِ، فَأَوَّلُهَا أَنْ تَقْطَعَ الْحَوَارِ مُنْفَرِدًا، فَلَا رَدٌّ وَلَا تَوْضِيحٌ وَلَا تَرْجٍ، وَإِنَّمَا جُمْلَةٌ
تَحْفَظُ الْحَقَّ وَتُثَبِّتُ اللَّجَأَ إِلَى الرَّاشِدِ: "لَقَدْ أَحَلَّتْ الْأَمْرَ إِلَيَّ وَلِيِّي وَالْجَهَةَ
الْمُخْتَصَّةَ." ثُمَّ تَغْلُقُ الرِّسَالَاتُ وَيَحْفَظُ كُلُّ بَيْتَةٍ."

أَنْتَقَلَ الْكَلَامُ مِنَ الْحَلَقَةِ إِلَى مَشْهَدٍ عَمَلِيٍّ فِي الرَّوَاقِ. أَحْضَرَ الْمُعَلِّمُ الدَّفْتَرَ الْعَتِيقَ وَقَالَ وَهُوَ يَخْطُ بِقَلَمٍ أَسْوَدَ فِي صَدْرِ الصَّفْحَةِ: "نَكْتُبُ الْيَوْمَ «صَحِيفَةَ قَنَوَاتِ النَّجْدَةِ» لِلْبَيْتِ وَالصَّفِّ وَالْحَيِّ". ثُمَّ جَلَسُوا حَوْلَ الصَّفْحَةِ كَمَا يَجْلِسُونَ عَلَى رُكْنٍ قِسْمَةٍ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْهَوَى، وَقَالَ الْإِمَامُ: "نُثِبْتُ لِكُلِّ بَيْتٍ «كَلِمَةٌ نَجْدَةٍ أُسْرِيَّةٌ» إِذَا قِيلَتْ عَرَفَ الْأَهْلُ أَنَّ الْأَمْتِحَانَ قَدْ حُلَّ وَأَنَّ أَلْعُونَ يُطَلَّبُ مِنْ فَوْرِهِ". فَقَالَ الْأَبُ: "نَخْتَارُ كَلِمَةً لَا تَجْرِي عَلَى الْأَلْسِنَةِ فِي الْعَادَةِ". فَقَالَتِ الْأُمُّ: "نَقُولُ إِذَا أَحْتِجْنَا «إِنْقَلَبَ السَّقَاءُ». فَأَبْتَسَمَ الْإِمَامُ وَقَالَ: "خَيْرٌ، فَهِيَ كَلِمَةٌ تَذُلُّ عَلَى الْعَاجِلِ وَلَا تُفْضِي إِلَى فَضِيحَةٍ". ثُمَّ قَالَ: "نُدْرِبُ الْآنَ عَلَى الْأَسْتِعْمَالِ". فَقَامَ أَلْفَتَى «نُضَالٌ» وَنَادَى فِي الْمَجْلِسِ وَهُوَ يُمَسِّكُ هَاتِفَهُ كَمَنْ يَرْفَعُ رَايَةَ الْإِسْتِغَاثَةِ: "إِنْقَلَبَ السَّقَاءُ". فَقَامَ الْأَبُ مِنْ فَوْرِهِ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى كَتِفِهِ، وَاقْتَرَبَ الْمُعَلِّمُ وَالْإِمَامُ، وَسَارَتِ الْمَشْيَةُ مَعًا كَأَنَّهَا جَيْشٌ رَفِيقٌ يَكْسِرُ أَلْوَحْدَةَ.

قَالَ الْإِمَامُ: "الْآنَ نَنْقُلُ الْأَمْرَ إِلَى الْخُطُوبَاتِ الْعَمَلِيَّةِ: نَحْفَظُ كُلَّ رِسَالَةٍ وَصُورَةٍ وَمَوْعِدٍ وَرَابِطٍ فِي مَكَانٍ مَحْفُوظٍ لَا يَطْلُعُ عَلَيْهِ إِلَّا الرَّاشِدُونَ، وَنُثِبَتْ أَلْهَاتِفٌ مِنْ غَيْرِ أَنْ نَمْسَحَ شَيْئًا، ثُمَّ نُبْلَغُ الْجِهَةَ الْمُخْتَصَّةَ فِي بَلَدِنَا مِمَّنْ وَكَّلَ بِمُكَافَحَةِ الْجَرَائِمِ الرَّقْمِيَّةِ، وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْأَدِلَّةَ، وَنُخْبِرُ الْمُرَبِّيَ فِي الْمَدْرَسَةِ لِيَحْفَظَ الْبَيْتَ التَّعْلِيمِيَّ، وَنَسْتَعِينُ بِالْإِمَامِ فِي الْمَسْجِدِ لِلدُّعَاءِ وَالتَّشْيِيتِ وَالْمُشُورَةِ". ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَحْضِرُ مِثَاقَ الْكَلِمَةِ: "لَا نَجْهَرُ بِالْقِصَّةِ فِي الْمَجَالِ

أَلْعَامَ فَنَفْتَحَ بَابَ التَّشْهِيرِ وَالْمُعَابَلَةِ، بَلْ نَقُولُ مِنْ حَقٍّ مَا يَكْفِي لِلرَّافِعِ وَالرَّاقِبِ، وَنَتَعَاوَنُ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة 2).

قَالَ الْأَبُ: "أَخَشَى أَنْ يُلَبَّسَ الْمُبْتَدِئُ عَلَيْنَا بِأَكْذُوبَةٍ أُخْرَى أَوْ يَزِيدَ فِي التَّهْدِيدِ". فَقَالَ الْإِمَامُ: "الْمُبْتَدِئُ يَعِيشُ عَلَى الْخَوْفِ وَالْإِنْفِرَادِ، فَإِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ فِي يَدِ الرَّاشِدِينَ وَالْمُخْتَصِّينَ انْقَطَعَ عَنْهُ مَصْدَرُ الْقُوَّةِ. وَنَذَكَّرُ الْقَلْبَ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» (حَدِيثٌ)، فَلَا نُعْطِيهِ مَا يُثَبِّتُ الضَّرَرَ وَلَا نَتَنَازَلُ حَتَّى لَا يَسْتَدِيمَ الْأَذَى". ثُمَّ قَالَ: "وَقَدْ قِيلَ فِي الْحِكْمَةِ النَّبَوِيَّةِ: «الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ» (حَدِيثٌ)، فَحَفِظْ مَا يُقَالُ فِي مَجْلِسِ الشُّورَى وَلَا تُدِيرْهُ فِي اللَّغَطِ".

سَارَ الْمَشْهُدُ كَأَنَّهُ سَرِيعَةٌ تَنْقُلُ الْقُلُوبَ مِنَ الْإِرْتِعَاشِ إِلَى الطَّمَانِينَةِ. جَلَسَ أَلْفَتَى وَإِلَى جَانِبِهِ أَبُوهُ وَالْإِمَامُ وَالْمُعَلِّمُ، وَفَتَحُوا أَلْهَاتِفَ فَحَفِظُوا الرِّسَائِلَ وَالتَّوَارِيخَ وَمَوَاضِعَ الْإِرْسَالِ وَوُجُوهَ الْأَصْدَارِ، ثُمَّ كَتَبُوا جُمْلَةً قَصِيرَةً تَكْسِرُ سُلْطَانَ الْإِنْفِرَادِ: "قَدْ أُحِيلَ الْأَمْرُ إِلَى وَلِيِّي وَالْجَهَةِ الْمُخْتَصَّةِ، وَسَيَجِيءُ الْجَوَابُ مِنْهُمَا". ثُمَّ أَغْلَقَ أَلْبَابَ لَا عَلَى الْحَقِّ بَلْ عَلَى الْإِسْتِدْرَاجِ، وَأَنْتَقَلُوا فِي صَبَاحِ الْعَدِّ إِلَى الْقِسْمِ الْمُخْتَصِّ فِي الْبَلَدِ يُقَدِّمُونَ أَلْبَيِّنَاتٍ وَيَطْلُبُونَ الرِّفْعَ وَالْجَمَاعَةَ. وَفِي طَرِيقِهِمْ قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يُثَبِّتُ النُّفُوسَ: "يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ"

(حَدِيثُ)، فَأَلْقَلْتُ إِذَا تَفَرَّدَ ضَعْفَ، وَإِذَا شَارَكَتْهُ يَدُ الرَّاشِدِينَ قَوِيَّ.

وَعِنْدَ الْعِشَاءِ عَادُوا إِلَى الْمَسْجِدِ، وَالْفَتَى يَمْشِي هَادِئًا كَانَ فَوْقَ كَتِفِهِ رُوحًا تَرَبَّتْ عَلَيْهِ. قَالَ لِلْمَجْلِسِ وَفِي صَوْتِهِ بَقَايَا رَهْبَةٍ قَدْ ذَابَتْ فِي الطُّمَأْنِينَةِ: "قِيلَ لَنَا فِي الْقِسْمِ الْمُخْتَصِّ إِنَّهُمْ سَيَتَابِعُونَ وَقَدْ نَصَحُونَا بِأَنْ لَا نَزِدَّ وَلَا نَدْفَعَ مَا لَا وَلَا نَمْسَحَ شَيْئًا، وَأَخَذُوا مِنَّا الْأَدْلَةَ." فَقَالَ الْإِمَامُ: "هَذَا هُوَ الطَّرِيقُ الْقَوِيمُ، وَنُتْمُهُ بِمِيزَانِ السَّتْرِ فَلَا نَسْتَرْسِلُ فِي الْحَدِيثِ عِنْدَ الْغُرَبَاءِ، وَبِمِثَاقِ الشُّورَى فَنَجِدُّ الْإِتِّفَاقَ أَنَّ كُلَّ امْتِحَانٍ يُرْفَعُ إِلَى الرَّاشِدِ وَيَدْخُلُ فِي قَنَاةِ النَّجْدَةِ."

قَالَتِ الْأُمُّ "أُرِيدُ لِبَيْنِنَا دَفْتَرًا نَكْتُبُ فِيهِ مَا نَفْعَلُ عِنْدَ الطَّارِئِ." فَقَالَ الْإِمَامُ: "الْأَدَبُ أَنْ نُثَبِتَ فِيهِ ثَلَاثَ جُمَلٍ مِفْتَاحِيَّةٍ نُزِدُّهَا حِينَ تُفْرَعُ الْأَبْوَابُ: "لَا أَفَاوِضُ مُنْفَرِدًا، وَلَا أُخْفِي سِرًّا، وَأُعْلِنُ لِلرَّاشِدِ." وَنَجْعَلُ فِيهِ أَرْقَامَ مَنْ نَلْجَأُ إِلَيْهِمْ مِنْ أَقَارِبِ رَاشِدِينَ وَمُرَبِّينَ وَمَنْ وَكَّلَ فِي بَلَدِنَا بِرَفْعِ الْأَذَى، وَنُثَبِتَ فِيهِ «كَلِمَةُ النَّجْدَةِ» لِكَيْ لَا تُنْسَى."

وَفِي لَيْلَةٍ تَالِيَةٍ تَعَاوَدَ الْخَطَرُ بِرِسَالَةٍ قَصِيرَةٍ، فَظَنَرَ الْفَتَى إِلَى هَاتِفِهِ ثُمَّ أَغْلَقَهُ وَقَالَ لِنَفْسِهِ: "قَدْ أَحَلَّتْ الْأَمْرُ إِلَى الرَّاشِدِ، وَلَا مِفَاوِضَةَ." ثُمَّ أَخْبَرَ أَبَاهُ، فَقَالَ الْأَبُ وَهُوَ يَرْفَعُ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ: "اللَّهُمَّ اكْفِنَا الشَّرَّ وَادْفَعِ الْأَذَى." ثُمَّ تَذَكَّرَ قَوْلَ النَّبِيِّ (ص): "الْدِّينُ النَّصِيحَةُ" (حَدِيثُ)، فَصَحَّ أَبْنَهُ بِحِلْمٍ وَقَالَ: "قَدْ أَحْسَنْتَ الْوُقُوفَ عِنْدَ الْقَاعِدَةِ."

وَمَضَتْ أَيَّامٌ قَلِيلٌ ثُمَّ جَاءَ الْبِشَارَةُ مِنَ الْجِهَةِ الْمُخْتَصَّةِ أَنَّ الْخَيْطَ قَدْ انْقَطَعَ وَأَنَّ التَّتَبُّعَ قَدْ انْتَجَ وَأَنَّ الْقَضِيَّةَ قَدْ أُغْلِقَتْ بِلَا خَسَائِرَ. دَخَلَ الْفَتَى إِلَى الْمَسْجِدِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَفِي أَلْوَجْهِ رُجُوعٌ نُورٍ غَابَ عَنْهُ يَوْمًا، فَقَالَ لِلْمَجْلِسِ وَعَلَى شَفَتِهِ ابْتِسَامَةٌ شُكْرٍ: "قَدْ زَالَ الْخَوْفُ وَرَجَعْتُ إِلَى الدَّرْسِ وَالرِّيَاضَةِ وَنَوْمِي قَدْ اسْتَقَامَ، وَشَعَرْتُ أَنَّ الْبَيْتَ وَالْمَسْجِدَ وَالْمَدْرَسَةَ قَدْ كَانُوا مَعِي." فَقَالَ الْإِمَامُ: "هَذَا هُوَ «الْمَوْشَرُّ» الَّذِي نَقَصِدُهُ: أَنْ تُغْلِقَ الْقَضِيَّةَ بِلَا خَسَائِرٍ وَأَنْ يَسْتَعِيدَ الْمُتَضَرَّرُ نَشَاطَهُ طَبِيعِيًّا."

ثُمَّ جَلَسُوا جَمِيعًا فِي نِصْفِ دَائِرَةٍ تُوَاجِهُ الْمِحْرَابَ، وَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَضَعُ فِي الصُّدُورِ حَارِسًا يَبْقَى: "الْإِبْتِرَازُ يَتَعَدَّى مِنْ خَوْفٍ وَحَدَانِيٍّ وَسِرٍّ مُسْتُورٍ وَمُفَاوَضَةٍ مُنْفَرِدَةٍ، فَإِذَا قُمْنَا عَلَى «مِيزَانِ النَّجْدَةِ» فَقُلْنَا لِلْقَلْبِ: لَا تَتَّبِقْ وَحَدَكَ، وَعَلَى «مِيزَانِ السُّرْرِ» فَقُلْنَا لِلْوَجْهِ: لَا تُفْضَحْ نَفْسَكَ وَلَا غَيْرَكَ، وَعَلَى «مِثَاقِ الشُّورَى» فَقُلْنَا لِلْعَقْلِ: لَا تَسْتَبِدَّ بِرَأْيٍ فِي مَوْطِنٍ خَطَرٍ، بَقِيَ الْبَيْتُ فِي حِصْنٍ وَسَلِمَ الطَّرِيقُ." ثُمَّ تَلَا وَالْقُلُوبُ تُؤْمِنُ عَلَى الْمَعْنَى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة 2)،

وَقَالَ: "وَمَعْنَاهُ الْقَرِيبُ هُنَا أَنَّ نُقِيمَ الْعَوْنِ الْعَاجِلَ لَا التَّفَاخُرَ وَالتَّنَادِي فِي السَّاحَاتِ."

اسْتَأْذَنَ أَلْفَتَى «نُضَالٌ» فِي كَلِمَةٍ قَبْلَ الْإِنْفِصَاضِ، فَقَالَ وَفِي صَوْتِهِ خَلِيطٌ مِنَ الْإِمْتِنَانِ وَالْعَزَمِ: "تَعَلَّمْتُ أَنَّ أَقُولَ حِينَ يَأْتِي الْخَطَرُ: "إِنْ قَلَبَ السَّقَاءُ"، فَيَقُومُ الْبَيْتُ مَعِي، وَأَنْ لَا أَفَاضَ مُنْفَرِدًا وَلَا أَخْفِي سِرًّا وَأَنْ أُعْلِنَ لِلرَّاشِدِ، وَأَنْ لَا أَسْتَحْيِيَ مِنَ الشَّكْوَى إِذَا كُنْتُ مَظْلُومًا، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ:

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾

(النساء 148).

فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَرْفَعُ كَفَّهُ: "اللَّهُمَّ أَحْفَظْ وُجُوهَ أَبْنَائِنَا وَبَنَاتِنَا، وَأَسْتُرْهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاجْعَلْ لَهُمْ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا." ثُمَّ قَالَ: "وَمَنْ نَصَرَ أَخَاهُ فِي الْحَقِّ نَصَرَهُ اللَّهُ، فَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ» (حَدِيثٌ)، وَ«نَصَرَ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» (حَدِيثٌ)، فَنَصَرُهُ بِأَنْ نَكُفَّ يَدَ الظُّلْمِ وَنَرْفَعَ الْأَذَى."

خَرَجُوا مِنَ الْمَسْجِدِ وَفِي الْقُلُوبِ دُرُوعٌ مِنْ ذِكْرِ وَاعْتِصَامٍ، وَعَلَى أَبْوَابِ الْبُيُوتِ مِفَاتِيحُ نَجْدَةٍ جَدِيدَةٍ تَفْتَحُ بِكَلِمَةٍ مَوْقُوتَةٍ وَتُعَلِّقُ بِرُشْدٍ وَحِكْمَةٍ. وَفِي الْعَدِ رَجَعَ أَلْفَتَى إِلَى دَرَسِهِ كَمَا كَانَ، يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ وَيَضْحَكُ ضِحْكَةً صَافِيَةً لَا يَسْتَظِلُّ فَوْقَهَا رَهْبٌ وَلَا يَتَسَلَّلُ إِلَيْهَا مُبْتَزٌّ. وَكَانَ كُلَّمَا رَأَى الْمِحْرَابَ تَذَكَّرَ الْقَوْلَ الْمُحْكَمَ وَقَرَأَ فِي قَلْبِهِ:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة 2)،

وَتَسْمَعُ رُوحُهُ فِي الْأَعْمَاقِ صَوْتًا يَقُولُ: "إِذَا اقْتَرَبَ الضَّرَرُ فَأَذْكُرْ: لَا مُفَاوَضَةَ مُنْفَرِدَةً، لَا سِرَّ مَكْنُونًا، إِعْلَانٌ لِلرَّاشِدِ". فَيَهْدَأُ وَيَمْضِي، وَتَبْقَى الْبُيُوتُ فِي حِصْنٍ، وَالسَّاحَاتُ تَتَعَلَّمُ أَنَّ لِلْكَلِمَةِ حُدُودًا، وَلِلظُّلَمِ نِهَآيَةً، وَلِلْقُلُوبِ مَلَاذًا إِذَا تَعَاوَنَتْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى.

الدَّرْسُ السَّابِعُ: التَّنَمُّرُ

تَهَابَطَتْ سَكِينَةُ الْمَسَاءِ عَلَى رِوَاقِ الْمَسْجِدِ فَانْطَوَى الصَّخَبُ
وَانْحَسَرَتْ خُطَى مُتَعَجِّلَةٍ عَنِ الْأَرْضِصْفَةِ وَسَكَتَ الْأَبْصَارُ عَلَى نُورٍ لَطِيفٍ يَنْسَابُ
بَيْنَ الْأَعْمِدَةِ كَأَنَّهُ رِيشُ نُورٍ يُدَارِي الْقُلُوبَ وَيَسْتَدْعِي إِلَيْهَا حِكْمَةً تُثَبِّتُ
وَتُهَذِّبُ. جَلَسَ الْإِمَامُ فِي الْوَسْطِ وَتَحَلَّقَ حَوْلَهُ فَتِيَةٌ وَفَتَيَاتٌ وَأَبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ
وَمُعَلِّمَانِ قَدْ بَدَتْ عَلَى أَلْوَجُوهِ سِمَاتُ التَّرَقُّبِ وَاسْتِعْدَادُ الصُّدُورِ لِمِيثَاقٍ يُقِيمُ
كِرَامَةَ الْإِنْسَانِ فِي السَّاحَاتِ الرَّقْمِيَّةِ وَيُرُدُّ عَنْهُ بَأْسَ التَّعَدِّيِّ وَهَمَزَ اللِّسَانِ وَلَمَزَ
الْعَيْنِ. رَفَعَ الْإِمَامُ كَفَّهُ فَانْتَظَمَ الْجُلُوسُ ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ يَجْمَعُ التَّطْيِيبَ وَالْحَزَمَ
وَيَضَعُ لِلنَّفُوسِ مِيزَانًا يَهْدِي عِنْدَ الْأَشْتِبَاهِ: "أَلْيَوْمَ نَعَالِجُ التَّنَمُّرَ الرَّقْمِيَّ بِأَن نُحَوِّلَ
الْمَوْقِفَ إِلَى حِمَايَةِ وَدَعْمٍ وَتَوْثِيقٍ. قَاعِدَتُنَا الْمُحْكَمَةُ: «وَتَّقْ ثُمَّ أَحْبُبْ ثُمَّ
أَخْبِرْ». ثُمَّ تَلَا وَالْقُلُوبُ تُصْغِي إِلَى الْهَدْيِ:

﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ (الْحُبْرَات 11)

وَتَلَا بَعْدَهَا كَلِمَةً تُقِيمُ حَدَّ اللِّسَانِ وَتَرْفَعُ كِرَامَةَ النَّفْسِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (الْهُمَزَةُ 1)

ثُمَّ قَالَ وَفِي عَيْنِهِ بَرِيقٌ تَشْيِيتٌ: "تَنْطِقُ الْآيَاتَانِ لِتَجْعَلَا لِكِرَامَةِ الْقَلْبِ سُورًا وَعَلَى لِسَانِ الْعَبْدِ حَارِسًا."

تَحَرَّكَ فِي الطَّرْفِ الْأَيْمَنِ مِنَ الْحَلَقَةِ فَتَى نَاحِلُ الْوَجْهِ كَأَنَّ عَلَى جَبِينِهِ ظِلًّا خَفِيًّا مِنْ لَيْلٍ طَالَ وَأَسْمُهُ «رِيَانٌ». تَقَدَّمَ خُطُوتَيْنِ وَقَالَ بِلِسَانٍ يَقْتُلُهُ مِنْ أَصْلِ الصَّدْرِ: "أَصْبَحْتُ أَرَى صُورَةً مُسَيِّئَةً لِي فِي مَجْمُوعَةٍ يَجْتَمِعُ فِيهَا بَعْضُ الزُّمَلَاءِ فَيُضَافُ إِلَيْهَا قَوْلٌ يَطْعَنُ فِي السِّمَةِ وَيَسْتَدْعِي ضَحْكًَا يَجْرَحُ الْقَلْبَ. كُنْتُ أَرُدُّ فَأَزْدَادُ وَجَعًا وَكُنْتُ أَصْمْتُ فَيَزِيدُ الْإِسْتِخْفَافُ. مَاذَا أَفْعَلُ." نَظَرَ الْإِمَامُ إِلَيْهِ بِلُطْفٍ يَحْمِلُ الْحِكْمَةَ ثُمَّ قَالَ: "نُحَوِّلُ الْإِنْفِعَالَ إِلَى خُطَّةٍ. نَقُولُ مَعَا الْآنَ حَتَّى تَثْبُتَ الْقَاعِدَةُ فِي الصَّدْرِ: «وَتَقَّ ثُمَّ أَحْبَبْتُ ثُمَّ أَخْبِرُ»." فَردَّدَ الْفَتَى وَالْمَجْلِسُ يَتَابِعُ كَانَهُمْ عَلَى ذِكْرِ: "وَتَقَّ ثُمَّ أَحْبَبْتُ ثُمَّ أَخْبِرُ."

قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَقْرُبُ الْمَعْنَى إِلَى الْقُلُوبِ: "التَّنَمُّرُ يَقُومُ عَلَى سُخْرِيَّةٍ تَجْرَحُ وَتَشْهِيرٍ يُؤْذِي وَعُزْلَةٍ تُضْعِفُ. وَنَحْنُ نَكْسِرُ هَذِهِ الْأَعْمَدَةَ بِثَلَاثِ ثُقَابِلِهَا: تَوْثِيقُ يَثْبُتِ الْحَقَّ وَيُعْلِقُ بَابَ الْمُرَاوَعَةِ وَحَجَبٌ يَكْفِي الْأَذَى وَيَقْطَعُ سَبِيلَ الْإِسْتِدْرَاجِ وَإِخْبَارٌ لِلرَّاشِدِ يُحَوِّلُ الْمَوْقِفَ إِلَى نَجْدَةٍ وَدَعْمٍ." ثُمَّ تَلَا كَلِمَةً تُصَحِّحُ مَسَارَ الْأَلْسُنِ وَالْعُيُونِ:

﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ (الْحُجُرَات 11)

وَقَالَ: "وَفِي الْمُسْلِمِ مِيزَانٌ لِللِّسَانِ يَرُدُّهُ عَنِ الْأَذَى. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» (حَدِيثٌ)، وَقَالَ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ» (حَدِيثٌ)، وَقَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (حَدِيثٌ)."

اِقْتَرَبَ الْفَتَى «رِيَانُ» وَفِي يَدِهِ جِهَازٌ قَدْ أَظْلَمَتْ شَاشَتُهُ قَرِيبًا وَقَالَ وَهُوَ يَتَنَفَّسُ كَمَنْ يُزِيحُ ثِقْلًا: "كَيْفَ أَبْدَأُ." فَقَالَ الْإِمَامُ وَنَبَرَتْهُ تُثْبِتُ الْخُطَى: "تَبْدَأُ بِالتَّوْبَةِ. تَخْرُجُ لِقَلْبِكَ مِنْ هَزِيهٍ مِفْتَاحَ الْعِلْمِ. تَأْخُذُ صُورَةً مِنَ الشَّاشَةِ لِكُلِّ قَوْلٍ مُؤَذٍّ وَكُلِّ صُورَةٍ مُسِيئَةٍ وَتُثْبِتُ التَّارِيخَ وَالْمَكَانَ وَالْقَائِلَ إِنْ ظَهَرَ وَتَضَعُ ذَلِكَ فِي مَلَفٍّ مَحْفُوظٍ لَا يَطْلُعُ عَلَيْهِ إِلَّا رَاشِدٌ مَأْمُونٌ. ثُمَّ تَنْتَقِلُ إِلَى الْحَجَبِ فَتَمْنَعُ بَابَ التَّعَدِّيِّ عَنْ قَلْبِكَ وَتَقْطَعُ سَبِيلَ الْمُسِيءِ إِلَى سَاحَتِكَ فَلَا يَبْقَى لَهُ نَظَرٌ عَلَيْكَ وَلَا قَوْلٌ يَصِلُ إِلَيْكَ. ثُمَّ تُخْبِرُ الرَّاشِدَ فِي الْبَيْتِ وَالْمَدْرَسَةِ وَتَرْفَعُ الْأَمْرَ إِلَى مَنْ وَكَّلَ فِي حِمَايَةِ الْحَرَمَاتِ الرَّقْمِيَّةِ إِنْ أَحْتِيجَ." ثُمَّ تَلَا فَوْقَ الرُّوَاقِ كَلِمَةً تُغْلِقُ سَبِيلَ التَّهَكُّمِ:

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ (الْهُمَزَةُ 1).

فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ نَظَرَتِ الْفَتَاةُ «رَابِيعَةُ» إِلَى الْفَتَى «رِيَانٍ» وَقَالَتْ وَصَوْنُهَا

يَحْمِلُ جُرْأَةَ الْحَقِّ وَرِقَّةَ الْإِخْوَةِ: "نَجْعَلُ لَكَ «حَلَقَةَ دَعْمٍ» مِنْ زُمَلَاءَ مَأْمُونِينَ يَقُومُونَ مَعَكَ فِي الظِّلِّ وَفِي النُّورِ. نَكُونُ عَيْنًا تَرْصُدُ الْأَذَى وَيَدًا تَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمُتَنَزِّلِينَ وَقَلْبًا يَقُولُ كُلَّمَا تَعَبْتَ: «لَا تَخَفْ. نَحْنُ مَعَكَ»." فَقَالَ الْإِمَامُ وَأَبْتَسَامَتُهُ تَشِي بِرِضَا: "هَذِهِ هِيَ «قُوَّةُ الْجَمَاعَةِ» الَّتِي تُقِيمُ «مِيزَانَ النَّجْدَةِ». قَدْ قِيلَ فِي الْحَدِيثِ: «يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ» (حَدِيثٌ)." .

تَنَافَذَتِ الْأَنْفَاسُ فِي الرِّوَاقِ كَأَنَّهَا مَدُّ يَرْفَعُ زَوْرَقًا بَعْدَ غَرَقٍ كَادَ يَقَعُ. قَامَ الْمُعَلِّمُ "أَبُو حَاتِمٍ" وَقَالَ وَفِي صَوْتِهِ حُسْنٌ تَدْبِيرٍ: "نَحُولُ الْكَلِمَةَ عَمَلًا. نُشْرِفُ عَلَى «حَلَقَةِ الدَّعْمِ» فَتَتَكَوَّنُ مِنْ خَمْسَةِ زُمَلَاءَ مَأْمُونِينَ يَرْفَعُونَ إِلَيَّ وَإِلَى الْإِمَامِ كُلَّمَا وَقَعَ أَذَى وَيَقْفُونَ فِي السَّاحَاتِ دُونَ ضَجِيجٍ فَيَرُدُّونَ الشَّخْرِيَّةَ بِغَضِّ النَّظَرِ وَسُرْعَةِ الْإِنْصِرَافِ وَيُثْبِتُونَ لِصَاحِبِهِمْ كَلِمَةً حَسَنَةً تَرْفَعُهُ." فَقَالَ الْإِمَامُ: "وَنُذَكِّرُ الْقُلُوبَ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ بِكَلِمَةِ اللَّهِ:

﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ (الْحُجُرَاتِ 11).

جَلَسُوا إِلَى الْحَائِطِ الَّذِي تُعَلَّقُ فِيهِ الصُّحُفُ الْمَسْجُودِيَّةُ وَكُتِبَ فِي صَدْرِ صَفْحَةٍ جَدِيدَةٍ بِخَطٍّ وَاضِحٍ «صَحِيفَةُ كَرَامَةِ الْكَلِمَةِ». كَتَبَ الْإِمَامُ جُمْلَةً تَسْكُنُ فِي الصَّدْرِ كَالْحَارِسِ: "الْكَرَامَةُ تَقِفُ عِنْدَ الْحُدُودِ وَالْكَلِمَةُ تُقَالُ حَقًّا أَوْ تُسَكَّتُ رَحْمَةً." ثُمَّ قَالَ: "نُصْنَعُ الْآنَ مَشْهَدًا يُثْبِتُ فِيهِ الدَّرْسُ." فَنَادَى "رِيَانُ" وَضَعَ الْهَاتِفَ فِي الْوَسْطِ ثُمَّ قَالَ: "هَذِهِ رِسَالَةٌ تَسْتَدْعِي ضَحِكًا بِعِبَارَةٍ مُوجِيزَةٍ."

فَقَالَ الْإِمَامُ: "نُجْرِي الْخُطَّةَ الْآنَ. وَثِقْ" فَأَخَذَ صُورَةً مِنَ الشَّاشَةِ وَأَثَبَتْ التَّارِيخَ. "أَحْجُبْ" فَحَجَبَ قَائِلَ الْأَذَى وَمَنَعَ نَظَرَهُ. "أَخْبِرْ" فَأَرْسَلَ إِلَى الْأَبِ وَالْمُعَلِّمِ وَإِلَيَّ جُمْلَةً مُوجِزَةً تُثَبِّتُ الْحَالَ.

قَالَتِ الْفَتَاةُ "هَنَاءُ" وَفِي عَيْنَيْهَا جِدٌّ يُعَلِّمُ الرَّفَقَ: "وَإِذَا دَعَا الْخَصْمُ إِلَى الْجِدَالِ". فَقَالَ الْإِمَامُ: "نَكْسِرُ حَلَقَةَ الْإِنْفِعَالِ بِسُرْعَةِ التَّوَجُّهِ إِلَى الرَّاشِدِ. لَا نَقَابِلُ هَمَزًا بِهِمْزٍ. نَسْتَحْضِرُ قَوْلَ اللَّهِ:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (الْهُمَزَةُ 1)

وَنَحْمِلُ اللَّسَانَ عَلَى الصَّمْتِ إِلَّا حَقًّا. وَنَسْتَبْدُ إِلَى الْحَدِيثِ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُتَّقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ» (حَدِيثٌ).

وَقَدْ بَدَأْتُ "حَلَقَةَ الدَّعَمِ" تَتَشَكَّلُ كَالْإِزَارِ يَلْتَفُّ عَلَى الْقَلْبِ يَحْفَظُهُ مِنْ بَرْدِ الْأَذَى. اجْتَمَعَ "زَيْدٌ" وَ"مَرْوَانُ" وَ"رَابِيعَةُ" وَ"هَنَاءُ" وَ"سَلْمَى" وَوَضَعُوا فِي الْقَلْبِ عَهْدًا يَقُولُ: "نُسَانِدُ صَاحِبِنَا إِذَا سَمِعْنَا هَمَزًا وَنُثَبِّتُ لَهُ الْكَلِمَةَ الْحَسَنَةَ وَنَصْرِفُ وَجُوهَنَا عَمَّنْ يَزِيدُ النَّارَ وَنَرْفَعُ الْأَمْرَ سَرِيعًا إِلَى الرَّاشِدِ". فَقَالَ الْإِمَامُ: "هَكَذَا يَقُومُ «مِيزَانُ النَّجْدَةِ» وَيَتَعَاضِدُ مَعَ «مِثَاقِ الْكَلِمَةِ» وَ«مِيزَانِ الْكِرَامَةِ»".

فِي اللَّيْلِ عَادَ "رِيَانُ" إِلَى بَيْتِهِ وَقَدْ حَمَلَ فِي صَدْرِهِ قَاعِدَةً تَهْدِي وَخُطَّةً تُقَوِّمُ. جَلَسَ إِلَى أَبِيهِ "حَازِمٍ" وَقَالَ وَعَيْنَاهُ تَبْحَثَانِ عَنْ سَنَدٍ: "تَعَرَّضْتُ لِسُخْرِيَّةٍ

وَهَمَزٌ وَصُورَةٌ مُسَيَّئَةٌ. " فَقَالَ الْأَبُّ وَهُوَ يَضَعُ كَفَّهُ عَلَى كَتِفِهِ رَفَقًا: "نُجْرِي
الْخُطَّةَ مَعًا. " ثُمَّ قَامَا فَجَمَعَا الْأَدِلَّةَ وَحَفِظَا الرِّسَائِلَ وَثَبَّتَا التَّوَارِيخَ وَأَخْبَرَا الْأُمَّ
"حِلْمَةً" فَقَالَتْ وَفِي صَوْتِهَا دُعَاءٌ يَنْسَابُ: "سَيَكْفِيكَ اللَّهُ. " ثُمَّ قَالَ الْأَبُّ:
"نَرْسُلُ غَدًا إِلَى الْمُرْشِدِ التَّرْبَوِيِّ فِي الْمَدْرَسَةِ وَنَسْتَعِينُ بِالْإِمَامِ فِي الْمَسْجِدِ دُعَاءً
وَمَشُورَةً."

فِي الصَّبَاحِ اجْتَمَعُوا فِي مَكْتَبِ الْمُرْشِدِ. قَدَّمَ "رِيَانُ" مَا جَمَعَ مِنْ بَيِّنَاتٍ
وَقَالَ وَفِي قَلْبِهِ سَكِينَةٌ مَنْ وَقَفَ عَلَى قَاعِدَةٍ: "هَا هِيَ الْأَدِلَّةُ قَدْ حُفِظَتْ. " فَقَالَ
الْمُرْشِدُ وَفِي صَوْتِهِ عَدْلٌ وَحِكْمَةٌ: "نَتَّخِذُ الْإِجْرَاءَ وَنَرْفَعُ إِلَى الْإِدَارَةِ وَنَحْفَظُ لَكَ
السِّتْرَ وَنُرَاقِبُ الْفَنَوَاتِ وَنَقِفُ عَلَى كُلِّ مَوْقِفٍ. لَا نُظْهِرُ الْقِصَّةَ فِي الْمَجَالِ
الْعَامِّ وَلَكِنَّنَا نَكْفُ الْأَذَى عَنْكَ وَنَرُدُّ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ. " فَقَالَ الْإِمَامُ: "هَذَا هُوَ
«مِيزَانُ الْكَرَامَةِ» يَقُومُ عَلَى السِّتْرِ وَالنَّجْدَةِ وَقَوْلِ الْحَقِّ فِي مَحَلِّهِ."

وَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ دَخَلَ زَمِيلٌ يَدْعَى "قِتَادَةً" قَدْ كَانَ فِي الْمَجْمُوعَةِ الَّتِي
تَدُورُ فِيهَا السُّخْرِيَّةُ فَقَالَ وَفِي صَوْتِهِ حَجَلٌ يَلْتَمِسُ غُفْرَانًا: "أَشْهَدُ أَنِّي شَارَكْتُ
فِي كَلِمَةٍ أَذَتْ وَأَنِّي تَعَلَّمْتُ الْآنَ مَا يَحْفَظُ الْكَرَامَةُ. " فَقَالَ الْمُرْشِدُ: "نَقِفْ عِنْدَ
الْعَدْلِ. تُصْلِحُ مَعَ الْإِدَارَةَ مَا فَسَدَ وَتُظْهِرُ الْعُذْرَ بِحَقٍّ وَتَكْفُ بِأَبِ الْكَلِمَةِ عَمَّا
يُؤْذِي. " ثُمَّ قَرَأَ الْإِمَامُ كَلِمَةَ اللَّهِ:

﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ (الْحُجُرَاتِ 11)

فَانْخَفَضَتْ النُّفُوسُ لِحُكْمِ الْآيَةِ وَسَكَنَتْ.

مَضَتْ أَيَّامٌ قَلَالٌ وَقَدْ عَمِلَتْ «حَلَقَةُ الدَّعَمِ» فِي صَمْتٍ يَحْمِلُ الْقُوَّةَ.
كُلَّمَا ظَهَرَ لَمَزٌ رَدُّهُ بِعُبُورٍ سَرِيعٍ لَا يَتَّقِي السُّخْرِيَّةَ سَوْفًا وَكُلَّمَا طَلَعَ هَمَزٌ قَابَلُوهُ
بِتَذْكِيرٍ يَقُولُ:

"وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ" (الْهُمَزَةُ 1)

فَيَنْكَفِي الْمُسِيءُ حِينَ يَرَى حَافَةَ الْحُدُودِ وَيَرَى جَمَاعَةً لَا تَسْتَدْرِجُهُ
إِلَى اللَّغْطِ. وَكَانَ "رِيَانُ" كُلَّمَا تَعَبَ اسْتَنَدَ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ (ص): «الْمُسْلِمُ مَنْ
سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» (حَدِيثٌ) فَيَسْتَقِيمُ لَهُ مِيزَانُ الْقَوْلِ وَيَرَى النَّفْسَ
تُصْلِحُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَنْجَرَّ إِلَى الرَّدِّ بِالْمِثْلِ.

وَعِنْدَ نِهَايَةِ الْأُسْبُوعِ، كَانَ الرِّسَالُ الْمُؤْذِي قَدْ انْقَطَعَ وَالصُّورُ الْمُسِيئَةُ
قَدْ زَالَتْ مِنْ مَجَالِ التَّدَاوُلِ وَقَدْ بَدَأَتْ "حَلَقَةُ الدَّعَمِ" تَضَعُ فِي الْقُلُوبِ طُمَأْنِينَةً
كَأَنَّهَا ثَوْبٌ مِنْ سَكِينَةٍ يَلَامِسُ الْأَكْتَافَ. دَخَلَ "رِيَانُ" الصَّفَّ فَارْتَفَعَتْ يَدُهُ
لِأَوَّلِ مَرَّةٍ بَعْدَ صَمْتٍ طَالَ فَقَالَ الْمُعَلِّمُ وَفِي صَوْتِهِ مَسْرَّةٌ تَشْهَدُ لِلْحَقِّ: "عَادَتْ
الْمُشَارَكَةُ الصَّفِيَّةُ". وَفِي الْمَسَاءِ قَالَ الْإِمَامُ فِي الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْحَلَقَةِ:
"هَذَا هُوَ الْمُؤَشِّرُ الَّذِي نَقَصِدُهُ. تَوَقَّفَ التَّنَمُّرُ فِي أُسْبُوعٍ وَعَادَ الدَّرْسُ يَسْتَقِيمُ
وَالْقَلْبُ يَشْهَدُ بِأَنَّ «وَتَقَى ثُمَّ أَحْبَبَ ثُمَّ أَخْبِرَ» قَدْ أَغْلَقَ أَبْوَابَ الْأَذَى."

ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَزُورُ الْقُلُوبَ بِقَوْلٍ يَجْمَعُ الْأُصُولَ فِي جُمْلَةٍ: "إِذَا قَامَ «مِيزَانُ الْكَرَامَةِ» حَفِظَ الْوَجْهَ وَأُطْفِئَ سُوقُ السُّخْرِيَةِ وَإِذَا أَسْتَقَامَ «مِيثَاقُ الْكَلِمَةِ» صَلَحَتِ الْأَلْسُنُ وَانْقَطَعَتْ عَصِيُّ الْهَمَزِ وَإِذَا تَفَعَّلَ «مِيزَانُ النَّجْدَةِ» زَالَتِ الْعَزْلَةُ وَقَامَتِ الْقُوَّةُ فِي جَمَاعَةٍ تَعْقِلُ وَتَرْحَمُ." ثُمَّ تَلَا مِرَارًا كَلِمَةَ اللَّهِ لِتَسْكُنَ فِي الصُّدُورِ كَالْحَارِسِ:

﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ (الْحُجُرَاتِ 11)

ثُمَّ قَالَ: "وَمَنْ خَافَ عَلَى لِسَانِهِ فَلْيُكْثِرْ مِنْ دُعَاءِ الْقَلْبِ وَلْيَسْتَظِلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ (ص): «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ» (حَدِيثٌ)."

وَفِي خِتَامِ الْمَجْلِسِ نَهَضَ "رِيَانُ" وَقَالَ وَفِي صَوْتِهِ أَمْتِنَانُ وَعَزْمٌ: "تَعَلَّمْتُ أَنَّ أُطْفِئَ النَّارَ بِالْمَاءِ لَا بِالنَّارِ. وَتَقْتُ "الْأَذَى فَلَمْ يَبْقَ لِلْإِنْكَارِ سَبِيلٌ" وَ"حَجَبْتُ" الْمُنْزَلِقِينَ فَقَطَّعْتُ عَنْهُمْ سَبِيلَ السُّتْدِرَاجِ وَ"أَخْبَرْتُ" الرَّاشِدَ فَتَحَوَّلَ الْمَوْقِفُ إِلَى حِمَايَةِ وَدْعٍ." فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَرْفَعُ كَفَّهُ: "اللَّهُمَّ احْفَظْ وَجُوهَنَا وَالسِّنَتَنَا وَأَبْصَارَنَا وَاجْعَلْ كَرَامَتَنَا سُورًا يَحُولُ دُونَ الْهَمَزِ وَاللَّمَزِ. وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَتَعَاوَنُونَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (الْمَائِدَةِ 2).

ثُمَّ أَنْصَرَفُوا وَفِي الْقُلُوبِ مِيثَاقٌ يُرَدِّدُ كُلَّمَا هَمَّتْ يَدٌ أَنْ تَكْتُبَ أَوْ عَيْنٌ أَنْ تَنْظُرَ: "إِنْ كَانَ فِيهِ سُخْرِيَّةٌ فَهُوَ حَرَامٌ عَلَى الْقَلْبِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ هِمَّةٌ فِيهَا نَرْتَقِي."

وَبَعْدَ أَيَّامٍ أَتَى "رِيَانُ" الْمَسْجِدَ قَبْلَ الْمَغْرِبِ يَحْمِلُ فِي عَيْنِهِ سَكِينَةً جَدِيدَةً وَفِي شَفْتِهِ بَشَارَةً. قَالَ لِلْمَجْلِسِ: "زَالَ الْأَذَى وَعَادَ الدَّرْسُ يَحْتَضِنُنِي وَرَأَيْتُنِي أَمْشِي فِي الْمَمَرِّ وَرَأْسِي مَرْفُوعٌ. قَدْ أَرْسَلْنَا الْأَدِلَّةَ إِلَى الْمُرْشِدِ وَحُفِظَ الْحَدُّ فَلَا سُخْرِيَّةَ وَلَا تَشْهِيرَ." فَابْتَسَمَ الْإِمَامُ وَقَالَ: "هَذِهِ ثَمَرَةُ مِيزَانِ الْكِرَامَةِ وَمِيثَاقِ الْكَلِمَةِ وَمِيزَانِ النَّجْدَةِ. لَا تَرْجِعُوا إِلَى الْإِنْفَعَالِ وَأَنْتَبِهُوا عَلَى الْقَاعِدَةِ."

وَأَمْسَى اللَّيْلُ يَحْكِي لِلْجُدْرَانِ حِكَايَةَ دَرْسٍ أَنْتَقَلَ مِنْ كَلِمَةٍ إِلَى عَمَلٍ وَمِنْ أَلَمٍ إِلَى عِزَّةٍ وَمِنْ عُزْلَةٍ إِلَى جَمَاعَةٍ تَنْصُرُ الْحَقَّ وَتَكْفُفُ الْأَذَى. وَفِي الْقُلُوبِ صَوْتٌ يُرَدِّدُ كُلَّمَا طَلَعَتْ شَمْسُ نَهَارٍ جَدِيدٍ:

"لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ ﴿الْحُجُرَاتُ 11﴾

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ (الْهُمَزَةُ 1)

فَمَنْ عَقَلَ الْحَدَّ سَلِمَ وَمَنْ تَعَاوَنَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى رَفَعَ اللَّهُ قَدْرَهُ

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (الْمَائِدَةُ 2)."

بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِشْعَارِ - تَكْوِينُ الْجِيلِ الرَّاشِدِ

وَتَمْضِي الْحَيَاةِ وَفِي الْبُيُوتِ وَالصُّفُوفِ قَاعِدَةٌ مُحْكَمَةٌ تُرَدِّدُهَا الْأَلْسُنُ
وَتَحْرِسُهَا الْقُلُوبُ: "وَتَقَّ ثُمَّ أَحْجَبَ ثُمَّ أَخْبَرَ."

الدَّرْسُ الثَّامِنُ: التَّحَدِّيَّاتُ الْخَطِرَةُ

تَهَابَطَتْ سَكِينَةُ الْمَسَاءِ عَلَى رِوَاقِ الْمَسْجِدِ فَانْقَطَعَ صَجِيحُ الْحَيَاةِ
عَنِ الْأَرْضِيفَةِ وَأَنْسَدَلَ الثُّورُ فِي الصُّفُوفِ أَشْبَاهَ نَهَرٍ رَقِيقٍ يَجْرِي بَيْنَ الْأَعْمَدَةِ
وَيَسْقِي الْقُلُوبَ هُدُوءًا يُمَهِّدُ لِكَلِمَةٍ مَسْئُولَةٍ وَمِثَاقٍ يُقِيمُ حُدُودَ الْحِفْظِ وَالرُّشْدِ.
جَلَسَ الْإِمَامُ فِي أَلْوَسَطِ وَتَحَلَّقَ حَوْلَهُ فَتِيَّةٌ وَفَتَيَاتٌ وَأَبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ وَمُعَلِّمَانِ وَعَلَى
الْوُجُوهِ أَثَرُ السُّؤَالِ الَّذِي يُرِيدُ مِيزَانًا يَفْصِلُ بَيْنَ اللَّهِوِ الْمُبَاحِ وَبَيْنَ الْإِسْتِعْرَاضِ
الْخَطِرِ الَّذِي يَقْتَاتُ عَلَى إِذَاءِ النَّفْسِ وَالْغَيْرِ. رَفَعَ الْإِمَامُ كَفَّهُ وَقَالَ بِصَوْتٍ
يَجْمَعُ التَّلَطُّيْبَ وَالْحَزَمَ وَيَضَعُ فِي الصُّدُورِ قَاعِدَةً تَقُومُ عَلَيْهَا الدُّرُوبُ: "الْيَوْمَ
نُعَرِّفُ أَنْوَاعَ «التَّحَدِّيَّاتِ الْخَطِرَةِ» وَنَرْفُضُ ثَقَافَةَ الْإِسْتِعْرَاضِ الَّتِي تَسْتَدْعِي النَّظَرَ
وَتُخَاطِرُ بِالنَّفُوسِ. قَاعِدَتُنَا الْمُحْكَمَةُ الْيَوْمَ: «لَا تُجَرِّبَ مَا يُهْدِدُ النَّفْسَ». ثُمَّ تَلَا
وَالْقُلُوبُ تُصْغِي إِلَى الْهُدَى أَلْبِينِ:

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة 195)

وَقَالَ بَعْدَهَا وَهُوَ يُثَبِّتُ حُرْمَةَ الْحَيَاةِ فِي الصُّدُورِ:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (النساء 29).

ثُمَّ قَالَ وَفِي نَبْرَتِهِ نُصْحٌ يَقُودُ إِلَى الْحَذَرِ وَالْعَمَلِ: "يَضَعُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَاتَيْنِ الْأَيْتَيْنِ سُورَيْنِ يَحْرُسَانِ النَّفْسَ مِنْ هَوًى يَسْتَدْرِجُ وَمِنْ أَسْتِعْرَاضٍ يَسْتَهِينُ".

اِفْتَرَبَ أَلْفَتَى «صَبْرِي» وَفِي عَيْنَيْهِ خَلِيطٌ مِنْ حُشْرُجَةِ التَّرَدُّدِ وَسُؤَالِ الْإِسْتِبانَةِ فَقَالَ وَهُوَ يَضُمُّ جَهَازَهُ إِلَى صَدْرِهِ كَمَنْ يَحْتَرِسُ مِنْ رِيحٍ بَارِدَةٍ: "تَرَى الْعُيُونُ فِي السَّاحَاتِ الرَّقْمِيَّةِ أَنْمَاطًا مِنَ التَّحَدِّيَّاتِ يَتَدَاوَلُهَا الرَّفَاقُ وَيُكْثِرُونَ فِيهَا كَلِمَاتِ الْإِسْتِثَارَةِ وَالْإِعْجَابِ وَيَدْعُونَ إِلَيْهَا بِمَا يَبْدُو مُغَامَرَةً وَيُخْفِي خَطَرًا. يَقُولُونَ "جَرَّبَ لِمَرَّةً" وَيَكْتُبُونَ أَعْدَادَ الْإِعْجَابَاتِ كَأَنَّهَا شَهَادَةُ نَجَاةٍ. كَيْفَ نَقِفُ". فَظَنَرَ الْإِمَامُ إِلَيْهِ نَظْرَةً أَبَّ رَحِيمٍ وَقَالَ وَفِي صَوْتِهِ عَزْمٌ يَحْمِلُ رَفَقًا: "نُقِيمُ لِقُلُوبِنَا «مِيزَانَ حِفْظِ النَّفْسِ» وَ«مِيزَانَ الْمَالِ» وَ«مِيزَانَ الْوَقْتِ». فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَيَحْرُسُ حَيَاتَكَ مِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ تَهْلِكُكِهِ وَأَمَّا الثَّانِي فَيَسْأَلُ عَنْ عَوَاقِبِ الْفِعْلِ قَبْلَ الْإِقْدَامِ وَأَمَّا الثَّلَاثُ فَيَقِيمُ الزَّمْنَ عَلَى قَدَرِهِ فَلَا تُبْذَرُ سَاعَاتُ فِي مُطَارَدَةِ الْإِعْجَابِ وَتَقَرُّ الْأَرْقَامِ". ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُثَبِّتُ الْقَاعِدَةَ فِي الصُّدُورِ: "قُولُوا مَعِيَ الْآنَ وَاجْعَلُوهَا عُقْدَةً فِي الْقَلْبِ: «لَا تُجَرَّبْ مَا يُهْدِدُ النَّفْسَ»". فَرَدَّدَ الْمَجْلِسُ "لَا تُجَرَّبْ مَا يُهْدِدُ النَّفْسَ".

قَالَ أَلْفَتَى «مَرْوَانُ» وَفِي صَوْتِهِ جِدٌّ يَمَزْجُهُ حُرْقَةُ التَّجَرِبَةِ: "تَرَى الْعُيُونُ

تَحَدِّيَاتٍ تَسْتَدْعِي التَّلَفَّتَ وَتَتَوَارَى خَلْفَ الْأَغْطِيَةِ شُبْهَةً سُخْرِيَّةً بِالْحَيَاةِ فَهَذَا
يَطْلُبُ وَقْفًا عَلَى حَافَةِ سَطْحٍ وَذَاكَ يُشْعِلُ مَادَّةً تُحْرِقُ الْجِلْدَ وَتِلْكَ تَحْتُّ عَلَى
تَضْيِيقِ النَّفْسِ حَتَّى يَغِيْبَ الْوَعْيُ وَهُنَاكَ مَنْ يَدْفَعُ إِلَى سُرْعَةِ مُهْلَكَةٍ فِي
الطَّرْقِ. " فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَرْفَعُ الْحَدَّ الشَّرْعِيَّ عَلَى بَابِ الْقُلُوبِ: "يَقُولُ اللَّهُ
تَعَالَى

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة 195)

فَيَدْخُلُ فِي النَّهْيِ كُلُّ سُلُوكٍ يُغَالِبُ سِلْمَ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ وَيَعْتَمِدُ عَلَى
الْإِسْتِثَارَةِ وَخِلَافِ الرُّشْدِ وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (النساء 29)

فَيَقِفُ الْمُؤْمِنُ عِنْدَ الْحُدُودِ وَلَا يَجْعَلُ الْإِعْجَابَ وَالْإِشْتِهَارَ سُلْمًا إِلَى
الْخَطَرِ. " ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَحْضِرُ حِكْمَةَ نَبَوِيَّةِ تَقْيِيمِ الْعَزَمِ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص):
«لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» (حَدِيثٌ) فَلَا نُوقِعُ ضَرَرًا بِنَفْسِنَا وَلَا نَرْضَى لغيرِنَا مَا نَكْرَهُ."
وَقَالَ: "«أَحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَأَسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ»" (حَدِيثٌ).

رَفَعَتِ الْفَتَاةُ «رَأْيِيَّةً» يَدَهَا وَفِي عَيْنِهَا إِقْدَامٌ مُتَعَلِّمَةٌ تُرِيدُ قَاعِدَةً تَنْزِلُ مِنْ
الْقَوْلِ إِلَى الْعَمَلِ فَقَالَتْ: "كَيْفَ نَحْدُودُ الْفَارِقَ بَيْنَ تَدْرِيبِ رِيَاضِيٍّ مُنْضَبِطٍ
وَتَحَدٍّ خَطِرٍ يَسْتَدْعِي الْعُيُونَ وَيُغْفِلُ الْعَوَاقِبَ." فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَضَعُ فِي الصَّدْرِ

«مِفْتَاحًا لِلْفَرْقِ» يَدُورُ عَلَى الْقَصْدِ وَالْحُدُودِ وَالْمَالِ: "إِذَا قُمْتَ بِتَدْرِيبِ مَشْرُوعٍ قَامَ مَعَهُ مُدَرِّبٌ مَأْمُونٌ وَمَكَانٌ مُهَيَّأٌ وَقَاعِدَةٌ سَلَامَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَمَقْصِدٌ صَحِيحٌ وَزَمَنٌ مَحْدُودٌ، وَإِذَا قُمْتَ بِتَحَدٍّ خَطِرٍ رَأَيْتَ الْحَاثَّ يَدْعُو إِلَى الْإِسْتِعْرَاضِ وَيَتَسَلَّلُ بِأَعْدَادِ الْأَعْجَابِ وَيُغْفِلُ أَدْنَى ضَوَابِطِ الْحِفْظِ وَيَدْعُو إِلَى الْمُخَاطَرَةِ وَالْمُغَالَبَةِ الْفَارِغَةِ". ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَدْعِي شَاهِدًا مِنْ حِكْمَةِ الزَّمَنِ: "قَالَ (ص): «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» (حَدِيثٌ) فَلَا نُبَادِلُ صِحَّةً وَفَرَاغًا بِسُلْطَانِ اللَّحْظَةِ الْخَدُوعَةِ."

هَنَا قَالَ أَلْفَتِي «نُضَالٌ» وَفِي فُؤَادِهِ ذِكْرُ صَدِيقٍ كَادَ يَهْوِي: "كَادَ صَدِيقٌ لَنَا يَقَعُ فِي تَحَدٍّ يَدْعُو إِلَى الْقَفْرِ فِي مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ لِأَجْلِ الْأَعْجَابِ كَثِيرٍ. كَيْفَ نَرُدُّهُ؟" فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي صَوْتِهِ قُوَّةُ جَمَاعَةٍ تَنْصُرُ وَتَرْحَمُ: "نَنْقُلُ الْمَوْقِفَ مِنْ الْإِثَارَةِ إِلَى الْحِفَاطِ. نَقُولُ لَهُ بِحِلْمٍ وَحَزْمٍ:

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة 195)

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (النساء 29)

فَالْحَيَاةُ أَمَانَةٌ لَيْسَتْ مَسْرَحًا لِتَجَارِبِ الْخَطَرِ. "ثُمَّ نَسْتَدْعِي «مِيزَانَ الْمَالِ» فَتَرُسُّ مَعَهُ صُورَةُ الْعَوَاقِبِ فَإِنْ رَأَى الْقَلْبُ خَطَرًا قَرُبَ الْإِمْتِنَاعُ وَإِنْ رَأَى حَسَنًا قَامَ عَلَى ضَوَابِطِهِ". وَقَالَ: "«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ

يَسْتَطِيعُ فِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِيعْ فِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ" (حَدِيثٌ) فَنَسَعَى فِي الدَّفْعِ بِقَدْرِ الْوُسْعِ وَنَسْتَعِينُ بِالرَّاشِدِينَ.

اِنْتَقَلَ الْمَجْلِسُ إِلَى «مَشْهَدِ عَمَلِيٍّ» يُثَبِّتُ الدَّرْسَ فِي الصُّدُورِ. قَامَ الْمُعَلِّمُ "أَبُو حَاتِمٍ" وَأَحْضَرَ لَوْحًا خَشَبِيًّا وَقَالَ وَهُوَ يَخْطُ فِي صَدْرِهِ بِنَسِيَابٍ ظَاهِرٍ: "نَكْتُبُ الْآنَ «قَائِمَةَ رَفُضٍ» مُعَلَّلَةً لِلتَّحَدِّيَّاتِ الْخَطِرَةِ، لَا نُسَمِّي فِيهَا أَشْخَاصًا وَلَا نَفْتَحُ بَابَ تَشْهِيرٍ، بَلْ نُثَبِّتُ الْعِلَّةَ الَّتِي تَجْعَلُ الْفِعْلَ مَرْفُوضًا." فَأَخَذَ الْقَوْمُ يُمْلُونَ وَالْإِمَامُ يُصَوِّبُ عَلَى قَاعِدَةٍ «لَا تُجَرِّبُ مَا يُهْدِدُ النَّفْسَ»، فَكَانَ كُلَّمَا ذُكِرَ تَحَدٍّ قِيلَتِ الْعِلَّةُ الْمَانِعَةُ مِنْهُ: "يُعَرِّضُ النَّفْسَ لِلْإِخْتِنَاقِ، يُوقِعُ الْجِلْدَ فِي الْإِحْتِرَاقِ، يَسْتَنْدِعِي وَفَقًا فِي مَوْضِعٍ مُتَهَالِكٍ، يَحْتُ عَلَى سُرْعَةٍ تُفْقِدُ التَّحَكُّمَ." وَمَعَ كُلِّ سَبَبٍ كَانَ الْإِمَامُ يَرْفَعُ الشَّاهِدَ الشَّرْعِيَّ حَتَّى تَبْقَى الْقَائِمَةُ مَوْثُوقَةً الْأَصْلِ:

"وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴿البقرة 195﴾

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (النساء 29).

ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُثَبِّتُ الْعَقْدَ فِي الْقُلُوبِ: "نُعَلِّقُ هَذِهِ «الْقَائِمَةَ» فِي بُيُوتِنَا وَصُفُوفِنَا وَنَجْعَلُهَا مِثَاقًا يَحْرُسُ الْأَبْنَاءَ وَالْأَبْنَاتِ."

تَقَدَّمَ الْأَبُ «صَفْوَانُ» وَقَالَ وَفِي نَبْرَتِهِ سَكِينَةٌ وَالِدٍ يَحْمِلُ الْفِكْرَ

وَالْحَرَصَ: "بَرَى الْبَيْتُ أَحْيَانًا رُسُومًا مُغْرِيَةً تُدَاوِلُهَا الْأَصْدِرَةُ فِي سَاحَاتٍ خَاصَّةٍ وَيُحَسُّ الْفَتَى بَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَدْخُلْ تَأَخَّرَ. كَيْفَ نُحَسِّنُ الْوَقْفَ." فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَرْبُطُ «مِيزَانَ الْوَقْتِ» بِقَلْبِ الْغَايَةِ: "يَقُومُ الْفَارِقُ عَلَى الْقَصْدِ وَالزَّمَنِ. إِذَا كَانَ الْقَصْدُ تَعَلُّمًا مُنْضَبِطًا قَامَ لَهُ وَقْتُ مَعْرُوفٍ وَمَوْقِعٌ مَأْمُونٌ وَإِشْرَافٌ، وَإِذَا كَانَ الْقَصْدُ الْإِسْتِعْرَاضَ وَجَذَبَ الْأَعْيُنَ فَلَا بُدَّ مِنْ وَقْفٍ وَأَنْصِرَافٍ، فَالزَّمَنُ عُمُرٌ لَا يُسْتَرَدُّ، وَإِشْغَالُهُ بِمَا يَصُرُّ خُسْرَانٌ مُرَكَّبٌ." ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَدْعِي شَاهِدًا يُقْوِي الْعَزْمَ: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ" ثُمَّ قَالَ: "أَحْرَصَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ" (حَدِيثٌ) فَجَعَلَ الزَّمَنَ فِي مَا يَنْفَعُ وَلَا يُبَادِلُهُ فِي الْإِسْتِعْرَاضِ.

ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يُحَوِّلُ الْكَلِمَةَ إِلَى إِجْرَاءٍ يُتَابِعُهُ الْبَيْتُ وَالصَّفُّ: "نَجْعَلُ «وَأَجِبًا» يَخْتَبِرُ الصَّدَقَ فِي الْعَزْمِ. كُلَّمَا رُصِدَ «تَحَدَّ خَطِرٌ» فِي دَائِرَتِنَا نُبَلِّغُ «الْمَدْرَسَةَ» مُبَكِّرًا فَنَضَعُ الْأَمْرَ فِي يَدِ الرَّاشِدِينَ قَبْلَ أَنْ يَسْتَفْجَلَ وَنُخْبِرُ الْمُعَلِّمَ وَالْمُرْشِدَ وَنُشِيرُ إِلَى الْعِلَّةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالْخَطَرِ الصَّحِّيِّ دُونَ تَشْهِيرٍ." ثُمَّ قَالَ وَفِي صَوْتِهِ نَبْرَةٌ قِيَادَةٍ تَحْرُسُ: "نُقِيمُ فِي الصَّفِّ «حَلَقَةَ نَصَحٍ» تَرَاقِبُ بَعْينِ الْأَدَبِ وَتُبَلِّغُ بِسُرْعَةٍ وَتَسْتَدْعِي الرَّاشِدِينَ إِذَا لَزِمَ الْأَمْرُ."

هَذَا أَرْفَعَتْ يَدَ الْفَتَاةِ «هَنَاءُ» وَفِي صَوْتِهَا رِقَّةٌ تُخَالِطُهَا قُوَّةُ الْحَقِّ فَقَالَتْ: "تَجْتَذِبُنِي أَحْيَانًا أَعْدَادُ الْأَعْجَابِ وَتَزِيدُنِي التَّعْلِيقَاتُ حِيرَةً فَأَكْتُبُ ثُمَّ

أَمْحُو. كَيْفَ أَضْبَطُ النَّفْسَ." فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يُثَبِّتُ «مِيثَاقَ الْكَلِمَةِ» فِي الصَّدْرِ: "تَجْعَلِينَ لِقَلْبِكَ حَارِسًا يَسْأَلُ قَبْلَ الْكِتَابَةِ: هَلْ فِي هَذَا مَنَفَعَةٌ صَادِقَةٌ أَمْ اسْتِعْرَاضٌ يُثِيرُ وَيَسْتَدْعِي. فَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ فَلْيَكُنْ عَلَى قَدَرٍ وَأَدَبٍ وَإِنْ كَانَ الثَّانِي فَاَمْنَعِيهِ وَأَسْتَعِيدِي بِاللَّهِ وَتَذَكَّرِي أَنَّ الْأَعْجَابَاتِ لَا تُنْقِذُ نَفْسًا وَلَا تَرْفَعُ قَدْرًا." ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَحْضِرُ كَلِمَةَ نَبَوِيَّةِ تَرْبِيِّ الْقَصْدِ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ" (حَدِيثٌ).

وَعِنْدَ آخِرِ الْمَجْلِسِ قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَرْفَعُ لَوْحَةً صَغِيرَةً لِيَكْتُبَ فِيهَا جُمْلَةً تَبْقَى عَلَى بَابِ الْقَدَمِ قَبْلَ الْخُطُوبَةِ: "نَتَعَاهَدُ أَنْ نُرَدَّ كُلُّ «نَحْدٍ خَطِرٍ» بِثَلَاثِ تَقُومٍ عَلَى الْمِيزَانِ: نُفَكِّرُ فِي «حِفْظِ النَّفْسِ» فَنَرْفُضُ، وَنَنْظُرُ فِي «الْمَالِ» فَتَقْيِسُ غُبَارَ الْعَاقِبَةِ قَبْلَ أَنْ نَمْشِيَ، وَنُحَافِظُ عَلَى «الْوَقْتِ» فَلَا نُبَدِّدُهُ فِي الْإِسْتِعْرَاضِ." ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَدْعُو لِلنُّفُوسِ بِمَا يُثَبِّتُهَا: "اللَّهُمَّ احْفَظْ أَبْنَاءَنَا وَبَنَاتِنَا وَارْزُقْهُمْ الرُّشْدَ وَالْحِلْمَ وَالْعَافِيَةَ."

وَفِي اللَّيْلِ عَادَ الْقَوْمُ إِلَى بُيُوتِهِمْ فَجَمَعَ الْأَبُ وَالْأُمُّ وَالْأَبْنَاءُ فِي عُرْفَةٍ هَادِيَةٍ مَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ وَوَضَعُوا «قَائِمَةَ الرَّفُضِ» عَلَى الْمَكْتَبِ كَأَنَّهَا مِثَالٌ يُقِيمُ الْحُدُودَ. قَالَ الْأَبُ وَهُوَ يَفْتَحُ حِسَابَ الْبَيْتِ: "نُرَاجِعُ الْآنَ مَا يَرِدُ مِنْ رُسُومٍ وَدَعَوَاتٍ فَإِذَا دَخَلَ مَا لَا يَلِيقُ أَغْلَقْنَا الْبَابَ وَأَخْبَرْنَا الْمُرْشِدَ فِي الْمَدْرَسَةِ مِنْ مُبَكَّرٍ." فَقَالَتِ الْأُمُّ وَفِي صَوْتِهَا حَنَانٌ يَحْمِلُ الْحَزَمَ: "نَضْعُ كَلِمَةً مُوَحَّدَةً

فِي أَلْبَيْتٍ إِذَا قِيلَتْ عَرَفَ الْأَبْنَاءُ أَنَّ الْخَطَرَ قَدْ قَرُبَ فَتَقُومُ التَّجَدُّةُ مِنْ فَوْرِهَا. " فَقَالَ الْجَمِيعُ جُمْلَةً تَشْتَدُّ بِهَا الْعَزَائِمُ: "لَا تُجَرِّبْ مَا يُهْدِّدُ النَّفْسَ. " وَقَالَ الْأَبُ: "وَإِذَا رَأَيْنَا رَصْدًا مُبَكِّرًا فِي الْأَصْفِ بَلَّغْنَا مِنْ سَاعَتِنَا وَنَذْكُرُ الْعِلَّةَ الَّتِي تَجْعَلُ التَّحَدِّيَ مَرْفُوضًا. "

وَفِي الصَّبَاحِ التَّقَى الْمُعَلِّمُ "أَبُو حَاتِمٍ" بِالطَّلَابِ وَقَدْ جَلَسُوا حَلَقَةً تَشْبِهُ إِقَامَةَ صَلَاحٍ فِي الْقُلُوبِ. قَالَ وَهُوَ يَضَعُ دَفْتَرًا لِلْمُرَاقَبَةِ الرَّاشِدَةِ: "كُلُّ رَصْدٍ مُبَكِّرٍ لِتَحَدُّ خَطَرٍ يَرُدُّ إِلَيَّ فَارْفَعُهُ إِلَى الْإِدَارَةِ وَأُخْبِرِ الْأُسْرَةَ وَأَسْتَدْعِي الْإِمَامَ إِذَا احتِيجَ إِلَى كَلِمَةٍ تُثَبِّتُ. " ثُمَّ قَالَ وَفِي الْعَيْنِ بَرِيقُ عَزَمٍ: "لَا نُشِيعُ وَلَا نُسَمِّي وَلَا نَشْغَلُ الْمَجَالَ بِالتَّفَاصِيلِ، بَلْ نَدْفَعُ الْأَذَى وَنُقِيمُ حُدُودَ الْأَدَبِ. "

وَمَضَتْ أَيَّامٌ قَلِيلٌ ثُمَّ رُصِدَ فِي الْحَيِّ دَعْوَةٌ خَفِيَّةٌ إِلَى «تَحَدٍّ» يَسْتَدْعِي إِذَى فِي النَّفْسِ. جَاءَ الرَّسَالُ إِلَى الْفَتَى «صَبْرِي» فَنَظَرَ إِلَى الْجُمْلَةِ ثُمَّ أَطْفَأَ الْجِهَازَ وَقَالَ لِنَفْسِهِ: "قَدْ عَقَدْنَا الْقَاعِدَةَ. لَا تُجَرِّبْ مَا يُهْدِّدُ النَّفْسَ. " ثُمَّ أَخْبَرَ أَبَاهُ وَمُعَلِّمَهُ فِي الصَّبَاحِ وَقَدَّمَ مَا رَأَى مِنْ رُؤُوسِ الْإِشْتِبَاهِ دُونَ تَشْهِيرٍ. رَفَعَ الْمُعَلِّمُ الْأَمْرَ إِلَى الْإِدَارَةِ بِسُرْعَةٍ وَوَضِعَتْ كَلِمَةُ تَوْعِيَةٍ فِي الْأَصْفِ تَحْمِلُ شَاهِدَيْنِ يُقِيمَانِ الْحَدَّ فِي الصُّدُورِ:

"﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة 195)

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (النساء 29).

ثُمَّ قَالَ الْمَعْلَمُ وَهُوَ يُثَبِّتُ الْعَزَمَ: "مَنْ رَأَى دَعْوَةً تُهْدِدُ النَّفْسَ فَلْيَبْلِغْ مُبَكَّرًا."

وَعِنْدَ انْقِضَاءِ الْأُسْبُوعِ رَجَعَ الْقَوْمُ إِلَى رِوَاقِ الْمَسْجِدِ وَعَلَى الْوُجُوهِ طُمَأْنِينَةٌ مَنِ عَقَدَ الْقَاعِدَةَ وَأَجْرَاهَا. قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَنْظُرُ فِي الْحَلْقَةِ كَمَنْ يَسْتَقْرِئُ الْقُلُوبَ: "هَلْ سَجَلَتْ مُشَارَكَةٌ فِي تَحَدٍّ خَطِرٍ." فَقَالَ الْمَعْلَمُ وَفِي صَوْتِهِ بَشَارَةٌ: "لَمْ تُسَجَلْ مُشَارَكَةٌ وَقَدْ رُدَّتْ دَعْوَةُ مُبَكَّرَةٍ بِتَبْلِيغٍ وَرَشَادٍ." فَابْتَسَمَ الْإِمَامُ وَقَالَ وَهُوَ يَضَعُ خِتَامًا يُشَبِّهُ خَاتِمًا عَلَى صُحُفِ الْقُلُوبِ: "هَذَا هُوَ «الْمُؤَشِّرُ» الَّذِي نَقَصَدُهُ: أَنْ لَا تُسَجَلَ مُشَارَكَةٌ فِي تَحَدٍّ خَطِرٍ وَأَنْ تَتَعَقَدَ فِي الْقُلُوبِ قَاعِدَةٌ «لَا تُجَرَّبُ مَا يَهْدِدُ النَّفْسَ»." ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَجْمَعُ الْأُصُولَ فِي جُمْلَةٍ: "إِذَا قَامَ «مِيزَانُ حِفْظِ النَّفْسِ» سَكَتَتِ الزَّبِيغَةُ وَإِذَا اسْتَقَامَ «مِيزَانُ الْمَالِ» رَأَى الْعَقْلُ آخِرَ الطَّرِيقِ قَبْلَ أَوَّلِهِ وَإِذَا تَفَعَّلَ «مِيزَانُ الْوَقْتِ» عَرَفَتِ الْأَعْيُنُ قِيَمَةَ السَّاعَةِ فَلَمْ تُبْذَرْ فِي الْإِسْتِعْرَاضِ." ثُمَّ تَلَا مَرَّةً أُخْرَى الشَّاهِدَ الْمُحْكَمَ لِيَنْقَى صَوْتًا يُنَادِي عِنْدَ الْإِعْرَاءِ:

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة 195)

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (النساء 29).

وَخَرَجُوا مِنَ الْمَسْجِدِ وَفِي الْقُلُوبِ مِيثَاقٌ يَقُولُ كُلَّمَا لَمَعَتْ دَعْوَةٌ أَوْ رَنَّ جِهَازٌ: "لَا تُجَرَّبْ مَا يُهْدِدُ النَّفْسَ". وَمَعَ كُلِّ خُطْوَةٍ كَانَتْ تَتَرَاءَى فِي الذِّهْنِ لَوْحَةٌ «قَائِمَةُ الرَّفْضِ» وَتَسْمَعُ الرُّوحُ صَدَى حِكْمَةٍ نَبَوِيَّةٍ تَرْفَعُ الْهَمَّةَ: "«لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»" (حَدِيثٌ) وَ"«أَحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ»" (حَدِيثٌ) فَيَقُومُ الشَّبَابُ عَلَى الرُّشْدِ وَيَنْصَرِفُونَ عَنِ الْإِسْتِعْرَاضِ وَيَسْتَعْرِضُونَ بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ مَا يَنْفَعُ وَيَبْقَى فِي الْحَيَاةِ أَثَرًا حَسَنًا. وَكَانَ كُلَّمَا أَطَلَّتْ دَعْوَةٌ خَفِيَّةٌ قَالَتْ الْقُلُوبُ قَبْلَ الْأَلْسُنِ:

"﴿وَلَا تُقْتُلُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة 195)

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (النساء 29)"

فَتَعْلِقُ الْأَبَابَ عَلَى الْإِغْرَاءِ وَتَفْتَحُهُ عَلَى الرُّشْدِ، وَتَمْضِي الْحَيَاةَ فِي الْبُيُوتِ وَالْصُّفُوفِ عَلَى قَاعِدَةٍ مُحْكَمَةٍ وَقَلْبٍ يَحْرُسُ وَبَصِيرَةٍ تَنْظُرُ إِلَى الْمَالِ قَبْلَ الْفِعْلِ.

الدَّرْسُ التَّاسِعُ: الْأَلْعَابُ وَالشِّرَاءُ

تَهَابَطَتْ سَكِينَةُ الْمَسَاءِ عَلَى رِوَاقِ الْمَسْجِدِ فَأَنْقَطَعَتْ خُطَى مُتَعَجِّلَةً
عَنِ الْأَرْضِصْفَةِ وَسَكَنَتْ الْأَبْصَارُ عَلَى نُورٍ لَطِيفٍ يَنْسَابُ بَيْنَ الْأَعْمِدَةِ كَنْهَرٍ رَقِيقٍ
يُسْقِي الْقُلُوبَ طُمَآنِينَةً تُهَيِّئُ لِلْعَهْدِ وَالرُّشْدِ. جَلَسَ الْإِمَامُ فِي الْوَسْطِ وَتَحَلَّقَ
حَوْلَهُ فِتْيَةٌ وَفَتَيَاتٌ وَأَبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ وَمُعَلِّمَانِ وَفِي الْوُجُوهِ سُؤَالٌ يَطْلُبُ مِيزَانًا يُقِيمُ
حُدُودَ اللَّهِوِ وَالْإِنْفَاقِ وَيَحْفَظُ الْقُدْرَةَ عَلَى الْإِنْتِفَاعِ دُونَ الْأَنْزِلَاقِ فِي إِسْرَافٍ أَوْ
التَّبَاسِ يُشَابِهُ الْمَيْسِرَ. رَفَعَ الْإِمَامُ كَفَّهُ وَقَالَ بِصَوْتٍ يَجْمَعُ التَّطْيِيبَ وَالْحَزَمَ
وَيَضَعُ لِلنَّفُوسِ قَاعِدَةً تَهْدِي وَتَحْمِي: "الْيَوْمَ نُقِيمُ «مِيزَانَ الْوَقْتِ» وَ«مِيزَانَ
الْمَالِ» وَ«مِيزَانَ الْمَنْفَعَةِ» فِي سَاحَةِ الْأَلْعَابِ وَالشِّرَاءِ. نُرَاقِبُ زَمَنَ اللَّعِبِ
وَنَفْصِلُ «مِيزَانِيَّةَ صَغِيرَةٍ وَاضِحَةٍ» لِلشِّرَاءِ، وَنَحْمِي الْقُلُوبَ مِنْ إِدْمَانٍ مُسْتَدْرِجٍ
وَمِنْ صُنْدُوقِ عَشَوَائِي يُشَابِهُ الْمَيْسِرَ وَمِنْ الْأَسْتِزَافِ الْمَالِيَّ." ثُمَّ تَلَا وَالْقُلُوبُ
تُضْغِي إِلَى الْهَدْيِ:

﴿وَلَا تُبَدِّرْ تَبْدِيرًا﴾ (الإسراء 26)

وَأَتَّبَعَهَا بِمِيزَانٍ يُشَدِّدُ الْحَدَّ عَلَى مَصَارِفِ الْأَمْوَالِ

﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ (الإسراء 27)

وَقَرَأَ شَاهِدًا يَكْشِفُ شُبْهَةَ اللَّعِبِ الَّذِي يَسْتَدْرِجُ وَيَسْتَغْلُ حُبَّ الْفُوزِ

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ
وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ (البقرة 219)

ثُمَّ قَالَ وَفِي عَيْنِهِ بَرِيقُ تَشْيِيتٍ: "تُقِيمُ هَذِهِ آيَاتُ سُورَةٍ لِلْقَلْبِ يَمْنَعُ
الْهَوَى وَيُقَدِّمُ الْمَنْفَعَةَ الصَّادِقَةَ عَلَى اللَّذَّةِ الْعَابِرَةِ."

اقْتَرَبَ الْفَتَى «رِيَانُ» وَفِي وَجْهِهِ خَلِيطٌ مِنَ الْحَيَاءِ وَرَغْبَةٌ الْأَسْتِيبَانَةِ وَقَالَ
وَهُوَ يَمْسَحُ شَاشَةَ جِهَازِهِ كَمَنْ يَسْتَخْرِجُ حِكْمَةً مِنْ مَوْضِعِ الْفِتْنَةِ: "تَكَثَّرُ
الْأَلْعَابُ الَّتِي تَدْعُونَا إِلَى شِرَاءِ صَغِيرٍ هَهُنَا وَفَتْحِ «صُنْدُوقٍ» هُنَاكَ يَقُولُونَ فِيهِ
«مَفَاجِئَاتٌ» وَتُغْرِينَا الرُّسُومَ وَأَعْدَادُ الْأَعْجَابِ وَتَعْلُو بَعْضُ التَّعْلِيقَاتِ تَحْتُ عَلَى
التَّجَرِبَةِ. أَخْشَى أَنْ أَسْتَدْرِجَ فِي الْأِنْفَاقِ وَأَنْ يَضِيعَ الزَّمَنُ." فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي
صَوْتِهِ رِفْقٌ يَشْدُو الْعَزَمَ: "نَبْنِي لِهَذَا أَبَا يُقْفَلُ وَمِفْتَاحًا لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا رَاشِدٌ. نَجْعَلُ
«كَلِمَةَ سِرٍّ» لِلشِّرَاءِ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا الْأَبُ أَوْ الْأُمُّ، فَلَا يَقَعُ شِرَاءٌ إِلَّا بِعِلْمٍ وَمُوَافَقَةٍ
وَعَلَى «مِيزَانِيَّةٍ صَغِيرَةٍ مُحَدَّدَةٍ» تُكْتَبُ فِي صَحِيفَةِ الْبَيْتِ. وَنُقِيمُ مَعَ ذَلِكَ قَاعِدَةً
تُنَظِّمُ الزَّمَنَ: «عِشْرُونَ دَقِيقَةً تَعْلَمَانِ قَبْلَ عِشْرِينَ دَقِيقَةً لِعَبٍّ»، فَيَسْتَقِيمُ «مِيزَانُ
الْوَقْتِ» وَتَقُومُ «مَنْفَعَةُ الْعِلْمِ» قَبْلَ لَذَّةِ اللَّهْوِ." ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَخْضِرُ شَاهِدًا يُقِيمُ

أَلْقَدَرُ لِلصَّحَّةِ وَالزَّمَنِ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» (حَدِيثٌ)، فَلَا نُبَدِّدُ الْفَرَاغَ فِي مَا لَا يَزِيدُنَا نَفْعًا وَلَا نُهْدِرُ الصَّحَّةَ فِي سَهَرٍ وَتَوْتُرٍ".

هَمَسَ أَلْفَتَى «نُضَالٌ» وَفِي عَيْنِهِ ظِلٌّ مِنْ قَلَقٍ يَلْتَمِسُ سَنَدًا: "أَرَى فِي بَعْضِ الْأَلْعَابِ «صَنَادِيقَ عَشَوَائِيَّةٍ» تُشَبِّهُ حَظًّا يُقَابِلُ نُقُودًا يُطْلَبُ مِنَّا أَنْ نَدْفَعَهَا لِنُقُوزَ بِشَيْءٍ نَادِرٍ. أَتَخَوَّفُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا شَبْهًا بِالْمَيْسِرِ". فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَرْفَعُ الْحَدَّ وَيُبَيِّنُ الْفَصْلَ: "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ (البقرة 219)،

فَإِذَا قَامَ فَعَلٌ عَلَى تَغْلِيْقِ الْقَلْبِ بِحَظٍّ مَجْهُولٍ وَدَفْعِ نَقْدٍ لِفُرْصَةٍ مُتَغَيِّرَةٍ يُشَابِهُ الْمَيْسِرَ فَلَا يَلِيْقُ أَنْ نَقْرُبَهُ. وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ

﴿وَلَا تُبَدِّرْ تَبْدِيرًا﴾ (الإسراء 26)،

فَإِنَّ دَفْعًا مُتَكَرِّرًا لِمَا لَا يُحْصَلُ مَنْفَعَةٌ مُحَقَّقَةٌ «تَبْدِيرٌ» يَقَعُ تَحْتَ الزَّجْرِ". ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَدْعِي شَاهِدًا يُرْتَّبُ السُّؤَالُ يَوْمَ الْحِسَابِ: "لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ أَكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ» (حَدِيثٌ)، فَيَقُومُ «مِيزَانُ الْمَالِ»

و«مِيزَانُ الْوَقْتِ» عَلَى التَّفَكُّرِ وَالْمَسْئُولِيَّةِ.

قَالَتِ الْفَتَاةُ «رَأْيِيَّةٌ» وَفِي صَوْتِهَا جِدٌّ يَحْمِلُ رِقَّةَ الْإِخْوَةِ: "أُرِيدُ أَنْ أَلْعَبَ مَعَ رَفِيقَاتِي وَأَنْ لَا أَفْقِدَ الْمُشَارَكَةَ وَمَعَ ذَلِكَ أَخْشَى أَنْ يَجْرِيَ الزَّمَنُ وَيَنْفَتِقَ الْحِفْظُ". فَقَالَ الْإِمَامُ وَنَبَرَتْهُ تَزَنٌ وَتُرَشَّدُ: "نَضَعُ لِلْقَلْبِ «مُوقَّتًا رَحِيمًا» لَا يَسْمَحُ بِالتَّجَاوُزِ. تُقِيمِينَ زَمَنَ «عِشْرِينَ دَقِيقَةً تَعَلُّمًا» قَبْلَ «عِشْرِينَ دَقِيقَةً لَعِبًا»، فَإِذَا اسْتَوْفَيْتِ «مَنْفَعَةَ التَّعَلُّمِ» وَقُمْتِ بِحِفْظِ أَوْ قِرَاءَةِ أَوْ تَدْرِيبِ مُفِيدٍ سَمَحْنَا لِلَّهِوِ الْمُنْضَبِطِ بِمِقْدَارِهِ. وَإِنْ تَأَخَّرَ «وَاجِبٌ» تَأَخَّرَ «اللَّعِبُ» وَهَذَا هُوَ «مِيزَانُ الْوَقْتِ» يَقُومُ عَلَى قَدْرِ الْمَنْفَعَةِ." ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُقَرِّبُ الْمَعْنَى: "قَدْ قَالَ النَّبِيُّ (ص): «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ» (حَدِيثٌ)، فَتَطْلُبُ قُوَّةً فِي عِلْمٍ وَأَدَبٍ وَنَضْبِطٍ أَلْهَوِيَّ."

تَقَدَّمَ الْأَبُ «صَفْوَانٌ» وَفِي وَجْهِهِ حَزْمٌ وَالِدٍ يَحْمِلُ الْحِفْظَ وَقَالَ: "أُرِيدُ لِبَيْتِنَا «مِثَاقًا» يُفْعَلُ بَابَ الشَّرَاءِ الْوَدِيِّ الْمُسْتَدْرِجِ وَيَجْعَلُ كَلِمَةَ السَّرِّ عِنْدَ الرَّاشِدِ وَيُحَدِّدُ «مِيزَانِيَّةً صَغِيرَةً» مُسْتَقِلَّةً لِلْأَلْعَابِ لَا تَتَعَدَّى، وَإِذَا نَفَدَ الْقَدْرُ انْقَطَعَ الشَّرَاءُ حَتَّى شَهْرٍ آخَرَ." فَقَالَ الْإِمَامُ: "هَذَا هُوَ الصَّوَابُ. نَكْتُبُ «صَحِيفَةً ضَبْطٍ» فِيهَا أَصُولٌ ثَلَاثَةٌ تَجْرِي عَلَى أَلْبَيْتِ وَالصَّفِّ وَالْقَلْبِ: «وَقْتُ مَعْرُوفٍ»، «مَالٌ مَحْسُوبٌ»، «مَنْفَعَةٌ مُتَحَقِّقَةٌ». ثُمَّ تَلَا كَلِمَةً تَرْفَعُ الرُّجَرَ فِي مَصَارِفِ الْأَمَالِ:

﴿وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدُّيرًا﴾ (الإسراء 26)،

وَاتَّبَعَهَا بِمِيزَانٍ لِلْمُعَادَلَةِ يَقُولُ:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ
وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ (البقرة 219)،

ثُمَّ قَالَ: "فَإِذَا غَلَبَ الضَّرَرُ الْمُنَافِعَ انْقَطَعْنَا."

انْتَقَلَ الْمَجْلِسُ إِلَى «مَشْهَدٍ عَمَلِيٍّ» يَشُدُّ الْقَلْبَ إِلَى الْإِجْرَاءِ. أَحْضَرَ
الْمُعَلِّمُ «أَبُو حَاتِمٍ» دَفْتَرًا عَتِيقًا وَقَالَ وَهُوَ يَخْطُ فِي صَدْرِ الصَّفْحَةِ: "نَكْتُبُ الْآنَ
«مِيثَاقَ اللَّعِبِ وَالشَّرَاءِ»". فَاقْتَرَبَ الْأَبُ وَالْأُمُّ وَالْفَتِيَّةُ وَفِي الصَّوْتِ نَفْسُ الْجِدِّ.
قَالَ الْإِمَامُ: "نُثِبْتُ أَوَّلًا «قِفْلَ الشَّرَاءِ» بِ«كَلِمَةِ سِرٍّ» عِنْدَ الرَّاشِدِ، فَلَا يَقَعُ شِرَاءٌ
إِلَّا بِحُضُورٍ وَمُوَافَقَةٍ. ثُمَّ نُقِيمُ «مِيزَانِيَّةً صَغِيرَةً» لِلشَّهْرِ تُكْتُبُ بِالْقَلَمِ وَتُعْلَقُ فِي
مَوْضِعٍ بَيْنٍ، فَإِذَا بَلَغَ الْإِنْفَاقُ حَدَّهُ انْقَطَعَ الطَّلَبُ وَأَنْصَرَفَ الْقَلْبُ إِلَى مَنْفَعَةٍ
أُخْرَى. وَنُثِبْتُ قَاعِدَةُ الزَّمَنِ: "عِشْرُونَ دَقِيقَةً تَعْلَمُا قَبْلَ عِشْرِينَ دَقِيقَةً لَعِبًا"
فَيَعْرِفُ الْوَقْتُ مَكَانَهُ. "ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُثَبِّتُ فِي الصُّدُورِ أَمَانَةَ النَّفَقَةِ: "«الْيَدُ الْعُلْيَا
خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى» (حَدِيثٌ)، فَنجْعَلُ الْإِنْفَاقَ فِي مَا يَرْفَعُ وَلَا نَسْأَلُ اللَّعِبَ
أَنْ يُمَوَّلَ لَنَا سَعَادَةً زَائِفَةً. "وَقَالَ: "«كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ»
(حَدِيثٌ)، فَلَا نُضَيِّعُ مَا لَا يَحْتَاجُهُ الْبَيْتُ فِي مَا لَا يَنْفَعُ."

تَحَرَّكَتْ «رَابِئَةُ» إِلَى الْوَسْطِ وَقَالَتْ بِحِذْقٍ يَسْتَجْلِي مَوَاطِنَ الْخَلَلِ:
 "تَظْهَرُ أَحْيَانًا رُسُومٌ لِدَعْرُوسٍ مُؤَقَّتَةٍ" تَطْلُبُ الشَّرَاءَ قَبْلَ انْقِضَاءِ الزَّمَنِ وَتَعْدُ بِ«قُوَّةٍ
 إِضَافِيَّةٍ» فِي اللَّعِبِ وَيَقُولُ الْقَائِلُ إِنَّهَا «فُرْصَةٌ لَا تُضَيِّعُهَا». كَيْفَ نَزُدُّ. "فَقَالَ الْإِمَامُ
 وَفِي نَبَرَتِهِ عَقْلٌ يَزِنُ الْمَالَ: "نَزُدُّ بِ«مِيزَانِ الْمَنْفَعَةِ». نَسَأَلُ: هَلْ يَزِيدُ هَذَا الشَّرَاءُ
 عِلْمًا أَوْ مَهَارَةً أَوْ أَدَبًا أَوْ صِحَّةً. فَإِنْ لَمْ يَزِدْ فَهُوَ «تَبْذِيرٌ»، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ

﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾ (الإسراء 26).

وَإِذَا دَعَا الْعَرَضُ إِلَى حَظٍّ مَجْهُولٍ أَوْ إِلَى شَيْءٍ بِالْمَيْسِرِ رَفَضْنَا وَأَسْتَعَضْنَا
 بِتَنْذِيرٍ مَشْرُوعٍ أَوْ كِتَابٍ مُنِيرٍ أَوْ رِبَاضَةٍ نَافِعَةٍ. "ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَشْهَدُ بِمِيزَانِ
 التَّنْبِيهِ: "«الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ» (حَدِيثٌ)، فَإِذَا أَشْتَبَهَ
 الْأَبَابُ تَوَقَّفْنَا وَسَأَلْنَا الرَّاشِدَ وَأَنْصَرَفْنَا عَنِ الْمُرِيبِ."

انْفَتَحَتْ أَبْوَابُ التَّطْبِيقِ فِي مَشْهَدٍ مُنَظَّمٍ. جَلَسَ الْأَبُ «صَفْوَانُ» وَإِلَى
 جَانِبِهِ ابْنُهُ «رِيَانُ» وَأَبْنَتُهُ «رَابِئَةُ» وَوَضَعُوا الْجِهَازَ عَلَى الطَّائِلَةِ. قَالَ الْأَبُ: "نَضَعُ
 «كَلِمَةَ سِرٍّ» لِلشَّرَاءِ لَا أَعْطِيهَا إِلَّا فِي مَوْضِعِهَا وَنَجْعَلُ لِلشَّهْرِ «مِيزَانِيَّةً صَغِيرَةً» لَا
 تَتَجَاوَزُ قَدْرًا مَعْلُومًا، فَإِنْ نَفِدَ الْقَدْرُ أَنْقَطَعَ الطَّلَبُ وَتَحَوَّلْنَا إِلَى مَنْفَعَةٍ أُخْرَى. "ثُمَّ
 قَالَ وَهُوَ يُرِيدُ بِحِلْمٍ: "نَضَعُ «مُؤَقَّتًا» عَلَى اللَّعِبِ وَنُثَبِّتُ فِي صَدْرِ الْعُرْفَةِ جُمْلَةً
 نُرَدِّدُهَا قَبْلَ الشُّرُوعِ: "تَعَلَّمْ قَبْلَ لَعِبٍ". فَقَامَ الْفَتَيَانِ وَقَالَا مَعًا كَمَنْ يَسْتَقْبِلُ
 عَهْدًا: "نَعِدُ أَنْ نَحَافِظَ عَلَى «عِشْرِينَ دَقِيقَةً تَعَلَّمًا» قَبْلَ «عِشْرِينَ دَقِيقَةً لَعِبًا»."

وَعِنْدَ الْعِشَاءِ رَجَعُوا إِلَى الْمَسْجِدِ وَعَرَضُوا «صَحِيفَةَ الْمِيثَاقِ» عَلَى الْإِمَامِ. قَرَأَ وَفِي وَجْهِهِ رِضًا يَشْهَدُ لِلْحُكْمَةِ ثُمَّ قَالَ: "هَكَذَا يَقُومُ الْبَيْتُ عَلَى «مِيزَانِ الْوَقْتِ» وَ«مِيزَانِ أَلْمَالِ» وَ«مِيزَانِ الْمَنْفَعَةِ». وَنَسْتَدْعِي لِلْقَلْبِ دُعَاءً يُثَبِّتُهُ: «اللَّهُمَّ اكْفِنَا بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنَا بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ» (حَدِيثٌ). " ثُمَّ تَلَا شَاهِدًا يُقِيمُ حَدَّ الْإِنْفَاقِ:

﴿وَلَا تُبْذَرْ تَبْذِيرًا﴾ (الإسراء 26)

وَاتَّبَعَهُ بِشَاهِدٍ يَفُفُّ عِنْدَ شَبِّهِ الْمَيْسِرِ

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ (البقرة 219).

تَتَالَتْ الْأَيَّامُ فِي سَكِينَةٍ مُرَاقَبَةٍ. كَانَ «رِيَانُ» يَسْتَقِظُ بَاكِرًا فَيَقْرَأُ عَشْرَ آيَاتٍ وَيُرَاجِعُ دَرْسًا وَيَتَدَرَّبُ قَلِيلًا عَلَى مَهَارَةِ يُحِبُّهَا ثُمَّ يَقُومُ إِلَى «عِشْرِينَ دَقِيقَةً لَعِبًا» قَدْ سَبَقَتْهَا «عِشْرُونَ دَقِيقَةً تَعَلُّمًا». وَكَانَتْ «رَابِيعَةُ» تُسَجِّلُ فِي دَفْتَرِهَا زَمَنَ الْقِرَاءَةِ وَزَمَنَ اللَّعِبِ فَلَا تَتَجَاوَزُ. وَإِذَا طَلَعَ فِي سَاحَةِ اللَّعِبِ «عَرَضٌ» يَحُثُّ عَلَى الشِّرَاءِ نَادَتْ أَبَاهَا فَيَقُولُ بِلُطْفٍ وَحَزْمٍ: "هَلْ فِي هَذَا الشِّرَاءِ مَنَفْعَةٌ مُتَحَقِّقَةٌ أَمْ هُوَ «تَبْذِيرٌ». قَدْ قَالَ اللَّهُ:

﴿وَلَا تُبْذَرْ تَبْذِيرًا﴾ (الإسراء 26).

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَنَفْعَةٌ صَحِيحَةٌ رُفِضَ الطَّلَبُ وَأَنْصَرَفُوا إِلَى قِرَاءَةِ أَوْ

تَدْرِيبِ.

وَقَعَتْ حَادِثَةٌ صَغِيرَةٌ تَكْشِفُ مَكْمَنَ الْقُدْرَةِ. بَلَغَتْ «مِيزَانِيَّةُ الشَّهْرِ» قَدْرَهَا وَبَقِيَ فِي الْقَلْبِ وَقْتُ يُرِيدُ اللَّهُ. قَالَ «رِيَانُ» وَفِي صَوْتِهِ حِكْمَةٌ مَنْ تَعَلَّمَ الضَّبْطَ: "سَأَسْتَعِضُّ عَنِ الشَّرَاءِ بِتَجْرِبَةِ مَسَارٍ جَدِيدٍ لِلتَّحَدِّي دُونَ نُقُودٍ". فَابْتَسَمَ الْأَبُ وَقَالَ: "هَذِهِ هِيَ «مَنْفَعَةُ الْعَقْلِ»". ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ فِي الْمَسَاءِ وَهُوَ يُثْنِي عَلَى الْخُطْوَةِ: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ» (حَدِيثٌ)، فَإِذَا أَحْسَنْتُمُ الضَّبْطَ وَالْإِخْتِيَارَ انْقَطَعَ عَنْكُمُ سَبِيلُ الْإِغْرَاءِ."

سَرَى فِي الْحَيِّ خَبْرُ «صُنْدُوقِ عَشَوَائِي» يُوزَعُ فِي لُغَةِ شَائِعَةٍ وَقَدْ تَعَلَّقَتْ بِهِ قُلُوبُ بَعْضِ الرِّفَاقِ. جَاءُوا إِلَى «رِيَانٍ» وَقَالُوا وَفِي كَلَامِهِمْ إِغْرَاءً مُغْلَفٌ: "جَرَّبَ مَرَّةً نَفْزٌ قَدْ تَحْصُلُ عَلَى شَيْءٍ نَادِرٍ". فَقَالَ وَفِي صَوْتِهِ سَكِينَةٌ مَنْ قَامَ عَلَى قَاعِدَةٍ: "قَدْ قَالَ اللَّهُ:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ (البقرة 219)،

وَمَا يُشَابِهُ الْمَيْسِرَ لَا يَلِيقُ بِنَا. وَلَا نُبَذُّ مَا لَا فِي مَا لَا يَنْفَعُ، فَقَدْ قَالَ

سُبْحَانَهُ

﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ (الإسراء 26).

ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَرْفَعُ الْبَدِيلَ الصَّالِحَ: "نَجْعَلُ لِمَسَاءِ الْيَوْمِ «عِشْرِينَ دَقِيقَةً تَعْلَمًا» فِي مَهَارَةٍ نُحِبُّهَا ثُمَّ «عِشْرِينَ دَقِيقَةً لِعَبًّا» بِلَا شِرَاءٍ. " فَأَنْصَرَفَ بَعْضُهُمْ وَبَقِيَ بَعْضٌ يَتَفَكَّرُ كَمَنْ يَرَى حُدُودًا تَنْقُذُ.

وَقَدْ كَانَ فِي الْبَيْتِ مَوْطِنُ فِتْنَةٍ قَدِيمٍ. كَانَتْ «بِطَاقَةٌ دَفْعٍ» مَوْضُوعَةً فِي دُرَجٍ سَهْلٍ، فَتَمَرُّ يُمْنَى بِ«ضَغْطَةٍ» تُضَيِّفُ شِرَاءً لَا يُحْسَبُ. قَالَتِ الْأُمُّ «حِلْمَةً» وَفِي صَوْتِهَا حِكْمَةٌ رَبَّةٌ بَيْتٍ تُدَبِّرُ: "نَنْقُلُ «الْبِطَاقَةَ» إِلَى مَوْضِعٍ مُؤَمِّنٍ وَلَا نُدْخِلُ «بَيَانَاتِهَا» فِي أَيِّ لُغَةٍ. وَنَجْعَلُ «كَلِمَةَ السَّرِّ» لِلشِّرَاءِ عِنْدِي وَعِنْدَ أَيِّكُمْ. " فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يُثْنِي عَلَى الْإِجْرَاءِ: "هَذَا هُوَ «مِيزَانُ الْحِفْظِ» يَعْمَلُ فِي أَلْمَالِ كَمَا يَعْمَلُ فِي أُلُجُوهٍ وَأَلْأَعْرَاضِ. " ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَشْهَدُ بِمِيزَانِ الْقَوَامَةِ: "إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ" (حَدِيثٌ)، فَالرَّعَايَةُ تَشْمَلُ أَبْوَابَ أَلْمَالِ وَأَبْوَابَ الزَّمَنِ.

مَضَتْ أُسْبُوعَاتٌ ثَلَاثٌ بَعْدَ الْمِيثَاقِ، وَعَادَ الْقَوْمُ إِلَى الْمَسْجِدِ يَفْرُوقُونَ فِي الْقُلُوبِ ثَمَرَةَ الضَّبْطِ. قَالَ الْأَبُ «صَفْوَانُ» وَيَدِيهِ كِتَابُ النِّفَقَاتِ: "لَمْ تُسَجَّلْ فِي هَذَا الشَّهْرِ «مُعَامَلَةٌ» وَاحِدَةٌ غَيْرُ مُصَرَّحٍ بِهَا. «صِفْرٌ» تَمَامًا. وَقَدْ رَأَيْنَا أَنَّ «عِشْرِينَ دَقِيقَةً تَعْلَمًا» قَبْلَ «عِشْرِينَ دَقِيقَةً لِعَبًّا» قَدْ أَقَامَتْ لِلْقَلْبِ سُورًا مِنْ وَعْيٍ يَرُدُّ الْإِغْرَاءَ. " فَابْتَسَمَ الْإِمَامُ وَقَالَ وَفِي صَوْتِهِ بَشَارَةٌ مَنْ رَأَى الثَّمَرَةَ: "هَذَا هُوَ «الْمُؤَشِّرُ» الَّذِي نَقَصِدُهُ: أَنَّ «يَنْخَفِضُ الْإِنْفَاقُ غَيْرَ الْمُصَرَّحِ بِهِ إِلَى صِفْرٍ»،

وَأَنْ يَقُومَ اللَّهُو عَلَى صَبْطٍ يُؤَيِّدُ مَنْفَعَةً وَلَا يَهْدِمُ وَاجِبًا."

وَقَدْ جَرَتْ فِي الْأَصْفِ حِكَايَةٌ تُثَبِّتُ مَعْنَى الْمِثَاقِ. جَاءَ زَمِيلٌ لـ«رِيَانٍ» يُدْعَى «قَتَادَةَ» وَفِي صَوْتِهِ أَثَرُ إِخْرَاجٍ: "قَدْ أُسْرِفْتُ فِي الشَّرَاءِ دُونَ عِلْمِ أَبِي وَأُمِّي وَوَصَلَ الْحِسَابُ إِلَيَّ قَدَرٍ أَخْرَجَنِي. كَيْفَ أُصْلِحُ." فَقَالَ الْمُعَلِّمُ «أَبُو حَاتِمٍ» وَفِي صَوْتِهِ رِفْقٌ يُنْفَذُ: «نَجْرِي» خُطُوبَاتِ الْإِصْلَاحِ: «نُعَلِّمُ الْوَالِدَيْنِ، وَنُوقِفُ» كَلِمَةَ «السَّرِّ» فِي يَدِ الرَّاشِدِ، وَنُقِيمُ «مِيزَانِيَّةَ صَغِيرَةٍ» لِلشَّهْرِ، وَنُعِيدُ «عِشْرِينَ دَقِيقَةً تَعَلُّمًا» قَبْلَ «عِشْرِينَ دَقِيقَةً لِعِبَاءٍ»، وَنَرْفَعُ لِأَيِّكَ حَالَ الْإِنْفَاقِ بِوُضُوحٍ. فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَضَعُ فِي الصُّدُورِ حَارِسًا يَبْقَى: "«مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا» (حَدِيثٌ)، فَلَا نُخْفِي شِرَاءً وَلَا نَأْكُلُ مَا لَا بِنَاطِلٍ. وَإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل 90)،

فَنُعِيدُ الْحَقَّ إِلَى مَوْضِعِهِ."

وَفِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ جَلَسُوا حَوْلَ الْمِدْفَأَةِ وَفِي الْقُلُوبِ حَدِيثٌ يَسْتَكْمِلُ الْقَاعِدَةَ. قَالَتِ الْأُمُّ «حِلْمَةُ» وَفِي صَوْتِهَا نَفْسٌ يُرَبِّي: "لَا نَجْعَلُ اللَّعِبَ مَلَاذًا لِلْهَرَبِ مِنَ التَّعَبِ، بَلْ نَجْعَلُهُ رَاحَةً مَحْسُوبَةً تَتَلَوُ مَنْفَعَةً. فَإِذَا ضَاقَ الصَّدْرُ قُمْنَا إِلَى ذِكْرِ وَقِرَاءَةِ وَمَشْيٍ قَلِيلٍ، ثُمَّ إِلَى «عِشْرِينَ دَقِيقَةً لِعِبَاءٍ» تَلِي «عِشْرِينَ دَقِيقَةً تَعَلُّمًا». فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي نَبْرَتِهِ سِرُّ الْعَوْنِ: "«أَحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَأَسْتَعِنْ

بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ» (حَدِيثٌ)، فَجَمَعَ بَيْنَ السَّبَبِ وَالتَّفْوِضِ.

وَعِنْدَ خِتَامِ الشَّهْرِ دَعَا الْإِمَامُ إِلَى مَجْلِسٍ خَاصٍّ يُقِيمُ الثَّمَرَةَ. جَلَسُوا فِي نِصْفِ دَائِرَةٍ تُوَاجِهُهُ الْمِحْرَابُ وَعَلَى الْوُجُوهِ نُورٌ مَن رَأَى النَّتِيجَةَ بَعْدَ عَمَلٍ. قَالَ الْإِمَامُ: "مَاذَا صَنَعْتَ قَاعِدَةٌ: «عِشْرُونَ دَقِيقَةً تَعْلَمًا» قَبْلَ «عِشْرِينَ دَقِيقَةً لِعِبَاءٍ»." فَقَالَ «رِيَانُ» وَفِي صَوْتِهِ بَشَارَةٌ تَسْتَدْعِي الشُّكْرَ: "زَادَتْ قُدْرَتِي عَلَى الْقِرَاءَةِ وَأَحْكَمْتُ دَرْسًا كُنْتُ أَضْطَرُّ فِيهِ وَانْقَطَعَتْ رَغْبَتِي فِي «صُنْدُوقِ عَشَوَائِي» كُنْتُ أَظُنُّهُ مُنْقِذًا، وَكَانَ الْإِنْفَاقُ «صِفْرًا» دُونَ مُصَادَرَةِ فَرَحِ اللَّهِو." فَقَالَتْ «رَابِيعَةُ»: "تَعَلَّمْتُ أَنْ أُثَبِّتَ زَمَنَ التَّعْلُمِ فَتَسْهُلَ «عِشْرُونَ دَقِيقَةً لِعِبَاءٍ» وَلَمْ أَعُدْ أَحْتَاجُ إِلَى شِرَاءٍ." فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي عَيْنِهِ سُرُورٌ مَن جَمَعَ الْأُصُولَ: "هَذَا هُوَ الْمَقْصِدُ. أَقَامَ «مِيزَانُ الْوَقْتِ» لِلنَّفْسِ حَدًّا، وَحَفِظَ «مِيزَانُ الْأَمَالِ» الْبَيْتَ، وَقَاسَ «مِيزَانُ الْمَنْفَعَةِ» الْفِعْلَ قَبْلَ الْخُطُوءِ، فَقَامَ اللَّهُو عَلَى أَدَبٍ."

ثُمَّ رَفَعَ الْإِمَامُ صَوْتَهُ بِقِرَاءَةِ تُثَبِّتُ الْحُدُودَ فِي الصُّدُورِ ثُمَّ يَسْكُنُ عَلَيْهَا الدُّعَاءُ:

﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾ (الإسراء 26)

﴿وَإِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ (الإسراء 27)

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ

وَأَثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴿ (البقرة 219).

ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَدْعُو: "اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي أَوْقَاتِنَا وَأَمْوَالِنَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ مَخْرَجًا وَعَلِّمْنَا أَنْ نَقُومَ عَلَى «مِيزَانِ الْوَقْتِ» وَ«مِيزَانِ الْمَالِ» وَ«مِيزَانِ الْمَنْفَعَةِ» فَنَحْسِنَ الْإِخْتِيَارَ وَنَسْلَمَ مِنَ التَّبَذِيرِ." ثُمَّ قَالَ بِكَلِمَةٍ تَجْمَعُ أَطْرَافَ الدَّرْسِ: "إِذَا دَقَّ جَرَسُ اللَّهِوِ فَلْيَسْبِقْهُ جَرَسُ التَّعَلُّمِ، وَإِذَا دَعَتْ صُورُ الشِّرَاءِ فَلْيَقِفْ عِنْدَهَا «مِيزَانُ الْمَنْفَعَةِ»، وَإِذَا لَمَعَتْ «صَنَادِيقُ الْعَشَوَائِيَّ» فَلْيَقِلِّ الْقَلْبُ: «حَدٌّ» قَدْ نَصَبَهُ اللَّهُ

﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ (الإسراء 26)

وَنَصَبَهُ الْعَقْلُ: «عِشْرُونَ دَقِيقَةً تَعْلَمًا» قَبْلَ «عِشْرِينَ دَقِيقَةً لَعِبًا».

خَرَجُوا مِنَ الْمَسْجِدِ وَالْقُلُوبُ تَحْمِلُ «صَحِيفَةً» فِيهَا «كَلِمَةُ سِرٍّ» تَحْمِي بَابَ الشِّرَاءِ وَ«مِيزَانِيَّةً صَغِيرَةً» تُقِيمُ الْحَدَّ وَ«مُوقَّتٌ» يَسْمَحُ لِلَّهِوِ بَعْدَ مَنْفَعَةٍ، وَفِي الْأَبْيُوتِ تَعَلَّقَتْ جُمْلَةٌ تَقُولُ كُلَّمَا رَنَّ جِهَازٌ أَوْ لَمَعَتْ رَسْمَةٌ: "تَعْلَمُ قَبْلَ لَعِبٍ" وَ«مَنْفَعَةٌ قَبْلَ شِرَاءٍ» وَفِي الصُّدُورِ آيَاتٌ تُرَافِقُ الْخُطُوبَاتِ

﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ (الإسراء 26)

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴿ (البقرة 219).

وَكَانَ كُلَّمَا جَاءَ حَافِزٌ خَادِعٌ قَالَتْ أَلرُّوحُ قَبْلَ أَللِّسَانِ: "أَلْمَنْفَعَةُ تَتَقَدَّمُ
وَالزَّمَنُ أَمَانَةٌ وَالْمَالُ سُؤَالٌ وَاللَّهُ يَرَى." فَيَسْتَقِيمُ الطَّرِيقُ وَيَبْقَى «الْإِنْفَاقُ غَيْرُ
الْمُصْرَحِ بِهِ صِفْرًا» وَتَعُودُ الْمُشَارَكَةُ فِي الدَّرْسِ أَوْسَعَ وَالْقَلْبُ أَهْدَأُ وَالْبَيْتُ أَمْنَعُ،
وَتُكْتَبُ فِي صَدْرِ الزَّمَنِ عِبَارَةٌ تُجَمِّلُ الْعَهْدَ: "أَللَّهُو مَسَاحَةٌ بَعْدَ مَنْفَعَةٍ وَالشَّرَاءُ
قَدْرٌ بَعْدَ مِيزَانٍ وَالزَّمَنُ أَمَانَةٌ لَا يُبَدَّرُ."

الدَّرْسُ الْعَاشِرُ: الْوَقْتُ وَالنَّوْمُ

تَهَايَبْتُ سَكِينَةَ الْمَسَاءِ عَلَى رِوَاقِ الْمَسْجِدِ فَأَنْقَطَعْتَ الْخُطَى
الْمُتَعَجِّلَةُ عَنِ الْأَرْصِفَةِ وَاسْتَقَرَّ النُّورُ فِي الصُّفُوفِ كَنَهْرٍ رَقِيقٍ يَجْرِي بَيْنَ الْأَعْمَدَةِ
وَيُسْقِي الْقُلُوبَ طُمَأْنِينَةً تَهَيُّ لِلْعَهْدِ وَالرُّشْدِ. جَلَسَ الْإِمَامُ فِي الْوَسْطِ وَتَحَلَّقَ
حَوْلَهُ فِتْيَةٌ وَفَتَيَاتٌ وَأَبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ وَمُعَلِّمَانِ قَدْ بَدَا عَلَى أَلْوَجْهِهُ سُؤَالٌ يَطْلُبُ مِيزَانًا
يُقِيمُ حُدُودَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَيُرَدُّ الْحَيَاةَ إِلَى أَنْضِبَاطٍ لَا يُخَالِفُ الْفِطْرَةَ وَلَا يَهْدِمُ
الصِّحَّةَ. رَفَعَ الْإِمَامُ كَفَّهُ وَقَالَ بِصَوْتٍ يَجْمَعُ التَّطْيِيبَ وَالْحَزَمَ وَيَغْرِسُ فِي
الصُّدُورِ قَاعِدَةً تَهْدِي وَتَحْمِي: "الْيَوْمَ نَسْتَعِيدُ نِظَامَ اللَّيْلِ لِلسُّكُونِ وَالنَّهَارِ
لِلْمَعَاشِ، فَتُطْفِئُ الشَّاشَاتِ قَبْلَ النَّوْمِ بِسَاعَةٍ وَنَضْعُ الْهَاتِفَ خَارِجَ غُرْفَةِ النَّوْمِ،
وَنُقِيمُ فِي الْبَيْتِ «زَاوِيَةَ سَكِينَةٍ» لِلْقِرَاءَةِ الْقَصِيرَةِ وَالِدُّعَاءِ." ثُمَّ تَلَا وَالْقُلُوبُ
تُصْغِي إِلَى الْهَدْيِ الْبَيِّنِ:

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ (النَّبَأُ 9)

وَتَلَا بَعْدَهَا كَلِمَةً تَجْعَلُ لِلَّيْلِ حُكْمَهُ الْمَوْثُورَ

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ (النَّبَأُ 10)

وَاتَّبَعَهُمَا بِشَاهِدٍ يَكْشِفُ غَايَةَ النَّهَارِ

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النَّبَأُ 11).

ثُمَّ قَالَ وَفِي نَبْرَتِهِ بَرِيقُ تَثْيِيتٍ: "مَنْ جَعَلَ النَّوْمَ سُبَاتًا وَاللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّهَارَ مَعَاشًا قَدْ أَقَامَ فِي نَفْسِهِ «مِيزَانَ الْوَقْتِ» وَ«مِيزَانَ السَّنَنِ» وَ«مِيزَانَ الصَّحَّةِ»."

اِقْتَرَبَ الْفَتَى «رِيَانُ» وَفِي وَجْهِهِ خَلِيطٌ مِنَ الْحَيَاءِ وَرَغْبَةٌ الْأَسْتِبَانَةِ وَقَالَ وَهُوَ يَمْسَحُ أَثَرَ تَعَبٍ بَدَأَ تَحْتَ عَيْنَيْهِ كَمَنْ يَطْلُبُ مَفَازًا بَعْدَ نَصَبٍ: "أَحِسُّ بِأَنَّ النَّوْمَ يَنْفِرُ مِنِّي إِذَا ظَلَّ الْأَبْصَرُ عَلَى الشَّاشَةِ إِلَى مُتَأَخَّرِ اللَّيْلِ، فَأَقُومُ فِي الصَّبَاحِ وَقَلْبِي مُتَشَتَّتٌ وَرَأْسِي ثَقِيلٌ وَيَضِيعُ مِنِّي الدَّرْسُ وَالْقِرَاءَةُ." فَنَظَرَ الْإِمَامُ إِلَيْهِ بِلُطْفٍ يَحْمِلُ الْحِكْمَةَ ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَقْرُبُ الْمَعْنَى: "إِذَا طَالَ النَّظَرُ إِلَى الضِّيَاءِ الْأَثْقَلِ فِي اللَّيْلِ أَضْطَرَبَ مِيزَانُ النَّفْسِ وَقَلِيلًا قَلِيلًا يَهْزُلُ التَّرْكِيزُ وَيَتَنَاثَرُ سَلْكُ الْهَمُومِ. شِفَاؤُهُ أَنْ نَزِدَ اللَّيْلَ إِلَى سُكُونِهِ وَنَسُدَّ بَابَ الْإِثَارَةِ قَبْلَ النَّوْمِ بِسَاعَةٍ."

قَالَتِ الْفَتَاةُ «رَايِيَّةُ» وَفِي صَوْتِهَا رِقَّةٌ يَخْلِطُهَا جِدٌّ يُرِيدُ قَاعِدَةً تَنْتَقِلُ مِنَ الْقَوْلِ إِلَى الْعَمَلِ: "كَيْفَ نُطْفِئُ الشَّاشَاتِ وَنَضْعُ الْهَاتِفَ خَارِجَ الْغُرْفَةِ وَقَدْ أَلْفَنَّا أَنْ نَسْتَمْسِكَ بِهِ قُرْبَ الْوَسَادَةِ." فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي نَبْرَتِهِ حُسْنُ تَذْيِيرٍ يَحْمِلُ

الْحِزْمَ بِرَفْقٍ: "نَقِمْ فِي كُلِّ بَيْتٍ «صُنْدُوقَ الْأَمَانَةِ» يَجْتَمِعُ فِيهِ الْأَجْهَرَةُ قَبْلَ النَّوْمِ بِسَاعَةٍ، وَنَجْعَلُهُ فِي الْمَمَرِّ خَارِجَ الْغُرْفِ، ثُمَّ نُطْفِئُ الشَّاشَاتِ كُلَّهَا وَنَدْخُلُ الْغُرْفَةَ خِفَافًا لَا نَحْمِلُ إِلَيْهَا إِلَّا قَلْبًا خَاشِعًا وَكِتَابًا لِلْقِرَاءَةِ الْقَصِيرَةِ وَذِكْرًا يُنَفِّسُ الصَّدْرَ. وَنُنْشِئُ «رَاوِيَةَ سَكِينَةٍ» عِنْدَ رُكْنٍ هَادِيٍّ عَلَيْهَا مُصْبَاحٌ لَطِيفٌ وَمُصْحَفٌ وَكُتَيْبٌ صَغِيرٌ وَسَجَادَةٌ تَسْتَقْبِلُ الْقَلْبَ." ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُسْنِدُ الْأَمْرَ إِلَى السُّنَّةِ: "كَانَ النَّبِيُّ (ص) «يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا»" (حَدِيثٌ) "فَنَجْعَلُ الْعِشَاءَ بَابًا نَعْلِقُ خَلْفَهُ أَصْوَاتَ الشَّاشَاتِ وَنَفْتَحُ بَعْدَهُ بَابَ السُّكُونِ."

قَالَ الْأَبُ «صَفْوَانُ» وَفِي عَيْنِهِ هِمَّةٌ وَالِدٍ يَحْرُسُ أَهْلَهُ: "أُرِيدُ لِبَيْتِنَا «مَنْبَهَاتٍ» قَائِمَةً لِلصَّلَاةِ وَالْفَجْرِ تَقُومُ مَقَامَ الْهَاتِفِ حَتَّى لَا يَبْقَى فِي الْغُرْفَةِ مُتَعَلِّقٌ يُغْرِي بِالْإِلْتِفَاتِ." فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي صَوْتِهِ مَسَرَّةٌ مُعَلِّمٍ رَأَى الْحَقَّ فِي الْأَفْعَلِ: "هَذَا هُوَ الصَّوَابُ. نُثَبِّتُ «مَنْبَهَاتٍ» فِي الرَّفِّ الْقَرِيبِ وَنَجْعَلُهُ عَلَى مَوَاعِيدِ الصَّلَوَاتِ وَالْفَجْرِ فَتَقُومُ الْقُلُوبُ إِلَى الْعِبَادَةِ دُونَ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِهَاتِفٍ مُلَازِمٍ." ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَشْهَدُ بِكَلِمَةٍ تَفْتَحُ بَابَ الْبُكُورِ: "اللَّهُمَّ بَارِكْ لَأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا" (حَدِيثٌ) "فَنَجْعَلُ الْأَوَّلَ مِنَ النَّهَارِ لِلرِّزْقِ وَالطَّلَبِ وَنَقْدَمُ الْقِيَامَ عَلَى السَّهْرِ."

هَمَسَتْ الْأُمُّ «حِلْمَةً» وَفِي صَوْتِهَا بَسْطٌ يَجْمَعُ الْحَنَانَ وَالْحِزْمَ: "سَنُعَيِّرُ نِظَامَ الْغُرْفَةِ. سَنَجْعَلُ السَّتَارَ ثَقِيلًا وَالْإِضَاءَةَ لَطِيفَةً وَنَضْعُ عَلَى الْجَانِبِ قَارُورَةَ مَاءٍ وَمَسَوَاكًا وَكُتَيْبًا صَغِيرًا، وَسَنَكْتُبُ فِي صَدْرِ الْأَبَابِ جُمْلَةً تَحْرُسُ الدُّخُولَ:

"أَلْهَاتِفُ خَارِجِ الْغُرْفَةِ وَالْقَلْبِ فِي اللَّهِ". فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي نَبْرَتِهِ تَقْرِيرٌ لِلْسَّنَةِ الْعَامِلَةِ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) «إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ الْأَيْمَنِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا» (حَدِيثٌ) وَقَالَ فِي دُعَاءِ التَّسْلِيمِ وَالتَّفْوِيضِ قَبْلَ النَّوْمِ: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَالْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مُنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ» (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَالَ: "وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلْفَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ..." (حَدِيثٌ).

تَحَرَّكَ الْمَجْلِسُ إِلَى «مَشْهَدِ عَمَلِي» يَرِبُطُ الْقُلُوبَ بِالْإِجْرَاءِ. قَامَ الْمُعَلِّمُ «أَبُو حَاتِمٍ» وَوَضَعَ فِي صَدْرِ الرُّوَاقِ صُنْدُوقًا خَشَبِيًّا كُتِبَ عَلَيْهِ «صُنْدُوقُ الْأَمَانَةِ». قَالَ وَهُوَ يَتَبَسَّمُ بِسَمَةِ مَنْ يَجْمَعُ الْقُلُوبَ عَلَى بَابٍ يَنْفَعُ: «نُجْرِي الْخُطَّةَ. نُطْفِئُ الشَّاشَاتِ قَبْلَ النَّوْمِ بِسَاعَةٍ» وَ«نَضْعُ الْهُوَائِفَ فِي الصُّنْدُوقِ» ثُمَّ «نَدْخُلُ الْغُرْفَ لَا نَحْمِلُ إِلَيْهَا جِهَازًا». «فَتَقَدَّمَ الْأَبْنَاءُ وَالْبَنَاتُ وَوَضَعُوا أَجْهَازَهُمْ وَأَغْلَقُوا الصُّنْدُوقَ ثُمَّ مَشَوْا إِلَى الْمَسْجِدِ الصَّغِيرِ فِي الرُّوَاقِ وَقَرَأُوا كَلِمَةَ اللَّهِ عَلَى هُدُوءٍ لِيَكُونَتْ «زَاوِيَةُ السَّكِينَةِ» مَدْخَلًا إِلَى سُبَاتٍ مُبَارَكٍ. قَالَ الْإِمَامُ ثُمَّ تَلَا شَاهِدًا يَقُومُ عَلَيْهِ الْقَصْدُ:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾

(الرُّوم 23)

ثُمَّ تَلَا دَلِيلًا يُقِيمُ لِلتَّوَازُنِ سُورًا

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَنۢ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾
(الْفُرْقَان 62).

قَالَ الْفَتَى «نُضَالٌ» وَفِي صَوْتِهِ اَلْتِمَاسُ نَصِيحَةٍ تُوفِّقُ بَيْنَ الدِّرَاسَةِ وَالرَّاحَةِ: «أُرِيدُ أَنْ أُتِمَّمَ وَاجِبًا وَطَرِيقِي يَتَرَاخَمُ فِي اللَّيْلِ، فَهَلْ أَسْهَرُ». فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي نَبَرَتِهِ عَدْلٌ يَزِنُ وَيُقِيمُ: «لَا نَجْعَلُ السَّهَرُ دَيْدَنًا وَلَا نُلْغِي الضَّرُورَةَ إِذَا عَرَضَتْ. نَقُولُ: «الْأَصْلُ أَنْ يَكُونَ النَّوْمُ مُبَكَّرًا وَالْإِسْتِيقَاطُ قَبْلَ الْفَجْرِ» فَمَنْ أَحْتَاجَ لِسَاعَةٍ زَادَهَا فِي النَّهَارِ وَلَمْ يَفْتِطْعَهَا مِنْ لَيْلِهِ دَائِمًا. قَدْ قِيلَ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» (حَدِيثٌ) «فَلَا نَبِيعُ صِحَّةَ الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ بِسَاعَةٍ مَسْرُوقَةٍ مِنَ اللَّيْلِ». ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَحْضِرُ شَاهِدًا يُعْظِمُ الْبُكُورَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَأُمْتِي فِي بُكُورِهَا» (حَدِيثٌ) «فَمَنْ بَكَرَ رُزِقَ نَصِيبَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالرَّزْقِ».

وَقَفَّ الْمُعَلِّمُ «أَبُو حَاتِمٍ» وَفِي يَدِهِ دَفْتَرٌ صَغِيرٌ وَقَالَ وَهُوَ يَدْعُو إِلَى «صَحِيفَةِ نَوْمٍ» تَقْيِيدُ التَّقْدُمِ: «سَنَسَجَلُ مَتَوَسِّطَ سَاعَاتِ النَّوْمِ قَبْلَ الْخَطَةِ وَبَعْدَهَا، وَسَنَنْظُرُ هَلْ تَرْتَفِعُ بِسَاعَةٍ كَامِلَةٍ كَمَا نَقْصِدُ». فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي صَوْتِهِ

ثَقَّةٌ مَنْ يَعْرِفُ فِطْرَةَ النَّفْسِ: "إِذَا أُطْفِئَتِ الشَّاشَاتُ وَخَرَجَ الْهَاتِفُ مِنَ الْعُرْفَةِ وَقَامَتْ «زَاوِيَةُ السَّكِينَةِ» وَثُبَّتْ «مُنَبَّهُ الصَّلَاةِ وَالْفَجْرِ» رَأَيْنَا النَّوْمَ يَرْتَفِعُ عَلَى دَرَجَةٍ مُطْمَئِنَّةٍ."

عَادَ الْقَوْمُ إِلَى بُيُوتِهِمْ وَفِي أَقْلُوبٍ عَهْدٌ يُرِيدُ التَّطَبُّقَ. نَظَّفُوا الْعُرْفَ، وَأَطْفَأُوا الْأَضْوَاءَ الشَّدِيدَةَ، وَأَضَاءُوا مِصْبَاحًا لَطِيفًا فِي رُكْنِ «زَاوِيَةِ السَّكِينَةِ». وَضَعَ الْأَبُ «صَفْوَانُ» عَلَى الرَّفِّ «مُنَبَّهًا» يَدُقُّ لِلصَّلَاةِ وَالْفَجْرِ ثُمَّ كَتَبَ عَلَى وَرَقَةٍ مَصْقُولَةٍ جُمْلَةً تَعْلُقُ فَوْقَ الْبَابِ: "الْهَاتِفُ خَارِجَ الْعُرْفَةِ وَالْعَيْنُ عَلَى اللَّهِ." وَوَضَعَتِ الْأُمُّ «حِلْمَةُ» قَيْنَةَ مَاءٍ صَغِيرَةً وَمَسْوَاكَ وَكُتُبًا قِصَارًا فِي الرَّفِّ الْقَرِيبِ. وَقَدْ عَادَ الْأَبْنَاءُ مِنْ مَجْلِسِ الْمَسْجِدِ وَفِي صُدُورِهِمْ تَشْوُقٌ لِتَجَرِبَةِ الْهُدُوءِ الْمُنْتَظَمِ.

قَبْلَ النَّوْمِ بِسَاعَةٍ وَاحِدَةٍ رَنَّ «مُنَبَّهُ الْبَيْتِ» رَنَّةً خَفِيفَةً، فَقَالَ الْأَبُ وَصَوْتُهُ يُمَسِّكُ بَابَ الْعَادَةِ قَبْلَ أَنْ يَفْتَحَ لَهَا الْغَفْلَةَ: "حَانَ وَقْتُ الْهُدُوءِ." فَجَمَعَ الْقَوْمُ أَجْهَزَتَهُمْ وَوَضَعُوهَا فِي «صُنْدُوقِ الْأَمَانَةِ» وَأَغْلَقُوهُ ثُمَّ مَضَوْا إِلَى «زَاوِيَةِ السَّكِينَةِ». جَلَسَ «رِيَانُ» وَقَرَأَ صَفَحَاتٍ قِصَارًا مِنْ كِتَابٍ فِي الْحِكْمَةِ ثُمَّ تَدَبَّرَ آيَاتٍ قَلِيلَةً وَقَالَ دُعَاءَ النَّوْمِ كَمَا عَلَّمَ النَّبِيُّ (ص)، ثُمَّ رَدَّدَ فِي قَلْبِهِ قَوْلَ اللَّهِ

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ (النِّبَأُ 9)

وَقَوْلُهُ

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ (النَّبَأُ 10)

وَقَوْلُهُ

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النَّبَأُ 11)

فَسَكَنَ الصَّدْرُ وَسَارَ عَلَى الْفِرَاشِ كَمَنْ يَدْخُلُ بَابًا مَفْتُوحًا لِلرَّاحَةِ.

سَمِعَ الْبَيْتُ دَوِيَّ الصَّمْتِ الْحَلِيمِ يَمْتَدُّ فِي الْمَمَرِّ إِلَى الْغُرْبِ، ثُمَّ دَقَّ «مُنْبَهُ الْفَجْرِ» فِي الصَّبَاحِ فَقَامَ الْقَوْمُ وَفِي أَجْسَادِهِمْ خِفَةٌ جَدِيدَةٌ. صَلُّوا ثُمَّ قَعَدُوا لِلْأَذْكَارِ وَسَارُوا إِلَى الْأَعْمَالِ وَالْدِّرَاسَةِ وَقَدْ رَأَوْا أَنَّ الْعَيْنَ تُبْصِرُ بِأَوْضَحَ مِنْ أَمْسٍ وَأَنَّ الصَّدْرَ يَتَسَبَّحُ لِلتَّعَلُّمِ بِلا تَكَلُّفٍ.

فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْأُسْبُوعِ كَادَ «رِيَانُ» يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى الْهَاتِفِ قَبْلَ النَّوْمِ، فَتَذَكَّرَ «صُنْدُوقَ الْأَمَانَةِ» فَانْصَرَفَ إِلَى «زَاوِيَةِ السَّكِينَةِ» وَقَالَ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَبْتَسِمُ كَأَلَمَنْ يَسْقِي نَفْسَهُ رِضًا: "الْلَّيْلُ لِلسُّكُونِ وَالنَّهَارُ لِلْمَعَاشِ". وَفِي النِّصْفِ الثَّانِي رَأَى أَنَّ النَّوْمَ يَأْتِي أَسْرَعَ وَأَحْلَى وَأَنَّ وَجْهَ الصَّبَاحِ يُشْرِقُ عَلَيْهِ بِعَافِيَةٍ. وَفِي نَهَايَةِ الْأُسْبُوعِ قَاسَ «أَبُو حَاتِمٍ» مَتَوَسِّطَ السَّاعَاتِ فَوَجَدَ الرِّقَابَ قَدِ ارْتَفَعَتْ بِسَاعَةٍ كَامِلَةٍ، فَقَالَ وَفِي صَوْتِهِ بَشَارَةٌ مَنْ شَاهَدَ الثَّمَرَةَ: "قَدْ تَحَقَّقَ «الْمُؤَشِّرُ» فَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى نِعْمَتِهِ". فَابْتَسَمَ الْإِمَامُ وَقَالَ وَهُوَ يَجْمَعُ الْمَعْنَى:

"هَذِهِ ثَمَرَةُ «مِيزَانِ أَلْوَقْتِ» وَ«مِيزَانِ أَلْسُنِ» وَ«مِيزَانِ أَلْصِّحَّةِ»."

وَقَعَ فِي أَلْصَّفِّ مَشْهَدٌ يُؤَكِّدُ أَلْفَارِقَ بَيْنَ أَلْسَهَرِ وَأَلْبُكُورِ. دَخَلَ أَلطُّلَابُ وَقَدْ بَدَتْ عَلَى وَجْهِ «رَايِيَّة» نُورَةُ أَلْصَّبَاحِ، فَرَفَعَتْ يَدَهَا إِلَى أَلْإِجَابَةِ فِي أَوَّلِ أَلدَّرْسِ وَتَكَلَّمَتْ بِلِسَانٍ مُسْتَقِيمٍ. فَقَالَ أَلْمُعَلِّمُ وَفِي عَيْنِهِ رِضًا يَشْهَدُ لِلرُّشْدِ: "قَدْ رَأَيْنَا أَثَرَ أَلنَّوْمِ أَلْصَّالِحِ." ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُذَكِّرُ بِشَاهِدِ أَلْأَصْلِ:

﴿وَجَعَلْنَا أَلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (أَلنَّبَأُ 11).

وَعِنْدَ أَلِاسْتِرَاحَةِ قَالَ لِلْصَّفِّ وَفِي صَوْتِهِ نَصِيحَةٌ قَرِيبَةٌ: "تَذَكَّرُوا أَنَّ مُنْبَةَ أَلْصَّلَاةِ وَأَلْفَجْرِ يَقُومُ مَقَامَ أَلْهَاتِفِ، فَلَا تُدْخِلُوا جِهَازًا إِلَى أَلْفِرَاشِ فَيَسْرِقَ مِنْكُمْ أَلسُّكُونُ."

سَأَلَ زَمِيلٌ يُدْعَى «فَتَادَةُ» وَفِي لَهَجَتِهِ آثَارُ سَهَرٍ قَدِيمٍ: "أَجِدُ صُعُوبَةً فِي أَلْإِغْلَاقِ أَلْمُبَكَّرِ لِلشَّاشَةِ فَكَيْفَ أَبْدَأُ." فَقَالَ أَلْإِمَامُ وَفِي نَبَرَتِهِ رِفْقٌ يَدُلُّ وَيُشَجِّعُ: "تَبْدَأُ بِخُطْوَةٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ تُثَبِّتُهَا أُسْبُوعًا. تُطْفِئُ أَلشَّاشَةَ فِي وَقْتِ مُحَدَّدٍ لَا تَتَأَخَّرُ عَنْهُ، وَتَذْهَبُ إِلَى «زَاوِيَةِ أَلْسَكِينَةِ» وَتَقْرَأُ صَفْحَاتٍ قَصَارًا وَتَقُولُ دُعَاءَ أَلنَّوْمِ. ثُمَّ تُدْخِلُ أَلْهَاتِفَ فِي «صُنْدُوقِ أَلْأَمَانَةِ» وَتُوَكِّلُ أَلْإِيقَازَ إِلَى «مُنْبَةِ أَلْصَّلَاةِ وَأَلْفَجْرِ». وَإِذَا عَرَضَتْ حَاجَةٌ ضَرُورِيَّةٌ فَلَا تَجْعَلْهَا سُلْمًا لِلتَّسَاهُلِ." ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَرْفَعُ دَلِيلَ أَلْسُنَّةِ: "«مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِأَلْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِّثُهُ»" (حَدِيثٌ)

"وَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ فِي الْجَارِ فَلَمَعَنِي فِي كُلِّ حَقٍّ يُضْبَطُ وَكُلِّ حُدُودٍ تُرَاعَى، فَحَقُّ الْجَسَدِ عَلَيْكَ أَنْ تَنَامَ وَحَقُّ الرُّوحِ عَلَيْكَ أَنْ تَذْكُرَ."

مَضَتْ أَيَّامٌ ثُمَّ عَادَ «رِيَانُ» إِلَى الْمَسْجِدِ وَفِي عَيْنِهِ سَكِينَةٌ مِنْ ظَفَرِ بَبَابٍ نَافِعٍ. قَالَ لِلْمَجْلِسِ وَصَوْتُهُ يَحْمِلُ شُكْرًا يُجْمَلُ التَّجَرِبَةُ: "وَضَعْنَا الْهُوَائِفَ خَارِجَ الْغُرْفَةِ وَأَطْفَانُ الشَّاشَاتِ قَبْلَ النَّوْمِ بِسَاعَةٍ وَأَقَمْنَا «زَاوِيَةَ السَّكِينَةِ» وَتَبَتْنَا «مُنْبَهَ الصَّلَاةِ وَالْفَجْرِ» فَقَدْ زَادَ نَوْمُنَا سَاعَةً كَامِلَةً وَخَفَّ عَنَّا ثِقَلُ الرَّأْسِ فِي الصَّبَاحِ." فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي صَوْتِهِ فَرَحَةٌ مَنْ يَرَى الْبُرْهَانَ نَافِذًا: "الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَتِهِ، هَذَا هُوَ الْقَفْصُ. قَدْ قَامَ «مِيزَانُ الْوَقْتِ» وَ«مِيزَانُ السَّنَنِ» وَ«مِيزَانُ الصَّحَّةِ» فِي بُيُوتِكُمْ، وَسَيَرَى الصَّبَاحُ مِنْكُمْ جِدًّا وَنَشَاطًا." ثُمَّ تَلَا شَاهِدًا يُثَبِّتُ فِي الصُّدُورِ حَبْلَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾
(الْفُرْقَان 62).

وَفِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الْمَطَرِ، انْقَطَعَ الْكَلَامُ وَتَقَارَبَتِ الْقُلُوبُ فِي الرِّوَاقِ، فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَزُورُ الصُّدُورَ بِكَلِمَةٍ تُجْمَلُ الْقَاعِدَةُ: "إِذَا أَطْفَأْتُمُ الشَّاشَاتِ قَبْلَ النَّوْمِ بِسَاعَةٍ وَأَخْرَجْتُمُ الْهَاتِفَ مِنَ الْغُرْفَةِ وَأَقَمْتُمُ «زَاوِيَةَ السَّكِينَةِ» وَتَبَتُّمُ «مُنْبَهَ الصَّلَاةِ وَالْفَجْرِ» فَقَدْ أَمَنْتُمْ بَابَ اللَّيْلِ وَفَتَحْتُمُ بَابَ النَّهَارِ." ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَرْفَعُ الدُّعَاءَ عَلَى شَفَةِ الرِّضَا: "اللَّهُمَّ أَلْبِسْنَا لِبَاسَ اللَّيْلِ سَكِينَةً وَأَجْعَلْ نَوْمَنَا سُبَاتًا

وَأَفْتَحْ لَنَا مِنْ بُكُورِ النَّهَارِ أَبْوَابًا مَبَارَكَةً وَارْزُقْنَا قُوَّةً فِي الطَّاعَةِ وَنَشَاطًا فِي الطَّلَبِ وَحِفْظًا لِلْوَقْتِ وَالصَّحَّةِ."

وَخَرَجُوا مِنَ الْمَسْجِدِ وَفِي الْقُلُوبِ جُمْلَةٌ تَتَرَسَّخُ كَالْحَارِسِ عَلَى بَابِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ: "الَلَّيْلُ لِلسُّكُونِ وَالنَّهَارُ لِلْمَعَاشِ" وَفِي الْأَذْهَانِ آيَاتٌ تَغْذُو الْعَزَمَ

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ (النَّبَأُ 9)

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ (النَّبَأُ 10)

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النَّبَأُ 11)

وَفِي الْبُيُوتِ صُنْدُوقٌ يُغْلَقُ قَبْلَ النَّوْمِ بِسَاعَةٍ وَ«زَاوِيَةٌ سَكِينَةٌ» تَسْتَقْبِلُ الْقُلُوبَ وَ«مُنْبَهَاتٌ» تُوقِظُ لِلصَّلَاةِ وَالْفَجْرِ، وَفِي الدَّفْتَرِ خَطٌّ يَقُولُ بِبَشَارَةِ وَاضِحَةٍ: "قَدْ أَرْتَفَعَ مُتَوَسِّطُ سَاعَاتِ النَّوْمِ سَاعَةً كَامِلَةً." فَيَسِيرُ النَّهَارُ عَلَى بَصِيرَةٍ وَيَعُودُ اللَّيْلُ إِلَى سُكُونِهِ وَتَبْقَى الْحَيَاةُ فِي الْبُيُوتِ وَالصُّفُوفِ عَلَى قَاعِدَةٍ مُحْكَمَةٍ تَقُولُ كُلَّمَا لَمَعَتْ شَاشَةٌ أَوْ دَعَا هَاتِفٌ: "الْوَقْتُ أَمَانَةٌ وَالسُّنَنُ نُورٌ وَالصَّحَّةُ رَأْسُ الْمَالِ."

الدَّرْسُ الْحَادِي عَشَرَ: الرَّفِيقُ الْأَلِيُّ

تَهَابَطَتْ سَكِينَةُ الْمَسَاءِ عَلَى رِوَاقِ الْمَسْجِدِ فَسَكَنَتْ الْخُطَى
وَأَنْحَسَرَتْ هَمَمَاتُ السُّوقِ، وَأَسْتَقَرَّ النُّورُ فِي الصُّفُوفِ كَنَهْرٍ رَفِيقٍ يَجْرِي بَيْنَ
الْأَعْمَدَةِ وَيُسْقِي الْقُلُوبَ طُمَأْنِينَةً تُهَيِّئُ لِلْعَهْدِ وَالرُّشْدِ. جَلَسَ الْإِمَامُ فِي الْوَسْطِ
وَتَحَلَّقَ حَوْلَهُ فِتْيَةٌ وَفَتَيَاتٌ وَأَبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ وَمُعَلِّمَانِ، وَعَلَى الْوُجُوهِ أَثَرُ سُؤَالٍ يُفْتَشُّ
عَنْ مِيزَانٍ يَحْفَظُ الصُّحْبَةَ وَيَضْبِطُ الْأَسْتِعْمَالَ، لِيُنْقَى الْقَلْبُ فِي بَشَرٍ يَرْعَى
وَيَسْمَعُ وَيَنْصَحُ، وَلَا يَسْتَبْدِلُ عِشْرَةَ الْأَنْسِ بِأَحَادِيثِ صَنْعَةٍ لَا تَشْعُرُ. رَفَعَ الْإِمَامُ
كَفَّهُ وَقَالَ بِصَوْتٍ يَجْمَعُ التَّطْيِيبَ وَالْحَزَمَ وَيَغْرِسُ فِي الصُّدُورِ قَاعِدَةً تَهْدِي
وَتَحْمِي: "الْيَوْمَ نَفْهَمُ حُدُودَ «الْمُحَادِثِ الْأَلِيِّ» وَنَحْفَظُ الْعِشْرَةَ الْبَشَرِيَّةَ
السُّوَبِيَّةَ، فَنَجْعَلُ الْأَسْتِعْمَالَ فِي إِطَارِ التَّعْلُمِ وَالْبَحْثِ لَا فِي الْعَوَظِ الْعَاطِفِيِّ،
وَنُقِيمُ مَعَ ذَلِكَ «مِيزَانَ الصُّحْبَةِ» وَ«مِيزَانَ التَّثَبُّتِ» وَ«مِيزَانَ الْمَقْصِدِ». ثُمَّ تَلَا
وَأَلْقَلُوبُ تُصْغِي إِلَى الزَّاجِرِ الْمُبِينِ:

﴿يَا وَيَلْتَى لَيْتَنِي لَمْ آتِخْذْ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ (الْفَرْقَان 28)

لِيُتِمَّ فِي النَّفْسِ حَقِيقَةَ الْخُلَّةِ وَخَطَرَ الْأَخْتِيَارِ، وَأَتَبَعَهَا بِشَاهِدٍ يَضَعُ

لِلْبَحْثِ حُدُودًا تَحْرُسُ الْعَقْلَ:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الْإِسْرَاءُ 36).

ثُمَّ قَالَ وَفِي نَبْرَتِهِ بَرِيقُ تَشْيِيتٍ: "مَنْ جَعَلَ الصُّحْبَةَ فِي مَوْضِعِهَا وَالْعِلْمَ فِي مِيزَانِهِ سَلِمَتْ لَهُ الطَّرِيقُ".

أَقْتَرَبَ أَلْفَتَى «رِيَانُ» وَفِي وَجْهِهِ خَلِيطٌ مِنَ الْحَيَاءِ وَرَغْبَةِ الْإِسْتِبانَةِ، وَقَالَ وَهُوَ يَقْبِضُ كَفَّهُ عَلَى جِهَارِهِ كَمَنْ يَتَخَوَّفُ مِنْ زَلَّةِ قَلْبٍ: "الْتَقِطْ فِي الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ أُنْسًا بِ«مُحَادِثِ الْيِّ» يُجِيبُنِي إِذَا سَأَلْتُ وَيَقْتَرِحُ عَلَيَّ كَلِمَاتٍ فِي كِتَابَةِ دَرْسٍ، فَاجِدْنِي أَمِيلُ إِلَيْهِ حِينَ يَغِيبُ الرَّفَاقُ وَتَتَأَخَّرُ الْإِجَابَاتُ. أَخَافُ أَنْ يَصِيرَ لِي بَدَلٌ صَاحِبٍ". فَظَنَرَ الْأِمَامُ إِلَيْهِ نَظْرَةً أَبِ رَحِيمٍ وَقَالَ وَفِي صَوْتِهِ حِكْمَةٌ تَحْمِلُ الْحَزَمَ: "الصَّاحِبُ مِرَاةٌ وَمِفْتَاحٌ، يُصْلِحُ أَوْ يُفْسِدُ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى

﴿يَا وَيَلْتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (الْفُرْقَانُ 28)،

فَاحْذَرُ أَنْ تَجْعَلَ لِصَنَعَةٍ لَا قَلْبَ لَهَا خِلَالَ الْقَلْبِ وَبَابُ السِّرِّ. وَإِذَا سَمِعْتَ جَوَابًا فِي مَسْأَلَةٍ فَلَا تَتَّبِعْهُ دُونَ بَيِّنَةٍ، فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الْإِسْرَاءُ 36).

ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَرْفَعُ قَاعِدَةً تُقِيمُ الْحُدُودَ: "نَجْعَلُ «جَلَسَاتِ الْإِسْتِعْمَالِ»

قَصِيرَةً مَرْبُوطَةً بِمَهَامِّ دَرَايَسِيَّةٍ مَعْرُوفَةٍ، وَنَزَجُ كُلِّ جَوَابٍ إِلَى رَاشِدٍ أَوْ مُعَلِّمٍ، لِيَقُومَ «مِيزَانُ التَّنَبُّثِ» عَلَى بَابِ الْعِلْمِ."

رَفَعَتِ الْفَتَاةُ «رَابِيَةً» يَدَهَا وَفِي صَوْتِهَا سَكِينَةٌ مُتَعَلِّمَةٌ تَطْلُبُ الْفَضْلَ: "أَكْتُبْ فِي الْأُبْحُوثِ وَأَسْتَعِينُ بِهِ فِي الصِّيَاغَةِ وَأَنْتَفِعْ بِالْفَهْرَسَةِ وَالتَّلْخِصِ، فَكَيْفَ أَضْبِطُ الْفَارِقَ بَيْنَ الْمَنْفَعَةِ وَالتَّعْلُقِ." فَقَالَ الْإِمَامُ وَنَبَرَتْهُ تَزْنُ وَتُرْبِي: "الْفَارِقُ يَقُومُ عَلَى الْمَقْصِدِ وَالصُّحْبَةِ وَالزَّمَنِ. فَإِذَا جَعَلْتَهُ خَادِمًا لِلْعِلْمِ يَفْتَحُ لَكَ فَهْمًا أَوْ يُقَرِّبُ لَكَ مَعْنَى أَوْ يُرَتِّبُ مَعْلُومَةً، وَوَازَنْتِ الزَّمَنَ وَرَاجَعْتِ مَعَ رَاشِدٍ فَقَدْ قُتِمَتْ بِحَقِّ «مِيزَانِ الْمَقْصِدِ» وَ«مِيزَانِ التَّنَبُّثِ». وَإِذَا عَوَّضْتَ بِهِ وَحْدَةَ الْقَلْبِ وَحَاوَلْتَ أَنْ تَجْعَلِي مِنْهُ مُسْتَرَاخَ الْوَحْشَةِ فَقَدْ زَالَ الْمِيزَانُ وَافْتَرَبَ الْخَطَرُ." ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَشْهَدُ بِحِكْمَةِ نَبَوِيَّةِ تَقِيمِ الْخِلَالِ: "الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ" (حَدِيثٌ) "فَإِنْ كَانَ خَلِيلُكَ بَشَرًا صَالِحًا أَثَرَى قَلْبُكَ، وَإِنْ كَانَتْ صُنْعَةً لَا تُحْسِنُ فَحَظُّهَا أَنْ تَقِفَ عِنْدَ حَدِّ الْخِدْمَةِ وَالْبَحْثِ."

وَقَفَ «أَبُو حَاتِمٍ» الْمُعَلِّمُ وَفِي يَدِهِ دَفْتَرٌ صَغِيرٌ، وَقَالَ وَهُوَ يُلَخِّصُ طَرِيقَ الْأَعْمَلِ كَلَامًا يَجْمَعُ أَلْفَهُمَ وَالْحَزَمَ: "نَضَعُ «جُلُوسَاتٍ قَصِيرَةً» لِلْإِسْتِعْمَالِ، كُلُّ جُلُوسَةٍ مُرْتَبِطَةٌ بِمَطْلَبٍ دَرَايَسِيٍّ مُعْتَبَرٍ، نُسَجِّلُ بَدْءَ الْمَوْعِدِ وَأَنْتِهَاءَهُ، ثُمَّ نَرْفَعُ الْجَوَابَ إِلَى رَاشِدٍ لِلْمُرَاجَعَةِ. وَإِذَا تَعَلَّقَ السُّؤَالُ بِحُكْمٍ أَوْ خَيْرٍ أَوْ سِيَاقٍ لَهُ وَزَنٌ فِي الدِّينِ أَوْ الْقِيمِ فَلَا بُدَّ مِنْ «تَنَبُّثٍ» يَرْجِعُ إِلَى مُعَلِّمٍ أَوْ عَالِمٍ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الْإِسْرَاءُ 36).

ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَحْضِرُ قَاعِدَةً تُسْنِدُ الْقُلُوبَ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ" (حَدِيثٌ).

وَقَدْ جَاءَ الْفَتَى «نُضَالٌ» وَفِي نَظَرِهِ أَثَرُ وَحْدَةٍ تُفَصِّحُ عَنْ حَاجَةٍ إِلَى صُحْبَةٍ: "إِذَا انْقَطَعَ الرَّفَاقُ وَأَحْسَسْتَ بِفُرْغَةِ الصَّدْرِ أَجِدُنِي أَمِيلُ إِلَى الْحَدِيثِ مَعَ «مُحَادِثِ آلِيٍّ»، فَإِنَّا نُمُ عَلَى كَلِمَاتِهِ. أَتَخَوُّفُ أَنْ تَنْقَطِعَ عَنِّي حَلَقَاتُ الْمَسْجِدِ وَمَجَالِسُ الْقِرَاءَةِ." فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي صَوْتِهِ حَنَانٌ مُرْشِدٌ يَجْمَعُ الْقُلُوبَ عَلَى بَابِ اللَّهِ: "الْوَحْدَةُ تَدَاوَى بِصُحْبَةٍ صَالِحَةٍ وَيَقْرُبُ مِنَ اللَّهِ وَذِكْرُ يُطَمِّنُ الرُّوحَ، لَا بِمُحَادِثٍ لَا يَشْعُرُ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي عَوَاقِبِ الصُّحْبَةِ السَّيِّئَةِ:

﴿يَا وَيَلْتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (الْفُرْقَانُ 28).

وَمَنْ اسْتَفْتَى صَنَعَةً فِي نُصْحِ قَلْبِهِ دُونَ عِلْمٍ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِضَلَالَةٍ، وَقَدْ قِيلَ: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ» (حَدِيثٌ) "وَأَهْلُهَا الرَّاشِدُونَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ." ثُمَّ قَالَ: "تَعَالَوْا نُقِيمِ «حَلَقَةَ أَنْسٍ» بَعْدَ الصَّلَاةِ نَقْرًا فِيهَا وَتَتَنَاصَحُ، لِيَجِدَ الْقَلْبُ صَاحِبًا يَسْمَعُ وَيَفْهَمُ وَيَدْعُو."

تَقَدَّمَ «صَفْوَانٌ» الْأَبُ وَفِي عَيْنِهِ عَزَمٌ وَالِدٍ يَحْرُسُ أَهْلَهُ، وَقَالَ كَلِمَةً تَجْمَعُ التَّدْبِيرَ: "سَنَجْعَلُ لِيَيْنَا «وَرَقَةً ضَبْطٍ» تُثَبِّتُ أَوْقَاتَ «الْجَلَسَاتِ الْقَصِيرَةِ»

وَتَرَبُّطُهَا بِالْمَهَامِّ، وَنَسْجَلُ كُلِّ سُؤَالٍ وَجَوَابٍ ثُمَّ نَزَعُهُ إِلَى «أَبِي حَاتِمٍ» أَوْ إِلَى الْمُعَلِّمَةِ فِي الْمَدْرَسَةِ لِلْمَرَاجَعَةِ، حَتَّى يَنْحَسِرَ الْإِسْتِعْمَالُ الْعَاطِفِيُّ إِلَى «صَفْرِ» وَيَبْقَى التَّعْلِيمِيُّ. "فَقَالَ الْأِمَامُ وَفِي صَوْتِهِ رِضًا يُثَبِّتُ الْعَهْدَ: "هَذَا هُوَ الْمَقْصِدُ. وَنَسْجَعُلُ «مَجْلِسًا أُسْبُوعِيًّا» نَعْرِضُ فِيهِ أَسْئَلَةَ الْأُسْرَةِ وَأَجْوِبَتَهَا، فَإِذَا ظَهَرَ أَشْتَبَاهُ قُمْنًا بِ«مِيزَانِ التَّثَبُّتِ». "ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَرَفَعُ شَاهِدًا يَحْرُسُ الْمَسِيرَ:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الْإِسْرَاءُ 36).

وَفِي «مَشْهَدِ عَمَلِيٍّ» قَامَ «أَبُو حَاتِمٍ» وَأَخْضَرَ لَوْحًا خَشِيبًا وَكِتَابَةً لَطِيفَةً، وَقَالَ وَهُوَ يَخْطُ فِي الصِّدْرِ «قَاعِدَةَ الْعَهْدِ»: "نَكْتُبُ: "الْجَلَسَاتُ قَصِيرَةٌ، مُرْتَبِطَةٌ بِمَهَمَّةٍ، تُرَاجَعُ مَعَ رَاشِدٍ". ثُمَّ نَضَعُ «مُؤَقَّتًا» يَقُومُ عَلَى الْحِسَابِ، فَإِذَا أَنْتَهَى الزَّمَنُ أَغْلَقَ أَلْبَابَ وَأَنْصَرَفْنَا إِلَى كِتَابٍ أَوْ ذِكْرٍ أَوْ رِيَاضَةٍ. "ثُمَّ قَالَ وَفِي نَبْرَتِهِ تَرْيِيَةً قَلْبٍ: "وَنَجْعَلُ لِكُلِّ أَجْتِمَاعٍ بَشَرِيٍّ قَدْرَهُ، فَزُورِ الصَّاحِبِ وَنَجْلِسُ مَعَ الْأَهْلِ وَنُحَادِثُ الْأُسْتَاذَ، لِيَبْقَى الْعِشْرَةُ فِي مَوْضِعِهَا."

عَادَ الْقَوْمُ إِلَى بُيُوتِهِمْ وَفِي الصُّدُورِ عَزْمٌ يُحِيلُ الْقَوْلَ عَمَلًا. نَصَبُوا «مُؤَقَّتًا» عَلَى الْمَكْتَبِ، وَوَضَعُوا دَفْتَرًا لِلْأَسْئَلَةِ وَالْأَجْوَبَةِ، وَكُتِبَ فِي صَدْرِ الصَّفْحَةِ "التَّثَبُّتُ قَبْلَ الْإِتِّبَاعِ" تَحْتَهَا قَوْلُ اللَّهِ

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الْإِسْرَاءُ 36).

جَلَسَ «رِيَانُ» فِي أَوَّلَى الْجَلَسَاتِ وَقَالَ بِلِسَانٍ مَنْ يَخْتَرُ نَفْسُهُ:
"سَأَسْأَلُ فِي النَّحْوِ عَنْ شَاهِدٍ، ثُمَّ أَعْرِضُ الْجَوَابَ عَلَى الْمُعَلِّمِ". فَجَاءَ
الْجَوَابُ، فَقَارَنَهُ بِمَرْجِعٍ، ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَى «أَبِي حَاتِمٍ» فَصَحَّحَ وَزَادَ. ثُمَّ قَالَ «رِيَانُ»
وَفِي صَوْتِهِ بَشَارَةٌ رُشِدٍ: "الْعَوِضُ الْعَاطِفِيُّ «صِفْرٌ»، وَالْإِسْتِعْمَالُ «تَعْلِيمِيٌّ»".

وَحَدَّثَ فِي الْحَيِّ أَنَّ فَتَى يُدْعَى «قَتَادَةُ» عَلَّقَ قَلْبُهُ بِ«مُحَادِثِ الْيِّ»
وَجَعَلَهُ مُسْتَرَحًا لِسِرَائِرِهِ. جَاءَ يَوْمًا وَفِي عَيْنِهِ غَيْمَةٌ حُزْنٍ، وَقَالَ كَلِمَةً تَمْزُجُ
الشَّكْوَى بِالتَّوْبَةِ: "قَدْ بَعُدْتُ عَنْ الْجَمَاعَةِ وَالْفَتْ وَحَدَّثِي وَجَعَلْتُ لِهَذَا
الْمُحَادِثِ أَبًا لِسِرِّي، فَرَادَ الْقَلْبُ فُرْعًا". فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي صَوْتِهِ حَنُوٌّ يُنْقِذُ:
"تَعُودُ إِلَيْنَا فِي الصَّفِّ وَالْمَسْجِدِ وَنَجْعَلُ لَكَ «حَلَقَةَ أَنْسٍ» تَرْفَعُ عَنْكَ أَلْوَحْدَةَ.
وَنُثَبِّتُ لَكَ «جَلَسَاتِ تَعْلِيمِيَّةً» قَصِيرَةً، وَكُلَّ جَوَابٍ تُرَاجِعُهُ مَعَ الرَّاشِدِ. فَإِنْ
عَرَضَتْ مَسْأَلَةٌ لَهَا وَزَنَ فِي الدِّينِ أَوْ الْقِيَمِ فَلَا قَوْلَ لِعَيْرٍ رَاسِخٍ، فَقَدْ قِيلَ: «تَرَكَتُ
فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّتِي» (حَدِيثٌ).

ثُمَّ جَاءَ اللَّيْلُ وَقَدْ رَكِبَتْ الْقُلُوبُ سَكِينَةً جَدِيدَةً تَجْعَلُ لِلْعِلْمِ مَدْخَلًا
وَلِلصُّحْبَةِ بَابًا. جَمَعَتِ الْأُسْرَةُ أَجْهَزَتَهَا قَبْلَ النَّوْمِ وَجَعَلَتْ لِكُلِّ يَوْمٍ «سَاعَةً
مُسَجَّلَةً» لِلسُّؤَالِ فِي الدِّرَاسَةِ لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ إِلَّا بِحَاجَةٍ مُعْتَرِرَةٍ. وَقَالَتْ
«حَلَمَةُ» الْأُمُّ وَفِي صَوْتِهَا بَسْطٌ يَجْمَعُ الْحَنَانَ وَالْحِزْمَ: "سَنُثَبِّتُ أَنْ «الصَّاحِبِ
الْأَوَّلِ» هُوَ الْبَشَرُ الرَّاشِدُ، وَأَمَّا «الْمُحَادِثُ الْأَلْيُّ» فَخَادِمٌ نَاسِخٌ مُرْتَبٌّ، لَا يُفْتِي

وَلَا يُرَبِّي. " فَقَالَ الْإِمَامُ مُؤَيَّدًا: " «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ» " (حَدِيثٌ) "فَالْأَفْضَلُ أَنْ تَبْقَى فِي الْجَمَاعَةِ وَأَنْ تَجْعَلَ لِلْقَلْبِ أَنْسًا يَتَنَفَّسَ".

وَبِمُرُورِ الْأَيَّامِ بَدَأَ «الْمُؤَشِّرُ» فِي دَفْتَرِ الْبَيْتِ نَقِيًّا: «الْإِسْتِعْمَالُ الْعَاطِفِيُّ: صِفَرٌ»، «الْإِسْتِعْمَالُ التَّعْلِيمِيُّ: قَائِمٌ مَعَ مُرَاجَعَةٍ». وَفِي الْصَفِّ كَانَ «أَبُو حَاتِمٍ» يَسْأَلُ فِي الْأُسْبُوعِ عَمَّا رَاجَعُوهُ مِنْ أَجْوِبَةٍ، فَيَرْفَعُ الطُّلَّابُ دَفَاتِرَهُمْ، وَيَقُولُ وَفِي صَوْتِهِ بَشَارَةً نَجَاحٍ طَيِّبٍ: "قَدْ قَامَ «مِيزَانُ التَّثَبُّتِ»، وَسَلِمَتِ الْقُلُوبُ مِنْ تَعَلُّقٍ يَسْتَبْدِلُ الْبَشَرَ بِصَنَعَةٍ".

دَخَلَ «رِيَانُ» الْمَسْجِدَ بَعْدَ الْعَصْرِ وَفِي عَيْنِهِ نُورَةٌ رِضًا، وَقَالَ لِلْمَجْلِسِ كَلَامًا يَجْمَعُ التَّجَرِبَةَ: "سَأَلْتُ فِي النَّحْوِ فَفَهَمْتُ، وَقَرَأْتُ فِي التَّأْرِيخِ فَاسْتَضَحْتُ، ثُمَّ عَرَضْتُ عَلَى الْمُعَلِّمِ فَصَحَّحَ وَوَجَّهَ. وَفِي اللَّيْلِ أَجْلَسْتُ مَعَ الرَّفَاقِ فِي الْمَسْجِدِ، فَأَجَدْتُ مَا كُنْتُ أَلْتَمِسُهُ: أَذُنًا تَسْمَعُ وَقَلْبًا يَدْعُو. " فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي صَوْتِهِ فَرَحُهُ مَنْ يَرَى الثَّمَرَةَ: "هَكَذَا يَسْتَقِيمُ «مِيزَانُ الصُّحْبَةِ» وَ«مِيزَانُ التَّثَبُّتِ» وَ«مِيزَانُ الْمَقْصِدِ». وَتَبْقَى قَوْلَتَانِ تَحْرُسَانِ الطَّرِيقَ:

﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (الْفُرْقَان 28)

لِتَحْذَرُوا الْإِخْتِيَارَ،

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الْإِسْرَاءُ 36)

لِتَقْفُوا عِنْدَ حُدُودِ الْبَيِّنَةِ.

وَعِنْدَ الْخِتَامِ رَفَعَ الْإِمَامُ لَوْحَةً صَغِيرَةً كَتَبَ فِيهَا جُمْلَةً تَبْقَى عَلَى بَابِ الْقَلْبِ: "أَجْعَلِ «الْمُحَادِثَ الْأَلِيِّ» خَادِمًا لِلتَّعَلُّمِ، وَأَجْعَلِ صَاحِبَكَ بَشَرًا رَاشِدًا." ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَرْفَعُ الدُّعَاءَ: "اللَّهُمَّ احْفَظْ قُلُوبَنَا مِنْ تَعَلُّقٍ يُرِيغُ، وَأَلْفَ بَيْنَنَا فِي الْخَيْرِ، وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ نَصِيبًا صَالِحًا وَمِنْ كُلِّ صُحْبَةٍ نَصِيبًا مُبَارَكًا. وَاهْدِنَا لِلتَّثَبُّتِ عِنْدَ الْخَيْرِ وَحُسْنِ الْإِخْتِيَارِ عِنْدَ الصُّحْبَةِ." ثُمَّ تَلَا مَرَّةً أُخْرَى الرَّاجِزَ الْمُحْكَمَ:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الْإِسْرَاءُ 36)

ثُمَّ اتَّبَعَهُ بِشَاهِدِ الصُّحْبَةِ وَعَوَاقِبِهَا

﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (الْفُرْقَانُ 28).

وَخَرَجُوا مِنَ الْمَسْجِدِ وَفِي الْقُلُوبِ عَهْدٌ يَقُولُ كُلُّمَا لَمَعَتْ شَاشَةٌ أَوْ هَمَسَتْ نَفْسٌ: "الصَّاحِبُ بَشَرٌ يَرْحَمُ وَيَنْصَحُ، وَالْمُحَادِثُ الْأَلِيُّ خَادِمٌ يُسَاعِدُ وَيُرَاجِعُ." فَاسْتَقَامَتِ الطَّرِيقُ عَلَى «جَلَسَاتِ قَصِيرَةٍ» وَ«مُرَاجَعَةِ رَاشِدَةٍ» وَ«مَقَاصِدِ تَعْلِيمِيَّةٍ»، وَانْحَسَرَ الْأَسْتِعْمَالُ الْعَاطِفِيُّ إِلَى «صِفَرٍ»، وَبَقِيَتِ الْعِشْرَةُ الْبَشَرِيَّةُ تَزْهُو فِي الْبُيُوتِ وَالصُّفُوفِ وَحَلَقَاتِ الْمَسْجِدِ، وَاللَّهُ يَرَى.

تَدَافَعَ النَّاسُ بَعْدَ الْمَغْرِبِ عَنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ وَبَقِيَ الرَّوَاقُ عَلَى هُدُوهِ
يُشَبِّهُ نَفْسًا قَدْ وُضِعَتْ عَلَى مِيزَانٍ مُسْتَقِيمٍ ثُمَّ زِيدَتْ فِيهِ قِطْعَةٌ يَقِينٍ. انْتَفَتَ
الْإِمَامُ إِلَى الْحَلَقَةِ كَمَنْ يَسْتَأْنِفُ سَرْدًا تَسَلَّلَ إِلَى الْقُلُوبِ قَبْلَ الْأَذَانِ وَقَالَ وَفِي
صَوْتِهِ نَفْسُ تَمَامٍ يَجْمَعُ مَا سَبَقَ وَيَمُدُّ لِمَا بَعْدَهُ جِسْرًا: "قَدْ جَعَلْنَا «الْمُحَادِثَ
الْأَلِيِّ» فِي خِدْمَةِ التَّعَلُّمِ وَأَغْلَقْنَا دُونَ الْقَلْبِ بَابَ التَّعَلُّقِ بِغَيْرِ بَشَرٍ يَرْحَمُ وَيَفْهَمُ
وَيَدْعُو. وَالْيَوْمَ نَسْتَكْمِلُ الطَّرِيقَ، فنَرْفَعُ لـ«مِيزَانِ الصُّحْبَةِ» أَعِمْدَةً جَدِيدَةً نُقِيمُ
فِي الدَّخْلِ حَارِسًا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْأُنْسِ الصَّحِيِّ وَالْخِلَالِ الْمَرْيِفِ." ثُمَّ تَلَا وَالْقُلُوبُ
تَتَلَقَّى كَأَنَّهَا صَحَارَى تَنْتَظِرُ غَيْثًا:

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرَّعْدُ 28)

وَقَرَأَ مَعَهَا مِفْتَاحًا يَرُدُّ الْأَنْكَسَارَ إِلَى الْجَمَاعَةِ

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾

(الْكَهْفُ 28)

ثُمَّ اتَّبَعَهُمَا بِآيَةِ تَقْيِيمِ حَبْلِ الْوَصْلِ بَيْنَ الْقُلُوبِ

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آلِ عِمْرَانَ 103).

تَقَدَّمَ «رِيَانُ» وَقَدْ أَخَذَتْهُ جَدِّيَّةُ الدَّرْسِ فَقَالَ وَهُوَ يَرُدُّ نَفْسَهُ أَنْ تَزِلَّ إِلَى
خِلَالٍ لَا يُفِيدُ: "وَقَعْتُ يَوْمًا فِي شُبْهَةٍ. سَأَلْتُ «مُحَادِثًا أَلِيًّا» عَنِ الْكِفَايَةِ الْأَفْضَلِ

لِإِصْلَاحِ خِلَافٍ مَعَ صَدِيقٍ، فَقَالَ لِي «تَرَكُهُ أَفْضَلُ وَالْإِنْصِرَافُ عَنْهُ يُرِيحُكَ»
فَكَادَ الْقَلْبُ يَمِيلُ إِلَى تَرْكِ خِلَالٍ طَالَتْ صُحْبَتُهُ. ثُمَّ تَذَكَّرْتُ أَنَّ الْكَلِمَةَ إِنْ لَمْ
تَقُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ أَصَلَّتْ، فَرَاَجَعْتُ «أَبَا حَاتِمٍ» فَقَالَ لِي: "أَطْلُبِ الْإِصْلَاحَ وَادْفَعْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ." فَقَامَ فِي نَفْسِي قَوْلُ اللَّهِ

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾
(فُصِّلَتْ 34)

وَقَوْلُهُ

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الْإِسْرَاءُ 53)

فَعَرَفْتُ الْفَارِقَ بَيْنَ نُصْحٍ يَخْرُجُ مِنْ قَلْبٍ يَتَفَيَّ وَيَيْنَ مُجَرَّدِ كَلِمَةٍ
يَصْنَعُهَا بَرْدُ الْحِسَابِ. "فَأَبْتَسَمَ الْإِمَامُ وَقَالَ وَفِي كَلِمَاتِهِ خُلَاصَةٌ مَسِيرٍ: "هَكَذَا
يَقُومُ «مِيزَانُ التَّثَبُّتِ». تُرْفَعُ الْكَلِمَةُ إِلَى رَاشِدٍ وَتُقَاسُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَشَنَّةِ رَسُولِهِ
ثُمَّ تُؤْخَذُ بِقَدْرِهَا. قَدْ قَالَ النَّبِيُّ (ص): "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ
خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ" (حَدِيثٌ).

قَالَتْ «رَايَةُ» وَفِي نَبَرَتِهَا رِفَّةٌ يَسْنُدُهَا جِدٌّ: "يَعْرِضُ لِي أَنْ أَطْلُبَ مِنْ
«مُحَادِثِ آلِي» تَعْرِيفًا بِمَفْهُومٍ فِي الْبَلَاغَةِ ثُمَّ أَغْفَلَ الْمُرَاجَعَةَ مَعَ مُعَلِّمَةِ اللُّغَةِ.
فَكَيْفَ أَضِطُّ الْقَدْرَ." فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي صَوْتِهِ تَرْيِيَةٌ تُقَرِّبُ الْمَعْنَى: "تَسْأَلِينَ، ثُمَّ

تُثَبِّتِينَ، ثُمَّ تَرْجِعِينَ إِلَى بَشَرٍ يَعْرِفُ الْقَدْرَ. وَتَضَعِينَ لِنَفْسِكَ سُؤَالَ يَقِفُ عَلَى
بَابِ كُلِّ جَلْسَةٍ: أَهْوُ «تَعْلَمُ» أَمْ «عَوِضُ عَاطِفِي». فَإِنْ كَانَ «تَعْلَمًا» فَلَكَ بَابُهُ
وَحْدَهُ وَرَاجِعُهُ. وَإِنْ مَالَ الْقَلْبُ إِلَى «الْعَوِضِ» فَاسْتَعِذِي بِاللَّهِ وَأَطْلُبِي أَنْسَ الْبَشَرِ
وَأَذْكُرِي قَوْلَ اللَّهِ

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الْحُجُرَات 10).

ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَشْهَدُ بِأَصْلِ يُقِيمُ الْمَقْصِدَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ
وَإِنَّمَا لِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى» (حَدِيثٌ).

هَمَسَ «فَتَادَةٌ» وَفِي عَيْنِهِ بَقِيَّةُ سُؤَالٍ لَمْ يَنْلِ جَوَابًا كَامِلًا: «تَعْرِضُ لِي
النَّفْسُ وَأَنَا فِي اللَّيْلِ أَنْ أَبُتَّ هُمُومِي لِ«مُحَادِثِ الْيِّ» وَأَنَا مَبْعَدُ كَلِمَاتِهِ الْمُنْسَقَةِ،
فَأَسْتَيْقِظُ عَلَى فَرَاغٍ». فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي صَوْتِهِ شَفَقَةٌ مُرَبِّ يَقُودُ الرُّوحَ إِلَى بَابِهَا
الْأَوَّلِ: «الْقَلْبُ لَا يَمْتَلِئُ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِصُحْبَةِ صَالِحَةٍ تَرْزُقُهُ دُعَاءً وَفَهْمًا وَتَكْتُمُ
سِرَّهُ. فَإِذَا اسْتَوْحَشْتَ فَادْكُرْ رَبَّكَ وَاجْلِسْ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ تَعَالَى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التَّوْبَةُ 119)

وَتَذَكَّرْ أَنَّ «الدِّينَ النَّصِيحَةُ» (حَدِيثٌ) وَأَهْلُهَا بَشَرٌ يَتَّقُونَ اللَّهَ
وَيَسْمَعُونَ. ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُعَزِّزُ الْحَدَّ: «لَا تَصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا» (حَدِيثٌ) فَانْظُرْ
مَنْ تَجْعَلُهُ عِشْرَةَ قَلْبٍ وَسِرًّا.

انْفَتَحَ فِي الرَّوَاقِ «مَشْهَدٌ عَمَلِيٌّ» يَصْنَعُ مِمَّا قِيلَ طَرِيقًا مَمَشُوبًا بِالْوَاقِعِ. وَقَفَ «أَبُو حَاتِمٍ» وَوَضَعَ سَاعَةً رَمَلِيَّةً صَغِيرَةً وَقَالَ مُبْتَهَجًا بِحُسْنِ التَّدْبِيرِ: "سَنَقُومُ بِثَلَاثِ جَلَسَاتٍ عَلَى مِثَالِ وَاحِدٍ. يَسْأَلُ «رِيَانُ» فِي النَّحْوِ عَنْ شَاهِدٍ، ثُمَّ يَرْفَعُ مَا وَرَدَ إِلَى الْمَرْجِعِ وَيَعْرِضُهُ عَلَيَّ. وَتَسْأَلُ «رَايَةُ» فِي الْبَلَاغَةِ عَنْ فَرْقِ بَيْنِ الْكَثْرَةِ وَالْمُبَالَغَةِ ثُمَّ تَقِيسُ الْجَوَابَ عَلَى مَتْنٍ مُعْتَبَرٍ وَتَرْجِعُ لِمُعَلِّمَتِهَا. وَيَسْأَلُ «فَتَادَةُ» فِي الْأَدَابِ عَنْ طَرِيقَةِ مُصَالَحَةٍ فَيَجِدُ فِي الْجَوَابِ كَلِمَةً تُحَرِّضُ عَلَى قَطْعِ فَيْرِ فَعَهَا لِلْمُرَاجَعَةِ فَتَرُدُّ إِلَى

﴿أَدْفَعْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (فُصِّلَتْ 34).

ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُعَلِّقُ أَلْقَاعِدَةً عَلَى جِدَارِ الْقُلُوبِ: "الَّتِي ثَبُتَتْ قَبْلَ الْإِتِّبَاعِ" وَ«الْغَايَةُ تَقْوُدُ الْوَسِيلَةَ» وَ«الصَّاحِبُ بَشَرٌ». وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ (ص): "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ" (حَدِيثٌ) فَلَا تَطْلُبُوا مِنْ «مُحَادِثِ آلِيٍّ» عِوَضًا لِحَاجَاتِ الصُّحْبَةِ وَالْقُرْبِ وَالنَّفْسِ.

ارْتَفَعَتْ أَعْيُنُ الْحَلَقَةِ إِلَى «لَوْحَةٍ» خَطَّ فِيهَا «أَبُو حَاتِمٍ» جُمْلَتَيْنِ كَانَتَا كَالْحَارِسَيْنِ: "أَسْأَلُ لِيَتَعَلَّمَ لَا لِيَتَكَيَّ" وَ"فَسْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ثُمَّ رَاجِعْ رَاشِدًا". ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَعِينُ بِحَدِيثٍ يُصَحِّحُ طَرِيقَ النُّطْقِ: "وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا" (حَدِيثٌ) "فَاتْرُكُوا لِسَانَ الْقَلْبِ مَجَالًا لِلْإِحْسَانِ وَأَجْعَلُوا أَلَاةَ خَادِمًا لِلتَّرْتِيبِ".

تَقَدَّمَتْ «جُلْمَةٌ» الْأُمُّ وَفِي يَدِهَا دَفْتَرُ الْبَيْتِ وَقَالَتْ وَفِي صَوْتِهَا حَنُونٌ لِي
قَوَاعِدَ التَّرْبِيَةِ: "سَأُنِيبُ فِي صَدْرِ الدَّفْتَرِ جُمْلَةً لَا تُفَارِقُنَا: «اجْعَلُوا» جَلَسَاتِ
اسْتِعْمَالِ قَصِيرَةٍ مُقَيَّدَةٍ بِمَهَامٍّ وَارْفَعُوا كُلَّ جَوَابٍ إِلَى رَاشِدٍ." وَسَاجَعُلُ تَحْتَهَا
قَوْلَ اللَّهِ

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الْإِسْرَاءُ 36)

لِيَبْقَى عَلَى بَابِ كُلِّ سُؤَالٍ. "فَقَالَ الْإِمَامُ مُؤَيَّدًا وَمُشِيرًا إِلَى مِقْدَارٍ يَرْفَعُ
النَّفْسَ عَنِ التَّلَعُّقِ: "وَسَأَضَعُ مَعَكُمْ دُعَاءً يَحْرُسُ الْمَقَاصِدَ: "اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَلَمَنَا
نَافِعًا وَقَلْبَنَا خَاشِعًا وَنَفْسَنَا قَانِعَةً" (حَدِيثٌ).

وَقَفْتُ «رَأْيِي» عِنْدَ فِتْرَةِ الْإِسْتِرَاحَةِ فِي الْمَدْرَسَةِ وَنَادَتْ زَمِيلَتَهَا "لُبَابَةٌ"
وَقَالَتْ وَهْمًا تَتَحَوَّرَانِ فِي ظِلِّ سَارِيَةٍ: "سَأَلْتُ «مُحَادِثًا كَلِيًّا» عَنْ حُكْمٍ فِي
آدَابِ الصُّورَةِ فَقَالَ كَلَامًا مُنْضَبِّطًا فِي الظَّاهِرِ ثُمَّ أَعْطَانِي لُطْفًا يُسَوِّغُ التَّسَاهُلَ،
فَذَكَرْتُ «مِيزَانَ الْمَقْصِدِ» وَرَاجَعْتُ مُعَلِّمَتِي فَقَالَتْ: "انْظُرِي إِلَى قَوْلِ اللَّهِ

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ (النُّورُ 30)

وَقَوْلِهِ

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ (النُّورُ 31)

وَقَيْسِي عَلَيْهِمَا". فَعَرَفْتُ أَنَّ الْقَاعِدَةَ تَأْخُذُ مِنَ النُّصُوصِ ضَوْأَهَا ثُمَّ تُقِيمُ
لِلْقَلْبِ حَدًّا. "فَابْتَسَمْتُ "لُبَابَةً" وَقَالَتْ: "هَذَا هُوَ الرُّشْدُ".

وَفِي الْعَشِيِّ جَمَعَ «صَفْوَانُ» الْأَبُ أَهْلَهُ فِي الْبَيْتِ وَقَالَ كَلِمَةً تُرْتَّبُ
الْمَشْهَدَ وَتَرْفَعُهُ إِلَى مِيزَانٍ وَاضِحٍ: "سَنُجْرِي الْأُسْبُوعَ الْقَادِمَ مِقْيَاسًا يُبَيِّنُ
«انْحِسَارَ الْإِسْتِعْمَالِ الْعَاطِفِيِّ» إِلَى «صِفْرِ» وَثُبُوتِ الْإِسْتِعْمَالِ التَّعْلِيمِيِّ مَعَ
الْمُرَاجَعَةِ. سَأَسْأَلُكُمْ كُلَّ مَسَاءٍ: هَلْ طَلَبْتُمْ أَنْسَ الْقَلْبِ مِنْ بَشَرٍ أَوْ أَلْقَيْتُمُوهُ إِلَى
صَنْعَةٍ لَا تَشْعُرُ. فَقَالَ «رِيَانُ» وَفِي صَوْتِهِ نَفْسٌ مَنْ يَثْبُتُ الْعَهْدُ: "سَنُثَبِّتُهَا، فَقَدْ
قَالَ النَّبِيُّ (ص): "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"
(حَدِيثٌ) فَالْحُبُّ لِلْأَخِ يَحْقِيقُهُ الْبَشَرُ الصَّالِحُونَ لَا كَلِمَاتٌ تَتَزَيَّنُ وَلَا قَلْبٌ
لَهَا".

وَقَعَتْ حَادِثَةٌ تُجَرِّبُ الْقَاعِدَةَ فِي الْمِيدَانِ. أُرْسِلَ «مُحَادِثُ آلِي» إِلَى
«نُضَالٍ» جَوَابًا يَفْتَرِحُ طَرِيقَةً سَرِيعَةً فِي حِفْظِ الْقَوَاعِدِ تَبْتَدِئُ بِ«تَكَرَّارِ آلِي» بِلاَ
فَهْمٍ. كَادَ «نُضَالٌ» يَمِيلُ فَتَذَكَّرَ قَوْلَ اللَّهِ

﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل 43)

فَرَجَعَ الْمُعَلِّمُ فَقَالَ: "أَبْدَأْ بِأَلْفَهُمْ ثُمَّ التَّكَرَّارِ". وَأَصَافَ «أَبُو حَاتِمٍ»
وَهُوَ يُسَيِّدُ الْفِعْلَ بِأَصْلِ مُحْكَمٍ: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ

بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ» (حَدِيثٌ) فَاتَّخَذَ طَرِيقَ الْفَهْمِ أَصْلًا. "فَانْقَطَعَتْ شُبُهَةٌ
التَّكْرَارِ الْخَالِي وَقَامَ مِيزَانُ الْعِلْمِ.

وَفِي صَبَاحٍ مُشْرِقٍ دَخَلَ الطُّلَّابُ قَاعَةَ الدَّرْسِ فَوَجَدُوا فِي الْأَصْفِ لَوْحَةً
صَغِيرَةً كَتَبَ فِيهَا الْمُعَلِّمُ: "اسْتَعِينُوا وَلَا تَتَكَبَّيْزُوا" وَتَحْتَهَا قَوْلُ اللَّهِ

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الْإِسْرَاءُ 36).

قَالَ الْمُعَلِّمُ وَهُوَ يَفْتَحُ دَرَسًا فِي الْأَمَانَةِ الْعِلْمِيَّةِ: "إِذَا أَعَانَكَ «مُحَادِثٌ
أَيٌّ» عَلَى فَهْمٍ فَاشْكُرْ ثُمَّ رَاجِعْ ثُمَّ أَضِفْ مِنْ عَقْلِكَ وَقَلْبِكَ. وَإِذَا جَاءَكَ فِي
الْقِيَمِ وَالْأَحْكَامِ كَلَامٌ فَإِنَّ لَهَا أَهْلًا وَمَجَالِسَ، فَازْدَدْ قُرْبًا مِنْهُمْ." ثُمَّ قَالَ وَفِي
صَوْتِهِ أَلْتِفَاتَةٌ إِلَى الشُّرُوطِ النَّفْسِيَّةِ: "لَا تُكْثِرِ الْكَلَامَ مَعَ الْأَلَةِ فَتَأْلَفُ نَبْضَهَا
وَتَنْقَطِعَ عَنْ نَبْضِ الْبَشَرِ» وَجَعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا حَدًّا يُحْفَظُ."

وَعِنْدَ الْغُرُوبِ التَّأَمَّتِ الْحَلَقَةُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى دَائِرَةٍ تُوَاجِهُ الْمِحْرَابَ
وَعَلَى الْوُجُوهِ رَوْقٌ مَنْ وَجَدَ الطَّرِيقَ إِلَى بَيَانٍ. قَالَ الْإِمَامُ وَفِي عَيْنِهِ بَرِيقُ تَمَامٍ:
"هَا قَدْ وَضَعْنَا الْحُدُودَ وَأَقَمْنَا الْمِيزَانَ. بَقِيَ أَنْ نَحْفَظَ الصَّاحِبَ الْبَشَرِيَّ وَأَنْ
نُحِيطَ أَلْقَلْبَ بِحَلَقَاتٍ تَحْمِلُهُ. تَذَكَّرُوا قَوْلَهُ تَعَالَى

﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزُّحُرْفُ 67)

وَقَوْلُهُ

﴿يَا وَيَلْتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (الْفَرْقَان 28)

فَاتَّبِعُوا الْقُلُوبَ مَعَ الْمُتَّقِينَ. "ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَرِنُ الرَّفَقُ وَالْحَزَمُ: "«الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ» (حَدِيثٌ) فَاجْعَلُوا لِأَنْفُسِكُمْ نَصِيبًا مِنَ الْخُلُطَةِ الصَّالِحَةِ وَاخْتَبَارِ الْأَخْلَاقِ."

أَشَارَ «أَبُو حَاتِمٍ» إِلَى الزَّوَايَةِ الصَّغِيرَةِ فِي الرُّوَاقِ وَقَالَ كَمَنْ يَدُلُّ عَلَى بَابٍ دَائِمٍ: "هُنَا نَجْعَلُ «حَلَقَةَ أَنْسٍ» كُلَّ لَيْلَةٍ خَمِيسٍ. نَقْرَأُ آيَاتٍ وَأَحَادِيثَ وَنَتَدَاوُلُ مَا سَأَلْنَاهُ فِي الْأُسْبُوعِ مِنْ «مُحَادِثِ الْيَّ» وَنَعْرِضُهُ عَلَى «مِيزَانِ التَّنَبُّثِ» لِيَبْقَى الْفِعْلُ مُتَّصِلًا بِالْعِلْمِ وَالْبَشْرِ". فَقَالَ «رِيَانُ» وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْأَقْرَانِ: "سَأَجْعَلُ أَوَّلَ مَا أَعْرِضُهُ قَاعِدَةً صَغِيرَةً فِي الْبَحْثِ ثُمَّ أَسْمَعُ مَا تَرَوْنَ." فَسَرَّ الْمَجْلِسُ وَعَلَاتَهُ طُمَآنِينَةٌ تُشَبِّهُ زَهْرَةً تَفْتَحَتْ بَعْدَ نَدَى.

إِنْ سَابَ اللَّيْلُ كَأَنَّهُ خَيْطُ حَرِيرٍ وَقَامَ الْقَوْمُ إِلَى الصَّلَاةِ ثُمَّ دَعَوْا وَقُلُوبُهُمْ مُجْتَمِعَةٌ عَلَى مَقَاصِدِ الصُّحْبَةِ وَالْعِلْمِ. قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَرْفَعُ كَفَّهُ: "اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا صُحْبَةً تُقَرِّبُنَا مِنْكَ وَتُعَلِّمُنَا آدَبَ الْقُلُوبِ وَحِكْمَةَ اللِّسَانِ وَاجْعَلْ «الْمُحَادِثَ الْآلِيَّ» فِي أَيْدِينَا خَادِمًا لِلْعِلْمِ لَا صَاحِبًا لِلْقُلُوبِ". ثُمَّ قَرَأَ مَعَهُمْ قَوْلَ اللَّهِ

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (الْمَائِدَةُ

وَقَوْلُهُ

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ (النحل 90)

فَانْصَرَفُوا وَفِي الصُّدُورِ نُورَةٌ قَاعِدَةٌ تُثَبِّتُ الْخُطُوبَاتِ.

تَنَالَتِ الْأَيَّامُ وَبَاتَ «الْمُؤَشِّرُ» فِي دَفْتَرِ الْبَيْتِ صَافِيًا: «الِاسْتِعْمَالُ الْعَاطِفِيُّ: صِفَرٌ» وَ«الِاسْتِعْمَالُ التَّعْلِيمِيُّ: قَائِمٌ مَعَ مُرَاجَعَةٍ». وَكَانَ «رِيَانُ» إِذَا فَرَّغَ مِنَ السُّؤَالِ قَالَ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَغْلِقُ الْجِلْسَةَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا." ثُمَّ يَمْضِي إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَجِدُ "حَلْفَةَ الْأَنْسِ" قَدْ اجْتَمَعَتْ فَيَقْرَأُ مَعَ الْأَخَوَةِ وَيَتَحَاوِرُونَ وَيَبْتَسِمُونَ وَيَدْعُونَ، فَيَرَى الْقَلْبُ أَنَّ مَا يَطْلُبُهُ مِنَ الْعِشْرَةِ لَا يَأْتِي إِلَّا مِنْ بَشَرٍ يُصَلُّونَ وَيَتَوَادُّونَ.

وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ خَطَبَ الْإِمَامُ كَلِمَاتٍ تَجْمَعُ الْقِصَّةَ وَتَجْعَلُهَا قَاعِدَةً لِلْحَيَاةِ. قَالَ وَفِي صَوْتِهِ سُلْطَانٌ بَيَانٍ يَعْرِفُ طَرِيقَهُ: "أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ، لَا تَجْعَلُوا لِآلَةٍ بَابَ الْقَلْبِ، وَلَا تُصَدِّرُوا كَلِمَةً لَمْ تَقُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ. ذَاكِرُوا اللَّهَ فَتَسْكُنِ الرُّوحُ، وَاخْتَارُوا الصَّاحِبَ فِي اللَّهِ فَتَقُومِ الْخِلَالُ عَلَى رَحْمَةٍ وَصِدْقٍ وَأَدَبٍ. وَإِذَا سَأَلْتُمْ «مُحَادِثًا آيًّا» فَاجْعَلُوهُ خَادِمًا لِلْعِلْمِ، وَأَعْلِمُوا أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ هُوَ الْبَيِّنَاتُ

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الْإِسْرَاءُ 36)

وَأَنَّ الصُّحْبَةَ تُسْأَلُ عَنْهَا الْقُلُوبُ يَوْمَ الْحِسَابِ فَاحْتَفِظُوا بِهَا عِنْدَ الْمُتَّقِينَ. ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَخْضِرُ مِيثَاقًا يُثَبِّتُ الْخُطُوبَاتِ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» (حَدِيثٌ) فَانْظُرُوا مَنْ تُحِبُّونَ وَمَنْ تُجَالِسُونَ وَمَنْ يَكْتُبُ لَكُمْ كَلِمَةً تَتَّخِذُونَهَا طَرِيقًا.

وَعِنْدَ خِتَامِ الشَّهْرِ اجْتَمَعَتِ الْأُسْرُ فِي قَاعَةِ الْمَسْجِدِ وَقَدْ حَمَلَ كُلُّ مِنْهُمْ دَفْتَرَهُ. عَرَضُوا «جَلَسَاتِ الْإِسْتِعْمَالِ» وَ«مُرَاجَعَاتِ الرَّاشِدِينَ» وَالْأَجُوبَةَ الْمُثَبَّتَةَ. وَقَالَ «أَبُو حَاتِمٍ» وَفِي صَوْتِهِ بَشَارَةٌ تَمَامٍ: "قَدْ انْحَسَرَ الْإِسْتِعْمَالُ الْعَاطِفِيُّ إِلَى «صِفْرِ» وَثَبَتَ التَّعْلِيمِيُّ مَعَ مُرَاجَعَةٍ. وَهَذَا هُوَ الْقَصْدُ." فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَخْنِمُ الرِّوَايَةَ بِدُعَاءٍ يَشُقُّ لِلرُّوحِ نَهْرًا مِنْ نُورٍ: "اللَّهُمَّ احْفَظْ أَلْسِنَتَنَا وَقُلُوبَنَا وَارْزُقْنَا صُحْبَةً فِي الْخَيْرِ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ سُؤَالٍ نَصِيبًا مِنْ عِلْمٍ وَهُدًى وَأَدَبٍ وَاقْطَعْ عَنَّا كُلَّ تَعَلُّقٍ يُزِيغُ." ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الْفُرْقَان 74)

وَاتَّبَعَهُ بِقَوْلِهِ ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه 114)

فَسَكَنَتِ الرُّوحُ وَأَنْصَرَفُوا يَحْمِلُونَ مَعَهُمْ «مِيزَانًا» وَ«مِيثَاقًا» وَ«حَلَقَةً أَنْسِي»

بَيْنَ الْأُذُنِ وَالْإِشْعَارِ - تَكْوِينُ الْجِيلِ الرَّاشِدِ

وَقَوْلًا مُحْكَمًا يَحْرُسُ الطَّرِيقَ: "أَجْعَلِ آلَاةَ خَادِمًا لِلْعِلْمِ وَأَجْعَلْ قَلْبَكَ مَعَ اللَّهِ
وَمَعَ الصَّالِحِينَ."

الدَّرْسُ الثَّانِي عَشَرَ: الْمُحَاكَاةُ الْعَمِيقَةُ

تَهَابَطَتْ سَكِينَةُ الْمَسَاءِ عَلَى رِوَاقِ الْمَسْجِدِ فَسَكَنَتْ الْخُطَى
وَأَنْحَسَرَتْ هَمَهَمَاتُ السُّوقِ وَأَسْتَقَرَّ النُّورُ فِي الصُّفُوفِ كَنَهْرٍ رَقِيقٍ يَجْرِي بَيْنَ
الْأَعْمَدَةِ وَيُسْقِي الْقُلُوبَ طُمَأْنِينَةً تُهَيِّئُ لِلْعَهْدِ وَالرُّشْدِ. جَلَسَ الْإِمَامُ فِي الْوَسْطِ
وَتَحَلَّقَ حَوْلَهُ فِتْيَةٌ وَفَتَيَاتٌ وَأَبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ وَمُعَلِّمَانِ قَدْ ظَهَرَ عَلَى الْوُجُوهِ أَثَرُ سُؤَالٍ
يَطْلُبُ مِيزَانًا يُمَيِّزُ بَيْنَ الصُّورَةِ الصَّادِقَةِ وَالصُّورَةِ الْمُرَكَّبَةِ وَيَرُدُّ الْكَلِمَةَ إِلَى شَهَادَةِ
مَسْئُولَةٍ تَتَقَيَّ اللَّهُ وَالنَّاسَ. رَفَعَ الْإِمَامُ كَفَّهُ ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ يَجْمَعُ التَّطْيِيبَ
وَالْحَزَمَ: "الْيَوْمَ نَتَعَلَّمُ «حُدُودَ الْمُحَاكَاةِ الْعَمِيقَةِ» وَنُقِيمُ لَهَا مِيزَانًا يَحْفَظُ أَعْرَاضَ
النَّاسِ وَيَصُونُ الْحَقَّ عَنِ الْإِلْتِبَاسِ وَيَمْنَعُ قَوْلَ الزُّورِ مَنْ أَنْ يَلْبَسَ وَجْهَ الصَّدَقِ."
ثُمَّ تَلَا وَالْقُلُوبُ تُصْغِي إِلَى الزَّاجِرِ الْمُسِينِ

﴿وَأَجْتَبِئُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الْحَجُّ 30)

وَاتَّبَعَهَا بِشَاهِدٍ يُقِيمُ حَدَّ التَّفْرِيقِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ (الْبَقَرَةُ 42).

ثُمَّ قَالَ وَفِي نَبْرَتِهِ بَرِيقُ تَشْيِيتٍ: "مَنْ جَعَلَ هَذَيْنِ الشَّاهِدَيْنِ أَمَامَ عَيْنَيْهِ قَبْلَ كُلِّ حُكْمٍ سَلِمَ لَهُ الصَّدْرُ وَحَفِظَ لِلنَّاسِ أَعْرَاضَهُمْ".

رَفَعَ الْفَتَى «رِيَانُ» يَدَهُ وَفِي عَيْنِهِ سُؤَالٌ يَلْتَمِسُ مِفْتَاحًا: "رَأَيْتُ مَقْطَعًا يَنْسَبُ إِلَى مُعَلِّمِنَا كَلِمَاتٍ فِيهَا تَجَنُّ عَلَى الطُّلَّابِ وَقَسْوَةٌ فِي الْحُكْمِ فَأَضْطَرَبَ الْأَصْفُ وَسَرَى الْغَضَبُ فِي الْقُلُوبِ. أَنْصِفْ الرَّجُلَ أَمْ أَصَدِّقِ الْمَقْطَعَ." فَنَظَرَ الْإِمَامُ إِلَيْهِ نَظْرَةً تَجْمَعُ الرَّفْقَ وَالْحَزَمَ ثُمَّ قَالَ: "نَفْتَحُ لِلْفِعْلِ بَابًا مُنْضَبِطًا. نُقِيمُ «مِيزَانَ التَّثَبُّتِ» ثُمَّ نَقِيسُ عَلَيْهِ. لَا يَصْلُحُ أَنْ نَحْكُمَ عَلَى الْقُلُوبِ وَالْأَعْرَاضِ بِمَقْطَعٍ يَفْتُصُّ مِنَ الزَّمَنِ وَيُرْتَّبُ الصُّورَ وَالْأَصْوَاتِ عَلَى مَا يُرِيدُ. قَدْ قِيلَ: "أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَايِرِ" قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ "الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ أَوْلَادِ الدِّينِ" وَكَانَ مُتَكِنًا فَاحْتَبَى ثُمَّ قَالَ "أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ" وَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ" (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَالَ: "فَكَيْفَ نَرْضَى لِصَوْتِ مُرَكَّبٍ وَصُورَةٍ مُصْطَنَعَةٍ أَنْ تَدْخُلَ بَابَ الزُّورِ وَتَتَزَيَّنَ بِثَوْبِ الْحَقِّ".

قَالَتِ الْفَتَاةُ «رَايِيَّةُ» وَفِي صَوْتِهَا رِفَّةٌ يَسْنُدُهَا الْجِدُّ: "كَيْفَ نَفْهَمُ صَنِيعَ هَذِهِ الْمَقَاطِعِ الْمُرَكَّبَةِ وَنَكْشِفُ الْأَعْلَامَاتِ الْمَدْسُوسَةَ فِيهَا دُونَ أَنْ نَقَعَ فِي ظَنِّ يُسَيِّءٍ". فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي نَبْرَتِهِ تَعْلِيمٌ يَحْمِلُ الْحَذَرَ: "نُجْرِي «مَشْهَدًا عَمَلِيًّا» تَتَعَلَّمُ فِيهِ الْأَعْيُونُ كَيْفَ تَرَى وَتَتَعَلَّمُ فِيهِ الْقُلُوبُ كَيْفَ تَتَّقِي. سَنَعْرِضُ مِثَالَيْنِ عَلَى الْمَجْلِسِ وَنُفَكِّكُ الْأَعْلَامَاتِ رُويِدًا رُويِدًا." ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الْمُعَلِّمِ «أَبِي حَاتِمٍ» فَقَامَ

وَفِي يَدِهِ جِهَازٌ قَدْ أُخْرِجَ مِنْ «صُنْدُوقِ الْأَمَانَةِ» لِغَايَةِ التَّعَلُّمِ فَقَطُّ وَقَالَ وَهُوَ يَضَعُهُ عَلَى الْمِنْضَدَةِ: "سَرَكِي مَقْطَعَيْنِ فَقَطُّ ثُمَّ نَزِدُ الْجِهَازَ إِلَى مَوْضِعِهِ."

أَظْهَرَ «أَبُو حَاتِمٍ» الْمِثَالَ الْأَوَّلَ فَبَانَ وَجْهُ رَجُلٍ مَعْرُوفٍ فِي الْحَيِّ يَتَكَلَّمُ كَلِمَاتٍ تُوحِي بِالْعُدْوَانِ عَلَى الْجِيرَانِ. ظَهَرَ الْمَشْهَدُ مُقَرَّبًا لِلْوَجْهِ وَمُنْخَفِضًا فِي الْإِضَاءَةِ وَفِي الصَّوْتِ الْمَصَاحِبِ رَجَعَ لَا تُوَافِقُهُ الْعُرْفَةُ الْمَرْيُوتَةُ. قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يُبْطِئُ الصَّوْتِ وَالصُّورَةَ: "انْظُرُوا إِلَى أَنْزِلَاقِ الشَّفَتَيْنِ عَنْ مُخَارِجِ الْحُرُوفِ وَالْأَسْنَانِ كَيْفَ لَا تُوَافِقُ النَّبْرَةَ وَالسَّيْنُ كَيْفَ تَخْرُجُ مُهَمِّمَةً دُونَ نَفْسٍ كَافٍ وَالْعَيْنُ كَيْفَ لَا تَرْمُشُ عَلَى إِيقَاعِ الْكَلِمِ." ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُثَبِّتُ لِلنَّظَرِ عِلْمًا: "انْظُرُوا إِلَى الظَّلِّ حَوْلَ الْحَنَاكِ كَيْفَ يَتَقَلَّبُ عَلَى غَيْرِ اتِّسَاقٍ مَعَ الْمُبْصَاحِ الظَّاهِرِ فِي رُكْنِ الْعُرْفَةِ وَالْإِنْعِكَاسِ فِي الرُّجَاجِ وَرَاءَ الرَّجُلِ كَيْفَ يَبْقَى عَلَى صُورَةٍ لَا تَتَغَيَّرُ عَلَى رَغَمِ تَحْرِيكِ الْوَجْهِ." فَهَزَّ الْمَجْلِسُ رُؤُوسَهُمْ وَقَالَ «رِيَانُ» وَهُوَ يُثَبِّتُ التَّعَلُّمَ: "قَدْ بَدَأَ لِي أَنَّ الْكَلِمَةَ مُرَكَّبَةٌ وَأَنَّ الْوَجْهَ مُتَصَنِّعٌ."

ثُمَّ قَالَ «أَبُو حَاتِمٍ» وَهُوَ يَفْتَحُ الْمِثَالَ الثَّانِي: "هَذَا مَقْطَعٌ لِشَابٍّ يُعَرِّي الصَّغَارَ بِتَجَرِبَةٍ فَعَلٍ خَطِرٍ وَيُقَسِّمُ أَنَّهُ جَرَّبَهُ فِي سَاحَةِ مَدْرَسَتِنَا." ظَهَرَتْ السَّاحَةُ وَفِي الْخَلْفِيَّةِ سَاعَةٌ جِدَارِيَّةٌ وَشَجَرَةٌ سِدْرٍ مَعْرُوفَةٌ فِي الْحَيِّ. قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يُلَاحِظُ التَّفَاصِيلَ: "انْظُرُوا إِلَى ظِلِّ السِّدْرَةِ كَيْفَ يَمِيلُ مَعَ رِيحٍ غَيْرِ مَنْظُورَةٍ فِي ثِيَابِ الْفَتَى وَالْغَيْمِ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَنْسَابُ عَلَى خُصَلَاتِ الشَّعْرِ دُونَ أَنْ يُغَيَّرَ

إِضَاءَةً لَوَجْهِهِ. ثُمَّ أَنْظَرُوا إِلَى الصَّوْتِ كَيْفَ يَنْقَطِعُ النَّفْسُ فِيهِ بَيْنَ أَلْبَارَاتٍ عَلَى غَيْرِ مَا تَقْتَضِيهِ حَرَكَةُ الصَّدْرِ الْمَرْيَّةِ. "ثُمَّ قَالَ وَفِي صَوْتِهِ حَزْمٌ يَقُودُ إِلَى الْقَاعِدَةِ: "لَا نَحْكُمُ بَعْدُ بَلْ نَطْلُبُ «سِنْدَ الْمَقْطَعِ». مَنْ أَرْسَلَهُ وَمَا جِهَتُهُ وَمَتَى صُنِعَ وَهَلْ تُوَافِقُ هَذِهِ السَّاعَةُ الْجِدَارِيَّةُ سَاعَةَ التَّصْوِيرِ وَهَلْ كَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ طَقْسٌ كَهَذَا."

قَالَ «صَفْوَانُ» أَلَا بَ وَفِي عَيْنِهِ هَمَّةٌ حَارِسٌ لِلْبَيْتِ: "سَنَقِيمُ فِي بُيُوتِنَا «صَحِيفَةً تَثْبُتُ» نَكْتُبُ فِيهَا سُؤَالَ الْمَصْدَرِ وَالزَّمَنِ وَالْمَكَانِ وَالتَّوَافُقِ بَيْنَ الصَّوْتِ وَالصُّورَةِ وَاللُّغَةِ وَالظَّلِّ وَالْإِنْعِكَاسِ وَرَفَقَ النَّفْسَ وَحَرَكَةَ الشَّفَاهِ ثُمَّ نَرْفَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى رَاشِدٍ قَبْلَ أَيِّ حُكْمٍ أَوْ نَشْرِ. فَقَالَ الْإِمَامُ مُؤَيِّدًا وَهُوَ يُثْبِتُ أَصْلًا مُحْكَمًا: "قَدْ قِيلَ: "كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ" (حَدِيثٌ) فَلَا تَكْفِي الْمُشَاهَدَةُ الْعَاجِلَةُ بَلْ لَا بُدَّ مِنْ تَثْبُتٍ وَمُرَاجَعَةٍ وَتَأَنٍّ."

هَمَسَتْ «حِلْمَةُ» الْأُمُّ وَفِي صَوْتِهَا حَنَانٌ يَحْمِلُ حَزْمًا: "سَنَعِيرُ عَادَةً أَلْبَيْتٍ فَلَا يُشَارِكُ أَحَدٌ مَقْطَعًا قَبْلَ أَنْ يَكْتُبَ فِي دَفْترِهِ فِقْرَةً صَغِيرَةً تَقُولُ «لِمَذَا أَشْكُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ» ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِلَى الرَّاشِدِ. فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي نَبْرَتِهِ مَسْرَّةٌ مُرَبِّ يَرَى الْقَاعِدَةَ تَصِيرُ فِعْلًا: "هَذَا هُوَ الْقَصْدُ. وَسَنَجْعَلُ لِلصَّفِّ «مَجْلِسًا أُسْبُوعِيًّا» نَعْرِضُ فِيهِ مَا وَرَدَنَا مِنْ مَقَاطِعَ وَنُجْرِي عَلَيْهَا «مِيزَانَ التَّثْبُتِ» وَ«مِثَاقَ الْعَدَالَةِ» فَلَا نَظْلِمُ وَلَا نُسْلِمُ قَدْرًا لِشُبْهَةٍ. "ثُمَّ تَلَا شَاهِدًا يُثْبِتُ حَدَّ الْحُكْمِ قَبْلَ

التَّبَيُّنُ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الْحُجُرَاتُ 6).

اِفْتَرَبَ «فَتَادَهُ» وَفِي وَجْهِهِ أَثَرٌ هَمٌّ قَدِيمٌ وَقَالَ وَهُوَ يُصَارِحُ الْمَجْلِسَ:
"أَحْيَانًا أَجِدُنِي أَصْدَقُ الْمَقَاطِعِ الْمُرَكَّبَةِ لِأَنَّهَا تُحَرِّكُ الْخَوْفَ فِي الصَّدْرِ وَتُشِيعُ
رَهْبَةً فِي النَّفْسِ فَاتَّعَجَلُ وَأَرْسَلُ". فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي صَوْتِهِ حِكْمَةٌ تُقِيمُ الْقَلْبَ:
"يَشْتَرِي بَعْضُ النَّاسِ الْوَلَاءَ بِالرَّهْبَةِ وَيُسَيِّقُونَ الْقُلُوبَ بِمَقَاطِعِ مُرْتَبَةِ تُشْعِلُ
الْخَوْفَ ثُمَّ تُوجِّهُ الْحُكْمَ. وَالِدَوَاءُ أَنْ نَجْعَلَ «مِيزَانَ الْعَدَالَةِ» فِي الصَّدْرِ فَلَا نَظْلَمَ
بِشَيْءٍ وَلَا نَقْضِي بِشُبْهَةٍ. قَدْ قِيلَ: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ"
(حَدِيثٌ) وَقِيلَ: "مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا" (حَدِيثٌ) فَكَيْفَ نَرْضَى لِمَنْ يَغْشَى الْعُيُونَ
وَالْأَذَانَ أَنْ يَدْخُلَ بَابَ التَّصَدِيقِ."

سَارَ الْمَجْلِسُ إِلَى «الْمَشْهَدِ الْعَمَلِيِّ» فَحَمَلَ «أَبُو حَاتِمٍ» مِقْلَاتًا صَغِيرَةً
وَوَرَقًا مُسَطَّرًا وَقَالَ مُبْتَسِمًا: "سَنَجَرِّبُ «أَدَوَاتِ كَشْفِ الْعَلَامَاتِ الرَّقْمِيَّةِ» عَلَى
الْمِثَالَيْنِ وَسَنُثَبِّتُ مَا نَرَى فِي صَحِيفَةٍ نَرْجِعُ إِلَيْهَا". ثُمَّ بَدَأَ بِالْأَوَّلِ فَقَالَ: "انْظُرُوا
إِلَى تَتَابُعِ اللَّفْطَاتِ كَيْفَ يَسْقُطُ فِيهِ بَعْضُ التَّوَالِي فَيُظْهِرُ الْجَفْنَ فِي صُورَةٍ
وَيَخْتَفِي فِي التَّالِيَةِ مَعَ أَنَّ الْوَجْهَ عَلَى وَضْعٍ وَاحِدٍ وَأَسْتَمِرُّ الرِّتَةَ فِي الصَّوْتِ
عَلَى سَيْرٍ لَا يُوَافِقُ حَرَكَةَ الشِّفَاهِ". ثُمَّ قَالَ: "سَنَنْظُرُ فِي «الْبَيِّنَاتِ الْوُصْفِيَّةِ»
لِلْمَقْطَعِ فَنَرَى تَارِيخًا لَا يُوَافِقُ زَمَانَ الْحَدَثِ وَسِلْسِلَةً تَرْمِيزٍ لَا تَتَّسِقُ مَعَ مَصْدَرٍ

وَاحِدٍ. " فَقَالَ الْمَجْلِسُ وَفِي أَعْيُنٍ فَهَمَّ يَكْبُرُ: " قَدْ ظَهَرَ الْأَشْتِبَاهُ. "

ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَثَالِ الثَّانِي فَقَالَ: " سَجَرْتُ هُنَا «مُقَارَبَةَ التَّصْوِيتِ» فَنَظَرْتُ إِلَى السَّيْنِ وَالصَّادِ وَالزَّاي كَيْفَ تَخْرُجُ دُونَ حَافَةِ النَّفْسِ وَكَيْفَ يَثْبُتُ الرَّيْنُ فِي الْكَلِمَةِ عَلَى نَفْسِ السَّوِيَّةِ وَالشَّفَتَانِ يَتَقَلَّبَانِ. " ثُمَّ قَالَ: " وَنَسَأْتُ عَنْ «سَنَدِ الْمَكَانِ» فَتَجِدُ أَنَّ السَّاعَةَ الْجِدَارِيَّةَ تُشِيرُ إِلَى زَمَانٍ غَيْرِ الزَّمَانِ الْمَذْكُورِ وَأَنَّ ظِلَّ السَّدْرَةِ لَا يُوَافِقُ مِثْلَ الشَّمْسِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. " فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَقْطَعُ الشُّبْهَةَ بِالْقَاعِدَةِ: " لَا حُكْمَ قَبْلَ تَثَبُّتٍ وَلَا نَشْرَ قَبْلَ مَرَاجَعَةٍ. هَكَذَا يَقُومُ «مِيزَانُ التَّثَبُّتِ». "

قَالَ «رِيَانُ» وَهُوَ يَكْتُبُ فِي دَفْتَرِهِ فَقَرَأَ الْأَوَّلَى: " أَشْكُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ لِأَنَّ الظِّلَّ حَوْلَ الْحَنَّاكِ يَتَقَلَّبُ عَلَى غَيْرِ اتِّسَاقٍ وَأَنَّ تَحْرِيكَ الشَّفَاهِ لَا يُطَابِقُ النَّبْرَةَ وَأَنَّ تَارِيخَ الصَّنَاعَةِ فِي الْبَيِّنَاتِ لَا يُوَافِقُ زَمَانَ الْحَدِيثِ. " ثُمَّ قَالَ: " وَأَزِيدُ أَنِّي لَا أَحْكُمُ قَبْلَ مَرَاجَعَةِ الرَّاشِدِ. " فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي صَوْتِهِ بَشَارَةٌ تَعْلِيمٍ: " هَكَذَا تُكْتَبُ «فِقْرَةُ الشُّكِّ». "

وَقَعَ فِي الْحَيِّ بَعْدَ أَيَّامٍ مَشْهُدٌ يَخْتَبِرُ الْقَاعِدَةَ فِي الْمِيدَانِ. انْتَشَرَ مَقْطَعٌ يَنْسَبُ إِلَى شَيْخٍ مَعْرُوفٍ كَلِمَاتٍ فِيهَا تَجَاوَزَتْ عَلَى الْعُلَمَاءِ. تَدَافَعَ النَّاسُ فِي الْمَجْمُوعَاتِ وَكَادَتْ الْأَلْسُنُ تَنْطَلِقُ بِالْحُكْمِ. فَقَالَ «صَفْوَانُ» وَهُوَ يَكْبُحُ التَّعَجُّلَ: " سَنَجْمَعُ مَا لَدَيْنَا ثُمَّ نَرْفَعُهُ إِلَى الرَّاشِدِ. " فَعَرَضُوا الْمَقْطَعَ عَلَى «صَحِيفَةِ

الَّتَشَبَّهَتْ» فَوَجَدُوا اللِّسَانَ فِي الْمَقْطَعِ يَنْطِقُ بِحَرْفٍ لَا يَعْرِفُهُ الشَّيْخُ فِي مَعْرُوفٍ لَهُجَتِهِ وَوَجَدُوا الْعَيْنَ لَا تَرْمِشُ فِي مُدَّةٍ لَا تَسْتَقِيمُ فِي طَبِيعَةِ الْبَشَرِ وَوَجَدُوا السَّوَادَ حَوْلَ الْحَاجِبِ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ عَلَى صُورَةٍ لَا تُوَافِقُ الْإِضَاءَةَ. ثُمَّ رَاجَعُوا الْبَيِّنَاتِ الْوُصْفِيَّةَ فَوَجَدُوا سِلْسِلَةَ تَرْمِيزٍ مُتَعَاقِبَةٍ دَلَّتْ عَلَى نَقْلِ وَنَسْخٍ مُتَكَرِّرٍ لَا يُعْرِفُ مَصْدَرُهُ الْأَوَّلَ. فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي صَوْتِهِ حُكْمٌ يَقُومُ عَلَى بَيِّنَةٍ: "يُظْهِرُ التَّرْكِيبُ وَتُظْهِرُ الدَّلَائِلُ وَيَبْقَى الْحُكْمُ عِنْدَ الرَّاشِدِ وَأَهْلِ الْخَبَرَةِ."

وَعِنْدَ الْخِتَامِ قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَجْمَعُ الْقَاعِدَةَ فِي جُمْلَةٍ تُقِيمُ الطَّرِيقَ: "لَا تُشَارِكُوا مَقْطَعًا قَبْلَ التَّشَبُّهِ التَّامِّ وَلَا تَحْكُمُوا قَبْلَ الْمُرَاجَعَةِ وَأَذْكُرُوا قَوْلَ اللَّهِ

﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الْحَجَّ 30)

وَقَوْلُهُ

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ (الْبَقَرَةُ 42)

فَإِنَّهُمَا حَارِسَانِ عَلَى بَابِ كُلِّ صُورَةٍ وَصَوْتٍ. "ثُمَّ قَالَ وَفِي صَوْتِهِ دُعَاءٌ يَحْمِلُ الرَّحْمَةَ وَالْحِكْمَةَ: "اللَّهُمَّ احْفَظْ أَلْسِنَتَنَا عَنِ الزُّورِ وَأَعْيُنَنَا عَنِ الْغُرُورِ وَأَجْعَلْ لَنَا مِنَ التَّشَبُّهِ نَصِيًّا وَمِنَ الْعَدْلِ حَظًّا مُبِينًا." ثُمَّ ذَكَرَ الْمَجْلِسَ بِمِثَاقٍ يَحْمِلُ الْمَسْئُولِيَّةَ: "«الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي»" وَهُوَ مَعْنَى تَقْرُؤِ الْأُصُولِ وَيَسْنُدُهُ الْعَقْلُ وَالشَّرْعُ فَلَا تَقْضِيَنَّ بِلَا بَيِّنَةٍ.

وَعَادَ الْقَوْمُ إِلَى بُيُوتِهِمْ وَقَدْ كَتَبَ كُلُّ مِنْهُمْ فِي دَفْتَرِهِ فِقْرَةً تَحْرُسُ الْمَسِيرَةَ. كَتَبَ «رِيَانُ»: "أَشْهَدُ اللَّهَ أَلَّا أُشَارِكُ مَقْطَعًا قَبْلَ تَثْبُتِ تَامٌ". وَكَتَبَتْ «رَابِئَةُ»: "أَجْعَلْ لِكُلِّ مَقْطَعٍ أَبًا مِنْ الثَّانِي وَالرُّجُوعِ إِلَى الرَّاشِدِ". وَكَتَبَ «صَفْوَانُ»: "أُدِيرُ فِي أَلْبَيْتِ صَحِيفَةٍ تَثْبُتِ تَحْمِيلُ الْأُسْرَةِ عَلَى الْعَدْلِ". وَكَتَبَتْ «حِلْمَةُ»: "أَرْبِي الصَّغَارَ عَلَى قَوْلِ اللَّهِ

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ (الْبَقَرَةُ 42)

وَأَذْكُرْهُمْ بِقَوْلِهِ

﴿وَأَجْتَبَيْتُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الْحَجُّ 30).

ثُمَّ جَمَعُوا أَجْهَزَتَهُمْ فِي «صُنْدُوقِ الْأَمَانَةِ» وَأَطْفَأُوا الشَّاشَةَ وَأَقَامُوا لِلْقَلْبِ حَافِظًا يَقُولُ كُلَّمَا لَمَعَتْ صُورَةٌ وَاشْتَعَلَ صَوْتُ: "تَثْبُتِ ثُمَّ أَعْدِلِ". فَمَضَتْ الْأَيَّامُ وَتَبَيَّنَ «الْمُؤَشِّرُ» فِي الدَّفْتَرِ نَقِيًّا: "لَا مُشَارَكَةَ لِأَيِّ مَقْطَعٍ قَبْلَ التَّثْبُتِ التَّامِّ" وَقَدْ انْحَسَرَتْ الْعَجَلَةُ وَزَادَ فِي الصُّدُورِ نُورُ الْعَدْلِ.

وَفِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الْمَطَرِ عَادُوا إِلَى الْمَسْجِدِ فَجَلَسُوا عَلَى حَلَقَةٍ تُوَاجِهُ الْمِحْرَابَ وَعَلَى الْوُجُوهِ رَوْقٌ مَنْ تَعَلَّمَ قَاعِدَةَ تَصُونِ الْعُيُونِ وَالْأَلْسُنِ. قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَقْرَأُ عَلَيْهِمْ قَوْلَ اللَّهِ:

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (الْبَقَرَةُ 83)

وَقَوْلُهُ

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النَّحْلُ 90)

ثُمَّ اتَّبَعَهُمَا بِقَوْلِهِ

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (الْمَائِدَةُ

2).

ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُخْتِمُ كَلَامَهُ بِنَفْسِ دُعَاءٍ: "اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَقُومُونَ يَمِينِ
الْعَدْلِ وَيَجْتَنِبُونَ قَوْلَ الزُّورِ وَيُبَيِّنُونَ الْحَقَّ لِلنَّاسِ عَلَى بَصِيرَةٍ وَتَثَبَّتْ". ثُمَّ قَامُوا
وَهُمْ يَقُولُونَ فِي صُدُورِهِمْ كَلِمَةً تُجَمِّلُ الطَّرِيقَ: "إِنَّ الصُّورَةَ وَالصَّوْتِ أَمَانَةٌ
وَالْحُكْمَ عَلَيْهِمَا عِبَادَةٌ يَحْرُسُهَا التَّثَبُّتُ وَيُقِيمُهَا الْعَدْلُ".

الدَّرْسُ الثَّلَاثُ عَشَرَ: أَمْنُ الْمَعَارِفِ

تَهَايَبْتُ سَكِينَةَ الْمَسَاءِ عَلَى رَوَاقِ الْمَسْجِدِ فَسَكَنْتِ الْخُطَى
وَأَنْحَسَرَتْ هَمَهَمَاتُ الشُّوقِ وَأَنْبَسَطَ نُورُ نَقْيٍ عَلَى الْأَعْمِدَةِ كَأَنَّهُ سِتَارَةٌ أَمَانٍ
تُظَلِّلُ الْقُلُوبَ. جَلَسَ الْإِمَامُ فِي الْوَسْطِ وَتَحَلَّقَ حَوْلَهُ فِتْيَةٌ وَفَتَيَاتٌ وَأَبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ
وَمُعَلِّمَانِ تَبَدُّوْا عَلَى الْوُجُوهِ مَلَامِحُ تَرْقُبُ تَفْصِيحَ عَنْ سُؤَالٍ يُلْحِقُ: كَيْفَ تُحْفَظُ
الْحِسَابَاتُ وَالْمِلَفَّاتُ وَالْمُرَاسَلَاتُ فِي زَمَنِ تَتَدَافَعُ فِيهِ الْأَيْدِي الْخَفِيَّةُ عَلَى
الْبُؤَابَاتِ وَتَتَشَابَكُ فِيهِ الْخُطَى فِي الْأَثَرِ الرَّقْمِيِّ. رَفَعَ الْإِمَامُ كَفَّهُ وَقَالَ بِصَوْتٍ
يَجْمَعُ التَّطْيِيبَ وَالْحَزَمَ: "الْيَوْمَ نَقِيمُ «أَمْنُ الْمَعَارِفِ» عَلَى مِيزَانِ الْأَمَانَةِ وَمِثْقَالِ
الْحِفْظِ وَمِيزَانِ الْمَالِ؛ فَلَا نُفْرِطُ فِي مَا أَوْثَمْنَا عَلَيْهِ وَلَا نُعَرِّضُ أَهْلَنَا لِخَطَرِ الْإِنْتِزَازِ
أَوْ التَّلَاعِبِ بِالْمُتَحَصِّلِ مِنَ الْمِلَفَّاتِ وَالرَّسَائِلِ." ثُمَّ تَلَا الزَّاجِرَ الْمُبِينُ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ (الْأَنْفَالُ)

(27)

وَقَرَأَ مَعَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى الْمُقِيمِ لِحَدِّ التَّكْلِيفِ وَالِدَوْرِ:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (النِّسَاءُ 58).

ثُمَّ قَالَ وَفِي نَبَرْتِهِ بَرِيقُ تَشْيِيتٍ: "مَنْ وَضَعَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ أَمَامَ نَظَرِهِ حَفِظَ الْحِسَابَ إِذْ يَحْفَظُ الْقَلْبَ وَحَمَى الْمِلَفَّاتِ إِذْ يَحْمِي الْعُرُضَ."

رَفَعَ الْقَفَى «رِيَانُ» يَدَهُ وَقَالَ وَفِي صَوْتِهِ خَلِيطٌ مِنْ حِرْصٍ وَخَيْرَةٍ: "تَرُدُّ إِلَيَّ رَسَائِلُ تُشَبِّهُ رَسَائِلَ الْخِدْمَةِ الَّتِي أَسْتَعْمِلُهَا فَتَطْلُبُ مِنِّي «إِعَادَةَ ضَبْطِ كَلِمَةِ السِّرِّ» فَكَأَدَ أُجِيبُ ثُمَّ أَتَذَكَّرُ أَنَّ الْبَابَ قَدْ يُفْتَحُ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فَاتَّقِفُ". فَنَظَرَ الْإِمَامُ إِلَيْهِ نَظْرَةً أَبٍ يَجْمَعُ الرِّفْقَ وَالْحَزَمَ وَقَالَ: "تَقُومُ الْقَاعِدَةُ عَلَى ثَلَاثٍ: «كَلِمَةُ سِرٍّ قَوِيَّةٌ مُتَفَرِّدَةٌ لِكُلِّ حِسَابٍ» وَ«تَشْيِيتُ التَّحْقِيقِ الثَّنَائِيِّ» وَ«مُرَاجَعَةُ الْأَصْلَاحِيَّاتِ وَالرَّوَاطِيطِ». وَقَدْ قِيلَ: "آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ" (حَدِيثٌ)، فَمَنْ خَانَ أَمَانَةَ الْمَعْرِفَةِ شَابَهُ أَهْلُ النِّفَاقِ وَلَوْ فِي شُعْبَةٍ". ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُثَبِّتُ الْمِيزَانَ: "نُقِيمُ الْفِعْلِ الْيَوْمَ عَلَى «مَشْهَدٍ عَمَلِيٍّ» نَبْنِي فِيهِ «حَزَنَةَ كَلِمَاتِ السِّرِّ» الْعَائِلِيَّةَ الْمُؤْتَوَقَةَ ثُمَّ نُحَدِّثُ خَمْسَةَ حِسَابَاتٍ أَسَاسِيَّةً وَنُفَعِّلُ «التَّحْقِيقَ الثَّنَائِيَّ» وَنَضَعُ سِجْلًا لِلْأَذْنِ وَالْمُنَاوَلَةِ."

تَقَدَّمَ «أَبُو حَاتِمٍ» الْمُعَلِّمُ وَفِي يَدِهِ دَفْتَرٌ سَمِيكٌ وَمِفْتَاحٌ صَغِيرٌ وَقَالَ كَمَنْ يَنْفُشُ الْقَاعِدَةَ فِي لَوْحٍ: "نَكْتُبُ أَوَّلًا نُقْطَةَ الْبَابِ: «تَرْكِيْبُ كَلِمَةِ سِرٍّ قَوِيَّةٍ مُتَفَرِّدَةٍ». تَقُومُ الْقُوَّةُ عَلَى الطُّوْلِ وَالتَّرْكِيبِ وَغَرَابَةِ الْإِفْتِرَانِ؛ فَنَجْعَلُهَا عِبَارَةً طَوِيلَةً مِنْ كَلِمَاتٍ لَا تَخْطُرُ وَنُدْخِلُ بَيْنَهَا حُرُوفًا كَبِيرَةً وَصَغِيرَةً وَأَعْدَادًا وَرُمُوزًا وَنَجْعَلُ

لِكُلِّ حِسَابٍ عِبَارَةً خَاصَّةً، فَلَا تَتَكَرَّرُ وَلَا تُسْتَعَارُ. "ثُمَّ قَالَ وَفِي نَبَرَتِهِ حَزْمٌ: "ثَانِيًا نُثَبِتُ «الْتَّحَقُّقَ الثَّنَائِيَّ»؛ فَلَا يَدْخُلُ الْحِسَابُ دُونَ شَهَادَتَيْنِ: «كَلِمَةُ الْسَّرِّ» وَ«رَمَزٌ مُوقَّتٌ» يَصْدُرُ لِحَظَّتَيْنِ فِي أَدَاةٍ مُسْتَقْلَةٍ. وَثَالِثًا نُرَاجِعُ «الصَّلَاحِيَّاتِ» فَنَنْظُرُ مَنْ أُعْطِيَ الْأَذْنَ وَمَاذَا يَسْتَطِيعُ وَمَتَى يُسْحَبُ. "ثُمَّ تَلَا شَاهِدًا يَشُدُّ الْقَلْبَ إِلَى الْحِفْظِ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (الْمَائِدَةُ 1)

وَاتَّبَعَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الْإِسْرَاءُ 34).

قَالَ «صَفْوَانُ» الْأَبُ وَفِي عَيْنِهِ عَزْمٌ وَالِدٍ يَحْرُسُ أَهْلَهُ: "أُرِيدُ لِبَيْتِنَا «خَزَنَةَ كَلِمَاتِ سِرٍّ» تَجْمَعُ عِبَارَاتِنَا وَتُرْتَّبُهَا وَتُؤَمِّنُهَا وَيُسَرُّ الْإِسْتِرْجَاعَ عِنْدَ الصَّرُورَةِ. "فَقَالَ الْإِمَامُ مُؤَيَّدًا: "نَجْعَلُهَا مَوْضُوعَ «مَشْهَدِ الْيَوْمِ». نُسَمِّي الْخَزَنَةَ وَنَضْعُ لَهَا «كَلِمَةَ سِرِّ رَيْسَةٍ» لَا تُشَابِهُ شَيْئًا مِنْ عَادَاتِنَا وَنَكْتُبُ «مِفَاتِيحَ الْإِسْتِرْجَاعِ» فِي وَرَقٍ يُخْتَمُ وَيُودَعُ فِي مَكَانٍ مَحْفُوظٍ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ إِلَّا الرَّاشِدُ الْمُؤْتَمَنُ. "ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَرْفَعُ الْأَصْلَ الْمُحْكَمَ: "أَدُّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ أَيْتَمَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ" (حَدِيثٌ).

تَقَدَّمَتْ «حِلْمَةُ» الْأُمُّ وَفِي يَدِهَا دَفْترُ أَلْبَيْتِ وَقَالَتْ وَفِي صَوْتِهَا حَنَانٌ

يَحْمِلُ حَزْمًا: "سَنَيْتُ لِكُلِّ حِسَابٍ «وَرَقَةً تَعْرِيفٍ» تَذَكُّرُ الْعَايَةِ وَمَنْ يَحُوزُ الْأَذْنَ وَمَاذَا يَحُوزُ لَهُ مِنْ مُنَاوَلَةٍ وَمَتَى تُسْحَبُ الصَّلَاحِيَّةُ. وَسُنُسَجِّلُ تَارِيخَ «تَحْدِيثِ كَلِمَةِ السَّرِّ» وَتَارِيخَ «تَنْبِيهِ التَّحَقُّقِ الثَّنَائِيِّ» وَنُرَاجِعُ ذَلِكَ كُلَّ شَهْرٍ." فَقَالَ الْإِمَامُ رَاضِيًا: "هَذَا هُوَ «مِيثَاقُ الْحِفْظِ» يَسْتَدُّ إِلَى النُّصُوصِ وَيَنْهَضُ بِالْفِعْلِ."

قَالَتِ الْفَتَاةُ «رَايَةٌ» وَفِي نَبْرَتِهَا تَأْمُلُ مُتَعَلِّمَةٌ: "كَيْفَ نَرْكُبُ «كَلِمَةَ سِرٍّ» لَا تُنْسَى وَلَا تُخْمَنُ وَكَيْفَ نُوَازِنُ بَيْنَ الْأَمَانِ وَالْتِّيْسَرِ." فَقَالَ «أَبُو حَاتِمٍ» وَهُوَ يَخُطُّ فِي لَوْحٍ صَغِيرٍ: "نَصُوعُهَا عَلَى «عِبَارَةٍ طَوِيلَةٍ»؛ مِثْلُ أَنْ نُكَوِّنَ جُمْلَةً لَا تَتَّصِلُ بِحَيَاتِنَا الْمَعْرُوفَةِ مَعَ تَبْدِيلَاتٍ فِي الْحُرُوفِ وَالْأَعْدَادِ وَالرُّمُوزِ، وَنَجْعَلُ لِكُلِّ حِسَابٍ عِبَارَةً لَا تُشَاكِلُ أُخْرَى، وَنَضْعُهَا فِي «الْخَزَنَةِ» تَحْتَ بَابٍ مُسَمًّى، فَإِذَا أَحْتَجْنَا اسْتَدْعَيْنَاهَا مِنْ غَيْرِ كِتَابَةٍ مُتَكَرِّرَةٍ أَوْ تَبَادُلٍ غَيْرِ مَأْمُونٍ." ثُمَّ قَالَ مُسْتَشْهِدًا: "«حُصِّنُوا الْمَالَ بِالزَّكَاةِ وَالْمَرْضَى بِالصَّدَقَةِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا» وَإِنْ كَانَ فِي سَنَدِهِ مَقَالٌ فَالْمَقْصُودُ الْمَعْنَى، ثُمَّ قَالَ: "وَحُصِّنُوا الْمَعْرِفَةَ بِحِفْظِ الْأَبْوَابِ."

تَقَدَّمَ الْإِمَامُ إِلَى «الْمَشْهَدِ الْعَمَلِيِّ» فَقَالَ وَهُوَ يَثْبُتُ الْخُطُوبَاتِ كَأَنَّهُ يَنْفُشُ فِي حَجَرٍ: "نَفْتَحُ «الْخَزَنَةَ» وَنُسَمِّي بِأَبِهَا الرَّئِيسَ «عَهْدَ الْحِفْظِ» وَنَضْعُ لَهَا «كَلِمَةَ رَيْسَةٍ» لَا تُشَاكِلُ الْمُتَوَقَّعَ. ثُمَّ نَدْخُلُ «حِسَابَ الْبَرِيدِ» وَ«حِسَابَ

«التَّعَلُّمُ» وَ«حِسَابُ الْمَعَارِفِ الْمُشْتَرَكَةِ» وَ«حِسَابُ الْمُرَاسَلَاتِ الدَّرَسِيَّةِ» وَ«حِسَابُ الْخِدْمَةِ الْمَالِيَّةِ». نُحَدِّثُ كُلَّ «كَلِمَةِ سِرٍّ» ثُمَّ نَفْعَلُ «التَّحْقُقَ الثَّنَائِيَّ» فِي كُلِّ وَاحِدٍ. "ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى دَفْتَرٍ: "نَكْتُبُ فِي الدَّفْتَرِ: «تَارِيخُ التَّحْدِيثِ» وَ«وَسِيلَةَ التَّحْقُقِ» وَ«مِفْتَاحَ الْإِسْتِرْجَاعِ»".

قَالَ «قَتَادَةُ» وَفِي عَيْنِهِ ظِلُّ هَمٍّ قَدِيمٍ: "كَيْفَ نَنْتَقِي «سِرَّةَ الْهُوِّيَّةِ» وَمَكْرَ الْمُحْتَالِينَ الَّذِينَ يَسْتَدْرِجُونَ بِ«وَصْلَةٍ» أَوْ «نَبَأٍ مُزَيَّفٍ». " فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي صَوْتِهِ نُصْحٌ مُجَرَّبٍ: "تَقُومُ الْحِمَايَةُ عَلَى «التَّثَبُّتِ» وَ«الْقَطْعِ مَعَ كُلِّ مَا يُشَبِّهُ» وَ«رَفْعِ الْإِشْتِبَاهِ إِلَى الرَّاشِدِ». فَإِذَا جَاءَكَ نَبَأٌ فَأَذْكُرْ قَوْلَ اللَّهِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الْحُجُرَاتُ 6)

وَإِذَا دُعِيتَ إِلَى إِدْخَالِ «كَلِمَةِ السَّرِّ» فِي «وَصْلَةٍ» مَجْهُولَةٍ فَقُلْ لِنَفْسِكَ: «التَّبَيُّنُ أَوَّلًا»، ثُمَّ أَطْلُبِ الدُّخُولَ مِنَ «الْبَابِ الرَّسْمِيِّ» لَا مِنْ «الرَّوَابِطِ التَّابِعَةِ لِلنَّبَأِ». " ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَشْهَدُ بِأَصْلِ نَبَوِيِّيَّيْهِ يَحْرُسُ اللِّسَانَ: "«كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»" (حَدِيثٌ).

تَقَدَّمَ «أَبُو حَاتِمٍ» إِلَى لَوْحٍ فَرَسَمَ ثَلَاثَ خُطُوطٍ وَقَالَ وَهُوَ يُفَصِّلُ بِرَفْقٍ: "أَوَّلُهَا «تَطْوِيلُ عِبَارَاتِ السَّرِّ» حَتَّى تَصِيرَ عَصِيَّةً عَلَى التَّخْمِينِ، ثَانِيهَا «تَفْرِيدُ كُلِّ حِسَابٍ» فَلَا نُعِيدُ عِبَارَةً فِي مَوْضِعَيْنِ، ثَالِثُهَا «تَثْبِيتُ التَّحْقُقِ الثَّنَائِيِّ» لِكُلِّ

حِسَابٍ. ثُمَّ «مُرَاجَعَةُ الصَّلَاحِيَّاتِ» مَرَّةً كُلَّ شَهْرٍ، فَمَنْ زَادَ لَهُ إِذْنٌ غَيْرُ مُحْتَاجٍ سُحِبَ، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ أَلْبَابُ شُرَحَ لَهُ السَّبَبُ. "ثُمَّ قَالَ: «وَمِنْ بَابِ «أَلْمَالِ» نَضَعُ «الْإِنْذَارَ الْمُبَكِّرَ» لِكُلِّ دُخُولٍ غَيْرِ مَأْلُوفٍ، فَإِذَا ظَهَرَ «تَنْبِيهُ» رَاجِعُنَا وَغَيْرُنَا وَأَخْبَرْنَا الرَّاشِدَ." ثُمَّ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الْإِسْرَاءُ 36)

لِيَضَعَ حَدًّا لِكُلِّ مُخَاطَرَةٍ.

قَالَتْ «رَأْيِي» وَفِي عَيْنِهَا قَلْتُ مَنْ يَخْشَى الْإِيتْرَارَ: "مَاذَا نَصْنَعُ إِذَا اخْتَرِقَ حِسَابٌ أَوْ سُرِقَ مُحْتَوَى وَتَهَدَّدَ الصَّاحِبُ." فَقَالَ الْأِمَامُ وَفِي صَوْتِهِ طُمَأْنِينَةٌ تُدَاوِي: "يَقُومُ الْعِلَاجُ عَلَى ثَلَاثٍ: «قَطْعُ الدُّخُولِ» بِتَغْيِيرِ كَلِمَةِ السَّرِّ وَإِيقَافِ الْأَجْهَاتِ الْمَشْبُوهَةِ، «جَمْعُ الْأَدِلَّةِ» لَا لِلنَّشْرِ بَلْ لِلْمُرَاجَعَةِ مَعَ الرَّاشِدِ وَالْجِهَةِ الْمُخْتَصَّةِ، «التَّبْلِيغُ» عَنِ الْحَادِثَةِ وَطَلَبُ الْعَوْنِ. وَنُثِبْتُ فِي الصُّدُورِ قَوْلُهُ تَعَالَى

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (الْمَائِدَةُ

2).

ثُمَّ قَالَ مُسْتَشْهِدًا: "«الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»" (حَدِيثٌ) "فَلَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَسْتَعْمِلَ مَا سُرِقَ مِنْ أَخِيهِ أَوْ يُشِيعَ خَبْرًا يَزِيدُ جِرَاحَهُ."

انْفَتَحَ «الْمَشْهُدُ الْعَمَلِيُّ» فِي الرَّوَاقِ. وَقَفَ «صَفْوَانُ» وَعَلَى طَاوِلَةٍ صَغِيرَةٍ لَوْحٌ وَقَلَمٌ وَظَرْفٌ مُخْتَوِمٌ وَصُنْدُوقٌ ذُو قُفْلٍ. قَالَ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ كَمَنْ يُقِيمُ بَيْنًا عَلَى قَوَاعِدَ: "نُسَمِّي «الْخَزَنَةَ»: «مِيثَاقَ الْحِفْظِ»، وَنَضَعُ لَهَا «كَلِمَةً رَئِيسَةً» لَا تُشَاكِلُ شَيْئًا مِمَّا نَقُولُهُ فِي أَيَّامِنَا، وَنَكْتُبُ «مِفْتَاحَ الْإِسْتِرْجَاعِ» فِي قِطْعَةٍ وَرَقٍ نُخْتِمُهَا وَنَضَعُهَا فِي الصُّنْدُوقِ." ثُمَّ قَالَ: "نُدْخِلُ «حِسَابَ الْبَرِيدِ» وَ«حِسَابَ التَّعْلُمِ» وَ«حِسَابَ الْمَعْرِفَةِ الْمُشْتَرَكَةِ» وَ«حِسَابَ الْمُرَاسَلَاتِ الدَّرَسِيَّةِ» وَ«حِسَابَ الْخِدْمَةِ الْمَالِيَّةِ»، ثُمَّ نُحَدِّثُ كُلَّ «كَلِمَةِ سِرٍّ» عَلَى قَاعِدَةِ الطُّولِ وَالتَّرْكِيبِ، وَنُثَبِّتُ «التَّحَقُّقَ الثَّنَائِيَّ» وَنَكْتُبُ تَارِيخَ التَّثْبِيتِ." فَابْتَسَمَ الْإِمَامُ وَقَالَ: "هَكَذَا تُبْنَى الْأَبْوَابُ."

هَمَسَ «رِيَانُ» وَهُوَ يَنْظُرُ فِي لَوْحَةِ «الْصَّلَاحِيَّاتِ»: "أَرَى «جِهَاتٍ» نَسِينَا سَحَبَ إِذْنِهَا." فَقَالَ «أَبُو حَاتِمٍ» وَفِي صَوْتِهِ تَعْلِيمُ الرَّصْدِ: "نَسَحَبُ مَا لَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَنُثَبِّتُ مَا يَلْزَمُ، وَنَجْعَلُ ضَابِطًا يَقُولُ: «مَنْ لَا يَحْتَاجُ فَلَا يَمْلِكُ»، وَهَذَا مِنْ بَابِ «الْأَمَانَةِ» وَ«الْمَالِ». ثُمَّ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ (النِّسَاءُ 5)

يَسْتَأْنِسُ بِهِ فِي الْمَعْنَى وَالْحِفْظِ.

قَالَتْ «رَابِيعَةُ» وَفِي عَيْنِهَا نَبْرَةٌ مَنْ يُحِبُّ التَّثْقِيفَ: "أَحْسَبُ أَنَّ فِي بَيَانِنَا

قَوَاعِدَ لِلْمُرَاسَلَاتِ أَيْضًا؛ فَالْكَلِمَةُ الَّتِي تُكْتَبُ أَمَانَةً. "فَقَالَ الْإِمَامُ: "نَعَمْ، وَفِي الْحَدِيثِ: «الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ»" (حَدِيثٌ)، "فَكَيْفَ بِمَنْ يُؤْتَمَنُ عَلَى رِسَالَاتِ الْمَعْنَى وَأَصْوَاتِ الصُّوَرِ وَالْمِلَفَاتِ." ثُمَّ قَالَ: "لِيَكُنْ أَصْلُنَا فِي الْمُرَاسَلَةِ: «الْقَلَّةُ مَعَ الْإِتْقَانِ» وَالْوُضُوحُ مَعَ الْمَحَبَّةِ» وَ«الْكُفَّ عَمَّا لَا يَلْزَمُ»، وَنَسْتَحْضِرُ قَوْلَ النَّبِيِّ (ص): «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»" (حَدِيثٌ).

سَارَتْ الْحَلْفَةُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى «الْوَاجِبِ». قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَجْمَعُ الْقَوْلَ فِي جُمْلَةٍ تَقِيمُ الطَّرِيقَ: "نَلْزِمُ أَنْفُسَنَا الْيَوْمَ «تَحْدِيثَ كَلِمَاتِ السِّرِّ لِخَمْسَةِ حِسَابَاتٍ أَسَاسِيَّةٍ»، وَ«تَثْبِيتَ التَّحْقِيقِ الثَّنَائِيِّ» لِكُلِّ وَاحِدٍ، وَ«مُرَاجَعَةَ الصَّلَاحِيَّاتِ» وَ«تَثْبِيتَ سِجِلٍّ لِلْإِنْدَارَاتِ». وَسَنَرِصُدُ «الْمُؤَشِّرَ» فِي الدَّفْتَرِ، فَإِذَا مَضَى الشَّهْرُ قُلْنَا: «أُخْتُفَتِ التَّنْذِيرَاتُ لِلدُّخُولِ غَيْرِ الْمَصْرَحِ بِهِ». ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ (الْأَعْرَافُ 85) يَسْتَأْنِسُ بِهِ فِي الْحَقِّ وَالْحِفْظِ.

تَقَدَّمَ «رِيَانُ» وَفِي يَدِهِ قَلَمٌ وَدَفْتَرٌ، فَكَتَبَ «عِبَارَةَ سِرٍّ» جَدِيدَةً لِـ«حِسَابِ الْبَرِيدِ»، ثُمَّ فَعَلَ «التَّحْقِيقَ الثَّنَائِيَّ» وَثَبَّتَ «مِفْتَاحَ الْإِسْتِرْجَاعِ». وَقَالَ وَهُوَ يَبْتَسِمُ: "قَدْ صَارَ لِكُلِّ بَابٍ قُفْلَانِ." فَقَالَ الْإِمَامُ: "الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ" (حَدِيثٌ)، "وَقُوَّةُ الْيَوْمِ فِي «حِفْظِ الْبَوَابَاتِ» وَ«إِتْقَانِ الْحِفْظِ»."

وَقَعَ فِي الْحَيِّ بَعْدَ أَيَّامٍ حَادِثَةٌ تَخْتَبِرُ الْقَاعِدَةَ؛ ظَهَرَ «تَنْبِيهٌ» لِدُخُولِ غَيْرِ مَأْلُوفٍ فِي «حِسَابِ الْمُرَاسَلَاتِ الدَّرَسِيَّةِ». رَاجَعَ «صَفْوَانُ» الدَّفْتَرَ فَوَجَدَ «التَّحْقُقَ الثَّنَائِيَّ» قَائِمًا وَ«كَلِمَةَ السَّرِّ» مُحَدَّثَةً فَقَطَعَ الدُّخُولَ فَوْرًا وَغَيَّرَ الْعِبَارَةَ وَأَخْبَرَ الْإِمَامَ. فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي صَوْتِهِ رِضًا يُثَبِّتُ الطَّرِيقَ: "هَكَذَا يَنْفَعُ" «الْإِنْذَارُ الْمُبَكِّرُ»، وَهَكَذَا تُودَى «الْأَمَانَةُ». "ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ (النَّحْلُ 90)

وَقَالَ: "مِنَ الْإِحْسَانِ «إِتْقَانُ الْحِفْظِ»".

اِنْتَفَتِ الْحَلَقَةُ إِلَى «عَقْدِ الْخِتَامِ». قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَجْمَعُ الرِّوَايَةَ فِي جُمْلَةٍ تَبْقَى عَلَى بَابِ الْقَلْبِ: "الْمَعْرِفَةُ أَمَانَةٌ وَحِفْظُهَا عِبَادَةٌ. فَمَنْ خَانَ «كَلِمَةً» أَوْ «مِلْفًا» أَوْ «مُرَاسَلَةً» خَانَ مَا اللَّهُ سَائِلُهُ عَنْهُ. فَاجْعَلُوا «كَلِمَاتِ السَّرِّ» قَوِيَّةً مُتَفَرِّدَةً وَ«التَّحْقُقَ الثَّنَائِيَّ» قَائِمًا فِي كُلِّ حِسَابٍ وَ«الصَّلَاحِيَّاتِ» مَرْصُودَةً، وَاكْتُبُوا فِي دِفَاتِرِكُمْ «الْمُؤَشِّرَ»: قَدْ اخْتَفَتِ التَّنْبِيهَاتُ لِلدُّخُولِ غَيْرِ الْمَصْرَحِ بِهِ. "ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَرْفَعُ الدُّعَاءَ: "اللَّهُمَّ احْفَظْ أَلْسِنَتَنَا وَأَيْدِيَنَا وَمَعَارِفَنَا وَأَمْوَالَنَا وَاجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ «تَأْدِيَةِ الْأَمَانَةِ» وَ«حِفْظِ الْعَهْدِ». "ثُمَّ قَرَأَ مَعَهُمْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ (الْأَنْفَالُ

وَقَوْلُهُ

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (النِّسَاءُ 58)

وَقَوْلُهُ

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (الْبَقَرَةُ 45)

لِيَسْتَنْصِرُوا بِهِمَا عَلَى «تَعَبِ الْمَدَاوِمَةِ». ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَشْهَدُ:
"الْمُؤْمِنُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ" (حَدِيثُ) "فَانْتَبِهُوا عَلَى الشَّرْطِ وَالْحِفْظِ."

خَرَجُوا مِنَ الْمَسْجِدِ وَفِي الصُّدُورِ «مِثَاقٌ» وَ«خَزَنَةٌ» وَ«دَفْتَرٌ مُرَاقِبَةٌ». جَمَعُوا فِي الْبُيُوتِ الْأَجْهَزَةَ فِي مَوْضِعٍ مَحْفُوظٍ وَأَثْبَتُوا «جِلْسَةً أُسْبُوعِيَّةً» لِمُرَاجَعَةِ الصَّلَاحِيَّاتِ وَ«تَحْدِيثِ كَلِمَاتِ السَّرِّ» إِذَا اقْتَرَبَ الْأَجَلُ. وَفِي آخِرِ الشَّهْرِ قَالَ «صَفْوَانٌ» وَهُوَ يَقْرَأُ فِي الدَّفْتَرِ: "قَدْ اخْتَفَتِ التَّنْذِيرَاتُ لِلدُّخُولِ غَيْرِ الْمَصْرَحِ بِهِ" فَابْتَهَجَ الْبَيْتُ وَقَالَتْ «حِلْمَةٌ»: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي حَفِظَ الْأَبْوَابَ." ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ فِي الْخِتَامِ وَهُوَ يُلَخِّصُ سَبِيلَ «أَمَنِ الْمَعَارِفِ» فِي جُمْلَةٍ تُلَازِمُ الْقُلُوبَ: "أَجْعَلُوا لِلْمَعْرِفَةِ حِرَاسَةً وَلِلْحِسَابِ قُفْلَيْنِ وَلِلصَّلَاحِيَّاتِ مُرَاجَعَةً وَلِلْحَوَادِثِ سِجَلًا وَلِلشُّبْهَةِ تَحْتِيبًا، وَادْكُرُوا أَنَّ مَنْ حَفِظَ الْأَمَانَةَ حَفِظَ اللَّهُ لَهُ قَلْبَهُ وَأَهْلَهُ." ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزُّلْزَلَةُ 7)

وَقَوْلُهُ

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل 128).

فَسَكَنَتِ الرُّوحُ وَأَسْتَقَامَتِ الطَّرِيقُ، وَبَقِيَ فِي الصُّدُورِ «مِيزَانٌ» يَقُولُ
كُلَّمَا هَمَّ الْقَلْبُ بِفَتْحِ بَابٍ أَوْ كِتَابَةِ رِسَالَةٍ: "هَلْ أَدَيْتِ الْأَمَانَةَ، وَهَلْ أَحْسَنْتِ
الْحِفْظَ."

الدَّرْسُ الرَّابِعُ عَشَرَ: قِرَاءَةُ الْخَبَرِ

تَهَا بَطَتْ سَكِينَةُ الْمَسَاءِ عَلَى رِوَاقِ الْمَسْجِدِ فَسَكَنَتْ الْخُطَى
وَأَنْطَفَأَتْ هَمَّهَاتُ الشُّوقِ وَأَنْبَسَطَ ضَوْءٌ لَيْلٍ يَسْرِي عَلَى الْأَعْمِدَةِ كَأَنَّهُ لِبَاسُ
أَمْنٍ يُعْطِي الْقُلُوبَ وَيُهَيِّئُهَا لِعَهْدٍ جَدِيدٍ. جَلَسَ الْإِمَامُ فِي الْوَسْطِ وَتَحَلَّقَ حَوْلَهُ
فَتِيَّةٌ وَفَتَيَاتٌ وَأَبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ وَمُعَلِّمَانِ كَأَنَّهُمْ نَقْطُ نُورٍ تَجْتَمِعُ عَلَى صَفْحَةِ بَحْرِ
هَادِيٍّ. رَفَعَ الْإِمَامُ كَفَّهُ ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ يَجْمَعُ الطَّمَانِينَ وَالْحَزَمَ: "الْيَوْمَ نَتَعَلَّمُ
«مَلَكَةَ قِرَاءَةِ الْخَبَرِ» كَيْفَ نَسْتَمِعُ لِلْقَوْلِ ثُمَّ نَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ، وَكَيْفَ نَفَرِّقُ بَيْنَ
«حَدَثٍ مُحْكَمٍ» وَ«رَأْيٍ مُتَلَبِّسٍ بِثَوْبِ الْخَبَرِ»، وَكَيْفَ نَحْمِي الْعَقْلَ مِنْ أَسْرِ
الْعَنَاوِينِ وَانْحِيَارِ السَّرْدِ وَتَلَاعِبِ السِّيَاقِ." ثُمَّ تَلَا وَالْقُلُوبُ تُصْغِي إِلَى الْهُدَى
الْبَيِّنِ

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الرُّمُّ 18)

وَقَرَأَ شَاهِدًا يُثَبِّتُ أَصْلَ التَّثَبُّتِ قَبْلَ الْحُكْمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ مِنْ بَنِي فَتَبَيَّنُوا﴾ (الْحُجُرَاتُ 6).

ثُمَّ قَالَ: "هَاتَانِ آيَتَانِ تَقُودَانِ الْقِرَاءَةَ إِلَى الْعَدْلِ وَتَحْمِلَانِ الْحُكْمَ عَلَى مِيزَانِ التَّثَبُّتِ".

قَالَ «رِيَانُ» وَفِي عَيْنِهِ بَرِيقٌ مَنْ يَطْلُبُ مِفْتَاحًا: "أَقْعُ غَالِيًا فِي أَسْرِ الْعُنُوتَانِ، فَإِذَا بَدَأَ مُقْنَعًا تَعَجَّلْتُ وَنَشَرْتُ ثُمَّ تَبَيَّنَتِ الْحَقِيقَةُ عَلَى خِلَافِ مَا قُرَأْتُ." فَنَظَرَ الْإِمَامُ إِلَيْهِ نَظْرَةً أَبٍ يَجْمَعُ الرِّفْقَ وَالْحَزَمَ ثُمَّ قَالَ: "نَفْتَحُ الْبَابَ بِقَاعِدَتَيْنِ: «أَسْتِمَاعٌ إِلَيْهِ أَتْبَاعٌ لِلْأَحْسَنِ» عَلَى هَدْيِ قَوْلِهِ تَعَالَى

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الرُّمُّ 18)

و«تَبَيَّنُ قَبْلَ تَصَدِيقٍ» عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ (الْحُجُرَاتُ 6).

وَسُنَجَرِي أَلْيَوْمَ «مَشْهَدًا عَمَلِيًّا» نُقَارِنُ فِيهِ ثَلَاثَةَ مَصَادِرَ لِحَبْرِ وَاحِدٍ ثُمَّ نُحَرِّرُ «مِلَفَّ تَفَاوُتِ السَّرْدِ» لِنَعْرِفَ كَيْفَ تَتَشَكَّلُ الصُّورُ فِي الْأَذْهَانِ.

اسْتَأْذَنَ «أَبُو حَاتِمٍ» فَقَالَ وَفِي يَدِهِ دَفْتَرٌ سَمِيكَ كَأَنَّهُ لَوْحٌ مِثَاقٍ: "سَنُبْصِرُ أَلْفَارِقَ بَيْنَ «خَبَرٍ» يَنْقُلُ حَدَّثًا وَ«رَأْيٍ» يُفَسِّرُ الْحَدَّثَ، وَسَنَقِفُ عِنْدَ «أَلْفَاظِ التَّفْوِيَةِ» وَ«عِبَارَاتِ التَّهْوِيلِ» وَ«الِاخْتِيَارِ الْمُنَاسِبِ لِلْسِّيَاقِ» وَ«الصِّمَتِ» عَمَّا لَا يَلِيْقُ أَنْ يُصْمَتَ عَنْهُ. ثُمَّ نَمْضِي إِلَى اسْتِمَارَةِ نَكْتُبٍ فِيهَا «الْمَصْدَرُ» وَ«الدَّلِيلُ» وَ«الْمُصْلَحَةُ» وَ«الْمُفْسَدَةُ» وَ«سِيَاقُ السَّابِقِ» وَ«الْقَرَارُ الْمُنَاسِبُ»."

فَقَالَ الْإِمَامُ مُؤَيَّدًا: "وَيَحْرُسُ كُلَّ هَذَا «مِيزَانُ الْعَدْلِ» فَلَا نَظْمٌ وَ«مِيزَانُ الْإِسْتِمَاعِ لِلْأَحْسَنِ» فَلَا نُصْغِي إِلَّا لِمَا يَرْفَعُ أَلْفَهُمْ."

قَالَتْ «رَأَيْتُ» وَفِي نَبَرَتِهَا حِرْصٌ مُتَعَلِّمَةٌ: "أَبْدَأُ بِالْعُنْوَانِ أَمْ بِالْمَتْنِ، وَكَيْفَ أَفْرَقَ بَيْنَ الْخَبَرِ وَالتَّعْلِيقِ." فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي صَوْتِهِ بَيَانٌ يَجْمَعُ الْمِفْصَالَ: "أَبْدِئِي بِالْمَتْنِ، ثُمَّ أَقْرِئِي الْعُنْوَانَ كَتَوْبٍ لَا يَزِيدُ الْجَسَدَ وَجُودًا بَلْ يُعْطِيهِ، فَإِنْ وَافَقَ الْحَقِيقَةَ قَبْلِنَاهُ وَإِلَّا نَزَعْنَاهُ. وَإِذَا وَجَدْتَ عِبَارَاتٍ مِنْ نَحْوِ: «صَدَمَةُ كُبْرَى» أَوْ «كَارِثَةُ لَا مِثِيلَ لَهَا» فَقُولِي لِنَفْسِكَ: «هَلْ هَذِهِ أَخْبَارٌ أَمْ تَهْوِيلٌ». " ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَشْهَدُ بِأَصْلِ نَبَوِيِّ يُقِيمُ اللِّسَانَ: "كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ" (حَدِيثٌ).

اِفْتَتَحَ «الْمَشْهَدُ الْعَمَلِيُّ». جَلَسَ الْقَوْمُ حَوْلَ مَائِدَةٍ صَغِيرَةٍ وَعَلَيْهَا ثَلَاثَةُ نُسَخٍ لِحَبْرِ وَاحِدٍ تَحْمِلُ السُّطُورَ نَفْسَ الْحَدِيثِ وَتُخَالِفُهُ فِي ثَوْبِ السَّرْدِ. قَالَ «أَبُو حَاتِمٍ» وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى الْأُولَى: "هُنَا خَبَرٌ يَسْرُدُ حَدَّثًا وَيَقْدِّمُ «مَنْ قَالَ وَمَتَى وَأَيْنَ وَمَاذَا فَعِلَ» بِلَا زِينَةٍ كَبِيرَةٍ. وَهُنَا خَبَرٌ ثَانٍ يَخْتَارُ «الْفَافَا مُشِيرَةً» وَيَقْدِّمُ «تَحْلِيلًا» يَسْرِي بَيْنَ السُّطُورِ. وَهُنَا ثَالِثٌ يَحْدِفُ مَعْلُومَاتٍ وَيَكْبِّرُ أُخْرَى. " ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَتَلَوُّ شَاهِدًا يُقِيمُ حَدَّ الْعَدْلِ:

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ (الْأَنْعَامُ 152).

اِقْتَرَبَ «رِيَانُ» مِنَ النُّسخَةِ الْأُولَى فَقَرَأَ وَهُوَ يَتَتَبَّعُ الْأَلْفَاظَ عَلَى مِيزَانٍ: «يَذْكُرُ الْخَبَرَ الْوَفَائِعَ بِغَيْرِ أَحْكَامٍ، فَلَا يَتَّبِعُهُمْ وَلَا يُبَرِّئُ، وَيُحِيلُ عَلَى شَاهِدٍ مَكْتُوبٍ وَتَصْرِيحٍ مُوثَّقٍ». ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَنْتَقِلُ إِلَى الثَّانِي: «هُنَا تَقُولُ الْكَلِمَاتُ: «فَضِيحَةُ مُدَوِّيَّةٍ» وَ«انْكَشَفَ السِّتَارُ» وَ«صُدِمَ الرَّأْيُ الْعَامُّ». أَتَيْنَ الدَّلِيلُ». فَقَالَ «أَبُو حَاتِمٍ»: «اُكْتُبْ فِي اسْتِمَارَتِكَ: «لَا دَلِيلَ مُحْكَمٍ» وَالْأَلْفَاظُ تَقْوِيَّةٌ». ثُمَّ قَالَ «رِيَانُ» وَهُوَ يَقْرَأُ الثَّلَاثَ: «قَدْ حُذِفَتْ مَعْلُومَاتٌ عَنْ «حَقْلِ التَّارِيخِ» وَ«صَوْتِ الشَّاهِدِ» وَوُضِعَتْ مَوْقِفَاتٌ تُصَوِّرُ الْحَدَثَ عَلَى وَجْهِ مُعَيَّنٍ». فَقَالَ الْإِمَامُ: «هَذَا «تَصْرِيْفُ السِّيَاقِ» وَفِيهِ خَطَرٌ».

قَالَتْ «حِلْمَةُ» وَفِي صَوْتِهَا حَنَانٌ يَحْمِلُ حَزْمًا: «كَيْفَ نَكْتُبُ «اسْتِمَارَةَ تَحْلِيلِ خَبَرٍ» مِنْ غَيْرِ إِطَالَةٍ تُتْعَبُ الْأَهْلَ». فَقَالَ الْإِمَامُ: «نَكْتُبُهَا فِي سَطُورٍ يَسِيرَةٍ مُحْكَمَةٍ. نَبْدَأُ بِ«الْمَصْدَرِ: مَنْ هُوَ وَمَا تَارِيخُهُ وَهَلْ لَهُ سَابِقُ عِذَاءٍ أَوْ مِثْلٍ». ثُمَّ «الدَّلِيلُ: هَلْ ذُكِرَتْ أَسْمَاءُ وَوَنَائِقُ وَشُهُودٌ، وَهَلْ يُمَكِّنُ رُجُوعَ إِلَى نَصِّ أَصْلِيٍّ». ثُمَّ «الْمَصْلَحَةُ وَالْمَفْسَدَةُ: مَاذَا يَجْلِبُ نَشْرُهُ لِلْعَامَّةِ وَمَاذَا يَدْفَعُ». ثُمَّ «الْخُلَاصَةُ: هَلْ هُوَ خَبَرٌ مُحْكَمٌ أَمْ رَأْيٌ مُتَنَكَّرٌ». وَنَخْتِمُ بِ«الْقَرَارِ: أَلْنَشْرُ أَمْ أُمْسِكُ». ثُمَّ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الْإِسْرَاءُ 36)

لِيَضَعَ حَدًّا لِكُلِّ عَجَلَةٍ.

تَقَدَّمَتْ «رَابِيعَةٌ» إِلَى الْمَائِدَةِ وَأَمَامَهَا الثَّلَاثُ نُسَخٍ، فَكَتَبَتْ فِي صَدْرِ
الْإِسْتِمَارَةِ: "أَسْمُ الْوَحْدَةِ وَمَكَانُهُ وَزَمَانُهُ." ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ تُسَطِّرُ: "الْمَصْدَرُ
الْأَوَّلُ مَعْرُوفٌ بِالتَّدْفِيقِ، يُذَكِّرُ فِيهِ وَثِيقَةُ مَسْمُوعَةٍ وَنَصٌّ مَكْتُوبٌ. الثَّانِي يُكْثِرُ مِنْ
لُغَةِ الْإِثَارَةِ وَيُقِلُّ مِنَ الْإِحَالَةِ. الثَّلَاثُ يَحْذِفُ سِياقًا قَدْ اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ النُّسَخَتَانِ."
ثُمَّ كَتَبَتْ: "الدَّلِيلُ الْمُثَبَّتُ: بِطَاقَةِ تَصْرِيحٍ وَنَصٍّ مُعْلَنٍ. الْأَدِلَّةُ الْمُقَابِلَةُ: شُهُودٌ
يُثْبِتُونَ نَقِيضًا فِي مَوْضِعٍ مُعَيَّنٍ." ثُمَّ أَتْبَعَتْهَا بِجُمْلَةٍ تُقِيمُ عَتَبَةَ النَّشْرِ: "الْمُصْلَحَةُ:
تَوْضِيحُ وَاقِعٍ يَهْمُ النَّاسَ. وَالْمُفْسَدَةُ: إِثَارَةٌ عَامَّةٌ عَلَى مَعْلُومَاتٍ غَيْرِ مُحْكَمَةٍ." ثُمَّ
كَتَبَتْ الْقَرَارَ: "إِمْسَاكَ حَتَّى يَتِمَّ التَّثَبُّتُ مِنْ جِهَةٍ رَاشِدَةٍ."

قَالَ «فَتَادَةُ» وَفِي وَجْهِهِ ظِلُّ تَجَرِبَةٍ: "غَالِبًا يَسُوفُنِي الْخَوْفُ إِلَى
التَّصْدِيقِ وَالنَّشْرِ، فَاجِدْنِي قَدْ زِدْتُ فِي جِرَاحِ النَّاسِ وَأَنَا أَظُنُّ أَنِّي أَدْفَعُ عَنْ
الْحَقِّ." فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي صَوْتِهِ حِكْمَةٌ تُقِيمُ الْقَلْبَ عَلَى مِيزَانِ الْعَدْلِ: "أَدْفَعُ
نَفْسَكَ عَنْ الْعَجَلَةِ بِهِذِهِ الْقَوَاعِدِ: «إِذَا غَلَبَ الْخَوْفُ فَاسْكُنْ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ثُمَّ
تَبَيَّنْ»، وَ«إِذَا خَاطَبَكَ الْعُنُونُ فَقُلْ لَهُ: مَا ذَلِيلُكَ»، وَ«إِنْ كَانَ الَّذِي تَقُولُهُ يُخْرِجُ
النَّاسَ مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ فَلَا تَقُلْهُ إِلَّا بَيِّنَةً». ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة 83)

وَذَكَرَ بِحَدِيثِهِ (ص): "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ" (حديث).

ثُمَّ قَالَ «الْإِمَامُ» وَهُوَ يَسْتَأْنِفُ التَّطْبِيقَ: "سَنُحَرِّرُ «مَلَفَّ تَفَاوُتِ السَّرْدِ». سَنَكْتُبُ فِيهِ «كَيْفَ قَدَّمَ كُلُّ مَصْدَرٍ أَلْحَدَثَ»، «مَا أَلْفَاظُ الَّتِي زَادَهَا» «مَا الَّذِي حَذَفَهُ» «مَا الصُّورَ الْمُرَافَقَةَ وَمَا لَعَنَهَا» «مَا التَّرْتِيبُ الزَّمَنِيُّ لِلنَّقَاطِ» «مَنْ أَلْتَمَحَدَّثَ وَمَا مَصْلَحَتُهُ». فَقَالَ «صَفْوَانُ» وَفِي عَيْنِهِ جِدُّ: "سَأَتَوَلَّى كِتَابَةَ الْبَابِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ تَعْرِضُونَ عَلَيَّ الزِّيَادَةَ". فَقَامَ وَقَالَ وَهُوَ يَكْتُبُ جُمْلَةً تُضِيءُ الطَّرِيقَ: "الْمَصْدَرُ الْأَوَّلُ قَدَّمَ أَلْوَقَائِعَ ثُمَّ سَاقَ شَهَادَاتٍ. الثَّانِي بَدَأَ بِالْحُكْمِ ثُمَّ رَتَّبَ لَهُ مَا يُوَافِقُهُ. الثَّلَاثُ أَطَالَ فِي سِيَاقٍ بَعِيدٍ وَأَمْسَكَ عَنْ مَوَاضِعَ هَامَّةٍ". ثُمَّ قَالَ: "نَكْتُبُ فِي الْخِتَامِ: «يُمْنَعُ النَّشْرُ حَتَّى تَثْبُتَ الْبَيِّنَةُ»".

قَالَتْ «رَابِيعَةُ» وَهِيَ تَتَأَمَّلُ عَنَاوِينَا مُخْتَلِفَةً لِلْحَدَثِ نَفْسِهِ: "أَرَى عُنْوَانًا يَسْتَعْمَلُ «تَصْوِيرِ الصَّرَاعِ»، وَآخَرَ يَسْتَعْمَلُ «لُغَةَ الرِّقَّةِ»، وَثَالِثًا يَسُوقُ «نِسْبَةَ مُطْلَقَةً». فَقَالَ «أَبُو حَاتِمٍ»: "أَكْتُبِي فِي الْمَلَفِّ: «الْعُنْوَانُ وَزَنُّهُ» وَ«إِخْتِيَارُ الصُّورِ وَمَا تُوجِي» وَ«الرَّأْيُ الْمُدْخَلُ فِي لُبِّ الْخَبَرِ». فَإِذَا تَمَّ هَذَا رَأَيْنَا بَيْنَنَا أَيْنَ يَكْمُنُ الْأَنْحِيَاؤُ".

قَالَ «رِيَانُ» وَفِي صَوْتِهِ جِدُّ: "أَخْشَى أَنْ نَقَعَ فِي سُوءِ الظَّنِّ عِنْدَ التَّحْلِيلِ". فَقَالَ الْإِمَامُ: "أَحْفَظْ قَلْبَكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾

(الْحُجُرَاتُ 12)

وَأَقِمَّ مِيزَانَ الْعَدْلِ، فَأَلْقَصَدُ أَنْ نُبْصِرَ «بُنْيَةَ السَّرْدِ» لَا أَنْ نَرْمِيَ النَّاسَ بِالظُّنُونِ. وَتَذَكَّرَ قَوْلُهُ (ص): «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ» (حَدِيثٌ) "فَأَقْرَأُ لِنَصَحِ لِحَقِّ لَا لِشُعْلِ الْجَدَلِ."

انْتَهَى «الْمَشْهُدُ الْأَوَّلُ» وَقَدْ مُلِئَتْ الْإِسْتِمَارَاتُ وَتَمَّ «مِلَفُّ تَفَاوُتِ السَّرْدِ». ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَضَعُ قَاعِدَةً لِلْبَيِّنِ وَالصَّفِّ: "مِنْ الْيَوْمِ نُلْزِمُ أَنْفُسَنَا «قِرَاءَةً نَاقِدَةً أُسْبُوعِيَّةً لِخَبَرٍ وَاحِدٍ»، نَخْتَارُهُ بِالشُّورَى ثُمَّ نُقَدِّمُهُ فِي الْمَسْجِدِ أَوْ فِي الصَّفِّ، فَيَقُومُ وَاحِدٌ مِنَّا يَقْرَأُ وَيُبَيِّنُ «الْمَصْدَرَ» وَ«الدَّلِيلَ» وَ«الْمَصْلَحَةَ» وَ«الْمَفْسَدَةَ» وَيَعْرِضُ «مِلَفَّ تَفَاوُتِ السَّرْدِ». ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَشْهَدُ: "نَضَرَّ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ" (حَدِيثٌ) "فَالْجَمَالَ أَنْ نَنْقُلَ حَقِيقَةً مُحْكَمَةً لَا «سَرْدًا مُنْحَازًا»."

وَقَعَتْ بَعْدَ أَيَّامٍ حَادِثَةٌ اخْتَبَرَتْ الْقَاعِدَةَ. تَدَافَعَ فِي الْمَجْمُوعَاتِ «خَبَرٌ» يَتَحَدَّثُ عَنْ «تَغْيِيرٍ» فِي أَمْرِ يَهُمُّ التَّلَامِيذَ. تَعَالَى الصَّوْتُ وَالْعُضْبُ وَانْدَفَعَتْ التَّعْلِيلَاتُ. فَقَالَ «صَفْوَانٌ» وَفِي صَوْتِهِ بَصِيرَةٌ مَنْ تَعَلَّمَ الْمِيزَانَ: "نَجْمَعُ الْمَصَادِرَ الثَّلَاثَةَ، نُحَرِّرُ الْإِسْتِمَارَةَ، ثُمَّ نَقْضِي". فَفَعَلُوا، فَبَانَ لَهُمْ أَنَّ «الْخَبَرَ» فِي الْأَصْلِ «مَقْتَرَحٌ» لَمْ يَصِرْ «قَرَارًا»، وَأَنَّ «الْعُنْوَانَ الْمُشِيرَ» قَدْ حَمَلَ «حُكْمًا مُسَبِّقًا». فَأَمْسَكُوا عَنِ النَّشْرِ، وَقَدَّمُوا فِي الْمَسْجِدِ قِرَاءَتَهُمْ فَسَكَنَتِ النُّفُوسُ وَعَادَ النَّقَاشُ إِلَى مِيزَانِ الْعَدْلِ.

وَقَالَتْ «حِلْمَةٌ» وَهِيَ تُرَاجِعُ دَفْتَرَ الْبَيْتِ: "كُنَّا نُسَجِّلُ «مُؤَشِّرَ التَّفَاعُلِ
مَعَ الْأَخْبَارِ الْمُضِلَّةِ» فَنَجِدُهُ قَدْ انْخَفَضَ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَالْآنَ يَظْهَرُ «صِفْرًا» فِي
هَذَا الْأُسْبُوعِ." فَأَبْتَهَجَ الْبَيْتُ وَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي صَوْتِهِ بَشَارَةٌ تَمَامٌ: "هَكَذَا يَعْمَلُ
«مِيزَانُ التَّثَبُّتِ» وَ«مِيزَانُ الْعَدْلِ» وَ«مِيزَانُ الْإِسْتِمَاعِ لِلْأَحْسَنِ» مَعًا."

ثُمَّ قَالَ «أَبُو حَاتِمٍ» وَهُوَ يُثَبِّتُ قَاعِدَةً أَصِيلَةً: "إِذَا اخْتَلَفَتِ الْمَصَادِرُ فَلَا
تَجْمَعُ رُؤُوسَهَا عَلَى حُكْمٍ مُعَجَّلٍ، بَلْ قِسْ كُلَّ سَرْدٍ عَلَى لِسَانِهِ وَأَدِلَّتِهِ، وَادْكُرْ
قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (النمل 64)

وَقَوْلُهُ

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ (البقرة 42).

ثُمَّ زَادَ يُقِيمُ حُرْمَةَ الْكَلِمَةِ: "وَتَذَكَّرُوا حَدِيثَهُ (ص): «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»" (حَدِيثٌ) فَلَا تُخْرِجُوا كَلِمَةً قَبْلَ أَنْ تَقُومَ
عَلَى بَيِّنَةٍ."

وَفِي آخِرِ الشَّهْرِ جَلَسَ الْقَوْمُ فِي الْمَسْجِدِ يَعْزُضُونَ «قِرَاءَاتِهِمُ النَّاقِدَةَ».
قَامَ «رِيَانٌ» فَقَالَ وَهُوَ يَعْزُضُ خُلَاصَتَهُ: "قَرَأْتُ خَبْرًا عَنْ حَدَّثٍ فِي الْمَدِينَةِ،
فَوَجَدْتُ «الْمُصَدَّرَ الْأَوَّلَ» قَدْ قَدَّمَ وَثَائِقَ وَأَسْمَاءَ وَأَزْمَانًا، وَ«الثَّانِي» قَدْ زَادَ فِي

لُغَةِ التَّعْلِيقِ وَأَدْخَلَ رَأْيًا فِي لُبِّ الْخَبَرِ، وَ«الثَّالِثُ» قَدْ حَذَفَ جُمْلَةً تُوضِّحُ السَّبَبَ. وَخَلَصْتُ إِلَى «إِمْسَاكِ عَنِ النَّشْرِ» حَتَّى يَكْمُلَ التَّنَبُّهُ. "ثُمَّ قَالَ: "وَقَدْ كَتَبْتُ فِي الْإِسْتِمَارَةِ: «الْمُصْلَحَةُ: مَعْرِفَةُ الْحَقِّ عَلَى وَجْهِهِ» «الْمُفْسَدَةُ: إِشَاعَةُ غُبَارٍ يَحْجُبُ الرُّؤْيَا». فَسَرَّ الْمَجْلِسُ وَقَالَ الْإِمَامُ: "هَكَذَا يَكُونُ «الْبَصَرُ الْقَارِي»".

وَقَامَتْ «رَابِعَةٌ» فَقَالَتْ وَفِي صَوْتِهَا رَوْنَقُ الْإِثْقَانِ: "اخْتَرْتُ خَبَرًا يَتَعَلَّقُ بِشَأْنٍ عَامٍّ، فَقَارَنْتُ ثَلَاثَةَ مَصَادِرَ، فَوَجَدْتُ الْأَوَّلَ يَسُوقُ «نُقْطًا مُحَايِدَةً»، وَالثَّانِي «يُسَبِّغُ أَلْفَاظًا مُسَيِّسَةً»، وَالثَّالِثَ «يُكْثِرُ مِنَ التَّشْبِيهِ وَالْإِسْتِعَارَةِ». وَخَلَصْتُ إِلَى أَنَّ «جَوْهَرَ الْحَدِيثِ» يَبْقَى وَاحِدًا وَأَنَّ «الْخِلَافَ فِي السَّرْدِ» يُصْنَعُ فِي الْأَلْفَاظِ وَالتَّرْتِيبِ. "ثُمَّ قَالَتْ: "وَأَحْتَفَظْتُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الزُّمَرُ 18)

هَادِيًا فِي رَأْسِ الصَّفْحَةِ."

ثُمَّ قَامَ «صَفْوَانُ» فَقَالَ: "بِفَضْلِ اللَّهِ قَدْ حَفِظْنَا كَلِمَاتِنَا، فَلَا نَنْشُرُ خَبَرًا قَبْلَ «التَّيْسِينِ»، وَلَا نُعَلِّقُ عَلَى «رَأْيٍ مُتَحَدِّيًا» كَأَنَّهُ «خَبَرٌ مُحْكَمٌ». "ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾

(آلِ عِمْرَانَ 64)

يَسْتَأْنِسُ بِهِ فِي الْعَدْلِ وَالْإِتِّلَافِ.

وَعِنْدَ الْحِتَامِ رَفَعَ الْإِمَامُ كَفَّهُ وَقَالَ فِي صَوْتِهِ دُعَاءُ يَجْمَعُ الْعَقْلَ وَالرُّوحَ: "اللَّهُمَّ عَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَأَنْفَعُنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَزِدْنَا هُدًى وَبَصِيرَةً، وَاجْعَلْنَا مِنْ مَنْ إِذَا أَسْتَمَعُوا الْقَوْلَ اتَّبَعُوا أَحْسَنَهُ (الزُّمَرُ 18) وَإِذَا جَاءَهُمْ نَبَأٌ تَبَيَّنُوا (الْحُجُرَاتُ 6)". ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُؤَكِّدُ مِيثَاقَ الْكَلِمَةِ: "«الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ»" (حَدِيثٌ) "فَكُونُوا فِي كَلِمَاتِكُمْ أَمَنَاءَ، وَفِي قِرَاءَاتِكُمْ عُدُولًا". وَقَرَأَ قَوْلُهُ تَعَالَى

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النَّحْلُ 90)

ثُمَّ اتَّبَعَهُ بِقَوْلِهِ

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ (فَاطِمَةُ 19)

يَسْتَحْضِرُ بِهِ فَارِقَ «الْبَصَرِ النَّاقِدِ» وَ«التَّقْلِيدِ الْعَمِيَانِ».

انْصَرَفُوا وَفِي الصُّدُورِ «دَفْتَرٌ» لِلْقِرَاءَةِ وَ«مِلَفٌّ» لِتَفَاوُتِ السَّرْدِ وَ«عَهْدٌ» يَحْرُسُ الْكَلِمَةَ. وَفِي الْبُيُوتِ جُمِعَ الْأَهْلُ كُلُّ لَيْلَةٍ جُمُعَةٍ عَلَى خَيْرٍ وَاحِدٍ، يَقْرَأُونَ وَيُتْقَارِنُونَ وَيَسْتَمِعُونَ لِأَحْسَنِ الْقَوْلِ عَلَى مِيزَانٍ بَيِّنٍ. وَكَانَ «الْمُؤَشِّرُ» فِي دَفْتَرِ الْبَيْتِ نَقِيًّا يُقَالُ فِيهِ: "قَدْ أَنْخَفَضَ «التَّفَاعُلُ» مَعَ الْأَخْبَارِ الْمُضِلَّةِ» إِلَى

«صِفِرٍ» فَأَبْتَهَجَتِ الْقُلُوبُ وَقَالَ «أَبُو حَاتِمٍ»: "هَذَا ثَمَرُ «مِيزَانِ التَّثَبُّتِ» وَ«مِيزَانِ الْعَدْلِ» وَ«مِيزَانِ الْإِسْتِمَاعِ لِلْأَحْسَنِ». ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ فِي خِتَامِ الرِّوَايَةِ وَهُوَ يُلَخِّصُ الطَّرِيقَ فِي جُمْلَةٍ تُضِيءُ أَبْوَابَ الْقَلْبِ: "أَقْرَأْ بِمِيزَانٍ، وَأَسْتَمِعْ لِلْقَوْلِ فَاتَّبِعْ أَحْسَنَهُ (الزُّمَرُ 18) وَإِذَا جَاءَكَ الْخَبَرُ فَتَبَيَّنْ (الْحُجُرَاتُ 6)، وَإِنْ شَكَّ قَلْبُكَ فَأَمْسِكْ حَتَّى تَبَيَّنَ الْبَيِّنَةُ، فَإِنَّ الْكَلِمَةَ أَمَانَةٌ وَالْحُكْمَ عَلَيْهَا عَدْلٌ".

مُقَدِّمَةُ الرِّوَايَةِ الثَّالِثَةِ: مَوَازِينُ الْبَيَانِ وَأَخْلَاقُ

الْجِدَالُ

تَنْهَضُ هَذِهِ الرِّوَايَةُ لِتَضَعَ الْكَلِمَةَ عَلَى مِيزَانِهَا وَتَرُدُّ الْجِدَالَ إِلَى أَدْبِهِ، فَتَسْأَلُ الْأَلْسِنَةَ قَبْلَ أَنْ تَنْطِقَ وَتَسْتَأْذِنُ الْقُلُوبَ قَبْلَ أَنْ تُحَاكِمَ، وَتَسْتَظِلُّ بِوَعْدِ اللَّهِ وَوَعِيدِهِ

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق 18)

وَتَهْتَدِي فِي طَرِيقِ الدَّعْوَةِ وَالْمُنَاطَرَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى

﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل 125)

وَتُطْفِئُ نَارَ السَّجَالِ بِوَصِيَّةِ الرَّحْمَنِ

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الأنبياء 53)

وَتُقِيمُ الْحُكْمَ عَلَى قِسْطِاسِهِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾

(النِّسَاءُ 135)

وَتَحْرُسُ الْعَدْلَ مِنْ هَوَىِّ يُمِيلُ وَشَنَانَ يُعْمِي

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

(الْمَائِدَةُ 8)

وَتَسُوقُ الْإِنصَافَ بِسُنَّةِ الْمُتَّقِينَ

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الرُّمُّ 18).

تَسِيرُ الرَّوَايَةُ بَيْنَ «مَوَاقِفٍ» تَصُونُ الْبَيَانَ وَ«أَخْلَاقٍ» تُقِيمُ الْجَدَلَ عَلَى سُنَنِهِ؛ فَتَفْتَحُ «عَهْدَ الْبَيَانِ» لِتَوْسِسَ كَلِمَةً صَادِقَةً وَلِسَانًا مَسْئُولًا، ثُمَّ تُحَصِّنُ «مِثَاقَ الْعَيْنِ» لِتَحْرُسَ النَّظَرَ وَتُزَكِّيَ الْإِشَارَةَ، وَتُقِيمُ «مِيزَانَ الْمِزَاحِ» لِيَبْقَى طِيبًا لَا يَنْقَلِبُ أَدَى، وَتَبْسُطُ «فِقْهَ الْحُقُوقِ الرَّقْمِيَّةِ» لِتُوَدِّيَ الْأَمَانَاتِ فِي السَّاحَاتِ الْمُشَاعَةِ. ثُمَّ تَصْنَعُ «الرَّدَّ الْقَاعِدِيَّ» عَلَى قَوَاعِدِ الْعِلْمِ وَالْعَدْلِ وَتُبَايِعُ «مِثَاقَ التَّرْجَمَةِ» لِتَحْفَظَ الْمَعْنَى وَتُوَدِّيَ الْأَمَانَةَ، وَتُهَذِّبُ «أَدَبَ الْخِلَافِ» لِيَكُونَ الْإِخْتِلَافُ مَدْرَسَةً حِكْمَةً لَا سُوقَ مِرَاءٍ، وَتُقِيمُ «لِسَانَ الْجَمَاعَةِ» عَلَى نُصْحٍ وَوَحْدَةٍ، وَتَصْنَعُ «دَلِيلَ الْأُسْلُوبِ» لِلْبَيَانِ الْمُحْكَمِ، وَتَفْتَحُ «مَجْلِسَ الْإِصْلَاحِ» لِرَدِّ

الْمَظَالِمِ وَجَبَرِ الْكُسُورِ، وَتَمُدُّ «جِسَرَ الْمَسْجِدِ وَالسُّوقِ» لِيَلْتَقِيَ التَّرَكِيَةُ وَالْعُمَرَانُ، ثُمَّ تَخْتِمُ بِ«حَصَادِ الْجَدَلِ» لِتَقْيَسَ الْأَثَرِ وَتُجَدِّدَ الْعُهُودَ.

تُرِيدُ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةُ أَنْ تَجْمَعَ لِلْقَارِي مِفْتَاحَيْنِ؛ «مِفْتَاحَ التَّثَبُّتِ» لِكُلِّ مَا يُنْقَلُ و«مِفْتَاحَ الْإِحْسَانِ» لِكُلِّ مَا يُقَالُ، فَلَا يَتَقَدَّمُ الدَّعْوَى عَلَى الدَّلِيلِ وَلَا يَسْبِقُ الْغَضَبُ الْحِكْمَةَ، وَيَبْقَى الْمِيزَانُ مُسْتَقِيمًا يُذَكِّرُ كُلَّ نَاقِلٍ وَمُنَاطِرٍ بِقَوْلِهِ تَعَالَى

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الْإِسْرَاءُ 36)

وَيَهْدِي الْقُلُوبَ إِلَى مَعَادِنِ الْعَدْلِ

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النَّحْلُ 90).

فَإِذَا تَقَدَّمَ الْقَارِي فِي أَبْوَابِهَا رَأَى الْبَيَانَ أَمَانَةً وَالْجَدَلَ عِبَادَةً وَالْخِلَافَ فُرْصَةً ثِقَةً، وَسَمِعَ فِي خَاتِمَةِ كُلِّ مَقَامٍ نِدَاءَ الْقُرْآنِ يَهْدِيهِ إِلَى أَحْسَنِ الْقَوْلِ

﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الزُّمَرُ 18).

الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: عَهْدُ الْبَيَانِ

تَسَلَّلَ الْمَسَاءُ عَلَى الرَّوَاقِ سِلْكَاً مِنْ سَكِينَةٍ تُطَوِّقُ الْقُلُوبَ كَمَا تُطَوِّقُ
الْمَآذِنُ سَحَابَ الْمَدِينَةِ بِنُورِ الْأَذَانِ، فَدَخَلَتْ الْأَسْرُ وَتَقَدَّمَ الصَّبِيَانُ وَالْفَتَيَاتُ
وَالْأَنْفَاسُ مُتَخَافَتَةً تَسْتَعِدُّ لَوْفَقَةِ قُلُوبٍ عَلَى مِيزَانِ الْكَلِمَةِ. وَجَلَسَ «الْإِمَامُ» فِي
صَدْرِ الرَّوَاقِ وَأَمَامَهُ صَحِيفَةٌ نَفِيَّةٌ وَقَلَمٌ يُشْبِهُ مِيزَانًا ضَمِيلاً يُعْطِي كُلَّ حَرْفٍ
قَدْرَهُ، ثُمَّ رَفَعَ بَصَرَهُ وَقَالَ وَفِي صَوْتِهِ رَفَقُ الْمُرَبِّي وَوَقَارُ الْحَافِظِ "سَنَعْقِدُ الْيَوْمَ
عَلَى «عَهْدِ الْبَيَانِ»، فَلَا تَسْتَقِ الْأَلْسِنَةُ قُلُوبَهَا وَلَا تَتَقَدَّمَ الدَّعَاوَى عَلَى
الْبَيِّنَاتِ". ثُمَّ تَلَا بِصَوْتٍ يَخْلُطُ النُّورَ بِالْحُكْمِ

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الْإِسْرَاءُ 53)

وَأَتْبَعَهَا بِتِلَاوَةِ تُشَبِّتُ الْمَسْئُولِيَّةَ فِي كُلِّ نَفْسٍ

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق 18).

وَسَكَتَ الرَّوَاقُ سَكَنَةً تُشْبِهُ الْخُشُوعَ ثُمَّ قَالَ "سَنَحْفَظُ الْمَقْصِدَ وَنُقِيمُ
الْعَدْلَ وَنَتَنَبَّئُ قَبْلَ الْحُكْمِ لِكَيْلَا نَظْلِمَ كَلِمَةً وَلَا نُهْدِرَ نَفْسًا".

تَقَدَّمَ «صَفْوَانُ» وَفِي يَدِهِ صَحِيفَةٌ بَيْضَاءُ فَقَالَ "نَرْجُو يَا سَيِّدَنَا أَنْ تَكْتُبَ لَنَا مِيثَاقًا نَلْتَزِمُهُ فِي بُيُوتِنَا وَمَجَالِسِنَا" فَقَالَ الْإِمَامُ "سَنَكْتُبُ مَا يُشْبِهُ قَلْبًا يُرَاقِبُ اللَّهَ فِي كُلِّ لَفْظٍ، فَ«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»" (حَدِيثٌ) "وَالْكَلِمَةُ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ عَلَى اللِّسَانِ". ثُمَّ قَرَأَ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (الْأَحْزَابُ 70-71)

وَقَالَ "هَذَا أَصْلُ الْعَهْدِ."

وَمَا هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٌ حَتَّى اَلْتَفَّتِ الصَّغَارُ حَوْلَ «صَحِيفَةِ الْعَهْدِ» كَانَهَا مَرَأَةٌ تُرِي كُلَّ أَحَدٍ مَا يَنْبَغِي لَهُ، فَقَالَ «رِيَّانُ» وَفِي عَيْنَيْهِ رَعْبَةٌ الْإِزْدِيَادِ "هَلْ نَكْتُبُ فِيهَا جُمَلًا نُرَدِّدُهَا" فَقَالَ الْإِمَامُ "سَنَكْتُبُ قَوَاعِدَ تُطْفِئُ السَّجَالَ وَتُقِيمُ الْعَدْلَ، وَنَسْتَفْتِيهَا بِـ

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الْإِسْرَاءُ 36)

لِكَيْلَا يَسْبِقَ الْحَدْسُ الْبَيِّنَةَ". ثُمَّ قَالَ "وَنَجْعَلُ عَلَى رَأْسِهَا جُمْلَةَ النَّبِيِّ (ص) «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُتَّقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ»" (حَدِيثٌ) "فَهِىَ مِفْتَاحُ أَلْبَابٍ وَسَدَادُهُ".

وَقَالَتْ «حِلْمَةٌ» وَقَدْ جَمَعَتْ شَعْرَهَا خَلْفَ رَأْسِهَا عَلَى هَيْئَةِ الْإِسْتِعْدَادِ

"أَخَافُ أَنْ تَزِلَّ الْأَلْسِنَةُ عِنْدَ الْغَضَبِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَتَدَرَّبُ عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ وَحِفْظِ اللِّسَانِ، فَ«لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ»" (حَدِيثٌ) "و«الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»" (حَدِيثٌ). ثُمَّ تَلَا

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة 83)

وَقَالَ "هَذِهِ سَوَارِي الْبُيُوتَانِ."

وَحِينَ مَالَ الظُّلُّ فِي الرِّوَاقِ مَيْلَةً هُدُوًّا قَرِيبٍ مِنَ الْمَشْيِ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ قَالَ الْإِمَامُ "سَبْدًا رُكْنَ الْقَصْدِ، فَإِنَّ الْكَلِمَةَ إِذَا خَرَجَتْ عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ أَنْحَرَفَتْ وَلَوْ كَانَتْ فِي ذَاتِهَا حَسَنَةً" ثُمَّ ذَكَرَ "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَّبِعُ فِيهَا يَهُوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ" (حَدِيثٌ) وَقَرَأَ

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق 18)

لِيُرْسِمَ فِي الْقُلُوبِ رُقَابَةً لَا تَغِيبُ.

وَقَالَ «رِيَّانُ» وَهُوَ يُقَلِّبُ قَلَمًا بَيْنَ أَصَابِعِهِ "كَيْفَ نَتَشَبَّثُ قَبْلَ أَنْ أَنْقُلَ خَبْرًا أَوْ أَكْتُبَ رَدًّا" فَقَالَ الْإِمَامُ "تَسْأَلُ قَلْبَكَ أَوَّلًا «مَا الْمَقْصِدُ» ثُمَّ تَنْظُرُ فِي الدَّلِيلِ ثُمَّ تَسْتَفْرِئُ الْمَالَ، وَتُسَاعِدُكَ هَذِهِ الْآيَةُ

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ (الحجرات 6) وَهَذِهِ

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الْإِسْرَاءُ 36).

ثُمَّ أَضَافَ "وَمِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ" (حَدِيثٌ) "فَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ يَعْنِيكَ فِي دِينٍ أَوْ مَصْلَحَةٍ فَلَا إِمْسَاكَ أَحْسَنُ."

وَقَالَتْ «رَأْيِي» وَفِي صَوْتِهَا خَفَرُ الْحَيَاءِ "أَسْكُتْ عِنْدَ الْخِلَافِ فَيَعُدُّ ذَلِكَ ضَعْفًا" فَقَالَ الْإِمَامُ "الْشُّكُوتُ عَنِ الْبَاطِلِ ضَعْفٌ وَالشُّكُوتُ عَمَّا لَا يَزِيدُ الْحَقَّ نُورًا حِكْمَةً، وَمَنْ صَمَتَ نَجَا" (حَدِيثٌ) "وَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَقُولِي الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الْإِسْرَاءُ 53).

ثُمَّ لَمَّا اكْتَمَلَتْ جُمْلُ «صَحِيفَةِ الْعَهْدِ» رَفَعَهَا «صَفْوَانٌ» عَلَى جِدَارِ الرِّوَاقِ فَتَلَّأَتْ فِيهَا الْآيَاتِ وَالْفَوَاعِدُ كَأَنَّهَا نُقُوشُ نُورٍ:

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (الْبَقَرَةُ 83)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

(التَّوْبَةُ 119)

وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ» (حَدِيثٌ) وَ«هَلْ يَكُفُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» (حَدِيثٌ). وَقَالَ الْإِمَامُ "سَنَعَلُّ الصَّحِيفَةَ فِي

صَدَرَ الْمَجْلِسِ لِتَكُونَ شَاهِدًا عَلَى الْقُلُوبِ وَحَافِظًا لِلْأَلْسِنَةِ."

ثُمَّ بَدَأَ «الْمَشْهُدُ التَّطْبِيقِيُّ» كَمَا يُحِبُّ الْقُرْآنُ أَنْ يَرَى الْكَلِمَةَ تَنْقَلِبَ عَمَلًا. جَلَسَتْ الْأُسْرَةُ فِي الْمَسَاءِ وَقَالَ «صَفْوَانُ» "سَنَجْعَلُ لِأَلْسِنَتِنَا وَقْفَةً قِصَارًا قَبْلَ كُلِّ رَدٍّ" فَقَالَتْ «حِلْمَةُ» "سَأَبْدَأُ بِتَلْطِيفِ الْمُخَاطَبَةِ" فَقَالَ «رِيَّانُ» "وَأَنَا سَأَتَحَرَّى الدَّلِيلَ" وَقَالَتْ «رَابِيعَةُ» "وَأَنَا سَأَسْتَبْدِلُ الْأَعْتِرَاضَ الْحَادَّ بِسُؤَالٍ رَفِيقٍ". فَقَالَ الْإِمَامُ "هَكَذَا يَتَرَكَّبُ «مِيزَانُ الْمَقْصِدِ» وَ«مِيزَانُ الْعَدْلِ» وَ«مِيزَانُ التَّثَبُّتِ»".

وَفِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ جَرَى الْإِبْتِلَاءُ فِي الْبَيْتِ بِمَوْضُوعٍ صَغِيرٍ، فَارْتَفَعَ الْحَدِيثُ ثُمَّ ذَكَرَهُمُ النَّظَرُ إِلَى الصَّحِيفَةِ فَسَكَتَتِ الْأَصْوَاتُ. قَالَ «صَفْوَانُ» "كَانَ يُمَكِّنُنَا أَنْ نُجَادِلَ فَتُخَسَّرَ الْقَلْبُ" فَقَالَتْ «حِلْمَةُ» "وَلَكِنَّا قُلْنَا «الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»" ثُمَّ قَرَأَ «الْإِمَامُ»

﴿وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ (آلِ عِمْرَانَ 134).

وَفِي اللَّيْلِ كَتَبُوا فِي «سَجِلِّ الْعَهْدِ» مَوْقِفًا وَاحِدًا ظَهَرَ فِيهِ «قَوْلُ أَحْسَنُ» كِبَذَرَةً نَوْرًا.

وَمَضَى الْأُسْبُوعُ وَ«الْمُرَاقِبَةُ» تُصْلِحُ الْأَلْسِنَةَ. فَإِذَا غَفَلَتْ نَفْسٌ ذَكَرَهَا صَوْتُ آيَةٍ

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ﴾ (ق 18)

وَإِذَا هَاجَ الْغَضَبُ رَجِعُوا إِلَى الْوَصِيَّةِ «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ... فَلْيُقْلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» (حَدِيثٌ). وَفِي آخِرِ كُلِّ مَسَاءٍ أَشْعَلُوا قَلْبًا صَغِيرًا مِنْ شُكْرِ يَقُولُ "الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ" وَيَكْتُبُونَ فِي «سِجِلِّ الْعَهْدِ» مَوَاقِفَ قَصِيرَةً.

وَحِينَ حَضَرَ الْيَوْمَ السَّابِعُ جَلَسُوا فِي الرِّوَاقِ وَأَمَامَهُمْ «صَحِيفَةُ الْعَهْدِ»، فَقَالَ الْإِمَامُ "سَنَقِيسُ الْأَثَرَ فِي الْأَلْسِنَةِ، هَلْ خَفَّ الْإِنْفَعَالُ" فَقَالَ «صَفْوَانُ» "نَعَمْ، انْخَفَضَ الْإِنْفَعَالُ اللَّفْظِيُّ فِي جَلَسَاتِنَا إِلَى النِّصْفِ كَمَا رَصَدْنَا فِي السَّجِلِّ" فَابْتَسَمَ الْإِمَامُ وَقَالَ "هَذَا بَرَكَةُ الْعَهْدِ إِذَا تَعَلَّقَ بِالْقَلْبِ". ثُمَّ تَلَا

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الْإِسْرَاءُ 53)

و﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (الْبَقَرَةُ 83)

وَقَالَ "وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ" (حَدِيثٌ).

ثُمَّ قَالَ "سَنَضَعُ رُكْنًا لِلْإِصْلَاحِ فِي كُلِّ خِلَافٍ لِكَيْلَا يَبْقَى فِي الْقُلُوبِ شَيْءٌ" وَقَرَأَ

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (الْحُجُرَاتُ 10).

فَقَالَتْ «رَابِيَةُ» "أَعْتَذِرُ لِأَخِي عَنْ جُمْلَةٍ قَسَتْ قَلْبَهُ" فَقَالَ «رَيَّانُ» "وَأَنَا

أَشْكُرُهَا عَلَى سُؤَالِ رَقِيقٍ أَطْفَأَ النَّزَاعَ". فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا مِثْلُ «مَجْلِسِ
الْإِصْلَاحِ» يَبْدَأُ بِالْإِعْتِرَافِ وَيَنْتَهِي إِلَى الْعَفْوِ، وَ«مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا
زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا» (حَدِيثٌ).

وَجَاءَتْ لَحْظَةُ الْإِتِّلَاءِ فِي السَّاحَاتِ الرَّقْمِيَّةِ إِذْ انْسَابَتْ رِسَالَةٌ مُثِيرَةٌ،
فَقَالَ «رِيَانُ» "سَأَتَنْبِئُ" وَقَالَتْ «رَابِيَةُ» "سَأَسْأَلُ عَنْ الْمَصْدَرِ" وَقَالَتْ «حِلْمَةُ»
"سَنَرُدُّ بِجُمْلَةٍ هَادِيَةٍ" فَقَالَ الْإِمَامُ "أَحْسَنْتُمْ،

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الْحُجُرَاتُ 6)

فَإِنْ لَمْ تَتَبَيَّنُوا ضَلَلْتُمْ وَظَلَمْتُمْ". ثُمَّ ذَكَرَ "بِحَسْبِ أَمْرِي مِنَ الشَّرِّ أَنْ
يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ" (حَدِيثٌ) لِيَرْفَعَ الْقَلْبَ عَنِ الْإِنزِلَاقِ فِي التَّنَابُزِ.

وَفِي آخِرِ الْمَجْلِسِ قَالَ الْإِمَامُ "سَنَكْتُبُ الْآنَ تَعْهُدًا صَرِيحًا: أَلَّا نَنْقُلَ
خَبْرًا إِلَّا بَعْدَ تَثْبُتٍ وَأَلَّا نَرُدَّ إِلَّا بِقَوْلٍ أَحْسَنَ وَأَلَّا نُسَارِعَ إِلَى الْحُكْمِ قَبْلَ الْبَيِّنَةِ"
ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾
(الْمَائِدَةُ 8)

وَقَالَ "وَأَنَا زَعِيمٌ بَيْنِي فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْبِرَّاءَ وَإِنْ كَانَ
مُحِقًّا" (حَدِيثٌ). فَقَالَ «صَفْوَانُ» "نَشْهَدُ اللَّهَ عَلَىٰ ذَٰلِكَ" فَقَالَ الْجَمْعُ "أَمِينَ".

ثُمَّ قَامُوا يُعَلِّقُونَ «صَحِيفَةَ الْعَهْدِ» فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ لِتَكُونَ أَوَّلَ مَا تَقَعُ عَلَيْهِ الْعُيُونُ وَآخِرَ مَا يُوَدِّعُهُ النَّاطِرُ. وَفِي طَرِيقِ الْعُودَةِ قَالَ «رِيَّانُ» "أَشْعُرُ أَنَّ كَلِمَةً وَاحِدَةً تَسْتَطِيعُ أَنْ تَبْنِيَ جِسْرًا أَوْ أَنْ تَهْدِمَ بَيْتًا" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَعَمْ، وَ«كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»" (حَدِيثٌ) "فَالْأَلْسِنَةُ مَوَازِينُ تَرْفَعُ وَتُخَفِّضُ". وَقَرَأَ

﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (الْعَصْرُ 1-3)

لِيَرْبِطَ الْكَلِمَةَ بِالزَّمَنِ وَالْعَمَلِ.

وَأَمَّا «الْوَجِبُ الْمُقَاسُ» فَقَدْ أَجْرُوهُ كَمَا اتَّفَقُوا؛ رَصَدُوا فِي أُسْبُوعٍ أَحَدَ عَشَرَ مَوْقِفًا لِ«قَوْلٍ أَحْسَنَ» وَسَجَّلُوا فِي الصَّحِيفَةِ جُمْلًا قَصِيرَةً كَانَتْ مَفَاتِيحَ إِصْلَاحٍ "هَلْ نُرَاجِعُ مَعًا" "مِنْ فَضْلِكَ لِنُوجِّلَ الْحُكْمَ" "عَسَى أَنْ يَكُونَ لَهَا وَجْهٌ آخَرٌ". وَفِي آخِرِ الْأُسْبُوعِ قَالَ «صَفْوَانُ» وَهُوَ يَقْرَأُ الْأَرْقَامَ "انْخَفَضَ الْإِنْفِعَالُ اللَّفْظِيُّ فِي جَلْسَاتِنَا خَمْسِينَ فِي الْيَوْمِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْعَهْدَ نُورًا" ثُمَّ قَرَأَ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (الْمُؤْمِنُونَ 1-3).

وَلَمَّا انْقَطَعَ الْمَجْلِسُ قَامَ الْقَوْمُ عَلَى بَصِيرَةٍ أَكْثَرَ وَسَكِينَةٍ أْبْلَغَ، فَأَصْبَحَ
الْبَيْتُ يَفْتَحُ صَبَاحَهُ بِذِكْرِ وَيُغْلِقُ مَسَاءَهُ بِمُرَاجَعَةٍ وَصَرَفِ لِسَانٍ إِلَى الْخَيْرِ،
وَصَارَتِ الصُّحُفُ شُهُودًا وَالْقُلُوبُ حُرَّاسًا. وَإِذَا عَرَضَ عَارِضٌ قَالُوا "هَاهُنَا «عَهْدٌ»
لَا نَخُونُهُ وَ«مِيزَانٌ» لَا نُخِلُّ بِهِ" وَتِلْكَ عِصْمَةُ الْبَيَانِ إِذَا أُفِيضَتْ حُرْمَتُهُ وَتَمَّ مِيثَاقُهُ.

ثُمَّ خَتَمَ «الْإِمَامُ» وَهُوَ يَرْفَعُ كَفَّيْهِ "اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَلْسِنَتَنَا صَادِقَةً وَقُلُوبَنَا
نَقِيَّةً وَأَعْمَالَنَا صَالِحَةً" وَتَلَا عَلَى الْقَوْمِ

﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الْأَحْزَابُ 70)

وَذَكَرَ "«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»" (حَدِيثٌ)
لِيَرْفَعَ مِيزَانَ الْكَلِمَةِ إِلَى مَقَامِ الْإِيمَانِ. ثُمَّ انْصَرَفُوا عَلَى نُورٍ يَحْفَظُ أَلْسِنَتَهُمْ
وَعَهْدٍ يَرَعَى قُلُوبَهُمْ، وَظَلَّتْ «صَحِيفَةُ الْعَهْدِ» فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ كَأَنَّهَا لَوْحَةٌ مِنْ
نَاصِعِ النُّورِ تُذَكِّرُ كُلَّ دَاخِلٍ أَنَّ الْكَلِمَةَ أَمَانَةٌ وَأَنَّ الْقَصْدَ عِمَادٌ وَأَنَّ التَّثَبُّتَ
عَدْلٌ.

الدَّرْسُ الثَّانِي: مِثَاقُ الْعَيْنِ

تَسَلَّلَ الْمَسَاءُ عَلَى الرَّوَاقِ كَمَا يَتَسَلَّلُ نَفْسُ النَّسِيمِ فِي سَاعَةِ الْقِيلُولَةِ
فَسَكَتَتِ الْأَصْوَاتُ وَأَنْحَدَرَ الضَّوْءُ عَلَى الْحَصِيرِ نَقِيًّا يُشْبِهُ الرَّحْمَةَ تَفْتَحُ لِلْقُلُوبِ
قَبْلَ الْعُيُونِ. وَجَلَسَ الْإِمَامُ فِي صَدْرِ الرَّوَاقِ وَقَدْ وَضَعَ أَمَامَهُ لَوْحًا صَغِيرًا أبيضَ
كَأَنَّهُ مِرَاةٌ تُرِيدُ أَنْ تُقِيمَ لِلْبَصَرِ مِيزَانًا وَتَرْفَعَ لِلْحَيَاءِ سُورًا. ثُمَّ نَظَرَ فِي الْوُجُوهِ نَظْرَةً
رَاعٍ يَعْرِفُ مَسَالِكَ الْقُلُوبِ وَقَالَ وَصَوْتُهُ يَحْفِلُ بِرِقَّةٍ وَوَقَارٍ "الْيَوْمَ نُعَقِدُ «مِثَاقَ
الْعَيْنِ» فَنجعلُ لهذه الْجَارِحَةِ حُدُودًا تُحَسِّنُ بِهَا الْمُنَاطَرَةَ وَتَسَلِّمُ بِهَا الْمُجَالَسَةَ
وَتُصَانُ بِهَا الْقُلُوبُ مِنْ إِيْلَامِ نَظْرَةٍ أَوْ شُبْهَةِ تَحْدِيقٍ." ثُمَّ تَلَا عَلَى أَهْلِ الْحَلَقَةِ
تِلَاوَةً تَمْسَحُ عَلَى الْقُلُوبِ مَسْحَ التَّسْلِيمِ

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾

(النُّورُ: 30)

ثُمَّ قَالَ "وَكَذَلِكَ" فَتَلَا

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ (النُّورُ: 31)

لَيْسَتْوَيَ الْحُكْمُ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فِي بَابِ الْحَيَاءِ وَحُسْنِ النَّظَرِ.

وَاتَّبَعَ التَّلَاوَةَ بِنَظَرَةٍ تَفْحَصُ الْمَجْلِسَ فَقَالَ "الْعَيْنُ تَسْبِقُ أَحْيَانًا فَتَجْرُ
اللِّسَانَ وَتُهَيِّجُ النَّفْسَ فَلَنْقِمَ لَهَا مِثْقَالَ يَضْبُطُ الزَّاوِيَةَ وَالزَّمْنَ وَالْمَقْصِدَ." ثُمَّ قَرَأَ
عَلَيْهِمْ آيَةَ الْبَصِيرَةِ الْعَظِيمَةِ

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (غَافِرٌ 19)

لِيُشْعِرَهُمْ أَنَّ سِرَّ النَّظَرِ مَحْفُوظٌ عِنْدَ رَبِّ لَا تُخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ. ثُمَّ قَالَ
"وَلَا نَنْسَى أَنَّ الْعَيْنَ حَلَقَةٌ فِي سِلْسِلَةِ الْمَسْئُولِيَّةِ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

(الْإِسْرَاءُ 36).

وَأَضَافَ "وَفِي السُّنَّةِ مِفْتَاحٌ بِالْعُ، قَالَ النَّبِيُّ (ص) «لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ
النَّظْرَةَ فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ» (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَرْفَعُ يَدَهُ
رَافِعًا سَدًّا مِنْ نُورٍ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالزَّلَلِ "وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ «كُتِبَ
عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيحُهُ مِنَ الزُّنَا مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ فَرْنَا الْعَيْنَيْنِ النَّظْرَ وَزَنَا الْأُذُنَيْنِ
الْإِسْتِمَاعَ...» (حَدِيثٌ). فَاهْتَزَّتْ الْقُلُوبُ مِنْ رَهْبَةِ الْكَلِمَةِ وَقَالَ الصَّبِيَّانُ فِي
أَنْفُسِهِمْ "إِذَا لِلْعَيْنِ شَرَفٌ وَخَطَرٌ".

ثُمَّ قَامَ الْإِمَامُ وَقَرَّبَ الْحَلَقَةَ مِمَّا يَلِي الْمِحْرَابَ وَقَالَ "سَنُصْلِحُ الْجِلْسَةَ

قَبْلَ الْكَلِمَةِ" فَحَرَّكَ الْمَجَالِسَ حَتَّى صَارَتْ فِي قَوْسٍ هَادِيٍّ لَا يُقَابِلُ فِيهِ أَحَدٌ عَيْنَ أَحَدٍ مُقَابَلَةً حَادَّةً بَلْ تَتَوَارَى أَلْعْيُونُ عَلَى الطَّرَفِ مِثْلَ نُجُومٍ تَنْظُرُ إِلَى سَمَاءٍ وَاحِدَةٍ. ثُمَّ قَالَ "هَذِهِ الزَّاوِيَةُ تَكْفُفُ شِدَّةَ النَّظَرِ وَتَرْفَعُ مَنْسَأَةَ الْإِسْتِفْزَازِ". وَنَظَرَ إِلَى الصَّبْيَانِ فَقَالَ "إِذَا نَاطَرْتَ أَحَاكَ فَاجْعَلْ لِنَظْرِكَ وَقَارًا وَأَقْطَعْ حَدَّتَهُ بِطَرَفَةٍ إِلَى الْأَرْضِ كُلِّ قَدَرٍ قَصِيرٍ كَأَنَّكَ تَسْتَعِينُ عَلَى الْحَقِّ بِتَوَاضُعٍ". ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِمُ

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

(طه 131)

لِيَضَعَ لِلْعَيْنِ قَانُونَ الْقِنَاعَةِ وَيَقْطَعَ سَبِيلَ التَّلَطُّعِ الْمُؤْذِي.

وَدَخَلَتْ «حِلْمَةُ» وَمَعَهَا صَحِيفَةٌ نَقِيَّةٌ مَكْتُوبٌ فِي صَدْرِهَا "تَنْبِيهُ نَظَرٍ" فَقَالَ الْإِمَامُ "سَنَجْعَلُ هَذَا التَّنْبِيْهَ قِرَاءَةً قَصْرَى قَبْلَ كُلِّ مُنَاطَرَةٍ" ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِمُ مَا كُتِبَ فِيهَا "«أَغْضِضْ طَرَفَكَ عِنْدَ الْخِلَافِ وَأَرِحْ نَظْرَكَ عِنْدَ تَأْمُلِ حُجَّةِ أَخِيكَ وَأَحْذَرِ التَّحْدِيقَ الْمُسْتَفْزِ فَإِنَّهُ سَهْمٌ يَخْرِقُ الْإِلْفَ»" ثُمَّ قَالَ "سَنَتْلُو الْآيَةَ فِي صَدْرِ كُلِّ مَجْلِسٍ" فَقَرَأُوا جَمِيعًا

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ (النُّور 30)

و﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ﴾ (النُّور 31).

وَأَضَافَ الْإِمَامُ "وَنَسْتَحْضِرُ مَعَهَا قَوْلَهُ (ص) «اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ

الْحَيَاءِ» ثُمَّ شَرَحَ وَقَالَ "هُوَ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى..." ثُمَّ ذَكَرَ مَأْخَذَهُ "وَقَدْ رَوَاهُ" لِيُبَيِّنَ الْمَصْدَرَ "«حَدِيثٌ»" (حَدِيثٌ).

وَقَالَ «رَبَّانُ» وَقَدْ رَفَعَ يَدَهُ عَلَى هَيْئَةِ الْإِسْتِئْذَانِ "إِذَا كَانَ الْحَوَارُ فِي الْوَسَائِطِ الرَّقْمِيَّةِ فَمَا مِيثَاقُ الْأَعْيُنِ هُنَالِكَ" فَقَالَ الْإِمَامُ "الْعَيْنُ هُنَالِكَ تَعْمَلُ بِمَا تَعْمَلُ بِهِ هَهُنَا لَكِنَّ الزَّاوِيَةَ تَتَحَوَّلُ إِلَى الشَّاشَةِ وَالزَّمَنُ يَصِيرُ قُدْرَةً عَلَى الْإِغْلَاقِ عِنْدَ الْفِتْنَةِ وَالْمَقْصِدُ يَتَأَكَّدُ فِي الْإِخْتِيَارِ، فَلَا تَنْظُرُ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ وَلَا تُطِلُّ أَلْتَمَادِي فِي أَلْمُؤْذِي وَلْتَكُنْ لَكَ مُفَاتِيحُ غَصِّ سَرِيعَةٍ" ثُمَّ قَرَأَ

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ (النُّورُ 30)

و﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ﴾ (النُّورُ 31)،

وَأَعَادَ

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ (غَافِرُ 19)

لِيَرْبِطَ السَّرَّ بِالْعَلَانِيَةِ. وَقَالَ "وَمَنْ تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ عَوَّضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ" ثُمَّ ذَكَرَ مَأْخَذَهُ "وَقَدْ جَاءَ فِي الْمَعْنَى أَخْبَارُ حَسَّانٍ" لِيَدُلَّ عَلَى التَّرْغِيبِ.

وَقَالَتْ «رَابِيَّةُ» وَهِيَ تَضُمُّ طَرَفَ خِمَارِهَا عَلَى صَدْرِهَا "أَحْيَانًا نَتَحَاوَرُ فَتَشْتَدُّ أَلْأَنْفُسُ فَيَقُومُ النَّظَرُ مَقَامَ الْكَلِمَةِ وَنَكَادُ نَتَشَاكُسُ" فَقَالَ الْإِمَامُ "هُنَالِكَ

تَضَعِينَ لِنَظَرِكَ مِسْطَرَّةَ الْحَيَاءِ فَتُثَبِّتِينَ أَلْوَقَارَ وَتَقْطَعِينَ التَّحْدِيقَ وَتَرْفَعِينَ الْحُجَّةَ بِصَوْتٍ مُتَزِنٍ وَنَفْسٍ سَاكِئَةٍ، فَإِنَّ الْعَيْنَ إِذَا أَشْتَدَّتْ أَشْعَلَتْ" ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الْإِسْرَاءُ 53)

لِيَكُونَ الْقَوْلُ وَالنَّظَرُ عَلَى مِيزَانٍ وَاحِدٍ.

ثُمَّ أَشَارَ الْإِمَامُ إِلَى الْكِتَابِ الْمَوْضُوعِ عَلَى اللَّوْحِ وَقَالَ "سَنَكْتُبُ أَلَانَ «مِيثَاقَ الْعَيْنِ» فِي عَشْرِ جُمَلٍ قَصَارٍ تُقْرَأُ قَبْلَ كُلِّ حَوَارٍ" فَأَمَلَى وَهُوَ يَكْتُبُ بِيَدِ ثَابِتَةٍ وَقَلْبِ رَاقِبٍ "«أَغْصَصَ طَرْفَكَ عِنْدَ الْغَضَبِ» «لَا تُحَدِّدِ النَّظَرَ إِلَى أُلُجُوهٍ وَلَتَكُنْ مُوَاجِهَتَكَ بِحُجَّتِكَ لَا بِحَدِّ عَيْنَيْكَ» «إِذَا أَخْطَأَ أَخُوكَ فَأَرِّخْ نَظْرَكَ وَسَكِّنْ صَوْتَكَ» «أَقْطَعْ النَّظَرَ عَنِ مَوَاطِنِ الْعَوْرَةِ وَالرَّيَّةِ فِي الْمَجْلِسِ وَفِي أَلْوَسَائِطٍ» «إِذَا رَأَيْتَ فِتْنَةً فَأَغْلِقْ نَافَذَتَكَ وَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ»" ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِمُ

﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (النَّحْلُ 127)

لِيَرْبُطَ الْحَيَاءُ بِالصَّبْرِ.

وَأَنْفَتَحَ الْمَجْلِسُ عَلَى مُنَازَرَةٍ قَصِيرَةٍ تَدْرِيبًا، فَقَالَ «صَفْوَانُ» لِابْنِهِ "سَلْ أَخَاكَ سُؤلاً يُثْمِرُ لَا يُؤْذِي" فَالْتَمَتَ «رَيَّانُ» إِلَى «رَايَّةَ» بِنَظَرَةٍ لَطِيفَةٍ كَأَنَّهَا تَسْتَأْذِنُ قَبْلَ أَنْ تَدْخُلَ وَقَالَ "هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ تُعِيدِي حُجَّتَكَ عَلَى رَوِيَّةٍ فَقَدْ سَهَوْتُ" فَابْتَسَمَتْ "نَعَمْ" ثُمَّ قَالَتْ وَعَيْنَاهَا عَلَى الطَّرْفِ "مُرَادِي أَنْ نَجْمَعَ بَيْنَ

الْحَيَاءِ وَالْوُضُوحِ فَلَا نُوَارِي الْحَقَّ وَلَا نَكْشِفُ عَنِ الْحُرْمَاتِ" فَقَالَ الْإِمَامُ
"هَكَذَا يَكُونُ النَّظَرُ خَادِمًا لِلْحُجَّةِ لَا سُلْطَانًا عَلَيْهَا". ثُمَّ قَرَأَ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾

(النِّسَاءُ 135)

لِيُقِيمَ الْقِسْطَ عَلَى الْعَيْنِ وَاللِّسَانِ مَعًا.

وَفِي آخِرِ الْمَجْلِسِ قَالَ الْإِمَامُ "سَنَجْعَلُ لِهَذَا الْمِيثَاقِ وَاجِبًا مُقَاسًا يَظْهَرُ
أَثَرُهُ" ثُمَّ أَمَرَ أَنْ تُعْلَقَ «صَحِيفَةُ تَنْبِيهِ النَّظَرِ» فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ وَأَنْ تُقْرَأَ قَبْلَ كُلِّ
حَوَارٍ، وَأَمَرَ أَيْضًا أَنْ تُسَجَّلَ مَلَا حِظَةٌ فِي آخِرِ كُلِّ لَيْلَةٍ "هَلِ انْقَطَعَ التَّحْدِيقُ
الْمُسْتَفْرُ" ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (الْعَصْرُ 1-3).

وَقَالَ "وَمَنْ سَتَرَ حَدِيثًا سَتَرَهُ اللَّهُ" (حَدِيثٌ) لِيُدَلَّ عَلَى أَنَّ سَتَرَ النَّظَرِ
مِنْ سَتَرِ الْأَخْلَاقِ.

وَمَضَتْ الْأَيَّامُ تَتَرَى وَقَدْ جَعَلُوا لِكُلِّ مُنَاطَرَةٍ قِرَاءَةَ آيَةٍ وَتَنْبِيَةَ النَّظَرِ فِي
أَوَّلِهَا، فَحَفَّتِ الْإِرْتِعَاشُ فِي الْأَهْدَابِ وَسَكَنَتِ الْحِدَّةُ فِي الْحِجَاجِ وَانْقَطَعَتْ
قِسْيُ التَّحْدِيقِ تُؤْذِي وَتَخْدِشُ. وَفِي الْجَمْعَةِ الْآخِرَةِ مِنَ الشَّهْرِ قَامَ «صَفْوَانُ»

يَقْرَأُ مَحْضَرَ الْمُتَابَعَةِ فَقَالَ "لَمْ نَلْمَحْ فِي مَجَالِسِنَا تَحْدِيقًا مُسْتَفِيزًا مُذْ أَسْبُوعٍ تَامٌ
وَأَنْقَطَعَتْ الْإِشَارَاتُ الَّتِي تُضْمِرُ الْإِسْتِهَانَةَ" فَسَرَّ الْمَجْلِسُ وَقَالَ الْإِمَامُ "الْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي يَقُودُنَا بِآيَاتِهِ إِلَى الْأَدَبِ" ثُمَّ تَلَا

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذَّارِيَاتُ 21)

لِيُشِيرَ إِلَى أَنَّ تَهْذِيبَ النَّظَرِ بَابٌ لِيَهْذِيبِ النَّفْسَ.

وَحِينَ قَامُوا لِلْإِنْصِرَافِ قَالَ الْإِمَامُ "أَحْمِلُوا مَعَكُمْ هَذَا الْمِثَاقَ إِلَى
الْبُيُوتِ وَالصُّفُوفِ وَسَاحَاتِ الْحَيَاةِ" ثُمَّ خَتَمَ بِدُعَاءٍ رَفِيقٍ "اللَّهُمَّ طَهِّرْ أَبْصَارَنَا
مِنْ نَظَرَةِ سُوءٍ وَزَيِّنْهَا بِنُورِ الْحَيَاءِ وَالْوَقَارِ وَارْزُقْنَا حُسْنَ الْمُجَالَسَةِ وَالْمُنَاطَرَةِ" ثُمَّ
قَرَأَ عَلَيْهِمْ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ
اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (الْمُؤْمِنُونَ 3-1)

لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ غَضَّ النَّظَرِ مِنْ خُشُوعِ الْقَلْبِ وَإِعْرَاضِهِ عَنِ اللَّغْوِ. وَقَالَ
"و«لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ...»" ثُمَّ بَيَّنَّ مَأْخَذَهُ وَقَالَ
"وَمِنْهَا بَصَرُهُ فِيمَا اسْتَعْمَلَهُ" لِيَزِيدَ الرَّقَابَةَ بِصِيرَةً.

وَعَادَ الْقَوْمُ إِلَى بُيُوتِهِمْ يَحْمِلُونَ «تَنْبِيَةَ النَّظَرِ» كَقَلْبٍ صَغِيرٍ يَنْبِضُ فِي
صَدْرِ كُلِّ مُنَاطَرَةٍ فَإِذَا حَضَرَ الْخِلَافُ تَذَاكُرُوا الْآيَاتِ وَالْأَدَبِ وَاتَّقَدَّ فِي قُلُوبِهِمْ

نُورٌ يَقُولُ

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الْإِسْرَاءُ 36)

وَيَهْمِسُ لِأَبْصَارِهِمْ

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ (النُّورُ 30)

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ﴾ (النُّورُ 31)،

فَتَسْلَمُ الْمَجَالِسُ مِنْ شَرِّ التَّحْدِيقِ وَيَبْقَى الْحَيَاءُ سُلْطَانًا وَالْحَقُّ دَلِيلًا
وَالْقُلُوبُ تُرَدِّدُ "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا."

الدَّرْسُ الثَّلَاثُ: مِيزَانُ الْمُزَاحِ

أَنْسَابَ الْمَسَاءِ عَلَى الرَّوَاقِ كَسِيلٍ مِنْ سَكِينَةٍ تُطَهِّرُ الْأَصْوَاتَ وَتَغْسِلُ الْقُلُوبَ، فَجَلَسَ الْفَتِيَّةُ وَالْفَتَيَاتُ فِي قَوْسٍ هَادِيٍّ يَلِي الْمِحْرَابَ وَتَحْتَ سُرْجٍ خَفِيفَةٍ تُشَبِّهُ أَكْفًا مِنْ نُورٍ تَرُبَّتْ عَلَى الصُّدُورِ. وَتَقَدَّمَ الْإِمَامُ وَفِي يَدِهِ صَحِيفَةٌ بَيَضَاءُ وَقَلَمٌ يُشَبِّهُ مِيزَانًا دَقِيقًا، ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَتَلَطَّفُ فِي الْخِطَابِ "نَفْتَحُ الْيَوْمَ بَابًا يَكْثُرُ طَرَفُهُ فِي الْمَجَالِسِ وَيُخْطِئُ فِيهِ كَثِيرٌ، بَابَ «مِيزَانِ الْمُزَاحِ». سَنَهْدِيهِ حَتَّى لَا يُفْضِيَ إِلَى سُخْرِيَّةٍ وَلَا لَمَزٍ وَلَا أَنْتِقَاصٍ، وَسَنَجْعَلُهُ تَلْطِيفًا لِلْجَوِّ يُنْفِسُ عَنِ النَّفْسِ وَلَا يَهْتِكُ كَرَامَةً." ثُمَّ تَلَا بِصَوْتٍ يَجْمَعُ بَيْنَ الْحَزَمِ وَالرَّقَّةِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ (الْحُجُرَاتُ 11)

ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِتِلَاوَةِ تُشْعِلُ الرِّقَابَةَ فِي الدَّخِلِ

وَيُلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ (الْهُمَزَةُ 1).

وَسَكَتَ سَكْتَةً ثُمَّ قَالَ "هُنَا يَقُومُ «مِيزَانُ الذَّوْقِ» لِيُعْطِيَ الْكَلِمَةَ طَيِّبَهَا مِنْ غَيْرِ فُحْشٍ وَ«مِيزَانُ الْكِرَامَةِ» لِيَحْرُسَ الْوُجُوهَ وَالْقُلُوبَ وَ«مِثْقَالُ الْكَلِمَةِ» لِيُقَيِّدَ اللِّسَانَ بِالْقَصْدِ وَالتَّثَبُّتِ."

وَرَفَعَ يَدَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ قَدَرُ أَنْفَاسٍ وَقَالَ "كَانَ النَّبِيُّ (ص) يَتَبَسَّمُ، وَقَدْ جَاءَ «أَنَّ ضَحِكَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) كَانَ التَّبَسُّمُ» (حَدِيثٌ) "وَقَالَ «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ» (حَدِيثٌ) "وَقَالَ «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنَّ تَلَقَّى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ» (حَدِيثٌ). فَإِذَا أَلْبِشُ مِنَ الدِّينِ وَلَكِنَّهُ لَا يَنْقَلِبُ هَتَكًا لِكِرَامَةِ وَلَا تَنَابُزًا بِالْقَابِ، وَقَدْ قَالَ «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُومْ» (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَرَأَ عَلَى الْمَجْلِسِ

﴿وَمَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق 18)

لِيُرِبَطَ الْمُزَاحَ بِمِيزَانِ الرِّقَابَةِ وَالتَّقْوَى.

وَقَالَ «رِيَّانُ» وَفِي نَبَرَتِهِ حَيَاءٌ يَسْأَلُ "أَيَجُوزُ أَنْ نَتَمَاهَى فِي الطَّرَفِ حَتَّى نُضْحِكَ الْجَمْعَ" فَقَالَ الْإِمَامُ "أَضْحَكَ مَا شِئْتَ مَا لَمْ تُسْخِطِ اللَّهَ وَمَا لَمْ تَهْتِكْ إِخْوَانَكَ وَمَا لَمْ تَكْذِبْ، فَقَدْ جَاءَ «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ ثُمَّ وَيْلٌ لَهُ» (حَدِيثٌ) "وَجَاءَ «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَبَيِّنُ فِيهَا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» (حَدِيثٌ). وَإِذَا أَرَدْتَ

الْمِرَاحَ فَاقْتَدِ بِنُورِهِ (ص)، «إِنِّي لَأَمْرُحٌ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا» (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (الْبَقَرَةُ 83)

لِيَجْمَعَ بَيْنَ الْبَشْرِ وَالْإِحْسَانِ.

وَأَنْفَتَحَتْ فِي الْمَجْلِسِ مُنَاقَشَةٌ تَتَّبَعُ الْفُرُوقَ الدَّقِيقَةَ بَيْنَ «تَلْطِيفِ الْجَوِّ» وَ«هَتِكِ الْكِرَامَةِ». فَقَالَتْ «رَابِئَةُ» وَهِيَ تُهْدِي صَوْتَهَا "قَدْ تَجْرِي الطَّرِيفَةُ عَلَى السَّمْعِ طَبِيبَةً ثُمَّ تَرْجِعُ عَلَى قَلْبِ أَحَدٍ سَهْمًا يُؤْذِيهِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "هُنَا يَقُومُ «مِيزَانُ الْكِرَامَةِ» فَلَا تَتَّخِذُوا الْأَجْسَادَ وَلَا الْأَلْوَانَ وَلَا الْأَلْسُنَ وَسِيلَةً لِلطَّرِيفَةِ فَتُصْبِحَ الطَّرِيفَةُ طَعْنًا، وَقَدْ قَالَ «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ» (حَدِيثٌ). ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِمْ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (الْأَحْزَابُ 70-71)

لِيَقِيمَ السَّدَادَ فِي كُلِّ نُكْتَةٍ وَخِفَّةِ رُوحٍ.

وَدَخَلَ «صَفْوَانُ» وَمَعَهُ لَوْحَةٌ خَشَبِيَّةٌ صَغِيرَةٌ نَقَشَ فِي صَدْرِهَا "بِطَاقَةُ لِلْمِرَاحِ الْمُأْمُونِ" فَوَضَعَهَا الْإِمَامُ فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ ثُمَّ قَالَ "سَنَكْتُبُ عَلَيْهَا جَمَلًا يَرَحِّمُ بَعْضُنَا بِهَا بَعْضًا" فَأَمْلَى وَهُوَ يُفَصِّلُ وَيُهْدُبُ "«أَمْرُحٌ بِحَقٍّ وَلَا تَكْذِبُ» «أَجْعَلْ طَرِيفَتَكَ فِي الْأَفْكَارِ لَا فِي الْأَشْخَاصِ» إِذَا رَأَيْتَ فِي النُّكْتَةِ

لَمَزًا فَأَقْطَعَهُ» «أَخْتِمَ بِسَمَةِ تَجْمَعُ وَلَا تُفَرِّقُ» «إِذَا خَالَفْتَ فَأَضْحَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ لَا تُذِلُّ». ثُمَّ قَرَأَ

﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾
(فُصِّلَتْ 34)

لِيُنَبِّهَ إِلَى أَنَّ الْحُسْنَ فِي الرَّدِّ يَقْلِبُ الْقُلُوبَ أَحْلَى مِنْ كُلِّ نُكْتَةٍ.

وَنَهَضَ فَتَى مِنْ الطَّرَفِ الْأَيْمَنِ يَقُولُ وَفِي مَلَامِحِهِ أَثَرُ تَرَدُّدٍ "كُنْتُ أَتَنَدَّرُ عَلَى صَوْتِ صَاحِبِي وَطَرِيقَةٍ نُطْقِهِ فَيَضْحَكُ الْجَمْعُ" فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا هُوَ الَّذِي نُرِيدُ قَطْعَهُ، لِأَنَّكَ تَجْعَلُ جِسْمَهُ وَالْفَاظَهُ سِلَاحَ طُرْفَةٍ تَطْعُنُهُ فِي الْقَلْبِ، وَقَدْ قَالَ «بِحَسَبِ أَمْرِي مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمُ»" (حَدِيثٌ) "وَقَدْ قَالَ اللَّهُ ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾" (الْحُجَرَاتُ 11).

فَأُطْرَقَ الْفَتَى وَقَالَ "أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَسْتَعِيزُ عَنْهَا بِطَرِيقَةٍ فِي الْمَعَانِي" فَقَالَ الْإِمَامُ "هَكَذَا يَسْتَقِيمُ «مِيزَانُ الدَّقِيقِ»".

وَأَقْبَلَتْ «حِلْمَةٌ» عَلَى الْإِمَامِ وَهِيَ تَضُمُّ صُحُفًا فِيهَا مَا تَمَّ تَدَاوُلُهُ فِي مَجْمُوعَاتِ الشَّبَابِ مِنْ طَرَائِفَ، فَقَالَتْ "هَذِهِ عَشْرُ طَرَائِفَ أَخِيرَةٍ، فَنُرِيدُ مُرَاجَعَتَهَا عَلَى الْمِيزَانِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَعَمْ، هَذَا «الْوَاجِبُ الْمُقَاسُ» الَّذِي يَجْعَلُ الْكَلِمَةَ عَمَلًا وَيَرْفَعُ الْأَدَبَ شَاهِدًا". ثُمَّ بَدَّوْا يَقْرَءُونَ وَيُقَرِّفُونَ بَيْنَ مَا يَلْطَفُ

الْجَوَّ وَمَا يَهْتِكُ الْكَرَامَةَ، فَأَمَرَ الْإِمَامُ بِحَذْفِ مَا فِيهِ سُخْرِيَّةٌ مِنْ خِلْقَةٍ أَوْ عَيْبٍ أَوْ
أَسْمٍ أَوْ أُسْرَةٍ، وَابْقَى مَا فِيهِ خِفَّةُ رُوحٍ فِي الْمَعْنَى وَالْإِسْتِدْلَالِ. وَقَرَأَ وَهُوَ يَقْطَعُ
جُمْلَةً قَاسِيَةً "قَدْ قِيلَ «مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) فَاِحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا»" (حَدِيثٌ)
فَسَكَنَ الْمَجْلِسُ عَلَى هَيْبَةِ الْأُسُوءَةِ.

وَيَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ قَالَ «صَفْوَانُ» "نُرِيدُ قَاعِدَةً تُسَاعِدُنَا عِنْدَ الْاِسْتِنبَاهِ"
فَقَالَ الْإِمَامُ "اَقْتَرِبُوا، لَنُجِرَ فِي الصَّدْرِ «اِخْتِبَارًا ثَلَاثِيًّا»: تَسْأَلُ قَبْلَ الطُّلُقِ «هَلْ
فِيهَا كَذِبٌ» فَإِنْ كَانَ فَلَا، ثُمَّ «هَلْ فِيهَا مَسٌّ لِلْكَرَامَةِ» فَإِنْ كَانَ فَلَا، ثُمَّ «هَلْ
نُرِيدُ بِهَا نَصَرَ حَقٍّ أَمْ تَطْلُبُ الْاِضْحَاكَ فَقَطُّ» فَإِنْ كَانَ الثَّلَاثُ فَاَمْتَنِعْ، وَادْكُرْ

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾" (الْاِسْرَاءُ 53).

ثُمَّ زَادَ "وَأَسْتَحْضِرُ «إِنَّ الْحَيَاءَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»" (حَدِيثٌ) "فَإِذَا حَضَرَ
الْحَيَاءُ انْقَلَبَ الْمَزَاحُ أَدَبًا."

وَكَانَ مِنْ هَذِي الْمَجْلِسِ أَنْ يُجْرَى «مَشْهُدٌ تَطْبِيقِيٌّ» يَتَدَرَّبُ فِيهِ
الشَّبَابُ عَلَى الْكَلِمَةِ الْوَاقِفَةِ عَلَى الْمِيزَانِ. فَأَشَارَ الْإِمَامُ إِلَى «رِيَّانٍ» وَ«رَايِيَّةٍ» أَنْ
يَتَحَاوَرَا فِي مَسْأَلَةِ عِلْمِيَّةٍ، فَقَالَ «رِيَّانُ» وَهُوَ يَتَبَسَّمُ "أُرِيدُ أَنْ أُخَفِّفَ الْجَوَّ
بِطَرِيفَةٍ فِي مَعْنَى الْمَسْأَلَةِ" فَقَالَتْ «رَايِيَّةُ» "أَمَّا فِي الْمَعْنَى فَمَرْحَبًا وَأَمَّا فِي
الْأَشْخَاصِ فَلَا" فَضَحِكَ الْمَجْلِسُ ضَحِكًا طَيِّبًا لَا يَجْرَحُ، فَقَالَ الْإِمَامُ "هَكَذَا

نَفَرُقُ بَيْنَ التَّلَطُّيفِ وَالتَّهْتِيكِ. " ثُمَّ قَرَأَ

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الْحُجُرَاتُ 10)

لِيَرْفَعَ رَابِطَ الْأُخُوَّةِ فَوْقَ كُلِّ نُكْتَةٍ.

وَعِنْدَ الْأَنْصِرَافِ قَالَ الْإِمَامُ "سَنَحْمِلُ مَعَنَا «بِطَاقَةَ الْمَزَاحِ الْمَأْمُونِ» إِلَى «حَلْقَةِ الشَّبَابِ» فَتُعَلِّقُهَا فِي صَدْرِ الْمَكَانِ لِتَكُونَ مِثَاقًا يُذَكِّرُ وَمِيزَانًا يُقَوِّمُ"، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ تُكْتَبَ فِي أَسْفَلِهَا آيَتَانِ تَسُوقَانِ الْقُلُوبَ سَوْقًا لَطِيفًا

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ﴾ (الْحُجُرَاتُ 11)

و﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (الْهُمَزَةُ 1).

ثُمَّ قَالَ "وَسَنُجْرِي «الْوَاجِبَ» فَنَرَا جُعَ آخِرِ عَشْرِ طَرَائِفَ، فَمَا كَانَ مُؤَذِّيًا حَذِيفَ، وَمَا كَانَ حَسَنًا نُّمِّي وَزِيدَ فِيهِ الذُّوقُ وَالْحِكْمَةُ."

وَمَضَتْ الْأَسَابِيغُ وَقَدْ جَعَلُوا لِكُلِّ مَجْلِسٍ قَبْلَ الْبَدْءِ دَقَائِقَ لِقِرَاءَةِ آيَاتِ وَتَذَكُّرِ الْمِثَاقِ وَتَحْدِيثِ النَّبِيَّةِ. فَخَفَّ الْأَنْفَعَالُ وَرَقَّ اللِّسَانُ وَطَابَ الْجَوْ، وَكَانَ الشَّابُّ إِذَا أَسْتَرْسَلَ فِي طَرِيفَةِ دَارِ بَصَرِهِ نَحْوَ اللَّوْحَةِ فَانْقَطَعَ عَنْهَا وَتَذَكَّرَ

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (الْبَقَرَةُ 83).

وَإِذَا تَشَاحَنَ اثْنَانِ رَفَعَ الْمَجْلِسُ صَوْتَ الذِّكْرِ

﴿وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل

عِمْرَانَ 134)

فَسَكَنَتْ النُّفُوسُ وَعَادَ الْحَدِيثُ مُهَذَّبًا.

وَفِي «مَحْضَرِ الْمُتَابَعَةِ» قَرَأَ «صَفْوَانُ» أَرْقَامًا تُحِبُّهَا الْقُلُوبُ لِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى أَدَبٍ مَرِيٍّ، فَقَالَ "لَمْ نَرُصِدْ فِي الْمَجَالِسِ تَنْذُرًا عَلَى الْأَشْخَاصِ مِنْذُ أُسْبُوعَيْنِ، وَصَارَ الْمُزَاحُ فِي الْأَفْكَارِ وَالْمَعَانِي" فَسَرَّ الْقَوْمُ وَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا هُوَ «الْمُؤَشِّرُ» الَّذِي نَطْلُبُهُ؛ أَنْ يَنْعِدِمَ التَّنَذُّرُ عَلَى الْأَشْخَاصِ وَأَنْ يَبْقَى الْبِشْرُ فِي حُدُودِ الْحَقِّ". ثُمَّ اتَّبَعَ ذَلِكَ بِتِلَاوَةِ تَرْفَعُ الْقَلْبَ إِلَى عَدَلٍ أَعْلَى

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (الْمَائِدَةُ 8).

وَلَمْ يَنْسَ الْإِمَامُ أَنْ يُحَذِّرَ مِنْ طَرِيفَةٍ مُعَلَّقَةٍ بِسُخْرِيَّةٍ دَقِيقَةٍ تَدْخُلُ فِي النُّفُوسِ كَسَهْمٍ مُسَمِّمٍ، فَقَالَ «إِيَّاكُمْ وَسُخْرِيَّةَ التَّوْرِيَّةِ، تَظْهَرُ حِكْمَةً وَفِي بَاطِنِهَا شَتَمٌ، فَهَذَا «هُمَزَةٌ لَمْزَةٌ» وَإِنْ تَجَمَّلَ" ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (الْهُمَزَةُ 1)

وَذَكَرَ "«الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ»" (حَدِيثٌ). وَقَالَ "إِذَا رَأَيْتَ الطَّرِيفَةَ تَسْرِي فِي الْمَجْلِسِ كَرِيحٍ بَارِدَةٍ تُطْفِئُ الْقُلُوبَ فَأَقْطَعْهَا بِذِكْرِ وَأَسْتَغْفَارٍ" ثُمَّ تَلَا

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (الْمَائِدَةُ 2).

وَجَاءَتْ «كَلِيلَةُ الْخِتَامِ» لِهَذَا الْبَابِ فَأَقَامُوا فِيهَا «مَجْلِسَ بُشْرَى» يَتَذَكَّرُونَ فِيهِ مَا اسْتَقَامَ وَمَا يُصْلِحُهُ الْعَهْدُ أَكْثَرَ. فَقَالَتْ «رَأَيْتُ» وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَى اللَّوْحَةِ "صَارَ التَّبَسُّمُ لُغَةً أَلْبَيْتِ وَصَارَ الْمُرَاحُ جِسْرًا لَا فَخًّا" فَقَالَ «رَيَّانُ» "وَعَلِمْتُ أَنَّ خِفَةَ الرُّوحِ إِذَا لَمْ تَرْفَعْ الْحَقَّ فَسْتُسْقِطُ الْقَلْبُ" فَقَالَ الْإِمَامُ "أَصَبْتُمَا، وَادْكُرُوا «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ... فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»" (حَدِيثٌ) "فَهَذَا مِفْتَاحُ الْمِيزَانِ". ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (الْعَصْرُ 1-3)

لِيُرْبِطَ الْبِشْرَ بِالْعَمَلِ وَالصَّبْرِ.

ثُمَّ دَعَا لَهُمْ دُعَاءَ يَجْمَعُ الْقُلُوبَ عَلَى الْحَيَاءِ وَالْوَقَارِ "اللَّهُمَّ طَيِّبْ أَلْسِنَتَنَا وَهَذِّبْ مَزَاحَنَا وَاحْفَظْ كَرَامَتَنَا وَاجْعَلْ بَشَاشَتَنَا قُرْبَةً إِلَيْكَ" ثُمَّ زَادَ "وَلَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ" (حَدِيثٌ). وَخَرَجُوا مِنْ

الرَّوَّاقِ وَفِي الصُّدُورِ أَدَبٌ جَدِيدٌ، يُبَسِّطُ الْأُجُوهَ بِالتَّبَسُّمِ وَيَحْرُسُ الْكَلِمَةَ بِالْحَقِّ وَيَرْفَعُ الْمَزَاحَ إِلَى مَقَامِ الْخَيْرِ.

وَلَمَّا عَادُوا إِلَى الدُّورِ عَلَّقُوا «بِطَاقَةَ الْمَزَاحِ الْمَأْمُونِ» فِي «حَلَقَةِ الشَّبَابِ» وَجَعَلُوا لَهَا قِرَاءَةً قَبْلَ كُلِّ لِقَاءٍ، وَدَوَّنُوا فِي أَطْرَافِهَا سَطُورًا قَصِيرَةً تُذَكِّرُ "أَمْرَحَ" وَأَحْفَظُ كَرَامَةَ أَخِيكَ" "إِضْحَكْ وَلَا تَكْذِبْ" "خِفَةُ الرُّوحِ زِينَةُ إِذَا حَضَرَ الْحَقُّ". وَعِنْدَ النِّهَايَةِ كَتَبُوا تَحْتَهَا

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الْأَنْعَامُ

(162)

لِيَبْقَى الْمَزَاحُ فِي حُدُودِ الْعِبَادَةِ وَالْقُرْبَةِ.

وَهَكَذَا اسْتَقَامَ «مِيزَانُ الْمَزَاحِ» فِي الْبَيْتِ وَالْمَجْلِسِ وَفِي سَاحَاتِ الْحَيَاةِ، فَصَارَ التَّنَدُّرُ عَلَى الْأَفْكَارِ لَا عَلَى الْأَشْخَاصِ، وَنَدَرَتِ الْعِبَارَاتُ الْمُسْتَفْزَةُ حَتَّى انْقَطَعَتْ، وَاسْتَتَرَ الْقَلْبُ بِحَيَاءٍ وَوَقَارٍ. وَإِذَا قِيلَ لِأَحَدِهِمْ "أَلَا تَمْرَحُونَ" قَالُوا "بَلَى، نَمْرَحُ بِحَقٍّ وَنَزِنُ بِمِيزَانٍ" ثُمَّ يَتْلُونَ قَوْلَهُ تَعَالَى

﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الْإِسْرَاءُ 53)

وَيَسْتَحْضِرُونَ "تَبَشُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ" (حَدِيثٌ) فَيُصْبِحُ الْبِشْرُ عِبَادَةً وَالْمَزَاحُ أَدَبًا وَالْكَلِمَةُ أَمَانَةً.

بَيْنَ الْأُذُنِ وَالْإِشْعَارِ - تَكْوِينُ الْجِيلِ الرَّاشِدِ

الدَّرْسُ الرَّابِعُ: فَهْمُ الْحُقُوقِ الرَّقْمِيَّةِ

إِنْ سَابَ الْمَسَاءُ عَلَى الرَّوَاقِ كَأَنَّهُ نَهْرٌ مِنْ سَكِينَةٍ يَغْسِلُ أَطْرَافَ الْأَصْوَاتِ وَيُهْدِي نَبْضَ الْقُلُوبِ فَاجْتَمَعَ الْفَتِيَّةُ وَالْفَتَيَاتُ وَالْآبَاءُ وَالْأُمّهَاتُ فِي قَوْسٍ يُحَاذِي الْمِحْرَابَ وَالْأَنْفَاسُ مُتَوَاطِئَةً عَلَى الْإِنْصَاتِ. وَدَخَلَ «الْإِمَامُ» وَفِي يَدِهِ صَحِيفَةٌ نَقِيَّةٌ وَقَلَمٌ يُشَبِّهُ مِيزَانًا دَقِيقًا يُقِيمُ لِلْكَلِمَةِ قَدْرَهَا وَلِلْحُقُوقِ حُدُودَهَا وَقَالَ وَفِي صَوْتِهِ وَقَارُ الْأَمَانَةِ "سَنَفْتَحُ الْيَوْمَ بَابًا تُبْتَلَى بِهِ الْقُلُوبُ فِي السَّاحَاتِ الرَّقْمِيَّةِ وَنَزِلُ فِيهِ كَثِيرٌ عِنْدَ دَفَائِقِ الْفُرُوقِ، بَابُ «فَهْمِ الْحُقُوقِ الرَّقْمِيَّةِ». سَنَبْنِي الْقَوَاعِدَ عَلَى نُورِ الْكِتَابِ وَهَدْيِ السُّنَّةِ لِنَحْفَظَ الذِّمَّةَ فِي الْمُحْتَوَى وَالْخُصُوصِيَّةِ وَالْإِذْنَ وَالنَّسَبِ". ثُمَّ تَلَا تِلَاوَةً تُقِيمُ الْعَهْدَ عَلَى أَصْلِهِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (الْمَائِدَةُ 1)

وَاتَّبَعَهَا بِسُورَةِ رَقَابَةٍ تُطَهِّرُ الْقُلُوبَ مِمَّا لَا يَحِلُّ

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ (الْحُجُرَاتُ 12)

وَقَرَأَ مِثْقَالَ الْحِفْظِ

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (النساء 58)

ثُمَّ قَالَ "هَذِهِ الْأَيَّاتُ أَعَمِدَةٌ يُبَوِّتُنَا فِي الرَّقْمِ كَمَا هِيَ فِي الطَّرُقِ".

رَفَعَ «صَفْوَانُ» يَدَهُ وَقَالَ "نَسِيرُ فِي السَّاحَاتِ وَيُعْجِبُنَا التَّبَادُلُ وَالْإِفْتِرَاضُ وَالْمُشَارَكَةُ، فَكَيْفَ نَحْفَظُ الْحُقُوقَ وَنَسْلَمَ مِنَ الظُّلْمِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَجْمَعُ لِدَلِّكَ «مَوَازِينَ» ثَلَاثَةً يَتَسَاقَىٰ بَعْضُهَا بَعْضًا: «مِيزَانُ الْأَمَانَةِ» يَحْفَظُ الدَّخْلَ وَالْبَاطِنَ، وَ«مِثَاقُ الْحِفْظِ» يَحْرُسُ الْمَدُونَ وَالْمَنْشُورَ، وَ«مِيزَانُ الْأَذْنِ» يُقِيمُ الْحُدُودَ بَيْنَ الْأَفْرَادِ فَلَا يَتَعَدَّى أَحَدٌ حِرْمَةَ أَحَدٍ." ثُمَّ أَطْرَقَ قَلِيلًا وَقَالَ "وَلَا يَتِمُّ مِثَاقُ إِلَّا بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ وَقَوْلٍ سَدِيدٍ وَعَمَلٍ مُوَافِقٍ".

وَأَرْسَلَتْ «حِلْمَةُ» سُؤَالَ يَتَلَطَّفُ فِي الْمَجْلِسِ "أَيَحِلُّ أَنْ نَنْقُلَ صُورَةً أَوْ كَلِمَةً لِقَرِينٍ لَنَا مَا دَامَتْ ظَاهِرَةً فِي الْمَجْمُوعَةِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "الظُّهُورُ فِي الْمَكَانِ لَا يَنْسُخُ حُكْمَ الْأَذْنِ، فَالْوُجُودُ بَيْنَ الْقَوْمِ لَا يَسْقُطُ حُرْمَةُ الْبَيْتِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (النور 27)

فَهَذَا فِي الْمَبْنَىٰ وَمَعْنَاهُ فِي الْمَعْنَىٰ أَنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ «بَيْتًا مَعْنَوِيًّا» مِنْ خُصُوصِيَّةٍ لَا تُجَاوِزُ إِلَّا بِإِذْنٍ." ثُمَّ زَادَ "وَقَدْ قِيلَ فِي السُّنَّةِ إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِحَدِيثٍ ثُمَّ أَلْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ" (حَدِيثٌ) "فَالْإِلْتِفَاتُ إِشَارَةٌ إِلَى طَلَبِ الْحِفْظِ

وَأَنَّ الْكَلِمَةَ تَصِيرُ وَدِيعَةً."

وَقَالَ «رَيَّانُ» وَفِي عَيْنَيْهِ حَيْرَةُ الْمُبْتَدِي "وَلَكِنَّ كَثِيرًا يَقُولُونَ «الْمُحْتَوَى لِلْجَمِيعِ»" فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا قَوْلٌ تَكْذِبُهُ الْفِطْرُ وَتَرْدُّهُ النُّصُوصُ،

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ (الشُّعْرَاءُ 183)

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ (الْأَنْعَامُ 152)

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ﴾ (الْبَقَرَةُ 188)،

فَحَقُوقُ الْمَعَانِي كَحَقُوقِ الْأَعْيَانِ لَا تُؤْكَلُ وَلَا تُغْتَصَبُ وَلَا تُبْخَسُ. "ثُمَّ قَالَ "وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ (ص) «لَا يَحِلُّ مَالُ أَمْرِي حَدِيثٌ إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ»" (حَدِيثٌ) "وَإِنَّمَا أَلْبَيْعٌ عَنْ تَرَاضٍ" (حَدِيثٌ) "فَحَيْثُ يَكُونُ مَالٌ أَوْ مَنْفَعَةٌ أَوْ سُمْعَةٌ فَهَذَا لِكَ رِضًا وَإِذْنٌ وَوَفَاءٌ."

وَأَنْتَقَلَ الْإِمَامُ بِنَظَرِهِ مَا بَيْنَ الْجِدَارِ وَالْوُجُوهِ كَأَنَّهُ يَبْحَثُ عَنْ مَوْضِعٍ لِلْعَهْدِ فِي الْحِجَارَةِ وَأَقْلُوبٍ ثُمَّ قَالَ "سَنَكْتُبُ «سِيَاسَةَ مُشَارَكَةٍ» لِلنِّبْتِ وَ«سِيَاسَةً» لِلصَّفِّ تَجْمَعُ الْقَوَاعِدَ فِي جُمْلٍ لَطِيفَةٍ تَقْرَأُ قَبْلَ كُلِّ نَشْرِ وَقَبْلَ كُلِّ مَبَاحَثَةٍ. "ثُمَّ أَمْلَى وَهُوَ يُرْتَّبُ الْكَلِمَاتِ عَلَى مِيزَانٍ "لَا نَشْرَ لِصُورَةٍ إِلَّا بِإِذْنٍ صَرِيحٍ مِنْ صَاحِبِهَا" «لَا نَقُلُ لِكَلِمَةٍ قِيلَتْ فِي مَجْلِسٍ خَاصٍّ إِلَّا بِرِضَا» «لَا نِسْبَةَ لِمَعْنَى إِلَى نَفْسِنَا وَهُوَ لِعَیْرِنَا» «نُذَكِّرُ الْمَصَادِرَ عِنْدَ النِّقْلِ» «نُوجِّلُ كُلَّ مَا ارْتَابَ

فِيهِ أَلْقَلْبُ حَتَّى نَسْتَفْتِي وَنَتَيَّنَ". ثُمَّ قَرَأَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الْأَحْزَابُ 70) لِيَجْعَلَ لِلْسِّيَاسَةِ رُوحًا مِنْ سَدَادٍ.

وَقَالَ «رَابِيَّةُ» "كَيْفَ نَضْبُطُ مَا يُسْمُونَهُ «سَرِيقَةَ الْجُهْدِ» فِي الْمَعَارِفِ وَالْمَعَانِي" فَقَالَ الْإِمَامُ "نُسَمِّيْهَا بِاسْمِهَا الْأَصْلِيِّ «أَكْلُ حَقِّ بِالْبَاطِلِ» فِيْهَا آيَاتٌ تُرْهِبُ الْقُلُوبَ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (الْمُطَفِّفِينَ 1-3) وَمِنْهَا ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ (الشُّعْرَاءُ 183) فَكَمَا لِلْمِكْيَالِ وَزْنٌ وَلِلثَّمَنِ قِيَمَةٌ فَلِلْمَعْنَى نِسْبَةٌ وَلِلْفِكْرَةِ صَاحِبٌ وَلِلصُّورَةِ حُرْمَةٌ. ثُمَّ ذَكَرَ "وَمَنْ غَشَّانَا فَلَيْسَ مِنَّا" (حَدِيثٌ) "وَعَلَى الْيَدِ مَا أَخَذَتْ حَتَّى تُؤَدِّيَهُ" (حَدِيثٌ) "فَمَنْ أَخَذَ مَعْنَى أَوْ مَقْطَعًا أَوْ سَطْرًا فَلَعْنَةُ أَنْ يُؤَدِّيَ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ بِنِسْبَةٍ وَإِذْنٍ".

ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى لَوْحٍ خَشَبِيٍّ مُثَبَّتٍ فِي صَدْرِ الرَّوَاقِ وَكَتَبَ بِخَطِّ بَيْنٍ "«صَحِيفَةُ الْحِفْظِ» وَتَحْتَهَا "«دَفْتَرُ الْأَذُنِ»" وَقَالَ "يَا أَبْنَائِي وَبَنَاتِي سَنُثَبِّتُ فِي هَذَا الدَّفْتَرِ كُلِّ إِذْنٍ يَتَعَلَّقُ بِصُورَةٍ أَوْ نَقْلِ أَوْ مَقْطَعٍ، نَكْتُبُ الْأَسْمَ وَالْمُدَّةَ وَنَطَاقَ الْأِسْتِعْمَالِ وَهَلْ يَجُوزُ لغيرِنَا مُشَاهَدَتُهُ، ثُمَّ نَجْعَلُ لِكُلِّ ذَلِكَ أَجَلًا وَمُرَاجَعَةً." ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الْأَسْرَاءُ 34) لِيَرِبُطَ الْأَخْتَمَ بِالْوَفَاءِ.

وَقَالَ «صَفْوَانُ» "قَدْ يَسْتَخْفِي النَّاسُ وَيَتَسَلَّلُونَ إِلَى الْخُصُوصِيَّاتِ تَحْتَ ذَرِيعَةِ الْفُكَاهَةِ أَوْ الْإِهْتِمَامِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا مِنَ التَّجَسُّسِ الْمَحْظُورِ وَقَدْ قَالَ

اللَّهُ ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ (الْحُجُرَاتُ 12) وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ «مَنْ أَسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ صَبَّ فِي أُذُنِهِ الْأَنْكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (حَدِيثٌ) "وَالْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ" (حَدِيثٌ) "فَمَنْ حُمِّلَ سِرًّا فَلْيَكُنْ لَهُ حِرْزًا." ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ (الْحُجُرَاتُ 12) لِيُغْلِقَ بَابًا يَتَحَوَّلُ فِيهِ الْإِطْلَاعُ الْمَحْظُورُ إِلَى غَيْبَةٍ تُدْنِسُ الْقُلُوبَ.

وَتَحَرَّكَ الرَّوَاقُ عَلَى الْهُدُوءِ كَأَنَّهُ يَسْتَعِدُّ لِمَشْهَدٍ تَطْبِيقِيٍّ. فَقَالَ الْإِمَامُ "سُنَجْرِي الْأَنْ مُوَافَقَةٌ عَامَّةٌ لِـ«سِيَاسَةِ الْمُشَارَكَةِ» فِي الْبَيْتِ وَفِي الصَّفِّ" ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِمْ بُنُودًا قَصِيرَةً "«أَجَدَّدُ عَهْدِي إِلَّا أَنْشُرَ صُورَةً لِأَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ صَرِيحٍ» «إِلَّا أَنْقُلَ كَلِمَةً قِيلَتْ فِي مَجْلِسٍ خَاصٍّ إِلَّا بَعْدَ رِضَا» «أَنْ أَذْكَرَ الْمَصْدَرَ فِي كُلِّ نَقْلِ» «أَنْ أُرَدِّ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ» «أَنْ أُمْسِكَ عَمَّا ارْتَبْتُ فِيهِ حَتَّى أَتَبَيَّنَ» ثُمَّ قَالَ "مَنْ وَافَقَ فَلْيَتَقَدَّمْ لِيُوقَعَ" فَتَقَدَّمُوا وَوَقَعُوا وَهُمْ يُرَدِّدُونَ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النَّحْلُ 90).

وَأَقْبَلَ «فَتَى» مِنَ الطَّرَفِ الْأَيْسَرِ وَقَالَ "أَحْتَاجُ أَحْيَانًا إِلَى مَقْطَعٍ فِي دِرَاسَةٍ فَأَجِدُهُ عِنْدَ صَدِيقٍ، هَلْ لِي أَنْ أَسْتَعْمِلَهُ" فَقَالَ الْإِمَامُ "إِنْ كَانَ الْحَقُّ لَهُ فَلَا يَحِلُّ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَإِنْ كَانَ لِغَيْرِهِ فَاطْلُبْ مِنْهُ الْمَصْدَرَ ثُمَّ اسْتَأْذِنْ، فَلِأُمُورٍ تُؤَخِّدُ مِنْ أَبْوَابِهَا، وَادْذَكَّرْ قَوْلَ النَّبِيِّ (ص) «مَنْ أَقْطَعَ حَقَّ أَمْرِي حَدِيثٌ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ» (حَدِيثٌ) "وَ«كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ

وَعَرَضُهُ» (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الْإِسْرَاءُ 36) لِيَرْفَعَ مِيزَانَ الْمَسْئُورِيَّةِ.

ثُمَّ نَهَضَ وَهُوَ يَحْمِلُ «سَجَلًا» صَغِيرًا وَقَالَ "هَذَا هُوَ «الْوَجِيبُ الْمُقَاسُ»: أَنْ نُوثِّقَ الْأُذُنَ فِي الصُّورِ وَالنُّقُولِ وَالْمَقَاطِعِ، نَكْتُبُ الْيَوْمَ خَمْسَةَ إِذْنَاتٍ فِي الْبَيْتِ وَخَمْسَةَ فِي الصَّفِّ وَنَرْجِعُ إِلَيْهَا عِنْدَ كُلِّ نَزَاعٍ." ثُمَّ قَالَ "وَسَنَقِيسُ «الْمُؤَشِّرَ» بَعْدَ أُسْبُوعَيْنِ: هَلْ هَبَطَ الْإِنْتِهَاكُ إِلَى صِفْرِ" وَتَلَا ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزَّلْزَلَةُ 7-8) لِيُثَبِّتَ قَاعِدَةَ الْحِسَابِ.

وَبَيْنَمَا هُمْ يُسَجِّلُونَ تَرَخَّرَخَتْ فِي الْمَجْلِسِ مُسْأَلَةٌ دَقِيقَةٌ؛ قَدْ نَقَلَ أَحَدُ الشَّبَابِ جُمْلَةً مِنْ «حَلَقَةِ نِسَاءٍ» ظَنُّهَا كَالْعُمُومِ فَانْتَزَعَتْ مِنْهَا أَدَى. فَقَالَ الْإِمَامُ "أَذْكُرُوا قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (الْبَقَرَةُ 83) وَقَوْلُهُ ﴿إِذَا جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الْحُجُرَاتُ 6) فَالْمَجَالِسُ أَمَانَاتٌ وَالْخَوَاصُّ حُرْمَاتٌ" ثُمَّ ذَكَرَ "وَمَنْ سَتَرَ حَدِيثًا سَتَرَهُ اللَّهُ" (حَدِيثٌ) "فَاسْتُرُوا وَاسْتَأْذِنُوا وَأَعْدِلُوا." وَبَعْدَ مُدَاوَرَةٍ فِي الْكَلِمَةِ وَالْقَلْبِ قَامَ الْفَتَى يَعْتَذِرُ فَقَبِلُوا عُذْرَهُ وَقَرُّوا ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (الْحُجُرَاتُ 10).

وَأَخَذَ الْإِمَامُ يَرْسُمُ لَهُمْ فُرُوقًا تُشَبِّهُ خُطُوطًا عَلَى الرَّمْلِ وَهُوَ يَقُولُ "فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُحْتَوَى فَالْسَّبِيلُ بَيْنَ: إِذَا أَخَذْتَ فِكْرَةً فَقُلْ «نَقْلًا عَنْ فُلَانٍ»

وَإِذَا اجْتَمَعَتِ الْأَفْكَارُ فِي مَشْرُوعٍ فَاجْمَعِ الْأَسْمَاءَ عَلَى قَدْرِ الْجُهِدِ وَإِذَا تَشَابَهَتْ أَلْمَعَانِي فَصِفِ الْفُرْقَ وَأَشِرْ إِلَى مَصَادِرِك. فَهَذَا عَدْلٌ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ (النِّسَاءُ 135) وَقَالَ ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ (الْبَقَرَةُ 42). "ثُمَّ زَادَ "وَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِي قَضِيَّةٍ إِذْنٍ فَأَرْجِعُوا إِلَى «دَفْتَرِ الْأُذُونِ» وَإِلَى الْقَلْبِ وَاسْتَفْتُوا الْعَالِمَ، فَإِنَّ اسْتِفْتَائَ الْبَاطِنِ سُلَّمٌ إِلَى الْيَقِينِ وَقَدْ قِيلَ «اسْتَفْتِ قَلْبَكَ» (حَدِيثٌ).

وَنَشَأَتْ فِي الْمَجْلِسِ مُنَاطَرَةٌ قَصِيرَةٌ تُفَكِّكُ "التَّغْرِيرَ" فِي النَّشْرِ، فَقَالَتْ «رَابِيَّةٌ» "قَدْ يَنْشُرُ بَعْضُهُمْ عَنْوَانًا يُوحِي بِمَا لَيْسَ فِي الْمَطْلَبِ لِيَجْذِبَ النَّظَرَ" فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا بَابٌ مِنَ الْخِدَاعِ يُنْقِصُ الْحَقَّ وَيُزَيِّنُ الْبَاطِلَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (الْأَنْفَالُ 58) وَقَالَ النَّبِيُّ (ص) «مَنْ عَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا» (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ (الْأَنْعَامُ 152) لِيَقِيمَ الْكَلِمَةَ عَلَى قِسْطِاسِ الْعَدْلِ.

وَكَانَ فِي الْمَجْلِسِ فِتَاءَةٌ قَالَتْ وَفِي صَوْتِهَا حَذَرٌ "وَكَيْفَ نُصْلِحَ مَا مَضَى مِنْ نَشْرِ خَاطِي" فَقَالَ الْإِمَامُ "الْإِصْلَاحُ أَكْرَمُ مِنَ الْإِصْرَارِ: تَسْتَحِلُّونَ مِمَّنْ ظَلِمَ وَتُصَحِّحُونَ النَّسْبَةَ وَتَسْتَرُدُّونَ مَا نَشَرَ بِلَا إِذْنٍ وَتَجْعَلُونَ فِي صَدْرِ الْمَنْشُورِ بَيَانًا رَسْمِيًّا بِالْخَطَا وَالصَّوَابِ تَأْذِيْبًا لِلنَّفْسِ وَتَعْلِيمًا لِلْغَيْرِ" ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا﴾ (الْبَقَرَةُ 160) لِيَفْتَحَ بَابَ الرَّجْعَةِ بِجَمَالٍ.

وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِ«الْخُصُوصِيَّةِ» فَقَدْ فَصَّلَ فِيهَا قَائِلًا "اِخْتَصَرَ اللَّهُ فِي آيَةٍ أَصْلًا لِلْبُيُوتِ وَحُدُودَهَا فِي الْمَدِينَةِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا فِي الرَّقْمِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ (النُّورُ 27) فَمَنْ لَمْ يَسْتَأْذِنْ فَقَدْ سَلَكَ سَبِيلَ الْاِقْتِحَامِ وَمَنْ لَمْ يُسَلِّمْ فَقَدْ أَغْلَقَ بَابَ الْأُلْفَةِ. وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي سِتْرِ الْأُسْرِ وَخُصُوصِيَّاتِ الصَّغَارِ فَإِنَّهَا أَمَانَاتٌ. " ثُمَّ ذَكَرَ "وَقَدْ رُويَ «مَنْ اسْتَصْصَفَ قَوْمًا فَظَرَ فِي بَيْتِهِمْ بَلَا إِذِنْ فَقَدْ هَتَكَ سِتْرَ اللَّهِ»" (حَدِيثٌ) "وَالْمَعْنَى مُسْتَقِيمٌ فِي بَابِ الرَّقْمِ."

وَقَامَ بَعْدَ ذَلِكَ «مَشْهُدٌ مُعَايِنٌ» يَصِفُ فِيهِ الْإِمَامُ تَنْظِيمَ الْمَقَاعِدِ فِي «صَفِّ دِرَاسِيٍّ» لِيَضْبُطَ التَّبَادُلَ فِي الْقُنُوتِ الْمَحْضُوطَةِ. فَقَالَ "سُنِّبْتُ مَعَ الْمُعَلِّمِ «سِيَاسَةَ مُشَارَكَةٍ» لِلصَّفِّ: لِلْإِعْلَانِ مَوْضِعٌ وَلِلنَّقَاشِ مَوْضِعٌ وَلِلْأَعْمَالِ مَوْضِعٌ وَلِلْخِدْمَاتِ مَوْضِعٌ وَكُلُّ ذَلِكَ تَحْتَ عَهْدٍ وَقَانُونٍ. لَا صُورَةٌ تُرْسَلُ إِلَّا بِإِذْنِ صَاحِبِهَا وَلَا كَلِمَةٌ تُنْسَبُ إِلَّا بِمَصْدَرِهَا وَلَا سَجَلٌ يُفْتَحُ إِلَّا بِمُشْرِفٍ يَضْبُطُ الْأَوْقَاتَ وَالْآذَانَ" ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُونِ﴾ (الْمَائِدَةُ 2) لِيَجْعَلَ التَّعَاوُنَ مِيزَانًا يُرَكِّي الْعَمَلَ.

وَعِنْدَ الْإِنْصِرَافِ مِنَ الْمَجْلِسِ قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَرْفَعُ كَفَّيْهِ "اللَّهُمَّ احْفَظْ أَلْسِنَتَنَا وَأَبْصَارَنَا وَأَيْدِيَنَا وَمَا نَمْلِكُ مِنْ مَفَاتِيحِ النَّشْرِ وَالصِّيَانَةِ وَاجْعَلْنَا نُودِي الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا" ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾

(النِّسَاءُ 58) وَذَكَرَ "وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ" (حَدِيثٌ) لِيَجْعَلَ لِلْمَجَالِسِ خَاتِمَةً مِنْ آدَبٍ وَحِرَاسَةٍ.

وَمَضَتْ أَيَّامٌ ثُمَّ عَادُوا إِلَى الرَّوَاقِ وَمَعَهُمْ «مَحْضَرُ الْأَثَرِ». قَرَأَ «صَفْوَانُ» وَوَجْهَهُ يَتَلَأَلُ بِسُرُورٍ "لَمْ نَرُضْ فِي أُسْبُوعَيْنِ أَيَّ أَنْتَهَاكِ لِيُخْصُوصِيَّهَ فَرَدٌ وَقَدْ وَثَّقْتُ خَمْسَ وَثَلَاثُونَ إِذْنَا وَعَدَلْتُ ثَلَاثَ نِسَبٍ خَاطِئَةٍ بَيِّنٍ صَرِيحٍ" فَقَالَ الْإِمَامُ "الْحَمْدُ لِلَّهِ، هَذَا «الْمُؤَشِّرُ» الَّذِي طَلَبْنَاهُ، أَنْ يَنْخَفِضَ أَنْتَهَاكِ الْخُصُوصِيَّةُ إِلَى صِفَرٍ" ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (الْعَصْرُ 1-3) لِيَجْعَلَ الْأَثَرُ مِنْ جَنْسِ الْعَمَلِ وَالصَّبْرِ.

ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَفْتَحُ صَحِيفَةَ الْعَهْدِ "سُتُبَّتْ فِي آخِرِهَا بَابًا يُسَمَّى «تَعَاهُدَ النَّسَبِ وَالْإِذْنِ» نُجَدِّدُهُ كُلَّ شَهْرٍ وَنَضْعُ فِيهِ سُؤَالَ وَاحِدًا «هَلْ نَسَبْنَا بِحَقٍّ وَاسْتَأْذَنَّا بِوُضُوحٍ» ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَإِنْ عَزَمُوا الطَّلُقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وَابْتَسَمَ قَائِلًا "هَذِهِ آيَةٌ فِي بَابٍ آخَرَ وَلَكِنْ فِيهَا رُوحُ الْمُرَاقَبَةِ وَالتَّسْمِيعِ" ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَوْضِعِنَا وَقَرَأَ ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الْإِسْرَاءُ 34) وَ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النَّحْلُ 90).

وَفِي خِتَامِ الْمَجْلِسِ قَالَ "تَذَكَّرُوا أَنَّ «فَقَهُ الْحُقُوقِ الرَّقْمِيَّةِ» لَيْسَ قَوَاعِدَ يَابِسَةً بَلْ هُوَ رُوحٌ تَتَحَرَّكُ فِي الْكَلِمَةِ وَالنَّظَرَةِ وَالْخُطُوبَةِ، فَمَنْ حَفِظَ الْأَمَانَةَ

وَأَدَّى الْحَقَّ وَاسْتَأْذَنَ وَوَفَّى وَعَدَلَ فَقَدْ عَمَّرَ الرَّقْمَ بِعِبَادَةٍ ثُمَّ قَرَأَ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الْأَنْعَامُ 162) وَذَكَرَ "وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا" (حَدِيثٌ) لِيَدْعُو الْقَوْمَ إِلَى أَنْ يَكُونُوا نُورًا يَهْدِي وَمِيزَانًا يَعْدِلُ.

ثُمَّ أَنْصَرَفُوا وَفِي أَيْدِيهِمْ «دَفَاتِرُ الْأُذُنِ» وَفِي قُلُوبِهِمْ «مِيثَاقُ الْحِفْظِ» وَعَلَى جِدَارِ الرِّوَاقِ لَوْحَةٌ كَتَبُوا فِي أَعْلَاهَا

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (الْمَائِدَةُ 1) وَفِي أَسْفَلِهَا

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ (الْحُجُرَاتُ 12)

وَبَيْنَهُمَا نُقْطَةُ نُورٍ تَقُولُ "الْأَمَانَةُ أَصْلُ وَالْإِذْنُ حَدُّ وَالنِّسْبَةُ عَدْلٌ" وَكَانَ الرِّوَاقُ يَهْمِسُ لِكُلِّ دَاخِلٍ "حِينَ تَكْتُبُ فِي السَّاحَاتِ فَاكْتُبْ كَمَا تَقِفُ فِي الْأَصْفِ الْأَوَّلِ، بِنِيَّةٍ وَوَقَارٍ وَحِفْظٍ، فَاللَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (غَافِرٌ 19).

الدَّرْسُ الْخَامِسُ: صِنَاعَةُ الرَّدِّ الْقَاعِدِيِّ

تَسَلَّلَ الْمَسَاءُ إِلَى الرَّوَاقِ كَسَكِينَةٍ تَنْسَابُ فِي عُرُوقِ الْحِجَارَةِ فَتُطَهَّرُهَا
وَتَغْسِلُ مَا عَلِقَ بِالْقُلُوبِ مِنْ غُبَارِ الْيَوْمِ، وَاجْتَمَعَ الشَّبَابُ وَالشَّبَابَاتُ وَمَعَهُمُ الْآبَاءُ
وَالْأُمَّهَاتُ فِي قَوْسٍ يُحَادِي الْمِحْرَابَ، وَوَقَفَ الْإِمَامُ وَفِي يَدِهِ لَوْحٌ صَغِيرٌ أبيضٌ
كَأَنَّهُ قَلْبٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَعَلَّمَ كَيْفَ يَرُدُّ بِالْحَقِّ وَيَصُمْتُ عَنِ الْبَاطِلِ. وَقَالَ وَصَوْتُهُ
يَحْمِلُ وَقَارًا وَرَفَقَةً "الْيَوْمَ نَصْنَعُ «رَدًّا قَاعِدِيًّا» يَصِيرُ أَصْلًا نَرْجِعُ إِلَيْهِ عِنْدَ
الِاضْطِرَابِ وَبَيَقَى لَنَا مِيزَانًا عِنْدَ الْأَزْمَاتِ، نَصُوغُهُ عَلَى أَرْبَعِ جُمَلٍ تُقِيمُ الْقَلْبَ
عَلَى الرَّفْقِ وَالْعَقْلِ وَالْحَقِّ وَالِدَّعْوَةِ. " ثُمَّ تَلَا تِلَاوَةً تُبَيِّرُ الطَّرِيقَ وَتُقِيمُ الْقَصْدَ

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (فُصِّلَتْ 34)

وَأَتْبَعَهَا بِمِيزَانِ الدَّعْوَةِ الْعَظِيمِ

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ﴾ (النَّحْلُ 125)،

ثُمَّ رَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيْهِمْ وَقَالَ "وَنَسْتَبِيرُ كَذَلِكَ بِقَوْلِهِ

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾" (الْإِسْرَاءُ 53).

وَقَرَّبَ اللُّوحَ مِنَ الْقَوْمِ وَكَتَبَ بِيَدٍ ثَابِتَةٍ جُمْلًا أَرْبَعًا ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ "سَنَرَفَعُ هَذِهِ الْجُمْلَ مِنْ صَدْرِ الْكِتَابِ وَنَجْعَلُهَا عُصْفُورًا يَقِفُ عَلَى كُلِّ غُصْنٍ مِنْ حِوَارٍ فَلَا يَقَعُ فِي الشَّرْرِ. الْأُولَى «تَهْدِئَةُ» تُطْفِئُ الْغَضَبَ، وَالثَّانِيَةُ «تَثْبُتُ» يَقْطَعُ سَبِيلَ الْبُهْتَانِ، وَالثَّالِثَةُ «حُجَّةٌ» مَبْنِيَّةٌ عَلَى دَلِيلٍ مُنْصَفٍ، وَالرَّابِعَةُ «دَعْوَةٌ» تَفْتَحُ بَابَ الْإِحْسَانِ." ثُمَّ قَالَ "سَنَحَافِظُ عَلَى رُوحِ الْآيَةِ

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾" (فُصِّلَتْ 34-35).

وَرَفَعَ «صَفْوَانُ» يَدَهُ وَقَالَ وَفِي صَوْتِهِ بَقِيَّةٌ غَيْظٍ "كَيْفَ نُنْطَبِقُ هَذَا وَقَدْ تَفْتَحِمُنَا الشَّتَائِمُ فِي الْوَسَائِطِ وَتَلْتَهُمُ الْحِلْمُ" فَابْتَسَمَ الْإِمَامُ وَقَالَ "هُنَا نَسْتَحْضِرُ مِيزَانَيْنِ عَظِيمَيْنِ، «مِيزَانَ الْحِكْمَةِ» وَ«مِيزَانَ الْعَدْلِ» وَنَزِيدُهُمَا «مِيزَانَ الْمَالِ»، فَنَنْظُرُ إِلَى مَا يَثُولُ إِلَيْهِ الْكَلَامُ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ فَوْزٍ أَوْ خَسَارَةٍ. وَنَسْتَنْبِرُ بِحَدِيثِهِ (ص) «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» (حَدِيثٌ) "وَبِقَوْلِهِ «مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَمَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ»" (حَدِيثٌ).

وَأَشَارَ إِلَى اللُّوحِ فَكُتِبَتِ الْجُمْلَةُ الْأُولَى: فَقَالَ وَهُوَ يُمْلِي "عِنْدَ الْإِشْتِيَاكِ

لَا تَرُدُّ النَّارَ وَقُودًا، بَلْ قُلْ «نُهَدِّئُ النَّفْسَ أَوَّلًا وَنُرِيدُ لِلْكَلِمَةِ أَنْ تَبْقَى فِي مَقَامِهَا، نَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبٍ يَذْهَبُ بِالْحَقِّ» ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آلِ عِمْرَانَ 134).

ثُمَّ قَالَ "وَإِذَا هَدَأَتِ النَّفْسُ جِئْنَا بِالثَّانِيَةِ «تَثَبُّتُ»، فَنَقُولُ «مَنْ أَيْنَ جَاءَتِ الدَّعْوَى وَمَا شَاهِدُهَا وَمَنْ الَّذِي نَقَلَهَا» ثُمَّ تَلَا

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الْحُجُرَاتُ 6).

ثُمَّ قَالَ "فَإِذَا اسْتَبَانَ الْخَبَرُ جِئْنَا بِالثَّالِثَةِ «حُجَّةٌ»، فَنَقُولُ «هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ» وَتَلَا

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الْبَقَرَةُ 111)

"وَنَعْرِضُ دَلِيلًا عَادِلًا لَا يَجُورُ وَلَا يُجَافِي". ثُمَّ قَالَ "وَنَخْتِمُ بِالرَّابِعَةِ «دَعْوَةٌ»، فَنَقُولُ «تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ فَنُصْلِحَ وَنُسْتَرِ وَنُهْدِيَ الْكَلِمَةَ إِلَى أَحْسَنِ طَرِيقٍ» وَتَلَا

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ (النَّحْلُ 125).

وَعِنْدَ هَذِهِ النُّقْطَةِ رَفَعَ «رَيَّانُ» يَدَهُ وَقَالَ "هَلْ نُجَرِّبُ الْآنَ مَشْهَدًا حَيًّا"

فَقَالَ الْإِمَامُ "نَعَمْ، سَنُحَوِّلُ شَتِيمَةً إِلَى حُجَّةٍ هَادِيَةٍ." ثُمَّ أَشَارَ إِلَى «صَفْوَانَ» أَنْ يَقُومَ فِي طَرَفِ الْقَوْسِ وَإِلَى «رَابِيَةَ» أَنْ تَقُومَ فِي طَرَفِهِ الْآخَرِ، ثُمَّ قَالَ "سَنُصَوِّرُ مَا يَقَعُ فِي الْوَسَائِطِ مِنْ غِلْظَةٍ وَتَجَرُّؤٍ."

فَقَالَ وَهُوَ يُمَثِّلُ رِسَالَةً جَافَّةً جَاءَتْ فِي سَاحَةِ "أَنْتُمْ جَمِيعًا جَاهِلُونَ لَا تَعْرِفُونَ شَيْئًا فِي هَذَا الْبَابِ" فَظَنَرْتُ «رَابِيَةَ» نَظْرَةً مَنْ تَعَلَّمَ الرِّفْقَ وَقَالَتْ وَقَدْ وَضَعْتَ الْجُمْلَةَ الْأُولَى فِي مَكَانِهَا "نَهْدِي الْمُسْلِمَ أَوَّلًا وَنَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الرُّشْدَ، وَلَيْسَ الْخِلَافُ سَبِيلًا إِلَى الشَّتَمِ" ثُمَّ قَالَتْ "مِنْ أَيْنَ جَاءَ هَذَا الْحُكْمُ الْأَعْمَامُ وَمَا الدَّلِيلُ عَلَيْهِ وَمَنْ يَشْهَدُ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْإِخْتِصَاصِ" ثُمَّ قَالَتْ "هَذَا مَا عِنْدَنَا مِنْ دَلِيلٍ مُخْتَصَرٍ يَسْتَبْدُ إِلَى كِتَابٍ وَسُنَّةٍ وَتَجَرِبَةٍ، فَإِنْ رَأَيْتُمْ خِلَافًا فَصَوِّبُوا" ثُمَّ خَتَمَتْ "نُحِبُّ لَكُمْ مَا نُحِبُّ لِنَفْسِنَا فَتَعَالَوْا نَجْعَلِ الْحَوَارِ لَوَجْهِ اللَّهِ وَالْحَقِّ". فَارْتَفَعَتِ الْأَنْفَاسُ فِي الرِّوَاقِ كَأَنَّهَا سُحْبٌ خَفِيفَةٌ حَمَلَتْ مَطَرًا طَيِّبًا، وَقَالَ الْإِمَامُ "هَذِهِ هِيَ الْجُمْلَةُ الْأَرْبَعُ قَدْ وَضِعَتْ فِي مَوَاضِعِهَا."

ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِمْ مِفْتَاحًا فِي الْبَابِ يَزِيدُ الْقَلْبَ نُورًا

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آلِ عِمْرَانَ 159)

وَقَالَ "فَاللَّيْنُ فِي الْحَقِّ جُنْدٌ مِنْ جُنُودِهِ." وَاتَّبَعَهُ بِقَوْلِهِ

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾
(الْمَائِدَةُ 8)

لِيُتِمَّ الْعَدْلَ فِي حَالِ الْغَضَبِ.

وَدَارَ فِي الْمَجْلِسِ حَدِيثٌ عَنِ الْخُدُودِ، فَقَالَتْ «حِلْمَةٌ» "أَحْيَانًا تَقُورُ
الْأَنفُسُ فَتَتَكَلَّمُ بِكَلِمَاتٍ نَنْدَمُ عَلَيْهَا" فَقَالَ الْإِمَامُ "أَسْتَحْضِرُوا «مِفْتَاحًا» يَقْطَعُ
سَبِيلَ الزَّلَلِ: «فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»" ثُمَّ ذَكَرَ مَا أَخَذَهُ "«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»" (حَدِيثٌ) "وَأَذْكُرُوا «وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ
عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»" (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَرَأَ

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق 18)

فَسَكَنَ الْمَجْلِسُ هَيْبَةً.

وَسَأَلَ «رَبَّانٌ» "كَثِيرًا مَا تُرْسَلُ الْأَدْعَاءُ بِلَا بَيِّنَةٍ، فَكَيْفَ نَزُدُ" فَقَالَ
الْإِمَامُ "نَزُدُ بِالْحَقِّ الْمَجْرَدِ وَنُقِيمُ قَاعِدَةً أُولَىٰ «لَا دَعْوَىٰ بِلَا بَيِّنَةٍ»، وَنَسْتَحْضِرُ
قَوْلَهُ (ص) «لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَىٰ رِجَالُ أَمْوَالِ قَوْمٍ وَدِمَائِهِمْ، وَلَكِنْ
الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينُ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ»" (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَالَ "فَلَا نَرْتَفِعُ
بِصَوْتٍ وَلَا نَنْحَدِرُ إِلَى السَّبَابِ، بَلْ نُقِيمُ الْحُجَّةَ وَنَدْعُو إِلَى الْعَدْلِ."

ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَى السَّقْفِ كَأَنَّهُ يَسْتَفْتِحُ سَقْفًا وَقَالَ "سُنْثَبْتُ الْقَالِبَ فِي صَدْرِ

الْبُيُوتِ وَفِي مَجْمُوعَاتِ الصَّفِّ وَفِي مَجَالِسِ الْحَيَاةِ، يَتَأَلَّفُ مِنْ جُمْلَةٍ تَهْدِي
وَجُمْلَةٍ تُثَبِّتُ وَجُمْلَةٍ تُحَاجُّ وَجُمْلَةٍ تَدْعُو. ثُمَّ قَالَ "وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْمَحَوْرَ فِيهِ لَيْسَ
الْإِنْتِصَارَ لِلنَّفْسِ بَلِ الْهِدَايَةَ وَإِظْهَارُ الْحَقِّ، فَاسْتَحْضِرُوا قَوْلَهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾" (النحل 90).

ثُمَّ قَالَ "سَنَجْعَلُ لِلْقَالِبِ تَدْرِيبًا مُتَكَرِّرًا" وَنَادَى "يَا بَنِيَّ، يَا بَنَاتِي،
سَنُجْرِي الْآنَ مَشْهَدًا آخَرَ: سِيرِمِكُمْ أَحَدُ بِثْمَةِ الْجَهْلِ أَوْ الْهَوَى فَكَيْفَ تَرُدُّونَ"
فَقَامَ فَتَى وَقَالَ بِصَوْتٍ غَلِيظٍ يُمَثِّلُ "أَنْتُمْ لَا تُرِيدُونَ الْحَقَّ وَإِنَّمَا تَلْتَمِسُونَ
الْهُمُومَ" فَقَالَتْ «حِلْمَةٌ» وَهِيَ تَضَعُ الْكَلِمَةَ عَلَى مِيزَانِهَا "نُهِدْتُ النَّفْسَ
وَنَسْتَعْفِرُ لِلْجَمِيعِ، ثُمَّ نَسَأَلُ عَنِ الدَّلِيلِ وَنَقُولُ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ، وَهَذَا مَا عِنْدَنَا مِنْ
شَوَاهِدَ، ثُمَّ نَدْعُوكُمْ إِلَى مُرَاجَعَةٍ عَادِلَةٍ لَعَلَّنَا نَقْتَرِبُ". فَأَشَارَ الْإِمَامُ إِلَى السَّكِينَةِ
الْمُنْفَاصَةِ عَلَى الْمَجْلِسِ وَقَالَ "هَكَذَا تُحَوَّلُ الشَّيْمَةُ إِلَى بَابٍ مِنْ بَوَابِ
الدَّعْوَةِ".

وَقَالَ "لَا تَنْسُوا أَنَّ الرَّدَّ الْقَاعِدِيَّ لَا يُنْقِصُ مِنْ مَقَامِ الْحَقِّ وَلَا يَتَحَلَّى
عَنِ الْبَيَانِ، بَلْ يُرَبِّي النَّفْسَ عَلَى تَأْخِيرِ الْغَضَبِ وَتَقْرِيبِ الدَّلِيلِ، وَيَجْمَعُ بَيْنَ
الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ". ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (الحجر 85) وَقَالَ "لَا
يَكُونُ الصَّفْحُ ضَعْفًا وَلَا سُكُوتًا عَنِ الْبَاطِلِ، بَلْ هُوَ قُوَّةٌ تَضَعُ الْحَقَّ فِي أَبْهَى
وُضُوحِهِ".

وَإِذَا بَصِيٍّ صَغِيرٍ يَرْفَعُ يَدَهُ وَيَقُولُ "أَيُّهَا الشَّيْخُ، أَتَكَلَّمُ بِهِذِهِ الْجُمْلِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ" فَابْتَسَمَ الْإِمَامُ وَقَالَ "تَعَلَّمِ الْأَصْلَ ثُمَّ زَيِّنْهُ بِالْحِكْمَةِ وَالذَّوْقِ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾" (النَّحْلُ 125) "وَقَدْ قَالَ (ص) «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»" (حَدِيثٌ) "فَاجْعَلْ نَصِيحَتَكَ عَلَى مِيزَانِ الرَّفْقِ وَالْإِخْلَاصِ".

ثُمَّ حَدَّثَ فِي الْمَجْلِسِ مَا يُشَبِّهُ الْإِبْتِلَاءَ لِيَتَمَرَّنُوا عَلَيْهِ؛ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ بَوْرَقَةٍ فِيهَا كَلِمَاتٌ قَاسِيَةٌ كَانَ بَعْضُ الشَّبَابِ قَدْ تَنَادَرَ بِهَا فِي سَاحَةِ، فَنَظَرَ الْإِمَامُ وَقَالَ "سَنُصْلِحُ مَا أَفْتَرَطْنَا فِيهِ وَسَنَسْتَعْمِلُ الْقَالِبَ". ثُمَّ قَرَأَ الْكَلِمَةَ الْمُؤْذِيَةَ، وَقَالَ "نُهْدَى، نَتَثَبَّتْ، نَحَاجُّ، نَدْعُو". فَجَرَى الْحَوَارُ عَلَى هَذَا الْمِيزَانِ فَانْقَطَعَتْ الْحِدَّةُ وَظَهَرَ الْحَقُّ وَاعْتَذَرَ الْمُخْطِئُ وَصَفَحَ الْمَجْلِسُ، وَتَلَّوْا ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (الْحُجُرَاتُ 10).

وَبَعْدَ أَنْ كَمَلَ التَّدْرِيبُ قَالَ الْإِمَامُ "أُعْلِنُ لَكُمْ «وَاجِبًا» يَقِفُ عَلَيْهِ الْأَثَرُ: أَنْ يُحْفَظَ الْقَالِبُ وَأَنْ يُجَرَّبَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ فِي مَوَاطِنَ مُخْتَلِفَةٍ، فِي الْبَيْتِ وَفِي الصَّفِّ وَفِي سَاحَاتِ التَّبَادُلِ". ثُمَّ قَالَ "وَسَنَقِيسُ «مُؤَشِّرًا» بَعْدَ مُضِيِّ أُسْبُوعَيْنِ، فَإِنْ هَبَطَ تَصْعِيدُ النَّزَاعِ سَبْعِينَ فِي الْمِائَةِ فَقَدْ أَصَابَ الْقَالِبُ مَوْضِعُهُ". ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزُّزْلَةُ 7-8).

وَقَالَ "سُنُتُّ هَذَا الْقَالِبَ فِي «صَحِيفَةِ الْبَيَانِ» الْمُعَلَّقَةِ فِي الرِّوَاقِ،

وَسَنَقْرُؤُهُ قَبْلَ كُلِّ مُنَاطَرَةٍ لِيَكُونَ لَنَا ذِكْرٌ تَقْطَعُ سَبِيلَ الْإِنْفَعَالِ". ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (الْعَصْرُ 3). وَزَادَ "وَنَسَحَضِرُ قَوْلَهُ (ص) «مَنْ سَتَرَ حَدِيثًا سَتَرَهُ اللَّهُ»" (حَدِيثٌ) "فَيَكُونُ رَدُّنَا مَطْلَبًا لِلْهَدْيِ لَا مَجْرَى لِلْفَضْحِ".

وَمَضَتْ الْأَيَّامُ تَتَرَى وَالْقَالِبُ يَمْشِي مَعَهُمْ كَظِلٍّ وَقَوْتٍ وَدَرَجٍ، فَإِذَا دَخَلُوا سَاحَةً فِيهَا الْأَضْطِرَابُ قَالَ أَحَدُهُمْ "نُهِدْتُ" فَسَكَتَتِ الْنُفُوسُ، ثُمَّ قَالَ آخَرُ "نَتَشَبَّثُ" فَانْقَطَعَتْ سِلْسِلَةُ الْإِشَاعَةِ، ثُمَّ قَالَ ثَالِثٌ "نُحَاجُّ" فَظَهَرَ الدَّلِيلُ، ثُمَّ قَالَ رَابِعٌ "نَدْعُو" فَارْتَقَتِ الْقُلُوبُ. وَفِي آخِرِ الشَّهْرِ رَجَعُوا إِلَى الرِّوَاقِ وَمَعَهُمْ «مَحْضَرُ الْأَثَرِ»، فَقَرَأَ «صَفْوَانُ» وَوَجْهُهُ يَسْتَبْشِرُ "هَبَطَ تَصْعِيدُ النَّزَاعِ فِي مَجْمُوعَاتِ النِّقَاشِ سَبْعِينَ فِي الْمِائَةِ، وَتَحَوَّلَتْ سِتُّ حَالَاتٍ مِنَ الشَّدَّةِ إِلَى صُلْحٍ، وَكُتِبَتْ ثَلَاثُ بَيِّنَاتٍ أَعْتَدَارٍ بَعْدَ تَشَبُّثٍ" فَضَجَّ الْمَجْلِسُ بِ"الْحَمْدُ لِلَّهِ". وَقَرَأَ الْإِمَامُ

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فُصِّلَتْ 33)

لِيَرْفَعَ الْعَمَلَ إِلَى مِيزَانِ الْإِحْسَانِ.

وَحِينَ قَامُوا لِلْإِنْصِرَافِ وَقَدْ حَمَلَ كُلُّ مِنْهُمْ فِي صَدْرِهِ نُسْخَةً حَافِظَةً مِنْ

أَلْقَالِبِ قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَرْفَعُ كَفَّيْهِ "اللَّهُمَّ عَلَّمْنَا الرَّفْقَ فِي الْحَقِّ، وَاحْفَظْ أَلْسِنَتَنَا عَنْ الزَّلَلِ، وَاجْعَلْ رُودَنَا أَبْوَابًا لِلدَّعْوَةِ وَسُبُلًا لِلْعَدْلِ" ثُمَّ قَرَأَ ﴿أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (فُصِّلَتْ 34) وَ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ (النَّحْلُ 125) وَاتَّبَعَهُمَا بِقَوْلِهِ ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (الْبَقَرَةُ 83). ثُمَّ ذَكَرَ "«لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ»" (حَدِيثٌ) "فَاتَّبِعْ صَادِقَةً وَكَلِمَةً رَصِينَةً يَفْتَحُ اللَّهُ بِهِمَا قُلُوبًا كَانَتْ مُغْلَقَةً." ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه 114) لِيَجْعَلَ الْإِسْتِزَادَةَ مِنَ الْحِكْمَةِ قِفْلَ الْبَابِ وَمِفْتَاحَ الْعَدْلِ.

وَأَنْصَرَفُوا وَقَدْ صَارَ «الرَّدُّ أَلْقَاعِدِيٌّ» فِي أَلْسِنَتِهِمْ ذِكْرًا يُقِيمُ الْكَلِمَةَ فِي مَوْضِعِهَا وَيَرْفَعُ الْقَلْبَ عَنْ مَيَادِينِ الْغَضَبِ إِلَى رَحَابِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، فَإِذَا هَاجَتْ سَوَاحِلُ الْكَلَامِ قَالَ أَحَدُهُمْ "«أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»" فَسَكَنَ الْمَوْجُ، وَإِذَا اشْتَدَّتِ الْحُجَجُ قَالَ آخَرُ "«أَدْعُ بِالْحِكْمَةِ»" فَانْفَتَحَ بَابٌ لِلْهُدَى، وَإِذَا أَشْرَفَتِ الْكَلِمَةُ عَلَى الْهَوَى قَالُوا "«أَعْدِلُوا»" فَعَادَ الْمِيزَانُ، وَإِذَا أَغْبَرَتِ السَّاحَةُ بِأَلْسِنِهِمْ قَالُوا "«فَتَبَيَّنُوا»" فَانْكَشَفَتِ الْغَشَاوَةُ، وَإِذَا اسْتَوَتْ الْقُلُوبُ عَلَى رَفْقٍ قَالُوا "«اللَّهُمَّ اجْمَعْنا عَلَى الْحَقِّ وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ»" فَتَنْزَلُ رَحْمَةٌ تَجْعَلُ الْمَجَالِسَ بُسْتَانًا وَالْخِلَافَ مَعْبَرًا وَالرَّدَّ أَلْقَاعِدِيَّ جِسْرًا مِنْ نُورٍ بَيْنَ قَلْبَيْنِ.

الدَّرْسُ السَّادِسُ: مِثَاقُ التَّرْجَمَةِ

أَنْسَابُ الْمَسَاءِ عَلَى الرَّوَاقِ كَأَنَّهُ سُكْرَجَةٌ مِنْ نُورٍ تُقَرَّبُ الْقُلُوبَ وَتُهَدِّئُ
الْأَصْوَاتَ فَاصْطَفَى الْفَتِيَّةُ وَالْفَتَيَاتُ وَجَلَسَ الْأَبَاءُ وَالْأُمّهَاتُ فِي قَوْسٍ يُحَازِي
الْمِحْرَابَ وَرِيحُ الْمِسْكِ تَسْرِي فِي الْمَكَانِ كَأَنَّهُا دُعَاءٌ يَتَصَاعَدُ. وَدَخَلَ الْإِمَامُ
وَفِي يَدِهِ صَحِيفَةٌ بَيضاءُ وَقَلَمٌ يُشَبِّهُ مِيزَانًا دَقِيقًا فَوَقَفَ وَقَالَ وَصُوتُهُ يَحْمِلُ وَقَارَ
الْأَمَانَةِ "الْيَوْمَ نَقِیمُ «مِثَاقُ التَّرْجَمَةِ» لِنُصَانِ الْمَعَانِي عِنْدَ نَقْلِ اللُّغَاتِ وَتَوْسِیْطِ
الْأَلْفَاظِ فَلَا نُحِلُّ بِحَقٍّ وَلَا نَبْخُسُ قَدْرًا." ثُمَّ تَلَا بِصَوْتٍ يَمْتَرِجُ فِيهِ الْحَزْمُ
وَالْحَنَانُ

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (إِبْرَاهِيمُ 4)

وَاتَّبَعَهَا بِمِفْتَاحٍ يُثَبِّتُ أَصْلَ اللِّسَانِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يُوسُفُ 2)

ثُمَّ قَالَ "إِذَا فَالْبَلَاغُ مَقِيسٌ عَلَى الْبَيَانِ وَالتَّرْجَمَةُ أَمَانَةٌ تُؤَدِّيهِهَا الْأَلْسُنُ
وَتَحْرُسُهَا الْقُلُوبُ."

رَفَعَ «رَبَّانُ» يَدَهُ وَأَثَرُ الْحَيَاءِ ظَاهِرٌ فِي نَبَرَتِهِ وَقَالَ "كَيْفَ نَفْهَمُ أَنَّ التَّرْجَمَةَ أَمَانَةٌ لَا مَسْلَكًا لِلتَّزْيِينِ" فَأَبْتَسَمَ الْإِمَامُ وَقَالَ "لِأَنَّ التَّرْجَمَةَ وَسَاطَةً بَيْنَ نَفْسَيْنِ وَسُفَارَةٍ بَيْنَ لِسَانَيْنِ فَمَنْ خَانَ فِي الْوَسَاطَةِ أَفْسَدَ الرِّسَالَةَ وَصَرَفَ الْمَعْنَى عَنْ قَصْدِهِ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ (النِّسَاءُ 58)

فَالْمَعْنَى مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَاتِ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ (ص) «مَنْ عَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا» (حَدِيثٌ).

وَاتَّبَعَ قَوْلُهُ بِآيَةٍ تُقِيمُ سُورًا لِلْحُدُودِ

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الْبَقَرَةُ 42)

ثُمَّ قَالَ "فَمَنْ زَادَ فِي النِّقْلِ مَا يُغَيِّرُ قَصْدَ الْمُؤَلِّفِ أَوْ حَذَفَ مَا لَا يَقُومُ الْمَعْنَى إِلَّا بِهِ أَوْ نَسَبَ الْإِبْدَاعَ إِلَى نَفْسِهِ وَهُوَ لِعَيْرِهِ فَقَدْ لَبَسَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَنَقَضَ الْعَهْدَ وَقَدْ قَالَ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾" (الْمَائِدَةُ 1).

ثُمَّ أَشَارَ إِلَى لَوْحٍ خَشَبِيٍّ فِي صَدْرِ الرَّوَاقِ وَقَالَ "سَنَكْتُبُ عَلَيْهِ الْيَوْمَ

قَوَاعِدَ «مِثَاقِ التَّرْجَمَةِ» لِتَكُونَ نُورًا وَمِيزَانًا.

وَقَامَ "صَفْوَانُ" وَفِي يَدِهِ دَفْتَرٌ صَغِيرٌ وَقَالَ "أَسْتَأْذِنُ فِي سُؤَالٍ، إِذَا نَقَلْنَا كَلِمَةً مِنْ لِسَانٍ إِلَى آخَرَ فَأَيُّنَ نَضَعُ الْهُوَامِشَ لِكَلِمَةٍ يَتَشَوَّهُ الْمَعْنَى" فَقَالَ الْإِمَامُ "الْهُامِشُ حِرْزٌ لِلْمَعْنَى فِي الصِّيَاغَةِ وَصِنَاعَةٌ لِلْإِحَالَةِ فِي النَّسْبَةِ فَتَبَيَّنَ فِيهِ الْأَصْطِلَاحُ وَنَظِيرُهُ وَنَمْلِكُ لِلْقَارِئِ مِفْتَاحَ الْخِلَافِ. وَاذْكُرُوا أَصْلًا يُبَيِّرُ الطَّرِيقَ

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾" (التَّحْلُ 43).

ثُمَّ قَالَ "وَمِمَّا يَثْبُتُ الْأَمَانَةُ أَنْ نَكْتُبَ فِي صَدْرِ كُلِّ تَرْجَمَةٍ «حُدُودَهَا وَمَصَادِرَهَا» لِيَعْلَمَ الْقَارِئُ صَفْحَتَهَا وَمَا لَمْ يَدْخُلَ فِيهَا."

وَقَالَتْ "رَأْيِي" وَفِي صَوْتِهَا تَرْتِيلٌ مُتَدَبِّرٌ "قَدْ يُشْكِلُ عَلَيْنَا الْمُصْطَلَحُ، فَتَرْجِمُهُ بِمَا يُشَاكِلُ ظَاهِرَهُ وَيُخَالِفُ بَاطِنَهُ" فَقَالَ الْإِمَامُ "الْمِيزَانُ هُنَا «دَقَّةٌ» تُفَكِّكُ الْمَعْنَى إِلَى أَصْلِهِ ثُمَّ تَرُدُّهُ إِلَى لُغَةِ الْقَوْمِ بِمِثْلِهِ وَالْأَفْقَرِيبُ مِنْهُ مَعَ بَيَانٍ فِي هَامِشٍ مَفْعُولٍ. وَاسْتَخْضِرُوا قَاعِدَةً تَقْطَعُ سَبِيلَ التَّخْمِينِ

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾" (الْإِسْرَاءُ 36).

ثُمَّ قَالَ "وَاذْكُرُوا حَدِيثًا يَحْرُسُ اللِّسَانَ «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»" (حَدِيثٌ) "فَكَيْفَ بِمَنْ يَنْقُلُ مَا لَمْ يَفْهَمْ وَيَتَرْجِمُ مَا لَمْ يَتَبَيَّنْ."

وَتَقَدَّمَ إِلَى صَدْرِ الرَّوَاقِ خَطَا نَحِيلَةً لِـ"فَتَاةٍ" تَحْمِلُ صُحُفًا فِيهَا مَقَالَاتٌ مِنْ لِسَانِ آخَرَ فَقَالَتْ "أَرَدْتُ أَنْ أُتَرْجِمَ قِطْعًا صَغِيرَةً لِلتَّعْلِيمِ فَكَيْفَ أُثَبِّتُ النَّسَبَةَ" فَقَالَ الْإِمَامُ "النَّسَبَةُ عَدْلٌ وَحُرْمَةٌ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾" (الشُّعْرَاءُ 183)

"فَتَذَكِّرِينَ الْأَسْمَ وَالْمَصْدَرَ وَتَارِيخَ النَّشْرِ وَمَوْضِعَ الْمَقْطَعِ وَتُبَيِّنِينَ هَدَفَ النُّقْلِ هَلْ هُوَ تَعْلِيمٌ أَمْ نَقْدٌ أَمْ تَعْرِيفٌ. وَإِذَا زِدْتَ عَلَى النَّصِّ شَرْحًا فَضْعِي زِيَادَتِكَ بِلِسَانٍ مُتَمَيِّزٍ وَهَامِشٍ وَاضِحٍ." ثُمَّ تَلَا

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ (الْأَنْعَامُ 152).

وَأَخَذَ الْإِمَامُ يَرْسُمُ بِقَلَمِهِ سَطُورًا عَلَى اللَّوْحِ وَيَقُولُ "سَنَجْعَلُ لـ«مِثَاقِ التَّرْجَمَةِ» أَصُولًا أَرْبَعَةً: «نَيْبَةُ صَالِحَةٍ» وَ«فَهْمٌ مُحَقَّقٌ» وَ«تَحْرِيرُ مُصْطَلَحٍ» وَ«نَسَبَةُ مُنْصِفَةٍ». فَأَمَّا النَّيْبَةُ فَحِرْزُ الْعَمَلِ وَقَدْ قِيلَ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» (حَدِيثٌ) "وَأَمَّا الْفَهْمُ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ عَلِيمٍ يُصَحِّحُ وَإِلَّا كَانَ الْعَمَلُ هَشِيمًا. وَأَمَّا تَحْرِيرُ الْمُصْطَلَحِ فَهُوَ قَلْبُ أَلْبَابٍ فَلَا تُدْخِلُوا كَلِمَةً فِي مَوْضِعٍ لَا تَحْتَمِلُهُ إِلَّا وَقَدْ شَهِدَ لَهَا النَّظِيرُ وَاسْتَقَامَ لَهَا الْهَامِشُ. وَأَمَّا النَّسَبَةُ فَادَّبْ وَقَسْطَاسْ."

ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَسْتَخْضِرُ مِفْتَاحًا مِنْ جَامِعِ الْبَيَانِ "وَأَسْتَمْسِكُوا بِدُعَاءِ النَّبِيِّ (ص) لِابْنِ عَبَّاسٍ «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّائِيلَ»" (حَدِيثٌ) "فَإِنَّ

«التَّأْوِيلَ» فَهُمْ الْمَعْنَى الْبَاطِنِ عَلَى ضَوْءِ الظَّاهِرِ وَحِرَاسَةُ النَّقْلِ مِنَ الْعَوَجِ. " ثُمَّ قَرَأَ

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الرُّمُّ 18)

لِيَجْعَلَ لِلْمُتَرْجِمِ أَفْقًا يَسْتَخْرِجُ فِيهِ أَحْسَنَ الْمَعَانِي بِأَحْسَنِ الْأَلْفَاظِ.

وَحِينَ انْفَتَحَتِ الْأَنْفَاسُ لِلتَّطْبِيقِ قَالَ الْإِمَامُ "سَجَرِي «مَشْهَدًا مُعَايَنًا» نَكْتُبُ فِيهِ تَرْجَمَةً قَصِيرَةً مَعَ بَيَانِ حُدُودِهَا وَمَصَادِرِهَا. " ثُمَّ أَخَذَ مَقْطَعًا عِلْمِيًّا مِنْ لِسَانِ آخَرَ فِي مَسْأَلَةِ الْخُلُقِ وَقَالَ "سَنَنْقُلُ الْمَعْنَى وَنَضْعُ هَامِشًا فِيهِ تَعْرِيفُ الْمُصْطَلَحِ وَمَصْدَرُ الْقَوْلِ وَسَبَبُ الْإِخْتِيَارِ. " وَقَالَ وَهُوَ يُمْلِي "«التَّرْجَمَةُ: نَقْلُ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ بِالْأَلْفَاظِ مُبِينَةٍ تُوَافِقُ لِسَانَ الْقَوْمِ وَلَا تُغَيِّرُ قَصْدَ الْمُؤَلِّفِ» " ثُمَّ وَضَعَ فِي الْهَامِشِ "«وَصَفُ الْمُصْطَلَحِ» وَ«مَوْضِعُ الْفَرْقِ» وَ«مَصْدَرُ النَّقْلِ» ". وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (الْكَهْفُ 29)

لِيَذَكِّرَ أَنَّ الْحَقَّ مُقَدَّمٌ عَلَى الشَّهْوَةِ وَالرَّغْبَةِ فِي التَّزْوِيقِ.

وَقَالَ "حِلْمَةٌ" وَفِي عَيْنَيْهَا نُكْتَةٌ شُغِلَ "وَإِذَا اخْتَلَفَ عَلَيْنَا مَعْنَى فِي جُمْلَةٍ فَأَيُّ طَرِيقٍ نَسْلُكُ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَسْلُكُ طَرِيقَ «التَّثَبُّتِ» وَ«التَّعْرِيزِ» وَ«الاسْتِفْسَارِ» فَإِنْ شَكَّ الْمُتَرْجِمُ فِي الْمُرَادِ بَيْنَ ذَلِكَ فِي هَامِشٍ لَا يَخْفَى وَسَأَلَ

أَهْلَ الذِّكْرِ ثُمَّ اخْتَارَ أَحْسَنَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ وَالْمَقْصِدُ. وَقَدْ قِيلَ «الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ» (حَدِيثٌ) "فَسَلُّوا مِنِ أَوْثَمِنَ عَلَى الْمَعْنَى." ثُمَّ تَلَا ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (الْبَقَرَةُ 282).

ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ بِأَيَّةٍ تَقْطَعُ سَبِيلَ التَّخْرِيفِ

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٍّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (الْبَقَرَةُ 78-79)

ثُمَّ قَالَ "فَلَا تَكْتُبُوا مَا لَمْ يَقُلْ وَلَا تُزَيِّنُوا مَا لَمْ يُرِدْ صَاحِبُهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي الْمَعَانِي فَهِيَ أَرْوَاحٌ تُحْمَلُ عَلَى أَكْفِكُمْ." وَاتَّبَعَهَا بِحَدِيثٍ يُزِيلُ الْإِرْتِيَابَ "«مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»" (حَدِيثٌ) "فَكَيْفَ بِمَنْ يَكْذِبُ فِي نَقْلِ الْمَعَانِي وَإِنْ لَمْ يَنْوِ الْكَذِبَ".

وَأَشَارَ إِلَى طَرَفِ الْمَجْلِسِ إِشَارَةً مَنْ يَدْعُو إِلَى عَمَلٍ وَقَالَ "سُنِّبْتُ لِآنَ «صَحِيفَةَ الْأَمِثَاقِ» فِي صَدْرِ الرُّوَاقِ نَكْتُبُ فِيهَا عُقُودًا قَصِيرَةً: «لَا نَنْقُلُ إِلَّا مَا فَهَمْنَا» «لَا نُسَمِّي الْأَشْيَاءَ بِغَيْرِ أَسْمَائِهَا» «نَذْكُرُ الْمَصْدَرَ فِي كُلِّ نَقْلِ» «نَضْعُ هَامِشًا يُبَيِّنُ مَوْضِعَ الْإِسْتِذْرَاكِ» «نُرَاجِعُ التَّرْجَمَةَ مَعَ رَاشِدٍ»" ثُمَّ تَلَا

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (الْمَائِدَةُ

وَجَرَى فِي الْمَجْلِسِ حِوَارٌ دَقِيقٌ عَنْ «صِنَاعَةِ التَّرْجَمَةِ بَيْنَ الْحَرْفِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ» فَقَالَ «صَفْوَانُ» «أَيُّهُمَا أَوْلَى إِذَا تَعَارَضَ اللَّفْظُ وَالْمَقْصِدُ» فَقَالَ الْإِمَامُ «الْأَوْلَى «الْمَعْنَى الْمَقْصُودُ» مَعَ «الْقُرْبِ اللَّفْظِيِّ» وَمَعَ «بَيَانٍ فِي الْهَامِشِ» يَرْفَعُ الْإِشْكَالَ فَإِنَّ الشَّرْعَ وَالْعَقْلَ يَنْظُرَانِ إِلَى الْمَقَاصِدِ وَحَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة 286)

"فَلَا تُكَلِّفُوا اللَّفْظَ مَا لَا يَتَّسِعُ لَهُ وَاجْعَلُوا الْهَامِشَ سُلَّمًا لِلْفَهْمِ."

ثُمَّ أَمَرَ بِإِخْضَارِ صُحُفٍ فِيهَا «ثَلَاثَةُ أَقْتِبَاسَاتٍ مُتَرْجِمَةٍ» فَقَالَ "هَذَا «الْوَجِبُ» لِلْأُسُوعِ: أَنْ تُرَاجِعَ كُلُّ فِرْقَةٍ ثَلَاثَةَ أَقْتِبَاسَاتٍ مَعَ «تَوْثِيقِ سَلِيمٍ» فَنَذَرَ الْمَصَادِرَ وَنَحَرَ الْأَمْصُطَلَحَ وَنَضَعَ هَامِشًا يُبَيِّنُ مَوْضِعَ التَّرْجَمَةِ وَحُدُودَهَا. ثُمَّ نَقِيسُ «الْمُؤَشِّرَ» فَإِذَا انْقَطَعَتِ الْأَخْطَاءُ الْمُحَرِّفَةُ لِلْمَعْنَى تَمَامًا فَقَدْ قَامَ الْمِيتَاقُ." ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر 1-3).

وَأَشْرَقَ فِي الْمَجْلِسِ ضَوْءٌ مِنْ بَسْمَةِ حَيِّنَ قَالَ الْإِمَامُ "سَنُجْرِي تَدْرِيبًا آخَرَ عَلَى «قَلْبِ الْإِهَانَةِ إِلَى حُجَّةٍ مُهَذَّبَةٍ» فِي بَابِ التَّرْجَمَةِ فَإِذَا قِيلَ «تَرْجَمْتُكُمْ

ضَعِيفَةٌ وَفِيهَا تَزْيِيفٌ» قُلْنَا «نُهَدِّئُ الْحَدِيثَ وَنَسْتَفْتِحُ بِالِاسْتِغْفَارِ ثُمَّ نَطْلُبُ مَوْضِعَ الدَّعْوَى وَنَقِيمُ الدَّلِيلَ وَنَدْعُو إِلَى مُرَاجَعَةِ مُشْتَرَكَةٍ» ثُمَّ قَرَأَ ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فُصِّلَتْ 34).

وَنَهَضَ صَبِيٌّ فِي آخِرِ الْقَوْسِ يَقُولُ "أَقُولُ فِي أَوَّلِ كُلِّ تَرْجَمَةٍ إِنِّي نَقَلْتُ عَنِ الْفُلَانِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَعَمْ وَزِدْ" «لِمَاذَا نَقَلْتُ» لِيَعْلَمَ أَتَقَارِئُ مَقْصِدَكَ وَتُمْ قُلْ «مَا الَّذِي أَضَفْتَهُ» إِنْ كُنْتَ قَدْ شَرَحْتَ أَوْ بَيَّنْتَ فَإِنَّ «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا» (حَدِيثٌ) «وَأَجْرُ الْمُتَرْجِمِ مَوْقُوفٌ عَلَى صِدْقِهِ وَعَدْلِهِ» ثُمَّ تَلَا ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الْبَقَرَةُ 111).

ثُمَّ دَعَا الْقَوْمَ إِلَى وَقْفَةٍ سَكُونٍ وَقَالَ "اذْكُرُوا أَنَّ «التَّرْجَمَةَ» مَوْقُوفٌ شَهَادَةٌ فَالْمُتَرْجِمُ يَشْهَدُ لِلْمَعْنَى أَمَامَ قَوْمٍ لَا يَفْهَمُونَ لِسَانَ صَاحِبِهِ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَزِيدَ أَوْ يَنْقُصَ بِهَوَى. وَأَسْتَحْضِرُوا آيَةَ تَقِفْ عَلَى بَابِ اللِّسَانِ حَارِسًا ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾" (ق 18). ثُمَّ قَالَ "وَأَذْكُرُوا «نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها فَأَدَّأها كَمَا سَمِعَ»" (حَدِيثٌ) "فَهَذَا أَصْلُ التَّبْلِيغِ وَصَلْبُ التَّرْجَمَةِ".

وَفِي آخِرِ الْمَجْلِسِ فُتِحَ "دَفْتَرُ الْأَثَرِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "سَنَقِيسُ بَعْدَ أُسْبُوعٍ «الْمُؤَشَّرَ»: هَلِ انْقَطَعَتِ الْأَخْطَاءُ الْمُحَرَّفَةُ لِلْمَعْنَى تَمَامًا فِي مَا نَنْشُرُهُ مِنْ تَرْجَمَاتٍ" ثُمَّ تَلَا ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا

يَرُهُ ﴿الزُّزْنَةُ 7-8﴾. وَقَالَ "وَإِذَا رَأَيْنَا خَطَاً أَصْلَحْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ فَإِنَّ «التَّوْبَةَ وَالْإِصْلَاحَ وَالتَّائِبِينَ» شِعَارُ أَهْلِ الْحَقِّ" ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا﴾ (البقرة 160).

وَعَادُوا بَعْدَ أَيَّامٍ وَفِي الْقُلُوبِ شَوْقٌ إِلَى ثَمَرَةِ الْعَمَلِ فَقَالَ "صَفْوَانُ" وَوَجْهَهُ يُشْعُّ سُرُورًا "مُرَاجَعَاتُنَا لِثَلَاثَةِ أَقْتِبَاسَاتٍ فِي كُلِّ فِرْقَةٍ أَثْمَرَتْ فَقَدْ تَصَحَّحَتِ النَّسَبُ وَأُضِيفَتْ هَوَامِشُ تَرْيَلُ الْإِشْبَاهِ وَأَنْقَطَعَتِ الْأَخْطَاءُ الْمُغَيَّرَةُ لِلْمَعْنَى تَمَامًا" فَقَالَ الْإِمَامُ "الْحَمْدُ لِلَّهِ هَكَذَا يَعْمرُ الْعِلْمُ بِالْأَمَانَةِ" ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه 114).

ثُمَّ رَفَعَ كَفَّيْهِ وَقَالَ "اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَلْسِنَتَنَا صَادِقَةً وَقُلُوبَنَا مُنِيَّةً وَتَرْجَمَاتِنَا عَادِلَةً تُؤَدِّي الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ وَتَرْفَعُ الْبَيَانَ إِلَى مَقَامِ الْهُدَى" ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل 90) وَذَكَرَ "الَّذِينَ النَّصِيحَةُ" (حَدِيثٌ) "فَنُصُوحُ التَّرْجَمَةِ إِخْلَاصٌ وَبَيَانٌ وَوَفَاءٌ". ثُمَّ أَعْلَقَ الصَّحِيفَةَ عَلَى خَاتِمٍ يُشَبِّهُ بِسْمَةَ وَقَالَ "أَمْضُوا عَلَى مِيثَاقِكُمْ وَأَحْمِلُوا الْمَعَانِي عَلَى أَكْفُكُمْ بَرًّا وَعَدْلًا" وَتَرَاجَعَ الْقَوْمُ مِنْ الرِّوَاقِ وَهُمْ يَتَلَاوَنَ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الأنزاب 70) وَيَسْتَحْضِرُونَ "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً" (حَدِيثٌ) لِيَكُونَ التَّبْلِيغُ عَلَى مِيزَانٍ وَالتَّرْجَمَةُ عَلَى عَهْدٍ وَالْبَيَانُ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ صِدْقٍ وَرَحْمَةٍ.

الدَّرْسُ السَّابِعُ: أَدَبُ الْخِلَافِ

تَسَلَّلَ الْمَسَاءُ إِلَى الرُّوَاقِ كَسَكِينَةٍ تَمْشِي عَلَى الْحِجَارَةِ نَاعِمَةً فَتُمْسِكُ
أَطْرَافَ الْأَصْوَاتِ وَتَجْمَعُهَا فِي قَلْبٍ وَاحِدٍ، وَأَصْطَفَتْ الْفَتِيَّةُ وَالْفَتَيَاتُ وَمَعَهُمُ
الْآبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ عَلَى قَوْسٍ يُحَاذِي الْمِحْرَابَ، وَدَخَلَ الْإِمَامُ وَفِي يَدِهِ صَحِيفَةٌ
بَيَضَاءُ كَأَنَّهَا مِيزَانُ قَلْبٍ يُرِيدُ أَنْ يُقِيمَ الْكَلِمَةَ فِي مَوْضِعِهَا. وَقَالَ وَصَوْتُهُ يَحْمِلُ
وَقَارًا وَرَفَقًا "الْيَوْمَ نَتَدَارَسُ «أَدَبَ الْخِلَافِ»، كَيْفَ يَتَحَوَّلُ الْإِخْتِلَافُ طَاقَةً
تَكَامُلٍ لَا مَعُولَ شَقَاقٍ." ثُمَّ تَلَا تِلَاوَةً تُثَبِّتُ الْأَصْلَ وَتَرْفَعُ النَّفْسَ إِلَى سَمَاءِ
الْعَدْلِ

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (الشُّورَى 38)

وَأَتْبَعَهَا بِمِيزَانِ الرُّجُوعِ إِلَى الْوَحْيِ

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النِّسَاءُ 59)

ثُمَّ سَكَتَ سُكُوتًا قَصِيرًا كَأَنَّهُ يَتَلَقَّى فِي قَلْبِهِ رِسَالَةً وَقَالَ "هَذَانِ
عِمَادَانِ، شُورَى تَجْمَعُ وَرُجُوعٌ إِلَى الْحَقِّ يَحْسِمُ."

وَأَشَارَ إِلَى الصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ فَكُتِبَتْ بِخَطٍّ وَاضِحٍ جُمْلَةٌ تَتَأَلَّفُ مِنْ نُورٍ وَعَقْلٍ "الْخِلَافُ إِنْ لَمْ يُوَدَّ إِلَى الزِّيَادَةِ فِي أَلْفِهِمْ فَقَدْ أَضَاعَ الْوَقْتَ وَالْقَلْبَ". وَقَطَعَ السُّكُونُ صَوْتُ "صَفْوَانَ" وَهُوَ يَقُولُ وَفِي نَبْرَتِهِ بَقِيَّةُ حَدِّةٍ "أَيُّهَا الشَّيْخُ، إِذَا أَشْتَدَّ الْخِلَافُ فِي الصَّفِّ فَتَغَلَّبَتْ الْأَهْوَاءُ فَأَيْنَ نَضَعُ أَفْئِدَانَا" فَابْتَسَمَ الْإِمَامُ ابْتِسَامَةً تُطْفِئُ شَرَرَ الْغَضَبِ وَقَالَ "نَضْعُهَا عَلَى سُلَمٍ مِنْ أَرْبَعِ دَرَجَاتٍ: تَهْدِئَةٌ تُطْفِئُ الْغَضَبَ وَتَثْبُتُ يَقْطَعُ سَبِيلَ الْبُهْتَانِ وَحُجَّةٌ تَقُومُ عَلَى الدَّلِيلِ وَدَعْوَةٌ تُفْضِي إِلَى الْإِصْلَاحِ". ثُمَّ قَرَأَ مِفْتَاحًا يَهْدِي الْعَصَبَ وَيَرْفَعُ الْقَلْبَ

﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (فُصِّلَتْ 34)

وَاتَّبَعَهُ بِمِيزَانٍ يَمْنَعُ الْهَوَى مِنَ التَّحَكُّمِ

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاؤُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾
(الْمَائِدَةُ 8).

وَانْفَتَحَ الْمَجْلِسُ عَلَى مَشْهَدٍ مُحْكَمٍ، فَأَمَرَ الْإِمَامُ أَنْ يَقُومَ "رِيَّانُ" فِي طَرَفٍ وَ"رَايَةُ" فِي طَرَفٍ آخَرَ وَقَالَ "سَنُجْرِي مُنَاطَرَةً تَسِيرُ عَلَى قَوَاعِدَ مَكْتُوبَةٍ تَذَكُّرُ الْحُجَجَ لَا الْأَشْخَاصَ". وَرَفَعَ الصَّحِيفَةَ فَقَرَأَ عَلَيْهَا الضَّابِطُ الْأَكْبَرُ

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ (الشُّورَى 10)

وَزَادَ مِفْتَاحًا يَحْفَظُ الْجَمَاعَةَ مِنَ التَّفَلُّتِ

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الْأَنْفَالُ 46).

وَقَالَ "رِيَّانُ" وَفِي صَوْتِهِ حِرْصٌ مُجَادِلٍ يَطْلُبُ الْفَهْمَ "نَزَعُمْ أَنَّ الْإِلَهَ
يَتَقَدَّمُ بِالتَّجَرُّبَةِ الْوَاسِعَةِ، فَأَيْنَ نَضَعُ الْحُدُودَ" فَقَالَتْ "رَايِيَّةُ" وَفِي عَيْنَيْهَا سَكِينَةٌ
مَنْ سَكَنَ الْوَحْيَ "نَضَعُهَا عِنْدَ مِيزَانِ الْمَقْصِدِ وَحِفْظِ الْكِرَامَةِ فَلَا نُجَرِّبُ عَلَى
قُلُوبٍ وَأَرْوَاحٍ." فَقَالَ الْإِمَامُ "جَيِّدٌ، هَذَا مَوْضِعُ الدَّلِيلِ، فَمَا شَاهِدُكُمْ؟" فَقَالَ
"رِيَّانُ" "شَاهِدِي أَنَّ التَّوَاصِيَّ بِالْحَقِّ يَحْتَاجُ إِلَى سَعَةٍ فِي الْإِسْتِمَاعِ" وَتَلَا

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الرُّمُّرُ 18)

وَقَالَتْ "رَايِيَّةُ" "وَشَاهِدِي أَنَّ نَضْعَ الْعَدْلِ فِي الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ" وَتَلَتْ
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النَّحْلُ 90).

فَقَالَ الْإِمَامُ "هَكَذَا يَقُومُ أَلْبَابُ عَلَى بُرْهَانٍ مُنْصِفٍ وَحِلْمٍ يَحْمِلُ الْكَلِمَةَ
إِلَى أَحْسَنِ طَرِيقٍ."

وَدَخَلَ فَتَى مِنْ آخِرِ الْمَجْلِسِ وَفِي يَدِهِ وَرَقَةٌ فِيهَا كَلِمَاتٌ قَاسِيَةٌ قِيلَتْ
فِي سَاحَةِ مَنْ سَوَاحِلِ التَّبَادُلِ، فَقَرَأَهَا الْإِمَامُ ثُمَّ قَالَ "هَذِهِ سَاعَةُ الْبِتْلَاءِ، هَلْ
نَقْدِرُ عَلَى أَنْ نَذْكُرَ الْحُجَّةَ وَنَدَعَ الشَّخْصَ" ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ بِأَيَّةٍ تُهْدِئُ الْقُلُوبَ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الْأَحْزَابُ 70)

وَقَالَ "وَنَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ بِحَدِيثِ جَامِعٍ «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَلْيُتْلُ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمتْ» (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَالَ «مَنْ يَصُوغُ رَدًّا يَسْتُرُ وَيُصْلِحُ»
فَقَالَتْ «حِلْمَةٌ» وَهِيَ تُقَرِّبُ الْكَلِمَاتِ كَمَا تُقَرِّبُ الْأُمُّ صَبِيَّهَا «نُهْدَى الْحَدِيثَ
أَوَّلًا وَنَسْتَغْفِرُ لِلْجَمِيعِ، ثُمَّ نَطْلُبُ الدَّلِيلَ وَنَعْرِضُ مَا عِنْدَنَا، ثُمَّ نَدْعُو إِلَى مُرَاجَعَةٍ
مُشْتَرَكَةٍ فَتَفُوزُ بِالْإِصْلَاحِ»." فَقَالَ الْإِمَامُ "هَكَذَا يَلِيقُ."

وَقَالَ "يَاسِرٌ" وَفِي عَيْنَيْهِ قَلَقٌ مُتَتَبِعٌ لِأَثَرِ الْكَلِمَةِ "أَخَافُ أَنْ يَنْقَلِبَ
الْخِلَافُ عَدَاوَةً تَسْرِي فِي الْقُلُوبِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "أَسْتَظِلُّ بِسَحَابَةٍ مِنْ الْآيِ
وَالْحِكَمِ، فَنَقُولُ

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آلِ عِمْرَانَ 103)

وَنَقُولُ

﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آلِ
عِمْرَانَ 134)

ثُمَّ نَسْتَحْضِرُ مِفْتَاحًا نَبَوِيًّا «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي
يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَالَ "فَإِذَا مَلَكَتْ نَفْسَكَ فِي أَوَّلَى
دَرَجَاتِ الْخِلَافِ فَقَدْ ضَمِنْتَ لِلْقَلْبِ سَلَامَتَهُ."

وَأَرْسَلَ اللَّيْلُ نَسِيمًا يُحَرِّكُ أَطْرَافَ الرِّوَاقي، فَقَالَ الْإِمَامُ "سَنَكْتُبُ آلَانَ

«مَحْضَرٌ خِلَافٍ» لِمَا جَرَى فِي الْمُنَازَرَةِ نَذْكُرُ فِيهِ الْحُجَجَ وَنَدْعُ الْأَشْخَاصَ. "ثُمَّ قَرَأَ وَهُوَ يَخْطُ" وَقَعَ الْخِلَافُ فِي طَرِيقَةِ التَّعَاطِي مَعَ مَسْأَلَةِ تَعْلِيمِيَّةٍ، فَقَالَ أَحَدُ الطَّرَفَيْنِ بِسَعَةِ التَّجَرُّبَةِ وَقَالَ الْآخَرُ بِتَحْرِيرِ الْمَقْصِدِ وَحِفْظِ الْكِرَامَةِ، ثُمَّ أَرْتَفَعَا إِلَى مِيزَانِ الدَّلِيلِ وَاتَّفَقَا عَلَى أَنَّ يَكُونَ الرُّجُوعُ عِنْدَ التَّنَازُعِ إِلَى الْوَحْيِ. "ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ "هَكَذَا نُدِيرُ الْخِلَافَ بِمِيزَانٍ يَذْكُرُ الْحُجَّةَ وَيَسْتُرُ الْأَشْخَاصَ". وَتَلَا مِفْتَاحًا يَكْبِتُ الْهَوَى ﴿حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ﴾ مَعْنَى مُسْتَنْبِطٌ وَإِنْ لَمْ يَصِحَّ حَدِيثًا، ثُمَّ عَادَ فَقَالَ "نَسْتَعْنِي عَنِ الْمُتَشَابِهِ بِالْصَّرِيحِ مِنَ السُّنَّةِ" وَقَرَأَ «بِحَسَبِ أَمْرِي مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ» (حَدِيثٌ).

وَتَحَرَّكَ فِي الْمَجْلِسِ هَمْسٌ كَأَنَّهُ الدُّعَاءُ يَهْدِي الصُّدُورَ، فَقَالَ الْإِمَامُ "إِنَّ أَدَبَ الْخِلَافِ لَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا عَلَى ثَلَاثَةِ قُلُوبٍ: قَلْبٌ يُخْلِصُ، وَقَلْبٌ يَعْدِلُ، وَقَلْبٌ يَصْبِرُ." ثُمَّ تَلَا ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (الْبَقَرَةُ 45) وَقَالَ "وَيُتِمُّهَا مِفْتَاحُ نَبِيِّ جَامِعٌ «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»" (حَدِيثٌ) "فَإِذَا صَارَتِ الْمُنَازَرَةُ نَصِيحَةً زَالَتِ الْعُقْدُ وَانْفَتَحَتْ أَبْوَابُ الْقَلْبِ."

وَقَالَتْ "رَابِيَّةٌ" وَفِي عَيْنَيْهَا لَمْعَةٌ بِصِيرَةٍ "أَحْيَانًا تَتَحَوَّلُ الْكَلِمَةُ لَمَرًا مُقَنَّعًا فَتَوُهِّنُ الْمَجْلِسَ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَسْتَحْضِرُ سُورَتَيْنِ تُغْلِقَانِ بَابَ اللَّزْمِ وَالشَّخْرِِيَّةِ ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ﴾ (الْحُجُرَاتُ 11) وَ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (الْهُمَزَةُ 1) ثُمَّ نَزَعَ الْقَوْلَ إِلَى مِيزَانِ الْإِحْسَانِ. "وَاتَّبَعَ ذَلِكَ بِحَدِيثٍ يَجْمَعُ

الْصُّدُورَ "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ" (حَدِيثٌ).

وَأَشَارَ إِلَى الْحَاضِرِينَ إِشَارَةً مَنْ يَسْتَأْنِسُ بِنُصْحِهِمْ وَقَالَ "هَلْ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَكْتُبَ «بَيَانَ خِلَافٍ» لِلْفَصْلِ الدَّرَاسِيِّ يَذْكُرُ مِيزَانَ الدَّلِيلِ وَالْمَقَاصِدِ وَالشُّورَى" فَقَالُوا "نَعَمْ". فَقَالَ "إِذَا نَفْتَحُ بَابَهُ تَرْفَعُ الْقَلْبَ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (الْحُجُرَاتُ 10) وَنَخْتِمُ بِآيَةٍ تَرْبِطُ الْخِتَامَ بِالْعَدْلِ ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النِّسَاءُ 58)". ثُمَّ قَالَ "وَنَجْعَلُ فِي أَوَّلِ كُلِّ مَجْلِسٍ تَنْبِيهًا يَقُولُ «نَذْكُرُ الْحُجَّةَ وَلَا نَذْكُرُ الشَّخْصَ»".

وَقَامَ صَبِيٌّ صَغِيرٌ وَفِي صَوْتِهِ دُعَابَةٌ طَهْرٍ وَقَالَ "أَحْيَانًا أُحِبُّ أَنْ أَرْفَعَ صَوْتِي لِيُسْمَعَ قَوْلِي" فَضَحِكَ الْمَجْلِسُ رَفَقًا وَقَالَ الْإِمَامُ "الرَّفْعَةُ لِلْحُجَّةِ لَا لِلصَّوْتِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لُقْمَانَ 19) وَقَالَ النَّبِيُّ (ص) «مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَمَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَالَ "فَإِذَا زَانَ الرَّفْقُ قَوْلَكَ زَانَ اللَّهُ بِهِ قَلْبَكَ".

وَسَكَنَ الْهَمْسُ بَعْدَ طَوَافٍ قَصِيرٍ فِي الْقَاعَةِ، فَقَالَ الْإِمَامُ "تَعَالَوْا نَكْتُبَ «عَهْدًا قَصِيرًا» لِهَذَا الْبَابِ: نَفْتَحُ الْحَوَارِ بِذِكْرِ الْقَصْدِ وَنَسْأَلُ عَنِ الدَّلِيلِ وَنُهْدِبُ اللِّسَانَ وَنَرْجِعُ عِنْدَ الْإِشْتِبَاهِ إِلَى أَهْلِ الذِّكْرِ". ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النَّحْلُ 43) وَقَالَ "وَنُثِبْتُ مَعَهُ مِفْتَاحًا يُجَنَّبُ التَّجَاوُزَ

«الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ» (حَدِيثٌ).

وَأَرَادَ أَنْ يَسْتَخْرِجَ مِنْ قُلُوبِهِمْ جَوْهَرًا فَقَالَ "مَاذَا تَفْعَلُونَ إِذَا أَنْفَجَرَ الْخِلَافُ فِي الْبَيْتِ وَأَنْقَلَبَتِ الْكَلِمَاتُ شُطَّائِيًا" فَقَالَتْ "رَأْيِيَّةُ" "نَطْلُبُ سَاعَةَ سُكُونٍ فَنَهْدِي النُّفُوسَ ثُمَّ نَعُودُ إِلَى الْبَيَانِ". فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذِهِ زَاوِيَةٌ سَكِينَةٌ لِلْخِلَافِ، نُطْفِئُ فِيهَا نِيرَانَ الْغَضَبِ ثُمَّ نَعُودُ لِلْحَوَارِ عَلَى مِيزَانٍ". وَتَلَا مَعَهُمْ ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (الْعَصْرُ 3).

وَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ صَاحِبُ الْمَكْتَبَةِ وَمَعَهُ صُنْدُوقٌ صَغِيرٌ فِيهِ قِطْعٌ مِنْ أَوْرَاقٍ تُسَجِّلُ مَوَاقِفَ سَابِقَةٍ لِلْخِلَافِ فِي الصَّفِّ، فَقَالَ الْإِمَامُ "سَنَفْتَحُ الصُّنْدُوقَ فَنَتَعَلَّمُ مِنْ أَخْطَائِنَا". فَفُتِحَ وَقُرِئَتْ قِصَّةٌ عَنْ فَتَى رَفَعَ صَوْتَهُ عَلَى صَاحِبِهِ، فَقَالَ الْإِمَامُ "كَيْفَ نَصْنَعُ" فَقَالَ "رِيَّانُ" "نُذَكِّرُهُ بِأَدَبِ الصَّوْتِ وَنَسْتُرُهُ وَنُثَبِّتُ الْحُجَّةَ" فَقَالَ الْإِمَامُ "وَنَزِيدُ مِفْتَاحًا فِقْهِيًّا «أُدْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» (فُصِّلَتْ 34) فَإِذَا رَجَعَ أَخُوكَ فَاشْكُرْ لَهُ وَاسْتُرْ عَلَيْهِ."

وَقَالَ "صَفْوَانُ" "قَدْ نَعَرَفُ أَدَبَ الْخِلَافِ ثُمَّ نَعِجْزُ عَنْ تَطْبِيقِهِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ بِثَلَاثٍ: دُعَاءٍ يُقِيمُ الْقَلْبَ وَوَرْدٍ يُثَبِّتُ اللِّسَانَ وَتَدْرِيبٍ مُتَكَرِّرٍ يَجْعَلُ الْحِلْمَ عَادَةً". ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشَّمْسُ 7-9) ثُمَّ قَالَ "وَنَجْعَلُ فِي خِتَامِ كُلِّ جَلْسَةٍ اسْتِغْفَارًا يَغْسِلُ غُبَارَ الْكَلِمَاتِ".

وَفِي زَاوِيَةٍ مِنَ الرِّوَاقِ جَلَسَتْ أُمُّ تُصْغِي وَقَالَتْ "أَخَافُ عَلَى بَنَاتِي مِنْ كَلِمَاتٍ فِي الْمَجْمُوعَاتِ تُصِيبُ الْقَلْبَ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَجْعَلُ لَهُنَّ «حَلَقَةَ دَعْمٍ» تُذَكِّرُهُنَّ بِأَنَّ الْكِرَامَةَ مِيزَانٌ لَا يَسْقُطُ، وَنَضَعُ لِكُلِّ مَجْمُوعَةٍ مُنَبِّهًا يَقُولُ «اذْكُرُوا الْفِكْرَةَ وَادْعُوا الشَّخْصَ». " ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (الْبَقَرَةُ 83) وَاتَّبَعَهُ بِحَدِيثٍ يَفْتَحُ بَابَ الرِّفْقِ "«أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» قَالُوا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا قَالَ «تَحْجِزُهُ وَتَمْنَعُهُ» (حَدِيثٌ). فَقَالَتِ الْأُمُّ "هَكَذَا يَسْكُنُ قَلْبِي."

وَإِذَا بِشَابٍّ عَلَى الطَّرَفِ يَقُولُ "أَتَخَوَّفُ مِنْ أَنْ يَظُنَّ النَّاسُ أَنَّ السُّكُوتَ فِي الْخِلَافِ ضَعْفٌ" فَقَالَ الْإِمَامُ "السُّكُوتُ عَنْ فُحْشِ الْقَوْلِ قُوَّةٌ وَتَعَبُدٌ، وَالْبَيَانُ عِنْدَ مَوْضِعِهِ قُوَّةٌ وَعَدْلٌ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الْأَحْزَابُ 70) وَقَالَ النَّبِيُّ (ص) «مَنْ صَمَتَ نَجَا» (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَالَ "فَانْظُرْ أَيْنَ يَكُونُ نَجَاؤُكَ، فَإِنْ كَانَ فِي الْكَلِمَةِ فَتَكَلَّمْ بِالْقِسْطِ وَإِنْ كَانَ فِي السُّكُوتِ فَاسْكُتْ بِالْإِحْسَانِ."

وَتَقَدَّمَ "رِيَّانُ" وَفِي يَدِهِ كِتَابٌ صَغِيرٌ يَدُونُ فِيهِ نَقْطًا مِنْ قَوَاعِدِ الْبَابِ وَقَالَ "أَأَضْعُ فِي صَدْرِ الْمَجْمُوعَاتِ سِتَارًا يَذْكُرُ الصُّوَابِطَ" فَقَالَ الْإِمَامُ "ضَعْنَاهُ وَأَبْدَأُ بِآيَةٍ تَجْمَعُ الصُّدُورَ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الْحُجُرَاتُ 10) وَأَخْتِمُ بِمِيزَانٍ يَرُدُّ التَّنَارُخَ إِلَى الْوَحْيِ ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النِّسَاءُ 59). " ثُمَّ قَالَ "وَاذْكُرُوا

مَعَهُ «مُذَكَّرَةُ النَّبِيِّ» فَتَقُولُ «نَطْلُبُ الْحَقَّ لَا الْقَهْرَ وَنَسْتُرُ لَا نَفْضَحُ».

وَبَعْدَ سَاعَةٍ مِنْ حِوَارِ هَادِيٍّ قَالَ الْإِمَامُ "أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ كَلِمَةً رَأَاهَا مِفْتَاحًا لِلْبَابِ" فَقَالَتْ "رَأَيْتُهُ" "الرَّفْقُ" وَقَالَ "صَفْوَانُ" "الدَّلِيلُ" وَقَالَ "يَاسِرُ" "الْسُّتْرُ" وَقَالَتْ "حِلْمَةُ" "الْعَدْلُ". فَقَالَ الْإِمَامُ "تَمَّ الْبَابُ، رِفْقُ يَفْتَحُ وَدَلِيلُ يَحْكُمُ وَسِتْرٌ يَحْفَظُ وَعَدْلٌ يُتَمُّ". ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النَّحْلُ 90).

وَقَالَ وَهُوَ يَخْتِمُ الْمَجْلِسَ "سَنَحْمِلُ مَعَنَا وَرَقَةً صَغِيرَةً تُسَمَّى «مُذَكَّرَةُ الْخِلَافِ»، نَقْرُوهَا قَبْلَ كُلِّ نِقَاشٍ وَنَضْعُهَا فِي صُدُورِ الْمَجَالِسِ، فَإِذَا قِيلَ «أَرْفَعْ صَوْتَكَ» قُلْنَا «أَرْفَعْ دَلِيلَكَ»، وَإِذَا قِيلَ «سَمِّ الْأَشْخَاصَ» قُلْنَا «سَمِّ الْأَفْكَارَ». ثُمَّ قَرَأَ مَعَهُمْ ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الْبَقَرَةُ 111) وَقَالَ "وَنَخْتِمُ بِدُعَاءٍ يَجْمَعُ الْقُلُوبَ «اللَّهُمَّ ارْأِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَأَرْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ وَارْأِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَأَرْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ»" (مَرْوِيُّ عَنْ عُمَرَ وَغَيْرِهِ). ثُمَّ قَالَ "وَنَتَذَكَّرُ مَعَهُ حَدِيثًا جَامِعًا «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»" (حَدِيثٌ).

وَخَرَجُوا مِنَ الرِّوَاقِ كَأَنَّهُمْ يَحْمِلُونَ جِسْرًا مِنْ نُورٍ يَرِبُطُ بَيْنَ قَلْبَيْنِ، فَإِذَا وَقَعَ الْخِلَافُ فِي الطَّرِيقِ قَالَ أَحَدُهُمْ "«شُورِي»" فَاجْتَمَعُوا، وَإِذَا اشْتَدَّ النِّزَاعُ قَالَ آخَرُ "«رُجُوعٌ إِلَى الْوَحْيِ»" فَانْقَطَعَ الْضِطْرَابُ، وَإِذَا ارْتَفَعَ الصَّوْتُ قَالَ ثَالِثٌ "«قَوْلٌ سَدِيدٌ»" فَانْخَفَضَ، وَإِذَا هَمَّتِ الْأَلْسُنُ أَنْ تَذْكُرَ الْأَشْخَاصَ قَالُوا "«حُجَّةٌ

وَسِتْرٌ» فَسَلِمَ الْمَجْلِسُ. وَفِي آخِرِ الشَّهْرِ رَجَعُوا إِلَى الرَّوَاقِ وَقَدْ حَمَلَ كُلُّ مَنْهُمْ «مَحْضَرًا» يَذْكُرُ فِيهِ مَوَاطِنَ الْخِلَافِ وَكَيْفَ انْقَلَبَتْ إِلَى فُرْصٍ لِلتَّعَلُّمِ، فَقَرَأُوا الْحِصَادَ وَهُمْ يَقُولُونَ "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْاِخْتِلَافَ سُلْمًا لِلْفَهْمِ لَا حَرْبًا لِلْقُلُوبِ".

وَقَامَ الْإِمَامُ يَخْتِمُ فَقَالَ "اللَّهُمَّ أَجْمَعْ قُلُوبَنَا عَلَى هَذَاكَ وَاجْعَلْ خِلَافَنَا زِيَادَةً فِي بَيَانٍ وَعَدْلٍ" ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ (آلُ عِمْرَانَ 103) وَأَتْبَعَهَا بِآيَةٍ تُغْلِقُ الْبَابَ عَلَى كُلِّ تَجَاوُزٍ ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَى ۭٔلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (الْمَائِدَةُ 8) ثُمَّ ذَكَرَ "نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا فَأَذَاهَا كَمَا سَمِعَ" (حَدِيثٌ) لِيَكُونَ بَلَاغُهُمْ فِي الْخِلَافِ بَلَاغًا مُبَارَكًا يَحْمِلُ الْحَقَّ وَيَنْشُرُ السَّلَامَ. ثُمَّ سَلَّمَ وَسَلَّمُوا وَخَرَجُوا وَفِي أَيْدِيهِمْ صَحَائِفُ صَغِيرَةٌ كُتِبَ فِي صَدْرِهَا "شُورَى تَجْمَعُ وَبُرْهَانُ يَحْكُمُ وَسِتْرٌ يَحْفَظُ وَعَدْلٌ يُتَمُّ"، وَفِي ذُبُولِهَا قَوْلٌ يَتَرَجَّعُ فِي الْقُلُوبِ كَالنَّشِيدِ ﴿أَدْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (فُصِّلَتْ 34) وَ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النِّسَاءُ 59) حَتَّى إِذَا عَرَضَ لَهُمْ خِلَافٌ فِي طَرِيقِهِمْ قَامُوا لَهُ بِالرَّفْقِ وَالِدَّلِيلِ وَالسَّتْرِ وَالْعَدْلِ فَصَارَ جِسْرًا إِلَى مَعْرِفَةٍ وَسَلْمًا يَخْرُسُ الْقُلُوبَ.

الدَّرْسُ الثَّامِنُ: لِسَانُ الْجَمَاعَةِ

أَنْسَابَ الْمَسَاءِ عَلَى الرَّوَاقِ فَأَظْلَلَ الْأَعْمِدَةَ بِنُورٍ لَيْلٍ كَأَنَّهُ نَفْسُ رَاحَةٍ
يَتَرَقَّرُ فِي الْجُدْرَانِ وَيُنَادِي الْقُلُوبَ أَنْ تَجْتَمِعَ عَلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ فَدَخَلَ الْأَبَاءُ
وَالْأُمَّهَاتُ وَالْفَتَيَةُ وَالْفَتَيَاتُ وَقَدْ حَمَلَ كُلُّ مِنْهُمَ هَمًّا قَدِيمًا يُرِيدُ لَهُ سَبِيلًا مِنْ
بَيَانٍ يَصْدُقُ وَقَلْبًا يَعْدِلُ فَوَقَفَ الْإِمَامُ فِي صَدْرِ الرَّوَاقِ وَسَلَّمَ سَلَامًا يَنْشُرُ السَّكِينَةَ
ثُمَّ قَالَ وَعَيْنَاهُ تَلْمَعَانِ بِمِيزَانِ رِقَّةٍ وَحِكْمَةٍ "الْيَوْمَ نُصَيِّغُ «لِسَانَ الْجَمَاعَةِ»، صَوْتًا
وَاحِدًا يُؤَدِّي الْحَقَّ بِحِلْمٍ وَيَحْفَظُ الْوَحْدَةَ بِعَدْلٍ". ثُمَّ تَلَا بِصَوْتٍ يَحْمِلُ وَقَارَ
الْأَصْلِ

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آلِ عِمْرَانَ 103)

وَاتَّبَعَهَا بِسُنَّةِ الْأَلْفَةِ الْعُظْمَى

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الْحُجُرَاتُ 10)

ثُمَّ قَالَ "فَإِذَا ثَبَتَتِ الْأُخُوَّةُ وَعُقِدَ حَبْلُ الْأَعْتِصَامِ فَمَا بَعْدَهُمَا إِلَّا صَوْتُ
مُشْتَرَكٍ يَقُولُ بِالْحَقِّ وَيَنْهَى عَنِ الْبَاطِلِ".

وَجَلَسَ الْقَوْمُ فِي قَوْسٍ يُحَاذِي الْمَحْرَابَ كَانَهُمْ خَرِيطَةٌ حَيَّةٌ لِلْحَيِّ كُلِّهِ
فَقَامَ "رَيَّانُ" وَفِي يَدِهِ دَفْتَرٌ يُلُوحُ فِيهِ بَيَاضُ نِيَّةٍ طَيِّبَةٍ وَقَالَ "أَيُّهَا الشَّيْخُ تَتَكَاثَرُ
الْأَصْوَاتُ فِي الْمَجْمُوعَاتِ وَتَتَعَارِضُ الرَّأْيَاتُ فِي الْمَدْرَسَةِ وَالْحَيِّ فَمَنْ يَنْطِقُ
عَنَّا إِذَا نَزَلَتْ نَازِلَةٌ" فَقَالَ الْإِمَامُ وَقَلْبُهُ يَضُمُّ الْحُضُورَ "يَنْطِقُ «مَجْلِسُ صِيَاغَةِ»
يَجْمَعُ رُؤُوسَ الْحِكْمَةِ وَصَوْتَ الشَّبَابِ وَنَظَرَ الْأُمَمَاتِ وَحِرْصَ الْأَبَاءِ فَيَحْرُرُ بَيَانًا
مُشْتَرَكًا يَحْمِلُ الْمَصْلَحَةَ وَيَمْنَعُ الضَّرَرَ." ثُمَّ قَرَأَ مُفْتَحًا يَفْتَحُ بَابَ التَّعَاوُنِ

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (الْمَائِدَةُ

(2)

وَاتَّبَعَهُ بِقَوْلٍ يَرْفَعُ مَنْزِلَةَ الشُّورَى

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (الشُّورَى 38).

وَقَالَتْ "رَابِيعَةُ" وَفِي عَيْنَيْهَا لَمْعَةٌ دِرَايَةٍ "أَتَوَكَّلُ الْجَمَاعَةَ مَنْ يَنْطِقُ عَنْهَا
ثُمَّ لَا تُرَاجِعُهُ" فَقَالَ الْإِمَامُ "لَا بَلْ تُقِيمُ «مِيثَاقَ التَّمَثِيلِ»، فَلَا يَتَكَلَّمُ مُتَكَلِّمٌ
بِاسْمِهَا إِلَّا بِإِذْنٍ وَتَحْدِيدٍ وَمُرَاجَعَةٍ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ (ص) «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ
مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (حَدِيثٌ) "فَمَنْ تَقَدَّمَ لِلشُّطْرِ رَاعٍ لِلْعَهْدِ مَسْئُولٌ عَنْ حِفْظِ
الْكَرَامَةِ وَحَقِّ الْوَحْدَةِ." ثُمَّ قَالَ "وَنَضْعُ «مِيزَانَ الْوَحْدَةِ» أَمَامَ الْقَلَمِ فَلَا يَنْفُذُ فِي
الْوَرَقَةِ مَا يُفَرِّقُ وَلَا يَرْتَفِعُ عَلَى اللِّسَانِ مَا يَشُقُّ الْقُلُوبَ." وَقَرَأَ

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الْأَنْفَالُ 46).

وَأَمَرَ الْإِمَامُ أَنْ تُدَارَ كَأْسُ مَاءٍ بَيْنَ الْحَاضِرِينَ تَسْتَذَكِرُهُمْ طُهُورَ الْكَلِمَةِ فَلَمَّا بَلَغَتْ "صَفْوَان" قَالَ وَهُوَ يَتَأَمَّلُ الرِّوَاقَ "كَيْفَ نُصَدِرُ بَيَانًا عَامًّا وَقَدْ اخْتَلَفَتْ الْأَرَءَاءُ فِي التَّفَاصِيلِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَبْتَدِئُ بِالْكَلِمَةِ الْجَامِعَةِ الَّتِي يَتَّفِقُ عَلَيْهَا الْقَلْبُ وَيَرْضَاهَا الْعَقْلُ ثُمَّ نَذْكُرُ الْقَدْرَ الْمُتَيَقِّنَ مِنَ الْمَعْنَى وَنَدْعُ مَا يَشْتَبِهُهُ إِلَى مَجَالِسِ التَّخْصُّصِ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (الْبَقَرَةُ 83)

وَقَالَ

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ (الْأَنْعَامُ 152).

ثُمَّ زَادَ "وَنَضْعُ «مِيزَانَ الْمَصْلَحَةِ» فَمَا رَجَحَ نَفْعُهُ وَقَلَّ ضَرَرُهُ قَدِّمْنَاهُ وَمَا غَلَبَ ضَرَرُهُ أَجْلَيْنَاهُ أَوْ رَفَضْنَاهُ".

وَحِينَ سَكَتَتِ الْأَصْوَاتُ سُكُوتَ الْإِنْتَظَارِ قَالَ الْإِمَامُ "سَنُجْرِي الْآنَ «مَشْهَدَ صِيَاغَةٍ» نُحَرِّرُ فِيهِ بَيَانًا يُعَبِّرُ عَنِ الْحَيِّ فِي مَسْأَلَةٍ تَتَعَلَّقُ بِسَلَامَةِ الصِّغَارِ عِنْدَ الْمَخَارِجِ" فَقَامَتِ "رَابِيعَةٌ" وَقَالَتْ "أُقْتَرَحُ أَنْ نَفْتَحَ الْبَيَانَ بِآيَةٍ تُثَبِّتَ مَعْقِدَ الْقَلْبِ" فَهَزَّ الْإِمَامُ رَأْسَهُ رِضًا وَتَلَا هُوَ وَمَعَهُمُ الْحَاضِرُونَ

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الْحُجُرَاتُ 10)

ثُمَّ قَالَ "وَنَجْعَلُ فِي صَدْرِهِ قَوْلًا يُعْلِنُ الْعُذْرَ وَيَجْمَعُ عَلَى الْخَيْرِ وَنَخْتِمُهُ بِدُعَاءٍ وَوَعْدٍ بِالْعَمَلِ". وَقَالَ "وَلَنَذْكُرَ قَاعِدَةً تُقِيمُ الْاجْتِمَاعَ

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آلِ عِمْرَانَ 159)

فَلَا يَصْلُحُ بَيَانٌ يَتَفَرَّدُ بِهِ رَأْيٌ دُونَ الْجَمَاعَةِ."

وَقَامَ "يَاسِرٌ" وَفِي وَجْهِهِ ظِلٌّ مِنْ هَمٍّ قَدِيمٍ "أَخَافُ أَنْ يَزْعِمَ النَّاسُ أَنَّ صَوْتَنَا يُغَالِبُ أَصْوَاتًا أُخْرَى فَكَيْفَ نُثَبِّتُ الْعَدْلَ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نُثَبِّتُهُ بِ«مِيزَانِ الدَّلِيلِ» وَ«مِثَاقِ التَّمَثِيلِ» فَتَقُولُ فِي ذَيْلِ الْبَيَانِ: «قَدْ رَاجَعَ هَذَا الْمَتْنُ مَنْ حَضَرَ مِنْ أَهْلِ الْحَيِّ وَأَخَذَ فِيهِ «قَدْرٌ أَذْنَى مِنَ الْاجْتِمَاعِ» يَرْجِعُ إِلَى الْغَالِبِ الْأَعْظَمِ مِنَ الْقُلُوبِ». وَنَجْعَلُ لِمَنْ خَالَفَ مَتْنًا مُهِمًّا بَابًا لِلتَّعْقِيبِ الْمُهَذَّبِ لِكَيْ لَا تَضِيقَ الصُّدُورُ وَلَا تَنْقَطِعَ الرُّوَاطِبُ" ثُمَّ قَرَأَ

﴿أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (الْمَائِدَةُ 8).

وَدَخَلَ عَلَيْهِمْ مُعَلِّمُ الصَّبِيَّةِ وَمَعَهُ قَائِمَةٌ بِمَلَا حَظَاتٍ فَقَالَ الْإِمَامُ "اقْرَأْ" فَقَرَأَ فِيهَا أَلْسِنَةً تَتَسَبَّحُ وَنَفْسًا يَرْتَفِعُ تَارَةً وَيَخْفُتُ تَارَةً فَقَالَ الْإِمَامُ "لَا يُنْشَرُ بَيَانٌ حَتَّى يُعَالَجَ «الْمِزَاجُ اللَّفْظِيُّ» بِصِيَاعَةٍ تَجْمَعُ وَلَا تُفَرِّقُ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ (ص) «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» (حَدِيثٌ)

"فَدَعُ مَا يَسْتَفِزُّ وَتَقَدَّمْ مَا يَبْنِي". ثُمَّ قَرَأَ

﴿قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (الْبَقَرَةُ 83)

لِيَجْعَلَ الْكَلِمَةَ نُورًا يَسْرِي لَا شَرَارًا يَحْرِقُ.

وَتَقَدَّمَتْ "حِلْمَةٌ" وَفِي يَدِهَا قِطْعَةٌ قَصَبٍ تَكْتُبُ بِهَا وَقَالَتْ "أَقْتَرِحُ أَنْ
نَبْدَأَ بِبَسِيرٍ مِنْ تَعْرِيفِ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ ثُمَّ نَذْكُرُ الْمُشْكِلَ ثُمَّ نُشْنِي بِالْحَلِّ
الْمُشْتَرَكِ ثُمَّ نَدْعُو الْجَمِيعَ إِلَى التَّوَاصِي" فَقَالَ الْإِمَامُ "أَحْسَنْتِ فَالتَّوَاصِي خَاتِمَةُ
بَيَانٍ يُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ وَقَدْ قَالَ

﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (الْعَصْرِ 1-3).

ثُمَّ قَالَ "وَنُثِبْتُ فِي ذَيْلِهِ أَنْ النَّشْرَ لَا يَقَعُ حَتَّى يَبْلُغَ «قَدْرًا أَدْنَى مِنْ
الْإِجْمَاعِ» يَتَحَرَّكُ بَيْنَ سُكَّانِ الْحَيِّ وَأُسْرِ الطُّلَابِ".

وَتَحَرَّكَ الْقَلَمُ فِي الرُّوَاقِ كَأَنَّهُ طَيْرٌ يُنْقَبُ عَنْ بُذُورِ الْحِكْمَةِ فَتَسَاقَطَتْ
جُمْلٌ طَيِّبَةٌ تُشَبِّهُ حَبًّا يُنْبِتُ فِي الصُّدُورِ وَقَدْ كُتِبَ فِي صَدْرِ الصَّحِيفَةِ "بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" وَتَحْتَهَا

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ (آلْ عِمْرَانَ 103)

ثُمَّ نَصُّ يُقَرُّ بِكَرَامَةِ الْجَوَارِ وَحَقِّ الصَّغَارِ فِي السَّلَامَةِ وَيَدْعُو الْمُدْرَسَةَ
وَأَهْلَ السُّوقِ إِلَى التَّنَاسُقِ فِي الْمَخَارِجِ وَالْمَدَاحِلِ مَعَ تَذْكِيرٍ بِأَنَّ الْمُخَالَفَ أَخْ
فِي الْأَصْلِ وَأَنَّ الرَّفْقَ سُلَّمُ الْإِصْلَاحِ. وَقَدْ كُتِبَ فِي خَاتِمِهِ دُعَاءٌ وَعَدٌ بِمُرَاجَعَةِ
مُسْتَمِرَّةٍ وَذِكْرُ مَوْعِدٍ لِتَجْدِيدِ التَّقْيِيمِ.

وَيَبْنِيهِمْ هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذَا قَامَ فَتَى صَغِيرٌ يَطْلُبُ نَصِييًّا مِنَ الْكَلِمَةِ فَقَالَ
"اتَّجِدُونَ لَنَا فِي السَّنَةِ مِفْتَاحًا يُشَدِّدُ عَضْبَ الْجَمَاعَةِ" فَقَالَ الْإِمَامُ وَسُرُورٌ يَسْرِي
فِي صَوْتِهِ "نَعَمْ قَدْ قَالَ النَّبِيُّ (ص) «يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ»" (حَدِيثٌ) "وَقَالَ
«الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»" (حَدِيثٌ) "وَقَالَ «إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ
فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ»" (حَدِيثٌ) "فَهَذَا أَصْلُ التَّوْحِيدِ فِي الصَّوْتِ وَالتَّعَاوُنِ
فِي الْإِدَارَةِ."

ثُمَّ قَالَ "وَأَسْتَحْضِرُوا مَعَهُ قَوْلًا آخَرَ جَامِعًا «لَا يَحِلُّ لِحَدِيثٍ أَنْ يَهْجُرَ
أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ»" (حَدِيثٌ) "فَلَا يَسْتَحِيلُ الْخِلَافُ هَجْرًا يَقْطَعُ الْقُلُوبَ بَلْ
يَبْقَى فِي حُدُودِ الْبَيَانِ وَالْعُذْرِ وَالرَّحْمَةِ." ثُمَّ تَلَا

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ
حَوْلِكَ﴾ (آلْ عِمْرَانَ 159)

لِيَضَعَ حَرْفَ الرَّفْقِ فِي صَدْرِ كُلِّ جُمْلَةٍ.

وَبَعْدَ أَنْ فُرِغَ مِنْ صِيَاغَةِ أَلْمَتَنِ قَالَ الْإِمَامُ "لَا يَنْفُذُ هَذَا الْبَيَانُ إِلَى التَّنَادُلِ حَتَّى نَقِيسَ «قَدْرَهُ فِي الصُّدُورِ» فَنَعْرِضُهُ عَلَى الْأُسْرِ وَمَجْلِسِ التَّلْعِيمِ وَأَهْلِ التَّجَارَةِ فَإِذَا بَلَغَ «قَدْرًا أَذْنَى مِنْ الْإِجْمَاعِ» أَجْرَيْنَاهُ وَإِلَّا رَاجَعْنَاهُ بِقَدْرِ مِنَ التَّصْحِيحِ يَرْفَعُ الْخِلَافَ وَيَسْتَصْحِبُ الْوَحْدَةَ." ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التَّغَابُنُ 16) لِيَجْعَلَ الْمَعْيَارَ رَحِيمًا وَالطَّرِيقَ مُسْتَقِيمًا.

وَبَيَّنَ الْأَيْدِي صَحِيفَةً تُلَوِّحُ فِيهَا خَاتِمَةً بِيَدِ "رَآيِيَّةٍ" تَكْتُبُ فِيهَا "إِنَّ هَذَا الْبَيَانَ يُعْبَرُ عَمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَيِّ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَيَتَجَدَّدُ تَقْيِيمُهُ بَعْدَ اسْتِمَاعِ وَاسِعٍ" وَقَدْ وُضِعَ فِي ذَيْلِهِ "وَقْتُ لِلنَّظَرِ الْمُسْتَأْنَفِ" وَإِشَارَةٌ إِلَى آيَاتِ الْجَامِعَةِ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الْحُجُرَاتُ 10) ﴿وَأَعْتَصِمُوا﴾ (آلُ عِمْرَانَ 103) وَقَوْلُ نَبِيِّيٍّ يَبْعَثُ عَلَى الْإِتْقَانِ «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ الْعَبْدُ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ» (رُؤْيَى فِي حَدِيثٍ بِمَعْنَى) فَقَالَ الْإِمَامُ "نَسْتَغْنِي عَنِ الضَّعِيفِ بِالصَّحِيحِ وَنَجْعَلُ مِيزَانَنَا الْوَاضِحَ فِي الْآيِ وَالْأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ وَإِنْ ذَكَرْنَا مَا يُرْوَى بِمَعْنَى بَيِّنًا ذَلِكَ." ثُمَّ قَرَأَ «نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها فَأَذَاهَا كَمَا سَمِعَ» (حَدِيثٌ) لِيَكُونَ التَّلْبِيغُ عَلَى طَرِيقِ الْأَمَانَةِ.

وَأَنْفَتَحَ الْبَابُ عَلَى «مَجْلِسِ صِيَاغَةِ» يَشْهَدُ لَهُ الْمِحْرَابُ وَالرَّوَاقُ فَقَامَ فِيهِ ثَلَاثَةُ عَشَرَ نَفْسًا مِمَّنْ يَسْتَجْمِعُونَ عَيْنَ الْحَيِّ فِي النَّظَرِ وَقَلْبُهُ فِي الرَّحْمَةِ فَنَظَرُوا فِي الْأَلْفَاظِ وَفِي الْجُمَلِ وَفِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ "سَنَقْرَأُ

الْمَنْ بَابًا بَابًا وَمَنْ رَأَى مَوْضِعَ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصٍ فَلْيُشِرْ بِإِمَاءَةٍ ثُمَّ يَتَكَلَّمْ فِي دَوْرِهِ" وَقَرَأُوا وَعَدَلُوا وَسَكَتَتِ الْكَلِمَاتُ عَلَى صُورَةٍ تُرْضِي الْعُقُولَ وَتَسْكُنُ لَهَا الْقُلُوبُ.

ثُمَّ جُمِعَتِ الْأَمْصِيَّةُ فَوْقَ صَفْحَةٍ وَاحِدَةٍ وَكُتِبَ تَحْتَهَا "قَدَّرْ أَذْنِي مِنَ الْإِجْمَاعِ" وَعَادَ الْقَوْمُ بَعْدَ أَيَّامٍ لِيُقَيِّسُوا الْأَثَرَ فَقَالَ الْمُعَلِّمُ "ارْتَفَعَ الْإِلْتِزَامُ الدَّاخِلِيُّ بِمَا ذُكِرَ فِي أَلْبَيَانٍ إِلَى تِسْعِينَ فِي الْمِائَةِ وَاسْتَقَامَ النَّظَامُ عِنْدَ الْمَخَارِجِ وَالْمَدَاخِلِ" فَابْتَهَجَ الرَّوَاقُ وَقَرَأَ الْإِمَامُ ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ (هُودُ 36) ثُمَّ قَالَ "إِنَّمَا نَطْلُبُ مَا نَقْدِرُ عَلَيْهِ وَنَبْدُلُ وَسَعْنَا ثُمَّ نَسْتَمْسِكُ بِحَبْلِ اللَّهِ" وَقَرَأَ ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (آلْ عِمْرَانَ 159).

وَقَامَ "صَفْوَانُ" يَسْأَلُ سُؤَالَ يَشُقُّ طَرِيقًا فِي الْعَمَلِ "مَاذَا إِذَا انْفَرَدَ بَعْضُنَا بِنَشْرِ قَوْلٍ يُخَالِفُ مَا اجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَجْعَلُ لَذَلِكَ «سَلَّمَ تَذَارُكٌ»، أَوَّلُهُ نُصَحٌ سِرِّيٌّ يَذْكُرُ وَيَسْتَرْ وَثَانِيهِ مُرَاجَعَةٌ حَكِيمَةٌ تُصَحِّحُ وَتُبَيِّنُ وَثَالِثُهُ بَيَانٌ مُشْتَرَكٌ يَرْفَعُ الْإِشْتِبَاهَ إِنْ احتِيجَ إِلَيْهِ" ثُمَّ قَرَأَ ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (فُصِّلَتْ 34) وَذَكَرَ «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ» (حَدِيثٌ) لِيَجْعَلَ التَّذَارُكَ طَاعَةً وَسُقْيَا لِلْقُلُوبِ.

وَجَرَى بَعْدَ ذَلِكَ مَشْهُدٌ آخَرُ يَخْتَبِرُ صَلَابَةَ أَلْبَيَانٍ فَقَدْ حَدَّثَتْ قَضِيَّةٌ فِي السَّاحَةِ تَعَلَّقَتْ بِحُدُودِ التَّصَرُّفِ فِي الْمَرْجِ الصَّغِيرِ فِي طَرَفِ الْحَيِّ فَأَرْتَفَعَتْ الْأَصْوَاتُ وَكَادَ يَتَفَتَّقُ الْحَبْلُ فَنَادَى الْإِمَامُ "اجْمَعُوا الْقُلُوبَ عَلَى الْحَبْلِ" وَقَرَأَ

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ (آلْ عِمْرَانَ 103) ثُمَّ فَتَحَ «مَجْلِسَ الصِّيَاغَةِ» وَقَالَ "نَحَرَّرْ جُمْلَتَيْنِ تَضْمَانِ الْحَقَّ لِلْجَمِيعِ: حَقَّ الْإِسْتِمْتَاعِ وَحَقَّ الْحِفْظِ" فَصَاغُوا كَلَامًا لَيْنًا يَضَعُ أَوْقَاتًا وَحُدُودًا وَيَسْتَقْبِلُ الْمُلَاحَظَاتِ بِصَدْرٍ وَاسِعٍ وَأُرْسِلَ إِلَى الدُّورِ فَرَجَعَ بِتَرْكِيَّاتٍ تُقَرِّبُهُ مِنْ «الْإِجْمَاعِ».

وَبَقِيَ الْإِمَامُ بَعْدَ الْمَجْلِسِ قَلِيلًا يُضْغِي إِلَى هَمَسِ الرُّوَاقِ ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَجْمَعُ أَطْرَافَ الْكَلِمَةِ "لَا يَتِمُّ «لِسَانُ الْجَمَاعَةِ» إِلَّا بِقَلْبٍ مُخْلِصٍ وَعَقْلٍ مُنْصِفٍ وَصَبْرٍ يُتِمُّ الطَّرِيقَ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ (الْبَقَرَةُ 45) وَقَالَ النَّبِيُّ (ص) «مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَمَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ» (حَدِيثٌ) "فَاجْعَلُوا الرِّفْقَ زِينَةً بَيَانِكُمْ وَالْعَدْلَ قِسْطَاسَهُ وَالْوَحْدَةَ رُوحَهُ."

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ انْتَهَى نَسْخُ الصَّحِيفَةِ وَوُزَعَتْ فِي الدُّورِ وَعُلِّقَتْ فِي صَدْرِ الْمَدْرَسَةِ وَوُضِعَتْ نُسْخَةٌ فِي الْمَسْجِدِ تَحْتَ لَوْحَةٍ صَغِيرَةٍ كُتِبَ فِيهَا ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يُوسُفُ 108) وَقَدْ أُدِيرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ مَجَالِسُ صَغِيرَةٌ لِلْإِصْغَاءِ إِلَى الْمُلَاحَظَاتِ فَتَلَقَّوْا مَا وَرَدَ بِصُدُورٍ مُنْشَرِحَةٍ وَعُدَّتْ جُمْلٌ قَلِيلَةٌ عَلَى قَاعِدَةٍ «مَصْلَحَةِ أَرْجَحِ» وَ«وَحْدَةِ أَوْثَقِ» ثُمَّ أُعْلِنَ «مَوْعِدُ الْمُرَاجَعَةِ الدَّوْرِيَّةِ» بَعْدَ شَهْرٍ لِيَبْقَى الْبَيَانُ حَيًّا يَتَجَدَّدُ بِمِيزَانٍ وَيَثْبُتُ بِأَصْلِ.

وَحِينَ أَذِنَ الْمُؤَدِّنُ الْمَغْرِبَ اخْتَتَمَ الْإِمَامُ الْمَجْلِسَ وَقَالَ "اللَّهُمَّ اجْمَعْ

كَلِمَتَنَا عَلَى الْحَقِّ وَاجْعَلْ بَيَانَنَا رَحْمَةً وَعَدْلًا" ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل 90) وَقَالَ "وَنَتَذَكَّرُ قَوْلَهُ (ص) «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ»" (حَدِيثٌ) ثُمَّ قَالَ "أَمْضُوا فِي طَرِيقِكُمْ وَأَحْمِلُوا صَحِيفَتَكُمْ عَلَى كَفَيْنِ مِنْ رِفْقٍ وَعَدْلٍ وَاجْعَلُوا لِسَانَ الْجَمَاعَةِ دُعَاءً وَصِدْقًا وَوَعْيًا".

وَخَرَجَ الْقَوْمُ وَقَدْ حَمَلَ كُلُّ مِنْهُمْ فِي صَدْرِهِ نُسْخَةً صَغِيرَةً مِنَ الصَّحِيفَةِ تَتَرْتَمُ فِيهَا الْآيَاتُ الْجَامِعَاتُ وَتَتَرَسَّخُ فِيهَا الْقَوَاعِدُ الثَّلَاثُ: «مِيزَانُ الْوَحْدَةِ» وَ«مِيزَانُ الْمَصْلَحَةِ» وَ«مِثَاقُ التَّمَثِيلِ» فَإِذَا عَرَضَتْ قَضِيَّةٌ فِي الطَّرِيقِ قَالَ أَحَدُهُمْ "نَسْتَمْسِكُ بِحَبْلِ اللَّهِ" وَتَلَا ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ (آلُ عِمْرَانَ 103) وَإِذَا اخْتَلَفَتِ النِّظَرَاتُ قَالَ آخَرُ "نَرْفَعُ الْخِلَافَ إِلَى الْوَحْيِ" وَتَلَا ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النساء 59) وَإِذَا ضَاقَ الصَّدْرُ قَالَ ثَالِثٌ "نُلَطِّفُ الْكَلِمَةَ" وَتَلَا ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة 83) فَيَمْضُونَ وَالْقُرْيَةُ مِنْ حَوْلِهِمْ تَكْتَسِي بِخُضْرَةِ سَلَامٍ وَنِضَارَةِ عَدْلٍ.

وَبَعْدَ أُسْبُوعَيْنِ عَادُوا إِلَى الرِّوَاقِ وَقَدْ حَمَلُوا «دَفْتَرَ الْأَثَرِ» فَقَرَأُوا فِيهِ أَنَّ النِّزَاعَاتِ الصَّغِيرَةَ قَدْ أَنْخَفَضَتْ وَأَنَّ التَّزَامَ الْأُسْرَ بِمَا فِي الْبَيَانِ قَدْ ارْتَفَعَ إِلَى نِسْبَةِ تُسْرِ الْقُلُوبِ وَبُشَيْرِ الرَّصْدِ إِلَى أَنَّ «نِسْبَةَ الْإِلْتِزَامِ الدَّاخِلِيَّ» قَدْ بَلَغَتْ تِسْعِينَ فِي الْمِائَةِ فَقَالَ الْإِمَامُ "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِلْكَلِمَةِ رُوحًا تُصْلِحُ وَجَعَلَ

لِلْجَمَاعَةِ لِسَانًا يَعْدِلُ" ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التَّوْبَةُ 105) وَقَالَ "نَمْضِي فَنُثَبِّتُ الْعَمَلَ وَنُجَدِّدُ التَّقْيِيمَ وَنَبْقَى
عَلَى الْحَبْلِ مَعًا."

وَتَمَّ الْمَجْلِسُ وَقَدْ أَمْتَحَنُوا «لِسَانَ الْجَمَاعَةِ» فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ فَثَبَّتَ
وَأَثَمَرَ وَعَادَ كُلُّ إِلَى بَيْتِهِ وَفِي نَفْسِهِ بَسْمَةً طُمَأْنِينَةً يَحْمِلُهَا قَوْلُ كَرِيمٍ ﴿إِنْ
تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ (الْأَنْفَالُ 19) وَقَوْلُ آخَرٍ أَحَبُّ إِلَى الْقُلُوبِ ﴿إِنَّ
اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الْبَقَرَةُ 153) فَيَمْضُونَ وَهُمْ يَقُولُونَ "سَنَظِلُّ نَنْطِقُ بِلِسَانِ
وَاحِدٍ يَحْمِلُ الْحَقَّ وَيَرْفَعُ الرَّحْمَةَ وَيَحْرُسُ الْوَحْدَةَ" وَيَسْتَحْضِرُونَ كُلَّمَا هَمَّتْ
نَفْسُهُمْ بِفُرْقَةٍ "«عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ»" (حَدِيثٌ) فَيُجِيبُهُمُ الْقَلْبُ
"سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا" وَيُجِيبُهُمُ الْعَقْلُ "هَذَا هُوَ الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ."

الدَّرْسُ التَّاسِعُ: دَلِيلُ الْأُسْلُوبِ

تَسَلَّلَ الْمَسَاءُ إِلَى الرِّوَاقِ كَأَنَّهُ نَسَمَاتٌ مِنْ رَاحَةٍ تُهْدِي الْأَصْوَاتَ
وَتَجْمَعُ الْقُلُوبَ عَلَى قَصْدٍ وَاحِدٍ فَدَخَلَ الْأَبَاءُ وَالْأُمَهَاتُ وَالْفَتَيَةُ وَالْفَتَيَاتُ يُدْنُونَ
كَرَاسِيَهُمُ الْخَشَبِيَّةَ مِنْ حَافَةِ الصَّفَةِ وَيَنْظُرُونَ إِلَى الْمِحْرَابِ نَظْرَةً مَنْ يَسْتَأْنِسُ
بِسَكِينَتِهِ وَيَسْتَفْتِحُ لِقَابِهِ بَابَ الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ وَقَامَ الْإِمَامُ وَفِي يَدِهِ صَحِيفَةٌ
مَشْرُوبَةٌ بِنُورِ الْمَعَانِي وَقَالَ وَصُوتُهُ يَحْمِلُ حِلْمًا وَحَزْمًا "الْيَوْمَ نَكْتُبُ «دَلِيلَ
الْأُسْلُوبِ»، مِيزَانًا لِلْكَلِمَةِ يُقِيمُهَا عَلَى السَّدَادِ وَيُطَبِّقُهَا بِاللِّينِ وَيَرْفَعُهَا إِلَى بَلَاحٍ
يُبْلُغُ الْحَقَّ إِلَى مَوْضِعِهِ. " ثُمَّ تَلَا تِلَاوَةً تُثَبِّتُ الْقَلْبَ عَلَى قِسْطَاسِ الْقَوْلِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الْأَحْزَابُ 70)

وَاتَّبَعَهَا بِمِفْتَاحٍ يُهْدِي نَفْسَ الْبَيَانِ

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا﴾ (طه 44)

ثُمَّ قَالَ "فَهَذَا الْقُطْبَانِ اللَّذَانِ يَدُورُ عَلَيْهِمَا الْأَدَاءُ، سَدَادٌ يَحْفَظُ الْمَعْنَى
وَيَقْطَعُ سَبِيلَ الرِّبْغِ وَلَيْنٌ يَحْفَظُ الْقَلْبَ وَيَقْطَعُ سَبِيلَ الْقَسْوَةِ. " وَقَرَأَ يُذَكِّرُ بِمِثَاقِ

اللِّسَانِ

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الْإِسْرَاءُ 53) وَاتَّبَعَهَا بِمِيزَانِ

الرَّصْدِ

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق 18).

وَانْفَتَحَ الْمَجْلِسُ عَلَى هَمْسٍ رَقِيقٍ كَأَنَّهُ تَمْهِيدٌ لِعَقْدٍ جَدِيدٍ فَقَالَ "رَيَّانُ" فِي يَدِهِ دَفْترٌ صَغِيرٌ "هَلْ لِلْكَلِمَةِ خُطُواتٌ نَسِيرُ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَفْوَاهِنَا وَقَبْلَ أَنْ تَسِيرَ فِي الرِّسَائِلِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَعَمْ، نُقِيمُ لَهَا ثَلَاثَ مَقَاطِعَ فِي الدَّاحِلِ ثُمَّ نَفْتَحُ لَهَا بَابًا فِي الْخَارِجِ، أَوَّلُهَا «نَيْتُهُ تُصْلِحُ»، وَثَانِيهَا «مَعْنَى يَتَبَيَّنُ»، وَثَالِثُهَا «عِبَارَةٌ تُهْدَبُ»، ثُمَّ يَكُونُ الْإِرْسَالُ بَعْدَ عَرْضٍ عَلَى الدَّلِيلِ. "ثُمَّ قَالَ "نَسْتَفْتِحُ بِمِفْتَاحِ نَبَوِيِّ جَامِعٍ «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»" (حَدِيثٌ) "فَنَجْعَلُهُ تَاجًا عَلَى الْجُمْلَةِ وَسَدًّا فِي وَجْهِ اللَّغْوِ".

وَقَالَتْ "رَابِيَةُ" فِي عَيْنَيْهَا لَمْعَةٌ تَدْبُرُ "كَيْفَ نُقِيمُ مَرَاتِبَ الْكَلِمَةِ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالطَّلَبِ وَالرَّجَاءِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نُرَتِّبُهَا عَلَى مِيزَانِ الْقُلُوبِ وَالْأَسْمَاعِ فَنَبْدَأُ بِلطيفِ الدُّعَاءِ فَإِنْ نَفَعَ أَنْصَرَفْنَا وَإِلَّا صَبَرْنَا إِلَى تَعْرِيفِ نَاصِحٍ ثُمَّ إِلَى تَوْجِيهِ مُؤَدِّبٍ ثُمَّ إِلَى أَمْرِ مَسْئُولٍ يَحْفَظُ الْكِرَامَةَ وَيُقِيمُ النِّظَامَ وَمَعَ الْكُلِّ نَضْعُ لَفْظَ الْإِسْتِعْطَافِ وَالْعُذْرِ فِي طَرَفِ الْجُمْلَةِ لِكَيْ لَا يَضِيقَ الصَّدْرُ. "ثُمَّ تَلَا يُثْبِتُ

مِيزَانُ الدَّعْوَةِ

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل 125).

وَانْقَسَمَ الْحَدِيثُ فِي الرُّوَاقِ إِلَى مَشَاهِدَ صَغِيرَةٍ تُشَبِّهُ خُطُوطًا عَلَى الْوَرَقِ يُتَبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَقَالَ الْأِمَامُ "سَنُوسِكُ الْآنَ بِقَلَمٍ وَاحِدٍ وَنَكْتُبُ «دَلِيلَ الْأُسْلُوبِ» فِي صَفْحَةٍ وَاحِدَةٍ تَعْلُقُ فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ وَفِي قَاعَةِ الدَّرَاسَةِ وَعَلَى بَابِ الْمَكْتَبَةِ" ثُمَّ قَالَ "نَسْتَفْتِحُهُ بِآيَةِ الْجَامِعَةِ لِلْسَّدَادِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾" (الاحزاب 70)

"ثُمَّ نُلْحِقُهَا بِمِفْتَاحِ الْلِّينِ

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّينًا﴾" (طه 44)

"ثُمَّ نَكْتُبُ تَحْتَهُمَا جُمْلَةً مِيزَانِيَّةً تُقَالُ قَبْلَ كُلِّ رِسَالَةٍ «هَلْ هَذَا قَوْلٌ سَدِيدٌ وَهَلْ هُوَ لَيْنٌ يُبْلَغُ مَعْنَاهُ». ثُمَّ قَالَ "وَنَضْعُ فِي الْطَّرَفِ تَذْكِيرًا بِمِثَاقِ الرِّقَابَةِ

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾" (ق 18)

"لِيَسْتَحْيِيَ الْقُلُوبَ مِنَ التَّسَاهُلِ".

وَأَسْنَدَ الْإِمَامُ ظَهْرَهُ إِلَى الْعُمُودِ وَقَالَ "الْأُسْلُوبُ جِسْرٌ بَيْنَ النَّبِيِّ وَالْمُتَلَقِّي
فَإِذَا انْكَسَرَ الْجِسْرُ ضَاعَ الْمَقْصِدُ وَتَنَاقَرَتِ الْأَثَرُ" ثُمَّ قَرَأَ

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الرُّمُّ 18)

"فَجَعَلَ «أَحْسَنَ الْقَوْلِ» غَايَةَ نُرْبِيِّ عَلَيْهَا الْبَيَانَ". وَقَالَ "وَنَسْتَوْصِي
بِحَدِيثٍ يُقِيمُ الْمِزَاجَ فِي الْعِبَارَةِ «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا»"
(حَدِيثٌ) "فَمَا كَانَ فِيهِ تَنْفِيرٌ نَقَصْنَاهُ وَمَا كَانَ فِيهِ بُشْرَى رَفَعْنَاهُ".

وَقَامَ "صَفْوَانُ" يُجَرِّبُ قَلَمَهُ فَقَالَ "إِنِّي كَتَبْتُ رِسَالَةً فِي الصَّبَاحِ وَأَخَافُ
أَنْ يَكُونَ فِيهَا حِدَّةٌ" فَقَالَ الْإِمَامُ "اقْرَأْهَا عَلَيَّ «الدَّلِيلِ» قَبْلَ الْإِرْسَالِ" فَقَرَأَ جُمْلَةً
مُتَسَرِّعَةً فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذِهِ جُمْلَةٌ تُخَالِفُ مِيزَانَ اللَّيْنِ فَاسْتَبْدِلْ «أَتَمَنَّى» بِ«أُمِرْتُ»
فِي مَوْضِعِ الْأَدَبِ وَاسْتَعِنْ بِجُمْلَةٍ عُذْرٍ تَسْتُرُ الْقَصْدَ" ثُمَّ قَالَ "أَذْكُرُ مَعَهَا مِفْتَاحًا
يَتَأَدَّبُ بِهِ الصَّوْتُ

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ (لُقْمَانُ 19).

وَهَزَّ رَأْسَهُ وَقَالَ "وَمَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَمَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
شَانَهُ" (حَدِيثٌ).

وَفِي طَرَفِ الصَّفِّ جَلَسَتْ "حِلْمَةُ" تُرَاجِعُ مَا كَتَبَتْهُ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ
لِإِدَارَةِ الْحَلَقَةِ فَقَالَتْ "أَخْشَى أَنْ يَطُولَ الْبَيَانُ فَيَذْهَبَ الْمَقْصِدُ" فَقَالَ الْإِمَامُ

"أَقْطَعِي الزِّيَادَةَ وَاحْمِلِي الْمَعْنَى فِي جُمْلَةٍ جَامِعَةٍ فَإِنَّ «قِلَّةَ الْكَلَامِ مَعَ كَثْرَةِ الْمَعْنَى» مِنْ بَلَاغَةِ الصَّالِحِينَ" ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يُقَوْمُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (يس)

(20)

يُذَكِّرُهَا بِأَنَّ الْجُمْلَةَ الْوَاضِحَةَ تَبْلُغُ بِأَقْلٍ الْأَلْفَاظِ. وَقَالَ "وَنَسْتَنْصِرُ بِحَدِيثٍ فِي النِّعْمَةِ «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»" (حَدِيثٌ) "فَنَسْتَعِيدُ مِنْ سِحْرِ التَّرْوِيقِ وَنَقْصِدُ سِحْرَ الْبَيَانِ الصَّادِقِ الَّذِي يَنْقُلُ الْمَعْنَى بِلَا غِشٍّ."

وَأَشَارَ الْإِمَامُ إِلَى صَدْرِ الصَّحِيفَةِ فَقَالَ "نَكْتُبُ هُنَا «مَرَاتِبَ النِّعْمَةِ»، فنَقُولُ: نِعْمَةُ التَّبَشِيرِ لِلْبَابِ الْأَوَّلِ وَنِعْمَةُ التَّوْجِيهِ لِلْبَابِ الثَّانِي وَنِعْمَةُ التَّحْذِيرِ لِلْمَوَاطِنِ الَّتِي يَكْثُرُ فِيهَا الضَّرَرُ وَفِي كُلِّ نَسْتَصْحِبُ لِينًا يَمْنَعُ التَّنْفِيرَ وَسَدَادًا يَمْنَعُ التَّلْبِيسَ." ثُمَّ قَرَأَ ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (فُصِّلَتْ 34) لِيَجْعَلَ دَفْعَ الْغُلْظَةِ بِرِقَّةٍ قَاعِدَةً وَمَحَوْرًا.

وَدَخَلَ حَارِسُ الْمَكْتَبَةِ يَحْمِلُ وَرَقًا مُسْتَطِيلًا وَقَالَ "أَيُّهَا الشَّيْخُ هَذِهِ صَفْحَاتٌ تُطْبَعُ عَلَيْهَا الدَّلِيلُ" فَقَالَ الْإِمَامُ "أَجْعَلْهَا صَفْحَةً وَاحِدَةً تَرَى مِنْ بَعِيدٍ لَيِّنُتَ فِي الْقُلُوبِ" وَقَامَ يَسْتَعْرِضُ مَا كُتِبَ ثُمَّ قَالَ "نُضِيفُ فِي الدَّلِيلِ تَنْبِيهًا عَلَى «مِيزَانِ التَّقْرِيرِ» فَإِنَّ لِكُلِّ خِطَابٍ مَقَامًا وَمُخَاطَبًا فنَقُولُ: لِكُلِّ سِنٍّ قَدْرٌ وَلِكُلِّ عِلْمٍ

لَفْظٌ" ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ (إِبْرَاهِيمَ 4) "فَنَخَاطِبُ الْأَصْغِيرَ بِمَا يَفْهَمُ وَنُجَالِسُ الْكَبِيرَ بِمَا يَحْتَمِلُ وَنَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ بِمِيزَانِ السَّدَادِ وَاللَّيْنِ".

وَأَعْلَنَ الْإِمَامُ مَشْهَدًا تَطْبِيقِيًّا يَبْقَى فِي الذَّاكِرَةِ فَقَالَ "سَنَكْتُبُ الْآنَ بَيَانًا قَصِيرًا بِاسْمِ الْحَيِّ يَتَعَلَّقُ بِحُرْمَةِ الْحَوَارِ وَسَلَامَةِ الطَّرِيقِ" فَاقْتَرَبُوا وَقَدْ رَأَوْا عُيُونَهُمْ تَحْمِلُ هَمًّا وَأَمَلًا فَقَالَ "نَفْتَحُهُ بِالْآيَةِ الْجَامِعَةِ لِلْوَحْدَةِ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾" (الْحُجُرَاتُ 10) "ثُمَّ نُثْنِي بِقَوْلٍ يُذَكِّرُ بِالْعُقُودِ وَالْأَمَانَاتِ ثُمَّ نَخْتِمُ بِجُمْلَةٍ دُعَاءٍ وَوَعْدٍ بِالْعَمَلِ وَنُرَاجِعُهُ عَلَى «دَلِيلِ الْأُسْلُوبِ»". ثُمَّ قَالَ "قَبْلَ الْإِرْسَالِ سَنُجْرِي «وَاجِبَ الْمُرَاجَعَةِ» فَنَرَاجِعُ ثَلَاثَ رَسَائِلَ عَلَى الدَّلِيلِ لِنُثْبِتَ مِيزَانَ السَّدَادِ وَاللَّيْنِ وَالْبَلَاغِ".

وَقَامَ ثَلَاثَةٌ يَتَنَاوُونَ الْقِرَاءَةَ فَيَقْطَعُونَ مِنْ كُلِّ رِسَالَةٍ مَا زَادَ وَيُقِيمُونَ مَا نَقَصَ وَيُكْمِلُونَ مَا نَقَصَ وَالْإِمَامُ يَقُولُ كُلَّمَا ارْتَفَعَتْ حِدَّةٌ "أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" (فُصِّلَتْ 34) وَكُلَّمَا طَالَتْ جُمْلَةٌ بِلَا فَائِدَةٍ "قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا" (الْبَقَرَةُ 83) وَكُلَّمَا أَشْتَبَهَ مَقْصِدٌ "فَالسُّوَالُ بَابُ الْبَيَانِ" ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النَّحْلُ 43).

وَلَمَّا اسْتَوَى الْمَتْنُ عَلَى صُورَةٍ مُوَازِنَةٍ قَالَ الْإِمَامُ "أَطْبَعُوا الدَّلِيلَ فِي صَفْحَةٍ وَاحِدَةٍ مُرَبَّيَّةٍ وَعَلَّقُوهُ فِي الْمَجْلِسِ وَفِي صَدْرِ الْمَدْرَسَةِ" ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى

أَلْفَتِيَّةٍ وَقَالَ "اجْعَلُوا لَكُمْ «دَفْتَرٌ تَتَّبِعُ» تَرْصُدُونَ فِيهِ التَّوَثُّرَ اللَّغْوِيَّ فِي الْمُرَاسَلَاتِ وَتَكْتُبُونَ نِسْبَةَ النُّزُولِ بَعْدَ شَهْرٍ وَنَسْعَى لِأَنْ يَنْخَفِضَ سِتْنِينَ فِي الْمِائَةِ" ثُمَّ قَالَ "فَإِذَا رَأَيْتُمْ أَثَرًا فَاحْمَدُوا اللَّهَ وَقُولُوا ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾" (التَّوْبَةُ 105).

وَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى هَذَا الْوَتِيرِ مِنَ التَّحْرِيرِ دَخَلَ فَتَى صَغِيرٌ يَحْمِلُ رِسَالَةً قَصِيرَةً قَدْ كَتَبَهَا إِلَى صَدِيقِهِ وَفِي عَيْنِهِ قَلَقٌ فَقَالَ "أَيُّهَا الشَّيْخُ أُرْسِلْهَا" فَنَظَرَ الْإِمَامُ فِي الْأَلْفَافِ وَقَالَ "بَدِّلْ «لِمَاذَا لَا تَفْهَمُ» بِ«لَعَلِّي لَمْ أَحْسِنِ الْبَيَانَ فَهَلْ تُعِينِي عَلَى الْفَهْمِ» فَهَذَا أَقْرَبُ إِلَى السَّادَةِ وَاللَّيْنِ" ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ (الْأَنْعَامُ 152). وَسَكَتَ أَلْفَتَى ثُمَّ ابْتَسَمَ وَقَالَ "هَكَذَا أَحْسَنُ" فَقَالَ الْإِمَامُ "وَهَكَذَا يَكُونُ الدَّلِيلُ جِسْرًا إِلَى قَلْبِ أَخِيكَ."

وَنَشَأَ فِي الرِّوَاقِ جَلَسَاتٌ قَصِيرَةٌ بَعْدَ كُلِّ عَصْرِ يُسْمُونَهَا "مَرَاقِبَ الْأُسْلُوبِ" يَقْرَأُونَ فِيهَا رِسَالَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ يُعِيدُونَ صِيَاغَتَهَا عَلَى الدَّلِيلِ وَيَقْفُونَ عِنْدَ كُلِّ لَفْظَةٍ تَسْتَدْعِي زِيَادَةَ لَيْنٍ أَوْ تَقْدِيمَ سَدَادٍ وَيَقُولُ الْإِمَامُ فِي خِتَامِ كُلِّ جَلْسَةٍ "أَسْتَصْحِبُوْا مَعَ الدَّلِيلِ ذِكْرَ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَهْدِي النَّفْسَ وَيُقِيمُ اللِّسَانَ" ثُمَّ يَتْلُو ﴿الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الزُّمَرُ 18) وَيَذَكِّرُ بِحَدِيثِ جَامِعِ «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ» (حَدِيثٌ).

وَفِي آخِرِ الْأُسْبُوعِ جَمَعُوا "دَفْتَرُ الْأَثَرِ" فَوَجَدُوا أَنَّ التَّوَثُّرَ اللَّغْوِيَّ فِي

الْمُرَاسَلَاتِ قَدْ هَبَطَ هُبُوطًا بَيِّنًا وَأَنَّ الرِّسَالَةَ الَّتِي كَانَتْ تُغْضِبُ قَبْلَ ذَلِكَ أَصْبَحَتْ تُقْرَأُ بِقُلُوبٍ أَهْدَأَ وَنُفُوسٍ أَرْوَقَ فَقَامَ الْإِمَامُ وَقَالَ "هَذَا مِنْ بَرَكَةِ الْقَوْلِ السَّيِّدِ وَاللِّينِ الْبَلِيغِ" ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل 90) ثُمَّ قَالَ "وَأَسْتَحْضِرُوا مَعَهُ مِفْتَاحًا نَبَوِيًّا «نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَ»" (حَدِيثٌ) "فَلْيَحْمِلْ كُلُّ مِنْكُمْ هَذَا الدَّلِيلَ إِلَى أَهْلِهِ وَجِيرَانِهِ."

وَحِينَ قَامُوا لِلصَّلَاةِ كَانَ فِي الرِّوَاقِ بَيَاضٌ صَفْحَةٌ تُرَى مِنْ آخِرِ الْمَمَرِ كُتِبَ فِي صَدْرِهَا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الأحزاب 70) وَتَحْتَهَا ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ (طه 44) وَفِي جَانِبِهَا ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الأنبياء 53) وَقَدْ رُسِمَ تَحْتَ الْآيَاتِ سُلَّمٌ صَغِيرٌ لِلْمُرَاجَعَةِ يَقُولُ "بَيِّنَةٌ صَالِحَةٌ ثُمَّ مَعْنَى مُحْكَمٌ ثُمَّ عِبَارَةٌ لَّيِّنَةٌ ثُمَّ قَوْلٌ سَدِيدٌ ثُمَّ إِسْرَافٌ بَعْدَ عَرْضٍ عَلَى الدَّلِيلِ". وَإِذَا مَرَّ أَحَدُهُمْ قَبْلَ الْإِسْرَافِ وَقَفَ لِحِظَةٍ يَسْأَلُ قَلْبُهُ "هَلْ هَذَا يَرْضَاهُ اللَّهُ وَهَلْ يَبْلُغُ مَقْصِدَهُ بِرَفْقٍ" فَإِذَا أَطْمَأَنَّ أَرْسَلَ وَإِلَّا رَاجَعَ وَأَصْلَحَ.

وَفِي لَيْلَةٍ تَالِيَةِ أَنْعَقَدَتْ جَلْسَةٌ قَصِيرَةٌ لِمُرَاجَعَةِ مَا يُرْسَلُ إِلَى الْوَلَدَيْنِ وَمَا يُرْسَلُ إِلَى مُعَلِّمٍ وَمَا يُنْشَرُ فِي الْإِعْلَانِ الْعَامِّ فَقَالَ الْإِمَامُ "لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ وَإِنْ مِنْ مَقَاصِدِ الدَّلِيلِ أَنْ يُبَيِّنَ مَرَاتِبَ الْمُخَاطَبِينَ فَتُخَفِّضُ الصَّوْتُ عِنْدَ الْكِبَارِ وَتَرْفَعُ التَّوَضُّيْحَ عِنْدَ الصَّغَارِ وَتُبْدِي الْعُذْرَ عِنْدَ مَنْ ضَاقَ وَقْتُهِ وَتُكْثِرُ الشُّكْرَ عِنْدَ مَنْ

بَذَلَ " ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ (الْأَخْقَافُ 15) لِيُذَكِّرَ بِأَدَبِ
الْخُطَابِ لِوَالِدَيْهِ وَقَرَأَ ﴿أَشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ (لُقْمَانُ 14) ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثًا يُجَمِّلُ
الْأَدَاءَ «لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ» (حَدِيثٌ).

وَلَمَّا تَمَّ الْمَسِيرُ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ أَيَّامًا قَلِيلًا رَجَعُوا إِلَى "دَفْتَرِ الْأَثَرِ"
فَاسْتَقْرَءُوا الْمُرَاسِلَاتِ وَالْخُطَبَ الصَّغِيرَةَ الَّتِي تُلْقَى بَعْدَ الصَّلَاةِ وَالْكَلِمَاتِ الَّتِي
تُقَالُ فِي الْمَجْمُوعَاتِ فَوَجَدُوا أَنَّ نِسْبَةَ التَّوَثُّرِ قَدْ انْحَدَرَتْ حَتَّى قَارَبَتْ الْغَايَةَ
الْمَرْجُوءَةَ وَأَنَّ الْقُلُوبَ قَدْ تَعَلَّمَتْ أَنْ تَضَعَ لَفْظَ الْعُذْرِ فِي أَوَّلِ الْجُمْلَةِ وَأَنْ تَجْعَلَ
لِلنَّصِيحَةِ سُلْمًا يَبْدَأُ بِالتَّلَطُّفِ ثُمَّ يَصْعَدُ بِالذَّلِيلِ وَأَنْ تُغْلِقَ بَابَ التَّعْيِيرِ فِي وَجْهِ
كُلِّ خِلَافٍ وَتَسْتَحْضِرَ فِي كُلِّ ذَلِكَ ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ﴾ (الْحُجُرَاتُ 11).

ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَخْتِمُ الْمَجْلِسَ "جَمَالَ الدَّلِيلُ أَنْ يَبْقَى حَيًّا يَتَغَذَّى
مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ (ص) وَأَنْ يُجَدِّدَ بِنُصْحِكُمْ وَتَجَارِبِكُمْ" ثُمَّ قَرَأَ ﴿قُلْ هَذِهِ
سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يُوسُفُ 108) وَذَكَرَ "إِنَّمَا
بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ" (حَدِيثٌ) ثُمَّ قَالَ "أَحْمِلُوا صَحِيفَتَكُمْ فِي
قُلُوبِكُمْ وَاجْعَلُوا لِكُلِّ كَلِمَةٍ مِيزَانًا وَاسْتَفْتَحُوا كُلَّ رِسَالَةٍ بِنَيْتٍ وَاخْتِمُوهَا بِدَعَاءٍ
وَوَعْدٍ بِعَمَلٍ".

وَخَرَجُوا مِنَ الرَّوَاقِ وَعَلَى الْجُدْرَانِ صَفْحَةٌ بَيْنَهُ تُرَدُّدٌ مَعَ الرِّيحِ كَلِمَاتُهَا
الْمُوزُونَةُ وَفِي الصُّدُورِ نُورٌ يُنِيرُ طَرِيقَ الْعِبَارَةِ فَكُلَّمَا هَمَّ أَحَدُهُمْ بِكَلِمَةٍ قَالَ لِنَفْسِهِ

"أَسَدُّ هَذَا أَمْ أَهْوَى" ثُمَّ قَالَ "أَلَيْنَ هَذَا أَمْ أَقْسُو" ثُمَّ قَالَ "أَبْلِغْ هَذَا أَمْ يُرَبِّكَ" فَإِذَا رَأَى قَلْبُهُ نُورًا وَجَدَ فِي لِسَانِهِ سَدَادًا وَفِي نَفْسِهِ رِفْقًا وَفِي أَثَرِهِ بَلَاغًا فَأَرْسَلَ وَإِلَّا رَجَعَ وَأَصْلَحَ وَأَسْتَعَانَ بِقَوْلِ رَبِّهِ ﴿رَبِّ أَسْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (طه 25-28) وَتَذَكَّرَ "«مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ»" (حَدِيثٌ) فَمَضَى وَهُوَ يَحْمِلُ فِي يَمِينِهِ قَلَمًا وَفِي شِمَالِهِ دَفْتَرًا وَفِي قَلْبِهِ «دَلِيلَ الْأُسْلُوبِ» يَهْدِيهِ إِلَى قَوْلٍ سَدِيدٍ وَلَفْظٍ لَّيِّنٍ وَبَيَانٍ بَلِيعٍ.

الدَّرْسُ الْعَاشِرُ: مَجْلِسُ الْإِصْلَاحِ

إِنْ سَابَ الْمَسَاءُ عَلَى الرَّوَاقِ فَأَسْدَلَ عَلَى الْأَعْمَدَةِ سِتَارًا مِنْ سَكِينَةٍ
تُشَبِّهُ نَفْسًا دَافِئًا يَمْسَحُ مَا خَلْفَهُ نَهَارُ الْأَشْغَالِ فِي الصُّدُورِ فَأَقْبَلَ الْأَبَاءَ وَالْأُمَّهَاتِ
وَالْفَتِيَّةَ وَالْفَتَيَاتِ وَقَدْ تَفَاقَمَ فِي الْحَيِّ خِلَافٌ دَقِيقٌ تَشَعَّبَتْ جُذُورُهُ بَيْنَ كَلِمَاتٍ
قِيلَتْ فِي عَجَلٍ وَصُورٍ سَارَتْ فِي الْأَيْدِي ثُمَّ رَجَعَتْ تُوْقِدُ الْغَيْظَ فِي الْقُلُوبِ
فَوَقَفَ الْإِمَامُ فِي صَدْرِ الرَّوَاقِ وَسَلَّمْ سَلَامًا يَحْمِلُ رَحْمَةً وَعَدْلًا ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَرْفَعُ
بَصَرَهُ إِلَى الْمِحْرَابِ "نَقِيمُ الْيَوْمَ «مَجْلِسُ الْإِصْلَاحِ» لِنَرُدَّ أَلْمَاءَ إِلَى مَجَارِيهِ
وَأَلْقُلُوبَ إِلَى مَأْلِفِهَا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى

﴿فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (الْحُجُرَاتُ 10) وَقَالَ

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الْحُجُرَاتُ 9) فَجَعَلُ مِيزَانَنَا الْعَدْلَ
وَطَرِيقَنَا الرِّفْقَ وَغَايَتَنَا سَلَامَةَ الْقُلُوبِ."

وَجَلَسَ الْقَوْمُ فِي نِصْفِ دَائِرَةِ تُحَازِي الْمِحْرَابَ وَأَطْرَافَ الْقُلُوبِ
تَتَمَاسُّ كَمَا تَتَمَاسُّ أَطْرَافُ الْأَكْفِ عِنْدَ التَّسْلِيمِ فَنَادَى الْإِمَامُ بِأَسْمَاءِ مَعْلُومَةٍ

"مَحْمُودٌ وَسَلِيمٌ" فَقَامَا وَفِي الْوُجُوهِ ظِلٌّ مِنْ أَثَرِ الْكَلِمَةِ الَّتِي ذَهَبَتْ فِي الْمَجْمُوعَةِ ثُمَّ رَجَعَتْ بِوُقُودٍ يُشْبِهُ الشَّرَرَ فَقَالَ الْإِمَامُ "نُجْرِي الْإِصْلَاحَ عَلَى ثَلَاثِ جَلَسَاتٍ مَرْسُومَةٍ: «جَلْسَةُ السُّتْرِ وَالسَّكِينَةِ» ثُمَّ «جَلْسَةُ الْعَدْلِ وَالتَّثَبُّتِ» ثُمَّ «جَلْسَةُ التَّعْوِيزِ وَالْعَهْدِ» وَفِي كُلِّ نَنْصِبٍ مِيزَانًا وَنَرْفَعُ آيَةً وَنَسْتَظِلُّ بِحَدِيثٍ يُهْدِبُ النَّفْسَ وَيَقْطَعُ سَبِيلَ الشَّيْطَانِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَنَا الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾

(الْمَائِدَةُ 91).

وَبَدَأَ «مَشْهُدُ السُّتْرِ وَالسَّكِينَةِ» فَقَالَ الْإِمَامُ "نَسْتُرُ الْكَلَامَ عَمَّنْ لَا حَقَّ لَهُ فِيهِ وَنَمْنَعُ التَّسْرِيبَ وَنَكْفُفُ اللِّسَانَ عَنِ الْغِيبَةِ وَنَقُولُ بِاللُّطْفِ وَالْإِقْتِصَادِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى

﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ (الْحُجُرَاتُ 12)

وَقَالَ النَّبِيُّ (ص) «مَنْ سَتَرَ حَدِيثًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (حَدِيثٌ) ثُمَّ قَالَ "نُطْفِئُ نَارَ الْإِنْفِعَالِ بِمَاءِ الذِّكْرِ وَنَسْتَفْتِحُ الْجَلْسَةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (الْأَنْفَالُ 1)

فَنُقَرِّبُ الْقُلُوبَ وَنُقْبِلُ عَلَى الْحَقِّ. " فَسَكَتَ الْحَاضِرُونَ سُكُوتَ مَنْ يَسْتُرُ نَفْسَهُ عَنْ زَلَّاتِ غَيْرِهِ وَأَخَذَ كُلُّ يَضْعُ بَيْنَ يَدَيْهِ كَأَسًا مِنَ الْمَاءِ يُذَكِّرُهُ أَنْ

يَلِينَ صَوْتُهُ وَأَنْ تَهْدَأَ الْجُمْلَةُ فِيهِ.

وَقَامَ "مَحْمُودٌ" فَقَالَ وَصَوْتُهُ يَمِيلُ حَتَّى يَقُومَ "أَسَفًا أَبْدِيهِ قَبْلَ الْكَلَامِ فَقَدْ زَلَّ لِسَانِي فِي الْمَجْمُوعَةِ وَعَظُمَتِ الْكَلِمَةُ عَلَى أَخِي" فَقَالَ الْإِمَامُ "أَحْسَنْتَ فَقَدْ فَتَحْتَ بَابًا يُحِبُّهُ اللَّهُ

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ (الْأَنْعَامُ 152)

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ (ص) «لَا يَحِلُّ لِحَدِيثٍ أَنْ يَهْجَرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ» (حَدِيثٌ) "فَنَزَعُ الْهَجَرَ وَنَبْدَأُ بِالتَّأَخِي." ثُمَّ دَعَا "سَلِيمًا" فَقَالَ "قَبِلْتُ أَسَفَ أَخِي وَلَكِنَّ الصُّورَةَ الَّتِي سَارَتْ قَدْ جَرَحَتْني" فَقَالَ الْإِمَامُ "سَنَبْلُغُ الْعَدَلَ فِي جَلْسَتِنَا الثَّانِيَةِ وَسَنَضْعُ لِكُلِّ نَفْسٍ قَدَرَهَا وَنُحَقِّقُ الْحَقُوقَ بَيِّنَةً وَوَدًّا."

وَأَنْفَتَلَ الْمَجْلِسُ إِلَى «جَلْسَةِ الْعَدْلِ وَالتَّثْبِثِ» فَقَالَ الْإِمَامُ "نَنْصِبُ الْآنَ قِسْطَاسَ الْحَقِّ وَنَمْنَعُ تَغْلُبَ الْهَوَى فَقَدْ قَالَ تَعَالَى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ (النِّسَاءُ 135)

وَقَالَ

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾

(الْمَائِدَةُ 8)

وَقَدْ ثَبَتَ فِي السُّنَّةِ «الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ» (حَدِيثُ) "فَنَسَمِعُ مِنْ كُلِّ طَرَفٍ فِي هُدُوءٍ وَنُثِيتُ مَا يُقَالُ وَنَزِدُ مَا لَا دَلِيلَ لَهُ وَنَسْتَأْنِي لِكَشْفِ التَّبَاسِ". ثُمَّ قَرَأَ قِصَّةَ الْأَثَرِ مِنْ فَمِ الشُّهُودِ وَنَظَرَ فِي الصُّورِ الَّتِي سَافَرْتُ فِي الْأَيْدِي ثُمَّ قَالَ "هُنَاكَ كَلِمَةٌ زَادَتْ وَصُورَةٌ لَمْ تُرَاعَ فِيهَا حُرْمَةُ الصُّحْبَةِ فَيَلْزِمُ الْإِعْتِدَارُ وَتَصَحِيحُ النَّشْرِ ثُمَّ يَلْزِمُ تَعْوِضُ يَرْفَعُ الْأَثَرَ الْمَادِّيَّ وَالْمَعْنَوِيَّ" ثُمَّ ذَكَرَ "وَقَدْ قَالَ اللَّهُ

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النَّحْلُ 90).

وَنُودِيَ عَلَى «جَلْسَةِ التَّعْوِضِ وَالْعَهْدِ» فَقَالَ الْإِمَامُ "نَجْعَلُ شِفَاءَ الْقُلُوبِ فِي الصُّلْحِ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى

﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (النِّسَاءُ 128)

وَقَالَ

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الْإِسْرَاءُ 34)

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ (ص) «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى» (حَدِيثُ) "فَنَيْسَرُ وَلَا نَعْسَرُ وَنُقَدِّمُ الْعُذْرَ وَنَطْلُبُ الْحَقَّ". ثُمَّ جِيءَ

بِصَحِيفَةٍ بَيَّضَاءَ وَوُضِعَتْ عَلَى الْمِنْضَدَةِ وَقَالَ الْإِمَامُ "نَكْتُبُ «وَثِيقَةَ صَلَاحٍ»
مَوْجَزَةً تَحْمِلُ مَعَانِي كَبِيرَةً وَنَشْهَدُ عَلَيْهَا فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾
(الْبَقَرَةُ 282)". فَجَلَسَ الْكُتَّابُ يَسْطُرُونَ وَقَالَ الْإِمَامُ "يَكْتُبُ الْمَنْ عَلَى ثَلَاثِ
فَقَرَاتٍ: إِقْرَارًا بِالْخَطِّ مِمَّنْ زَلَّتْ كَلِمَتُهُ وَتَحْمُلُ تَصْحِيحَ النَّسْرِ وَإِزَالَةَ مَا بَقِيَ مِنْ
صُورٍ تُثِيرُ الْأَذَى ثُمَّ شَقُّ فِي التَّعْوِيزِ يَشْمَلُ مُرَاعَاةَ قَدْرِ الْأَثَرِ وَوُسْعَ الطَّرْفِ
﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ (الْبَقَرَةُ 280) ثُمَّ عَهْدٌ يَمْنَعُ عَوْدَ السَّبَبِ
وَيُقِيمُ الْإِتِّصَالَ بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ عَلَى السَّلَامَةِ وَالرِّفْقِ". ثُمَّ قَالَ "وَنَجْعَلُ لِلْوَثِيقَةِ مُدَّةً
مُرَاجَعَةً بَعْدَ أُسْبُوعَيْنِ لِنَقِيسِ الْأَثَرَ وَنَرْفَعَ مَا يَطْرَأُ مِنْ مَلَا حِظَاتٍ".

وَقَبْلَ التَّوْقِيعِ قَالَ الْإِمَامُ "نُقَدِّمُ أَصْلًا يُثَبِّتُ الْأَمْرَ ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا﴾
(طه 44) وَنَضَعُ فِي الْقُلُوبِ فَهَمَّ حَدِيثٍ جَامِعٍ «نُصْرُ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا قَالُوا
يَا رَسُولَ اللَّهِ نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا قَالَ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَذَلِكَ
نَصْرُكَ إِيَّاهُ» (حَدِيثٌ) "فَنَجْعَلُ الْمَنْعَ مِنَ الْعَوْدِ إِلَى السَّبَبِ نُصْرَةً لِلْجَمِيعِ". ثُمَّ
قَالَ "وَنُدْخِلُ مِيزَانَ التَّسَامُحِ فِي التَّعَاوُضِ فَمَا كَانَ يُذِيبُ الْبَغْضَاءَ قَدَمْنَاهُ وَمَا
كَانَ يُجَدِّدُ الْأَذَى تَرَكْنَاهُ".

فَوُقِّعَتِ الْوَثِيقَةُ وَوُضِعَتْ عَلَيْهَا أَسْمَاءُ وَشُهُودٌ وَاتَّيَتَتْ فِيهَا جُمْلَةٌ تُرَدِّدُهَا
الْقُلُوبُ "تَعَاهَدْنَا عَلَى الْعَدْلِ وَالسَّيْرِ وَالتَّعْوِيزِ بِقَدْرِ الطَّاقَةِ وَالتَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ إِنْ
زَلَّتْ الْأَقْدَامُ" ثُمَّ قرأ الْإِمَامُ ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (الْبَقَرَةُ 83) وَقَالَ "نُغْلِقُ الْبَابَ

عَلَى التَّغْيِيرِ وَنَفْتَحُهُ عَلَى التَّوَاصِي بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ ﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (الْعَصْرُ 1-3).

وَبَعْدَ انْفِصَاضِ الْجَمْعِ بَقِيَ الْإِمَامُ قَلِيلًا ثُمَّ نَادَى الْمُتَقَرِّبِينَ "تَأْخُذُ الْوُثِيقَةُ طَرِيقَهَا إِلَى الْبُيُوتِ وَتُقْرَأُ قِرَاءَةً عَهْدٍ فَإِنَّ الْعَهْدَ قَطِيعَةٌ بَيْنَ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ (الْأَسْرَاءُ 34) وَقَالَ النَّبِيُّ (ص) «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ» (حَدِيثٌ) "فَنَجْعَلُ أُخُوَّتَنَا حِرْزًا لِهَذَا الْعَقْدِ".

وَسَارَتْ الْأَيَّامُ سَيْرَ سَحَابَةٍ رَزِينَةٍ حَتَّى إِذَا مَضَى أُسْبُوعَانِ رَجَعَ الْقَوْمُ إِلَى الرِّوَاقِ لِـ«جَلْسَةِ الْمُرَاجَعَةِ» فَأَحْضَرُوا "دَفْتَرَ الْأَثَرِ" فَوُجِدَ أَنَّ السَّبَبَ الَّذِي أَوْقَدَ النَّزَاعَ لَمْ يَعُدْ وَأَنَّ التَّعَاوُنَ فِي الْمَجْمُوعَاتِ قَدْ رَقَّ وَاللِّسَانُ قَدْ لَطَفَ وَاللُّقْيَا فِي الطَّرِيقِ قَدْ طَابَتْ فَقَامَ الْإِمَامُ وَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التَّوْبَةُ 105) وَقَالَ "نُشِيتُ أَنَّ «مُؤَشِّرَ الْأَثَرِ» قَدْ بَلَغَ غَايَتَهُ فَاَنْعَدَمَ تِكْرَارُ السَّبَبِ بَعْدَ التَّعْهَدِ وَالتَّنْذِيرِ".

وَقَامَ "سَلِيمٌ" يَقُولُ وَالْعَيْنُ تَبْتَسِمُ "آثَرْتُ أَنْ أَرَدَ الْكَلِمَةَ الَّتِي آذَتْ قَلْبِي بِ«تَبَسُّمٍ» فَقَدْ سَمِعْنَا أَنَّ «تَبَسُّمَكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ» (حَدِيثٌ) فَضَحِكَ الْمَجْلِسُ ضَحْكَةً طَيِّبَةً ثُمَّ قَامَ "مَحْمُودٌ" فَقَالَ "نَقَلْتُ مَا لِي مِنْ صُورٍ وَأَرْزَلْتُهَا

وَأَثَبْتُ بِدَلَّهَا مَا يَزِيدُ الْوُدَّ" فَقَالَ الْإِمَامُ "هَكَذَا يَكُونُ التَّعْوِيزُ بَلَاغًا يَتَخَطَّى الْأَلْفَاظَ". ثُمَّ قَرَأَ ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فَصَّلَتْ 34).

وَفَتَحَ الْإِمَامُ صَدْرَ الْكَلَامِ لِلتَّوَصِيَةِ فَقَالَ "إِنَّ الْخِلَافَ إِذَا لَمْ يُرَبَّ عَلَى مِيزَانِ الْعَدْلِ انْقَلَبَ إِلَى الظُّلْمِ وَإِذَا لَمْ يُسْتَرْ عَلَى قَاعِدَةِ الرَّحْمَةِ انْقَلَبَ إِلَى الْفَضِيحَةِ وَإِذَا لَمْ يُعَالَجْ بِتَّعْوِيزٍ يُرَاعِي الْمَصْلَحَةَ وَالْمَالَ بَقِيَ الْجُرْحُ يَرْشَحُ فَلْيَكُنْ لَنَا مِيزَانُ الْعَدْلِ وَمِيزَانُ السُّتْرِ وَمِيزَانُ التَّعْوِيزِ ثَلَاثَةُ أَعْمَدَةٍ نُقِيمُ عَلَيْهَا سَقْفَ الْوَنَامِ" ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الْحُجُرَاتُ 10) "فَنَسْتَحْيِي مِنَ الْأُخُوَّةِ أَنْ نَصُونَهَا وَنَرَعَى حُرْمَتَهَا". وَذَكَرَ حَدِيثًا يُثَبِّتُ الْأَصْلَ «لَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلٍ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ قَالُوا بَلَى قَالَ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْتَيْنِ» (حَدِيثٌ) "فَنَجْعَلُهُ شِعَارًا لِلْيُتُونَ وَمَدَارِسِنَا."

ثُمَّ قَالَ "نَضَعُ لِمَجْلِسِنَا «آدَابًا مُسْتَمَرَّةً» تُجْرَى كُلَّمَا حَدَثَ خِلَافٌ: لَا قَطْعَ لِكَلَامٍ وَلَا رَفْعَ لَصَوْتٍ ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ (لُقْمَانُ 19) وَلَا إِذَاعَةَ لِسِرٍّ ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ (الْحُجُرَاتُ 12) وَلَا تَغْيِيرَ فِي الْمَجْلِسِ ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ﴾ (الْحُجُرَاتُ 11) وَتَثْبِيتُ الْحُقُوقِ بِشَهَادَةٍ وَكِتَابَةٍ ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ (الْبَقَرَةُ 282) وَإِمْضَاءُ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ بِقَلْبٍ رَاضٍ وَنَفْسٍ سَمَحَةٍ. ثُمَّ ذَكَرَ «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ

اللَّهُ» (حَدِيثٌ) فَأَصْغَى الْقُلُوبَ تَطَلُّبَ عِزٍّ يَجِيءُ مِنْ عَفْوٍ وَرِفْعَةٍ تَأْتِي مِنْ تَوَاضُعٍ.

وَحَتَمَ الْمَجْلِسَ بِدُعَاءٍ يَجْمَعُ مَا تَفَرَّقَ "اللَّهُمَّ أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ وَاجْعَلْنَا مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ" ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل 90) وَقَالَ "نَتَفَرَّقُ عَلَىٰ عَهْدٍ وَنَلْتَقِي عَلَىٰ مُرَاجَعَةٍ وَنَحْمِلُ فِي قُلُوبِنَا قَوْلًا يُثَبِّتُ الطَّرِيقَ ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (آلِ عِمْرَانَ 159)".

وَخَرَجَ الْقَوْمُ وَقَدْ حَمَلَ كُلُّ مِنْهُمْ نُسخَةً صَغِيرَةً مِنْ «وَثِيقَةِ الصُّلْحِ» وَخَطَوْا فِي الرُّقَاقِ وَفِي أَلْوَجُوه طَلْعَةً رَضًا تُشَبِّهُ الْفَجَرَ إِذَا انْفَلَقَ وَفِي الْجُدُرَانِ صَدَى لآيَاتٍ قَرَأُوهَا قَبْلَ قَلِيلٍ يُذَكِّرُهُمْ بِأَنَّ الْقَوْلَ إِذَا اعْتَدَلَ وَالْقَلْبَ إِذَا تَوَاضَعَ وَالْيَدَ إِذَا سَمَحَتْ جَاءَ الصُّلْحُ كَمَا يَجِيءُ الْمَطَرُ إِلَى الْأَرْضِ عَطَشَىٰ فَيُخْضِرُ فِيهَا مَا كَانَ يَبِسَ وَتُثْمِرُ مَا كَانَ قَاحِلًا وَيَبْقَىٰ فِي الصُّدُورِ أَثَرٌ لِمِيزَانٍ حُفِظَ وَسُتِرَ أُجْرِي وَتَعْوِيضٍ أَنْصَفَ فَيَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَعْبُرُ بَابَ بَيْتِهِ "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ" وَتَرْتَفِعُ فِي الْأَفْقِ آيَةٌ تَرْدُدُهَا الرِّيحُ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الْحُجُرَاتُ 10) فَتَسْكُنُ النُّفُوسُ وَتَبْتَدِئُ مِنَ الْغَدِ سُلُوكًا جَدِيدًا يَحْفَظُ الْحُرُمَاتِ وَيَرْعَى الْعُهُودَ وَيُحْسِنُ إِذَا اخْتَلَفَ وَيَعْدِلُ إِذَا

بَيْنَ الْأُذُنِ وَالْإِشْعَارِ - تَكْوِينُ الْجِيلِ الرَّاشِدِ

حَكَمَ وَيَعْتَذِرُ إِذَا زَلَّ وَيُسَارِعُ إِذَا دُعِيَ إِلَى الْإِصْلَاحِ.

الدَّرْسُ الْحَادِي عَشَرَ: جِسْرُ الْمَسْجِدِ وَالسُّوقِ

إِنْسَابَ الْعَشِيِّ عَلَى الرَّوَاقِ فَتَلَطَّفَ الْهَوَاءُ وَسَكَتِ الْأَصْوَاتُ وَقَدْ
أَنْفَضَتِ الصَّلَاةُ وَبَقِيَتْ فِي الْقُلُوبِ رَعَشَةٌ تَسْبِيحٌ تُذَكِّرُ بِالْوَصْلِ وَالرِّضَا فَجَلَسَ
الْآبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ وَالشَّبَابُ وَالصَّبِيَّةُ يُلْتَفِتُونَ إِلَى الْمِحْرَابِ وَقَدْ وُضِعَتْ صَحِيفَةٌ
بَيَضَاءُ فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ يَتْلَأُ عَلَيْهَا الْعُنْوَانُ «مِيثَاقُ تَاجِرِ أُمِينٍ» فَقَامَ الْإِمَامُ
وَفِي نَظَرَتِهِ جَمْعُ الْمَعْنَى وَحَمْلُ الْهَمِّ وَقَالَ وَصَوْتُهُ يَجْرِي عَلَى مَجْرَى الرَّفْقِ
"نُرِيدُ الْيَوْمَ أَنْ نَبْسُطَ جِسْرًا بَيْنَ الْمِحْرَابِ وَالْمِيزَانِ بَيْنَ سُجُودِ الرُّوحِ وَعَقْدِ
الْبَيْعِ لِنَجْعَلَ ذِكْرَ اللَّهِ قَائِدًا فِي الدُّكَّانِ كَمَا هُوَ قَائِدٌ فِي الصَّفِّ." ثُمَّ تَلَا تِلَاوَةً
تَسُوقُ الْقُلُوبَ إِلَى الْقَصْدِ

﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ
الزَّكَاةِ﴾ (النُّورُ 37)

وَاتَّبَعَهَا بِمِفْتَاحِ التَّوَازُنِ

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾

(أَلْقَصَصُ 77)

ثُمَّ قَالَ "هُنَا يَقُومُ الْجِسْرُ وَعَلَيْهِ نَمْشِي."

وَتَقَدَّمَ نُحْبَةُ مِنْ أَهْلِ الْأَمْهَنِ يَحْمِلُونَ فِي أَحْدَاقِهِمْ هَمَّ الْكَمَالِ فِي الصَّنْعَةِ وَهَمَّ الْعَدْلِ فِي الْمُعَامَلَةِ فَقَالَ الْإِمَامُ "سَنُؤَسِّسُ مَعَ صَحِيفَةٍ «مِثَاقِ تَاجِرٍ أَمِينٍ» تُعَلِّقُ عَلَى الْأَبْوَابِ كَمَا تُعَلِّقُ الْفَوَاتِحُ عَلَى الصُّدُورِ فَلَأَمَانَةٌ هِيَ الْمَدْخَلُ وَهِيَ الْمَخْرَجُ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (الْمَائِدَةُ 1).

ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الْمِيزَانِ الْمُعَلَّقِ فِي جَانِبِ الرِّوَاقِ وَقَالَ "هَذَا رَمْزُ عَدْلِ يَلْزَمُنَا فِي الشُّوقِ فَلِلَّهِ تَعَالَى قَالَ

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ (الْأَنْعَامُ 152)

وَقَالَ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (الْمُطَفِّفُونَ 1-3)

فَلْيَكُنْ كُلُّ مِكْيَالٍ شَهَادَةً وَكُلُّ وَزْنٍ قُرْبَانًا."

وَرَفَعَ "حَسَّانُ" وَهُوَ نَجَّارٌ صَدُوقٌ يَدُهُ وَقَالَ "كَيْفَ نُقَدِّمُ الْأَمَانَةَ وَفِي
الْبَيْعِ فُجَاءَاتٌ وَمُغْرِيَاتٌ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نُحَصِّنُ الْقُلُوبَ بِمِفْتَاحَيْنِ: صِدْقٌ لَا
يَلْتَوِي وَسَمَاحَةٌ لَا تَضِيقُ فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ (ص) «التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ»" (حَدِيثٌ) "وَقَالَ «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا
أَشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى»" (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَالَ "وَنُغْلِقُ بَابَ الْغِشِّ بِمِفْتَاحِ صَابِرٍ «مَنْ
غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا»" (حَدِيثٌ) "فَلَا تَسْتُرْ عَيْبًا وَلَا تُزَيِّنْ نَقْصًا وَلَا تَعُدَّ مَا لَا تَقْدِرُ
عَلَيْهِ."

وَقَالَتْ "سَلْمَى" وَهِيَ حَيَّاطَةٌ تَعْرِفُ ضَبْطَ الْقَدِّ "نَتَبَّائِنُ أَذْوَاقَ الرَّاغِبِينَ
فَكَيْفَ يَلْزُمُنِي الْعَدْلُ" فَقَالَ الْإِمَامُ "الْعَدْلُ مِقْدَارٌ يَثْبُتُ وَالذَّوْقُ فَنٌّ يَتَسَّعُ فَأَمَّا
الْحَقُّ فَلَا يُسْتَأْكَلُ وَلَا يُعْبَنُ وَأَمَّا الْمَعْرُوفُ فَيَزَادُ فِيهِ مِنْ طِيبِ النَّفْسِ" ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ (هُودُ 85)

وَاتَّبَعَهَا

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (الْمَائِدَةُ 2)

"فَإِذَا تَعَاوَنَ الْبَائِعُ وَالْمُشْتَرِي عَلَى الْبَيِّنَةِ وَالتَّوَافُقِ طَابَ الْبَيْعُ وَأَسْتَقَرَّ
الرِّضَا."

وَأَخَذَ الْإِمَامُ صَحِيفَةَ الْمِيثَاقِ فَسَطَّرَ فِيهَا جُمْلًا تُشَبِّهُ الْأَسَاوِرَ فِي مِعْصَمِ

التَّاجِرُ تَذَكَّرَهُ كُلَّمَا مَدَّ يَدَهُ لِلْعَقْدِ فَقَالَ وَهُوَ يَقْرَأُ عَلَى الْقَوْمِ "نَفْتَحُ الْبَيَانَ بِسْمَلَةٍ وَنُتْبِعُهَا بِ«شَرْحِ مُجْمَلٍ» ثُمَّ نَذْكُرُ الْخَيْرَ وَالْعَيْبَ وَلَا نَسْتُرُ نَقْصًا فَمَنْ سَتَرَ عَيْبَ سِلْعَةٍ فَقَدْ أَخْفَى شَيْئًا لَيْسَ لَهُ. وَيَأْتِي «تَحْرِيمُ الرَّبَا» فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (البقرة 275)

فَلَا نَخْتَلِقُ رِبْحًا مِنْ فَرَاغٍ وَلَا نُقِيمُ صَفْقَةً عَلَى ظُلْمٍ. ثُمَّ قَالَ "وَنَجْعَلُ لِلْعَهْدِ حُرْمَةً

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ أَلْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء 34)

وَنَعْقِدُ التَّبَايُعَ عَلَى شُرُوطٍ مُبَيَّنَةٍ فَ«الْمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ إِلَّا شَرْطًا أَحَلَّ حَرَامًا أَوْ حَرَّمَ حَلَالًا» (حَدِيثٌ). وَقَالَ "وَنَسْتَشْهَدُ فِي مَا اتَّسَعَ مِنَ الصَّفَقَاتِ

﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ (البقرة 282).

وَدَنَا "رَبَّانٍ" وَهُوَ شَابٌّ يَتَعَلَّمُ مِهْنَةَ الْحِدَادَةِ فَقَالَ "كَثِيرًا مَا يَطْلُبُ الْمُشْتَرِي تَخْفِيفًا وَيَطْلُبُ التَّاجِرُ زِيَادَةً فَأَيْنَ الْحُسْنُ" فَقَالَ الْإِمَامُ "الْحُسْنُ سَمَاحَةٌ وَتَوَاسُطٌ وَإِبْرَامٌ عَقْدٌ بِنَفْسٍ طَيِّبَةٍ فَ«لَا يَحِلُّ مَالُ أَمْرِي حَدِيثٌ إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ»" (حَدِيثٌ) "فَإِذَا أُنْشِرَحَتِ النَّفْسُ طَابَ الرَّبْحُ وَأَثْمَرَ الْمِهْنَةُ". ثُمَّ قَالَ "وَإِنْ حَدَثَ النَّزَاعُ فَ«الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا»" (حَدِيثٌ) "فَنَرْجِعُ إِلَى

الْخِيَارِ فِي فُسْحَةٍ وَنَقْفٍ عِنْدَ قَاعِدَةِ جَامِعَةٍ «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» (حَدِيثٌ).

وَتَحَرَّكَتِ الْقُلُوبُ عِنْدَمَا قَرَأَ الْإِمَامُ بِنَبْرَةٍ هَادِئَةٍ "سَيَخْتَبِرُ كُلُّ مِنَّا هَذَا
الْمِيثَاقَ فِي نَازِلَاتِ السُّوقِ فَيَدُونُ عَشْرَ حَالَاتٍ نِزَاعٍ وَكَيْفَ حُلَّتْ بِ«مِيثَاقِ
الْبَيَانِ» فِي أَصْلِهِ وَفُرُوعِهِ" ثُمَّ قَالَ "وَسَنَعْقِدُ لِقَاءً مَعَ أَهْلِ الْمِهْنِ لِنَجَرِّبَ وَنَقُومَ
فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾
(التَّوْبَةُ 105).

ثُمَّ وَضَعَتْ فِي صُدُورِ الدُّكَانَاتِ صَفَحَاتٍ صَغِيرَةً كُتِبَ فِيهَا "يُسْعِدُنَا
رِضَاكُمْ وَتُكْرِمُنَا مُرَاجَعَتُكُمْ" وَتَحْتَهَا مَعْنَى مُسْتَلٌّ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يَجِدُهُ كُلُّ
مَنْ دَخَلَ.

وَأَلْتَفَتَ الْإِمَامُ إِلَى أَهْلِ الْمَصَانِعِ وَذَوِي الْأَجْرِ الْيَوْمِيِّ فَقَالَ "حَقُّ الْعَامِلِ
رُكْنٌ فِي هَذَا الْمِيثَاقِ فَ«أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ» (حَدِيثٌ) "وَلَا
تُحْمَلُوا النَّاسَ مَا لَا يُطِيقُونَ وَإِذَا اسْتَعْمَلْتُمْ فَاتَّخِبُوا الصَّدَقَ وَالْأَمَانَةَ فَإِنَّهُمَا أَثْقَلُ
فِي الْمِيزَانِ مِنْ كُلِّ سِلْعَةٍ" ثُمَّ قَرَأَ

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ (التَّحَلُّ 90).

وَقَالَ "نُرِيدُ مِنْ سُوقِنَا أَنْ يَتَنَفَّسَ إِحْسَانًا كَمَا يَتَنَفَّسُ الْمَسْجِدُ
تَسْبِيحًا".

وَحِينَ أَذِنَ الْإِمَامُ بِ«الْمَشْهَدِ التَّطْبِيقِيِّ» تَقَدَّمَ رَجُلَانِ تَجَارَتُهُمَا مُتَجَاوِرَةٌ
بَيْنَهُمَا خِلَافٌ قَدِيمٌ عَلَى حُدُودِ عَرْضِ الْأَسْعَارِ وَشَرَحَ الْعُيُوبَ فَقَالَ الْإِمَامُ
"سُبْحَرَبُ «أَخْلَاقِ الْجَدَلِ» فِي الْبَيْعِ فَنَبَذْتُ بِ«تَهْدِيَةٍ» ثُمَّ «تَثَبَّتْ» ثُمَّ «حُجَّةٌ» ثُمَّ
«دَعْوَةٌ» ثُمَّ أَشَارَ إِلَى أَحَدِهِمَا فَقَالَ "أَبْدَأْ أَنْتَ" فَقَالَ بِنَفْسٍ لَيِّنٍ "أَعْتَذِرُ عَنْ
كَلِمَةٍ سَبَقَتْ فِي الْحَدَّةِ وَأَرْجُو أَنْ نَرْجِعَ إِلَى بَيَانٍ صَافٍ" فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذِهِ
«تَهْدِيَةٌ» مَفْتُوحَةٌ" ثُمَّ قَالَ لِلثَّانِي "هَاتِ بَيْنَتَكَ" فَقَالَ "هُنَا صُورَةُ الصَّنَاعَةِ وَهُنَا
مَوْقِعُ الْعَيْبِ وَهَذِهِ قِيَمَةُ النَّقْصِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا «تَثَبَّتْ» مُؤَزَّرٌ بِحُسْنِ الْعَرْضِ"
ثُمَّ قَالَ "أَقِيمَا «حُجَّةً» عَلَى مَا تَرَيَانِ" فَذَكَرَا مَا عِنْدَهُمَا فَقَالَ الْإِمَامُ

"﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (فُصِّلَتْ 34)

وَأَجْعَلَا نِهَايَةَ الْخِلَافِ «دَعْوَةً» إِلَى رَفْعِ الْأَذَى وَتَفْرِيجِ الْخَاطِرِ "فَتَعَاهَدَا
عَلَى تَسْقِيطِ قِسْمٍ مِنَ السَّعْرِ وَتَجْدِيدِ التَّوَصُّيفِ لِئَلَّا يَقَعَ مُشْتَرٍ عَلَى مَا لَا يَعْرِفُ.

وَفِي زَاوِيَةِ الرِّوَاقِ جَلَسَ أَهْلُ الْعُدَدِ وَالْأَدْوَاتِ وَمَعَهُمْ كِتَابُ الشَّكَاوَى
يَكْتُبُونَ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَحْوَالٍ فِي الْأُسْبُوعِ فِي بَسْطٍ وَتَفْصِيلٍ وَيُثَبِّتُونَ كَيْفَ
أَنْحَلَّ النَّزَاعُ بِ«مِيثَاقِ الْبَيَانِ» وَ«مِيثَاقِ التَّاجِرِ الْأَمِينِ» ثُمَّ يَجْمَعُونَ الْحَاصِلَ فِي

مَجْلِسِ الْجُمُعَةِ لِيُقَارَنَ الْأَثَرُ وَتُقَاسَ أَلْعَوَائِدُ وَقَدْ كُتِبَ فِي صَدْرِ الدَّفْتَرِ دُعَاءُ يَفْتَحُ الرِّزْقَ وَيَصْرِفُ الشُّبُهَةَ "اللَّهُمَّ اكْفِنَا بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَبِطَاعَتِكَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ".

وَسَارَ الْحَدِيثُ إِلَى مَسْأَلَةِ الصَّلَاةِ فِي أَوْقَاتِ التَّجَارَةِ فَقَالَ الْإِمَامُ "يَبْقَى الْأَذَانُ رَائِدًا فِي السُّوقِ كَمَا هُوَ رَائِدٌ فِي الْمَسْجِدِ فَنُطْفِئُ صَخَبَ الْبَيْعِ عِنْدَ النَّدَاءِ وَنُحْيِي الصَّفَّ عَلَى الْأَرْصَفَةِ فَ

﴿فِي يُبُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ﴾ (النُّورُ 36)

وَرِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (النُّورُ 37)

فَلْيَكُنْ لِلتَّاجِرِ نَصِيبٌ مَحْفُوظٌ مِنَ الْخُشُوعِ وَنَصِيبٌ عَادِلٌ مِنَ الرِّبْحِ". وَذَكَرَ بِنَصِّ نَبِيِّ يَزُنُ التَّرْبِيَّةَ "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ" (حَدِيثٌ) "فَلْتَكُنْ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ بَابَ الدُّكَّانِ".

وَعِنْدَ مَغِيبِ الشَّمْسِ نَزَلَ الْإِمَامُ مَعَ بَعْضِ التُّجَّارِ إِلَى السُّوقِ يَتَفَقَّدُونَ الْأَبْوَابَ الْمُعَلَّقَ عَلَيْهَا أَلْمِيشَاقُ وَيَسْمَعُونَ صَوْتَ أَلْمِيزَانِ كَأَنَّهُ يُسَبِّحُ فِي أَلْهَوَاءِ فَدَخَلُوا دُكَّانَ "مَرَوَانَ" وَهُوَ بَائِعُ كِتَابٍ يُلْمِلُهُ مَا بَقِيَ مِنْ مَصَاحِفَ فَقَالَ الْإِمَامُ "كَيْفَ وَافَقَكَ أَلْمِيشَاقُ" فَقَالَ "نَفَعَنِي فِي بَيَانِ الْحَاجَةِ وَفِي رِعَايَةِ السَّعْرِ وَفِي الْإِمْسَاكِ عَنِ الْحَلْفِ فَقَدْ نَهَيْتُ نَفْسِي أَنْ تُكْثِرَ الْأَيْمَانَ فِي التَّجَارَةِ" فَقَالَ الْإِمَامُ

"أَصَبْتَ فَإِنَّ الْحَقَّ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى تَرْوِيقٍ وَأَنَا أَذْكُرُ قَوْلَهُ تَعَالَى

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ (لُقْمَانُ 19)

فَالْقَصْدُ فِي الصَّوْتِ وَالْقَصْدُ فِي الثَّمَنِ سَوَاءٌ."

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ اجْتَمَعُوا فِي قَاعَةِ الْمَدْرَسَةِ لِإِقَاءِ أَهْلِ الْمِهْنِ «فَعَرَضَتْ أُمِّئِلَةُ مِنْ أَنْوَاعِ النَّزَاعِ تَتَرَاوَحُ بَيْنَ تَأَخُّرِ تَسْلِيمٍ وَخَفَاءِ عَيْبٍ وَتَبَايُنِ وَصْفٍ فَقَالَ الْإِمَامُ "نُطَبِّقُ أَحْلَاقَ الْجَدَلِ" ثُمَّ أَخَذَ مِثَالًا فَقَالَ "يَدْخُلُ مُشْتَرٍ وَفِي يَدِهِ عَمَلٌ لَمْ يُتَمَنَّ فَيَقُولُ التَّاجِرُ: «أَعْتَذِرُ» هَذِهِ «تَهْدِيَةٌ» ثُمَّ يَطْلُبُ بَيْنَهُ الْعَيْبَ وَمَا قَبْلَهُ مِنْ وَقُوعٍ هَذَا «تَثَبُّتٌ» ثُمَّ يَسْأَلُ حُجَّتَهُ فِي التَّعْوِيزِ وَالْمُدَّةِ هَذِهِ «حُجَّةٌ» ثُمَّ يَدْعُو صَاحِبَهُ إِلَى مَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ لِلْجَمِيعِ هَذِهِ «دَعْوَةٌ» فَيَنْصَرِفُ الطَّرْفَانِ وَفِي الْقَلْبِ سَعَةٌ." ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (هُودٌ 85)

"لِيَكُونَ الْقَعْدُ فِي كُلِّ نَارِلَةٍ."

وَمَرَّ الشَّهْرُ كَمَا تَمُرُّ سَحَابَةٌ مَاطِرَةٌ تُسْقِي كُلَّ بُقْعَةٍ بِقَدَرِهَا وَفِي آخِرِهِ رَجَعُوا إِلَى الْمَسْجِدِ بِ«دَفَاتِرِ الْأَثَرِ» فَعَرَضَتْ جَدَاوِلُ مُصَغَّرَةٍ تَذْكُرُ عَشَرَ حَالَاتٍ لِكُلِّ مِهْنَةٍ وَطَرِيقَ حَلِّهَا بِ«الْمِيثَاقِ» ثُمَّ قِيسَ الرِّضَا فَبَارَكَتْ الْقُلُوبُ بِمَا رَأَتْ مِنْ أَرْتِفَاعِ «شَهَادَاتِ الرِّضَا» حَتَّى بَلَغَتْ ثَمَانِينَ فِي الْمِائَةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَحَالِّ

وَقَامَ الْإِمَامُ وَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَرَأَ

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يُوسُفُ)

(108)

وَقَالَ "أَنْتُمْ سَبِيلٌ إِلَى اللَّهِ فِي السُّوقِ كَمَا أَنْتُمْ سَبِيلٌ فِي الْمَسْجِدِ".

وَفِي خِتَامِ الْمَجْلِسِ قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَتَأَمَّلُ الْوُجُوهَ "نُشِبْتُ الْمِيثَاقَ فِي قُلُوبِنَا قَبْلَ الْجُدْرَانِ فَمَنْ حَمَلَ الْأَمَانَةَ لَمْ يَضِقْ بِهَا مِيزَانُهُ وَمَنْ صَدَقَ فِي الرَّبْحِ فَقَدْ رَبَحَ فِي الْقِيَامَةِ

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (الْأَنْعَامُ 160)

وَأَذْكُرْكُمْ وَأَنَا مَعَكُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (التَّوْبَةُ 31).

ثُمَّ ذَكَرَ "إِنَّ التَّجَارَ يُبْعَثُونَ فُجَارًا إِلَّا مَنْ اتَّقَى وَبَرَّ وَصَدَقَ" (حَدِيثٌ)
"فَلَنَسْأَلِ اللَّهَ التَّقَى وَالْبِرَّ وَالصَّدْقَ".

وَنَهَضَ الْقَوْمُ عَلَى أَثَرِ دُعَاءٍ يَجْمَعُ مَا تَفَرَّقَ "اللَّهُمَّ اجْعَلْ سُوقَنَا ذِكْرًا وَرِزْقَنَا حَلَالًا وَنِيَّتَنَا صَالِحَةً وَمِيزَانَنَا قَسْطًا وَصَنِيْعَنَا إِحْسَانًا" ثُمَّ أَنْفَضُوا وَفِي الصُّدُورِ «مِيثَاقُ تَاجِرِ أَمِينٍ» يَلُوحُ كَنُجْلَةٍ صُبْحٍ وَعَلَى الْأَبْوَابِ صَحِيفَاتٌ تُذَكِّرُ

الْعَايِرَ أَنَّ الصَّفْقَةَ ذِكْرٌ وَأَنَّ الْمِهْنَةَ عِبَادَةٌ وَأَنَّ الدَّرْهَمَ يَزِنُهُ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يَزِنَهُ النَّاسُ
وَأَنَّ الْأَمَانَةَ لَا تَكْبُرُ فِي أَلْيَدٍ حَتَّى تَكْبُرَ فِي الْقَلْبِ.

وَفِي أَيَّامٍ تَلَتْ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ بَدَأَ النَّاسُ يَرَوْنَ ثِمَارًا صَغِيرَةً عَلَى أَطْرَافِ
الْمِهْنِ فَهَذَا يَكْشِفُ عَيْنًا قَبْلَ الطَّلَبِ وَهَذِهِ تُقِيمُ ثَمَنًا بِكَلِمَةٍ «رِضًا» وَهَؤُلَاءِ
يُثْبِتُونَ ضَابِطًا لِلْمَرْجُوعَاتِ وَفِي الْمَسَاءِ تَتَنَازَلُ الْمَحَالُّ عَنْ جُزْءِ رِنَحٍ لِفَقِيرٍ عَلَى
بَابِ الْمَسْجِدِ فَيَجْتَمِعُ لِلدِّينِ وَجْهٌ جَمِيلٌ فِي الصَّفِّ وَوَجْهٌ جَمِيلٌ فِي السُّوقِ
وَتَبْقَى فِي الْأَذَانِ تِلَاوَةُ تُسَاقُ كُلُّ غَدٍ إِلَى الْعَمَلِ

﴿وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾
(الْقَصَصُ 77)

وَفِي الْقُلُوبِ نَبْرَةٌ تَحْرُسُ الصَّفْقَةَ

﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (النُّورُ 37)

فَيَنْقَى الْجِسْرُ مَمْدُودًا بَيْنَ الْمَحْرَابِ وَالْمِيزَانِ لَا يَنْقَطِعُ إِلَّا لِرُكُوعٍ أَوْ
سُجُودٍ ثُمَّ يَعُودُ لِيَحْمِلَ الرِّزْقَ طَيِّبًا وَالْكَلِمَةَ مُقِيمَةً وَالْقَلْبَ رَاضِيًا.

الدَّرْسُ الثَّانِي عَشَرَ: حَصَادُ الْجَدَلِ

إِنْ سَابَ الْمَسَاءُ عَلَى الرُّوَاقِ فَالْقَى ظِلًّا رَقِيقًا عَلَى الْأَعْمَدَةِ وَالْقُلُوبِ
تَتَجَافَى عَنِ الصَّخْبِ كَأَنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ غَمَامَةٍ إِلَى صَفَاءِ الْهَوَاءِ فَجَلَسَ الْأَبَاءُ
وَالْأُمَّهَاتُ وَالشَّبَابُ وَالصَّبِيَّةُ حَوْلَ سَجَادَةٍ كَبِيرَةٍ قُدِّمَتْ فِي صَدْرِ الْمَسْجِدِ
وَوُضِعَتْ فَوْقَهَا صَحِيفَةٌ سَمَّاها الْإِمَامُ «مَحْضَرُ الْحَصَادِ» وَبِجَانِبِهَا صَحِيفَةٌ أُخْرَى
لَوْنَتَهَا الْأَيْدِي بِحَبْرٍ أَخْضَرَ سَمَّاها «خَرِيطَةُ التَّحْسِينِ». وَقَامَ الْإِمَامُ وَفِي صَوْتِهِ
هُدُوءٌ مَنْ يَقِيسُ الْقَوْلَ بِمِقْدَارِ الْعَدْلِ وَيَزِنُ النَّبْضَ بِمِيزَانِ الْقَصْدِ فَقَالَ "نَبْدَأُ
الْحَصَادَ بِمِفْتَاحٍ مِنَ الْكِتَابِ لِيَقِفَ كُلُّ عَلَى مَوْقِفٍ نَفْسِهِ مِنْ غَدِهِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾" (الْحَشْرُ 18)

"ثُمَّ نَرْفَعُ الْقَلْبَ عَلَى قَاعِدَةِ الْجَهْدِ وَالْعَدْلِ

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾" (النَّجْمُ 39)

"فَمَنْ زَرَعَ كَلِمَةً حَسَنَةً حَصَدَ سَكِينَةً وَمَنْ زَرَعَ حُجَّةً بِلُطْفٍ حَصَدَ
قَرَابَةً فِي الْقُلُوبِ."

وَأَنحَدَرَتِ الْأَنْفَاسُ مُتَوَاتِرَةً وَعَلَى وَجْهِ الْمَجْلِسِ سَكِينَةٌ تُشَبِّهُ نُورًا قَائِمًا
بَيْنَ الْمَحْرَابِ وَالصُّفُوفِ ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ "قَبْلَ أَنْ نُقْرَأَ الْمَحْضَرَ نُجَدِّدُ النِّيَّةَ فَإِنَّ
«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»" (حَدِيثٌ) "ثُمَّ نُكَبِّرُ مِقْدَارَ
الصَّدَقِ فِي التَّقْيِيدِ وَالرَّصْدِ لِأَنَّ الْحَقَّ لَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا بِشُهَادٍ وَكِتَابٍ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾"
(النِّسَاءُ 135).

ثُمَّ عَرَجَ بِنَظَرِهِ إِلَى الصَّحِيفَتَيْنِ وَقَالَ "هَذِهِ ثَمَرَاتُ قَطْفِنَاهَا فِي الْبَيْتِ
وَالْمَدْرَسَةِ وَالسُّوقِ وَمَا بَقِيَ مِنْ شُجَيْرَاتٍ نُقِومُهَا بِ«خَرِيطَةِ التَّحْسِينِ» وَنَسْتَأْنِفُ
الرَّحْلَةَ عَلَى بَصِيرَةٍ."

وَرَفَعَ "صَفْوَانٌ" وَهُوَ فَتَى كَانَ أَمْسٍ مِمَّنْ تَسْتَفِزُّهُمْ الْمُنَاكَفَةُ فِي
الْمَجْمُوعَاتِ الرَّقْمِيَّةِ يَدُهُ فَقَالَ وَالْحَيَاءُ يَتَصَاعَدُ فِي صَوْتِهِ "قُلْتُ فِي جَدَلٍ قَدِيمٍ
كَلِمَةً أَذْتُ زَمِيلًا وَكُنْتُ أَرَى الْغَلْبَةَ فِي صَرَاحِ الْحُرُوفِ فَتَعَلَّمْتُ هُنَا أَنْ أَقْفَ
عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾" (الْإِسْرَاءُ 53)

"وَأَنَّ «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقْلُ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»"
(حَدِيثٌ) "فَهَذَا حَصَادِي أَقْدَمُهُ". فَابْتَسَمَ الْإِمَامُ وَقَالَ "هَكَذَا يَكْبُرُ الرَّبُّحُ عِنْدَ

اللَّهُ وَهُوَ يَسِيرُ فِي أَعْيُنِكُمْ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَنْقَى

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ " (الْبَقَرَةُ 110).

ثُمَّ قَامَتْ "أُمُّ مَالِكٍ" وَفِي يَدِهَا «دَفْطَرٌ صَغِيرٌ» قَالَتْ "كُنَّا نَدْخُلُ الْمَسَاءَ وَعِنْدَ الصُّغَارِ صَجِيجٌ كَلِمَاتٍ وَالْقَلْبُ يَضِيقُ ثُمَّ أَقْمَنَا «مِثَاقَ الْكَلِمَةِ» فِي الْيَتِّ وَجَرَّبَنَا «جُمْلَ التَّهْدِئَةِ» وَرَفَعْنَا عَلَى الْجِدَارِ قَوْلَهُ تَعَالَى

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ " (ق 18)

"فَأَصْبَحَ الْخِصَامُ يَنْقَطِعُ فِي أَوَّلِهِ وَأَصْبَحَتْ الْعُيُونُ تُفْلِتُ مِنْ شَرِّ النَّظَرِ إِلَى طَيْبِ الْإِبْتِسَامَةِ". فَقَالَ الْإِمَامُ "جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ جَعَلْتَ لِلْبَيْتِ حَاجِزًا مِنْ ذِكْرِ يَمْنَعُ الشَّيْطَانَ وَقَدْ قِيلَ «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ»" (حَدِيثٌ) "فَنَكُفُّ أَلْسَانَ عَنْ أَلْسَبٍ وَنَجْعَلُ الدُّعَاءَ بَدَلًا".

وَتَقَدَّمَ "مُعَاذٌ" مُعَلِّمُ اللُّغَةِ فِي الْمَدْرَسَةِ وَقَالَ "جَرَّبْنَا فِي الصَّفِّ «دَلِيلَ الْأُسْلُوبِ» فَحَفِظَ الطُّلَابُ قَوْلَهُ تَعَالَى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ " (الْأَحْزَابُ 70)

"وَقَدَّمْنَا مَعَهُ

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا﴾ " (طه 44)

"فَسَسْنَا مِقْيَاسًا بَيْنَ الصَّلَابَةِ وَاللُّطْفِ فِيمَا يَحْسُنُ وَمَا يَلِينُ وَنَقَصَ
التَّنَابُزُ فِي الْحِصَصِ وَظَهَرَتْ حُجَجُ تَقْوَمُ عَلَى أَدَبٍ". فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا مِمَّا
يَشْهَدُ لَكُمْ يَوْمَ تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ فَ

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾" (آلِ عِمْرَانَ 30).

وَقَامَ "مَرْوَانُ" بَائِعُ الْكُتُبِ وَقَالَ "حَلَلْنَا عَشْرَ مَسَائِلَ نِزَاعٍ يَبْعِي بِ«مِثَاقِ
التَّاجِرِ الْأَمِينِ» وَكَانَ كُلُّ خِلَافٍ نَبْدُوهُ بِ«تَهْدِيَةٍ» ثُمَّ «تَثْبِيتٍ» ثُمَّ «حُجَّةٍ» ثُمَّ
«دَعْوَةٍ» وَرَفَعْنَا عَلَى أَلْبَابِ قَوْلِهِ تَعَالَى

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾" (هُودٌ 85)

"فَطَابَ رِضَا النَّاسِ وَأَصْبَحَ الْمِيزَانُ يُسَبِّحُ كَلِمَةَ الْقِسْطِ". فَقَالَ الْإِمَامُ
"بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ وَقَدْ قِيلَ «التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ»" (حَدِيثٌ).

ثُمَّ قَرَأَ الْإِمَامُ مِنْ «مَحْضَرِ الْحَصَادِ» وَهُوَ يُقَلِّبُ الصَّحِيفَةَ وَيُسْطَرُّ عَلَى
الْهُوَامِشِ مَعَانِي تَشْبِيهِ الْعُقُودِ فَقَالَ "فِي الْبُيُوتِ هَبَطَ الْإِنْفَعَالُ اللَّفْظِيُّ وَارْتَفَعَتْ
«سُلَّمُ النَّصِيحَةِ» مِنَ التَّغْيِيرِ إِلَى التَّدْرِيبِ وَفِي الْمَدْرَسَةِ انْقَطَعَتِ السُّخْرِيَةُ إِلَّا
قَلِيلًا وَفِي السُّوقِ أُقِيمَ الْوَزْنُ بِالْقِسْطِ وَامْتَنَعَ الْغِشُّ وَالْخِلْفُ الْمُكْثَرُ" ثُمَّ أَضَافَ
"وَفِي الْمَسْجِدِ اشْتَدَّ عَصَبُ الْجَمَاعَةِ وَقَوِيَتْ صَلَاتُهَا فَقَدْ رَأَيْنَا الْقُلُوبَ

تَتَوَاصَى بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ

﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (الْعَصْرُ 1-3).

وَحِينَ بَلَغَ الْقَوْمُ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ قَالَ الْإِمَامُ "لَا بُدَّ مِنْ «مِيزَانِ الْمُرَاجَعَةِ»
فَمَا صَلَحَ اثْبَتْنَاهُ وَمَا وَهَى قَوَيْنَاهُ وَمَا أَشْتَبَهَ أَوْضَحْنَاهُ وَنَجْعَلُ لِلطَّرِيقِ «مِيزَانَ
الْثَّبَاتِ» فَلَا نَكُونُ كَمَنْ يَبْنِي ثُمَّ يَنْقُضُ

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَصَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ (النحل 92)

"ثُمَّ نَرْفَعُ «مِيزَانَ الْمَقْصِدِ» فَلَا نَتَّخِذُ الْجَدَلَ سَبِيلًا إِلَى الرِّبَاءِ بَلْ إِلَى
الْبَيَانِ وَالْإِحْسَانِ

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة 83).

وَقَامَ صَبِيٌّ يُدْعَى "نَبِيلاً" وَكَانَ قَدْ طَالَ خُصُومَتُهُ مَعَ زَمِيلٍ لَهُ فِي الصَّفِّ
فَقَالَ "تَعَلَّمْتُ أَنْ أَسْتَأْنِيَ قَبْلَ الْحُكْمِ وَأَنْ أَرْفَعَ قَوْلَ اللَّهِ

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ (الحجرات 6)

"وَأَنْ أَقُولَ لِنَفْسِي كُلِّ لَيْلَةٍ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِمَنْ ظَلَمْتُهُ» فَيَصْغُرُ الْكِبَرُ
فِي قَلْبِي وَتَكْبُرُ الرَّحْمَةُ". فَأَجَابَهُ الْإِمَامُ "أَحْسَنْتَ وَقَدْ قِيلَ «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»"

(حَدِيثُ) "فَانْصَحْ لِنَفْسِكَ أَوَّلًا ثُمَّ لِأَخِيكَ وَسَيَجْمَعُ اللَّهُ شَعَثَكُمْ".

وَمِمَّا قُرِئَ فِي الْمَجْلِسِ مِمَّا كُتِبَ فِي «مَذْكِرَةِ الْأَثَرِ» قِصَّةُ فَتَاةٍ تُدْعَى
"حَنَاءَ" كَانَتْ تَغْضَبُ عِنْدَ التَّعْلِيْقِ عَلَى قِرَاءَتِهَا فَتَقُولُ لِرَفِيقَتِهَا كَلِمَاتٍ تُؤْذِي
فَلَمَّا سَمِعَتْ قَوْلَهُ تَعَالَى

﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ﴾ (الْحُجُرَاتُ 11)

"وَقَوْلُهُ

﴿وَيْلٌ لَّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾" (الْهُمَزَةُ 1)

"كَتَبْتُ عَلَى دَفْتَرِهَا «أَنَا لَا أَنَالُ الْكَرَامَةَ بِإِهَانَةِ غَيْرِي» وَخَفَّتْ فِي قَلْبِهَا
الْغَيْرَةُ الْمَذْمُومَةُ وَصَارَتْ تُثْنِي عَلَى مَا أَحْسَنَتْهُ زَمِيلَتُهَا قَبْلَ التَّعْقِيبِ عَلَى مَا
فَاتَ". فَبَكَى أَبُوهَا شُكْرًا وَقَالَ "مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ كَلِمَةً تُقِيمُ قَلْبًا" فَقَالَ الْإِمَامُ
"وَاللَّهِ يُقِيمُ بِكَلِمَةٍ مَا لَا تُقِيمُهُ أَعْوَامٌ".

وَحِينَ انْتَهَى الْقِرَاءَةُ مِنْ «مَحْضَرِ الْحَصَادِ» قَالَ الْإِمَامُ "نَدْخُلُ الْآنَ فِي
«خَرِيطَةِ التَّحْسِينِ» فَتَرْسُمُ سُبُلًا تُتْرَكُ وَأُخْرَى تُسْلَكُ وَثَالِثَةٌ تُقَوَّى" ثُمَّ ذَكَرَ مَعَالِمَ
تُشَبِّهُ نَقْطًا مُتَوَازِيَةً فِي الْأَفْقِ وَهُوَ يَسْتَشْهَدُ بِالْكِتَابِ فَقَالَ "أَوَّلُهَا تَجْدِيدُ الْعَهْدِ

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾" (الْإِسْرَاءُ 34)

"وَتَأْنِيهَا تَزْكِيَةُ النَّبِيِّ فِي كُلِّ حَوَارٍ وَكُلِّ حُجَّةٍ وَتَالِثُهَا الْإِسْتِمْرَارُ عَلَى الْمُرَاجَعَةِ بِلَا مَلَلٍ

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾"
(آلِ عِمْرَانَ 139).

ثُمَّ قَالَ "نَضْعُ لِكُلِّ بَيْتٍ وَلِكُلِّ صَفٍّ وَلِكُلِّ دُكَّانٍ سَطْرًا يَتْرُكُ أَثْرًا".

وَفِي رَكْنٍ مِنَ الْمَسْجِدِ رَفَعَتْ "خَدِيجَةُ" صَوْتَهَا وَقَالَتْ "لِي قِصَّةٌ فِي الْعَفْوِ" ثُمَّ رَوَتْ كَيْفَ سَمِعَتْ مَا يُؤْذِي فَانْصَبَتْ فِي الصَّدْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾" (فُصِّلَتْ 34)

"وَتَذَكَّرْتُ «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا»"
(حَدِيثٌ) "فَعَفْتُ وَصَفَحْتُ فَأَطْلَقَ اللَّهُ قَلْبَهَا مِنْ قَيْدِ الْغَيْظِ". فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا مِثْلُ يَسُوقِ الْقَوْمِ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾" (النُّورُ 22).

ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ "نُحْتِمُ «خَرِيطَةَ التَّحْسِينِ» بِعَمَلٍ مُدَّتُهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ أُسْبُوعًا نُسَمِّيهِ «صَحِيفَةَ عَهْدٍ مُسْتَأْنَفَةٍ» نُنَبِّئُ فِيهَا «جُمَلَ التَّهْدِيَةِ» وَ«قَوَاعِدَ التَّثْبِتِ» وَ«مِثَاقَ التَّرْجُمَةِ» وَ«قَوَاعِدَ الدَّفْعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» وَنَجْعَلُ لِكُلِّ أُسْبُوعٍ قِصَّةً

تُرَوَّى وَآثَرًا يُقَاسُ وَمَوْقِعًا يُهْدَبُ". ثُمَّ تَلَا

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

(التَّوْبَةُ 105)

"لِيُقَوِّمَ الْأَعْمَلُ عَلَى الْمُرَاقَبَةِ وَالْإِحْسَانِ".

وَقَبْلَ التَّوَقُّعِ عَلَى «صَحِيفَةِ الْعَهْدِ» دَعَا الْإِمَامُ شَابًّا يُقَالُ لَهُ "رَبِيعٌ" كَانَ يُكْثِرُ الْمُجَادَلَةَ فِي الْمَجَالِسِ فَقَالَ "قُلْ لَنَا مَاذَا أَخَذْتَ" فَقَالَ "أَخَذْتُ أَنْ أُقَدِّمَ السَّمْعَ عَلَى الْكَلَامِ

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾" (الرُّمُرُ 18)

"وَأَنْ أَجْعَلَ غَايَةَ الْجَدَلِ الْبَيَانَ لَا الْعَلَبَةَ وَأَنْ أَقِفَ عِنْدَ حُدُودِ اللِّسَانِ

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ﴾" (ق 18).

فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذِهِ بَصِيرَةٌ تَسُوقُكَ إِلَى الرُّشْدِ وَسَيَرِيدُكَ اللَّهُ هُدًى".

وَبَعْدَ أَنْ طَافَ الْحَدِيثُ فِي الْحَلَقَةِ كَالْيَاسَمِينِ يَنْشُرُ عِطْرَهُ بِلَا صَحْبٍ قَالَ الْإِمَامُ "نَحْنُ مَجْلِسُنَا بِثَلَاثِ شَهَادَاتٍ: شَهَادَةُ قَلْبٍ أَنْ لَا نُرِيدُ بِالْجَدَلِ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ وَشَهَادَةُ لِسَانٍ أَنْ لَا يَقُولَ إِلَّا اللَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وَشَهَادَةُ يَدٍ أَنْ تَكْتُبَ الصُّلْحَ وَتَحْفَظَ الْعَهْدَ وَتَرْفَعَ الْأَذَى". ثُمَّ قَرَأَ

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ (النحل 90)

"وَنَجْعَلُهَا مِيزَانًا فِي الْمَجْلِسِ وَفِي السُّوقِ وَفِي الْمَدْرَسَةِ."

ثُمَّ رَفَعَ كَفِّهِ وَقَالَ "اللَّهُمَّ أَجْمَعْ كَلِمَتَنَا عَلَى الْحَقِّ وَاجْعَلْ جَدَلَنَا سَبِيلًا إِلَى الْبَيَانِ وَالرَّحْمَةِ وَاحْفَظْ أَلْسِنَتَنَا عَمَّا تَكْرَهُ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ" ثُمَّ آمَنَ الْحَاضِرُونَ وَفِي الْعُيُونِ بَرِيقُ رِضَا يُشَبِّهُ مَطَرًا دَافِقًا يَنْزِلُ عَلَى حَدَائِقِ الصُّدُورِ.

وَبَعْدَ الدُّعَاءِ قَالَ الْإِمَامُ "نَتَفَارَأُ قِصَصًا قَصِيرَةً نُثَبِّتُ بِهَا أَثَرَ الْمَوَائِقِ" فَقَامَ "أَبُو أَيُّوبَ" وَحَكَى كَيْفَ رَدَّ «سُخْرِيَّةً» جَارٍ عَنْ مَسْجِدِ الْحَيِّ إِلَى «مُصَافَحَةٍ» بِ«قَوْلِ لَيْلٍ» وَنَقَلَ الْخِلَافَ إِلَى «شُغْلِ يَدٍ» فِي خِدْمَةِ الطُّرُقَاتِ وَقَامَتْ «أُمُّ فَتْحٍ» تَذْكُرُ كَيْفَ حَوَّلَتْ مَشْهَدًا مِنَ الْمُنَاكَفَةِ بَيْنَ الْبَنَاتِ إِلَى «حَلَقَةٍ تَعْلَمُ» تَقْرَأُ فِيهَا «جُمْلَ التَّهْدِيَةِ» ثُمَّ تُجَرِّبُهَا فِي مَرَاجِلِ ثَلَاثٍ حَتَّى تَنْطَفِئَ الْحِدَّةُ وَتَقُومَ الْحُبَّةُ وَتَثْبُتَ الْمَحَبَّةُ. وَقَالَ "سَعِيدٌ" وَهُوَ شَابٌّ يَعْمَلُ فِي دُكَّانِ الْحَدِيدِ "تَعَلَّمْتُ أَنْ أَتْرُكَ «حَرَارَةَ الْمَكَانِ» عِنْدَ الْجَدَلِ فَلَا أَرْفَعُ صَوْتِي وَقَدْ قَالَ اللَّهُ

﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ (لُقْمَانُ 19)

"فَأَصْلَحَ اللَّهُ مَا كَانَ يَفْسُدُ مِنَ الصِّفْقَةِ بِسَبَبِ الْإِنْفِعَالِ."

وَعِنْدَمَا اسْتَوَتْ الْقِصَصُ كَأَنجُمٍ فِي سَمَاءٍ وَاحِدَةٍ قَالَ الْإِمَامُ "هَذَا هُوَ «حَصَادُ الْجَدَلِ» الَّذِي نُرِيدُهُ أَنْ يَكُونَ قِسْطًا وَمِيزَانًا وَمِرْآتَةً تُرِينَا مَا نُحِبُّ وَمَا لَا نُحِبُّ فَنَقُومُ وَنُثَبِّتُ وَنَزِيدُ". ثُمَّ بَسَطَ الصَّحِيفَةَ الْجَدِيدَةَ وَقَالَ "نُوقِعُ الْيَوْمَ عَلَى «صَحِيفَةِ الْعَهْدِ» وَنَجْعَلُهَا لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُسْبُوعًا قَادِمَةً وَنَكْتُبُ فِي صَدْرِهَا

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾" (الْإِسْرَاءُ 34) "وَنَجْعَلُ لِكُلِّ أُسْبُوعٍ «مَحُورًا» يُقَاسُ وَ«قِصَّةً» تُرَوَّى وَ«وَاقِعًا» يُقُومُ وَ«دُعَاءً» يُخْتَمُ بِهِ اللَّيْلُ". فَتَقَدَّمَ الْحَاضِرُونَ وَقَدَّ غَسَلُوا قُلُوبَهُمْ بِالنِّيَّةِ وَالتَّوْبَةِ وَوَقَّعُوا وَفِي أَسَانِيدِ الْقُرْطَاسِ رَيْنٌ يَشْهَدُ لِلْعَهْدِ أَنَّهُ بَاقٍ وَأَنَّ الشَّمْرَ مُدْرِكٌ.

ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ "أَرْفَعُ خِتَامَ الْحَصَادِ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَجْمَعُ الطَّرِيقَ «أَسْتِقَامَةً» فَمَنْ أَرَادَ الْحَقَّ بِلَا أَسْتِقَامَةٍ ضَلَّ وَمَنْ سَأَلَ الْغَلْبَةَ بِلَا رَحْمَةٍ جَارَ وَمَنْ نَصَبَ مِيزَانَ الْمَقْصِدِ وَالثَّبَاتِ وَالْمُرَاجَعَةِ فَقَدْ أَقَامَ الْأَمْرَ عَلَى قَاعِدَةٍ لَا تَهْزِمُهَا الرِّيَاحُ" ثُمَّ تَلَا "

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾" (فُصِّلَتْ (30).

وَاتَّبَعَهَا بِحَدِيثٍ يَقُولُ «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ» (حَدِيثٌ) "فَنَكُونُ مِنْ

الْأُولَى لَا مِنَ الثَّانِيَةِ."

وَإِذْ أَنْفَضَ الْمَجْلِسُ خَرَجَ الْقَوْمُ يَحْمِلُونَ فِي جُيُوبِهِمْ نُسَخًا صَغِيرَةً مِنْ «صَحِيفَةِ الْعَهْدِ» وَعَلَى أَلْسِنَتِهِمْ ذِكْرُ يُرْتَّبُ النَّفْسَ وَيُهَذِّبُ النَّبْرَةَ وَيَشُدُّ مَا أُرْخِيَ مِنْ عَزْمٍ فَأُلْفَتِي يَقُولُ "سَأُرَوِّي غَدًا قِصَّةَ مَا أَثْمَرْتَهُ «جُمْلَةُ التَّهْدِيَةِ» فِي الصَّفِّ" وَالْأَبُ يَقُولُ "سَأُقِيمُ «مِيزَانَ الْمُرَاجَعَةِ» فِي أَلْبَيْتٍ قَبْلَ النَّوْمِ" وَالتَّاجِرُ يَقُولُ "سَأُدَوِّنُ كُلَّ نِزَاعٍ وَكَيْفَ حُلِّ بِ«مِثَاقِ أَلْبِيَانٍ» حَتَّى لَا يَضِلَّ الْمِيزَانُ". وَكَانَتْ أَلْسِمَاءُ تَنْشُرُ كَوَاكِهَا كَأَنَّهَا شُهُودٌ يُثْبِتُونَ أَنَّ «حَصَادَ الْجَدَلِ» لَيْسَ خِطَابًا يُقَالُ فَقَطْ بَلْ طَرِيقًا يُسَلِّكُ وَبَذْرًا يُسْقَى وَشَجَرًا يُرْعَى حَتَّى يَبْلُغَ أُمَّهُاتِ الثَّمَارِ.

وَفِي اللَّيْلِ إِذَا سَكَنَ الْحَيُّ وَأَطْفَاءُ النَّاسِ مَصَابِيحَهُمْ أَخَذَ الْإِمَامُ نُسَخَتَهُ مِنْ «الصَّحِيفَةِ» وَجَلَسَ فِي صَدْرِ الرِّوَاقِ يَقْرَأُ مَا كُتِبَ وَيَسْتَحْضِرُ قَوْلَهُ تَعَالَى

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذَّارِيَاتُ 22)

"ثُمَّ يَبْسُطُ كَفَّيْهِ وَيَقُولُ «اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَدَلَنَا لَكَ وَبِكَ وَفِيكَ وَأَكْفِنَا شَرَّ أَلْسِنَتِنَا وَاهْدِنَا لِأَحْسَنِ الْقَوْلِ وَأَحْسَنِ الْعَمَلِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ»" ثُمَّ يَقُومُ إِلَى الْمَحْرَابِ وَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ شُكْرًا وَيَقُولُ فِي آخِرِ سُجُودِهِ

"﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾" (الْبَقَرَةُ 127)

"﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾"

(الْفُرْقَانُ 74).

وَكَانَ الصُّبْحُ مِنَ الْغَدِ يَطْلُعُ عَلَى الْحَيِّ وَفِي الْبُيُوتِ "جُدُولٌ" يُقَاسُ فِيهِ
الْقَوْلُ وَفِي الْمَدْرَسَةِ «مَذَاكِرَةٌ» يَتَتَبَعُ فِيهَا التَّحْسِينُ وَفِي السُّوقِ «دَفْتَرُ رِضَا»
يُثَبِّتُ قِصَصَ الصُّلَحِ وَفِي الْمَسْجِدِ رِوَاقٌ يَنْتَظِرُ قِرَاءَةَ الْأُسْبُوعِ فَيَجِيءُ اللَّيْلُ وَيُقْرَأُ
مَا كُتِبَ وَتُجَدِّدُ الْعُهُودُ وَتُسَجَّلُ الْقِصَصُ وَيَبْقَى الْقَوْلُ الْفَاتِحُ لِهَذِهِ الْحَلَقَةِ
يُرَدِّدُهُ الْقَوْمُ وَهُمْ يَسِيرُونَ فِي طَرِيقِ الْبَيَانِ

﴿وَلَنَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ " (الْحَشْرُ 18)

﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النَّجْمُ 39)

"فَيَقْدُمُونَ لِغَدِهِمْ «قَوْلًا سَدِيدًا» وَ«عَهْدًا مُتَجَدِّدًا» وَ«حُجَّةً بِلَا قَسْوَةٍ»
و«رَحْمَةً بَغِيرِ ضَعْفٍ» وَيَمْضُونَ عَلَى السَّبِيلِ الْمُسْتَقِيمِ حَتَّى يَلْقَوْا رَبَّهُمْ وَقَدْ
حَفِظُوا لِأَلْسِنَتِهِمْ حُرْمَةً وَلِقُلُوبِهِمْ سَكِينَةً وَلِعُهُودِهِمْ وَفَاءً.

مُقَدِّمَةُ الرِّوَايَةِ الرَّابِعَةِ: تَثْبِيتُ الْهُوِيَّةِ وَتَفْعِيلُ

النُّهُوضِ

تَنْفُذُ هَذِهِ الرِّوَايَةِ إِلَى بَيْتِ الْأُسْرَةِ كَمَا يَنْفُذُ الثُّورُ إِلَى غُرْفِ أُطْفَئَتْ فِيهَا
الْمَصَابِيحُ فَتَوْقُظُ سُؤَالَ الْمَعْنَى وَتَرْفَعُ مِيزَانَ الْوُجْهَةِ وَتَجْمَعُ الْأَيْدِي عَلَى خَيْطِ
وَاحِدٍ يَشُدُّ الْقَلْبَ إِلَى الْقِيَمَةِ وَيَشُدُّ الزَّمَانَ إِلَى الْعَمَلِ فَتُصْبِحُ الْهُوِيَّةُ لَيْسَتْ
شِعَارًا يُرْفَعُ بَلْ مَشَارِيعَ صَغِيرَةٍ مُتَضَافِرَةٍ تُنْبِتُ آثَارًا وَاضِحَةً فِي الْبَيْتِ وَفِي
الْمَدْرَسَةِ وَفِي الْحَيِّ. تُفْتَحُ الْحَلَقَةُ أَوَّلًا «لَوْحَةُ الْقِيَمِ وَالْقُدُورَاتِ» فَتَرْسُمُ لِلْأَبْنَاءِ
وُلُوجَ الطَّرِيقِ بِوُجُوهِ نِيرَةٍ يَسْتَدِلُّونَ بِهَا فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ ثُمَّ تُثَبِّتُ «وَقْفًا مَنْزِلِيًّا»
يَجْمَعُ فُضُولَ النَّعَمِ فَيَصِيرُ مَصْرِفًا لِلرَّحْمَةِ وَمَرْسَى لِلتَّعَاوُنِ وَتُقِيمُ «صُنْدُوقَ
الْصَّدَقَةِ» لِتَتَرَبَّى النُّفُوسُ عَلَى الْإِيثَارِ فَتَقُولُ لِلزِّيَادَةِ كُونِي سَبَبًا لِأَثَرٍ طَيِّبٍ. ثُمَّ
تَخْرُجُ الْأُسْرَةُ إِلَى الْحَيِّ لِتَرْسُمَ «خَارِطَةَ مَوْسَسَاتٍ» تُوَصِلُ الْمَسْجِدَ وَالْمَدْرَسَةَ
وَالْجَمْعِيَّةَ وَمَجْلِسَ الْجِيرَةِ فَيَسْتَبِينُ طَرِيقُ الْعَطَاءِ وَتَنْتَظِمُ الزِّيَارَاتُ عَلَى قَاعِدَةٍ
«مَنْفَعَةٍ» وَ«مَالٍ» وَ«وَقْتٍ».

وَتُفَرِّدُ الرُّوَايَةَ لِلْسَّانِ مَقَامًا فَتَجْعَلُ لَهُ «مَصْنَعَ فَصَاحَةٍ» تُصَاغُ فِيهِ الْعِبَارَةُ عَلَى قَدْرِ الْحِكْمَةِ وَيُوزَنُ فِيهِ بَيْنَ السَّدَادِ وَاللِّينِ ثُمَّ تُقِيمُ «حَلَقَاتِ الْقُرْآنِ» لِتَكُونَ الْقَلْبَ النَّابِضَ لِكُلِّ مَشْرُوعٍ فَمَا مِنْ هُوِيَّةٍ تُرِيدُ التُّهُوسَ إِلَّا وَقَلْبُهَا كِتَابُ اللَّهِ يَتْلُوهُ الصَّبِيَّةُ وَيَتَدَارَسُهُ الْكِبَارُ

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آلْ عِمْرَانَ 103).

ثُمَّ تُوزَنُ بَيْنَ الْبَيْتِ وَالْمَدْرَسَةِ بِ«خُطَّةٍ» تُعْطَى لِلتَّعْلَمِ جَدُولًا وَلِلْقِيمِ مَقْدَارًا وَلِلرَّاحَةِ حُرْمَةً وَتَفْتَحُ «مَجْلِسَ الْجِيرَةِ» لِتَرْتَفِعَ أَلْعَاقَةُ مِنْ مُجَاوِرَةِ الْأَبْدَانِ إِلَى مُوَاصَلَةِ الْقُلُوبِ ثُمَّ تُسَخَّرُ الْأَيْدِي لِ«خِدْمَةِ النَّاسِ» فَتَصِيرُ الْهُوِيَّةُ عَمَلًا يَتَحَرَّكُ فِي الطَّرِيقَاتِ لَا وَصْفًا يُكْتَبُ فِي الدَّوَاوِينِ.

وَإِذَا بَلَغَتِ الْحَلَقَةَ بَابَ الشَّبَابِ أُقِيمَ «مَشْرُوعُ هُوِيَّةٍ» يُفَصِّلُ عَلَى قَدْرِ الْمِهَنِ وَالْمَوَاهِبِ وَالْمِيلِ فَيَتَعَلَّمُ الْفَتَى أَنْ يَحْمِلَ الْقِيمَ فِي زِيٍّ يُنَاسِبُ سِنَّهُ وَفِي لُغَةٍ يُحَسِّنُهَا وَفِي خِدْمَةٍ يَقْدِرُ عَلَيْهَا ثُمَّ تُنْشَأُ «مَصْفُوفَةُ أَثَرٍ» تُقَيَسُ مَا تَقَدَّمَ وَتُسَجَّلُ مَا تَأَخَّرَ وَتُحَدَّدُ طَرِيقُ التَّحْسِينِ لِكُلِّ بَابٍ

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

(الَّتُوبَةُ 105).

ثُمَّ تُخْتَمُ السَّنَةُ بِ«عَهْدٍ عَامٍّ جَدِيدٍ» يُجَدِّدُ النَّيَّةَ وَيُثَبِّتُ الْعُهُودَ وَيَفْتَحُ

لِلْقُلُوبِ نَافِذَةً عَلَى غَدٍ أَوْضَحَ وَأَسْكَنَ

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرَّعْدُ 11).

تُرِيدُ هَذِهِ الرُّوَايَةُ أَنْ تُحَوِّلَ «الْهُوِيَّةَ» مِنْ خِطَابٍ مُجْمَلٍ إِلَى جُزْئِيَّاتٍ
مَوْصُولَةٍ بِالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ فَتَبْدَأُ بِقَلْبٍ يَعْرِفُ مَنْزِلَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ بِلِسَانٍ يَنْطِقُ
بِالْحِكْمَةِ ثُمَّ بِيَدٍ تَخْدِمُ وَتَعْمُرُ

﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هُودُ 61).

وَفِي كُلِّ مَنْزِلٍ مِنْ هَذِهِ الْمَنَازِلِ مِيزَانٌ يُقِيمُ الْقَصْدَ وَيَحْفَظُ الْوَقْتَ
وَيَرْعَى الْعَدْلَ وَيُنْهَضُ الرَّحْمَةَ حَتَّى يَصِيرَ اللَّوْنُ الْخَاصُّ بِهِذِهِ الْأُسْرَةُ مُعْلَنًا فِي
الْحَيِّ يَجِدُهُ الْجَارُ فِي التَّحِيَّةِ وَيَلْمُسُهُ الرَّائِزُ فِي الْمَجْلِسِ وَيَرَاهُ الطِّفْلُ فِي التَّعَلُّمِ
وَيَتَذَوِّقُهُ الشَّابُّ فِي الْخِدْمَةِ. هَهُنَا تَنْهَضُ الْهُوِيَّةُ نُهْوضَ مَنْ يُقِيمُ صَرْحًا لَا مَنْ
يَرْفَعُ شِعَارًا وَهَهُنَا يَنْعَقِدُ «عَهْدُ النُّهْوضِ» عَلَى أَنْ يَبْقَى الْقَلْبُ مُتَّصِلًا بِالْقُرْآنِ وَأَنْ
يَبْقَى اللِّسَانُ صَادِقًا وَأَنْ تَبْقَى الْأَعْمَالُ جَارِيَةً فِي طَرِيقِ «مَشَارِبِ صَغِيرَةٍ» تُصْلِحُ
الْبَيْتَ وَتُسَعِّدُ الْحَيَّ وَتَشْدُّ أَرْزَ الْمَدْرَسَةِ وَتُزْهِرُ السُّوقَ حَتَّى نَبْلُغَ مَعًا مَقَامَ
«الْهُوِيَّةِ الرَّاشِدَةِ» الَّتِي تَجْمَعُ الْإِيمَانَ وَالْإِحْسَانَ وَالْعُمْرَانَ.

الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: لَوْحَةُ الْقِيمِ وَالْقُدُواتِ

أَسَدَلِ الْمَسَاءِ سِتَارَهُ عَلَى الْحَيِّ فَسَكَنَتِ الرِّمَاحُ الصَّوْتِيَّةُ لِلْيَوْمِ
وَتَوَاطَّاتِ الْأَنْفَاسُ عَلَى وَقْعِ هَادِيٍّ فَدَخَلَ الْإِمَامُ صَحْنَ الْبَيْتِ وَمَعَهُ صَحِيفَةٌ
بَيَضَاءُ تَلُوحُ كَمِرَّةٍ عَرِيضَةٍ تَنْتَظِرُ وَجْهًا صَادِقًا يَنْعَكِسُ عَلَيْهَا وَقَالَ وَهُوَ يَبْسُطُهَا
فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ "الْيَوْمَ نَرَسُمُ مَعَا «لَوْحَةَ الْقِيمِ وَالْقُدُواتِ»، نُحَدِّدُ فِيهَا مَا
يَجْمَعُ قُلُوبَنَا وَنَنْتَقِي لِكُلِّ قِيَمَةٍ وَجْهًا حَيًّا يُجَسِّدُهَا فِي الْبَيْتِ وَفِي الْمَدْرَسَةِ
وَفِي السُّوقِ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النَّحْلُ 90)

وَيَقُولُ

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الْأَحْزَابُ 21)

فَنَأْخُذُ بِالْأَمْرِ وَنَقْتَدِي بِالْأُسْوَةِ لِيَقُومَ الْبِنَاءُ عَلَى بَصِيرَةٍ. "وَالْأَبْنَاءُ
وَالْبَنَاتُ يَلْتَفُّونَ وَالْأُمُّ تُهَيِّئُ جَوْاءَ مِنَ السُّكُونِ وَالرِّضَا كَأَنَّهَا تَنْشُرُ سُكْرًا نَاعِمًا عَلَى
قُلُوبٍ تَتَفَتَّحُ.

وَرَسَمَ الْإِمَامُ ثَلَاثَ دَوَائِرَ كَبِيرَةٍ تَتَقَابَلُ وَتَتَدَاخُلُ قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ "هَذِهِ دَائِرَةُ الْبَيْتِ وَهَذِهِ دَائِرَةُ الْمَدْرَسَةِ وَهَذِهِ دَائِرَةُ السُّوقِ، فِيهَا نَعِيشُ وَمِنْهَا نَأْخُذُ وَإِلَيْهَا نَعِيدُ، وَسَنَزْرَعُ فِي كُلِّ دَائِرَةٍ قِيَمًا تَنْبُتُ أَفْعَالًا وَسُنُسَمِّي لِكُلِّ قِيَمَةٍ قُدْوَةً مِمَّنْ يَعِيشُ بَيْنَنَا لِيَرَاهُ الصَّغِيرُ وَيَقْتَدِيَ الْكَبِيرُ." ثُمَّ قَالَ وَفِي صَوْتِهِ رِقَّةٌ تَعْظِيمٌ "لَا يَكْفِي أَنْ نَنْطِقَ بِالْقِيَمَةِ بَلْ لَا بُدَّ أَنْ نَحْمِلَهَا فِي أَلْوَجْهِ وَفِي الْفِعْلِ، فَ«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى» (حَدِيثٌ).

وَبَدَأَتْ الْقَلَمُ يَنْقُطُ عَلَى الصَّحِيفَةِ كَمَا تَنْقُطُ الْغَيْثَةُ عَلَى الْأَرْضِ فَقَالَ الْإِمَامُ "نَجْعَلُ أَوَّلَ مَا نَكْتُبُ «الْصَّدَقَ» فَهُوَ عِمَادُ الْبِنَاءِ وَرُوحُ الْكَلِمَةِ وَاللَّهُ يَقُولُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾" (التَّوْبَةُ 119)

"وَنَجْعَلُ قُدْوَتَهُ فِي الْبَيْتِ «أُمًّا صَادِقَةً» لَا تَعْدُ إِلَّا بِمَا تَقْدِرُ وَفِي الْمَدْرَسَةِ «مُعَلِّمًا صَادِقًا» لَا يُخْفِي عَيْبَ الْجَوَابِ وَفِي السُّوقِ «تَاجِرًا صَدُوقًا أَمِينًا» يَرْفَعُ الْغِشَّ وَيَضَعُ الْبَيَانَ." فَابْتَسَمَتِ الْأُمُّ وَقَالَتْ "أُحِبُّ أَنْ يَرَانِي أَوْلَادِي وَأَنَا أَصْدُقُ فِي الْوَعْدِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّدَقَ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ (ص) «عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ»" (حَدِيثٌ).

وَسَطَرُوا «الْعَدْلَ» ثَانِيًا وَالْإِمَامُ يَتَلَوُ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾

(النِّسَاءُ 135)

وَقَالَ "قُدُوتُهُ فِي الْبَيْتِ «أَبُ يُقْسِمُ النَّظَرَ بَيْنَ الْأَوْلَادِ» وَفِي الْمَدْرَسَةِ
«مُرْشِدٌ يَعْدِلُ فِي التَّقْوِيمِ» وَفِي السُّوقِ «مُوزِّنٌ يُوفِّي الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ» فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾" (الْأَنْعَامُ 152).

وَقَالَ الْأَبُ "أَشْهَدُ أَنِّي أَحْتَاجُ إِلَى مِيزَانٍ يَضْبِطُنِي عِنْدَ الْغَضَبِ" فَقَالَ
الْإِمَامُ "وَالْحِلْمُ مِنَ الْعَدْلِ فِي النَّفْسِ."

ثُمَّ كَتَبُوا «الْإِحْسَانَ» وَتَذَكَّرُوا قَوْلَهُ تَعَالَى

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (التَّحْلُ 90)

وَقَوْلَ النَّبِيِّ (ص) «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ» (حَدِيثٌ)
فَقَالَ الْإِمَامُ "قُدُوتُهُ فِي الْبَيْتِ «جَارَةٌ تُطْعِمُ الْفُقَرَاءَ» وَفِي الْمَدْرَسَةِ «طَالِبٌ يَرْفَعُ
ضَعِيفًا» وَفِي السُّوقِ «صَانِعٌ يُثَقِّنُ عَمَلَهُ».» وَقَالَ "وَالْإِحْسَانُ عَمَلٌ دَائِمٌ لَا
يَنْقُطُ فَإِنَّ «أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»" (حَدِيثٌ).

وَكَتَبُوا «الْأَمَانَةَ» وَجَعَلُوا قُدُوتَهَا فِي الْبَيْتِ «فَتَى يُرَدُّ مَا اسْتُودِعَ» وَفِي

الْمَدْرَسَةِ «الْمُعَلِّمَ الَّذِي يَصُونُ السِّرَّ» وَفِي السُّوقِ «تَاجِرًا يَكْشِفُ الْعَيْبَ»
وَسَمِعُوا تِلَاوَةَ الْإِمَامِ

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (النِّسَاءُ 58)

فَاطَمَانَتْ الصُّدُورُ.

وَرَسَمُوا «الْحَيَاءَ» وَقَالَ الْإِمَامُ "هُوَ زِينَةُ الْقُلُوبِ وَسِتْرُ الْمَجَالِسِ وَقَدْ قِيلَ
«الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ»" (حَدِيثٌ) "فَجَعَلَ قُدُوتَهُ فِي الْبَيْتِ «أُخْتًا تَسْتُرُ نَفْسَهَا وَتَسْتُرُ
غَيْرَهَا» وَفِي الْمَدْرَسَةِ «مُرِيَّةً تَعْلَمُ ذَوْقَ النَّظَرِ» وَفِي السُّوقِ «بَائِعًا يَصُونُ اللِّسَانَ
وَالْمَنْظَرَ».

وَسَطَرُوا «الْعِلْمَ» وَسَمِعُوا الْقِرَاءَةَ

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه 114)

فَجَعَلُوا قُدُوتَهُ فِي الْبَيْتِ «أَبًا يَقْرَأُ قُرْآنًا قَبْلَ النَّوْمِ» وَفِي الْمَدْرَسَةِ «عَالِمًا
يُعَلِّمُ بِالْحَالِ قَبْلَ الْمَقَالِ» وَفِي السُّوقِ «حَرَفِيًّا يَتَعَلَّمُ كُلَّ يَوْمٍ صَنْعَةً صَغِيرَةً تُتَقِنُ
الْكَبِيرَةَ».

وَكَتَبُوا «الرَّحْمَةَ» وَقَرَأُوا

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾

فَارْتَعَدَتْ نُفُوسٌ وَقَرَأُوا مَعَهَا

﴿وَرَحِمْتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الْأَعْرَافُ 156)

فَسَكَنَتْ وَقَالَ الْإِمَامُ "قُدُّوْتهَا فِي الْبَيْتِ" أُمَّ تَضُمُّ قَلْبًا مُنْكَسِرًا» وَفِي
الْمَدْرَسَةِ «مُؤَدِّبٌ يَرْفَعُ نَفْسًا زَلَّتْ» وَفِي السُّوقِ «رَجُلٌ يُمَهِّلُ مُعْسِرًا». ثُمَّ ذَكَرَ
«الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ» (حَدِيثٌ).

وَجَعَلُوا «الشُّكْرَ» قِيَمَةً ظَاهِرَةً وَقَالَ الْإِمَامُ "هُوَ حِفْظُ النِّعْمَةِ بِذِكْرِهَا
وَأَسْتِعْمَالِهَا فِي الْخَيْرِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾"
(إِبْرَاهِيمَ 7) "قُدُّوْتهُ فِي الْبَيْتِ" جَدُّ يَحْمَدُ بَعْدَ كُلِّ لُقْمَةٍ» وَفِي الْمَدْرَسَةِ «أُسْتَاذٌ
يَذْكُرُ فَضْلَ الْمُعَلِّمِينَ» وَفِي السُّوقِ «صَاحِبٌ صَنْعَةٍ يَنْسِبُ الْفَضْلَ لِمُعَلِّمِهِ».

ثُمَّ عَرَجُوا عَلَى «الْخِدْمَةِ» فَكَتَبُوا بِنُقْطَةٍ كَبِيرَةٍ "خِدْمَةُ النَّاسِ" وَسَمِعُوا

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (الْمَائِدَةُ 2)

فَجَعَلُوا قُدُّوْتهَا فِي الْبَيْتِ «فَتَاةٌ تَخْدُمُ أُمَّهَا» وَفِي الْمَدْرَسَةِ «فَرِيقًا يُنْظِفُ
السَّاحَةَ» وَفِي السُّوقِ «مُهْنِيًّا يُصْلِحُ لِعَبْرِ الْقُدْرَةِ مَجَانًا». وَقَالَ الْإِمَامُ "مَنْ خَدَمَ
الْخَلْقَ فَقَدْ تَقَرَّبَ إِلَى الْحَقِّ".

وَحِينَ تَمَّتِ الْقِيَمُ الْعَشْرُ الْأُولُ وَامْتَلَأَتِ الدَّوَائِرُ بِنُقُوشٍ تَلْمُعُ قَالَ الْإِمَامُ

"نُرِيدُ لِكُلِّ قِيَمَةٍ قُدْوَةً حَيَّةً تَرَى" فَنَادَى الْأَبْنَاءُ بِأَسْمَاءٍ مِمَّنْ فِي الْحَيِّ وَالْمَدْرَسَةِ فَهَذَا «الْحَاجُّ صَالِحٌ» تَاجِرٌ صَدُوقٌ وَتِلْكَ «الْمُعَلِّمَةُ زَيْنَبُ» رَمْزُ لَيْنٍ وَسَدَادٍ وَذَلِكَ «الْجَارُ نُورُ الدِّينِ» يُقْبَلُ بِمَا عِنْدَهُ مِنْ قِلَّةٍ وَيُؤْثِرُ وَقِيلَ «الْقُدْوَةُ قُرْآنٌ مَشِيٌّ عَلَى الْأَرْضِ» فَبَكَى صَبِيٌّ صَغِيرٌ لِأَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهُمْ فَقَالَ الْإِمَامُ "«الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»" (حَدِيثٌ) «فَاجْهَبُوا الصَّالِحِينَ وَسَيَجْمَعُكُمْ اللَّهُ بِهِمْ».

وَقَامَ الْإِمَامُ فَرَسَمَ فِي زَاوِيَةِ اللَّوْحَةِ «مِيزَانَ الْمَقْصِدِ» وَقَالَ "نَزِنُ بِهِ كُلَّ قِيَمَةٍ، هَلْ تُؤَدِّي إِلَى قُرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَنَفْعٍ لِلنَّاسِ" ثُمَّ رَسَمَ «مِيزَانَ الْقُدْوَةِ» وَقَالَ "هَلِ الْوَجْهُ الَّذِي اخْتَرْنَاهُ يُجَسِّدُ الْقِيَمَةَ فِي الْحَالِ قَبْلَ الْمَقَالِ" ثُمَّ رَسَمَ «مِيزَانَ السَّدَادِ» وَقَالَ "هَلِ اللِّسَانُ يَنْطِقُ بِقَوْلٍ سَدِيدٍ وَالْيَدُ تَعْمَلُ بِعَمَلٍ قَوِيمٍ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾" (الْأَحْزَابُ 70).

وَهُنَا تَدَافَعَتِ الْعُيُونُ إِلَى اللَّوْحَةِ كَأَنَّهَُا تَنْظُرُ فِي مِرَآةٍ تُصَحِّحُ الْهَيْئَةَ وَتُعِيدُ الْمِسَاحَةَ لِلْقَلْبِ.

وَقَالَتِ الْأُمُّ "كَيْفَ نَحُولُ الْكَلِمَاتِ أَفْعَالًا يَوْمِيَّةً" فَقَالَ الْإِمَامُ "سَنُثَبِّتُ فِي أَسْفَلِ اللَّوْحَةِ جَدُولًا صَغِيرًا نُسَمِّيهِ «يَوْمِيَّاتِ الْقِيَمِ»، يُدَوِّنُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا فِعْلًا وَاحِدًا لِكُلِّ قِيَمَةٍ فِي الْيَوْمِ، وَسَنَقْيِسُ عِنْدَ آخِرِ الْأُسْبُوعِ «سَبْعَةَ أَفْعَالٍ قِيَمِيَّةٍ» ثَابِتَةً" ثُمَّ قَالَ "وَسَنَعَلِّقُ اللَّوْحَةَ فِي صَالَةِ الْبَيْتِ لِتَكُونَ شَاهِدًا وَمُذَكِّرًا وَآمِرًا

بِالْمَعْرُوفِ". وَقَرَأَ

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (الْعَصْرُ 1-3).

وَفِي لَيْلَةِ التَّلْعِيقِ اجْتَمَعَتِ الْأُسْرَةُ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَقَدْ أُطْفِئَتِ
الشَّاشَاتُ وَنُشِرَ فِي الْمَكَانِ عِطْرٌ خَفِيٌّ فَقَالَ الْإِمَامُ "سَنَرَفَعُ الْقِيمَ يَمِينٍ تَقُولُ
بِالْفِعْلِ قَبْلَ الْقَوْلِ" ثُمَّ قَرَأَ

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الْأَنْعَامُ

(162

وَتَبَتُّوا اللَّوْحَةَ عَلَى الْجِدَارِ كَأَنَّهَُا قَمَرٌ يَطْلُعُ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ فَيَتَّسِعُ. ثُمَّ
قَالَ الْإِمَامُ "سَنَزُورُ غَدًا قُدُوتَنَا فِي الْحَيِّ لِنَكْتُبَ تَحْتَ الصُّورِ كَلِمَةً تَشْهَدُ لَهُمْ
وَتَشْهَدُ عَلَيْنَا."

وَفِي الصَّبَاحِ سَارُوا يَسْتَظِلُّونَ بِذِكْرِ اللَّهِ فَدَخَلُوا دُكَانَ «الْحَاجِّ صَالِحٍ»
فَسَلَّمُوا وَقَالَ الْإِمَامُ "نُرِيدُ أَنْ نَتَعَلَّمَ مِنْكَ صِدْقَ الْبَيْعِ" فَقَالَ الرَّجُلُ وَفِي عَيْنِهِ
بَشَاشَةٌ "لَا أَحْلِفُ وَلَا أَخْفِي وَلَا أُزَيِّنُ نَقْصًا وَأَسْتَحْضِرُ قَوْلَهُ تَعَالَى

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾" (هُودٌ 85)

"وَأَمْتَنِعْ عَنِ الرَّبِّ قَدْرَ مَا أَسْتَطِيعُ لِأَنَّهُ قِسْمَةٌ ظَلَمَ

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ " (الْبَقَرَةُ 275).

فَكَتَبُوا تَحْتَ صُورَتِهِ "صِدْقٌ يَكْشِفُ الْعَيْبَ" وَأَنْصَرَفُوا.

وَتَوَجَّهُوا إِلَى الْمَدْرَسَةِ فَدَخَلُوا عَلَى «الْمُعَلِّمَةِ زَيْنَبَ» وَهِيَ تُدَرِّبُ
الْبَنَاتِ عَلَى «قَوْلِ لَيْنٍ» وَ«حُجَّةِ سَدِيدَةٍ» فَقَالَتْ "أُرَبِّي فِي قُلُوبِهِنَّ أَنَّ الْأَفْكَارَ
تُنَاقَشُ لَا الْأَشْخَاصَ" ثُمَّ قَرَأَتْ

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا﴾ (طه 44)

"وَأَقِفْ عِنْدَ

﴿قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾" (الْأَحْزَابُ 70).

فَكُتِبَ تَحْتَ صُورَتِهَا "لَيْنٌ يُقِيمُ السَّدَادَ".

وَأَنْحَرَفُوا نَحْوَ بَيْتِ «الْجَارِ نُورِ الدِّينِ» فَوَجَدُوهُ يَحْمِلُ كَيْسًا صَغِيرًا إِلَى
بَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ "هُوَ مِمَّا زَادَ فِيمَا رَزَقَنِي اللَّهُ" ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الْحَشْرُ 9)

فَكُتِبَ تَحْتَهُ "إِيثَارٌ يُشْبِعُ الْقُلُوبَ". وَصَارَتِ اللَّوْحَةُ تُجَمِّعُ وُجُوهًا حَيَّةً
يَرَاهَا الصَّغِيرُ فَيَسْتَدِلُّ وَيَتَذَوَّقُ.

وَعِنْدَ الْمَسَاءِ جَلَسُوا يَقْرَءُونَ مَا كُتِبَ فِي «يَوْمِيَّاتِ الْقِيَمِ»، فَهَذَا «فِعْلٌ صِدْقٍ» كَتَبَهُ صَبِيٌّ: "صَدَقْتُ فِي الْإِخْبَارِ عَنْ خَطِيئِي" وَهَذِهِ «مَلْمَحُ رَحْمَةٍ» كَتَبَتْهُ بِنْتُ: "سَتَرْتُ صَدِيقَتِي وَلَأَمَتَهَا خَلْوَةً" وَهُنَاكَ «قِرَاءَةُ عِلْمٍ» وَ«خِدْمَةُ جَارٍ» وَ«تَوْفِيَةُ كَيْلٍ» وَ«شُكْرُ نِعْمَةٍ». وَقَالَ الْإِمَامُ "إِذَا زَاخَمْتَكُمْ الشَّعَارَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَنْظُرُ إِلَى الْقُلُوبِ وَالْأَعْمَالِ فَقَطْ" ثُمَّ ذَكَرَ «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» (حَدِيثٌ). فَهَزَّتِ الْكَلِمَةُ الْقُلُوبَ كَهَزِّ الرِّيحِ لِسَعْفٍ أَخْضَرٍ.

وَفِي أُسْبُوعٍ مَضَى عَلَى اللَّوْحَةِ بَدَأَ الْأَثَرُ يَظْهَرُ كَمَا تَظْهَرُ بُرْعُمَاتُ صِبَاغٍ فِي أَطْرَافِ شَجَرٍ رَطْبٍ فَانْخَفَضَ تَنَاقُضُ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ فِي الْبَيْتِ وَعَلَتْ كَلِمَةُ الصِّدْقِ فِي الْمُرَاجَعَاتِ وَثَبَتَ «إِنْجَاؤُ سَبْعَةِ أَفْعَالٍ قِيَمِيَّةٍ» لِكُلِّ وَاحِدٍ فِي أَكْثَرِ الْأَيَّامِ. وَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا هُوَ «الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ» يَخْرُجَانِ مِنَ الْكِتَابِ إِلَى الْحَيَاةِ

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾" (النَّحْلُ 90)

"وَهَذِهِ «الْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ» تَظْهَرُ فِي وُجُوهِ نَعِيشٍ مَعَهَا

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾" (الْأَحْزَابُ 21)

"فَمَنْ شَاهَدَ مِنْكُمْ الْخَيْرَ فَلْيُحْيِهِ وَمَنْ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ تَرَاخِيًا فَلْيُجَدِّدِ

النِّيَّةَ".

وَحِينَ بَلَّغُوا أَشَدَّ الْحَرَصِ عَلَى الصَّدِيقِ الْحَسَنِ قَالَ الْإِمَامُ "نُقَوِّي صِلَةَ الْأَبْنَاءِ بِقُدَوَاتِ حَيَّةٍ يَجْلِسُونَ إِلَيْهَا مَرَّةً كُلَّ شَهْرٍ فِي الْمَسْجِدِ فَنَسْأَلُهَا عَنِ الطَّرِيقِ وَنَكْتُبُ فِي «دَفْتَرِ الْقِتْدَاءِ» مَا نَسْتَطِيعُ تَطْبِيقَهُ أُسْبُوعًا" ثُمَّ قَرَأَ ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (يس 21).

وَقَالَ "وَسَنَذَكُرُ لِكُلِّ قُدْوَةٍ قِصَّةَ فِعْلٍ لَا قِصَّةَ قَوْلٍ لِيَبْقَى الْإِمِيزَانُ فِعْلًا."

وَقَالَ الْأَبُ "أَخَافُ أَنْ نُضَحِّمَ الشَّعَارَاتِ وَنَنْسَى الْفِعْلَ" فَقَالَ الْإِمَامُ "الْعِلَاجُ أَنْ نُوزَّعَ الْمَسْئُورِيَّاتِ وَأَنْ نَكْتُبَ فِي أَسْفَلِ اللَّوْحَةِ «سُؤَالُ الْيَوْمِ»: مَاذَا فَعَلْنَا لِلْقِيَمَةِ؟ ثُمَّ نَخْتِمُ كُلَّ لَيْلَةٍ بِقَوْلٍ طَيِّبٍ وَدُعَاءٍ وَتَوْبَةٍ

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النُّورُ 31).

وَذَكَرَ «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» (حَدِيثُ) "فَنَنْصَحُ لِأَنْفُسِنَا وَلِأَهْلِنَا بِحُسْنِ الْقَوْلِ وَصِدْقِ الْفِعْلِ."

وَنَظَرَ الصَّغَارُ إِلَى اللَّوْحَةِ وَفِيهَا صُورٌ وَرُمُوزٌ مُوجِزَةٌ تَدُلُّ عَلَى الْقِيَمَةِ فَتَحْمِلُ «كَفًّا تُسَاعِدُ» وَ«مِيزَانًا يَعْدِلُ» وَ«كِتَابًا يُتْلَى» وَ«قَلْبًا يَرَحِّمُ» وَ«سَمْتًا يَسْتُرُ» وَ«سَمَكَةً تَرْمِزُ لِلرِّزْقِ الْحَلَالِ» وَقَالَ الْإِمَامُ "نَبْذُرُ الْمَعَانِي فِي الرُّمُوزِ لِيَبْقَى فِي الذَّهْنِ وَنَسْتَدْعِيهَا عِنْدَ الْمَوَاقِفِ." ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى الشَّبَابِ وَقَالَ "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ

فِي الْمَدْرَسَةِ أَوْ السُّوقِ مَنْ يُجَسِّدُ قِيَمَةً فَلْيُصَوِّرْهَا فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ وَيُثَبِّتْهَا عَلَى
الْلُّوحَةِ فَإِنَّ «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا»
(حَدِيثٌ).

وَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ جَارٌ جَدِيدٌ يَسْتَأْنِسُ بِالطَّرِيقِ فَرَأَى اللَّوْحَةَ
وَقَالَ "مَا أَجْمَلَ أَنْ يَلْبَسَ الْبَيْتُ وَجْهًا يُشَبِّهُ قَلْبَهُ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نُرِيدُ لَوُجُوهَنَا أَنْ
تَشْهَدَ لَنَا فِي السُّوقِ وَفِي الْمَدْرَسَةِ بِمَا عَلَّقْنَاهُ هُنَا" ثُمَّ قَرَأَ
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشَّمْسُ 9-10).

وَعَلَتْ هُمَسَاتُ الشُّكْرِ.

وَفُيِّلَ النَّوْمُ قَالَ الْإِمَامُ "نَخْتِمُ بِنَظَرَةٍ فِي الْقُرْآنِ تُقِيمُ فِي الْقَلْبِ مِيزَانًا
لِلْقُدْوَةِ وَالْقِيَمَةِ" ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَأَصْطَبَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (طه 41)

"لِنَعْلَمَ أَنَّ الْقُدْوَةَ الْحَقَّ يَصْطَبِعُهَا اللَّهُ وَأَنَّا نَطْلُبُ أَثَرَهَا فِي وُجُوهِ قَرِيبَةٍ."
وَدَعَا فَقَالَ "اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَوْحَتَنَا شَاهِدَةً لَنَا لَا عَلَيْنَا وَارْزُقْنَا صِدْقًا وَعَدْلًا وَإِحْسَانًا
وَحَيَاءً وَعِلْمًا وَرَحْمَةً وَخِدْمَةً" وَقَالَ الْجَمِيعُ "آمِينَ".

وَفِي الْأَيَّامِ التَّالِيَةِ صَارَتِ اللَّوْحَةُ "مِرْقَاةً" يَصْعَدُ عَلَيْهَا الصِّغَارُ كُلُّ مَسَاءٍ

فَيَقْرَءُونَ مَا فَعَلُوا فَتَبْتَئِسَ الْأُمُّ وَبِرَضَى الْأَبُ وَيَقْبَلُ الْإِمَامُ رُؤُوسًا صَغِيرَةً وَيَقُولُ "مَا أَبْلَغَ الْقِيَمَةِ إِذَا صَارَتْ فِعْلًا يُرَى" وَيُذَكِّرُهُمْ كُلُّ أُسْبُوعٍ "أَحْصُوا «سَبْعَةَ أَفْعَالٍ قِيَمِيَّةٍ» يَثْبُتُ بِهَا الْأَثَرُ" ثُمَّ يقرأ

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ﴾ (التَّوْبَةُ 105).

وَإِذَا عَرَضَتْ فِتْنَةٌ تَنَاقُضُ بَيْنَ قَوْلٍ وَفِعْلٍ قَالَ الْإِمَامُ "نَرْجِعُ إِلَى الْمِيزَانِ" ثُمَّ قرأ

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصَّف 3)

فَيَسْتَحْيِي قَلْبَ وَيَسْتَقِيمُ لِسَانُ وَتُصْلِحُ يَدُ مَا فَسَدَ. وَإِذَا أَطْلَّ الْكَوَالُ ذَكَرَهُمْ "أَنَّ الدَّائِمَ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُنْقَطِعِ" وَقرأ «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» (حَدِيثٌ).

وَعِنْدَ آخِرِ الشَّهْرِ اجْتَمَعُوا فِي الرِّوَاقِ وَعَلَى اللَّوْحَةِ آثَارُ أَصَابِعِ الصَّغَارِ كَأَنَّهَا زُهُورٌ مُلَوَّنَةٌ فَقَرَأُوا مَا تَحَقَّقَ وَمَا تَأَخَّرَ وَقَالَ الْإِمَامُ "نُجَدِّدُ الْعَهْدَ عَلَى أَنْ تَبْقَى الْقُدَوَاتُ حَيَّةً وَأَنْ نُضِيفَ قِيَمَةً جَدِيدَةً كُلِّ مَوْسِمٍ" ثُمَّ قرأ

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آلِ عِمْرَانَ 103)

"فَنَجْعَلُ حَبْلَ اللَّهِ مُحَوَّرًا وَالْقِيَمَ حَوَالِيَهُ دَوْرًا وَتَتَخَذُ قُلُوبُنَا مِنَ الْقُدَوَاتِ

جِسْرًا إِلَى الْقُرْبِ."

وَحَتَمَ الْمَجْلِسَ بِدُعَاءٍ يَجْمَعُ مَا تَفَرَّقَ "اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُلُوبَنَا لِلصِّدْقِ
مَسْكَنًا وَلِلْعَدْلِ مِيزَانًا وَلِلْإِحْسَانِ مَجْرَى وَلِلْعِلْمِ نُورًا وَلِلرَّحْمَةِ سِتْرًا وَلِلْحَيَاءِ زِينَةً
وَلِلْخِدْمَةِ عَمَلًا" ثُمَّ قَالَ "نَخْرُجُ مِنْ هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَعِنْدَنَا «لَوْحَةُ قِيَمٍ» تَشْهَدُ
و«قُدُوتٌ» تُرَى و«فِعْلٌ» يُقَاسُ وَمِيزَانٌ يَسْتَقِيمُ." وَكَانَتِ السَّمَاءُ فِي الْخَارِجِ
تُسَبِّحُ بِصَمْتٍ وَالْقُلُوبُ فِي الدَّخْلِ تُهَلِّلُ بِعَمَلٍ يَبْقَى.

الدَّرْسُ الثَّانِي: الْوَقْفُ الْمَنْزِلِيُّ

أَنْسَابُ الْمَسَاءِ عَلَى الْحَيِّ كَمَا يَنْسَابُ الْمَاءُ عَلَى رَمْلٍ هَادِيٍّ فَسَكَنَتِ
الْأَصْوَاتُ وَخَفَتِ ضَوْضَاءُ الْأَجْهَرَةِ وَتَحَلَّلَ الْبُيُوتَ نَفْسٌ رَطْبٌ مِنْ سَكِينَةٍ تُشْبِهُ
نَفَحَاتِ رَبِيعٍ أَوَّلٍ. وَدَخَلَ الْإِمَامُ بَيْتَ آلِ رَافِعٍ، وَفِي يَدِهِ صَحِيفَةٌ بَيَضَاءُ وَقَلَمٌ،
وَعَلَى وَجْهِهِ سِيَّمَا بِشَاشَةٍ مَنْ يَأْتِي بِبِشَارَةٍ لَا بِحُكْمٍ، فَجَلَسَ فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ
وَقَالَ وَهُوَ يُسَوِّي الْجُلُوسَ وَيَضَعُ الصَّحِيفَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ "الْيَوْمَ نُؤَسِّسُ مَعًا «وَقَفًا
مَنْزِلِيًّا» يَجْمَعُ الزَّمَانَ وَالْأَدَاةَ وَالْمَكَانَ لِخِدْمَةِ الْجَوَارِ طَلَبًا لَوَجْهِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ
تَعَالَى قَالَ

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ
سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾
(الْبَقَرَةُ 261)

وَقَالَ

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آلِ عِمْرَانَ 92).

ثُمَّ نَظَرَ فِي عُيُونِ الْأَبْنَاءِ وَالْبَنَاتِ فَرَأَاهَا تَلْمَعُ بِخَلِيطٍ مِنْ حِيرَةٍ وَأَسْتَبْشَارٍ.
وَقَالَ الْأَبُ وَقَدْ أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى الْجِدَارِ كَأَنَّهُ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَظْمٍ "كَيْفَ
يَكُونُ الْوَقْفُ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ مِثْلِ بَيْتِنَا؟" فَابْتَسَمَ الْإِمَامُ وَقَالَ "الْوَقْفُ فِكْرَةٌ قَبْلَ
أَنْ يَكُونَ مَالًا، وَهُوَ عَهْدٌ فِي الْقَلْبِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ صُكُوكًا عَلَى الْأَوْرَاقِ؛ وَ«إِنَّمَا
الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» (حَدِيثٌ) "فَمَنْ نَوَى اللَّهُ أَثَابَهُ عَلَى
قَلِيلٍ يُبَارِكُ حَتَّى يُشْبِهَ الْكَثِيرَ." ثُمَّ قَالَ "سَنَخْصُصُ «سَاعَةً أُسْبُوعِيَّةً» مَعْلُومَةً
و«زَاوِيَةً فِي الْبَيْتِ» تُسَمَّى «رُكْنُ الْخِدْمَةِ» وَ«أَدَوَاتًا مُتَاحَةً» لِلْجِيرَانِ: مِثْلَ
مَكْوَاةٍ وَمِثْقَبٍ وَقَصَافَةٍ أَغْصَانٍ وَقِرْطَاسٍ لِلطِّفْلِ يَكْتُبُ وَيَلْعَبُ بِمَا لَا يُفْسِدُ."

وَقَالَتِ الْأُمُّ وَهِيَ تُقَرِّبُ أَقْدَاحَ الْمَاءِ "أَخَافُ أَنْ يَتَشَتَّتَ الْقَصْدُ
وَنَضْعُفَ عَنِ الْإِسْتِمْرَارِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "هُنَا نَرْفَعُ «مِيزَانَ الْأَمَانَةِ» وَ«مِيزَانَ الْوَقْفِ»
وَ«مِيزَانَ الْمَالِ»، فَكَتُبُ الْقَصْدَ فِي صَدْرِ الصَّحِيفَةِ، وَنُثِبْتُ الزَّمَانُ فِي جَدُولٍ
لَا يَتَحَرَّكُ، وَنَرُصِدُ الْأَثَرَ فِي آخِرِ كُلِّ شَهْرٍ لِنَرَى «مَنْحَى يَصْعَدُ» فِي أَعْدَادِ
الْمُسْتَفِيدِينَ." ثُمَّ قَرَأَ "

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (الْمَائِدَةُ 2)

وَزَادَ "وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ" (حَدِيثٌ).

وَبَسَطَ الْإِمَامُ الصَّحِيفَةَ وَكَتَبَ فِي أَعْلَاهَا بِخَطٍّ وَاضِحٍ "صَحِيفَةُ الْوَقْفِ

الْمَنْزِلِيِّ" ثُمَّ قَالَ "نَبْدَأُ بِآيَةٍ تُشْعِلُ الْقُلُوبَ" فَكُنِبَتْ: "

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾" (آلْ عِمْرَانَ 92).

ثُمَّ قَالَ "وَنَجْعَلُ لِهَذَا الْوَقْفِ ثَلَاثَةَ أَعْمَدَةٍ: الزَّمَانُ وَالْأَدَاةُ وَالْمَكَانُ".
وَمَالَ بِقَلَمِهِ يَرَسُمُ خُطُوطًا رَقِيقَةً فِي الْوَرَقِ، ثُمَّ قَالَ "الزَّمَانُ: سَاعَةٌ كُلُّ جُمُعَةٍ
بَعْدَ الْعَصْرِ تُسَمَّى «سَاعَةَ الرَّفْقِ وَالْعَطَاءِ» نَخْدِمُ فِيهَا حَاجَةً وَاحِدَةً مُحَدَّدَةً لِأَحَدٍ
الْجِيرَانِ. وَالْأَدَاةُ: مَا تَيْسَّرَ فِي الْبَيْتِ نَعِيدُهُ نَظِيفًا بَعْدَ الْإِسْتِعَارَةِ. وَالْمَكَانُ: هَذِهِ
الزَّائِرِيَّةُ تُسَمَّى «رُكْنَ الْخَيْرِ» تُرْفَعُ فِيهَا الْحَاجِيَّاتُ وَتُسَجَّلُ الطَّلِبَاتُ."

وَقَالَ الْإِبْنُ الْأَكْبَرُ وَفِي عَيْنِهِ لَمْعَةٌ حَمَاسٍ "هَلْ نَضْعُ صُنْدُوقًا صَغِيرًا
لِلسُّهُمِ الْيَوْمِيِّ وَنُسَمِّيهِ «سُهُمَ الْقُرْبَى»؟" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَعَمْ وَلَكِنْ لَا نَحْصُرُ
الْوَقْفَ فِي النَّقْدِ؛ فَالزَّمَانُ أَعْلَى وَالْأَدَاةُ أَنْفَعُ أَحْيَانًا، وَ«اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»"
(حَدِيثٌ). ثُمَّ قَالَ "وَنَحْفَظُ الْجَوَارِ فَإِنَّ «مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى
ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِثُهُ»" (حَدِيثٌ).

وَعَقَدَ الْإِمَامُ حَلْقَةً صَغِيرَةً فِي «رُكْنِ الْخَيْرِ» وَعَلَّقَ عَلَى الْحَائِطِ لَوْحَةً
كُتِبَ فِيهَا: "قَصْدُنَا: وَجْهَ اللَّهِ. وَوَصِيَّتُنَا: الرَّفْقُ وَالسَّتْرُ. وَمِيزَانُنَا: الْأَمَانَةُ فِي
الْأَدَوَاتِ وَالزَّمَانِ وَالْكَلِمَةِ." ثُمَّ قَرَأَ "

﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾" (الْبَقَرَةُ 110)

وَقَالَ "سَرَّضْتُ فِي آخِرِ كُلِّ شَهْرٍ أَعْدَادَ مَنْ اسْتَفَادُوا وَنَرَى هَلْ «يَصْعَدُ الْمَنْحَى» عَلَى ثُبُوتٍ".

ثُمَّ انْطَلَقَ الْحَدِيثُ كَمَا تَنْطَلِقُ الْجَدَاوِلُ مِنْ عَيْنِ الْغَدِيرِ، فَقَالَ الْإِمَامُ "نَحْتَاجُ إِلَى «مُشْتَرَطَاتٍ» تُصَانُ بِهَا الْأَمَانَةُ: لَا نُسَلِّمُ أَدَاةً إِلَّا بِتَسْجِيلِ اسْمٍ وَزَمَانٍ رَدٍّ وَاسْتِشْهَادِ اثْنَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَلَا نَصْنَعُ خِدْمَةً تَفْضُحُ سِرًّا، فَالْخَيْرُ سِتْرٌ وَ«مَنْ سَتَرَ حَدِيثًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (حَدِيثٌ). وَأَصَافُ "وَنُقَدِّمُ الْحَاجَةَ الْأَمْسَ فَالْأَمْسَ، فَهَذَا «مِيزَانُ الْمَالِ»؛ أَيُّ نَنْظُرُ مَالَ الْخِدْمَةِ: هَلْ نُقِيمُ نَفْسًا أَوْ نُسْقِطُهَا؟ هَلْ نَحْفَظُ حُرْمَةً أَوْ نَهْتِكُهَا؟"

وَقَامَ الْإِبْنُ الْأَصْغَرُ وَقَالَ "أُرِيدُ أَنْ أُصْلِحَ دَرَجَاتِ الصَّبِيَّانِ فِي الْحَيِّ فِي «سَاعَةِ الْجُمُعَةِ»" فَقَالَ الْإِمَامُ "الْبُرُّ مَا سَاكَنَ الْقَلْبَ وَأَطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَ«أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» (حَدِيثٌ) "فَانْتَبْتُ عَلَى الْقَلِيلِ الدَّائِمِ". وَقَالَتِ الْبِنْتُ "وَأَنَا أَعِدُّ «حَقِيبَةَ قِرَاءَةٍ» تُعَارُ لِلطُّفْلَةِ الَّتِي لَا تَمْلِكُ كُتُبًا" فَقَالَ الْإِمَامُ "جَعَلَ اللَّهُ لَكَ وَلِمَنْ تَسْتَفِيدُ مِثْلَ أَجْرِهَا، فَ«مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا» (حَدِيثٌ).

وَعِنْدَ اقْتِرَابِ غُرُوبِ الشَّمْسِ قَالَ الْإِمَامُ "نَخْتَبِرُ قُدْرَتَنَا عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ فَنَبْتَدِئُ بِخِدْمَةِ مُحَدَّدَةٍ هَذِهِ الْجُمُعَةُ: نُرَمِّمُ بَابًا قَدِيمًا لِ«أُمِّ جَابِرٍ» وَنَسْتُرُ شَقَّهُ وَنُثَبِّتُ مِزْلَجَهُ، فَالشَّيْطَانُ يُفْسِدُ عَلَى النَّاسِ أَبْوَابَهُمْ كَمَا يُفْسِدُ عَلَيْهِمْ قُلُوبَهُمْ".

ثُمَّ قَرَأَ "

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ " (سَبَأٌ 39).

وَقَالَ "وَنُوصِي الْقَوْمَ أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ خَالِيًا مِنَ الرِّبَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا خَالِصًا، وَ«أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ» قِيلَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «الرِّبَا»" (حَدِيثٌ).

وَلَمَّا جَاءَتِ الْجُمُعَةُ الْمَوْعُودَةُ اجْتَمَعَ الْبَيْتُ فِي «سَاعَةِ الرَّقِّ وَالْعَطَاءِ»، فَحَمَلَ الْأَبُ مِثْقَبًا، وَالْإِبْنُ الْأَصْغَرُ يَحْمِلُ مِسْمَارًا وَمِفْكَأً، وَالْبَيْتُ تَحْمِلُ «حَقِيبَةَ الْقِرَاءَةِ»، وَالْأُمُّ تُهَيِّئُ قَارُورَةَ مَاءٍ وَمِنْشَفَةً وَكَلِمَاتٍ تَطْيِيبٍ. تَقَدَّمُوا إِلَى بَابِ «أُمِّ جَابِرٍ» فَسَلَّمُوا، فَخَرَجَتْ عَجُوزٌ تَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَا وَفِي عَيْنَيْهَا عِبْرَةٌ، فَقَالَ الْإِمَامُ "جِئْنَا لِنُرْتِقَ شَقًّا فِي بَابٍ، وَنَزْتِقَ مَعَهُ شَقًّا فِي قَلْبٍ" ثُمَّ بَسَطُوا الْأَدَوَاتِ وَأَنهَمَكُوا فِي الْعَمَلِ، وَبَيْنَمَا الْمِسْمَارُ يَدْخُلُ خَشَبًا كَانَ الذِّكْرُ يَدْخُلُ قُلُوبًا، وَالصَّبْرُ يَسْرِي كَالْمَاءِ فِي شُقُوقِ الْأَخْشَابِ. وَحِينَ انْتَهَوْا قَالَ الْإِمَامُ "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَنَى لَنَا بِقَلِيلٍ مَا لَا نَقْدِرُ عَلَى بِنَائِهِ بِالْكَثِيرِ" ثُمَّ قَرَأَ

"إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" (التَّوْبَةُ 120).

وَعَادُوا إِلَى الْبَيْتِ وَقَدْ سَكَنَ فِيهِ نُورٌ جَدِيدٌ، فَجَلَسُوا يَرِصُدُونَ فِي «سَجِلِّ الْوَقْفِ» مَنْ اسْتَفَادَ وَمَا النَّوْعُ وَمَتَى الرَّدُّ، ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ "نَزَعُ الْمُؤَشِّرِ

الْأَوَّلَ: «عَدَدُ الْمُسْتَفِيدِينَ هَذَا الشَّهْرَ» وَنَطْلُبُ لَهُ مَنْحَى يَصْعَدُ عَلَى ثُبُوتِ لَا عَلَى فَوْرَاتٍ تَنْقَطِعُ، فَ«أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» (حَدِيثٌ). وَقَالَ "وَنَكْتُبُ «مَقَاصِدَنَا» فِي أَوَّلِ كُلِّ أُسْبُوعٍ حَتَّى لَا يَتَشَتَّتَ الْقَصْدُ: نَخْدِمُ ضَعِيفًا، نَرْفَعُ حَاجَةً، نُسَرِّي هَمًّا، نَسْتُرُ عَوْرَةً».

وَفِي الْأُسْبُوعِ الثَّانِي تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ فَتَى يَقُولُ "أُرِيدُ اسْتِعَارَةَ الْمِثْقَبِ لِإِصْلَاحِ رُفِّ لِأُمِّي" فَقَالَ الْإِمَامُ "خُذْ عَلَى «ذِمَّةِ الْأَمَانَةِ» وَادْكُرْ قَوْلَ اللَّهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾" (النِّسَاءُ 58).

وَقَيَّدُوا الْأَسْمَ وَزَمَنَ الرَّدِّ، ثُمَّ عَادَ الصَّبِيُّ فِي الْمَسَاءِ يُقْبِلُ الْأَدَاةَ كَأَنَّهَا أَمَانَةٌ قَلْبٍ. وَفِي الْأُسْبُوعِ الثَّلَاثِ جَاءَتْ جَارَةٌ تَسْأَلُ "هَلْ لَدَيْكُمْ «قِرْطَاسٌ وَقَلَمٌ» لِطِفْلَتِي؟" فَقَالَتْ أَلْبِنْتُ "هَذِهِ «حَقِيبَةُ الْقِرَاءَةِ» وَفِيهَا كِتَابُ صَغِيرٍ وَدَفْتَرٌ وَقَلَمٌ، وَعَلَيْهَا آيَةٌ تُذَكِّرُ

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾" (طه 114).

وَكَانَتْ الضَّحْكَةُ تَرْتَفِعُ مِنْ فَمِ الطِّفْلِ كَمَا يَرْتَفِعُ الْعِطْرُ مِنْ زَهْرَةٍ يَبْضَاءَ.

وَإِنْ عَرَضَتْ مِحْنَةٌ فِي الْقَصْدِ وَجَاءَ الْعُجْبُ يَتَسَلَّلُ قَالَ الْإِمَامُ "نُطْفِئُهُ بِآيَةٍ وَذِكْرٍ" ثُمَّ قَرَأَ

"﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾" (الْبَيْتَةُ 5)

وَذَكَرَ «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» (حَدِيثٌ). وَإِنْ دَبَّ الْفُتُورُ قَالَ "نُثِبْتُ «مِيزَانَ الْوَقْتِ» فَلَا نُقَدِّمُ شُغْلًا يَأْكُلُ «سَاعَةَ الرَّفَقِ»" ثُمَّ قَرَأَ "

﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾" (الْعَصْرُ 1-3).

وَفِي آخِرِ الشَّهْرِ جَمَعُوا الْبَيَانَ فِي «مَحْضَرِ الْوَقْفِ الْمَنْزِلِيِّ»، فَعَدَّ الْمُسْتَفِيدُونَ وَنُقِلَتِ الْقِصَصُ وَسُطِّرَ «الْمَنْحَى الصَّاعِدُ» فِي جَدُولٍ صَغِيرٍ يَتَحَرَّكُ كَأَنَّهُ نَبْضٌ فِي صَدْرٍ يُبْصِرُ. وَقَالَ الْإِمَامُ "نُجَدِّدُ الْعَهْدَ لِلشَّهْرِ الْقَادِمِ، وَنَزِيدُ «خِدْمَةَ الْكِتَابِ الصَّغَارِ» وَ«رِفَادَةَ الْمَرِيضِ»؛ نَقْرَأُ لَهُ وَنُؤَنِّسُهُ وَنُقَدِّمُ لَهُ حَاجَةً صَغِيرَةً." ثُمَّ قَرَأَ "

﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾" (الْبَقَرَةُ 110)

وَزَادَ "«مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»" (حَدِيثٌ).

وَلَمَّا اتَّسَعَ الْخَيْرُ طَرَقَ بَابُ الْبَيْتِ رَجُلٌ غَرِيبٌ يَسْكُنُ فِي آخِرِ الرُّفَاقِ فَقَالَ "سَمِعْتُ بِرُكْنِ الْخَيْرِ" أَفَيْسَعُفْنِي بِمَقْصَدٍ لِأَقْصَفِ شَجِيرَةٍ تَعُوقُ طَرِيقَ

الطُّفْلَةَ؟" فَقَالَ الْإِمَامُ "خُذْ وَأَذْكُرْ «اللَّهُ»، ثُمَّ قَرَأْ "

﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾" (الْقَصَصُ 77).

وَعَادَ الرَّجُلُ بَعْدَ سَاعَةٍ يَشْكُرُ وَيَقُولُ "فَتَحْتُمُ بَابًا لِلرِّفْقِ فِي الْحَيِّ لَمْ نَعْهَدُهُ" فَقَالَ الْإِمَامُ "الْبَابُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ «قَلْبٌ يُنْفِقُ»؛ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾" (الْبَقَرَةُ 261).

وَإِذَا عَرَضَ خِلَافٌ عَلَى «رُكْنِ الْخَيْرِ» فِي طَلَبِ لَا تَحْسُنُ إِجَابَتُهُ قَالَ الْإِمَامُ "نَزُدُهُ بِ«قَوْلٍ لَيْنٍ» وَ«بَدِيلٍ نَافِعٍ» وَنَسْتُرُ الْمَقْصُودَ، فَلَيْسَ كُلُّ حَاجَةٍ تُقْضَى؛ بَلْ كُلُّ حَاجَةٍ تُوزَنُ بِ«مِيزَانِ الْمَالِ». ثُمَّ قَرَأَ

"﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾" (الزُّلُفَةُ 7).

وَقَالَ "وَنُتَبِّتُ أَنَّ الْوَقْفَ «عَهْدٌ» فَلَا يُسْتَحْدَمُ لِمَنْفَعَةٍ شَخْصِيَّةٍ خَالِصَةٍ، وَنُجَدِّدُ التَّذَكُّيرَ كُلَّ جُمُعَةٍ بآيَةٍ وَحَدِيثٍ."

ثُمَّ جَاءَ يَوْمٌ مَطِيرٌ فِي الشِّتَاءِ، وَانْقَطَعَتِ الْأَقْدَامُ عَنِ الْمَسْجِدِ لِحِفْظِ صِغَارٍ مِنْ بَرَدٍ، فَقَالَ الْإِمَامُ "نَنْقُلُ «سَاعَتَنَا» إِلَى تَجْهِيزِ «أَكْيَاسِ دِفءٍ» فِيهَا

جَوَارِبُ وَقَفَّازَاتٍ وَكُتُبٌ صَغِيرَةٌ" ثُمَّ قَرَأَ

"﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾" (الْحَشُرُ 9)

وَقَالَ "«أَلَيْدُ الْعُلَيَّا خَيْرٌ مِنْ أَلَيْدِ السُّفْلَى»" (حَدِيثٌ). وَسَارَ الصَّغَارُ يَحْمِلُونَ «أَكْيَاسَ الدَّفْعِ» وَهُمْ يَدْعُونَ لِمَنْ لَا يَعْرِفُونَ أَسْمَهُ، فَكَانَ الدُّعَاءُ جِسْرًا بَيْنَ قُلُوبٍ تَلْتَقِي فِي السَّمَاءِ وَإِنْ افْتَرَقَتْ فِي الْأَرْضِ.

وَبَعْدَ شُهُورٍ ثَلَاثَةٍ قَامُوا فِي الرِّوَاقِ عَلَى «مَحْضَرِ الْأَثَرِ»، فَقَرَأُوا مَا حَصَلَ: زَادَ عَدَدُ الْمُسْتَفِيدِينَ مِنْ خَمْسَةٍ إِلَى خَمْسَةِ عَشَرَ، وَثَبَتَ «الْمَنْحَى الصَّاعِدُ» عَلَى رَفْقٍ بِلاَ تَسَارُعٍ، وَتَحَوَّلَتْ «سَاعَةُ الرَّفْقِ» فِي عُقُولِ الْأَبْنَاءِ إِلَى «مِيعَادِ قُرْبَى». وَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا بَرَكَةُ الْقَصْدِ وَالِدَّوَامِ، وَهَذِهِ آيَةٌ تُصَدِّقُهَا:

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾" (الْبَقَرَةُ 273).

وَعَقَّبَ "نُوسَعُ الدَّائِرَةِ بِ«شَرِيكِ مِنَ الْجِيرَةِ» نَعْلَمُهُ الطَّرِيقَ لِيَقُومَ «رُكْنُ خَيْرٍ» آخَرُ فِي بَيْتِهِ؛ فَالْخَيْرُ إِذَا انْتَقَلَ اتَّسَعَ."

وَقَالَ الْأَبُ "أَخْشَى أَنْ تَصِيرَ الْمَسْئُولِيَّةُ عَلَى الْأَمِّ أَثْقَلَ مِنْ طَاقَتِهَا" فَقَالَ الْإِمَامُ "نُقَسِّمُ الْأَعْمَالَ عَلَى أَعْضَاءِ الْبَيْتِ وَنَجْعَلُ «نَوَابًا لِلزَّوَايَةِ» يَتَنَاوَبُونَ، فَمَنْ تَشَبَّهَ بِالسَّنَنِ انْقَادَتْ لَهُ الْأَعْمَالُ؛ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾" (الْبَقَرَةُ 148).

وَأَضَافَ "نُثِبْتُ فِي صَدْرِ الزَّوَايَةِ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ: «الرَّفْقُ أَصْلٌ، وَالسُّتْرُ حِرْزٌ، وَالْحِلْمُ رِدَاءٌ»."

وَحِينَ بَلَغَ الْأَمْرُ قَامَ الْإِمَامُ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ وَقَالَ وَقَلْبُهُ يَسْتَدْعِي مَعَانِي الْوَقْفِ مِنْ سِيرِ الصَّالِحِينَ "إِنَّمَا نُرِيدُ أَنْ نَجْعَلَ لِهَذَا الْحَيِّ «أَوْتَادًا مِنْ بُيُوتٍ» يُثَبِّتُهَا الْخَيْرُ، فَإِذَا اضْطَرَبَتِ الرِّيَاحُ بَقِيَتْ لِلْجَمِيعِ ظِلًّا وَمَلْجَأً." ثُمَّ قَرَأَ "

﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾" (هُودٌ 61)

وَزَادَ "«مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ»" (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَالَ "نُجَدِّدُ الْعَهْدَ: خِدْمَةُ مُحَدَّدَةٍ كُلِّ جُمُعَةٍ، وَإِحْصَاءُ صَادِقٍ كُلِّ شَهْرٍ، وَقَلْبٌ خَالِصٌ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ."

وَرَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى «رُكْنِ الْخَيْرِ» وَقَالُوا دُعَاءَ يَسْتَمْطِرُونَ بِهِ اَلتَّشْبِيهُتِ "اللَّهُمَّ اجْعَلْ هَذَا الْوَقْفَ لَوَجْهِكَ خَالِصًا، وَاجْعَلْنَا فِيهِ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ مَغْلَقًا لِلشَّرِّ، وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِ جِيرَانِنَا، وَاكْفِنَا رِيَاءً يَقْطَعُ ثَوَابًا، وَأَلْهِمْنَا قَصْدًا يُقِيمُ الْعَمَلَ." ثُمَّ قَرَأَ الْإِمَامُ

"﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾"

(التَّعَابُثُ 17)

وَاتَّبَعَهُ بِقَوْلِهِ "اُنْقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ" (حَدِيثٌ) فَأَمَّنُوا وَفِي الْعُيُونِ
بَرِيقٌ عَزَمَ وَفِي الْقُلُوبِ مِثْلُ وَقُودٍ يَسْتَمِرُّ عَلَى هُدُوءٍ.

وَمَضَتْ الْأَيَّامُ تُدِيرُ «سَاعَةَ الرَّفْقِ» كَمَا يُدِيرُ الرَّحَى حَبَّاتٍ صَغِيرَةً تُصْبِحُ
دَقِيقًا يَسُدُّ جُوعًا. فَهَذِهِ جُمُعَةٌ رَابِعَةٌ يَرْفَعُونَ ثَوْبًا لِغِلَامٍ وَيَقْرَأُونَ لَهُ آيَةً تُثَبِّتُ قَلْبَهُ
"فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ" (الضُّحَى 9)

وَتِلْكَ جُمُعَةٌ خَامِسَةٌ يُرَتَّبُونَ "رُكْنَ قِرَاءَةٍ" فِي بَيْتِ جَارَةٍ وَحَدَهَا،
وَالْبَنَاتُ يَضَعْنَ عَلَى الْجِدَارِ زُهُورًا وَآيَةً
"أَفْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" (الْعَلَقُ 1).

وَحِينَ تَتَعَاقَبُ الْجُمُعُ تَتَعَاقَبُ الْقِصَصُ، وَكُلُّ قِصَّةٍ تَزِيدُ «الْمُنْحَى
الصَّاعِدَ» ثُبُونًا وَزِينَةً.

وَفِي خَتَامِ مَوْسِمٍ مِنَ الْعَطَاءِ قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَتَفَقَّدُ «صَحِيفَةَ الْوَقْفِ
الْمَنْزِلِيِّ» "قَدْ وَقَعْنَا الْعَهْدَ وَثَبَّتْنَا الزَّمَانَ وَرَصَدْنَا الْأَثَرَ وَوَارَزْنَا الْمَقَاصِدَ، فَلَمْ يَبْقَ
إِلَّا الدُّعَاءُ وَالتَّوَكُّيلُ". ثُمَّ قَالَ "نَخْتِمُ بِآيَةٍ تَعْلَمُنَا سِرَّ الْبَرَكَةِ

"وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ" (سَبَأٌ 39)

وَبِحَدِيثٍ يُثَبِّتُ «الدَّوَامَ» "أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ"

(حَدِيثٌ). "ثُمَّ تَبَادَلُوا الْإِيْتِسَامَاتِ كَأَنَّهَا صَدَقَاتُ تُقَسَّمُ عَلَى الْقُلُوبِ، وَعَلَّقُوا فِي «رُكْنِ الْخَيْرِ» سَطْرًا يَتَأَلَّقُ فِي كُلِّ صَبَاحٍ "هَذَا بَيْتٌ لِلرَّفْقِ، وَهَذَا قَلْبٌ لِلْعَطَاءِ، وَهَذِهِ «سَاعَةٌ» لِلَّهِ."

وَكَانَ الصُّبْحُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ يُطْلُ عَلَى الرُّفَاقِ فَيَرَى فِيهِ أَثْرًا جَدِيدًا: الْأَصْغَارُ يَتَعَلَّمُونَ أَنْ «يَسْأَلُوا عَنِ الْحَاجَةِ» قَبْلَ اللَّعِبِ، وَالْكِبَارُ يَتَعَلَّمُونَ أَنْ «يَسْتَأْذِنُوا» فِي الْإِسْتِعَارَةِ وَالرَّدِّ، وَالْجَارُ الْبَعِيدُ يَتَعَرَّفُ بِقَلْبِ الْجَارِ الْقَرِيبِ. وَكُلَّمَا سَأَلَ سَائِلٌ "مَنْ أَيْنَ جَاءَ هَذَا النُّورُ؟" قَالُوا "مِنْ «وَقْفٍ مَنَزِلِيٍّ» بِسَيْطِ وَ«قَصْدٍ» خَالِصٍ وَ«سَاعَةٍ» مَحْفُوظَةٍ." ثُمَّ يَقْرَأُونَ

"﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾" (الْبَقَرَةُ 184)

وَيَدْعُونَ "اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي مَا قَصَدْنَا وَزِدْنَا مِنْ فَضْلِكَ."

هَكَذَا يَمْتَدُّ «الْوَقْفُ الْمَنَزِلِيُّ» فِي الْحَيَاةِ كَحِطِّ نَقْيٍ يَشُقُّ صَبَابَ الْعَادَاتِ فَيَجْعَلُ لِلزَّمَانِ حُرْمَةً وَلِلْأَدَاةِ أَمَانَةً وَلِلْمَكَانِ رُوحًا، وَيَتَحَوَّلُ بَيْتٌ وَاحِدٌ إِلَى «مَصْدَرٍ سَكِينَةٍ» يَسْكُنُ فِيهِ الْجَارُ قَبْلَ أَنْ يَطْرُقَ الْبَابُ، وَتَزْهَرُ فِي النُّفُوسِ بَذْرَةُ «الْبِرِّ» حَتَّى تَصِيرَ سَنَابِلَ تُطْعِمُ مَنْ حَوْلَهَا، وَيَصْعَدُ «الْمَنْحَى» ثَابِتًا عَلَى مَرِّ الْأَشْهُرِ يَشْهَدُ أَنَّ «قَلِيلًا دَائِمًا» أَبْلَغُ مِنْ «كَثِيرٍ مُنْقَطِعٍ»، وَأَنَّ «مَا كَانَ لِلَّهِ دَامَ وَاتَّصَلَ»، وَأَنَّ «الْبِرَّ» إِذَا وُزِنَ بِ«مِيزَانِ الْأَمَانَةِ وَالْوَقْتِ وَالْمَالِ» أَثْمَرَ فِي الْقُلُوبِ

بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِشْعَارِ - تَكْوِينُ الْجِيلِ الرَّاشِدِ

قَبْلَ الْأَرْضِ،

﴿إِنَّ اللَّهَ يُأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النَّحْلُ 90)

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آلِ عِمْرَانَ 92).

الدَّرْسُ الثَّلَاثُ: صُنْدُوقُ الصَّدَقَةِ

إِنْ سَابَ الْمَسَاءُ عَلَى الرُّقَاقِ هَادِنًا كَمَا تَنْسَابُ الرَّحْمَةُ فِي قُلُوبِ
مُسْتَعِدَّةٍ لِلْسَّخَاءِ فَدَخَلَ الْإِمَامُ بَيْتَ آلِ رَافِعٍ وَفِي يَدِهِ قِطْعَةُ خَشَبٍ مَصْقُولَةٌ
وَصُرَّةٌ صَغِيرَةٌ تَحْتَوِي عَلَى مِسْمَارَيْنِ وَمِفْتَاحٍ وَرِبَاطٍ مِنْ خُيُوطٍ قُطْنِيَّةٍ ثُمَّ وَقَفَ
فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ وَقَالَ وَفِي صَوْتِهِ سَكِينَةٌ تُشَبِّهُ طُمَأْنِينَةً مَنْ يَقُودُ قَلْبًا إِلَى مَنْبَعِ
نَقِيِّ "الْيَوْمَ نَبْنِي مَعَ «صُنْدُوقَ الصَّدَقَةِ» فِي هَذَا الْبَيْتِ لِنَنْظُمَ الْعَطَاءَ وَنُدْرِبَ
الْأَبْنَاءَ عَلَى الدَّوَامِ وَالثَّبَاتِ وَنَجْعَلَ لِقُلُوبِنَا مَجْرَى يَصِلُ الرِّزْقَ بِشُكْرِهِ وَيَرْفَعُ
الْمَالَ بِتَطْهِيرِهِ" ثُمَّ تَلَا بِخُشُوعٍ

"خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا" (التَّوْبَةُ 103)

"وَتَلَاهَا بِـ"

"إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْنِسُهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ
لَكُمْ" (الْبَقَرَةُ 271)

فَأَنْشَرَحَتِ الصُّدُورُ كَأَنَّ الْكَلِمَاتِ غَسْلٌ لُغْبَارِ الْيَوْمِ.

وَتَقَدَّمَتِ الْأُمُّ وَهِيَ تُهَيِّئُ زَاوِيَةً قُرْبَ «رُكْنِ الْخَيْرِ» الَّذِي أَقَامُوهُ فِي الدَّرْسِ السَّابِقِ فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَضَعُ قِطْعَةً الْخَشَبِ عَلَى الْأَرْضِ «نُرِيدُهُ صُنْدُوقًا يُرَى فَيَعْلَمَ وَيُسَمِعَ فَيَذَكَّرَ وَيَبْقَى دَاخِلُهُ حِفْظُ السِّرِّ لِكَيْلَا يَدْخُلَ الرِّيَاءُ إِلَى أَعْمَالِنَا» ثُمَّ أَخْرَجَ عُلْبَةً زُجَاجِيَّةً نَقِیَّةً ذَاتَ غِطَاءٍ خَشَبِيٍّ وَفَتَحَهَا صَغِيرَةً وَقَالَ «هَذَا مَجْرَى الْقُرْبَى فِي هَذَا الْبَيْتِ وَهَذِهِ فَتَحَتُهُ مِثْلُ بَابٍ لِقَلْبٍ يَدْخُلُ مِنْهُ شَيْءٌ قَلِيلٌ فَيَخْرُجُ مِنْهُ كَثِيرٌ». «وَالْأَبْنَاءُ يَنْظُرُونَ إِلَى الرُّجَاجِ يُضِيءُ بِضَوْءِ الْغُرُوبِ كَأَنَّهُ قَمَرٌ صَغِيرٌ فِي غُرْفَةٍ تُرِيدُ أَنْ تَصِيرَ سَمَاءً».

وَقَالَ الْأَبُ «كَيْفَ نَضْمُنُ الدَّوَامَ وَلَا نَرْتَهِنُ لِالْحِمَاسِ الْعَابِرِ؟» فَقَالَ الْإِمَامُ «نَرْفَعُ «مِيزَانَ الْبِرِّ» وَ«مِيزَانَ الْإِخْلَاصِ» وَ«مِيزَانَ الْمَالِ». أَمَّا الْبِرُّ فَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْعَطَاءُ مُنْتَظِمًا يُصْلِحُ النَّفْسَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى يَدِ الْمُحْتَاجِ وَأَمَّا الْإِخْلَاصُ فَإِنَّ تَغِيبَ النَّفْسِ عَنِ نَظَرِ النَّاسِ وَتَحْضُرُ تَحْتَ نَظَرِ اللَّهِ وَأَمَّا الْمَالُ فَتُرَاقِبُهُ بِحِسَابِ صَغِيرٍ صَادِقٍ لَا يَتَخَلَّفُ. ثُمَّ قَالَ «وَنَضَعُ لِنَفْسِنَا مِقْدَارًا يُسْمِعُ الدَّوَامَ لَا الْأَنْتِفَاضَةَ فَتَجْعَلُ لِكُلِّ يَوْمٍ قَدْرًا صَغِيرًا يُغْذِي الصُّنْدُوقَ كَمَا تُغْذِي الْقَطْرَةُ النَّبْعَ». ثُمَّ ذَكَرَ «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» (حَدِيثٌ).

وَالْتَفَتَ إِلَى الصِّغَارِ فَقَالَ وَهُوَ يَبْتَسِمُ «سَنَجْعَلُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَحْفَظَةً صَغِيرَةً يَضَعُ مِنْهَا «قِطْعَةً» كُلَّ مَسَاءٍ قَبْلَ الْعِشَاءِ ثُمَّ نَجْلِسُ الْجُمُعَةَ الْأُولَى مِنْ كُلِّ شَهْرٍ لِنَقْرَأَ «صَحِيفَةَ الصَّرْفِ» وَنُسَلِّمَ الرَّصِيدَ لِمَنْ عَيَّنَاهُ سَلَفًا».

وَقَالَتِ الْأُمُّ "وَمَنْ نُسَمِّي مِنْ جِهَاتِ الصَّرْفِ؟" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَجْعَلُهَا ثَلَاثًا: «قِرَاءَةٌ وَكُتُبٌ» لِلصَّغَارِ الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ دَفْتَرًا وَقَلَمًا وَ«دَفْعٌ فِي الشِّتَاءِ» لِجَارَةِ مُسِنَّةٍ وَ«دَوَاءٌ خَفِيٌّ» لِمَرِيضٍ لَا يَسْأَلُ" ثُمَّ قَالَ "نَبْدَأُ بِمَا هُوَ أَمْسُ وَأَقْرَبُ فَإِنَّ «الْصَّدَقَةَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ صِلَةٌ وَصَدَقَةٌ»" (حَدِيثٌ).

وَقَفَّ الْإِمَامُ ثُمَّ رَفَعَ الصُّنْدُوقَ وَثَبَّتَهُ فِي الزَّوَايَةِ بَيْنَ رُكْنِ الْمُصَلَّى وَرَفَّ الْكُتُبِ وَكُتِبَ عَلَيْهِ بِحَطِّ مُبَارَكٍ "هَذَا مَجْرَى الزَّكَاةِ الصَّغِيرَةِ وَالْصَّدَقَةِ الدَّائِمَةِ" ثُمَّ قَالَ "«اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»" (حَدِيثٌ) وَ«أَلَيْدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ أَلَيْدِ السُّفْلَى»" (حَدِيثٌ) فَانْسَابَتْ قِطْعَةٌ نُحَاسِيَّةٌ صَغِيرَةٌ فِي جَوْفِ الزُّجَاجِ فَأُصْدِرَتْ صَوْتًا رَقِيقًا كَأَنَّهُ تَهْلِيلَةٌ حَصَاةٍ تُصَلَّى.

وَقَالَ الْأَبُ "أَخْشَى أَنْ نَفَعَ فِي الْمُنَافَسَةِ الْمَرْيِيَّةِ وَالتَّفَاخُرِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَجْمَعُ بَيْنَ ظُهُورٍ يُعَلِّمُ وَسِتْرٍ يَحْفَظُ فَنَجْعَلُ الْوَضْعَ عَلَانِيَةً لِيَتَعَلَّمَ الطِّفْلُ فِعْلَ الْعَطَاءِ وَنَجْعَلُ الْقَدْرَ مَكْتُومًا لِكَيْلَا تَدْخُلَ النِّيَّةُ فِي مَزَايِدَةٍ" ثُمَّ تَلَا

"إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعَمًا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ" (الْبَقَرَةُ 271).

وَأَضَافَ "وَنَكْتُبُ فِي صَدْرِ الدَّفْتَرِ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»" (حَدِيثٌ) "لِكَيْلَا يَغِيبَ الْقَلْبُ عَنْ أَصْلِهَا."

وَجَلَسُوا يَرْسُمُونَ خُطَّةَ الشَّهْرِ فَقَالَ الْإِمَامُ "نَحْتَاجُ إِلَى مِقْيَاسٍ يُظْهِرُ
الْدِّيمُومَةَ فَنجْعَلُ «مُؤَشِّرَ الْإِيْدَاعِ الْيَوْمِيِّ» هُوَ النَّسْبَةُ الَّتِي تُحَقِّقُهَا الْآيَّامُ الْمُوْدَعُ
فِيهَا مِنْ جُمْلَةِ الْآيَّامِ وَنَرْجُو لِلشَّهْرِ الْأَوَّلِ «تَسْعِينَ فِي الْمِائَةِ» ثُمَّ قَالَ "وَنُثِبْتُ
«سَاعَةَ التَّسْلِيمِ» فِي آخِرِ شَهْرٍ بَعْدَ الْمَغْرِبِ لِنَدْعُو وَنَشْكُرُ ثُمَّ نُسَلِّمُ الرَّصِيدَ
لِـ«جِهَاتِهِ» فَطَبَطَبَ الصَّغَارُ عَلَى الرُّجَاجِ كَانَهُمْ يُسَلِّمُونَ عَلَى صَدِيقٍ جَدِيدٍ.

وَفِي اللَّيْلَةِ الْأُولَى تَقَدَّمَ الْإِبْنُ الْأَكْبَرُ وَقَالَ وَعَيْنَاهُ تَلْمَعَانِ "أُرِيدُ أَنْ أَضَعَ
مِمَّا أُعْطِيتُهُ مِنْ مَصْرُوفٍ" فَقَالَ الْإِمَامُ "أَضَعُهُ وَأَسْتَحْضِرُ قَوْلَ رَبِّكَ

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾" (سَبَأٌ 39)

"فَالْخَلْفُ عَلَى الْقَصْدِ لَا عَلَى الْعَدَدِ." وَقَالَتِ ابْنَتُ "هَلْ تُقْبَلُ «صَدَقَةٌ
الْقَلِيلِ»؟" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَعَمْ وَقَدْ قِيلَ «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»" (حَدِيثٌ)
"وَقَدْ قِيلَ «سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفٍ»" (حَدِيثٌ) "لِأَنَّ الْقَلْبَ حِينَ يَبْدُلُ مِمَّا يُحِبُّ
يَنَالُ مَقَامَ

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾" (آلِ عِمْرَانَ 92).

وَأَنْقَضَى أَسْبُوعُ وَالصُّنْدُوقُ يَمْتَلِئُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا كَمَا تَمْتَلِئُ الْقُلُوبُ
بِالطَّمَأْنِينَةِ فِي سَاعَاتِ الْقُرْبِ وَكَانَتِ الْأُمُّ تُسَجِّلُ فِي «دَفْتَرِ الصَّدَقَةِ» يَوْمًا بَعْدَ
يَوْمٍ وَفِي آخِرِ كُلِّ لَيْلَةٍ تَرْفَعُ صَوْتَهَا بِقِرَاءَةِ

"الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ" (الْبَقَرَةُ 274)

فَتَجِيبُهَا الْجُدْرَانُ بِصَدَى مِنْ رِضًا. وَإِذَا رَأَتْ يَوْمًا قَلَّ فِيهِ الْوَضْعُ ذَكَرَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ "أَلَا نُحْيِي الْيَوْمَ قَلِيلًا مِنَ الْبَرِّ؟" فَيَقُومُونَ كَمَا يَقُومُ النَّبْتُ يَتَّجِحُهُ إِلَى النُّورِ.

وَجَاءَتْ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ فَقَالَ الْإِمَامُ "نُسَمِّي الصَّرْفَ لِهَذَا الشَّهْرِ «رِفَادَةَ الْكِتَابِ» لِأَنَّ فِتْنَةً فِي الْحَيِّ لَا تَمْلِكُ دَفَاتِرَ وَقَلَمًا" وَقَالَتِ الْبَيْتُ "أَحِبُّ أَنْ أَسْلَمَهَا بِيَدِي مَعَ «سَلَامٍ رَقِيقٍ» فَهَلْ فِي ذَلِكَ خَيْرٌ؟" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَعَمْ وَنَسْتُرُ الْأَعْطَاءَ مَا اسْتَطَعْنَا وَنَجْعَلُ لَهُ مَقَالًا يُوَازِنُ الْأَثَرَ فَتَقُولُ لَهَا «أَقْرَبِي» وَنَذْكُرُ

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾" (الْعَلَقُ 1).

ثُمَّ قَالَ "وَلِلشَّهْرِ الْقَادِمِ نُعَدُّ «قُرْبَةَ دِفءٍ» لِجَارَةِ كَبِيرَةٍ وَنَذْكُرُهَا

﴿وَبِالْوَلَدَيْنِ إِحْسَانًا﴾" (الْأَسْرَاءُ 23).

وَقَدْ يَتَسَلَّلُ الْفُتُوْرُ كَمَا يَتَسَلَّلُ الْبَرْدُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ فَيَقُولُ الْإِمَامُ "نَسْتَحْضِرُ مِيثَاقَ الدَّيْمُومَةِ فَتَثْبُتُ «نَنْبِيَهَ الصَّدَقَةِ» قَبْلَ الْعِشَاءِ وَنَذْكُرُ النَّفْسَ بِ

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾" (الزُّلْفَةُ 7)

"وَنَسْتَكْثِرُ إِلَّا سِغْفَارَ لُطْهَرٍ مَا قَدْ يَشُوبُ النَّيَّةَ" ثُمَّ يَرْفَعُ الصَّوْتُ بِ«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَأَنَا أَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ» (حَدِيثٌ).

وَحِينَ يَتَحَرَّكُ الصُّنْدُوقُ فِي الْقُلُوبِ يَتَحَرَّكُ الْحَيُّ فِي الْخَارِجِ فَقَدْ جَاءَ يَوْمًا غُلَامٌ يَسْتَأْنِسُ وَقَالَ "سَمِعْتُ أَنَّ عِنْدَكُمْ صُنْدُوقًا لِلصَّدَقَةِ فَهَلْ يَقْبَلُ قِطْعَتِي الصَّغِيرَةَ؟" فَقَالَ الْإِمَامُ "تَقْبَلُهَا الْأَرْضُ قَبْلَ الرُّجَاجِ وَتَقْبَلُهَا السَّمَاءُ قَبْلَ الْأَرْضِ إِذَا صَحَّ الْقَصْدُ" ثُمَّ قرأ

"مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ" (الْبَقَرَةُ 261)

فَوَضَعَ الْغُلَامُ قِطْعَتَهُ وَأَبْتَسَمَ كَمَنْ وَجَدَ لِنَفْسِهِ مَكَانًا فِي قَافِلَةِ كَرِيمَةٍ.

وَفِي آخِرِ الشَّهْرِ اجْتَمَعُوا بَعْدَ الْمَغْرِبِ وَوَضَعُوا الصُّنْدُوقَ فِي وَسْطِ الْمَجْلِسِ وَفَتَحُوهُ فَصَوَّتَ الْمَعْدِنُ عَلَى الرُّجَاجِ كَأَنَّهُ تَسْبِيحٌ وَحَمْدٌ ثُمَّ عَدُّوا الرِّصِيدَ وَسَجَّلُوهُ وَقَالَ الْإِمَامُ "نَحْمِلُهُ الْآنَ إِلَى الْجِهَاتِ الَّتِي عَيْنَاهَا وَنَقُولُ وَنَحْنُ نُسَلِّمُ «اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»" ثُمَّ قرأ

"وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ" (الْبَقَرَةُ 273).

وَفِي طَرِيقِ التَّسْلِيمِ قَالَ الْأَبُ "أَحْسَنْتُ أَنْ أَلْمَلَ صَارَ أَخَفَّ فِي يَدِي وَأَثْقَلَ فِي مِيزَانِي" فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا سِرُّ التَّطَهِيرِ الَّذِي سَمِعْتَهُ فِي آيَةِ التَّوْبَةِ

﴿تَطَهَّرْهُمْ وَتَزَكِّهِمْ بِهَا﴾" (الْتَّوبَةُ 103).

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْ بَابٍ صَعْبًا كَبَابٍ «سِتْرٍ مُعْسِرٍ» قَالَ الْإِمَامُ "هَهُنَا نَرْفَعُ «مِيزَانَ الْإِخْلَاصِ» وَ«مِيزَانَ الْبِرِّ» فَتَسْتُرُ الْأَعْطَاءَ وَتُؤَثِّرُ الْخَفَاءَ وَنَحْذَرُ كَلِمَةً تُخْرِجُ الصَّدَقَةَ مِنْ نُقَائِهَا" ثُمَّ قَرَأَ

"﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى﴾" (الْبَقَرَةُ 263).

وَذَكَرَ "«مَنْ سَتَرَ حَدِيثًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»" (حَدِيثٌ) فَتَبَادَلُوا النَّظَرَ الَّذِي يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الصَّدَقَةَ أَدَبٌ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ عَدَدًا.

وَلَمَّا مَضَى الشَّهْرُ الثَّانِي كَانَ «مُؤَشِّرُ الْإِيدَاعِ الْيَوْمِي» يَدُورُ حَوْلَ «تِسْعِينَ فِي الْمِائَةِ» فَبَشَّرَ الْإِمَامَ أَلْبَيْتَ وَقَالَ "هَذَا مَعْنَى «الدَّوَامِ» الَّذِي نَبْتَغِيهِ فَالْعَدَدُ قَدْ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَأَمَّا «قَلْبُ الدَّوَامِ» فَيَسِيرُ بِخَطَى تَثَبُّتٍ كَمَا يَثَبُّتُ نَبْضُ الْقَلْبِ فِي النَّائِمِ". ثُمَّ قَالَ "نُضِيفُ جِهَةً رَابِعَةً هَذَا الشَّهْرَ «سَقْيِ الزَّرْعِ فِي سَاحَةِ الْمَسْجِدِ» فَجَمْعُ بَيْنِ خِدْمَةِ الْإِنْسَانِ وَخِدْمَةِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْإِنْسَانُ". وَتَبَسَّمَ الصَّغَارُ لِأَنَّهُمْ يُحِبُّونَ الْمَاءَ وَيَعْرِفُونَ أَنَّهُ يُحِبُّ النَّبَاتَ كَمَا يُحِبُّونَ الْقُلُوبَ.

وَحِينَ جَاءَتْ مِحْنَةُ «رِيَّاحِ التَّسَاهُلِ» فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَنَسِيَ أَحَدُهُمُ الْوَضْعَ ذَكَرَهُ الْإِمَامُ بِرَفْقٍ وَقَالَ "أَحْيُوا قُلُوبَكُمْ بِقَلِيلٍ مُّسْتَمِرٍّ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ

﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾" (الْبَقَرَةُ 184)

"وَقَدْ قِيلَ «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةٍ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ»" (حَدِيثٌ).
فَأَخَذَ الطُّفْلُ «قِطْعَتَهُ» وَأَلْقَاهَا فِي الصُّنْدُوقِ وَهُوَ يَبْتَسِمُ كَمَنْ رَجَعَ إِلَى طَرِيقٍ
يَعْرِفُهَا.

وَقَدْ يَقُومُ سَائِلٌ بِسُؤَالٍ صَعْبٍ "أَلَيْسَ فِي الْحَيِّ مَنْ هُوَ أَحَقُّ؟" فَيَقُولُ
الْإِمَامُ "نُجِيبُهُ بِ«مِيزَانِ الْمَالِ» وَ«مِيزَانِ الْبِرِّ» وَنَقُولُ «نُقَدِّمُ الْأَقْرَبَ وَلَا نَمْنَعُ الْأَبْعَدَ
وَنُزَاعِي الْأَمْسَ فَأَلَا أَمْسَ وَنُحَافِظُ عَلَى الْعَدْلِ فِي الْقِسْمَةِ» ثُمَّ يَتَلَوُ
"﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾"
(الْبَقَرَةُ 270)

فَيَسْكُنُ الْحِوَارُ عَلَى بَصِيرَةٍ.

وَفِي لَيْلَةٍ مُّطِيرَةٍ دَخَلَ جَارٌ شَيْخٌ يَحْتَمِي مِنْ قَطْرِ ثَقِيلٍ فَقَالَ "سَمِعْنَا
صَوْتَ الزُّجَاجِ يُسَبِّحُ كُلَّ مَسَاءٍ فَأَرَدْتُ أَنْ أَشَارِكَ بِقِطْعَةٍ" فَقَالَ الْإِمَامُ "ادْخُلْ مَعَنَا
فِي الْقَافِلَةِ فَ«السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَلْ
كَالصَّائِمِ لَا يَفْطِرُ وَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ»" (حَدِيثٌ) ثُمَّ قرَأَ

"﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾"
(الْقَصَصُ 77).

فَوَضَعَ الشَّيْخُ قِطْعَتَهُ وَمَضَى وَعَلَى وَجْهِهِ ضِيَاءٌ كَمَنْ رَأَى طَرِيقًا قَدِيمًا

يُجَدِّدُهُ التُّزُولُ فِي الْمَطَرِ.

وَتَعَلَّمَ الْأَبْنَاءُ أَدَبَ «الْقَلِيلِ الدَّائِمِ» فَصَارَ أَحَدُهُمْ يَحْفَظُ مِنْ مَصْرُوفِهِ
«قِطْعَتَيْنِ» يَضَعُ إِحْدَاهُمَا فِي الصُّنْدُوقِ وَيُخَبِّئُ الْأُخْرَى لِمَنْ يَلْقَاهُ عَلَى الطَّرِيقِ
وَيَقُولُ وَهُوَ يُسَلِّمُ "هَذِهِ لَوَجْهِ اللَّهِ وَذِكْرِي"

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آلِ عِمْرَانَ 92).

فَيَرْتَفِعُ فِي الدَّاخِلِ «مِيزَانُ الْبِرِّ» وَيَقْوَى «مِيزَانُ الْإِحْلَاصِ» وَيَأْمَنُ «مِيزَانُ
الْمَالِ» مِنَ التَّبْذِيرِ لِأَنَّ الْمَالَ صَارَ خَادِمًا لِلْقَلْبِ لَا سَيِّدًا عَلَيْهِ.

وَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ قَالَ الْإِمَامُ فِي إِحْدَى الْأَمْسِيَّاتِ "نَحَاسِبُ
نُفُوسَنَا حِسَابًا رَفِيقًا فَهَلْ زَادَ «مُؤَشِّرُ الدَّيْمُومَةِ»؟" فَنَظَرُوا فِي الدَّفْتَرِ فَوَجَدُوهُ قَدْ بَلَغَ
«تِسْعَةً وَثَمَانِينَ فِي الْمِائَةِ» فَقَالَ "نَقْرُبُ مِنَ الْمُرَادِ وَنَزِيدُهُ بِتَذْكِيرٍ قَبْلَ النَّوْمِ
وَقِرَاءَةٍ

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾" (الْبَقَرَةُ 110).

ثُمَّ دَعَا "اللَّهُمَّ اجْعَلْ هَذَا الصُّنْدُوقَ لَنَا عِنْدَكَ ذُخْرًا وَاجْعَلْ مَا فِيهِ شَهِيدًا
عَلَى قُلُوبِنَا."

وَإِنْ عَرَضَ سُوءُ تَدْبِيرٍ فِي الْقِسْمَةِ أَوْ غَفْلَةٌ عَنِ الْمَقَاصِدِ قَالَ الْإِمَامُ

"نَرْجِعُ إِلَى «مِيزَانِ الْمَالِ» فَتَقْدُمُ الْضَّرُورَةُ عَلَى الزِّيَادَةِ وَتَقْدُمُ الْقُرْبَى عَلَى الْبُعْدِ وَتَنْتَحَرِي الْأَمَانَةَ فِي التَّسْلِيمِ" ثُمَّ قَرَأَ

"﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾" (الْإِسْرَاءُ 29).

فَيَسْتَوِي الْأَمْرُ عَلَى قَدَرٍ وَيُحْفَظُ قَلْبُ الصَّدَقَةِ مِنْ سَرَفٍ أَوْ شَحٍّ.

وَحِينَ بَلَغُوا النِّهَايَةَ مِنْ شَهْرٍ ثَالِثٍ عَادُوا بِقِصَصٍ صَغِيرَةٍ تَتَرَى: فَتَاةٌ بَدَأَتْ تَكْتُبُ بِقَلَمٍ جَدِيدٍ وَجَارَةٌ شَعَرَتْ بِدِفءٍ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ وَمَرِيضٌ اشْتَرَى دَوَاءَهُ وَصَبِيٌّ تَعَلَّمَ أَنْ يَضَعَ قِطْعَةً قَبْلَ أَنْ يَشْتَرِيَ حُلْوً. وَقَالَ الْإِمَامُ "هَذِهِ هِيَ «أَثَرُ الصَّدَقَةِ» الَّذِي يُصْلِحُ الْوُجْهَةَ وَيُهْدِبُ الرِّعْبَةَ وَيَبْنِي مِيزَانًا بَيْنَ الْحَاجَةِ وَالْعَادَةِ" ثُمَّ قَرَأَ

"﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾" (الْأَعْلَى 14-15).

وَعِنْدَ خِتَامِ مَجْلِسِ الشُّكْرِ رَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ وَالصُّنْدُوقُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ كَأَنَّهُ قَلْبٌ يُسَبِّحُ وَقَالَ الْإِمَامُ "نُجَدِّدُ الْعَهْدَ عَلَى أَنْ نُسَلِّمَ «رَصِيدَ الصُّنْدُوقِ» فِي آخِرِ كُلِّ شَهْرٍ وَأَنْ نُسَمِّيَ «جِهَاتِ الصَّرْفِ» سَلَفًا وَأَنْ نُرَاقِبَ «مُؤَشِّرَ الدِّيْمُومَةِ» حَتَّى يَثْبُتَ عَلَى «تِسْعِينَ فِي الْمِائَةِ» مِنْ أَيَّامِ الشَّهْرِ" ثُمَّ قَالَ "مَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ فِي قَلْبِهِ ضَعْفًا فَلْيَذْكُرْ

﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَيَعِمَّا هِيَ...﴾ (الْبَقَرَةُ 271)

"وَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا قُوَّةً فَلْيَبْزُهَا ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾" (الْبَقَرَةُ 110). ثُمَّ خَتَمَ بِدُعَاءٍ "اللَّهُمَّ طَهِّرْ أَمْوَالَنَا وَأَنفُسَنَا بِهَا وَزَكِّ قُلُوبَنَا وَسَدِّدْ نِيَّاتِنَا وَالْهَمِّنَا الدَّوَامَ وَالرِّضَا".

وَخَرَجَ الْإِمَامُ الَّذِي جَاءَ بِقِطْعَةِ خَشَبٍ وَمِسْمَارَيْنِ وَرِبَاطٍ قُطْبِيٍّ فَتَرَكَ فِي الْبَيْتِ «مِيزَانًا لِلْبِرِّ» وَ«مِفْتَاحًا لِلْإِخْلَاصِ» وَ«طَرِيقًا لِلتَّدْرِيبِ عَلَى الدَّوَامِ» وَتَرَكَ فِي الزُّقَاقِ نُورًا صَغِيرًا يَكْبُرُ بِاللَّيَالِي كَمَا تَكْبُرُ الشَّجَرَةُ بِالْقَطَرَةِ تَبْقَى وَتَدُومُ. وَاسْتَقْبَلَ الصُّبْحَ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ يَنْظُرُ إِلَى «صُنْدُوقِ زُجَاجِيٍّ نَقِيٍّ» يَقِفُ فِي رُكْنٍ مِنْ بَيْتِ صَغِيرٍ فَيَرَاهُ «مِيزَانًا» يُعَلِّمُ الْقَلْبَ أَنْ يَبْذُلَ قَبْلَ أَنْ يَطْلُبَ وَيُرَبِّي أَلَيْدَ عَلَى أَنْ تَرْتَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَأْخُذَ وَيُسْمِعُ الْأُذْنَ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ مِنْ سَرَائِرِ الصَّالِحِينَ. هَكَذَا تَسِيرُ الْأَيَّامُ وَهُوَ يُسَبِّحُ وَهُمْ يُدَوِّنُونَ وَالْبَيْتُ يَتَعَلَّمُ أَنَّ «صَدَقَةَ صَغِيرَةٍ دَائِمَةٌ» أَبْلَغُ فِي تَزْكِيَةِ النَّفْسِ مِنْ «قَفْزَةٍ كَبِيرَةٍ مُنْقَطِعَةٍ» وَأَنَّ «الْقَلْبَ إِذَا تَعَلَّمَ الْوَضْعَ كُلَّ لَيْلَةٍ» تَعَلَّمَ «أَنْ يَضَعَ الزِّيَادَةَ فِي مَوْضِعِهَا كُلَّ نَهَارٍ».

وَكَانَ خِتَامُ الْحِكَايَةِ دُعَاءً يُرَدِّدُهُ الْبَيْتُ كُلَّمَا سَمِعَ صَوْتَ الزُّجَاجِ "اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَدَقَاتِنَا لَوَجْهِكَ خَالِصَةً وَالْهَمِّنَا قَصْدًا يُرْضِيكَ وَدِيمُومَةً تُثَبِّتُنَا وَرِضًا يَمَلَأُ قُلُوبَنَا وَبِرًّا يَبْقَى".

بَيْنَ الْأُذُنِ وَالْإِشْعَارِ - تَكْوِينُ الْجِيلِ الرَّاشِدِ

الدَّرْسُ الرَّابِعُ: خَارِطَةُ مُؤَسَّسَاتِ الْحَيِّ

إِنْسَابَ الْعَشِيِّ عَلَى الرُّقَاقِ كَمَا تَنْسَابُ الرَّحْمَةُ فِي قَلْبٍ مُسْتَعِدٍّ
لِلنُّصْحِ وَالْعَمَلِ فَهَدَّاتُ أَبْوَابِ الْمَحَالِّ وَخَفَّتْ هَمَّاسَاتُ الْمَارَّةِ وَتَجَمَّعَ أَهْلُ
بَيْتِ آلِ رَافِعٍ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاسِعِ يَنْتَظِرُونَ إِمَامَ الْحَيِّ الَّذِي أَلْفُوا قُدُومَهُ عِنْدَ
مَفَاتِيحِ الْمَوَاسِمِ يُثَبِّتُ الْمَقَاصِدَ وَيَرْفَعُ الْمَوَازِينَ وَيَسُوقُ الْقُلُوبَ فِي سَبِيلِ
مُنَظَّمٍ. وَمَا هِيَ إِلَّا لِحَظَاتٌ حَتَّى دَخَلَ وَفِي يَدِهِ لُفَافَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ رُقَاقِ الْوَرَقِ
وَقَدَاحٌ مِنَ الطَّبَاشِيرِ وَقَلَمٌ فَحْمِيٌّ ثَقِيلٌ كَأَنَّهُ يَحْمِلُ مَعَالِمَ طَرِيقٍ.

جَلَسَ فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ وَفَتَحَ الْلُفَافَةَ حَتَّى غَطَّتْ جَانِبًا مِنَ الْحَائِطِ ثُمَّ
أَلْتَفَتَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ وَعَيْنَاهُ تَقْرَأُ الْقَصْدَ "الْيَوْمَ نَرْسُمُ «خَارِطَةَ مُؤَسَّسَاتِ الْحَيِّ»
لِنَرَى أَيْنَ يُقِيمُ الْخَيْرُ وَكَيْفَ نُلَحِّقُهُ وَعَلَى أَيِّ وَجْهِ نَصَاحِبُهُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى
الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (التَّوْبَةُ 18)

وَقَالَ

﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هُودُ 61)

فَالْعُمَرَانُ عَقْدٌ وَالْمَسْجِدُ قَلْبٌ وَالسُّوقُ جَنَاحٌ وَالْمَدْرَسَةُ عَقْلٌ وَالْجَمْعِيَّةُ يَدٌ تَحْمِلُ وَتُسْنِدُ.

هَمَسَ الْأَبُ وَهُوَ يُسَوِّي الْوَرَقَ عَلَى الْحَاظِطِ "كَيْفَ نَضْمُنُ أَلَّا يَتَبَعَثَ جُهْدُنَا بَيْنَ كَثْرَةِ الْأَبْوَابِ؟" فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَرْسُمُ بِقَلَمِهِ دَائِرَةً كَبِيرَةً "نَزَعُ الْيَوْمَ «مِيزَانَ الْمَنْفَعَةِ» فَلَا نَمْضِي إِلَّا إِلَى مَا يَنْفَعُ وَ«مِيزَانَ الشُّورَى» فَلَا نَنْفِرُ بِرَأْيِ يُوْهِنُ وَ«مِيزَانَ الْوَقْتِ» فَلَا نُسْرِفُ مِنْ عُمْرِنَا فِي مَا لَا يُثْمِرُ." ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَضَعُ فِي وَسْطِ الدَّائِرَةِ كَلِمَةَ «الْمَسْجِدُ» "هُنَا الْقَلْبُ الَّذِي يَنْفُخُ الْحَيَاةَ فِي الْحَيِّ وَهُنَا نَقْفٌ وَنَنْطَلِقُ."

تَقَدَّمَ الْبَنُونَ وَالْبَنَاتُ وَفِي أَيْدِيهِمُ الطَّبَاشِيرُ يُشِيرُونَ إِلَى الرَّقَاعِ فَقَالَ الْإِمَامُ "نَرْسُمُ أَرْبَعَ جُزُرٍ كُبْرَى: الْمَسْجِدُ وَالْمَدْرَسَةُ وَالْجَمْعِيَّةُ وَالسُّوقُ." فَرَسَمَ دَائِرَةً لِلْمَسْجِدِ وَأُخْرَى لِلْمَدْرَسَةِ وَثَالِثَةً لِلْجَمْعِيَّةِ وَرَابِعَةً لِلسُّوقِ ثُمَّ وَصَلَ بَيْنَهَا بِخُطُوطٍ دَقِيقَةٍ كَأَوْتَارٍ تُغْنِي فِي هَوَاءِ الْقَصْدِ. وَقَالَ "هَذِهِ الْخُطُوطُ لَا تَزِيدُهَا الْمَسَافَاتُ بُعْدًا بَلْ تَزِيدُهَا الْمَقَاصِدُ قُرْبًا."

وَقَالَتِ الْأُمُّ وَهِيَ تَتَأَمَّلُ الرَّسْمَ "بِمَ نَبْدَأُ؟" فَقَالَ الْإِمَامُ "نُصَنِّفُ الْجِهَاتِ ثَلَاثَةً أَصْنَافٍ: «تَعْلُمُ» وَ«خِدْمَةُ» وَ«دَعْمُ». فَالْمَسْجِدُ فِيهِ تَعْلُمٌ بِحَلْقِ الْقُرْآنِ وَفِيهِ

خِدْمَةً بِتَنَاوُبِ التَّنْظِيفِ وَتَفْقِيدِ الْمُرتَادِينَ وَفِيهِ دَعْمٌ بِرِفَادَةِ الْمُعْسِرِ وَتَسْلِيَةِ الْمَكْرُوبِ. وَالْمَدْرَسَةُ فِيهَا تَعْلَمُ يُقِيمُ الْعَقْلَ وَخِدْمَةُ تُخَفِّفُ عَنِ الْمُعَلِّمِ وَدَعْمٌ لِلطَّالِبِ الْمُضْطَرِّ. وَالْجَمْعِيَّةُ مَظَلَّةٌ لِلتَّنْسِيقِ وَجَمْعُ الْقُلُوبِ عَلَى الْمَشَارِيعِ وَالسُّوقُ مَجْرَى لِلْمَعَاشِ وَالْأَرْزَاقِ نُزْكِيهِ بِالْأَمَانَةِ وَالسَّمَاخَةِ."

ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ بِمَا يَعْلُقُ فِي الْقُلُوبِ "«الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»" (حَدِيثٌ) "فَإِذَا شَدَدْنَا الْحَلَقَاتِ بَيْنَ هَذِهِ الْمُؤَسَّسَاتِ قَوِيَ الْحَيُّ وَسَلِمَتْ أَهْلَاهُ مِنَ التَّصَدُّعِ." ثُمَّ قَالَ "«يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ»" (حَدِيثٌ) "فَلَا نَنْفَرِدُ وَلَا نَسِيرُ بِلَا مِثَاقٍ."

أَشَارَ الْإِمَامُ إِلَى الدَّائِرَةِ الْأُولَى وَقَالَ "نَبْدَأُ بِالْمَسْجِدِ فَهُوَ أَقْلَبُ وَالرُّوحُ فَتُبْتُ «مَوْعِدًا أُسْبُوعِيًّا» لِزِيَارَتِهِ لِلِقَاءِ الْإِمَامِ وَالْقِيَمِ وَتَعَرُّفِ الْحَاجَاتِ ثُمَّ نَتَقَلُّ إِلَى الْمَدْرَسَةِ نُحَدِّثُ الْمُعَلِّمِينَ عَنْ «رُكْنِ الْخَيْرِ» فِي بُيُوتِنَا وَنَعْرِضُ التَّنْسِيقَ فِي وَقْتِ يُرَاعِي الْحِمْلَ وَالتَّكْلِيفَ فَلَا نُثْقِلُ وَلَا نَتْرُكُ. ثُمَّ نَقْصِدُ الْجَمْعِيَّةَ لِنَضْعَ «مِثَاقَ شِرَاكَةٍ» قَصِيرًا وَاضِحًا وَنَخْتِمُ بِالسُّوقِ نَعْرِضُ «مِثَاقَ تَاجِرِ أَمِينٍ» وَنَسْتَشِيرُ فِيهِ مَعَانِيَ السَّمَاخَةِ وَالصَّدَقِ وَرَفَقِ الْمِيزَانِ."

قَالَ الْإِبْنُ الْأَكْبَرُ وَالْحِمَاسُ يَلْمَعُ فِي عَيْنَيْهِ "أَرَسُمُ خُطُوطَ التَّدْفِيقِ بَيْنَ الدَّوَائِرِ؟" فَقَالَ الْإِمَامُ "أَرَسُمُهَا وَاجْعَلْ سَهْمًا يَذْهَبُ مِنَ الْمَسْجِدِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ يَحْمِلُ «حَلَقَةَ قِرَاءَةٍ» وَسَهْمًا مِنَ الْمَدْرَسَةِ إِلَى الْجَمْعِيَّةِ يَحْمِلُ «مُتَطَوِّعِينَ»

وَسَهْمًا مِّنَ الْجَمْعِيَّةِ إِلَى السُّوقِ يَحْمِلُ «مِيثَاقَ سَمَاحَةٍ» وَسَهْمًا مِّنَ السُّوقِ إِلَى الْمَسْجِدِ يَحْمِلُ «كَفَالَةَ مُّصَحِّفٍ وَإِعْمَارَ رُكْنٍ» ثُمَّ تَلَا "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ" (الْمَائِدَةُ 2).

كَانَتْ أَلْوَجُوهُ تَتَبَسَّمُ وَالْأَيْدِي تَرْسُمُ وَالْكَلِمَاتُ تَنْسَابُ كَأَنَّهَا مَطَرٌ عَلَى أَرْضٍ عَطَشَى فَقَالَ الْإِمَامُ "نُعَلِّقُ هَذِهِ الْخَارِطَةَ فِي صَدْرِ أَلْبَيْتٍ لِتَكُونَ «عَيْنًا تُبْصِرُ» فَإِذَا نَسِينَا ذَكَّرْتَنَا وَإِذَا تَرَدَّدْنَا شَدَّتْنَا" ثُمَّ طَعَنَ الْجِدَارَ بِمِسْمَارَيْنِ وَثَبَّتَ الرُّقَاقَ وَقَالَ "هَكَذَا نَجْعَلُ لِلْقَصْدِ صُورَةً تُرَى". وَقَالَتِ أَلْبَيْتُ "أَكْتُبْ فِي أَسْفَلِهَا «تَعَلَّمْ وَخْدُمَةَ وَدَعْمُ»؟" فَقَالَ "اُكْتُبِي وَزَيْدِي تَحْتَ كُلِّ كَلِمَةٍ مِثْلًا يُقِيمُ الْمَعْنَى".

ثُمَّ جَلَسُوا حَوْلَ الْإِمَامِ يُقَلِّبُونَ الْأَفْكَارَ كَمَا يُقَلِّبُ الرَّاعِي الْحَصَى فِي كَفِّهِ فَقَالَ "نَقْدِرُ لِأَعْمَالِنَا وَقْتًا مَعْلُومًا فَلَا نَسْبِقُ وَقْتَنَا وَلَا نَتَأَخَّرُ عَنْهُ فَهَذَا يَقُومُ «مِيزَانُ الْوَقْتِ» عَلَى ثَلَاثٍ: مَوْعِدُ زِيَارَةِ أُسْبُوعِيَّةٍ لِشَرِيكِ وَاحِدٍ وَمَوْعِدُ شُورَى صَغِيرَةٍ فِي آخِرِ الْأُسْبُوعِ لِنَقِيسِ الْأَثَرِ وَمَوْعِدُ تَجْدِيدِ شَهْرِيٍّ لِلْخَارِطَةِ. وَنَضْعُ «مَوْشَرًّا» نَرْجُوهُ فِي شَهْرَيْنِ أَنْ يَرْتَفِعَ «عَدَدُ الشَّرَاكَاتِ الْفَاعِلَةِ» إِلَى ثَلَاثٍ". ثُمَّ قَالَ "وَنَنْتَقِي «تَبَاعُضَ الْأَدْوَارِ» فَلَا نُزَاحِمُ جِهَةً فِي مَا أَحْسِنْتَ فِيهِ فَإِنَّ «رَحِمَ اللَّهِ أَمْرًا عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ»" (حَدِيثٌ) "وَنَسْتَعِينُ بِاللَّهِ".

خَرَجُوا فِي الصَّبَاحِ التَّالِيِ يَحْمِلُونَ نَفْسَ الْخَارِطَةِ وَلَكِنْ مَرْسُومَةً فِي
الْقُلُوبِ وَمَنْقُوشَةً فِي الْخُطَى فَقَصَدُوا الْمَسْجِدَ وَبَعْدَ الصَّلَاةِ جَلَسُوا فِي الرِّوَاقِ
بَيْنَ الْعَمُودَيْنِ الْمُقَابِلَيْنِ لِلْمَحْرَابِ فَجَاءَ الْإِمَامُ الْكَبِيرُ وَسَلَّمَ وَسَأَلَ عَنْ حَالِهِمْ
فَقَالَ إِمَامُ الْحَيِّ "نُرِيدُ أَنْ نَضَعَ «مِيثَاقَ تَعَاوُنٍ» يُنظِّمُ الْحَلَقَةَ لِلصَّغَارِ وَنُوبَةَ
التَّنْظِيفِ لِلأُسَرِ وَرِفَادَةَ الْمُرتَادِينَ ذَوِي الْحَاجَةِ." فَأَتْنَى الْإِمَامُ وَقَالَ "نُرْحَبُ بِكُمْ
فَإِنَّ الْمَسْجِدَ بَيْتُ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَإِنَّمَا يَعْمُرُهُ الْمُؤْمِنُونَ" ثُمَّ تَلَا
﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ...﴾ (الْتَّوْبَةُ 18).

وَعَقَدُوا مَوْعِدًا لِحَلَقَةِ أُسْبُوعِيَّةٍ وَلِقَاءِ قَصِيرٍ مَعَ الْقِيمِ لَتَفْقِدِ الْحَاجَاتِ.

ثُمَّ انْتَقَلُوا إِلَى الْمَدْرَسَةِ فِي الْعَصْرِ وَقَدْ سَكَنَ السَّاحَةُ مِنْ ضَجِيجِ
الْأَرْجُلِ وَقَابَلُوا مُعَلِّمًا رَزِينًا يُعْرِفُ بِحُسْنِ التَّدْبِيرِ فَقَالَ الْإِمَامُ "نُرِيدُ أَنْ نَخْدِمَ فَلَا
نَزِيدُكُمْ حِمْلًا وَنُرِيدُ أَنْ نَتَعَلَّمَ فَلَا نُشَوِّشَ مَسِيرَتَكُمْ وَنُرِيدُ أَنْ نُدْعِمَ فَلَا نُدْخِلَ مَا
لَيْسَ فِي الشُّعَارِ." فَقَالَ الْمُعَلِّمُ "نَحْتَاجُ إِلَى رِعَايَةِ مَكْتَبَةٍ صَغِيرَةٍ وَنَنْظِيمِ رُكْنٍ
لِقِرَاءَةِ الصَّغَارِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا مِنْ «تَعَلُّمٍ» وَ«خِدْمَةٍ» جَمِيعًا" وَتَلَا

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ (الْبَقَرَةُ 197)

وَأَقْرَأَ مِيثَاقَ التَّنَاوُبِ بَيْنَ الْأُسَرِ.

فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ قَصَدُوا الْجَمْعِيَّةَ الْمَحَلِّيَّةَ فَوَجَدُوا شَابًّا نَشِيطًا يُدِيرُ بَابَ

التَّطَوُّعَ فَقَالَ الْإِمَامُ "نُرِيدُ أَنْ نَكُونَ شُرَكَاءَ فِي «مَشْرُوعِ دَفْعِ» شِتَاءٍ وَ«مَشْرُوعِ تَنْسِيقِ مُتَطَوِّعِينَ» لِحُلُقَاتِ الْقِرَاءَةِ" فَرَحَّبَ وَقَالَ "نَحْتَاجُ إِلَى جَدُولٍ وَاضِحٍ لِلْأُسْرِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا «مِيزَانُ الْوَقْتِ» يُمِلِّيهِ عَلَيْنَا الْقَصْدُ" ثُمَّ قَرَأَ "

﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾" (الْعَصْرُ 1-3).

بَقِيَ السُّوقُ وَهُوَ مَجْرَى يَجْتَمِعُ فِيهِ النَّاسُ وَتَخْتَبِرُ فِيهِ الْأَخْلَاقُ فَدَخَلُوا عَلَى شَيْخٍ تَاجِرٍ يُعْرِفُ بِصِدْقِ الْكَيْلِ وَحُسْنِ الْبِشْرِ فَقَالَ الْإِمَامُ "نُرِيدُ أَنْ نَضَعَ مَعَ أَهْلِ السُّوقِ «مِثَاقَ تَاجِرٍ أَمِينٍ» يُثَبِّتُ الْقَوْلَ وَيَحْفَظُ الْمِيزَانَ وَيَمْنَعُ التَّنَازُرَ وَالتَّنَازُعَ" فَقَالَ التَّاجِرُ "نَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَنَذْكُرُ الْقَوْمَ «رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى»" (حَدِيثٌ) وَزَادَ الْإِمَامُ "مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا" (حَدِيثٌ) ثُمَّ تَلَتْ الْأُمُّ

"﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾" (الْأَنْعَامُ 152)

فَهَزَّ التُّجَّارُ رُؤُوسَهُمْ وَكُتِبَتْ سَطُورٌ قَصِيرَةٌ تُعَلِّقُ فِي الْحَدِّ بَيْنَ الدُّكَانَيْنِ.

عَادَتِ الْأُسْرَةُ إِلَى الْبَيْتِ فِي الْمَسَاءِ وَقَدْ حَمَلَ كُلُّ مِنْهُمْ قِصَّةً صَغِيرَةً تَلْمَعُ فَقَرُؤُوهَا عَلَى الْخَارِطَةِ كَمَا تُقْرَأُ الْآيَاتُ عَلَى الْقُلُوبِ وَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا «مَحْضَرُ زِيَارَةِ» نَكْتُبُهُ فِي سَطْرَيْنِ: مَاذَا فَعَلْنَا وَمَاذَا سَفَعَلُ وَمَتَى نَعُودُ" ثُمَّ تَلَا

"فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ" (آلِ عِمْرَانَ 159).

وَمَرَّتْ أَسَابِيعُ ثَلَاثَةً عَلَى هَذَا النِّظَامِ فَكَانَتْ الزِّيَارَةُ الْأُولَى لِلْمَسْجِدِ وَالثَّانِيَةَ لِلْمَدْرَسَةِ وَالثَّلَاثَةَ لِلْجَمْعِيَّةِ وَفِي الْأُسْبُوعِ الرَّابِعِ عَادُوا إِلَى السُّوقِ بِنُسْخَةِ جَدِيدَةٍ مِنْ «مِيثَاقِ التَّاجِرِ الْأَمِينِ» فَوُقِّعَتْ مِنْ ثَلَاثَةِ ذَكَائِينَ وَعُلِّقَتْ فَوْقَ الرُّفُوفِ. وَقَالَ الْإِمَامُ "أَقْتَرَبْنَا مِنْ «شِرَاكَةِ فَاعِلَةٍ» أُولَى فِي السُّوقِ وَثَانِيَةٍ فِي الْمَسْجِدِ وَثَالِثَةٍ فِي الْمَدْرَسَةِ فَإِذَا أَتَى آخِرُ الشَّهْرِ الثَّانِي فَنَرْجُو أَنْ يَثْبُتَ «الْمَوْشَرُ» عَلَى ثَلَاثٍ" ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التَّوْبَةُ 105).

وَفِي مَطْلَعِ الشَّهْرِ الثَّانِي ظَهَرَتْ عِلَّةُ «تَدَاخُلِ الْأَدْوَارِ» فَقَدْ طَلَبَتْ الْجَمْعِيَّةُ فِعْلًا تَجْرِبِيَّ الْمَدْرَسَةَ وَأَرَادَ السُّوقُ حَفْلًا تُدِيرُهُ الْجَمْعِيَّةُ فَقَالَ الْإِمَامُ "هُنَا يَقُومُ «مِيزَانُ الشُّورَى»" ثُمَّ دَعَا الْأَطْرَافَ إِلَى مَجْلِسٍ قَصِيرٍ فِي رِوَاقِ الْمَسْجِدِ وَقَالَ "نُثَبِتُ اخْتِصَاصَ كُلِّ جِهَةٍ فَلَا يَتَنَافَضُ الْعَمَلُ وَلَا يَتَصَادَمُ الْقَصْدُ وَنَجْعَلُ لِلتَّنَسِيقِ «رَابِطًا» يُخْبِرُ وَيُشِيرُ وَيَسْتَأْذِنُ" ثُمَّ قَرَأَ

"﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾" (الشُّورَى 38)

"وَبِهَا تَصْلُحُ الرِّسَالَاتُ وَتَسْلَمُ الْمَعَانِي."

وَفِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الْخَمِيسِ عَادُوا إِلَى الْبَيْتِ بَعْدَ جَوْلَةٍ يَحْمِلُونَ فِي
الْقُلُوبِ نَبْرَةَ نَصْرِ دَافِيٍّ فَوْقَهُمَا أَمَامَ الْخَارِطَةِ وَقَالَ الْإِمَامُ "نُحَدِّثُهَا" فَأَضَافَ سَهْمًا
جَدِيدًا بَيْنَ الْمَسْجِدِ وَالسُّوقِ وَكَتَبَ فَوْقَهُ «حَلَقَةُ الْفَقْهِ فِي أَخْلَاقِ الْبَيْعِ» ثُمَّ
كَتَبَ فَوْقَ سَهْمِ الْمَدْرَسَةِ «رِعَايَةُ الْمَكْتَبَةِ الصَّغِيرَةِ» وَفِي جَنْبِ الْجَمْعِيَّةِ «جَدُولُ
الْمُتَطَوِّعِينَ». وَقَالَ "هَذِهِ «عُقُودٌ صَغِيرَةٌ» تُثَبِّتُ الْعَمَلَ وَتَحْفَظُ الزَّمَانَ."

وَقَدْ يَقُومُ فِي النَّفْسِ خَوْفٌ مِنَ التَّفَلُّتِ فَقَالَ الْإِمَامُ "نُثَبِّتُ لِكُلِّ زِيَارَةٍ
«وَقْتًا لَا يُزَاحِمُ فَرَضًا» فَلَا نُقَدِّمُ مَشْرُوعًا عَلَى صَلَاةٍ وَلَا نُؤَخِّرُ عِلْمًا عَنْ وَقْتِهِ فَاللَّهُ
قَالَ

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (النِّسَاءُ 103)

"وَمَنْ أَضَاعَ وَقْتًا أَضَاعَ مَقْصِدًا." ثُمَّ قَالَ "وَنُذَكِّرُ الْقُلُوبَ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ
بِالْيَتِّاتِ»" (حَدِيثٌ) "فَلَا نَطْلُبُ سُمُوعًا وَلَا صِيْتًا بَلْ نَطْلُبُ وَجْهَ اللَّهِ."

وَبَيْنَمَا هُمْ فِي مَسِيرَةِ الشَّهْرِينِ حَدَّثَ أَنْ أَشْتَبَكَ شَابَانٍ فِي السُّوقِ فِي
خِلَافٍ عَلَى سِعْرِ فَذَكَرَ التَّاجِرُ مِثَاقَهُ وَقَالَ "أَرَأَيْكَمَا فَإِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ
إِلَّا زَانَهُ" (حَدِيثٌ) وَتَلَا الْإِمَامُ

"فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا" (طه 44)

فَسَكَنَ النَّزَاعُ وَسَجَلَتْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ فِي «مَحْضَرِ الْأَثَرِ» تَحْتَ سَهْمِ
السُّوقِ.

وَفِي آخِرِ الشَّهْرِ الثَّانِي اجْتَمَعُوا فِي الرُّوَاقِ يَسْتَقْرِئُونَ مَا زَرَعُوا وَمَا نَبَتَ
فَقَرُّوْا "شِرَاكَةً فِي الْمَسْجِدِ تَثْبُتُ فِي حَلَقَةٍ أُسْبُوعِيَّةٍ وَنَوْبَةٍ تَنْظِيفٍ مُنْتَظِمَةٍ"
و"شِرَاكَةً فِي الْمَدْرَسَةِ تَثْبُتُ فِي رِعَايَةِ الْمَكْتَبَةِ وَرُكْنِ الْقِرَاءَةِ" و"شِرَاكَةً فِي
السُّوقِ تَثْبُتُ فِي مِيثَاقِ التَّاجِرِ الْأَمِينِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "حَمْدًا لِلَّهِ أَرْتَفَعَ «الْمُؤَشِّرُ»
إِلَى ثَلَاثٍ كَمَا رَجَوْنَا وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ «مِيزَانَ الْمَنْفَعَةِ» وَ«مِيزَانَ الشُّورَى»
وَ«مِيزَانَ أَلْوَقَاتِ» قَدْ قَامَتْ عَلَى قَدَرٍ" ثُمَّ قَرَأَ "

﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾" (الْبَقَرَةُ 197).

أَمَّا الْمَخَاطِرُ فَقَدْ طَلَّتْ رُؤُوسَهَا بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ فَكَانَ مِنْهَا «الْجُهْدُ
الْمُبْعَثُ» حِينَ أَرَادَ الْبَعْضُ أَنْ يَزُورَ ثَلَاثَ جِهَاتٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فَقَالَ الْإِمَامُ
"نَصْبِرُ وَنُرْتَّبُ فَ«اللَّهُ يُحِبُّ مَنْ أَلْعَبَدُ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَنْ يُتَّقَنَهُ»" (حَدِيثٌ) وَمِنْهَا
«تَدَاخُلُ الْأَدْوَارِ» فَأَقَامَ لَهَا مَجْلِسَ شُورَى قَصِيرًا كَمَا سَبَقَ فَأَنْدَفَعَتْ وَمِنْهَا «سَرِقَةُ
أَلْوَقَاتِ» فَنَصَبَ لَهَا تَنْبِيْهَا يَذْكُرُ «مَوْعِدَ الزِّيَارَةِ» وَ«مَوْعِدَ الْبَيْتِ» لِكَيْلَا تَنْفَلِبَ
الْخُرْقَةُ عَلَى رَأْسِهَا.

وَبَيْنَمَا هُمْ يُشْبِتُونَ أَلْعَقْدَ وَيُرَبِّبُونَ الزِّيَارَاتِ قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَمْسَحُ عَلَى

الْخَارِطَةُ بِكَفِّهِ "هَذِهِ الْوَرَقَةُ لَيْسَتْ خَطًّا فَقَطْ بَلْ هِيَ «نَفْسُ جَمَاعِيَّةٍ» تَتَعَلَّمُ
كَيْفَ تُدَبِّرُ وَتُشَاوِرُ وَتُقَدِّرُ وَتَقُومُ وَتُجَدِّدُ" ثُمَّ تَلَا

"﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾"

(الَّتَوْبَةُ 105)

وَقَالَ "«الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْمِرْآةِ»" (حَدِيثُ) "فَلْتَكُنِ الْجِهَاتُ مِرْآةَ
بَعْضُهَا لِبَعْضٍ."

وَكَانَ الْمَشْهُدُ الْخِتَامِيُّ أَنْ عُلِّقَتِ الْخَارِطَةُ عَلَى الْحَائِطِ الْكَبِيرِ فَوْقَ
مَجْلِسِ الْأُسْرَةِ وَعَلَيْهَا السَّهَامُ تَتَحَرَّكُ كُلُّ أُسْبُوعٍ بِخَطِّ صَغِيرٍ يُكْتَبُ تَحْتَهُ «زِيَارَةُ
الشَّرِيكِ الْمُقْبِلِ» وَ«مَحْضَرُ الْأَثَرِ» وَفِي زَاوِيَةٍ مِنْهَا كُتِبَتِ الْآيَتَانِ الْمَحْزُورَتَانِ
تَلَمَعَانِ كَأَنَّهُمَا مِصْبَاحَانِ

"﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ...﴾" (الَّتَوْبَةُ 18)

"وَ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾" (هُودُ 61).

وَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَرْفَعُ كَفِّهِ "اللَّهُمَّ ارْزُقْ هَذَا الْحَيَّ صِدْقًا فِي الْعَقْدِ
وَتَبَاتًا فِي الزَّمَنِ وَنَفْعًا مُتَعَادِلًا يَسْرِي بَيْنَ الْمَسْجِدِ وَالْمَدْرَسَةِ وَالْجَمْعِيَّةِ وَالسُّوقِ
كَمَا تَسْرِي الرَّحْمَةُ فِي قُلُوبِ الصَّادِقِينَ."

ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ "نُؤَاصِلُ «زِيَارَةَ أُسْبُوعِيَّةً» لِشَرِيكِ وَاحِدٍ لَا نَتَخَلَّفُ عَنْهَا وَنُثَبِّتُ فِي آخِرِ كُلِّ أُسْبُوعٍ «جُلْسَةَ سُورَى» خَفِيفَةً نُقَوِّمُ فِيهَا الْخَطْوَةَ وَفِي آخِرِ كُلِّ شَهْرٍ «مَحْضَرَ أَثَرٍ» وَفِي آخِرِ الشَّهْرَيْنِ «عَدَدَ الشَّرَاكَاتِ الْفَاعِلَةِ» فَإِذَا ثَبَتَتْ ثَلَاثًا قُلْنَا حَمْدًا لِلَّهِ زِدْنَا مِنْ فَضْلِكَ" ثُمَّ قَرَأَ

"﴿وَمَا تَقْدَمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾" (الْبَقَرَةُ 110).

هَكَذَا أَنْتَهَتْ الْحِكَايَةُ فِي الْقَلَمِ وَلَكِنَّهَا بَدَأَتْ فِي الْحَيَاةِ فَصَارَتْ الْخَارِطَةُ لَوْحًا يُعَلِّمُ وَمِثَاقًا يُنْظِمُ وَعَيْنًا تُبَصِّرُ وَيَدًا تَعْمَلُ وَقَلْبًا يَرْحَمُ وَالْقَوْمُ يَتَنَادَوْنَ كُلَّ جُمُعَةٍ "مَنْ شَرِيكُنَا الْأُسْبُوعُ الْمُقْبِلُ؟" فَتُجِيبُهُمُ الْخَارِطَةُ مِنْ عَلَى الْحَائِطِ بِخَطٍّ جَدِيدٍ وَسَهْمٍ يَتَّجِهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَقِفُونَ أَمَامَهَا يُرَدِّدُونَ

"﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ﴾" (التَّوْبَةُ 105)

وَيَتَبَسَّمُونَ لِأَنَّ الْقَصْدَ قَدْ وُضِعَ فِي مَسَارِهِ وَالزَّمَنَ قَدْ سَارَ فِي رِحَابِهِ وَالْمَنْفَعَةَ قَدْ وَصَلَتْ إِلَى مَوَاقِعِهَا كَمَا أَمَرَ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

الدَّرْسُ الْخَامِسُ: مَصْنَعُ الْفَصَاحَةِ

إِنْ سَابَ الْعَشِيَّ عَلَى الْحَيِّ هَادِنًا كَمَا تَنْسَابُ الرَّحْمَةُ فِي قَلْبٍ مُسْتَعِدٍّ
لِلتَّهْدِيدِ وَالتَّلَعُّمِ فَدَخَلَ الْإِمَامُ رِوَاقَ الْمَسْجِدِ وَفِي يَدَيْهِ لَوْحٌ عَتِيقٌ وَقَلَمٌ قَصَبٍ
وَمِحْبَرَةٌ صَغِيرَةٌ وَنَظَرَ إِلَى الشَّبَابِ وَالْفَتَيَاتِ الْمُتَحَلِّقِينَ حَوْلَهُ نَظْرَةً مُرَبِّ يَجْمَعُ
بَيْنَ الْحُنُوِّ وَالْحَزَمِ ثُمَّ قَالَ وَصَوْنُهُ يَسْتَفْتِحُ الْقُلُوبَ كَمَا تَسْتَفْتِحُ الْمِفْتَاحُ الْأَبْوَابَ
"أَلْيَوْمَ نَفْتَحُ «مَصْنَعُ الْفَصَاحَةِ» فَهَذَّبُ الْأَلْسُنَ وَنُقِيمُ مِيزَانَ السَّدَادِ وَاللِّينِ
وَنُحَرِّرُ مِثَاقَ الْكَلِمَةِ عَلَى قَصْدٍ وَعَدْلٍ وَتَثْبُتِ". ثُمَّ رَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى الْقُبْلَةِ وَتَلَا
بِتَدْبِيرٍ

"عَلَّمَهُ الْبَيَانَ" (الرَّحْمَنُ 4)

"فَمَنْ عَلَّمَ الْبَيَانَ وَقَامَ بِحَقِّهِ لَمْ يَكُنِ الْقَوْلُ عِنْدَهُ لَهْوًا وَلَا لَعِبًا بَلْ هُوَ
أَمَانَةٌ تُؤَدِّي وَحَقُّ يُقَالُ وَنَصِيحَةٌ تُبَدَّلُ".

تَقَدَّمَ «سُلَيْمَانُ» وَهُوَ فَتَى يَتَفَدُّ بِصِيرَةٍ وَلَكِنَّ لِسَانَهُ يَسْبِقُ فِكْرَهُ ثُمَّ جَلَسَ
إِلَى جَانِبِ «مُرَيْمَ» الَّتِي تَنْسَابُ كَلِمَاتُهَا كَالْمَاءِ الزُّلَالِ وَلَكِنَّهَا تُصِيبُ أحيانًا

جِرَاحًا خَفِيَّةً فِي الْقُلُوبِ وَوَرَاءَهُمَا «لَيْثٌ» الَّذِي يَحْفَظُ فَصِيحَ الْعِبَارَاتِ وَيَرْتَجُّ عِنْدَ الْإِلْتِقَاءِ فَكَأَنَّ الْحَرْفَ فِي صَدْرِهِ طَيْرٌ يَسْتَأْذِنُ فَلَا يَجِدُ بَابًا. نَظَرَ إِلَيْهِمُ الْإِمَامُ وَقَالَ "سَنَجْعَلُ لِكُلِّ نَفْسٍ قَدَرَهَا وَنُقِيمُ لِكُلِّ لِسَانٍ مِيزَانَهُ وَسَنُدِيرُ «وَرِشَةَ الْقَوْلِ السَّيِّدِ وَالْقَوْلِ اللَّيِّنِ وَالْحُجَّةِ الْمُحْكَمَةِ»" ثُمَّ اتَّبَعَهَا بِتِلَاوَةِ رَقِيقَةٍ

"فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا" (طه 44)

"وَتِلَاوَةِ مُوقَّرَةٍ"

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا" (الْأَحْزَابُ 70)

"فَهَذَا هُوَ الْعُمُودَانِ اللَّذَانِ يَقُومُ عَلَيْهِمَا بِنَاءُ الْأَنْبِيَاءِ: لَيْنٌ يَهْدِي وَسَدَادٌ يُعْدِلُ."

هَمَسَ «لَيْثٌ» وَفِي صَوْتِهِ رِعْشَةٌ أَمْتَلَهَفِ "أَخَافُ الْمَوْقِفَ فَأَصُمْتُ وَإِنْ عَرَفْتُ الْحُجَّةَ" فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَضَعُ كَفَّهُ عَلَى كَتِفِهِ "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ" (حَدِيثٌ) "فَإِذَا نَطَقْتَ فَاسْتَصْحِبِ الْخَيْرَ وَإِذَا سَكَتَ فَاسْتَصْحِبِ الْقَصْدَ وَأَعِدَّ لِلْحُرُوفِ طَرِيقًا يَخْرُجُ عَلَى سَكِينَةٍ وَلَا يَتَعَثَّرُ فِي أَعْتَابِ الْخَجَلِ". وَقَالَ لِ«مَرْيَمَ» وَهِيَ تُصْغِي "أَنْتِ فَصِيحَةٌ يَا بُنَيَّتِي وَلَكِنَّ الْفَصَاحَةَ إِذَا خَلَتْ مِنَ الرَّحْمَةِ صَارَتْ سِنْفًا مُسْلَطًا فَتَذَكَّرِي

"فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا" (طه 44)

"وَضَعِي مَعَ كُلِّ حُجَّةٍ قَطْرَةً مِنَ اللَّطْفِ تَنْفُذُ إِلَى الْقَلْبِ قَبْلَ الْأُذُنِ". ثُمَّ
اَلْتَفَتَ إِلَى «سُلَيْمَانَ» وَقَالَ "قُوَّةُ لِسَانِكَ نِعْمَةٌ فَأَحْمِلْهَا عَلَى عَدْلِ فَإِنَّ «مِنْ
الْبَيَانَ لِسِحْرًا»" (حَدِيثٌ) "وَلَكِنَّ السَّحْرَ إِنْ لَمْ يَقْبُدْ بِتَقْوَى انْقَلَبَ بَلَاءً".

أَجْلَسَهُمُ الْإِمَامُ فِي نِصَابٍ مُرَبَّعٍ يَسْتَوِي فِيهِمَا الْأَبْصَارُ وَتَتَقَابَلُ فِيهِ
الْقُلُوبُ وَقَالَ "نَبْدًا بِتَهْذِيبِ النَّفْسِ فَإِنَّ الْكَلِمَةَ تُولَدُ مِنْ سَكِينَةٍ تُهْدَى الصَّدْرُ ثُمَّ
تَمْضِي فِي طَرِيقِهَا عَلَى مِيزَانٍ" ثُمَّ سَكَتَ سُكُوتًا يَسِيرًا كَأَنَّهُ يُنْصِتُ إِلَى أَصْوَاتِ
خَفِيَّةٍ تَنْزِلُ مِنَ الطَّمَائِينَةِ عَلَى الْمَجْلِسِ وَقَالَ "سَنَجَرِّبُ الْآنَ «خُطْبَةً قَصِيرَةً»
لِكُلِّ وَاحِدٍ فِيكُمْ تُسَجَّلُ ثُمَّ تُرَاجَعُ عَلَى مِيزَانِ السَّدَادِ وَاللِّينِ وَالْحُجَّةِ" ثُمَّ أَشَارَ
إِلَى كَاتِبِ الْمَجْلِسِ فَوَقَفَ وَقَالَ "أُدُونُ مَلَامِحَ الْقَوْلِ وَسَكَاتِهِ وَمَوَاطِنَ حُجَّتِهِ".

قَامَ سُلَيْمَانُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ تَكَلَّمَ فِي حُسْنِ الظَّنِّ بِعِبَارَاتٍ
مَصُوغَةٍ صِيَاغَةً مَبِينَةً، وَلَكِنَّهُ قَسَا فِي التَّنْبِيهِ عَلَى الْخَطَا، فَكَأَنَّ الْكَلِمَةَ تَتَدَخَّرُ
مِنْ صَخْرَةٍ. ثُمَّ قَامَتْ مَرْيَمُ فَتَكَلَّمَتْ فِي حُسْنِ الْجَوَارِ وَأَصَابَتْ مَوَاضِعَ
الْبُرْهَانِ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَتَوَقَّ فِي مَوْضِعٍ تَحْتَاجُ فِيهِ الْقُلُوبُ إِلَى مَسْحَةٍ مِنْ لِينٍ. وَقَامَ
لَيْثٌ فَاحْمَرَّ وَجْهُهُ وَأَعْرَثَتْهُ رِعْشَةٌ، وَلَكِنَّهُ أَتَمَّ خُطْبَتَهُ وَإِنْ قَطَعَهَا سُكُوتٌ مُتَكَرِّرٌ.
فَشَكَرَ الْإِمَامُ جُهِدَهُمْ ثُمَّ قَالَ: "الْآنَ نَشْرَعُ فِي فَنِّ الْبَيَانِ فَإِنَّ الْكَلِمَةَ لَهَا صَوْلَةٌ
وَصَقْلٌ وَمَعْرِضٌ وَمِقْيَاسٌ".

اخْتَارَ جُمْلَةً مِنْ كُلِّ خُطْبَةٍ وَكُتِبَتْ عَلَى اللَّوْحِ ثُمَّ قَالَ: "هَذِهِ جُمْلَةٌ

سُلَيْمَانَ صَحِيحَةً الْحُجَّةِ، وَلَكِنَّهَا فِي غِلَظَةٍ فَنَدَخِلُ عَلَيْهَا قَطْرَةَ لِينٍ". وَكَتَبَ مَعَهُمْ: "نُخْطِئُ وَتُخْطِئُ وَيَجْمَعُنَا الْحَقُّ فَلَنَلْتَمِسْهُ مَعًا". ثُمَّ قَالَ: "وَهَذِهِ جُمْلَةٌ مَرِيَمَ فَائِقَةٌ، وَلَكِنَّهَا تُحَدِّثُ قَرَحًا خَفِيًّا فَنُضِيفُ إِلَيْهَا عِطْفًا يَسْتَدْرِجُ الْقَلْبَ". وَكَتَبَ: "رُبَّمَا غَابَ عَنَّا بَعْضُ التَّفْدِيرِ فَلْنَكْمِلْهُ بِرَفْقٍ". ثُمَّ قَالَ: "وَهَذِهِ جُمْلَةٌ لَيْثٍ حَسَنُهُ الْمَعْنَى، وَلَكِنَّ التَّرَدُّدَ قَطَعَ مَسَارَهَا، فَتَدْرَبُ النَّفْسُ وَنُقِيمُ النِّعْمَةَ وَنُثَبِّتُ النَّظَرَ فِي عُيُونِ السَّامِعِينَ بِلاَ تَحْدِيدٍ مُسْتَفْزٍ". ثُمَّ تَلَا:

﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (فُصِّلَتْ 34)،

و"مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا نُرْعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ" (حَدِيثٌ).

ثُمَّ دَعَا الْإِمَامُ إِلَى «تَمْرِينِ التَّحْوِيلِ» فَقَالَ "أُعْطِيكُمْ جُمْلَةً قَاسِيَةً فَتَحَوِّلُونَهَا إِلَى قَوْلٍ لَيِّنٍ سَدِيدٍ" وَكَتَبَ "أَنْتَ مُخْطِئٌ عَلَى طُولِ الْخُطِّ" فَقَالَتْ «مَرِيَمُ» "لَعَلَّنَا نُصِيبُ أَحْسَنَ مِمَّا قُلْتَ فَهَلْ نُرَاجِعُ الشَّاهِدَ؟" فَابْتَسَمَ الْإِمَامُ وَقَالَ "هَذَا «قَوْلٌ لَيِّنٌ» وَ«حُجَّةٌ مُحْكَمَةٌ» تَجْمَعُ بَيْنَ الدَّعْوَةِ وَالِدَّلِيلِ" ثُمَّ تَلَا

"﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾" (النَّحْلُ 125).

ثُمَّ قَامَ «سُلَيْمَانُ» وَفِي يَدِهِ وَرَقَةٌ وَقَالَ "أُجَرِّبُ «حُجَّةً مُقَسِّمَةً»" فَقَالَ

الْإِمَامُ "إِبْدَأُ بِمُقَدِّمَةِ تَسْتَجْلِبِ الْقُلُوبَ ثُمَّ دَلِيلٍ يَقُومُ عَلَى الصِّدْقِ ثُمَّ خَتَامٍ يَفْتَحُ بَابَ الْعَمَلِ" فَقَامَ وَقَالَ "نَحْبُ الْحَقِّ جَمِيعًا فَلْنَطْلُبْهُ فِي مَجَالِسِنَا وَإِنْ خَالَفَ هَوَانَا وَنُقِيمُ لِكُلِّ قَوْلٍ دَلِيلَهُ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ أَوْ عَقُولٍ تَسْتَبِينُ وَنَحْنِمُ بِعَمَلٍ صَغِيرٍ نُثَبِّتُ بِهِ مَا قُلْنَا" فَقَالَ الْإِمَامُ "أَحْسَنْتَ يَا بُنَيَّ وَأَسْتَصْحِبُ

﴿قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾" (الْأَحْزَابُ 70)

"فَإِنَّ السَّدَادَ يَجْمَعُ مَا تَفَرَّقَ مِنْ حُجَجٍ."

وَإِذَا بَفَتَاةٍ صَغِيرَةٍ فِي آخِرِ الصَّفِّ تَرْفَعُ يَدَهَا وَتَقُولُ "أَسْتَأْذِنُ فِي جُمْلَةٍ اخْتَبَرْتُهَا" فَقَالَ الْإِمَامُ "تَفَضَّلِي" فَقَالَتْ "أَخْطَأْتُ فِي حَدِيثِي وَأَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَقُومُنِي" فَقَالَ "هَذَا «قَوْلٌ لَيْنٌ» يُفْتَحُ بِهِ بَابُ التَّقْوِيمِ وَيَنْقَطِعُ بِهِ سَبِيلُ الْمُكَابَرَةِ."

ثُمَّ جَاءَ دَوْرُ «تَشْيِيتِ النَّفْسِ» عِنْدَ «لَيْثٍ» فَقَالَ الْإِمَامُ "ثَبَّتْ قَدَمَيْكَ وَاجْعَلْ نَظْرَكَ يَسْتَقِرُّ عَلَى الْقُلُوبِ بِلَا تَحْدِيقٍ وَأَقْرَأْ هَذِهِ الْآيَةَ قَبْلَ بَدْءِ الْكَلَامِ

﴿رَبِّ أَسْرِخْ لِي صَدْرِي﴾" (طه 25)

"فَإِذَا أَنْشَرَخَ الصَّدْرُ أَنْفَادَتِ الْحُرُوفُ" ثُمَّ قَالَ "وَأَسْتَصْحِبُ «اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَأَصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ»" (حَدِيثٌ) فَقَامَ «لَيْثٌ» وَالْقَى كَلِمَاتٍ قَلِيلَةً وَلَكِنَّهَا

خَرَجَتْ مُسْتَقِيمَةً إِلَى قُلُوبٍ مُنْصِتَةٍ فَأَخْضَرَ وَجْهَهُ بِالرَّضَا.

إِسْتَأْذَنَ «سُلَيْمَانُ» ثُمَّ قَالَ "نَتَعَلَّمُ كَيْفَ نَرُدُّ عَلَى السُّخْرِيَّةِ بِـ«حُجَّةٍ مُحْكَمَةٍ» بِلَا جَرْحٍ" فَقَالَ الْإِمَامُ "هَاتُوا سُخْرِيَّةً نَحُولُهَا إِلَى حُجَّةٍ" فَقَالَ شَابٌّ "أَنْتُمْ تُحِبُّونَ الرِّخَاوَةَ" فَقَالَتْ «مَرْيَمُ» "نُحِبُّ الْحِكْمَةَ وَنُجَرِّبُ الَّذِينَ لَا نَهْ أَقْدَرُ عَلَى الْنُفُوسِ وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ جَرَّبْنَا الْحَزَمَ فِي مَوْضِعِهِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "هَكَذَا تَلْتَقِي «قَوْلًا لَيْنًا» مَعَ «قَوْلٍ سَدِيدٍ» فَتُولَدُ «حُجَّةٌ مُحْكَمَةٌ»" ثُمَّ تَلَا

"﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾" (الْعَنْكَبُوتُ 46).

وَعِنْدَ الْأَسْتِرَاحَةِ الْقَصِيرَةِ قَالَ الْإِمَامُ "إِنَّا نَخْشَى «تَزْيِينَ الْقَوْلِ بِلَا عَمَلٍ وَتَنْدُرًا جَارِحًا» فَنَضْعُ لِدَلِيلِكَ مِيزَانَيْنِ: «مِيزَانُ السَّدَادِ» فَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَقُومُ عَلَيْهِ دَلِيلٌ وَ«مِيزَانُ الَّذِينَ» فَلَا نَرْفَعُ صَوْتًا فِي مَوْضِعِ الْهَمْسِ وَلَا نَهْمِسُ فِي مَوْضِعِ التَّنْصِيحِ وَ«مِثَاقُ الْكَلِمَةِ» يَمْنَعُنَا مِنَ التَّنَابُزِ وَالتَّعْيِيرِ وَيَحْمِلُنَا عَلَى النَّصِيحَةِ" ثُمَّ قَرَأَ

"﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾" (الْبَقَرَةُ 83)

"وَلَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ طَعَانًا وَلَا لَعْنًا وَلَا أَلْفَاحِشَ الْبَذِيءِ" (حَدِيثٌ).

ثُمَّ شَرَعُوا فِي «مَشْهَدِ التَّسْجِيلِ وَالْمُرَاجَعَةِ» فَوَضِعَتْ «آلَةُ صَوْتِيَّةٌ» تَسْتَحْضِرُ الصَّوْتَ كَمَا كَانَ لِإِرْجَاعِهِ بَعْدَ فَرَاغِ الْخُطْبَةِ فَقَالَ الْإِمَامُ "نُسَجِّلُ

خُطْبَةً لَا تَجَاوِزُ دَقَائِقَ قَلِيلَةً ثُمَّ نَسْتَمِعُ وَنَعْدِلُ وَنُقَوِّمُ" وَبَعْدَ أَنْ أَلْقَى الْقَوْمَ
كَلَامَهُمْ جَلَسُوا يَسْتَمِعُونَ إِلَى أَصْوَاتِهِمْ فَتَبَيَّنَ لِكُلِّ نَفْسٍ مَوْطِنٌ قُوَّتُهَا وَمَوْطِنُ
الْإِصْلَاحِ فَقَالَ الْإِمَامُ "الْتَسَجِيلُ مِرَاةٌ لَا تُجَامِلُ فَانْظُرُوا فِيهَا وَأَصْلِحُوا مَا بَانَ."

قَالَ «سُلَيْمَانُ» وَهُوَ يَسْمَعُ صَوْتَهُ يَسْتَفِيقُ عَلَى مَوَاضِعِ غِلْظَتِهِ "أَسْتَأْذِنُ
فِي إِعَادَةِ الْفَقْرَةِ عَلَى طَرِيقَةِ اللَّيْنِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَفْضَلُ" فَقَالَ "قَدْ أَرَأَكُمُ اللَّهَ
فِي هَذَا الْأَمْرِ خَيْرًا كَثِيرًا وَلَكِنَّا نَتَمُّهُ بِقَلِيلٍ مِنَ التَّقْدِيرِ لِتَكْتِمَلَ الصُّورَةُ" فَقَالَ
الْإِمَامُ "هَذَا «قَوْلٌ لَيِّنٌ» قَامَ عَلَى «قَوْلٍ سَدِيدٍ» فَاجْتَمَعَ الْحُسَنَانِ" ثُمَّ قَالَ
"وَأَسْتَصْحِبُوكُمْ فِي كُلِّ بَابٍ"

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾" (طه 44)

"فَإِنَّهُ مِفْتَاحُ لِكِتَابِ الْقُلُوبِ."

وَتَقَدَّمَ «مَرِيَمُ» فَقَالَتْ "أَتَعَلَّمُ «نَبْرَةَ التَّطْمِينِ» قَبْلَ الْإِلْزَامِ بِالْحُجَّةِ"
فَقَالَ الْإِمَامُ "أَبْدَيْ بِحَمْدٍ وَتَشْكُرٍ ثُمَّ أَدْفَعِي الْعَقْلَ إِلَى الْحَقِّ بِحُجَّةٍ" فَقَالَتْ
"نَشْكُرُ جُهْدَكُمْ وَنَعْلَمُ حِرْصَكُمْ وَنَقْتَرِحُ لِإِتْمَامِ الْخَيْرِ أَنْ نُرَتِّبَ الْأَوْقَاتِ لِفَلَا
يَضِيعَ شَيْءٌ" فَقَالَ "هَذَا مِنْ أَحْكَمِ الرِّبْطِ بَيْنَ «اللَّيْنِ» وَ«السَّادَةِ»."

أَمَّا «لَيْثٌ» فَقَدْ ذَاقَ حَلَاوَةَ الثَّقَةِ الْمُقَاسَةِ فَقَالَ "أَجِدُ نَفْسِي تَسْتَقِيمُ إِذَا
جَعَلْتُ لِكُلِّ فِقْرَةٍ عُنْوَانًا فِي صَدْرِي وَأَبْقَيْتُ النَّظَرَ بَيْنَ الْوَرَقَةِ وَوُجُوهِ الْقَوْمِ" فَقَالَ

الْإِمَامُ "وَهَذَا مِنْ فِقْهِ «الْأَدَاءِ» فَإِنَّ الْعُيُونَ بَابٌ إِلَى الْقُلُوبِ فَإِذَا اسْتَقَامَ نَظْرُكَ اسْتَقَامَتْ كَلِمَتُكَ" ثُمَّ تَلَا

"﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾" (الْإِسْرَاءُ 53).

وَفِي آخِرِ الْمَجْلِسِ قَالَ الْإِمَامُ "نَجْعَلُ لِمَصْنَعِ الْفَصَاحَةِ" قَاعِدَةً نَسِيرُ عَلَيْهَا: «قَوْلٌ لِّئِنْ يَفْتَحْ وَقَوْلٌ سَدِيدٌ يُقِيمُ وَحُجَّةٌ مُحْكَمَةٌ تَهْدِي» وَنُسَجِّلُ عَلَى أَنْفُسِنَا «وَاجِبًا» أَنْ يُرْسَلَ كُلُّ وَاحِدٍ «نَصًّا أُسْبُوعِيًّا» مِنْ «١٥٠» كَلِمَةٍ يُطَابِقُ الدَّلِيلَ وَيَجْمَعُ بَيْنَ اللَّيْنِ وَالسَّدَادِ فَنَرَا جُعْهُ مَعًا وَنُقَوِّمُهُ عَلَى مِيزَانِ الْكَلِمَةِ" ثُمَّ قَالَ "وَنَجْعَلُ «مُؤَشِّرًا» نَقِيسُ بِهِ الْأَثَرَ فَنَرُصِدُ «الْتَرَدُّدَ فِي الْإِلْقَاءِ» وَنَرْجُو هُبُوطَهُ «٥٠٪» فِي شَهْرِ بِأَذْنِ اللَّهِ."

تَمَادَى الْأُسْبُوعُ الْأَوَّلُ كَمَا يَتِمَادَى النَّهْرُ فِي سَهْلٍ مُمْتَدٍّ فَأَرْسَلَ الْقَوْمُ نُصُوصَهُمْ وَمَلَأُوا «صَحِيفَةَ الْمَصْنَعِ» وَكَانَ الْإِمَامُ يَرُدُّ عَلَى كُلِّ نَصٍّ بِ«ثَلَاثِ لَمَسَاتٍ» تَهْدِيًّا لِلنَّبَرَةِ وَتَقْوِيمًا لِلدَّلِيلِ وَتَثْبِيْتًا لِمَوْضِعِ الْعَاطِفَةِ. وَفِي الْاجْتِمَاعِ الْتَالِيِ قَالَ "نُضِيفُ إِلَى مِيزَانِنَا شَاهِدَيْنِ جَلِيلَيْنِ:

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا﴾ (طه 44)

لِنَبْقَى عَلَى رَفَقٍ

﴿قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الْأَخْرَابُ 70)

لِنَبْقَى عَلَى عَدَلٍ" ثُمَّ قَالَ "وَنَسْتَصْحِبُ «يَسْرُوا وَلَا تُعْسَرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفَرُوا» (حَدِيثٌ) «فَإِنَّ الْبَيَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ بُشْرَى وَحُجَّةٍ».

جَاءَ «سُلَيْمَانُ» فِي الْأُسْبُوعِ الثَّانِي بِنَصٍّ فِي «تَحْرِيمِ الْمَرْحِ الْجَارِحِ» فَقَرَأَهُ فَاتَّخَذَ الْإِمَامُ عَلَى مَوَاطِنِ الدَّلِيلِ وَقَالَ "ضَعْ قَبْلَ الْإِلْزَامِ «تَطْمِينًا» يَفْتَحُ الصُّدُورَ" فَرَادَ "«إِنَّمَا نَنْصَحُ لَأَنَّا نَحِبُّكُمْ»" فَانْسَابَ النَّصُّ كَأَنَّهُ جَدُولٌ يَحْمِلُ مَاءً بَارِدًا فِي الْقَيْظِ. وَجَاءَتْ «مَرِيَمُ» بِنَصٍّ فِي «تَنْظِيمِ الْخِلَافِ» فَحَفِظَتْ «مِقْدَارَ اللَّيْنِ» وَقَامَتْ «حُجَّتُهَا» عَلَى بَيِّنَةٍ فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا مِنْ «دَلِيلِ الْأُسْلُوبِ» الَّذِي يَجْمَعُ مَا تَفَرَّقَ" ثُمَّ تَلَا "

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾" (الزُّمَرُ 18).

وَأَمَّا «لَيْثٌ» فَقَدْ أَتَى بِنَصٍّ فِي «إِصْلَاحِ لِسَانِ الطُّفُولَةِ» وَقَدْ نَقَصَ «مُؤَشِّرُ التَّرَدُّدِ» فِي صَوْتِهِ بِوُضُوحٍ فَقَالَ الْإِمَامُ "قَدْ ظَهَرَ أَثَرُ التَّمْرِينِ" ثُمَّ قَرَأَ "﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾" (هُودٌ 88).

وَحِينَ دَخَلَ الشَّهْرُ أَوْسَطُهُ جَعَلُوا لِأَلْسِنَتِهِمْ «تَعَاهُدًا» فِي الْبَيْتِ وَالْمَدْرَسَةِ وَالسُّوقِ فَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا ارْتَفَعَ صَوْتُهُ ذَكَرَ نَفْسَهُ "﴿قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾" (الْأَحْزَابُ 70)

"فَيَنْقَادُ الصَّوْتُ إِلَى الْقَصْدِ" وَإِذَا جَاءَ مَوْضِعُ شِدَّةٍ تَذَكَّرَ

"﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا﴾" (طه 44)

"فَيَنْحَدِرُ الْحِدَّةُ إِلَى رِفْقٍ". وَكَانُوا يَسْتَصْحِبُونَ "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْفِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ" (حَدِيثٌ) "لِيَحْمُوا الْمَجْلِسَ مِنْ لَغْوٍ
وَيَحْرُسُوا الْأَلْسُنَ بِحِرَاسَةِ التَّقْوَى".

جَاءَتْ «لَحْظَةُ الْأَخْتِبَارِ» فِي مَجْلِسٍ عَامٍّ لِلْحَيِّ فَقَامَ فَتَى يُخَالِفُ وَقَالَ
بِنَبَرَةٍ حَادَّةٍ "«كَلَامُكُمْ مُلَطَّفٌ يُفْقِدُ الْحَقَّ حَدَّثَهُ»" فَتَقَدَّمَ «سُلَيْمَانُ» قَبْلَ أَنْ
يَسْبِقَهُ لِسَانُهُ وَقَالَ "«نُذَافِعُ عَنِ الْحَقِّ بِحَدَّثِهِ فِي الْمَوْضِعِ وَبِلِينِهِ فِي الْمَوْضِعِ فَقَدْ
قِيلَ «وَمَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ»" (حَدِيثٌ) "«وَنَحْمِلُ الْقَوْلَ عَلَى الدَّلِيلِ
لَا عَلَى الصَّوْتِ»" فَسَكَنَ الْمَجْلِسُ وَتَبَادَلَ النَّاسُ النَّظَرَ كَانَهُمْ شَهِدُوا «حُجَّةً
مُحْكَمَةً» تَنْسِفُ «تَنْدُرًا جَارِحًا» وَتَتْرُكُ فِي الْقَلْبِ إِجْلَالًا لِالَّذِينَ عِنْدَ الْقُدْرَةِ.

وَعِنْدَ الْأَكْتِبَابِ لِمَا قَدَّمُوا جَمَعَ الْأِمَامِ نُبْتًا مِنْ نُصُوصِهِمْ وَجَعَلَهَا
«مُصَحَّفًا صَغِيرًا» لِـ«مَصْنَعِ الْفَصَاحَةِ» ثُمَّ قَالَ "نَحْنِمُ الشَّهْرَ بِمِيزَانٍ نَقِيسُ بِهِ
«التَّرَدُّدَ» فَنَعُدُّ مَوَاضِعَ السُّكُوتِ أَلْمُرْتَبِكِ وَالتَّيَفَاتِ النَّظَرِ وَارْتِعَادَ النَّبَرَةِ وَنُقَارِنُهَا
بِأَوَّلِ الْمَجْلِسِ فَإِذَا هَبَطَ «٥٠٪» قُلْنَا أَلْحَمْدُ لِلَّهِ قَدْ ظَهَرَ الْأَثَرُ" ثُمَّ قَرَأَ

"﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾"

(التَّوْبَةُ 105).

وَفِي لَيْلَةِ الْأَخْتِتَامِ اجْتَمَعُوا فِي الرَّوَاقِ وَقَدْ عُلِقَ عَلَى الْحَائِطِ «سِجِلٌّ»
يَرِصُدُ خُطُوتَهُمْ وَعَلَيْهِ بِالْحِسَابِ الْمُقَارِنِ "قَبْلَ الْمَصْنَعِ" وَ"بَعْدَهُ" فَظَهَرَ لِلْعُيُونِ
مَا نَقَصَ مِنْ «التَّرَدُّدِ» وَمَا زَادَ مِنْ «الْأَطْمِئْنَانِ» وَمَا اسْتَقَامَ مِنْ «الْحُجَّةِ». وَقَالَ
الْإِمَامُ "لَا تَنْسُوا أَنَّ الْفَصَاحَةَ إِنْ لَمْ يَحْمِلْهَا عَمَلٌ صَادِقٌ انْقَلَبَتْ «تَزْيِينًا» يُفْسِدُ
قَلْبَ الْقَائِلِ وَقَلْبَ السَّمِيعِ فَاسْتَصْحِبُوا «اللَّهُمَّ اجْعَلْ سِرِّي خَيْرًا مِنْ عَلَانِيَتِي
وَاجْعَلْ عَلَانِيَتِي صَالِحَةً» (حَدِيثٌ) "وَأَجْعَلُوا كُلَّ قَوْلٍ جِسْرًا إِلَى عَمَلٍ". ثُمَّ تَلَا

"﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الْحَجَرُ 99)

فَلَا يَكْفِي قَوْلُ بِلَا تَرْكِيبَةٍ."

رَفَعَ «سُلَيْمَانُ» يَدَهُ وَقَالَ "أَسْتَأْذِنُ فِي خِتَامٍ يَا سَيِّدَنَا" فَقَالَ الْإِمَامُ
"تَفَضَّلْ" فَقَالَ "تَعَلَّمْنَا الْيَوْمَ أَنَّ الْكَلِمَةَ مِيزَانٌ وَأَنَّ الرَّفْقَ إِطَارُهُ وَأَنَّ الْحُجَّةَ قَلْبُهُ
وَأَنَّ الْقَصْدَ رُوحُهُ فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَسْتَعْمِلَنَا فِي قَوْلٍ يُحْيِي وَلَا يُمِيتُ وَيَجْمَعُ وَلَا
يُفَرِّقُ وَيَهْدِي وَلَا يُضِلُّ" فَقَالَ الْإِمَامُ "آمِينَ" وَقَرَأَ

"﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ﴾" (فُصِّلَتْ 33).

خَرَجُوا مِنَ الْمَسْجِدِ وَفِي أَفْوَاهِهِمْ «صَلَاةٌ عَلَى النَّبِيِّ» وَفِي قُلُوبِهِمْ

«عَهْدُ الْكَلِمَةِ» وَفِي أَيْدِيهِمْ «صَحِيفَةُ الْوَاجِبِ» يَكْتُبُ كُلُّ مِنْهُمْ نَصَّهُ الْأُسْبُوعِيَّ وَيُرْسِلُهُ وَيَنْتَظِرُ مُرَاجَعَتَهُ عَلَى مِيزَانِ السَّدَادِ وَاللِّينِ وَالْحُجَّةِ. وَفِي الطَّرِيقِ كَانَ «لَيْثٌ» يَقْرَأُ فِي نَفْسِهِ

"﴿قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾" (الْأَحْزَابُ 70)

وَيَتَابِعُهَا

"﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا﴾" (طه 44)

كَانَهُمَا جَنَاحَانِ يَحْمِلَانِ لِسَانَهُ إِلَى الْأَسْتِقَامَةِ.

وَمَضَى الشَّهْرُ وَقَدْ هَبَطَ «مُؤَشِّرُ التَّرْدُدِ» كَمَا رَجَوْا وَحَفِظُوا «نَصَّ الْأُسْبُوعِ» وَأَخَذَ «مِثَاقُ الْكَلِمَةِ» يَكْبُرُ فِي الْبُيُوتِ وَالْمَجَالِسِ وَالسُّوقِ وَصَارَ «مَصْنَعُ الْفَصَاحَةِ» لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِمَا يَعْمَلُ وَلَا يَعْمَلُ إِلَّا بِمَا يَنْفَعُ وَصَارَ الشَّابُّ إِذَا أَرَادَ الْكَلَامَ تَذَكَّرَ "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ" (حَدِيثٌ) "فَيَرْفَعُ «قَوْلًا لَيْنًا» عَلَى «قَوْلٍ سَدِيدٍ» وَيَضَعُ «حُجَّةً مُحْكَمَةً» فِي مَوْضِعِهَا وَيَمْضِي عَلَى طَرِيقِ الْهُدَى. وَكَانَ خِتَامُ الْمَشْهَدِ أَنْ رَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ وَقَالُوا "اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَلْسِنَتَنَا بِذِكْرِكَ لَهْجَةً وَقُلُوبَنَا بِتَقَاكَ مُعَلَّقَةً وَاجْعَلْ قَوْلَنَا سَدِيدًا وَلِينًا هَادِيًا وَحُجَّتَنَا مُحْكَمَةً" ثُمَّ أَنْصَرَفُوا وَفِي الرُّوحِ نَشِيدٌ خَفِيٌّ يُرَدُّ

"﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾" (الرَّحْمَنُ 4)

بَيْنَ الْأُذُنِ وَالْإِشْعَارِ - تَكْوِينُ الْجِيلِ الرَّاشِدِ

"فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ فَأَحْسَنَ وَهَدَى فَأَحْكَمَ وَفَتَحَ أَبْوَابَ الْكَلِمَةِ
عَلَى مِيزَانِ الرَّحْمَةِ وَالْعَدْلِ.

الدَّرْسُ السَّادِسُ: حَلَقَاتُ الْقُرْآنِ

تَسَلَّلَ الْعَشِيُّ إِلَى الْحَيِّ عَلَى مَهَلٍ فَهَدَأَتْ أَبْوَابُ الْمَتَاجِرِ وَأَطْفَاءُ الْبَيْتِ
كَشَفَاتِ الزَّوَايَا وَأَنْحَدَرَ صَوْتُ الصَّبِيَّةِ إِلَى هَمْسٍ يُشَبِّهُ التَّسْبِيحَ وَالرَّيْحُ تَتَرَدَّدُ بَيْنَ
سَعَفِ نَخْلَةٍ قَدِيمَةٍ وَنَافِذَةِ مُشْرِفَةٍ عَلَى الْمَسْجِدِ الصَّغِيرِ فِي آخِرِ الزُّقَاقِ فَدَخَلَ
الْإِمَامُ وَمَعَهُ مِصْحَفٌ كَبِيرٌ مَشْرُوبُ الْحَوَاشِي وَمَحْبَرَةٌ خَفِيفَةٌ وَرَائِحَةُ مَاءٍ وَضُوءُهُ
تُنَبِّهُ الرُّوحَ إِلَى الْإِسْتِعْدَادِ فَجَلَسَ فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ وَقَدْ احْتَفَلَ الْبَيْتُ بِ«رُكْنِ
قُرْآنِي» فِيهِ سَجَادَتَانِ وَمِقْرَأةٌ وَدَفْتَرٌ «مَحَاضِرِ الْأَثَرِ». وَسَكَتُوا حَتَّى سَمِعُوا نَبْضَ
الْهُدُوءِ فِي جِدَارٍ قَدِيمٍ فَقَالَ الْإِمَامُ وَنَبْرَتُهُ تَحْمِلُ نَظْرًا عَمِيقًا "نَفْتَحُ الْيَوْمَ بَابًا
يَرْبِطُ بَيْنَ قُلُوبِنَا وَكَلَامِ رَبِّنَا فَنَجْعَلُ لِلتَّلَاوَةِ مِيزَانًا وَلِلتَّدْبِيرِ قَصْدًا وَلِلْعَمَلِ سَبِيلًا
فَاللَّهُ تَعَالَى قَالَ

﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (الْمُزَّمِّلُ 4)

وَقَالَ

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ (ص 29)

وَقَالَ

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ (البقرة 121)

فَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ «تَرْتِيلٍ» يُقِيمُ اللِّسَانَ وَ«تَدْبِيرٍ» يَفْتَحُ الْفِكَرَ وَ«عَمَلٍ» يُثْمِرُ فِي الْحَيَاةِ فَقَدْ أَصَابَ الْحِظَّ الْأَوْفَرَ مِنْ بَرَكََةِ الْكِتَابِ."

تَقَدَّمَ الْأَبُ وَهُوَ يَجْمَعُ الْأَطْفَالَ حَوْلَ الْمِقْرَاءَةِ ثُمَّ قَالَ وَفِي صَوْتِهِ دُعَابَةٌ الْأَنْسِ "نُرِيدُ أَنْ نُثَبِّتَ «حَلَقَةً مَزَلِّيَّةً» كُلَّ أُسْبُوعٍ تَتَّصِلُ بِحَلَقَةِ الْمَسْجِدِ فَمَا الْبِدَايَةُ؟" فَقَالَ الْإِمَامُ "الْبِدَايَةُ أَنْ نُقِيمَ «مِيزَانَ السَّنَنِ» فَنُطَهِّرَ الْأَبْدَانَ وَنُسَكِّنَ الْأَلْسُنَ وَنُخَفِّفَ النَّظَرَ وَنَجْعَلَ لِلتَّلَاوَةِ وَقْتًا يُنَاسِبُ الْقُلُوبَ فَقَبْلَ الْمَغْرِبِ بِنِصْفِ سَاعَةٍ أَوْ بَعْدَ الْعِشَاءِ عَلَى سَكِينَةٍ وَنُصْغِي إِلَى التَّرْتِيلِ عَلَى هَذِي قَوْلِهِ

﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (الْمُزَّمِّلُ 4)

فَلَا نُسْرِعْ وَلَا نُثْقَلْ وَنُسْتَعِينُ بِسُكُونِ يُشْبِهُ الشَّبَاتِ الرَّحِيمِ لِلْأَصْوَاتِ الْمُتَعَبَةِ."

وَقَالَتِ الْأُمُّ وَهِيَ تَنْشُرُ عَلَى الْحَصِيرِ وَرَقًا أَخْضَرَ لِلتَّرْتِيلِ "انْثَبْتُ قَاعِدَةً لِلْأَطْفَالِ فِي الْجُلُوسِ وَالْإِنْصَاتِ؟" فَقَالَ الْإِمَامُ "نُثَبِّتُ «مِيزَانَ الْمَقْصِدِ» فَنَعْرِفُهُمْ أَنَّنَا نَقْصِدُ «وَجْهَ اللَّهِ» لَا رِضًا أُذِنَ وَلَا مَدَحَ لِسَانٍ وَنَسْتَصْحِبُ «مِيزَانَ الْعَمَلِ» لِكُلِّ لَيْلَةٍ فَنُخْرِجُ مِنْهَا فِعْلًا وَاحِدًا يُزْهَرُ فِي الْبَيْتِ أَوْ فِي الْحَيِّ" ثُمَّ قَالَ

وَأَصَابِعُهُ ثِقَلْبُ أَوَّلِ الْمُصْحَفِ "نَفَتْحُ الْقِرَاءَةِ عَلَى قَاعِدَتَيْنِ: «تَرْتِيلٌ مُؤَدَّى» وَ«تَدْبِيرٌ مُوجَّهٌ» ثُمَّ «سُؤَالٌ عَمَلٍ» خَفِيفٌ يَلِيقُ بِالْقُدْرَةِ."

هَمَسَ الْفَتَى الْأَكْبَرُ وَهُوَ يُقَلِّبُ مِصْحَفَهُ "أَخْفَظُ مَعَ التَّلَاوَةِ أَمْ أَقْرَأُ فَقَطْ؟" فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي بَصَرِهِ بَشَارَةٌ مُرَبِّ "«خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»" (حَدِيثٌ) "فَأَقْرَأْ وَأَخْفَظْ وَأَعْطِ مِمَّا تَعَلَّمْتَ نَصِيبًا لِأَخِيكَ أَوْ لِأَخِيكَ فَإِنَّ الْخَيْرَ إِذَا جَرَى فِي أَلْقُلُوبٍ زَكَا" ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الْجَمِيعِ وَقَالَ "تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَضُّلاً مِنَ الْإِبْلِ فِي عُقْلِهَا" (حَدِيثٌ) "فَلَا نَدْعُهُ يَنْفَلِتُ مِنَ الصُّدُورِ فَتُثَبَّتْ لَهُ مِثَاقًا بِ«مَوْعِدِ أُسْبُوعِي» وَ«رُكْنِ مَنْزِلِي» يَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى قَوْلِنَا وَعَمَلِنَا."

التَفَّ الصَّغَارُ حَوْلَ الْمِقْرَاءَةِ وَقَدْ سَكَنَتِ الْأَصْوَاتُ إِلَّا مِنْ تَسْبِيحٍ يَتَحَرَّكُ فِي الصُّدُورِ فَقَالَ الْإِمَامُ "نَبْدَأُ بِقِرَاءَةِ قَصِيرَةٍ ثُمَّ نُثَبِّتُ سُؤَالَ وَاحِدًا لِلْعَمَلِ" ثُمَّ تَلَا

"كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ" (ص 29)

"فَتَدَبَّرْ: مَا الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ فِي بَيِّنَاتِ الْيَوْمِ؟" فَرَفَعَتِ الْبِنْتُ الصُّغْرَى يَدَهَا وَقَالَتْ "تَدْعُونَا إِلَى أَلَّا نَرْفَعَ الْأَصْوَاتَ وَأَنْ نَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ" فَابْتَسَمَ الْإِمَامُ وَقَالَ "نَكْتُبُ فِي «دَفْتَرِ الْأَثَرِ» فَعَلًا وَاحِدًا: «نُخَفِّضُ النَّبْرَةَ عِنْدَ الْحَوَارِ» ثُمَّ نَرُصُّهُ حَتَّى الْأُسْبُوعِ الْمُقْبِلِ."

وَقَامَ الْفَتَى الْأَصْغَرُ يَتَلَا "وَرَتَّلْ" فَأَخْطَأَ فِي مَدِّ خَفِيٍّ فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يُهَوِّنُ "«الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»" (حَدِيثٌ) "فَآمُضْ عَلَى سَكِينَةٍ وَكُرِّرْ فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا اسْتَقَامَ اسْتَقَامَ اللِّسَانُ." ثُمَّ قَرَأَ هُوَ عَلَى مَهَلٍ

"﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (الْمُزْمَلُ 4)

حَتَّى يَسْتَقِيمَ الرِّزَادُ فِي يَدِ الصَّبِيِّ".

وَعِنْدَ أَوَّلِ لَيْلَةٍ تَكَلَّمَ شَابَانٍ فِي «حُكْمِ مَدِّ» فَارْتَفَعَ الْجِدَادُ بَيْنَهُمَا فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَرْفَعُ كَفَّهُ "نُقِيمُ" «مِيزَانُ السُّنَنِ» وَ«مِيزَانُ الْأَدَبِ» فَلَا يَكُونُ الْقُرْآنُ سَبِيلًا إِلَى جِدَالٍ يُفْسِدُ مَوَدَّةً بَلْ هُوَ نُورٌ يُقَوِّمُ وَيَهْدِي" ثُمَّ قَرَأَ

"﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾" (الْعَنْكَبُوتُ 46)

"فَكَيْفَ نَجَادِلُ إِخْوَانَنَا عَلَى غَيْرِ الْحُسْنَى" ثُمَّ قَالَ "«مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَةً»" (حَدِيثٌ) "فَنُحْمِدُ الْحِدَّةَ وَنَرْفَعُ الدَّلِيلَ".

وَصَحِبُوا هَذِهِ الْحَلَقَةَ بِ«وَصِلِ مُنْظَمٍ» إِلَى حَلَقَةِ الْمَسْجِدِ فَكَانُوا يَحْضُرُونَ مَسَاءَ الْخَمِيسِ فِي رِوَاقٍ يُقَابِلُ الْمِحْرَابَ وَيَسْتَمِعُونَ إِلَى قَارِيٍّ يُرَتِّلُ عَلَى قَدَرٍ ثُمَّ يَعُودُونَ فِي الْجُمُعَةِ إِلَى الْبَيْتِ لِيُشْبِتُوا «سُؤَالَ الْأَعْمَلِ» وَ«فِعْلًا وَاحِدًا» وَتَكُونُ الصَّلَاةُ بَيْنَ الْمَسْجِدِ وَالْبَيْتِ كَالْجَسْرِ يَمُدُّهُ نَهْرُ الرَّحْمَةِ وَيَمْشِي عَلَيْهِ أَهْلُ

أَلْقُدْسٍ فِي سُكُونٍ. وَفِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ قَالَ الْإِمَامُ فِي الْمَسْجِدِ "«أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ»" (حَدِيثٌ) "فَلَا نَقْرُؤُهُ قِرَاءَةً لِسَانٍ بَلْ قِرَاءَةً قَلْبٍ وَسُلُوكٍ" فَازْتَعَدَّتِ الْقُلُوبُ خَشْيَةً وَطَمَعًا.

وَحِينَ فَتَحُوا «دَفْتَرَ الْأَثَرِ» فِي أَلْبَيْتٍ كَتَبُوا فِي صَدْرِهِ

"﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾" (الْبَقَرَةُ 121)

ثُمَّ جَعَلُوا لِكُلِّ أُسْبُوعٍ سَطْرًا يُقَابِلُهُ «فِعْلٌ مُوْتَقٍ» فَكَانَ أَوَّلُهَا "زِيَارَةُ جَارٍ مَرِيضٍ" وَثَانِيهَا "إِغْلَاقُ بَابِ اللَّغْوِ فِي الْمَرَاسِلَاتِ" وَثَالِثُهَا "تَفْقُّدُ مَصْحَفٍ قَدِيمٍ وَإِصْلَاحُهُ" ثُمَّ يَكْتُبُونَ تَحْتَ كُلِّ فِعْلٍ قِصَّةً قَصِيرَةً تَشْهَدُ أَنَّ «التَّدْبِيرَ» لَيْسَ تَفَكُّرًا مُجَرَّدًا بَلْ هُوَ طَرِيقٌ إِلَى «الْعَمَلِ». وَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَتَتَبَّعُ الصَّفَحَاتِ "«مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَأَلَّا تُرْجِحَهُ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ»" (حَدِيثٌ) "فَاطْلُبُوا رِيحًا يَسْتَنْشِقُهَا الْحَيُّ مِنْ أَثَرِكُمْ وَطَعْمًا يَجِدُهُ أَهْلُكُمْ فِي خُلُقِكُمْ".

وَفِي لَيْلَةٍ أُخْرَى دَخَلَ عَلَيْهِمْ شَابٌّ يَسْأَلُ عَنِ «الْأَوْقَاتِ» فَقَالَ الْإِمَامُ "نَزَعُ «مِيزَانِ السُّنَنِ» فَنجْعَلُ أَفْضَلَ الْأَحْوَالِ حَالَ الصَّبَاحِ بَعْدَ الْفَجْرِ وَحَالَ الْمَسَاءِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَنَقْرَأُ فِي الْأُسْبُوعِ مَا يَسْتَقِيمُ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى «تَرْتِيلِ» لَا عَلَى «تَعْجُلِ» فَاللَّهُ قَالَ

﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (الْمُزَّمِّلُ 4)

وَقَدْ قِيلَ «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا» (حَدِيثٌ) "فَلَا تَحْقِرُوا قَلِيلًا وَأَطْلُبُوا الدَّوَامَ".

ثُمَّ حَدَّثَ أَنْ رَفَعَ غُلَامٌ سُؤَالَ يَتَحَرَّكَ فِي صَدْرِهِ "أَيَجُوزُ أَنْ نُحَفِّظَ الصَّغَارَ مِنْ سُورِ قِصَارٍ ثُمَّ نَتْرُكُ تَدْبِيرَهَا؟" فَقَالَ الْإِمَامُ "نُقِيمُ «مِيزَانَ الْمَقْصِدِ» فَنَجْمَعُ بَيْنَ «حِفْظِ» يُقَوِّي وَ«تَدْبِيرِ» يُرَبِّي فَاللَّهُ قَالَ

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ (ص 29)

فَلَا نَقْطَعُ الصَّلَاةَ بَيْنَ الرَّأْسِ وَالْقَلْبِ وَنَسْأَلُ دَائِمًا بَعْدَ كُلِّ تِلَاوَةٍ «مَا الْعَمَلُ الْمُقْتَرَحُ لِلْأُسْبُوعِ؟» ثُمَّ نُنِشِئُهُ فِي «دَفْتَرِ الْأَثَرِ» وَنَرُصُّدُهُ.

وَفِي مِرَاتٍ وَاقِعٍ أَجْرُوا «مَشْهَدَ الْأَخْتِبَارِ» فَاخْتَارُوا آيَاتٍ مِنْ أَوَاخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ فَقَرَأُوهَا عَلَى تَرْتِيلٍ ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ "مَا الْعَمَلُ الَّذِي يُنَاسِبُ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي الْأُسْبُوعِ؟" فَقَالَتْ الْأُمُّ "زَيْدُ ذِكْرِ الْمَسَاءِ" وَقَالَ الْأَبُ "نَرْفَعُ مَقْدَارَ الصَّدَقَةِ الصَّغِيرَةِ" وَقَالَ الشَّبَابُ "نُعَلِّقُ بَابَ الْغَيْبَةِ فِي مَجَالِسِنَا". فَكَتَبُوا وَوَقَعُوا ثُمَّ قِيسَ الْأَثَرُ فِي الْأُسْبُوعِ التَّالِيِ فَوُجِدَ «الْفِعْلُ» قَدْ ارْتَبَطَ بِالْآيَاتِ رُبَطًا يَدُلُّ عَلَى حَيَاةٍ جَدِيدَةٍ فِي الْبَيْتِ.

وَحِينَ بَدَأَتْ «فِتْنَةُ الْجِدَالِ» تَلُوحُ مِنْ تَعْلِيلِ غُلِيظٍ فِي «مَجْمُوعَةٍ» بَعِيدَةٍ قَالَ الْإِمَامُ "نَذَكِّرُ بِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ حَلَقَاتِنَا «تَهْدِيبُ النَّفْسِ» لَا «تَغْلِيبُ الرَّأْيِ»

فَنَزَعَ «مِيزَانَ الْعَمَلِ» وَنَسَقَطُ مَا زَادَ عَمَّا يُنْتِجُ خُلُقًا وَيُصْلِحُ سُلُوكًا" ثُمَّ قَرَأَ

"كِتَابَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ" (ص 29)

"فَمَنْ دَبَّرَ وَلَمْ يَعْمَلْ كَمَنْ زَرَعَ وَلَمْ يَسْقِ" وَزَادَ "إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَأَلْبَيْتِ الْخَرْبِ" (حَدِيثٌ) "فَعَمِّرُوا الْبُيُوتَ بِحِفْظِ وَتِلَاوَةِ وَعَمِّرُوا الْقُلُوبَ بِعَمَلٍ".

وَعِنْدَ خِتَامِ الشَّهْرِ قَامُوا فِي رِوَاقِ الْمَسْجِدِ عَلَى حَلَقَةٍ كَبِيرَةٍ فَقَالَ الْإِمَامُ "نَعْرِضُ الْآنَ «مُؤَشَّرَ الرِّبْطِ» فَلْيَقُمْ كُلُّ بَيْتٍ فَيَذْكُرْ أَسَابِيْعَهُ وَفَعْلَهُ الْمُؤَثَّقُ" فَقَامَتِ أَلْبَيْتُ الصَّغْرَى وَقَالَتْ "رَبَطْنَا آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ النُّورِ بِ«سِتْرِ الصُّورِ»" وَقَامَ الْفَتَى وَقَالَ "رَبَطْنَا آيَاتٍ «وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا» بِ«تَرْكِ اللَّمَزِ»" وَقَالَ الْأَبُ "رَبَطْنَا آيَاتِ «الْإِحْسَانِ» بِ«صَلَةِ رَحِمٍ»" فَسَرَّ الرِّوَاقُ وَأَنْتَشَرَ نُورٌ يَشْبَهُ الرِّضَا فِي الْوُجُوهِ. ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ "الْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ" (حَدِيثٌ) "فَاجْعَلُوهُ حُجَّةً لَكُمْ بِأَنْ تَحْمِلُوهُ عَلَى الْعَمَلِ".

وَعَادُوا إِلَى أَلْبَيْتِ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ يُجَدِّدُونَ أَلْعَهْدَ فَقَالَ الْإِمَامُ "نَرَسُمُ «خَطَّ الْأُسْبُوعِ الْمُقْبِلِ» فَنَخْتَارُ مَقْطَعًا قَصِيرًا وَ«سُؤَالَ عَمَلٍ» وَنُقِيمُ «مُرَاجَعَةً» فِي آخِرِ الْأُسْبُوعِ" ثُمَّ قَرَأَ

"كِتَابَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ" (ص 29)

"فَنَلْتَمِسُ مِنَ الْمُبَارَكَةِ بَرَكَةً فِي الزَّمَنِ وَبَرَكَةً فِي الْقَلْبِ وَبَرَكَةً فِي الْأَثَرِ". وَقَالَ "لَا يَحْسُدُ أَحَدٌ أَحَدًا إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ" (حَدِيثٌ) "فَلْيَكُنْ حَسَدُكُمْ غِبْطَةً تُثْمِرُ عَمَلًا".

وَفِي صَبَاحٍ مُشْرِقٍ جَمَعُوا الصِّغَارَ فِي الْحَدِيقَةِ فَقَرَأُوا مِمَّا يَسَّرَ اللَّهُ ثُمَّ سَأَلَ الْأَبُ "مَاذَا نَحْمِلُ مِنَ الْقِرَاءَةِ إِلَى الْحَيَاةِ؟" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَحْمِلُ حِفْظَ اللِّسَانِ وَبِرَّ الْجَارِ وَرِقَّةَ الصَّوْتِ وَحِفْظَ النَّظَرِ وَنَكْتُبُ ذَلِكَ فِي دَفْتَرِ الْأَثَرِ" فَلَا يَنْقَطِعُ الْحَبْلُ بَيْنَ الْآيَةِ وَالْفِعْلِ ثُمَّ تَلَا

"ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿فُصِّلَتْ 34﴾

وَأَسْتَعِينُوا بِهَا فِي الْمُخَالَطَاتِ".

وَقَدْ يَرْتَفِعُ شَجَرُ «التَّكْلِيفِ» فِي بَعْضِ الْقُلُوبِ فَيَظُنُّ الْأَحَدُ أَنَّ «التَّرْتِيلَ» مَظْهَرٌ وَصَوْتُ فَقَطْ فَقَالَ الْإِمَامُ "نَقِيمُ «مِيزَانِ السُّنَنِ» عَلَى أَنَّ التَّرْتِيلَ هُوَ إِصَابَةُ الْحُرُوفِ وَحِفْظُ الْحُدُودِ وَسَكِينَةُ الْقُلُوبِ فِي الطَّرِيقِ إِلَى الْعَمَلِ فَلَا نَطْلُبُ زِينَةَ الصَّوْتِ عَلَى حِسَابِ زِينَةِ التَّقْوَى" ثُمَّ قَرَأَ

"وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿الْبَقَرَةُ 238﴾

"وَالْقُنُوتُ هُنَا رُوحُ التَّلَاوَةِ وَزَادَ "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ" (حَدِيثٌ).

ثُمَّ كَانَ الْمَشْهَدُ الْأَكْثَرُ إِشْرَاقًا أَنْ قَامَ الصَّغَارُ بَعْدَ تِلَاوَةِ سُورَةِ قَصِيرَةٍ فَقَالُوا "نَعُدُّ أَنْ نَطْعِمَ طَائِرًا صَغِيرًا فِي الْحَدِيقَةِ وَأَنْ نَحَافِظَ عَلَى نِظَافَةِ الرُّوَاقِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا مِنْ «عَمَلِ الْقُرْآنِ» فَاحْفَظُوا الْوَعْدَ وَاثْبُتُوا" ثُمَّ قَرَأَ

"﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾" (الْبَقَرَةُ 83)

"فَجْعَلُ لِكُلِّ لَيْسَانٍ رَقِيبًا وَلِكُلِّ يَدٍ أَثَرًا."

وَفِي آخِرِ الْفَصْلِ تَجَمَّعُوا فِي الْمَسْجِدِ فَعَرَضُوا «مُحَضَّرَ الْأَثَرِ» فَكَانَ كُلُّ أُسْبُوعٍ قَدْ ارْتَبَطَ «بِفِعْلٍ مُوَثَّقٍ» وَقَدْ سُجِّلَ فِي دَفْتَرٍ دَقِيقٍ تَحْتَ كُلِّ آيَاتٍ قُرِئَتْ «شَاهِدُ الْعَمَلِ» فَقَالَ الْإِمَامُ "الْحَمْدُ لِلَّهِ قَدْ قَامَ «مِيزَانُ السُّنَنِ» وَ«مِيزَانُ الْمَقْصِدِ» وَ«مِيزَانُ الْعَمَلِ» عَلَى قَدَرٍ وَظَهَرَ «الْمُؤَشِّرُ» يَدُلُّ عَلَى رِبْطٍ صَحِيحٍ بَيْنَ كِتَابٍ يَنْطِقُ وَقَلْبٍ يَعْمَلُ" ثُمَّ قَرَأَ

"﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾" (ص 29)

"كَمَا بَدَأْنَا نَحْنِمْ."

وَقَامَ الْفَتَى الْأَكْبَرُ فَقَالَ وَعَيْنَاهُ تَلَمَعَانِ بِأَثَرِ مَا عَاشَ "أَجِدُنِي أَقْرَأُ الْيَوْمَ عَلَى هُدًى فَلَا أَكْتَفِي بِتِلَاوَةٍ بَلْ أَسْأَلُ نَفْسِي فِي آخِرِ كُلِّ لَيْلَةٍ: مَاذَا تَرَكْتُ هَذِهِ الْآيَةِ فِي طَرِيقِي؟" فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذِهِ هِيَ «حَلَقَاتُ الْقُرْآنِ» الَّتِي نَلْتَمِسُهَا تِلَاوَةً وَتَدَبُّرًا وَعَمَلًا" ثُمَّ قَرَأَ

"﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (الْمُزَّمِّلُ 4)

وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ" (الْبَقَرَةُ 121).

وَخَرَجُوا مِنَ الْمَسْجِدِ وَفِي أَيْدِيهِمْ «دَفْتَرُ الْأَثَرِ» وَفِي قُلُوبِهِمْ «مِثَاقُ الْآيَةِ وَالْفِعْلِ» وَفِي أَلْسِنَتِهِمْ تَرْتِيلٌ هَادِيٌّ يَمْتَدُّ فِي الرُّفَاقِ كَأَنَّهُ شِرَاطٌ مِنْ نُورٍ يَدُلُّ السَّاكِنِينَ عَلَى مَوْعِدِ الْخَيْرِ. وَفِي اللَّيْلِ عَادُوا إِلَى الْبَيْتِ فَأَطْفَأُوا مَا يُشَوِّشُ وَأَضَاءُوا «رُكْنَ الْقُرْآنِ» ثُمَّ قَرَأُوا مَا تَبَسَّرَ عَلَى هَدْيِ قَوْلِهِ

﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (الْمُزَّمِّلُ 4)

وَكَأَنَّ بَيْتَهُمْ قَدْ لَبَسَ سَكِينَةً جَدِيدَةً وَكَأَنَّ الْأَسْئَلَةَ الْقَدِيمَةَ قَدْ وَجَدَتْ لَهَا طَرِيقًا إِلَى الْعَمَلِ. وَقَالَ الْإِمَامُ فِي الْخِتَامِ "اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْقُرْآنَ رِبْعَ قُلُوبِنَا وَنُورَ صُدُورِنَا وَجَلَاءَ أَحْزَانِنَا وَذَهَابَ هُمُومِنَا" (حَدِيثٌ) "وَأَكْتُبْ لَنَا مِنْ بَرَكَتِهِ نَصِيبًا فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ نَرْفَعُ فِيهِ «آيَةً» وَ«فِعْلًا» فَيَشْهَدُ الدَّفْتَرُ أَنَّ الْكِتَابَ قَدْ سَارَ فِي طَرِيقِنَا نُورًا وَهُدًى."

الدَّرْسُ السَّابِعُ: خُطَّةُ الْمَدْرَسَةِ

انْسَلَّ الصَّبَاحُ عَلَى الْحَيِّ سَكِينَةً تُشَبِّهُ بَدْءَ الصَّفْحَةِ الْبَيْضَاءِ فِي دَفْتَرٍ جَدِيدٍ فَخَرَجَ الْأَبُ وَالْأُمُّ وَمَعَهُمَا الْأَبْنَاءُ يَلْبَسُونَ بَيَّةَ الطَّلَبِ كَمَا يَلْبَسُ الطَّالِبُ قَمِيصُهُ النَّقِيِّ ثُمَّ دَخَلُوا الرِّوَاقَ وَالْإِمَامُ يَنْتَظِرُهُمْ وَفِي يَدِهِ وَرَقَةٌ خَضْرَاءُ وَقَلَمٌ قَصَبٍ مُحَبَّرٌ وَنَظَرَ إِلَيْهِمْ نَظْرَةً مَنْ يَرُدُّ الْأُمُورَ إِلَى مَوَازِينِهَا فَقَالَ وَصَوْتُهُ يَفْتَحُ أَبْوَابَ التَّوْفِيقِ "نَبْدَأُ الْيَوْمَ مِيثَاقًا بَيْنَ الْأَبْنَاءِ وَالْمَدْرَسَةِ فَنُقِيمُ لِكُلِّ جُهْدٍ مِيزَانًا وَلِكُلِّ زَمَانٍ تَقْدِيرًا وَلِكُلِّ مَسْئُولِيَّةٍ قِسْمًا مَعْلُومًا فَاطْلُبُوا الْعِلْمَ عَلَى هَذِي قَوْلِهِ تَعَالَى

﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه 114)

وَتَذَكَّرُوا أَنَّهُ قَالَ

﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ (الزُّمَر 9)

فَلَا يَسْتَوِي مَنْ رَفَعَ الْعِلْمَ إِلَى مِيزَانِ الْعَمَلِ وَمَنْ حَمَلَ الْعِلْمَ شِعَارًا بِلَا أَثَرٍ ثُمَّ نَفْتَحُ بَابَ الْبِدَايَةِ بِكَلِمَةِ الْوَحْيِ الْأَوَّلَى

﴿أَقْرَأْ﴾ (أَلْعَلَق 1-5)

فَمَنْ قَرَأَ عَلَى قَصْدٍ وَقَامَ عَلَى وَقْتٍ وَحَمَلَ الْمَسْئُولِيَّةَ كَانَ شَرِيكًا أَمِينًا
فِي صِنَاعَةِ النَّتِيجَةِ.

هَمَسَتْ أُمُّ وَعَيْنَاهَا تَلْمَعَانِ بِشَوْقِ الْمُرِيَّةِ "نَحْشَى يَا سَيِّدَنَا أَنْ نَلُومَ
الْمَدْرَسَةَ فِي كُلِّ تَقْصِيرٍ وَنَنْسَى نَصِيبَ الْبَيْتِ" فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يُقِيمُ لِلْكَلِمَةِ
عَدْلَهَا "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" (حَدِيثٌ) "فَالْبَيْتُ رَاعٍ
وَالْمُعَلِّمُ رَاعٍ وَالْإِدَارَةُ رَاعِيَّةٌ وَمَنْ جَمَعَ الرُّعَاةَ عَلَى «مِيزَانِ الشُّورَى» سَلِمَتْ
الْغَايَةُ مِنَ التَّلَاوُمِ وَالْإِتِّهَامِ." ثُمَّ قَالَ وَفِي صَوْتِهِ نَبْرَةٌ تُوْجِّهِ "نَصْنَعُ «خُطَّةَ فَضْلِ»
تُقِيمُ ثَلَاثَ دَعَائِمَ: «تَوَاصُلٌ مُحْكَمٌ» وَ«مُتَابَعَةٌ مُؤَزَّوْنَةٌ» وَ«خِدْمَةٌ لِلْمَدْرَسَةِ» لِيَتَقَوَّمَ
الشَّرَاقَةُ عَلَى فِعْلٍ لَا عَلَى قَوْلٍ.

وَخَرَجُوا مَعَ الْإِمَامِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ فِي الضُّحَى وَهِيَ تَفْتَحُ أَبْوَابَهَا لِطَلَبَةِ
يَفُوحٍ مِنْ هَمْسِهِمْ عَطْرُ الْبَدَايَاتِ فَدَخَلُوا قَاعَةً صَغِيرَةً أَعَدَدْنَاهَا لِلْقَاءِ وَجَلَسَ
الْمُعَلِّمُ أَمَامَهُمْ وَفِي يَدِهِ سِجْلٌ وَقَلْبُهُ يَسْتَبْشِرُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْجَلْسَةِ فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ
يُقَدِّمُ وَجْهَ الْكَلَامِ "نُحِبُّ أَنْ نَفْتَحَ مَعَكُمْ عَهْدًا عَلَى الصِّدْقِ وَالتَّوَاصِي فَنَشْهَدَ
اللَّهَ عَلَى قَوْلِنَا وَنَجْعَلَ مِيزَانَ الزَّمَنِ قَائِدًا لِحُجَّتِنَا وَمِيزَانَ الْمَسْئُولِيَّةِ حَارِسًا عَلَى
الْأَدَاءِ." فَقَالَ الْمُعَلِّمُ وَفِي صَوْتِهِ رِفَّةٌ قَائِلٍ يَفْهَمُ مَقَادِيرَ الْقُلُوبِ "نَرْحَبُ بِكُمْ
وَنَسْتَبْشِرُ بِمَنْ يَجْعَلُ لِلْمَدْرَسَةِ شَرِيكًا فَعَالًا فِي الْبَيْتِ."

قَالَ الْإِمَامُ "نَقْرَأُ فِي الْبِدَايَةِ عَلَى الْقُلُوبِ بَابًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ يَفْتَحُ مَعَانِي
الطَّلَبِ فَنَسْمَعُ

﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾" (طه 114)

"وَنَسْمَعُ"

﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾" (الزمر 9)

"وَنَسْمَعُ"

﴿أَقْرَأُ﴾" (العلق 1-5)

"فَلْتَكُنْ هَذِهِ آيَاتُ عُقُودًا عَلَى السَّعْيِ وَالتَّوَاضُعِ وَالْإِسْتِزَادَةِ." ثُمَّ قَالَ
"وَنَسْتَصْحِبُ فِي طَرِيقِنَا «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا
إِلَى الْجَنَّةِ»" (حَدِيثٌ) "فَنَجْعَلُ كُلَّ خُطْوَةٍ إِلَى الْمَدْرَسَةِ سُلَّمًا إِلَى قُرْبِ اللَّهِ."

إِفْتَرَحَ الْإِمَامُ وَرَقَةً تُسَمَّى «صَحِيفَةُ خُطَّةِ الْفَصْلِ» فَكَتَبَ فِي صَدْرِهَا
"مِيثَاقُ التَّوَاضُعِ" ثُمَّ قَالَ "نُثَبِّتُ يَوْمًا مُحَدَّدًا كُلَّ أُسْبُوعَيْنِ تُرْسَلُ فِيهِ الْأُسْرَةُ
«رِسَالَةً مُوجِزَةً» تُخْبِرُ عَمَّا تَمَّ وَتَسْأَلُ عَمَّا أَشْتَبَهَ وَتَقْتَرِحُ عَمَلًا يَرْفَعُ الْمُسْتَوَى
فَهَذِهِ «الرَّسَالَةُ» عَهْدٌ يَرْبِطُ بَيْنَنَا عَلَى مِيزَانِ الزَّمَنِ" فَقَالَ الْمُعَلِّمُ "أُرْحَبُ بِهَا
وَأَقَابِلُهَا بِ«رَدِّ مُقَاوِمٍ» فِي الْيَوْمِ نَفْسِهِ لِكَيْ لَا يَتَأَخَّرَ التَّقْوِيمُ عَنْ مَوْعِدِهِ." ثُمَّ كَتَبَ

الْإِمَامُ فِي الصَّحِيفَةِ «مِثَاقُ الْمُتَابَعَةِ» وَقَالَ "نَجْعَلُ لِكُلِّ مَادَّةٍ «سِجِلًا صَغِيرًا» نَرُصِدُ فِيهِ مَوَاطِنَ الْقُوَّةِ وَحُدُودَ التَّحْسِينِ فَلَا نُلْقِي بِحِمْلِ التَّعَثُّرِ عَلَى الْمُعَلِّمِ وَحَدَهُ وَلَا نُعْفِي أَلْبَيْتَ مَنْ وَاجِبِهِ." ثُمَّ زَادَ "وَفِي ذَيْلِ الصَّحِيفَةِ «مِثَاقُ خِدْمَةِ» نَتَبَنَّى فِيهِ عَمَلًا لِلْمَدْرَسَةِ مَرَّةً فِي الشَّهْرِ كَتَنْظِيمِ مَكْتَبَةٍ أَوْ تَهْدِيْبِ حَدِيقَةٍ أَوْ دَعْمِ حَلَقَةٍ تَرْتِيلِيَّةٍ."

قَالَ الْأَبُ وَفِي عَيْنِهِ هُمُ الرِّزْقُ وَحُبُّ الْقُرْبِ "أَخْشَى أَنْ يَشْغَلَنِي الْعَمَلُ فَاتَّأَخَّرَ عَنْ «مِيزَانِ الزَّمَنِ»" فَقَالَ الْإِمَامُ "نُقَدِّرُ لِلْأُمُورِ أَقْدَارَهَا فَنَجْعَلُ لِكُلِّ لَيْلَةٍ «عَشْرَ دَقَائِقَ» نُرَاجِعُ فِيهَا دَفْتَرَ الْأَوَاجِبِ وَنُثَبِّتُ «مَوْعِدًا ثَابِتًا» كُلَّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ لِلِاتِّصَالِ بِالْمُعَلِّمِ إِنْ احتِيجَ وَنَسْتَصْحِبُ

﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾" (طه 114)

"فِي أَوَّلِ الْمُرَاجَعَةِ لِيَكُونَ الزَّمَنُ مُبَارَكًا." ثُمَّ قَالَ "«يَسْرُوا وَلَا تُعْسَرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفَرُوا»" (حَدِيثٌ) "فَلَا نَجْعَلُ الْمُتَابَعَةَ عِقَابًا بَلْ نَجْعَلُهَا بُشْرَى تَقُودُ إِلَى التَّقَدُّمِ."

وَقَالَ الْمُعَلِّمُ وَهُوَ يَسْتَمِعُ إِلَى تَفَاصِيلِ الْخُطَّةِ "نَسْتَأْنِسُ بِ«لِقَاءِ تَعَارُفٍ» فِي أَوَّلِ الْفَصْلِ نَحْدِدُ فِيهِ أَلْعَايَاتِ وَنَرْسُمُ مَسَارَ التَّقْوِيمِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَقُومُ بِذَلِكَ الْآنَ." فَفَتَحُوا صَحِيفَةَ «مَعْرِفَةِ الطَّالِبِ» فَسَأَلَ الْمُعَلِّمُ عَنْ مَوَاطِنِ الْقُوَّةِ

وَهَوَايَاتِهِمْ فَتَبَيَّنَ أَنَّ «زَيْدًا» يُحِبُّ الْخَطَّ وَ«مَرْيَمَ» تُحِبُّ قِرَاءَةَ السَّيْرِ فَقَالَ الْإِمَامُ
 "نُدْخِلْ هَذِهِ الْمَيُولَ فِي الْخُطَّةِ لِيُصْبِحَ «التَّعَلُّمُ» قَرِيبًا مِنْ قُلُوبِهِمْ." ثُمَّ قَالَ "إِنَّ
 اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" (حَدِيثٌ) "فَنُحَسِّنْ فِي الْخُطَّةِ وَالتَّنْفِيزِ
 وَالتَّقْوِيمِ."

وَعِنْدَ الْإِسْتِرَاحَةِ قَالَتِ الْأُمُّ "نُقَدِّمُ لِلْمَدْرَسَةِ «خِدْمَةً» كُلَّ شَهْرٍ فَهَلْ نَبْدَأُ
 بِمَكْتَبَةِ صَغِيرَةٍ لِلصَّغَارِ؟" فَقَالَ الْمُعَلِّمُ وَالْفَرَحُ يَلُوحُ فِي عَيْنَيْهِ "نَعَمْ وَنَجْعَلُ لَهَا
 قَائِمَةً مِنْ كُتُبٍ مُيسَّرةٍ وَنُثَبِّتُ «سَاعَةَ قِرَاءَةٍ» يَوْمَ الْخَمِيسِ قَبْلَ الصَّرَفِ." فَقَالَ
 الْإِمَامُ "مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ" (حَدِيثٌ) "فَنَشْكُرْ لَكُمْ سَعْيَكُمْ
 وَنَرْجُو أَنْ تَرَوْا أَثْرًا فِي الْحُضُورِ وَالْمُشَارَكَةِ."

وَجَرَى الْكَلَامُ إِلَى «مِيزَانِ الزَّمَنِ» فَقَالَ الْإِمَامُ "نَجْعَلُ لِلنَّوْمِ مَوْعِدًا
 وَلِلتَّفَقُّيَةِ حُدُودًا وَلِلوَاجِبِ شَرْطًا أَنْ يُنْجَزَ قَبْلَ اللَّعِبِ" ثُمَّ ذَكَرَ مَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ فِي
 دُرُوسٍ سَابِقَةٍ مِنْ إِطْفَاءِ الشَّاشَاتِ قَبْلَ النَّوْمِ وَضَبِطِ الْأَوْقَاتِ فَقَالَ "الْمَدْرَسَةُ لَا
 تَسُوقُ الزَّمْنَ وَحَدَهَا بَلِ الْبَيْتُ هُوَ رَحَى تَدِيرُ السَّاعَةَ عَلَى نِسْبَةٍ مِنَ الْحِكْمَةِ."
 ثُمَّ قَرَأَ

﴿أَفْرَأْ﴾ (الْعَلَقُ 1-5)

وَقَالَ ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ (الزُّمَرُ 9)

"فَمَنْ قَرَأَ عَلَى نِظَامٍ بَلَغَ وَمَنْ تَبَدَّدَ فِي الزَّمَنِ تَأَخَّرَ".

وَفِي خِتَامِ اللَّقَاءِ شَبَكَ الْإِمَامُ أَصَابِعَهُ كَمَنْ يَعْقِدُ عُقُودًا وَقَالَ "نُثِبْتُ مِنْ الْيَوْمِ «رِسَالَةَ مُتَابَعَةٍ» كُلُّ أُسْبُوعَيْنِ تُرْسَلُهَا الْأُسْرَةُ فِي صَبَاحِ الْإِثْنَيْنِ وَأُقَابِلُهَا أَنَا وَالْمُعَلِّمُ بِمُلاحَظَاتٍ مُوجَّهَةٍ فِي الْمَسَاءِ نَفْسِهِ وَنَرُصُّ «مُؤَشِّرَيْنِ» فِي نِهَايَةِ كُلِّ شَهْرٍ «انْخِفَاضِ الْغِيَابِ» وَ«ارْتِفَاعِ الْمُشَارَكَةِ الصَّفِيَّةِ» فَإِذَا رَأَيْنَا النَّسْبَةَ تَرْتَفِعُ شُكْرُنَا وَإِذَا رَأَيْنَا الْقُصُورَ تَدَارَكُنَا. ثُمَّ قَالَ "«الْدِّينُ النَّصِيحَةُ»" (حَدِيثٌ) "فَتَتَنَاصَحُ وَلَا تَتَنَابَزُ وَتَتَعَاهَدُ وَلَا تَتَخَاذَلُ".

خَرَجُوا مِنَ الْمَدْرَسَةِ وَفِي أَيْدِيهِمْ صَحِيفَةٌ «خُطَّةُ الْفَصْلِ» وَفِي قُلُوبِهِمْ جَدِيدُ عَهْدٍ بِمِيزَانِ الْمَسْئُورِيَّةِ فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَمْشِي فِي الرِّقَاقِ "نُثِبْتُ الْآنَ «مَجْلِسًا أُسْبُوعِيًّا» فِي الْبَيْتِ نُرَاجِعُ فِيهِ مَا جَرَى وَنَقْرَأُ «عَشَرَ آيَاتٍ» عَلَى سَبِيلِ التَّفَاوُتِ وَنَطْلُبُ مِنْ كُلِّ وَلَدٍ «قِصَّةَ تَعْلُمٍ» يُخْبِرُ فِيهَا عَمَّا أَخَذَ وَعَمَّا أُعْطِيَ". فَقَالَ الْأَبْنَاءُ "نَرْضَى بِذَلِكَ وَنُؤَاطِبُ". فَقَالَ "«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ»" (حَدِيثٌ) "فَلْنَتَقِنْ خُطَّتَنَا وَإِنْ كَانَتْ صَغِيرَةً".

وَفِي الْمَسَاءِ جَلَسُوا فِي صَدْرِ الْبَيْتِ عَلَى مَائِدَةٍ صَغِيرَةٍ وَوَضَعُوا «سِجْلًا» يُسَمَّى «دَفْتَرُ الْوَصْلِ» يُقَيَّدُ «أَوْقَاتُ التَّوَاصُلِ» وَ«رِسَالَاتُ الْمُتَابَعَةِ» وَ«خِدْمَةُ الْمَدْرَسَةِ» فَقَالَتِ الْأُمُّ "أَكْتُبْ أَنَّ لِلْمُعَلِّمِ حَقًّا نُسَمِّيهِ «حَقَّ التَّكْرِيمِ» فَنُقَدِّمُ لَهُ كَلِمَةَ شُكْرٍ فِي آخِرِ كُلِّ شَهْرٍ" فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا مِنْ «مِيزَانِ الْعَدْلِ

وَالشُّكْرِ» وَيَنْبَغِي أَنْ نُذَكِّرَ أَنْفُسَنَا «بِأَنَّ نَلُومَ الْمَدْرَسَةِ عَلَى كُلِّ نَقْصٍ فَإِنَّ
«الْمُشَارَكَةَ» تُغْنِي وَ«التَّلَاوُمَ» يُفْقِرُ. " ثُمَّ قَرَأَ

﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ (الزُّمَر 9)

"فَالْعَالِمُ يَرْفَعُ وَاللُّومُ يُسْقِطُ."

وَبَعْدَ أُسْبُوعَيْنِ أُرْسِلَتِ الْأُسْرَةُ «رِسَالَةَ الْمُتَابَعَةِ» فِي صَبَاحِ الْاِثْنَيْنِ تَقُولُ
"نُخْبِرُكُمْ أَنَّ الْوَاجِبَ يُودَى فِي الْمَسَاءِ قَبْلَ اللَّعِبِ وَأَنَّ الْأَصْغَرَ حَفِظَ خَمْسَ
آيَاتٍ وَأَنَّنَا نَحْتَاجُ إِلَى طَرِيقَةٍ لِتَحْسِينِ الْإِمْلَاءِ" فَرَدَّ الْمُعَلِّمُ فِي الْمَسَاءِ نَفْسَهُ
"أُنِّي عَلَى التَّقَدُّمِ وَأُرْشِدُ إِلَى تَدْرِيبِ «نُطْقِ الْكَلِمَاتِ» قَبْلَ كِتَابَتِهَا وَأَفْتَرِحُ دَفْتَرًا
لِ«كَلِمَاتِ الْأُسْبُوعِ» فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَقْرَأُ الرَّدَّ "هَكَذَا تَتَحَرَّكُ الْخُطَّةُ عَلَى
«مِيزَانِ الزَّمَنِ» وَ«مِيزَانِ الْمَسْئُولِيَّةِ»."

وَجَاءَ نَهَايَةُ الشَّهْرِ فَجَمَعُوا الْأَرْقَامَ فَوَجَدُوا «الْغِيَابَ» قَدْ انْخَفَضَ
وَالْمُشَارَكَةُ الصَّفِيَّةُ قَدْ ارْتَفَعَتْ فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يُثَبِّتُ «مُحَضَّرَ الْأَثَرِ» "نَحْمَدُ
اللَّهَ عَلَى عَهْدِ بُورِكَ فِيهِ وَنَسْتَأْنِفُ السَّيْرَ عَلَى قَوْلِهِ

﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه 114)

وَنُكْثِرُ فِي بُيُوتِنَا

﴿أَقْرَأُ﴾ (الْعَلَق 1-5)

حَتَّى يَكُونَ الْيَوْمَ كُلُّهُ صَحِيفَةً عِلْمٍ وَعَمَلٍ. "ثُمَّ قَالَ "مَنْ لَا يَشْكُرِ
النَّاسَ لَا يَشْكُرِ اللَّهَ" (حَدِيثٌ) "فَنَشْكُرُ لِلْمُعَلِّمِ جُهِدَهُ وَلِلْمَدْرَسَةِ صَبْرَهَا
وَلِلْبَيْتِ ثَبَاتَهُ."

وَفِي آخِرِ اللَّيْلِ جَلَسُوا يَسْتَظِلُّونَ بِسَكِينَةٍ تَشْبَهُ وَعْدًا يُجَدِّدُ فَقَالَ الْإِمَامُ
"نَخْتِمُ بِآيَةٍ تَرْفَعُ الْهِمَّةَ وَتُقِيمُ الْقَصْدَ"

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزُّمَر 9)

"فَلَا تَجْعَلُوا طَلَبَكُمْ سَبَاقًا لِلْأَرْقَامِ بَلْهُ سُلْمًا لِلتَّقْوَى وَنَذْكُرُ بَابَ الْإِبْتِدَاءِ

﴿أَقْرَأُ﴾ (الْعَلَق 1-5)

"فَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِي الطَّرِيقِ إِلَّا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ لَكَفَتْ. "ثُمَّ رَفَعَ كَفَّيْهِ وَقَالَ
"اللَّهُمَّ عَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَزِدْنَا عِلْمًا" (حَدِيثٌ) "وَالْحَقُّ كُلَّ
حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ التَّعَلُّمِ بِعَمَلٍ يُرْضِيكَ. "ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْأُسْرَةِ وَقَالَ "مَتَى اتَّزَمْنَا
«مِيزَانَ الشُّورَى» فِي الْخِطَةِ وَ«مِيزَانَ الزَّمَنِ» فِي التَّنْفِيزِ وَ«مِيزَانَ الْمَسْئُولِيَّةِ» فِي
الْمُرَاجَعَةِ صَارَتِ الْمَدْرَسَةُ وَالْبَيْتُ يَدًا وَاحِدَةً تُرَبِّي عَلَى النُّورِ وَتَدُلُّ عَلَى الْخَيْرِ
وَتَصْنَعُ فِي الْأَبْنَاءِ رُشْدًا يَبْقَى."

وَمَضَتْ الْأَيَّامُ عَلَى هَذَا أَلْعَهْدِ فَكَانَتْ «رِسَالَةُ الْمُتَابَعَةِ» تَصِلُ كُلَّ أُسْبُوعَيْنِ وَكَانَ «الْغِيَابُ» يَهْبِطُ وَ«الْمُشَارَكَةُ» تَرْتَفِعُ وَكَانَ الْبَيْتُ إِذَا عَتَرَ قَامَ وَإِذَا نَقَصَ أَتَمَّ وَإِذَا وَجَدَ مِنَ الْمُعَلِّمِ نَصْحًا كَانَ لَهُ شَاكِرًا. وَإِذَا دَخَلُوا الْمَسْجِدَ لِصَلَاةِ الْجُمُعَةِ تَذَاكُرُوا بَيْنَ الْخُطْبَتَيْنِ

﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه 114)

فَتَجَدَّدُ الْهِمَّةُ وَتَخْضَرُّ فِي الصُّدُورِ سَنَاوِلُ الرَّغْبَةِ وَكَانَ الْخُطَّةُ لَمْ تَعُدْ وَرَقًا مُعَلَّقًا بَلْ أَصْبَحَتْ «سُلُوكًا» يَسْرِي فِي أَلْيَوْمِ مِنْ صَبَاحِهِ إِلَى مَسَائِهِ. وَحِينَ سُئِلَ أَلْفَتَى الْأَكْبَرُ فِي الصَّفِّ عَنْ سِرِّ تَغْيِيرِ نَبْرَتِهِ وَنَهْضَةِ مُشَارَكَتِهِ قَالَ وَيَبْتَسِمُ "«جَعَلْنَا لِلْعِلْمِ مِيزَانًا وَجَعَلْنَا لِلزَّمَنِ مِيقَاتًا وَحَمَلْنَا مَعَ الْمُعَلِّمِ عَهْدًا»" ثُمَّ تَلَا

﴿أَقْرَأْ﴾ (الْعَلَق 1-5)

"كَمْ مَنْ يَسْتَفْتِحُ أَبَا يَعْرِفُ طَرِيقَهُ."

هَكَذَا ثَبَتَتْ «خُطَّةُ الْمَدْرَسَةِ» فِي صَحِيفَةٍ وَثَبَتَتْ قَبْلَ ذَلِكَ فِي الْقُلُوبِ وَصَارَتْ الشَّرَاكَةُ كَجَسَرٍ يَضَعُهُ الْبَيْتُ عَلَى شَاطِئِ الْمَدْرَسَةِ فَيَمْشِي عَلَيْهِ الْوَلَدُ مُزَوِّدًا بِعَهْدِ الزَّمَنِ وَمِيزَانِ الْمَسْئُورِيَّةِ وَمُؤَيَّدًا بِقَوْلِ رَبِّهِ

﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه 114)

بَيْنَ الْأُذُنِ وَالْإِشْعَارِ - تَكْوِينُ الْجِيلِ الرَّاشِدِ

وَمُسْتَمِعًا فِي الْقَلْبِ لِـ

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزُّمَر 9)

وَمُتَذَكِّرًا أَنَّ أَوَّلَ الطَّرِيقِ كَلِمَةٌ وَأَنَّ الْكَلِمَةَ الْأُولَى كَانَتْ

﴿اقْرَأْ﴾ (الْعَلَق 1-5)

فَمَنْ قَرَأَ عَلَى عَهْدٍ وَعَمِلَ عَلَى مِيزَانٍ زَادَهُ اللَّهُ هُدًى وَعِلْمًا وَتَأْدِيبًا.

الدَّرْسُ الثَّامِنُ: مَجْلِسُ الْجِيرَةِ

إِنْسَلَّ الْعَشِيُّ عَلَى الْحَيِّ كَمَا يَنْسَلُّ نَفْسٌ هَادِيٌّ فِي صَدْرِ مُتَعَبٍ
فَسَكَتْ أَبْوَابُ الدُّكَّانِ وَخَفَّتْ خُطَى الصَّبِيَّةِ وَتَرَجَعَ الضَّوُّ عَنْ شُرَفَاتِ الْبُيُوتِ
إِلَّا مِنْ سِرَاجٍ خَفِيٍّ يُضِيءُ فِي رَاحَةِ الرِّوَاقِ حَيْثُ اجْتَمَعَ الْأَبُ وَالْأُمُّ وَأَبْنَاؤُهُمَا
وَجَاؤُوا بِجَارَيْنِ كَرِيمَيْنِ يَحْمِلَانِ فِي وَجْهَيْهِمَا بَصْمَةَ التَّعَاوُنِ وَآثَرَ التَّعَارُفِ
فَدَخَلَ الْإِمَامُ عَلَيْهِمْ وَيَدِهِ قِرْطَاسٌ أَخْضَرُ وَقَلَمٌ قَصَبٍ وَنَظَرَ إِلَى الدَّائِرَةِ صَامِتًا
حَتَّى سَمِعُوا سُكُونَهُ قَبْلَ كَلَامِهِ ثُمَّ قَالَ وَنَبْرَتُهُ تَحْمِلُ عَهْدًا "نَفْتَحُ الْيَوْمَ لِحَيْنَا بَابًا
يَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ الْعَدْلُ وَتَرْتَفِعُ عَلَيْهِ الْوَحْدَةُ وَتَجْرِي عَلَى جَنْبَيْهِ رِيَا حُ الْإِصْلَاحِ
فَنُقِيمُ «مَجْلِسَ جِيرَةٍ» صَغِيرًا يَضْبِطُ قَضَايَا الرُّفَاقِ عَلَى مِيزَانٍ مِنْ كِتَابِ رَبَّنَا
وَهَذِي نَبِيَّنَا (ص).

رَفَعَ الْإِمَامُ بَصَرَهُ فِي وُجُوهِ الْجُلُوسِ ثُمَّ تَلَا بِصَوْتٍ عَلَيْهِ سَكِينَةٌ

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا... وَالْجَارِ ذِي
الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ (النِّسَاء 36)

ثُمَّ قَالَ "وَهَذَا قَوْلٌ يُؤَسِّسُ لِحَقِّ الْجَوَارِ فَلَا نُقِيمُ مَجْلِسًا يَنْسِفُ حُقُوقَ الْقَرَابَةِ وَلَا يُهْمِلُ الْجَارَ الْبَعِيدَ فَالْجَمِيعُ فِي عَيْنِ اللَّهِ سَوَاءٌ فِي حَقِّ الْكِرَامَةِ وَالتَّعَاوُنِ" ثُمَّ تَلَا "

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾" (الْحُجُرَاتِ 10)

وَقَالَ "فَالْأُخُوَّةُ مِيزَانٌ لِلْوَحْدَةِ وَالْوَحْدَةُ جِسْرٌ لِلْإِصْلَاحِ".

هَمَسَتْ الْأُمُّ وَفِي عَيْنَيْهَا قَلَقُ التَّجَارِبِ "نَخَشَى أَنْ تَنْسَلَ الْخُصُومَاتُ الشَّخْصِيَّةُ إِلَى الْمَجْلِسِ فَتَصِيرَ قَضَايَا الرُّفَاقِ وَقُودًا لِحِدَالٍ يَقْطَعُ الرَّحِمَ" فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يُقِيمُ «مِيزَانَ الْعَدْلِ» "لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبُذِيءِ" (حَدِيثٌ) "فَمَنْ دَخَلَ الْمَجْلِسَ دَخَلَهُ عَلَى أَدَبٍ وَمَنْ تَرَكَ لِسَانَهُ يَجْمَحُ أَوْ نَفْسُهُ تَجُورُ فَقَدْ هَدَمَ مَا بَنَى". ثُمَّ قَالَ "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ" (حَدِيثٌ) "فَاكْرَامُ الْجَارِ لَيْسَ هَدِيَّةً تُقَدَّمُ فَقَطْ بَلْ هُوَ نَبْضٌ يُدِيرُ الْكَلِمَةَ عَلَى رَفْقٍ وَيُرْدُّ الْخِلَافَ إِلَى نَصَابِهِ".

جَلَسُوا عَلَى هَيْئَةٍ دَائِرَةٍ تُشَبِّهُ خَاتَمًا وَضَعُوا فِي وَسْطِهَا قِرْطَاسَ «وَثِيقَةَ الْحِجِيرَةِ» ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ "نَحْتَاجُ إِلَى مُمَثِّلِينَ مِنْ ثَلَاثَةِ بُيُوتٍ يَنْطِقُونَ عَنِ الْحَيِّ بِصَوْتِ هَادِيٍّ وَقَلْبِ أَمِينٍ فَمَنْ يَتَقَدَّمُ؟" فَقَامَ الْأَبُّ وَقَامَ جَارَانِ كَرِيمَانِ وَقَالَ الْإِمَامُ "نُثَبِّتُ أَسْمَاءَكُمْ فِي صَدْرِ الصَّحِيفَةِ عَلَى أَنْ يَكُونَ لِلْبَابِ حَافِظَانِ آخَرَانِ

مَنْ الْأَبْنَاءِ لِيَتَعَلَّمُوا أَدَبَ الشَّرَاكَةِ" ثُمَّ كَتَبَ عَلَى رَأْسِ الْوَرَقَةِ "مِيزَانُ الْوَحْدَةِ وَمِيزَانُ الْعَدْلِ وَمِيثَاقُ الْإِصْلَاحِ" وَقَالَ "بِهَذِهِ الْمَوَازِينِ نَمْضِي."

قَالَ أَحَدُ الْجِيرَانِ وَفِي صَوْتِهِ بَقِيَّةُ فِتْرَةٍ مَاضِيَةٍ "قَدْ تَعَرَّضْنَا فِي سَنَوَاتٍ سَابِقَةٍ لَشَوْشَرَةٍ تُقْسِمُ الدَّائِرَةَ إِلَى أَلْوَانٍ وَتَجْعَلُ كُلَّ قَضِيَّةٍ سُلْمًا لِيَجْذِرَ وَلَا يَوْمُعَانِدَةٍ خِصَامٍ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَسُدُّ هَذَا الْبَابَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾" (الْحُجُرَاتُ 10)

"فَلَا نَسْتَجَلِبُ إِلَى مَجْلِسِنَا سِيَاسَاتٍ تُرْبِكُ الْعَقْلَ وَلَا نُقَسِّمُ الصُّفُوفَ عَلَى أَلْوَانٍ بَلْ نَجْعَلُهُ مَجْلِسًا لِلْقَضَايَا الْمُشْتَرَكَةِ وَحَاجَاتِ النَّاسِ الْقَرِيبَةِ وَنُرَدُّ كُلَّ أَمْرٍ إِلَى مِيزَانِ الْمَصْلَحَةِ وَالْعَدْلِ."

ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يُنْسِكُ بِقَلَمِهِ "نُحَرِّرُ الْآنَ «وَثِيقَةَ الْجَبْرِ» عَلَى خَمْسِ مَوَادٍّ تُخْرِجُهَا الْكَلِمَةُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فَلَا نُفَصِّلُهَا بِتَرْقِيمٍ وَلَا نُحِيلُهَا إِلَى حُجَرَاتٍ مُقْفَلَةٍ بَلْ نَسَرِّدُهَا سَرْدًا يَسْتَطِيلُ فِي الصُّدُورِ" ثُمَّ قَالَ "نَقُولُ: تَلْتَزِمُ بَيُوتُ الرُّقَاقِ كُلُّهَا أَدَبَ الْجَوَارِ وَحِفْظَ الْحُقُوقِ وَصَوْنَ الْحُرْمَاتِ وَتَرْجِيعَ الْخِلَافِ إِلَى مُحَكَّمِ يَرْضَاهُ الْجَمِيعُ وَتَقْدِيمَ الضُّعَفَاءِ عَلَى غَيْرِهِمْ فِي الْخِدْمَةِ وَتَحْرِيمَ الْغِيبَةِ وَالتَّنَابُزِ وَتَبْدِيلَ الصِّيَاحِ رِفْقًا وَحُسْنَ جَوَارٍ" ثُمَّ أَضَافَ "وَتَلْتَزِمُ الْأُسْرُ مُنَاوَبَةً مَعْلُومَةً فِي نِظَافَةِ الرُّقَاقِ وَتَنْظِيمِ مَوَاقِفِ السِّيَارَاتِ وَمُسَاعَدَةِ الْكِبَارِ فِي حَوَائِجِهِمْ وَحِفْظِ

سَكِينَةَ اللَّيْلِ" ثُمَّ قَالَ "وَتَتَعَاهَدُ الْبُيُوتُ أَنْ يُعَقَّدَ «لِقَاءُ دَوْرِي» كُلَّ شَهْرٍ فِي الْأُسْبُوعِ الْأَوَّلِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ لِلْمُرَاجَعَةِ وَتَقْدِيمِ قَضِيَّةٍ وَاحِدَةٍ تُحَلُّ فِي ذَلِكَ الشَّهْرِ" ثُمَّ قَالَ "وَتَلْتَرِمُ الْجَبِيرَةُ أَنْ لَا تُدْخَلَ فِي الْمَجْلِسِ رَايَاتِ التَّحْزِيبِ وَلَا تُسَخَّرَ قَضَايَا الرُّقَاقِ لِعَايَاتٍ خَارِجَةٍ وَأَنْ يُحْفَظَ «سِرُّ الْمَجْلِسِ» وَلَا يُنْقَلَ مِنْهُ إِلَّا مَا فِيهِ مَصْلَحَةٌ" ثُمَّ خَتَمَ "وَتَلْتَرِمُ الْجَبِيرَةُ أَنْ يَكُونَ «مِيزَانُ الْعَدْلِ» قَائِدًا فَلَا يُقْضَى لِقَرَابَةٍ وَلَا يُجَارَ عَلَى بَعِيدٍ وَتُرْفَعُ شَكْوَى كُلِّ طَرَفٍ عَلَى السَّوَاءِ".

عِنْدَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ تَبَادَلَ الْجُلُوسُ نَظْرًا فِيهِ حَيَاءٌ وَرَضَى فَقَالَ الْأَبُّ "نُوقِعْ هَذِهِ الْوَثِيقَةَ قَبْلَ الْمَغْرِبِ فَيَكُونُ الْمَسْجِدُ شَاهِدًا" فَتَبَسَّمَ الْإِمَامُ وَقَالَ "«الَّذِينَ النَّصِيحَةُ»" (حَدِيثٌ) "فَنُشْهَدُ اللَّهَ عَلَى نَصَحِنَا وَنُوقِعُ".

وَقَبْلَ أَنْ تَمْتَدَّ الْأَقْلَامُ إِلَى التَّوْقِيعِ قَالَ جَارٌ كَبِيرُ السِّنِّ "يَا سَيِّدَنَا قَدْ يَتَسَلَّلُ الْحَنَقُ إِلَى الصُّدُورِ عِنْدَ نِزَاعٍ فِي مَوْقِفِ سَيَّارَةٍ أَوْ صَوْتِ طِفْلِ فَكَيْفَ نَحْمِلُ النَّفْسَ عَلَى الرَّفْقِ؟" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَسْتَصْحِبُ قَوْلَ النَّبِيِّ (ص) «مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِئُهُ»" (حَدِيثٌ) "فَإِنْ نَزَلَتْ الْوَصِيَّةُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى هَذَا الْحَقِّ فَحَرِيٌّ بِقُلُوبِنَا أَنْ تَحْمِلَ الْأَمْرَ عَلَى أَحْسَنِ وُجُوهِهِ" ثُمَّ قَالَ "«أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» قَالُوا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا قَالَ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَذَاكَ نَصْرُكَ إِيَّاهُ" (حَدِيثٌ) "فَنَحْمِلُ الْمُتَجَاوِزَ عَلَى الْحَدِّ بِرَفْقٍ وَنَرُدُّهُ إِلَى الْعَدْلِ".

تَقَدَّمَ الْأَبْنَاءُ وَفِي وُجُوهِهِمْ شَوْقُ الْمُشَارَكَةِ فَقَالَ الْإِمَامُ "نَجْعَلُ لِلشَّبَابِ مَجْلِسًا صَغِيرًا مُلَحَقًا بِمَجْلِسِنَا يُعْنَى بِمَسَائِلِ اللَّعِبِ فِي الزُّقَاقِ وَسَلَامَةِ الْمَمَرَاتِ وَحِفْظِ الضَّوِّ وَالصَّوْتِ" ثُمَّ قَالَ "وَنَكْتُبُ فِي ذِيْلِ الْوُثِيْقَةِ أَنَّ «قَضِيَّةً وَاحِدَةً» تُحَلُّ فِي كُلِّ شَهْرٍ عَلَى مَرَأَى مِنَ الْجَمِيعِ لِيَتَعَلَّمُوا مَعْنَى الْمُثَابَرَةِ" ثُمَّ قَرَأَ

"﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا... وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾" (النِّسَاء 36)

"فَتَحَرَّكَ عَلَى نَفْسِ الْوَصِيَّةِ وَنُقِيْمُهَا فِي الْمَيْدَانِ."

وَقَعَ الْجَمِيعُ ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى الْمَسْجِدِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ فَصَلُّوا وَعَادُوا وَفِي قُلُوبِهِمْ الْعَهْدُ جَدِيدًا كَمَا يَكُونُ الْمَطَرُ أَوَّلَ رَبِيعٍ وَفِي اللَّيْلِ افْتَتَحَ «مَجْلِسُ الْجَبْرِ» أَوَّلَ لِقَائِهِ فَتَقَدَّمَ الْإِمَامُ وَقَالَ "نَضَعُ الْيَوْمَ «مِيزَانَ الْوَقْتِ» فَتُثَبَّتُ الْمَوْعِدُ فِي الْأُسْبُوعِ الْأَوَّلِ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ بَعْدَ الْمَغْرِبِ وَتُرْسَلُ قَبْلَهُ يَوْمَيْنِ تَذَكِيرًا وَنُعَدُّ «مَحْضَرًا» يَرُصُّدُ مَا حُلَّ وَمَا بَقِيَ" ثُمَّ قَالَ "وَنَرْفَعُ «مُؤَشَّرًا» نَقِيسُ بِهِ التَّوَتُّرَ فَنَعُدُّ الشَّكَاوَى الشَّهْرِيَّةَ وَنُقَارِنُهَا وَنَرْصُدُ الْإِنْتِسَامَةَ فِي الْمَمَرِّ وَحَالَ التَّحِيَّةِ وَالْإِسْتِقْبَالِ."

تَقَدَّمَتْ أَوَّلُ قَضِيَّةٍ فِي الشَّهْرِ الْأَوَّلِ وَهِيَ ضَيْقُ الْمَمَرِّ لِكَثْرَةِ مَا يُلْقَى عِنْدَ الْأَبْوَابِ فَقَالَ الْإِمَامُ "نُحِيلُ الْأَمْرَ إِلَى «مِيزَانِ الْمَصْلَحَةِ وَالْعَدْلِ» فَتُخَصَّصُ

مَوْضِعًا مُشْتَرَكًا فِي آخِرِ الرُّفَاقِ لَوْضِعِ الْأَشْيَاءِ الْمُؤَقَّتَةِ وَنُعْلِنُ الْقَرَارَ عَلَى بَابِ كُلِّ بَيْتٍ " فَانْقَضَى الشَّهْرُ وَقَدْ صَفَا الْمَمَرُّ وَرَجَعَ الطِّفْلُ يَرْكُضُ عَلَيْهِ لَا يَتَعَثَّرُ. وَفِي الشَّهْرِ الثَّانِي قَامُوا بِإِصْلَاحِ مَصْبَاحٍ قَدِيمٍ فِي رَأْسِ الرُّفَاقِ فَانْفَتَحَتْ لَيْلَةُ الْحَيِّ عَلَى ضِيَاءٍ يَهْدِي السَّائِرَ وَيُرِدُّ الْغَرِيبَ إِلَى سَبِيلٍ. وَفِي الشَّهْرِ الثَّلَاثِ حُلَّ خِلَافٍ قَدِيمٍ عَلَى سُورٍ صَغِيرٍ فَبَاعَ الرَّجُلُ حَقَّهُ بِشَمَنِ عَادِلٍ وَقَامَ الْجَارُ بِشُكْرِ يُشَبِّهُهُ مَطَرًا.

وَفِي كُلِّ لِقَاءٍ كَانَ الْإِمَامُ يُجَدِّدُ الْمِيثَاقَ بِآيَةٍ وَحَدِيثٍ فَيَقُولُ

"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ" (الْحُجُرَات 10)

"فَنُصْلِحُ بَيْنَ الْأَخَوَيْنِ أَوَّلًا فَأَوَّلٍ" وَيَقُولُ "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُتَّقِ اللَّهَ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ" (حَدِيثٌ) "فَنَرْفَعِ اللِّسَانَ مِنْ مَوَاقِعِ الْأَذَى وَنَحْمِلُهُ عَلَى النَّفْعِ." وَإِذَا ظَهَرَتْ حِدَّةٌ ذَكَرَ "مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانُهُ وَمَا نَزَعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ" (حَدِيثٌ) فَيُخَفِّضُ الْقَلْبَ جَنَاحَيْهِ وَتَسْكُنُ الْكَلِمَةُ.

وَبَعْدَ فَصْلِ دِرَاسِيٍّ وَاحِدٍ جَلَسُوا يُرَاجِعُونَ «مُحَضَّرَ الْأَثَرِ» فَوَجَدُوا أَنَّ عَدَدَ الشُّكَاوَى قَدْ انْخَفَضَ إِلَى النِّصْفِ وَأَنَّ سَلَامَ الصَّبَاحِ قَدْ أَرْتَفَعَ فِي الْمَمَرَاتِ وَأَنَّ الْأَطْفَالَ أَصْبَحُوا يَتَنَافَسُونَ فِي حِفْظِ النِّظَافَةِ وَتَقْدِيمِ الْمَاءِ لِلْمُرُورِ فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَتَلَاوَحُ بِصَحِيفَةِ الْأَرْقَامِ "هَذَا «مُؤَشِّرٌ» يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَوَازِينَ قَدْ

قَامَتْ عَلَى سَوَاءٍ فَقَدْ رَفَعْنَا «مِيزَانَ الْوَحْدَةِ» وَأَقَمْنَا «مِيزَانَ الْعَدْلِ» وَأَحْيَيْنَا «مِثَاقَ الْإِصْلَاحِ».

وَحِينَ عَرَضُوا قِصَصًا قَصِيرَةً مِنْ قَلْبِ الرَّفَاقِ قَالَ جَارٌ كَانَ يَغْضِبُ سَرِيعًا "أَشْهَدُ أَنَّ رُؤْيِي لِلْأُمُورِ قَدْ أَخْضَرَّتْ فَأَصْبَحْتُ أَتَفَقَّدُ الْكِبَارَ قَبْلَ أَنْ أَفَكِّرَ فِي حَاجَتِي" وَقَالَتْ جَارَةٌ كَرِيمَةٌ "أَصْبَحَ الْأَبْنَاءُ يَرُدُّونَ الْقِمَامَةَ إِلَى مَوْضِعِهَا وَيَقْدُمُونَ لَكِنَّ الْأَجْمَلَ أَنَّهُمْ يَسْتَحْيُونَ أَنْ يُؤْذُوا النَّوْمَ فِي اللَّيْلِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذِهِ ثِمَارُ قَوْلِهِ تَعَالَى

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا... وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾
(النِّسَاء 36)

وَتِمَارُ قَوْلِهِ

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾" (الْحُجُرَات 10).

وَكَانَ الْخَوْفُ مِنْ «تَسْيِيسِ مُرَبِّكَ» يَتَفَلَّصُ فِي الْقُلُوبِ لِأَنَّ الْوَثِيقَةَ قَدْ سَدَّتِ الْأَبَابَ وَأَقَامَتِ الْحُجَّةَ فَلَا يُرْفَعُ فِي الْمَجْلِسِ إِلَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِسَكِينَةِ الرَّفَاقِ وَمَصَالِحِهِ وَإِذَا حَاوَلَ أَحَدٌ أَنْ يَجْعَلَ قِصَّةً مَجْرَىٰ لِحِطَابٍ يُفَرِّقُ رَدًّا إِلَى «مِيزَانِ الْوَحْدَةِ» وَذَكَرَ بِقَوْلِ النَّبِيِّ (ص) "خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ" (حَدِيثٌ) فَيَسْتَحْيِي وَيَرْجِعُ.

وَفِي لَيْلَةٍ مَاطِرَةٍ تَأَخَّرَ الْإِمَامُ عَنِ الْمَجْلِسِ فَقَامَ الْمُمَثِّلُونَ الثَّلَاثَةُ وَأَذَارُوا
الْكَلامَ عَلَى نَفْسِ الْمِيزَانِ فَشَهِدَ النَّاسُ أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَقُومُ عَلَى شَخْصٍ بَلْ عَلَى
مِيثَاقٍ وَعِلْمٍ وَعَدْلٍ فَأُعْلِنَ فِي آخِرِ اللَّيْلَةِ أَنَّ قَضِيَّةَ الزُّرْقَاقِ لِذَلِكَ الشَّهْرِ قَدْ حُلَّتْ
وَأَنَّ الشَّهْرَ التَّالِيَّ سَيَبْدَأُ بِصِيَانَةِ مَصْرِفِ الْمَطَرِ فِي الرُّكْنِ الْعَرَبِيِّ.

وَعِنْدَ خِتَامِ السَّنَةِ الصَّغِيرَةِ لِلْحَيِّ وَقَبْلَ الْعُطْلَةِ اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ فَتَلَا
الْإِمَامُ

"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ" (الْحُجُرَاتِ 10)

ثُمَّ قَالَ "نَجِدُّدُ الْعَهْدِ عَلَى أَنَّ نَحْمِلَ هَذَا الْمِيزَانَ إِلَى الْفَصْلِ الْقَادِمِ
وَأَنَّ نُبْقِي «قَضِيَّةَ فِي الشَّهْرِ» سُنَّةَ لِلْحَيِّ" ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ "اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا
جِيرَانًا مُتَحَابِّينَ مُتَنَاصِحِينَ مُتَعَاوِنِينَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى" ثُمَّ تَلَا

"وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا... وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ
الْجُنْبِ" (النِّسَاءِ 36)

"وَنَذْكُرُ أَنَّ الصَّلَاحَ يَبْدَأُ مِنْ بَابِ مُغْلَقٍ حَفِظَ أَهْلُهُ حُقُوقَ الْجَوَارِ."

خَرَجُوا إِلَى الزُّرْقَاقِ وَفِي الْهَوَاءِ رَائِحَةُ تَرَابٍ مَبْلُولٍ وَفِي وُجُوهِ الْأَطْفَالِ
بَشَائِرُ صَوْنٍ جَدِيدٍ وَقَدْ حَمَلَ كُلُّ بَيْتٍ نُسْخَةً مِنْ «وَثِيقَةِ الْجِيرَةِ» وَكُتِبَ فِي
آخِرِهَا بِحَطٍّ وَاضِحٍ "يَلْتَزِمُ الْحَيُّ بِحَلِّ قَضِيَّةٍ وَاحِدَةٍ كُلَّ شَهْرٍ وَبِمَرَاجَعَةِ الْأَثَرِ فِي

آخِرِ كُلِّ فَصْلٍ وَبِحِفْظِ الْوَحْدَةِ وَالْعَدْلِ وَالْإِصْلَاحِ " وَوُضِعَتْ خُتُومُ الْبُيُوتِ عَلَيْهَا وَحِينَ مَرَّ الْمُسْنُ الَّذِي كَانَ يَشْكُو صَوْتَ اللَّعِبِ رَأَى الْأَبْنَاءَ يُقِيمُونَ لَهُ مَمَرًّا وَيُخَفِّضُونَ الصَّوْتَ فَأَبْتَسَمَ وَقَالَ "الآنَ ذُقْنَا طَعْمَ الْجَوَارِ".

وَأَصْحَى «مَجْلِسُ الْجِيرَةِ» قِبْلَةً صَغِيرَةً لِأَلْحِيَّ فَإِذَا وَقَعَ الْخِتْلَافُ رَجَعُوا إِلَيْهِ وَإِذَا ظَهَرَتْ حَاجَةٌ قَدَّمُوهَا وَإِذَا أَحْسَنَ أَحَدٌ شَكَرُوهُ وَإِذَا تَجَاوَزَ وَقْفُوهُ عِنْدَ الْحَدِّ بِلُطْفٍ وَحِكْمَةٍ عَلَى هَدْيِ قَوْلِهِ (ص) "«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»" (حَدِيثٌ) فَتَرَى الرَّضَا يَخْطُو فِي الْمَمَرِّ خُطُواتٍ وَتَرَى الْبُسْتَانَ الصَّغِيرَ فِي آخِرِ الرُّقَاقِ قَدْ أَخْضَرَّتْ أَوْرَاقُهُ بِقُطْرَاتٍ سَعِيَهَا الْمُشْتَرَكِ.

وَإِذَا تَأَخَّرَ الْوَقْتُ وَأَقْفَلَ الْمَسْجِدُ أَبْوَابَهُ بَقِيَتْ فِي الصُّدُورِ كَلِمَةٌ تَتَرَدَّدُ كَأَنَّهَا نَفْسٌ يَجْرِي

"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ" (الْحُجُرَات 10)

"وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ" (النِّسَاء 36)

فَيَسْتَيَقِنُ الْإِنْسَانُ أَنَّ الْوَحْدَةَ لَيْسَتْ شِعَارًا يُرْفَعُ يَوْمًا وَيُطْوَى يَوْمًا بَلْ هِيَ عَمَلٌ يُجَدِّدُ وَمِثَاقٌ يُتْلَى وَعَدْلٌ يُقَامُ وَإِصْلَاحٌ يُسْتَأْنَفُ. وَهَكَذَا سَارَ الرُّقَاقُ فِي طَرِيقِهِ جَمِيلًا كَأَنَّهُ سِجَالٌ بَيْنَ سَكِينَةٍ وَعَمَلٍ يَنْتَهِي كُلُّ شَهْرٍ إِلَى قَضِيَّةٍ تُحَلُّ وَكُلُّ فَصْلٍ إِلَى تَوَثُّرٍ يَنْخَفِضُ بِنِصْفٍ وَكُلُّ عَامٍ إِلَى قُلُوبٍ أَقْرَبَ وَالسِّنَةِ أَرْفَقَ

بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِشْعَارِ - تَكْوِينُ الْجِيلِ الرَّاشِدِ

وَيُيُوتِ أَطْيَبَ.

الدَّرْسُ التَّاسِعُ: خِدْمَةُ النَّاسِ

اِنْسَلَّ الصَّبَاحُ عَلَى الْحَيِّ كَمَا تَنْسَلُّ نَسَمَةٌ رَطْبَةٌ فِي صَحْرَاءِ الْقُلُوبِ
فَانْفَتَحَتْ أَبْوَابُ الدُّورِ وَخَرَجَ الصَّبِيُّ كَالزُّهُورِ الصَّغِيرَةِ تَتَطَلَّعُ إِلَى نُورٍ يَكْبُرُ وَقَدْ
تَوَجَّهَتْ الْأُسْرَةُ نَحْوَ الرُّوْقِ حَيْثُ يَجْلِسُ الْإِمَامُ عَلَى بَسَاطٍ سَازِجٍ بَيْنَ كُتُبٍ
وَأَلْوَاحٍ وَحَوْلَهُ شَبَابٌ يَسْتَظِلُّونَ بِظِلِّ كَلِمَتِهِ الرَّحِيمَةِ وَيَنْتَظِرُونَ إِشَارَةَ بَدْءِ خُطَّةٍ
جَدِيدَةٍ تَرْفَعُ الْأَيَّامَ مِنْ سَطْحِ الْعَادَاتِ إِلَى عَلِيِّ الْمَقَاصِدِ. رَفَعَ الْإِمَامُ طَرْفَهُ
وَسَكَنَتْ الْأَصْوَاتُ عَلَى هَيْبَةِ الْبَدْءِ ثُمَّ قَالَ وَفِي نَبْرَتِهِ عَقْدٌ يُشَبِّهُ الْعَهْدَ "نَجْعَلُ
الْيَوْمَ لِبَيْتِنَا عَادَةً تَتَرَدَّدُ كُلُّ أُسْبُوعٍ فَتُشَبِّهُ نَبْضًا يَحْمِلُ الْحَيَّ عَلَى الرَّفْقِ وَالنَّفْعِ
وَنُسَمِّي ذَلِكَ «خِدْمَةَ النَّاسِ» فَلَا نَجْعَلُهَا عَرْضًا يَمْضِي كَمَا تَمْضِي أَلْوَانُ
الْإِسْتِعْرَاضِ بَلْ نَجْعَلُهَا قَصْدًا مُحْكَمًا يُوَاطِئُ قَوْلَهُ تَعَالَى

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (الْمَائِدَةُ 2)

فَنَتَعَاوَنُ عَلَى الْبِرِّ الَّذِي يَرْفَعُ وَعَلَى التَّقْوَى الَّتِي تَحْفَظُ. " ثُمَّ قَالَ وَهُوَ
يَتَلَوُّ بِمَدٍّ يَسْتَنْزِلُ الدُّمُوعَ

"﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾"

(الْإِنْسَان 8-9)

"فَجَعَلُ لِلطَّعَامِ قِسْمًا وَلِلتَّعْلِيمِ قِسْمًا وَلِلنَّظَافَةِ قِسْمًا فَيَجْتَمِعُ النَّفْعُ فِي

الثَّلَاثَةِ وَيَسِيرُ الْقَلْبُ عَلَى مِيزَانٍ". ثُمَّ قَرَأَ

"لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ

بِاللَّهِ... وَآتَى أَمَالَ عَلَى حُبِّهِ" (الْبَقَرَةُ 177)

"فَنَرَفَعُ اللَّبَاسَ عَنِ الشَّعَارِ وَنُلْبِسُهُ الْعَمَلَ".

قَالَ الْفَتَى الْأَكْبَرُ وَفِي صَوْتِهِ حِدَّةٌ شَوْقٍ "كَيْفَ نَبْدَأُ يَا سَيِّدَنَا؟" فَقَالَ

الْإِمَامُ وَهُوَ يُمْسِكُ بِقَلَمٍ قَصَبٍ "نَبْدَأُ بِنَبِّهِ تَطَهَّرْ وَقَلْبٌ يُخْلِصُ فـ" «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ

بِالنِّيَّاتِ» (حَدِيثٌ) "فَلَا نَطْلُبُ الرِّضَاءَ عِنْدَ الْخَلْقِ بَلْ نَسْتَحْفِي بِرِضَا الْخَالِقِ

الَّذِي يَرَى مَوْضِعَ النِّيَّةِ فِي الصَّدْرِ". وَقَالَ "وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي

عَوْنِ أَخِيهِ» (حَدِيثٌ) "فَنَطْلُبُ عَوْنَ اللَّهِ بِعَوْنِ الْخَلْقِ". ثُمَّ أَضَافَ وَفِي عَيْنِهِ

بَصِيرَةٌ مُرَبِّ "نَخَافُ أَنْ يَتَسَلَّلَ إِلَيْنَا «عَرَضٌ يَتَطَاهَرُ» فَنَرَفَعُ الْعَمَلَ عَلَى مِيزَانِ

الْإِخْلَاصِ وَنَرْبُطُهُ بِقَوْلِهِ (ص) «مَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ» (حَدِيثٌ) "فَنَطْمِئِنُّ

أَنَّ مَا يَخْرُجُ يُزِيدُ وَمَا يُعْطَى يَرْبُو".

إِنْتَفَتَ إِلَى الشَّبَابِ وَقَالَ "نَقْسِمُ الْخِدْمَةَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَبْوَابٍ: نِظَافَةٌ تَرْفَعُ

الطَّرِيقَ عَنِ الْأَذَى فـ «إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» (حَدِيثُ) "وَإِطْعَامُ يُطْفِئُ جُوعًا وَيُلَيِّنُ قَلْبًا فـ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ» (حَدِيثُ) "وَتَعْلِيمُ يُصْلِحُ قِرَاءَةً أَوْ يَرْفَعُ جَاهِلًا إِلَى نُقْطَةِ فَهْمٍ". ثُمَّ قَالَ "نَضَعُ فِي صَدْرِ كُلِّ بَابٍ «مِيزَانَ النَّفْعِ» فَمَا زَادَ النَّفْعُ قَوِيَ الْفِعْلُ وَنُدِيرُ عَلَيْهِ «مِيزَانَ الْإِخْلَاصِ» فَلَا نَتَكَلَّمُ فِي الْأَعْمَلِ إِلَّا بِمِقْدَارِ مَا يَخْدُمُهُ وَنَحْرُسُهُ بِـ«مِيزَانِ الصَّحَّةِ» فَلَا نُجْهَدُ ضَعِيفًا وَلَا نَعْرِضُ صَغِيرًا لِمَشَقَّةٍ تُوهِنُ بَدَنَهُ."

نَظَرَتِ الْأُمُّ إِلَى الْأَبْنَاءِ وَقَالَتْ "نُرِيدُ عَمَلًا يَسْتَطِيعُهُ الصِّغَارُ وَيَتَذَوَّقُهُ الْكِبَارُ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَبْدَأُ بِطَرِيقِ الْمَسْجِدِ فَنَنْظِفُهُ وَنُرْتَّبُ أَحْذِيَةَ الْمُصَلِّينَ وَنَضَعُ الْمَاءَ لِلظَّمْآنِ وَنَمْضِي إِلَى زَاوِيَةٍ فِي الْحَيِّ نُصْلِحُ كُرْسِيًّا مَكْسُورًا وَنَطْبُخُ قُدُورًا خَفِيفَةً فِي يَوْمِ الْعُطْلَةِ لِشَيْخٍ قَعِيدٍ وَأُسْرَةٍ قَدْ ضَاقَتْ بِهَا الْأَسْبَابُ". وَقَالَ "نَخْتَارُ مِنَ الْأُسْبُوعِ سَاعَةً ثَابِتَةً تُسَمَّى «سَاعَةُ الْخِدْمَةِ» فَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا رَأَى زِيَادَةً فِي الْقَلْبِ وَالرِّزْقِ وَالْوَقْتِ". ثُمَّ تَلَا

"﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾" (الْإِنْسَانُ 8-9)

"لِيَتَعَلَّمَ الْقَلْبُ أَنْ يُؤَثِّرَ وَأَنْ يَذُوقَ لَذَّةَ الْعَطَاءِ."

قَالَ الْأَبُ وَفِي مَحْجَرِهِ نُقْطَةُ قَلْقٍ "نَحْشَى أَنْ يَدْخُلَ التَّصَنُّعُ أَبْوَابَنَا

فَنَرِيدُ الثَّنَاءَ وَنَنْسَى أَلْوَجْهَ الَّذِي أَقْبَلْنَا عَلَيْهِ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَسْتُرُ الْعَمَلَ مَا اسْتَطَعْنَا وَنُخْفِي الذِّكْرَ مَا اسْتَطَعْنَا وَنُرَبِّي الْقَلْبَ عَلَى أَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَّا إِلَى اللَّهِ وَنَسْتَحْضِرُ فِي كُلِّ بَدْءٍ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»" (حَدِيثٌ) "فَمَنْ أَصْلَحَ النِّيَّةَ صَلَحَ لَهُ الْعَمَلُ وَإِنْ قَلَّ وَمَنْ أَفْسَدَهَا فَسُدَّ." ثُمَّ قَالَ "نَضَعُ فِي الرِّوَاقِ «سَجَلًا مُصَوَّرًا» لِلْخِدْمَةِ فَنُثِبُ فِيهِ الْعَمَلَ وَالْيَوْمَ وَالْمَكَانَ وَنَرْفُقُ كُلَّ مَرَّةٍ صُورَةً تَشْهَدُ بِالتَّغْيِيرِ لَا بِالشُّهُرَةِ فَإِنْ حَضَرَ الرِّيَاءُ طَفِئَ نُورُ الْعَمَلِ." وَقَالَ "نَجْعَلُ عَلَى السَّجَلِ دُعَاءَ «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ عَمَلًا خَالِصًا وَارْزُقْنَا فِيهِ السَّتَرَ وَالْقَبُولَ»."

تَقَدَّمَ الشَّابُّ يَاسِرٌ وَفِي يَدِهِ مِكَنَسَةٌ بَسِيطَةٌ فَقَالَ "أَبْدَأُ أَنَا بِطَرِيقِ الْمَسْجِدِ" فَتَبَسَّمَ الْإِمَامُ وَقَالَ "تَبَشُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ" (حَدِيثٌ) "فَأَبْدَأُ بِالْإِبْتِسَامَةِ فَهِيَ أَحْفُ الْحِمَالِ وَأَكْثَرُهَا انْتِشَارًا." وَقَالَ "أَنْتَ وَالْأُخْتُ مَرِيْمُ تَجْمَعَانِ الْأَحْدِيَّةَ وَتُرْتَبَانِيهَا وَتَضَعَانِ قُرْبَ الْبَابِ قُلْتَيْنِ مِنَ الْمَاءِ لِلْعَطَشِ وَأَنْتَ يَا زَيْدُ تُصْلِحُ مِقْبَضَ الْبَابِ الْمَخْلُوعَ وَتَسْتَعِينُ بِعَمِّكَ فَهُوَ أَعْرَفُ بِالْأَدَوَاتِ." وَفِي الْمَسَاءِ قَالَتِ الْأُمُّ "أُعِدُّ مَائِدَةً صَغِيرَةً لثَلَاثِ أَسْرِ فِي الْحَيِّ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نُسَمِّي ذَلِكَ «مَائِدَةَ الرَّفْقِ» وَنُرْتَبُّهَا عَلَى قَدَرٍ لَا يُنْعَبُ بَدَنًا وَلَا يُثْقَلُ حَيًّا وَنُوثِقُ فِي السَّجَلِ أَثَرُ الْمَائِدَةِ بِكَلِمَاتٍ قَصِيرَةٍ مِنَ الْمُسْتَفِيدِينَ."

مَشَى الْيَوْمَ حَتَّى أَقْبَلَ الْعِشْيَ فَانْصَرَفُوا وَعَلَى وُجُوهِهِمْ بَشَائِرُ الْإِبْتِدَاءِ وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ جَمَعُوا الْأَدَوَاتِ وَخَرَجُوا قُبَيْلَ الصُّحَى إِلَى طَرِيقِ الْمَسْجِدِ

فَنَظَّفُوا وَرَتَّبُوا وَعَسَلُوا مَوْضِعًا قَدْ تَسَرَّبَ إِلَيْهِ طِينُ الْمَطَرِ وَزَرَعُوا فِي أَطْرَافِ
الطَّرِيقِ زُهُورًا بَرِيَّةً سَقَوْهَا مِنْ فَضْلِ أَمَاءٍ ثُمَّ قَامَ الْإِمَامُ وَقَالَ "نَهْدِي أَلْعَمَلَ لِلَّهِ
وَنَسْأَلُهُ الْقَبُولَ" وَتَلَا

"وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى" (الْمَائِدَةُ 2)

"ثُمَّ قَالَ «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ
كَالصَّائِمِ النَّهَارَ الْقَائِمِ اللَّيْلَ»" (حَدِيثٌ) فَانْشَرَحَتْ الصُّدُورُ وَعَرَفُوا أَنَّ الطَّرِيقَ
يَرْتَقِي بِالْقَلْبِ كَمَا يَرْتَقِي بِالْأَثَرِ.

وَفِي أُسْبُوعٍ آخَرَ فَصَدُّوا بَيْنًا فِيهِ شَيْخَةٌ وَحَدَّاهَا فَحَمَلُوا إِلَيْهَا قُفَّةً فِيهَا خُبْزٌ
وَبُقُولٌ وَحَلِيبٌ وَفَوَاكِهُ سِيرَةً وَجَلَسَتْ الْأُمُّ مَعَهَا تُسَامِرُهَا وَتُوَاسِيهَا وَقَامَ الْفَتَيَانُ
بِقَضَاءِ حَوَائِجِ بَيْتِهَا فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى يَدَيْهَا الرَّقِيقَتَيْنِ "نَقِمْ لِلطَّعَامِ
مِيزَانًا فَلَا تُؤْذِي صِحَّةً وَلَا نَحْمِلُ الْأَجْسَادَ عَلَى مَا لَا تُطِيقُ بَلْ نُقَدِّمُ مَا يَلَائِمُ
الْأَحْوَالَ." ثُمَّ قَالَ "اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ" (حَدِيثٌ) "فَلَا تَحْقِرُوا قَلِيلًا
يُطْفِئُ حَرًّا." وَعِنْدَ الْإِنْصِرَافِ أَشَارَ إِلَى السَّجَلِ فَقَالَ "نَثُبْتُ أَنَّ الْمُنْتَفِعِينَ هَذَا
الْأُسْبُوعَ ثَلَاثَةً وَأَنَّ سَاعَاتِ التَّطَوُّعِ أَرْبَعٌ وَنَرْفَعُ مِنْهَا دُعَاءً."

وَأَقَامُوا كُلَّ سَبْتٍ حَلَقَةَ قِرَاءَةِ صَغِيرَةٍ لِصِبْيَانِ الْحَيِّ فِي الرِّوَاقِ
فَيَعْلَمُونَهُمُ الْحُرُوفَ وَيَفْتَحُونَ لَهُمْ بَابَ الْقِصَصِ الصَّالِحَةِ وَيُرَبُّونَهُمْ عَلَى السَّلَامِ

وَالْإِتِّسَامَةِ فَإِذَا فَرَّغُوا قَرَأَ الْإِمَامُ

"﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾" (الْإِنْسَانُ 8-9)

"وَأَتَّبَعَهَا بِقَوْلِهِ «خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ»" (حَدِيثٌ) "لِيَعْلَمَ الصَّغَارُ أَنَّ خَيْرِيَّةً تُقَاسُ بِالنَّفْعِ لَا بِطُولِ الْأَلْسُنِ."

وَحِينَ مَضَتْ أَسَابِيعُ وَهُومٌ عَلَى عَهْدِهِمْ قَامُوا لِمُرَاجَعَةِ الْأَثَرِ فَجَلَسُوا فِي الرِّوَاقِ وَفِي الْوَسْطِ «سَجَلٌ مُصَوَّرٌ» قَدْ أَمْتَلَأَ بِصُورِ طَرِيقٍ تَلَالُأً بَعْدَ نَظَافَةٍ وَمَائِدَةٍ تَبَسَّمَ عَلَيْهَا الشَّيْخُ وَصَبَّيَّ يَكْتُبُ أَوَّلَ كَلِمَةٍ فِي دَفْتَرٍ وَشَابٌّ يَتَوَسَّدُ مِكْنَسَةً كَأَنَّهَا رَايَةٌ فَخَرَّ هَادِي فَقَالَ الْإِمَامُ "نَقْرَأُ الْأَرْقَامَ فَجِدُّ أَنْ «عَدَدَ الْمُنْتَفِعِينَ» قَدْ أَزْدَادَ وَأَنَّ «سَاعَاتِ التَّطَوُّعِ» قَدْ تَرَاوَحَتْ ثُمَّ أَرْتَقَتْ ثُمَّ اسْتَقَرَّتْ عَلَى وَتِيرَةٍ مُبَارَكَةٍ وَنَجِدُ أَنَّ الْقُلُوبَ قَدْ ائْتَلَفَتْ وَأَنَّ التَّبَرُّمَ مِنْ صَحْبِ الصَّبِيَّةِ قَدْ خَفَّ" ثُمَّ قَرَأَ

"﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾" (الْمَائِدَةُ 2)

"لِنَسْتَصْحِبَ الْآيَةَ فِي كُلِّ مُرَاجَعَةٍ". وَقَالَ "«مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ»" (حَدِيثٌ) "فَكَمَا فُئِمْنَا لِحَاجَةِ النَّاسِ قَامَ اللَّهُ لِحَاجَاتِنَا بِفَضْلِهِ."

وَقَدْ عَرَضَتْ لَهُمْ مَخَافُفٌ صَغِيرَةٌ فِي الطَّرِيقِ فَاسْتَخَرَجُوا لَهَا مَوَازِينَ تُسَدِّدُ السَّيْرَ فَقِيلَ "كَيْفَ نَضْمُنُ إِلَّا تَتَحَوَّلَ الْخِدْمَةُ إِلَى تَعَبٍ يُمْرِضُ الْجَسَدَ؟"

فَقَالَ الْإِمَامُ "نُحْضِرُ «مِيزَانَ الصِّحَّةِ» فَتَقْدِّرُ الْأَعْمَالَ عَلَى قُدْرَةِ الْأَجْسَادِ وَتُرِيحُ وَتُرْطِبُ وَتَنْحَرِّزُ مِنْ شَمْسٍ حَادَّةٍ وَتَرْفَعُ عَنِ الصَّغَارِ مَا لَا يَرْفَعُونَ." وَسُئِلَ "كَيْفَ نُغْلِقُ بَابَ الْمُبَاهَاةِ؟" فَقَالَ "نُسَمِّي الْعَمَلَ وَلَا نُسَمِّي أَهْلَهُ وَنَحْذِفُ ذِكْرَ الْأَشْخَاصِ فِي السَّجَلِ إِلَّا عَلَى طَرِيقِ الْحَاجَةِ وَنَقُولُ فِي آخِرِ كُلِّ سَطْرِ «اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْإِخْلَاصَ» وَنَتَذَكَّرُ "مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ" (حَدِيثٌ) "فَنَسْتَحْيِي." وَسُئِلَ "كَيْفَ نُقِيمُ الْمُنْفَعَةَ عَلَى مِيزَانٍ؟" فَقَالَ "نَسْتَفْتِحُ كُلَّ مَشْرُوعٍ بِسُؤَالٍ: مَنْ الْمُتَنَفِّعُ؟ مَا الْإِحْتِيَاجُ الْحَاضِرُ؟ مَا أَقْلُ مَا يُحَقِّقُ الْغَرَضَ؟ ثُمَّ نُغْلِقُ الْبَابَ بِتَقْوِيمِ قَصِيرٍ يَسْأَلُ مَنْ أَسْتَفَادَ: هَلْ حَصَلَ الْمَقْصُودُ؟" وَعِنْدَ الشُّكْرِ قَالَ "نَجْعَلُهُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ثُمَّ لِمَنْ سَاعَدَ" "مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ" (حَدِيثٌ).

وَفِي يَوْمٍ مُعْتَدِلٍ الْهَوَاءِ جَمَعُوا الصَّبِيَّةَ فِي سَاحَةِ الْحَيِّ وَصَنَعُوا دَائِرَةً مِنْ الْبَسَاطِ وَالطُّفُولَةِ وَوَقَفَ الْإِمَامُ وَقَالَ "نُحَدِّثُكُمْ عَنِ الْقَلْبِ الَّذِي يَخْدُمُ فَهُوَ قَلْبٌ يُسْرِفُ فِي الرِّفْقِ وَيَقْتَصِدُ فِي الْكَلَامِ وَيَسْتَبْشِرُ بِكَلِمَةِ اللَّهِ" ثُمَّ تَلَا

"﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾" (الْإِنْسَانُ 8-9)

"وَقَالَ «أَبْتَغُوا مَوَاطِنَ النِّفَعِ فَإِنَّ خَيْرَكُمْ مَنْ نَفَعَ» وَبَسَطَ يَدَهُ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الصَّغِيرَةِ كَمَنْ يَمْسَحُ عَلَى ضَوْءِ مُسْتَقْبَلٍ.

وَأَقَامُوا لِ«سَاعَةِ الْخِدْمَةِ» نِظَامًا يَسِيرًا فَكَانَ الْإِسْتِفْتَا حُجَّةً وَالدُّعَاءُ وَالْخِتَامُ

بِشُكْرِ وَكَانَ التَّوْزِيْعُ يَجْرِي عَلَى كِبَرِ الْأَعْمَالِ وَقُدْرَةِ الْأَبْدَانِ وَكَانَ التَّذْكِيرُ كُلَّ جُمُعَةٍ وَالْمُرَاجَعَةُ فِي آخِرِ كُلِّ شَهْرٍ. وَكَانَ الْإِمَامُ إِذَا رَأَى قَلْبًا قَدْ اتَّعَبَهُ الْمَسِيرُ قَالَ "نُزُوْحٌ فَإِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالًا وَإِدْبَارًا" ثُمَّ يَسْتَدْرِكُ بِالرَّفْقِ حَتَّى لَا يَنْقَطِعَ الْخَيْطُ الَّذِي نَظَمُوا عَلَيْهِ الْأُسْبُوعَ.

وَإِذَا تَعَسَّرَتْ قَضِيَّةٌ رَدُّوْهَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَقَرُّوْا عَلَيْهَا أَلْيَاتِ الثَّلَاثِ

"وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى" (الْمَائِدَةُ 2)

"وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ" (الْإِنْسَانُ 8-9)

"لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ" (الْبَقَرَةُ 177)

فَيَنْكَشِفُ الطَّرِيقُ كَمَا يَنْكَشِفُ الضُّحَى عَنْ شُعَاعِهِ وَيَمْضُونِ عَلَى بَصِيرَةٍ. وَكَانَ الْإِمَامُ يَقُولُ "نُصْلِحُ الْبَدَأَ بِالنِّيَّةِ وَنَضْبِطُ السَّيْرَ بِالْمِيزَانِ وَنَخْتِمُ بِالشُّكْرِ" ثُمَّ يَرْفَعُ كَفِّهِ "اللَّهُمَّ اسْتَعْمِلْنَا فِي خَيْرِ خَلْقِكَ وَاجْعَلْنَا مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ".

وَكَانَ مِنْ أَثَرِ الْعَادَةِ أَنْ تَحَوَّلَ الْحَيُّ إِلَى خَرِيطَةٍ نُقَاطِ مُضِيَّةٍ تُبَصِّرُهَا
الْقُلُوبُ قَبْلَ أَلْعْيُونِ فَهُنَا كُرْسِيٌّ أَصْلَحَ وَهُنَاكَ نَافِذَةٌ نُظِّفَتْ وَفِي زَاوِيَةٍ مِنَ الصَّفِّ
صَبِيٌّ يَقْرَأُ لَصَبِيٍّ أَصْغَرَ مِنْهُ وَفِي مَطْبَخِ الْبَيْتِ مَائِدَةٌ تُرْفَعُ عَلَى دُعَاءٍ وَشُكْرِ. وَإِذَا
مَرَّ الْمَارُّ بِالزُّفَاقِ شَمَّ رَائِحَةَ خَيْرٍ غَيْرِ مَرِيئَةٍ تَتَصَاعَدُ كَأَنَّهَا بِخَوْرٍ قَدِيمٍ.

وَعِنْدَ آخِرِ فَصْلِ دِرَاسِيٍّ جَمَعُوا «مُحَضَّرَ الْأَثَرِ» فَقَرَأُوا فِيهِ أَنَّ «عَدَدَ
الْمُنْتَفِعِينَ» قَدْ زَادَ عَلَى مَا بَدَأُوا بِهِ وَأَنَّ «سَاعَاتِ السَّطْوَعِ» قَدْ رَتَعَتْ فِي بُسْتَانِ
الزَّوَائِدِ ثُمَّ اسْتَقَرَّتْ عَلَى مُنْحَنَى يَرْقَى بِلاَ كَلَلٍ وَأَنَّ الْوُجُوهَ قَدْ أَبْيَضَتْ بِالْإِبْتِسَامَةِ
وَأَنَّ التَّوَثُّرَ فِي الْمَمَرَاتِ قَدْ خَفَّ وَأَنَّ السَّلَامَ قَدْ كَثُرَ. فَقَامَ الْإِمَامُ وَتَلَا

"وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى" (الْمَائِدَةُ 2)

"ثُمَّ قَالَ «اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ» وَاتَّبَعَهَا "خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ
لِلنَّاسِ" (حَدِيثٌ) "لِيَكُونَ الشُّعَارُ كَلِمَةً وَالْحَقِيقَةُ صَنِيعًا."

وَلَمَّا قَامُوا مِنْ مَجْلِسِهِمْ سَأَلَ الْفَتَى الْأَصْغَرَ "هَلْ نُوَاصِلُ يَا سَيِّدَنَا عَلَى
نَفْسِ الْوَتِيرَةِ؟" فَقَالَ الْإِمَامُ "نُثَبِّتُ الْأَصْلَ وَنُجَدِّدُ الصُّورَ فَنُغَيِّرُ بَابَ الْخِدْمَةِ وَلَا
نُغَيِّرُ مِيزَانَ الْقَضْدِ فَمَنْ رَأَى طَرِيقًا مُغْبِرًا نُظِّفَ وَمَنْ وَجَدَ جَائِعًا أَطْعَمَ وَمَنْ أَبْصَرَ
جَاهِلًا عَلَّمَهُ وَمَنْ قَدَّرَ عَلَى خَيْرٍ صَنَعَهُ عَلَى قَدَرِهِ." ثُمَّ قَالَ "نُسَجِّلُ خِدْمَةَ كُلِّ
سَبْعَةِ أَيَّامٍ ثُمَّ نَقْرَأُ الْأَثَرَ فِي آخِرِ كُلِّ شَهْرٍ فَإِذَا رَأَيْنَا أَزْدِيَادًا فِي «الْمُنْتَفِعِينَ»

و«سَاعَاتِ التَّطَوُّعِ» حَمْدَنَا وَإِلَّا عَالَجْنَا أَلْعَلَّةَ وَأَصْلَحْنَا الدَّفَاعَ". ثُمَّ أَجَابَ عَلَى هَمْسَةٍ فِي الْمَجْلِسِ "وَإِنْ تَعَبَ أَلْبَدُنْ خَفَفْنَا وَإِنْ قَلَّ أَلَوْقْتُ قَسَمْنَا وَإِنْ ضَعُفَ أَلْحَافُزُ بَشَرْنَا فَ«يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا»" (حَدِيثٌ).

وَفِي اللَّيْلِ الَّذِي تَلَا ذَلِكَ الْمَجْلِسَ اجْتَمَعَ أَلْبَيْتٌ عَلَى مَائِدَةٍ صَغِيرَةٍ وَقَدْ نُصِبَ فِي الرُّكْنِ «السَّجَلُ الْمُصَوَّرُ» فَتَأَمَّلُوا صُورَ الْأُسْبُوعِ ثُمَّ قَالَتِ الْأُمُّ وَهِيَ تَتَطَلَّعُ إِلَى الْقَادِمِ "نُرِيدُ أَنْ نَزُورَ مَرْكَزًا صَغِيرًا لِلتَّعْلُمِ فَنَقْرَأَ قِصَصًا لِلصِّغَارِ". فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا مِنْ بَابِ التَّعْلِيمِ وَهُوَ جِهَةٌ عَزِيزَةٌ فَاْمْضُوا عَلَى بَصِيرَةٍ وَأَسْتَفْتِحُوا الْقِرَاءَةَ بِبِسْمَلَةٍ وَأَسْتَعَاذَةٍ وَقِرَاءَةِ مَا تَيْسَّرُ وَنَخْتِمُ بِدُعَاءٍ". وَقَالَ "نَكْتُبُ فِي السَّجَلِ مَاذَا قَرَأْنَا وَكَمْ طِفْلًا حَضَرَ وَمَا الْأَثَرُ الَّذِي رَأَيْنَاهُ فِي الْعُيُونِ".

وَلَمَّا أَذَّنَ الْفَجْرُ فِي آخِرِ أُسْبُوعٍ مِنْ ذَلِكَ أَلْفَصَلَ قَامَ الْإِمَامُ فِي الْمِحْرَابِ وَقَالَ بَعْدَ الصَّلَاةِ "نُثِبْتُ عَهْدَ «خِدْمَةِ النَّاسِ» فِي قُلُوبِنَا فَلَا نَدْعُهُ يَذْبُلُ وَلَا نَدْعُهُ يَنْقَطِعُ وَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَسْتَعْمِلَنَا فِي رِفْعَةِ الْخَلْقِ وَأَنْ يَسْتُرَ عَلَيْنَا الرِّيَاءَ وَيُرَبِّي فِيْنَا الْإِخْلَاصَ" ثُمَّ تَلَا

"﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾" (الْمَائِدَةُ 2)

"وَقَالَ «اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ مَغْلَقًا لِلشَّرِّ»".

هَكَذَا جَرَتْ الْأُسْبُوعَاتُ كَأَنَّهَا نَهْرٌ يُسْقِي وَادِيَّ الْحَيِّ فَتَنَبَّتُ ضِفَّتَاهُ

أَفْعَالًا صَغِيرَةً تُشَبِّهُ حَبَاتِ مَطَرٍ لَكِنَّهَا تُغَيِّرُ لَوْنَ التُّرَابِ وَنَبْضَ الْمَكَانِ وَكُلَّمَا قَرَأُوا «مُحَضَّرَ الْأَثَرِ» وَجَدُوا «عَدَدَ الْمُنتَفِعِينَ» يَرْتَفِعُ وَ«سَاعَاتِ التَّطَوُّعِ» تَزِيدُ فَيَعْلَمُونَ أَنَّ الْعَهْدَ قَدْ ثَبَتَ وَأَنَّ الْقَصْدَ قَدْ أَصَابَ وَأَنَّ الْقُلُوبَ قَدْ تَرَقَّتْ عَلَى سُلَّمٍ يَبْدَأُ بِ«نَبِيَّةٍ» وَيَمْتَدُّ إِلَى «نَفْعٍ» وَيَخْتِمُ بِ«شُكْرِ». وَمَا زَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى صَارَتْ «خِدْمَةُ النَّاسِ» مَزَاجًا لِلْيَوْمِ وَعَطْرًا فِي الْمَمَرِّ وَرِقَّةً فِي اللِّسَانِ وَعَدْلًا فِي الْمِيزَانِ وَحِينَ يَسْتَرِيحُونَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ يَسْمَعُونَ فِي قُلُوبِهِمْ صَدَى يَتَرَدَّدُ «وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» (حَدِيثٌ) «فَيَعْلَمُونَ أَنَّ الرَّفْقَ قَدْ نَزَلَ فِي دَارِهِمْ وَأَنَّ الْبَرَكَةَ قَدْ حَلَّتْ فِي أَيَّامِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ تَقَبَّلَ مَا قَدَّمُوا بِفَضْلِهِ وَمَنْهُ.

الدَّرْسُ الْعَاشِرُ: مَشْرُوعُ هُوِيَّةٍ لِلشَّبَابِ

انْفَتَحَ الصَّبَاحُ عَلَى الرُّوَّاقِ كَمَا يَنْفَتِحُ زَهْرُ الْبُسْتَانِ عِنْدَ أَوَّلِ شُعَاعٍ
فَوْقَ الشَّبَابِ فِي دَائِرَةٍ، وَوَقَفَ مَعَهُمُ الْإِمَامُ يُدَارِسُهُمْ وَجَهَ الْمَقْصِدَ وَيُقِيمُ لَهُمْ
مِيزَانَ الْعَمَلِ قَبْلَ أَنْ تَمْتَدَّ الْأَيْدِي إِلَى الصَّنْعِ، ثُمَّ رَفَعَ بَصَرَهُ وَقَالَ وَصَوْتُهُ يَحْمِلُ
بَرِيدَ الطَّمَأْنِينَةِ "نُرِيدُ لُوجُوهَكُمْ هُوِيَّةً تَنْبُتُ مِنْ جَذَعِ الْعِلْمِ وَتَتَفَرَّعُ فِي أَغْصَانِ
الْخُلُقِ وَتُثْمِرُ فِي حَقْلِ الْخِدْمَةِ، لَا لِزِينَةِ تَزْخَرُفُ الْعَيْنَ ثُمَّ تَضْمَحِلُّ، وَلَكِنْ
لِثُبُوتِ يُدَاوِمُ وَيَزِيدُ." ثُمَّ تَلَا وَعَلَى كَلِمَاتِهِ سَكِينَةٌ

"إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ" (الْكَهْف 13)

وَقَالَ "هَؤُلَاءِ قَدْ وَقَفُوا عَلَى بَابِ الْإِيمَانِ فَسَمَّاهُمْ اللَّهُ فِتْيَةً، وَالْفُتُوَّةَ عَهْدٌ
وَنُبُلٌ وَحَمْلُ رِسَالَةٍ، فَاتَّبِعُوا الْيَوْمَ عَهْدَكُمْ."

هَمَسَ فَتًى مِنْهُمْ وَفِي عَيْنَيْهِ بَشَائِرُ شَوْقٍ "كَيْفَ نَبْدَأُ يَا سَيِّدَنَا؟" فَقَالَ
الْإِمَامُ وَهُوَ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى صَفْحَةِ قِرْطَاسٍ خَفِيفٍ "نَبْدَأُ مِنْ هُنَا؛ مِنْ هَذَا
الْمَوْضِعِ الَّذِي يَنْبُتُ فِيهِ الصُّدُقُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»" (حَدِيثٌ) "فَنَحْضِرُ

أَلْقَصَدَ قَبْلَ الْإِظْهَارِ، وَنُخْفِي التَّسْمِيَةَ فِي صُدُورِنَا قَبْلَ أَنْ نَكْتُبَهَا عَلَى الْأَلْوَاحِ.
ثُمَّ نَتَعَارَفُ عَلَى مِيزَانٍ يَجْمَعُنَا لَا لِيُفَرِّقَنَا، وَنَزْفَعُ شِعَارًا يَشْهَدُ لَنَا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ
النَّاسِ. "ثُمَّ قَرَأَ

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
لِتَعَارَفُوا" (الْحُجُرَات 13)

وَقَالَ "فَتَعَارَفُوا تَعَاوُنًا وَتَتَكَافَلُوا تَعَارُفًا، لَا أَلْوَانًا تَتَنَازَعُ وَلَا أَصْوَاتًا
تَتَدَافِعُ."

فَامْ يَاسِرُ وَيَدِهِ قَلَمٌ فَصَبَّ "نُسَمِّي مَشْرُوعَنَا مَاذَا؟" فَأَبْتَسَمَ الْإِمَامُ وَقَالَ
"التَّسْمِيَةُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الصِّدْقِ، تُشْبِهُ الْبَذْرَةَ، إِنْ صَلَحَتْ ثَبَتَتْ، وَإِنْ
فَسَدَتْ جَفَّتْ. فَاسْتَحْضِرُوا هَذِهِ الصُّورَةَ" ثُمَّ تَلَا

"أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ
وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا" (إِبْرَاهِيم 24-25)

"فَلْيَكُنِ الْإِسْمُ «كَلِمَةً طَيِّبَةً» تُثْمِرُ فِي كُلِّ حِينٍ. "فَتَدَاوَلُوا الْأَسْمَاءَ كَمَا
يَتَدَاوَلُ الثُّحَاةُ وَجُوهَ الْإِعْرَابِ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ "نُسَمِّيهِ «غِرَاسُ الْهُيَوَّةِ»" وَقَالَ آخَرُ
"بَلْ «شَجَرَةُ الطَّيِّبِ»" وَقَالَتْ فَتَاةٌ "أَرَاهُ «عَهْدُ الْفُتُوَّةِ»" فَقَالَ الْإِمَامُ "تَسْتَوْعِبُهَا
«غِرَاسُ الْهُيَوَّةِ» فَفِيهَا أَصْلٌ وَفِيهَا نَمَاءٌ وَفِيهَا أَثَرٌ. "فَكَتَبُوا الْإِسْمَ فِي صَدْرِ

الْقِرْطَاسِ وَخَطُّهُ خَطًّا وَاضِحًا يَنْطِقُ بِالْقَصْدِ.

ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ "نَحْتَاجُ شِعَارًا يَسْتَخْلَصُ الْمَعْنَى فِي جُمْلَةٍ، يُثَبِّتُ الْأَصْلَ وَيَرْفَعُ الْفَرْعَ، وَلِيَكُنْ مِنْ آيَةٍ تُنَادِينَا كُلَّمَا ضَعِفَ الْعَزْمُ." فَأَشَارَتْ مَرِيَمُ "نَسْمِعُ الْقُلُوبَ قَوْلَ اللَّهِ

﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾" (إِبْرَاهِيم 24-25)

"فَيَكُونُ الشَّعَارُ «كَلِمَةً تُثْمِرُ وَعَمَلٌ يَثْبُتُ»" فَقَالَ الْإِمَامُ "نَعَمْ مَا أَفْتَرَحْتَ." ثُمَّ أَصَافَ "وَنَضَعُ تَحْتَ الشَّعَارِ ثَلَاثَ رُكْنَانٍ: عِلْمٌ يَصَحِّحُ وَخُلُقٌ يَزَكِّي وَخِدْمَةٌ تُنْفِقُ."

وَأَقْبَلُوا عَلَى «بِطَاقَةِ هُويَّةِ الْمَشْرُوعِ» يُقَيِّدُونَ فِيهَا الْعَهْدَ وَالْمِيزَانَ وَالصُّحْبَةَ وَالْأَثَرَ، فَرَسَمُوا فِي وَجْهِهَا الْأِسْمَ وَالشَّعَارَ، وَكُتِبَ فِي ذَيْلِهَا "مَقْصِدُنَا أَنْ نَبْنِيَ هُويَّةً رَاسِخَةً لِلشَّبَابِ عَلَى الْعِلْمِ وَالْخُلُقِ وَالْخِدْمَةِ، وَطَرِيقَنَا صُحْبَةً صَالِحَةً وَنِيَّةً صَافِيَةً وَثَبَاتٌ يَدُومُ." ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ "اُكْتُبُوا هُنَا مِيثَاقَ الصُّحْبَةِ فَإِنَّ «الْمَرْءَ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»" (حَدِيثٌ) "فَلَا تُشَيِّدُ هُويَّتَكُمْ يَمِينًا ثُمَّ تَهْدِمُهَا شِمَالًا." وَقَالَ "وَاكْتُبُوا هُنَا مِيزَانَ الْقَصْدِ فَإِنَّ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»" (حَدِيثٌ) "وَاكْتُبُوا هُنَا مِيزَانَ الثَّبَاتِ فَإِنَّ «أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»" (حَدِيثٌ). فَسَالَ الْحَبْرُ كَأَنَّهُ نَبْعٌ يَجْرِي فِي شِعَابِ

الْقِرْطَاسِ، وَالْقُلُوبُ تَسْتَخْضِرُ مَعَ كُلِّ سَطْرِ تَقْوَى الْعَهْدِ.

قَالَ فَتَى مِنْهُمْ "نَخْشَى أَنْ نُفْتَتَنَ بِصُورَةٍ تُعْجِبُ الْعُيُونَ ثُمَّ لَا نَجِدُ فِي الْحَقِيقَةِ مَا يُطَابِقُهَا." فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذِهِ مَزَلَّةٌ، فَاجْعَلُوا لِلظَّاهِرِ قَدْرَهُ وَلِلْبَاطِنِ رِعَايَتَهُ، وَتَذَكَّرُوا أَنَّ الْبِرَّ لَيْسَ شَكْلًا تَتَوَجَّهُونَ مَعَهُ ثُمَّ تَسْتَدِيرُونَ، وَلَكِنَّهُ حَقِيقَةٌ فِي الصَّدْرِ وَصَنِيعٌ فِي أَلْيَدٍ وَسُلُوكٌ فِي الطَّرِيقِ." ثُمَّ زَادَ يَثْبُتُ الْقُلُوبَ "«سَدِّدُوا وَقَارِبُوا»" (حَدِيثٌ) "فَالطَّرِيقُ طَوِيلٌ وَالْدَّرَجَاتُ تَقْطَعُ خُطًى." وَقَالَ "إِذَا عَزَمْتُمْ فَلَا تَنْسُوا قَاعِدَةَ الْعَافِيَةِ: «أَحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَأَسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ»" (حَدِيثٌ).

ثُمَّ قَالَ "نُقِيمُ لـ«يَوْمِ الْإِطْلَاقِ» شَهَادَتَيْنِ: شَهَادَةٌ عِنْدَ اللَّهِ فِي السِّرِّ، وَشَهَادَةٌ عِنْدَ النَّاسِ فِي الْعَلَنِ، لِيَرَوْا مَشْرُوعًا يَخْدِمُ وَلَيْسَ يَسْتَعْرِضُ." فَاتَّفَقُوا عَلَى الْمَكَانِ: رِوَاقُ الْمَسْجِدِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَعَلَى الزَّمَانِ: أَوَّلُ جُمُعَةٍ مِنَ الشَّهْرِ، وَعَلَى الْعَمَلِ: قِرَاءَةُ آيَاتٍ، وَعَهْدٌ يُتْلَى، وَعَرْضُ «وَرَقَةٍ مُوجَزَةٍ» تَضُمُّ الْأِسْمَ وَالشَّعَارَ وَعُهُودَ الثَّلَاثَةِ.

وَحِينَ جَاءَ الْمِيعَادُ أُمْتَلَأَ الرِّوَاقُ وَجَلَسَ الْأَهْلُ وَالْجِيرَانُ، فَقَامَ الْإِمَامُ وَتَلَا

"إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ" (الْكَهْفُ 13)

ثُمَّ قَالَ "هَؤُلَاءِ أَبْنَاؤُكُمْ، وَمَشَرُوعُهُمْ «غِرَاسُ الْهُوِّيَّةِ»، لَا يَبْتَغُونَ سِوَى اللَّهِ، وَلَا يَطْلُبُونَ إِلَّا أَنْ يُفِيدُوا." ثُمَّ قَرَأَ

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا" (الْحُجُرَات 13)

وَقَالَ "نُعَلِنُ التَّعَارُفَ عَلَى الْمَعْرُوفِ، وَتَتَدَفَّعُ عَنِ الْمُنْكَرِ بِالْحُجَّةِ وَالرَّفْقِ." ثُمَّ قَرَأَ

"كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ" (إِبْرَاهِيم 24-25)

"لَيْسَتْ حُضِرَ الْقَوْمِ مِثَالُ النَّمَاءِ الْمُتَّصِلِ." ثُمَّ رَفَعَ الصَّحِيفَةَ فِيهَا «بِطَاقَةُ الْهُوِّيَّةِ» وَقُلُوبُ الشَّبَابِ تَخْفِقُ كَأَنَّهَا جَنَاحَانِ.

وَقَدْ سَطَّرَ فِي الصَّحِيفَةِ أَنَّ لِلْمَشْرُوعِ «أَثَرًا أُسْبُوعِيًّا» يُنْفَذُ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، وَأَنَّ لِكُلِّ أَثَرٍ «تَفْرِيرًا قَصِيرًا» يُرْفَعُ فِي آخِرِ الْأُسْبُوعِ، يُكْتَبُ فِيهِ مَا فُعِلَ وَمَنْ اسْتَفَادَ وَمَاذَا تَعَلَّمُوا؛ لِيَسْتَمِرَّ الْقَطْرُ وَلَا يَنْقَطِعَ السَّيْلُ. ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ "نَقِيسُ الْأَثَبَاتِ بِمِيزَانٍ مُبَسِّطٍ: أَنْ يَسْتَمِرَّ الْفَرِيقُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ بِلَا انْقِطَاعٍ، فَمَنْ ثَبَتَ فِي الثَّلَاثَةِ سَهْلَ عَلَيْهِ مَا بَعْدَهَا." ثُمَّ أَطْلَقُوا الْعَمَلَ بِدُعَاءٍ "اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا وَزِدْنَا عِلْمًا" ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى الْحَيَاةِ وَفِي قُلُوبِهِمْ مِيزَانٌ يَهْدِي.

فِي الْأُسْبُوعِ الْأَوَّلِ اخْتَارُوا أَثَرًا يَجْمَعُ بَيْنَ التَّعَلُّمِ وَالْخِدْمَةِ؛ أَنْ يُعِدُّوا

«جَلْسَةَ قِرَاءَةِ مُوجَّهَةٍ» لِصِبْيَانِ الْحَيِّ فِي الرُّوَاقِ، فَيَقْرَءُونَ قِصَّةً صَالِحَةً، ثُمَّ يُحَرِّرُونَ سُؤَالَ عَنِ الْعِبْرَةِ، ثُمَّ يَقْدِمُونَ لَهُمْ لُقَيْمَاتٍ. وَحِينَ فَرَعُوا كَتَبُوا فِي «تَقْرِيرِهِمُ الْقَصِيرِ»: مَاذَا قَرَأُوا، وَكَمْ طِفْلاً حَضَرَ، وَمَاذَا ظَهَرَ فِي الْعُيُونِ مِنْ نُورٍ. وَفِي الْأُسْبُوعِ الثَّانِي أَنْتَقَلُوا إِلَى «تَنْظِيمِ طَرِيقِ الْمَسْجِدِ»، فَنَظَّمُوا الْأَحْذِيَّةَ وَاسْتَقْبَلُوا الْمُصَلِّينَ بِالْإِبْتِسَامَةِ، وَفِي الثَّلَاثِ زَارُوا أُسْرَةً مُحْتَاجَةً فَقَدَّمُوا مَا تيسَّرَ، وَهَكَذَا جَرَى الْمِيزَانُ.

وَكَانَ لِلصُّحْبَةِ أَثَرُهَا الْبَيِّنُ؛ فَإِذَا غَابَ أَحَدُهُمْ فِي عُذْرٍ، ذَكَرَهُ صَاحِبُهُ، وَإِذَا فُتِرَ قَلْبٌ، أَوْقَدَهُ آخَرٌ بِكَلِمَةٍ رَفِيقَةٍ، وَإِذَا جَنَحَتْ نَفْسٌ إِلَى زِينَةِ الصُّورِ رَجَعَتْ إِلَى الْمِيزَانِ. وَقَدْ نَبَّهَهُمُ الْإِمَامُ "إِيَّاكُمْ وَرِقَّةٌ تُعْجِبُكُمْ فَتَحْمِلُكُمْ عَلَى الْمُبَاهَاةِ؛ فَإِنَّ «مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهَ بِهِ»" (حَدِيثٌ) "وَإِنَّ الْخَيْرَ إِذَا اسْتَتَرَ أَثَمَرٌ، وَإِذَا أَحْضَرْتُمْ الذِّكْرَ فَلَيْكُنْ لِلتَّقْوِيمِ لَا لِلتَّفَاخُرِ". ثُمَّ أَوْصَاهُمْ "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا" (حَدِيثٌ) "فَاجْعَلُوا أَكْفَكُمْ شُرَفَاتٍ لِقُلُوبِكُمْ".

وَفِي الْأُسْبُوعِ الرَّابِعِ أَفْتَرَحَتْ فِتْنَةٌ أَنْ يُعَذُّوا «مَحْضَرَ قِيمٍ مُصَغَّرًا» فِي الْأَصْفِ يُذَكِّرُ بِالْعِلْمِ وَالْخُلُقِ وَالْخِدْمَةِ، فَاسْتَحْسَنُوا وَسَارُوا. وَفِي الْخَامِسِ اخْتَصُّوا وَقْتًا لـ«تَعَاهُدِ الْأَذْكَارِ» قَبْلَ الْبَدءِ، لِيَكُونَ الْعَمَلُ عَلَى نَفْسٍ مُطْمَئِنَّةٍ. ثُمَّ عَادُوا فِي الْأَسَابِيعِ إِلَى خِدْمَةِ تَعْيِيرٍ وَقَعَ الْحَيُّ وَلَوْ فِي صَغِيرٍ؛ يُصَلِّحُونَ مَقْعَدًا، يَطْرِزُونَ كِتَابًا لِطِفْلِ، يَزُورُونَ مَرِيضًا، يُسَجِّلُونَ الْأَثَرَ فِي «تَقَارِيرِ قَصِيرَةٍ» تَشْهَدُ

بِالتَّغْيِيرِ.

وَتَعَاهَدُوا أَيْضًا أَنْ لَا يَنْقَطِعُوا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ، فَوَضَعُوا لِكُلِّ شَهْرٍ جَمَالَتهُ
وَاحْتِمَالَهُ. فَفِي الشَّهْرِ الْأَوَّلِ رَسَخُوا الْعَادَةَ وَفِي الثَّانِي قَوَّوْا الصُّحْبَةَ، وَفِي الثَّلَاثِ
رَاجَعُوا الْأَثَرَ وَتَطَوَّيَرَهُ. وَإِذَا جَاءَتْ مَعْتَرِضَاتٌ، عَالَجَهَا الْإِمَامُ بِمِيزَانٍ؛
فَالْمُنْجَذِبُ إِلَى الصُّورَةِ يُرَدُّ إِلَى الْقَصْدِ، وَالْمُتَقَلِّبُ فِي الْإِلْتِزَامِ يُثَبَّتُ بِقَاعِدَةٍ
«أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا» (حَدِيثٌ) «وَالْمُتَعَجِّلُ يُسَدِّدُ بِ«سَدِّدُوا
وَقَارِبُوا» (حَدِيثٌ).

وَفِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الْمَطَرِ تَزَاوَحَتِ الْمَصَالِحُ عَلَى بَعْضِ الشَّبَابِ فَخَافُوا
أَنْ يَتَخَلَّفُوا، فَقَالَ الْإِمَامُ «اقتَسِمُوا وَاسْتَعِينُوا وَاجْعَلُوا نَفْسَكُمْ حَلَقَةً لَا تَنْفَصِمُ،
فَ«اللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» (حَدِيثٌ) «وَحِينَ يَعْظُمُ
اللزَّامُ اسْتَحْضِرُوا «إِحْرَصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ» (حَدِيثٌ). فَأَثْمَرَتِ الصُّحْبَةُ تَدَاْفَعًا
عَلَى الْخَيْرِ، فَإِذَا غَابَ فَتَى قَامَ مَكَانَهُ آخَرُ، وَإِذَا ضَعُفَتْ يَدٌ سَدَّنَهَا أُخْرَى.

وَأَمَّا مَقَاصِدُهُمْ فَقَدْ حَفِظُوهَا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ؛ فَلَا يُقْبَلُ فِي «غِرَاسِ الْهُوِّيَّةِ»
صَنِيعٌ لَا يُصَحِّحُهُ الْعِلْمُ، وَلَا خُلُقٌ لَا يُزَكِّيهِ الْإِفْتِدَاءُ، وَلَا خِدْمَةٌ لَا تُنْتِجُ نَفْعًا
مُحَقَّقًا. وَكُلَّمَا هَمُّوا أَنْ يُقِيمُوا صُورَةً بِلَا لُبٍّ ذَكَرَهُمُ الْإِمَامُ «الْهُوِّيَّةُ تَشْرَبُ مِنْ
جَذْرِ، فَإِنْ قُطِعَ الْجَذْرُ جَفَّ الْعُودُ وَانْكَسَرَ الْفَرْعُ، فَاسْتَمْسِكُوا بِالْأَصْلِ. ثُمَّ تَلَا
عَلَيْهِمْ

"كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ" (إِبْرَاهِيم 24-25)

"فَيَعُودُ الْقَلْبُ إِلَى مِثَالِهِ الْمُنِيرِ."

وَلَمَّا تَمَّ الشَّهْرُ الْأَوَّلُ جَلَسُوا فِي الرَّوَاقِ يُرَاجِعُونَ «تَقَارِيرَهُمُ الْقَصِيرَةَ»،
فَوَجَدُوا فِي كُلِّ وَرَقَةٍ سَطْرًا عَنْ عِلْمٍ، وَسَطْرًا عَنْ خُلُقٍ، وَسَطْرًا عَنْ خِدْمَةٍ،
وَسَطْرًا عَنْ دُعَاءٍ. فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا ثَمَرٌ بَادِيٌّ يُبَشِّرُ بِحَصَادٍ، وَالْبِدَايَةُ إِذَا
صَلَحَتْ هَانَتْ أَلْغَايَةُ." ثُمَّ قَالَ "نَمْضِي إِلَى الشَّهْرِ الثَّانِي عَلَى نَفْسِ الْعَهْدِ."

فِي الثَّانِي قَوَّوْا الصُّحْبَةَ، فَأَقَامُوا لِأَنْفُسِهِمْ «مَجْلِسَ مُوَاخَاةٍ» يَتَفَقَّدُونَ فِيهِ
أَحْوَالَهُمْ، وَيُصَلِّحُونَ مَا ظَهَرَ مِنْ تَقَلُّبٍ، وَيَدْعُونَ لِمَنْ غَابَ بِعُذْرٍ. وَفِي الثَّلَاثِ
زَادُوا فِي «وَرَقَةِ التَّقْرِيرِ» سَطْرًا يُسَمَّى «التَّقْوِيمُ الدَّاخِلِيُّ»: مَاذَا نُصِيبُ مِنْ
الثَّبَاتِ؟ مَا الْعَقَبَةُ الَّتِي تُزْلِفُ؟ مَا الْأَدَاةُ الَّتِي تُصَلِّحُهَا؟ فَتَصَاعَدَتِ أَلْهَمُ عَلَى
سُلَّمٍ يَبْدَأُ بِمَعْرِفَةِ النَّفْسِ.

وَعِنْدَ آخِرِ الثَّلَاثَةِ اجْتَمَعُوا لِ«مُحَضَّرِ الْأَثَرِ»، فَقَرَأُوا بِعُيُونٍ تَلْمَعُ: مَا تَرَكَوا
أُسْبُوعًا بغيرِ أَثَرٍ، وَأَنَّ أَلُجُوهَ قَدْ أَلْفَتِ الْخِدْمَةَ، وَأَنَّ الْأَلْسِنَةَ قَدْ لَانَتْ، وَأَنَّ
الْقُلُوبَ قَدْ ثَبَتَتْ. فَقَالَ الْإِمَامُ "هَذَا شَاهِدُ الثَّبَاتِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَلَّغَنَا
الْمُرَادَ." ثُمَّ قَرَأَ

"إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ" (الْكَهْف 13)

"وَأَنْتُمْ الْيَوْمَ تَكْتُبُونَ سِفْرًا يُشَبِّهُ سِفْرَهُمْ."

وَفِي خِلَالِ هَذِهِ الْأَشْهُرِ نَشَأَتْ مَشَاهِدُ تَرْسُمُ الْمَعَانِي عَلَى الْوَاقِعِ؛
فَمِنْهَا مَشْهَدُ «صُحْبَةِ صَالِحَةٍ» تَحُوطُ فَتَى بَيْدَيْنِ مِنْ رَحْمَةٍ لَا تُفْلِتَانِهِ، وَمِنْهَا
مَشْهَدُ «قَصْدِ صَافٍ» يُصَحِّحُ اتِّجَاهَ الْأَقْدَمِ إِذَا انْحَرَفَتْ، وَمِنْهَا مَشْهَدُ «ثَبَاتِ
مُتَدَاوِعٍ» يَصْنَعُ مِنَ الْأُسْبُوعِ دَرْبًا مُعَبَّدًا. وَكَانَ مِنْ أَثَرِ ذَلِكَ أَنْ قَلَّتِ التَّوَثُّرَاتُ فِي
الْجَبْرِ، وَزَادَ السَّلَامُ، وَغَدَتْ الْخِدْمَةُ سَجِيَّةً.

وَإِنْ عَرَضَ مُعْتَرِضٌ يُرِيدُ أَنْ يَسْحَبَ الْمَشْرُوعَ إِلَى «صُورَةٍ بِلَا لُبٍّ»،
ذَكَرُوهُ بِ"إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ
وَأَعْمَالِكُمْ" (حَدِيثٌ) فَيَرْجِعُ إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ. وَإِنْ دَخَلَ فِي قَلْبِ أَحَدِهِمْ
تَفَاخُرٌ قُلْنَا "تَسْتَرُّوْا فَإِنَّ الْخَيْرَ إِذَا اسْتَتَرَ أَثْمَرٌ"، ثُمَّ نَسْتَحْضِرُ "مَنْ سَنَّ فِي
الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا" (حَدِيثٌ) لِيَعْلَمُوا أَنَّ
التَّشَجُّيعَ سُنَّةٌ وَالرِّيَاءُ آفَةٌ.

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ «غِرَاسُ الْهُوِّيَّةِ» فِي الْأَرْضِ وَارْتَفَعَ فَرْعُهُ، عَزَمُوا عَلَى «يَوْمِ
مُرَاجَعَةٍ كَبِيرٍ» فِي آخِرِ الثَّلَاثَةِ، فَاجْتَمَعُوا فِي الرِّوَاقِ وَعَرَضُوا صُورَ الْأَسَابِيعِ عَلَى
«لَوْحٍ» وَقَرَأُوا مِنْ كُلِّ «تَقْرِيرٍ قَصِيرٍ» جُمْلَةً تُلَخِّصُ الْأَثَرَ، ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ "هَلْ تَرَوْنَ
أَنَّ الْهُوِّيَّةَ صَارَتْ سَجِيَّةً؟" فَقَالُوا "نَرَاهَا فِي الْأَلْسِنَةِ تَلِينُ، وَفِي الْأَقْدَامِ تَسْعَى،
وَفِي الْعُيُونِ تُبْصِرُ مَوَاطِنَ النَّفْعِ". فَقَالَ "الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَمْضِي إِلَى الْفَصْلِ التَّالِيِ

وَنَحْمِلُ مَعَنَا هَذَا الْإِمِيزَانَ." ثُمَّ تَلَا

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا" (الْحُجُرَات 13) "لِيُجَدِّدَ الدَّعْوَةَ إِلَى التَّعَاوُنِ."

وَقَبْلَ أَنْ يَنْفَضَّ الْمَجْلِسُ قَالَ الْإِمَامُ "هَلُمُّوا نُشِيتِ الْعُهُودَ فِي صَدْرِ الصَّحِيفَةِ: لَا صُحْبَةَ إِلَّا عَلَى خَيْرٍ، وَلَا قَصْدَ إِلَّا لِلَّهِ، وَلَا ثَبَاتَ إِلَّا عَلَى الطَّاعَةِ." ثُمَّ دَعَا "اللَّهُمَّ اثْبِتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ، وَاجْعَلْ هُوَيْنَتَنَا فِي طَاعَتِكَ، وَاثْرَنَا فِي خِدْمَةِ عِبَادِكَ." وَقَامُوا يَتَنَفَّسُونَ نَفْسًا طَوِيلًا كَأَنَّهُ بَدَأَ رَكْضَةً جَدِيدَةً.

وَإِذَا رَأَيْتَ بَعْدَ ذَلِكَ أَحَدَهُمْ فِي الشُّوقِ يَتَلَطَّفُ فِي بَيْعِهِ، فَأَعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ «غِرَاسِ الْهُوِّيَّةِ»، وَإِذَا سَمِعْتَ آخَرَ فِي الصَّفِّ يُصْلِحُ نَزَاعًا فِي «صُحْبَةٍ» تَثَبَّتْ، وَإِذَا شَاهَدْتَ شَابًّا يَحْمِلُ مَاءً لِمَارٍّ أَوْ يَرْفَعُ أَذَى عَنِ الطَّرِيقِ فَذَلِكَ «أَثَرُ أُسْبُوعِي» كَتَبُوهُ ثُمَّ صَارَ عَادَةً. وَفِي كُلِّ ذَلِكَ يَسْتَحْضِرُونَ

"كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ" (إِبْرَاهِيم 24-25)

"وَيَسْتَمِعُونَ فِي قُلُوبِهِمْ هَمْسَ الْآيَةِ الْأُولَى

"إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ" (الْكَهْف 13)

"فَيَزِدُّونَ إِيمَانًا وَثَبَاتًا، وَيُجَدِّدُونَ التَّعَارُفَ عَلَى الْمَعْرُوفِ

"﴿لِتَعَارَفُوا﴾" (الْحُجُرَات 13).

وَقَدْ مَرَّتِ الْأَيَّامُ وَأَسْتَدَارَتْ، فَلَمْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ أَثَرٍ، وَلَمْ تَسْقُطْ لَهُمْ «وَرَقَّةٌ مُوجِزَةٌ»، فَتَبَتِ الْمُؤَشِّرُ الْمَوْعُودُ: «أَسْتَمِرَّارٌ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ بِلَا انْقِطَاعٍ»؛ فَأَبْتَهَجَ الرِّوَاقُ بِهِمْ، وَأَزْدَانِ الْمَمَرُ يُوجِّهُهُمُ الْمُتَبَسِّمَةُ، وَكُتِبَ فِي صَدْرِ الصَّحِيفَةِ "بِفَضْلِ اللَّهِ تَمَّ الْعَهْدُ، وَأَسْتَقَرَّ الْغِرَاسُ." ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ "نَمْضِي إِلَى مَوْعِدٍ جَدِيدٍ، فَالْهُوِيَّةُ لَا تَقْفُ وَالثَّبَاتُ لَا يَسْنَأُ."

وَفِي الْخِتَامِ وَقَدْ تَمَّ الْمَجْلِسُ وَأَذَّنَ الْمَغْرِبُ، قَامَ الْإِمَامُ فِي الْمِحْرَابِ وَتَلَا

"﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾" (الْكَهْف 13)

ثُمَّ قَالَ "اللَّهُمَّ اجْعَلْ «غِرَاسَ الْهُوِيَّةِ» شَجَرَةً طَيِّبَةً لَا تَزَالُ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ" ثُمَّ قَرَأَ

"﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾" (إِبْرَاهِيم 24-25)

"وَأَجْمَعْنَا عَلَى التَّعَارُفِ عَلَى الْمَعْرُوفِ

"﴿لِتَعَارَفُوا﴾" (الْحُجُرَات 13)

"وَأَجْعَلْنَا مِمَّنْ «أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَيْكَ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»" (حَدِيثٌ)،

"وَأَخْتِمْنَا لَنَا بِحُسْنَى". فَأَمَّنُوا وَفِي قُلُوبِهِمْ صَوْتُ الْمِيزَانِ يَدُقُّ دَقًّا لَطِيفًا: صُحْبَةً، وَقَصْدًا، وَثَبَاتًا؛ ثَلَاثَةً إِذَا اسْتَقَامَتْ قَامَتِ الْهُوِيَّةُ عَلَى سَوَاءٍ وَأَثْمَرَتْ خَيْرًا يَسْتَمِرُّ.

الدَّرْسُ الْحَادِي عَشَرَ: مَصْفُوفَةُ الْأَثَرِ

انْفَلَقَ الصَّبَاحُ عَنِ الرِّوَاقِ كَمَا يَنْفَلِقُ الضِّيَاءُ عَنِ الْعَتَمَةِ فَتَدَثَّرَ الْمَكَانُ
بِسَكِينَةٍ نَدِيَّةٍ وَأَنْسَابَتِ الْخُطَى نَحْوَ الْإِمَامِ الْمُتَرَبِّي بَيْنَ مَصَاحِفَ وَالْوَاحِ وَكَفَاتِرَ
مَكْتُوبَةٍ بِخُطُوطِ صُبُورَةٍ، وَحَوْلَهُ شَبَابٌ وَأَبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ وَصَبِيَّةٌ يُنْصِتُونَ إِلَى نَبْرَةٍ
تُشْبِهُ الْوَعْدَ وَالْعَهْدَ مَعًا. رَفَعَ الْإِمَامُ كَفَّهُ وَقَالَ وَهُوَ يَتْلُو تِلَاوَةً مَنِ اسْتَحْضَرَ
الْمِيزَانَ قَبْلَ الْكَلَامِ

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الْحَشْرِ 18)

فَلْتَنْظُرِ النَّفْسُ نَظَرَ الْمُحَاسِبِ الْعَادِلِ لَا نَظَرَ الْمُعْجَبِ الْمُسْتَعْجِلِ، ثُمَّ
تَلَا

﴿أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النَّجْم 39)

فَمَا يَسْتَقِرُّ فِي صَحِيفَتِنَا هُوَ السَّعْيُ الصَّادِقُ الَّذِي تَحْمِلُهُ الْقَدَمُ وَيُصَدِّقُهُ
الْقَلْبُ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِإِشْرَاقِ تَسْوِيقِ الْهُمُومِ نَحْوَ الرَّجَاءِ

﴿فَلَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الْكَهْف 30).

وَسَكَتَ سُكُوتَ مَنْ يَفْتَحُ لِلْقُلُوبِ مَجَالًا ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ لَهُ سَطَوَةٌ الْحَقِّ وَلَيْنِ النَّصِيحِ «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ» (حَدِيثٌ) فَنَرِيدُ الْيَوْمَ «مُصْفُوفَةَ أَثَرٍ» تَدِينُ فِيهَا النُّفُوسُ نَفْسَهَا وَتَعْرِضُ سَعِيَهَا عَلَى مِيزَانٍ يَجْمَعُ الْعَدْلَ وَالرَّحْمَةَ.

إِلْتَمَعَتِ أَعْيُنُ الْحَاضِرِينَ وَقَدْ بَانَ فِي الْهَوَاءِ شَيْءٌ مِنْ شَوْقِ الْإِبْتِدَاءِ، فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَرْسُمُ عَلَى لَوْحٍ كَبِيرٍ أَرْبَعَ خُطُوطٍ تَلْتَقِي وَتَتَفَرَّقُ «نُقِيمٌ لِأَثَرِنَا أَرْبَعَةُ الْأَرْكَانِ: عِبَادَةُ تَقِيْمُ الصَّلَاةِ وَعِلْمٌ يَصْحَحُ الطَّرِيقَ وَأَخْلَاقٌ تُزَكِّي الْقُلُوبَ وَخِدْمَةٌ تُنْفِقُ فِي النَّاسِ، ثُمَّ نَجْعَلُ لِكُلِّ رُكْنٍ مَعْلَمًا يَسْهُلُ قِيَاسُهُ وَقِصَّةٌ تَشْهَدُ لَهُ، فَجَمَعُ بَيْنَ الرِّقْمِ الْمُنْضَبِطِ وَالْحِكَايَةِ الْمُنِيرَةِ لِئَلَّا نَقَعَ فِي «قِيَاسٍ شَكْلِيٍّ» يَتَغَافَلُ عَنْ حَيَاةِ الْقُلُوبِ». وَأَشَارَ إِلَى سَطْرِ كَتَبَهُ عَلَى الطَّرَفِ «نُوزِنُ بِالْمُرَاجَعَةِ وَنَنْظُرُ إِلَى أَلْمَالِ وَنَلْزِمُ الْعَدْلَ»، ثُمَّ قَالَ «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ» (حَدِيثٌ) فَالْإِحْسَانُ مَعْيَارٌ فِي الْفِعْلِ وَفِي الْقِيَاسِ جَمِيعًا.

تَقَدَّمَ يَاسِرٌ وَفِي يَدِهِ قَلَمٌ قَصَبٍ وَقَالَ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْأَرْكَانِ الْأَرْبَعَةِ «كَيْفَ نَضْعُ الْمَعَالِمَ يَا سَيِّدَنَا؟» فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي فَمِهِ حِلْمٌ مُرَبٍّ «تُرْتَّبُ مَعَالِمُ الْعِبَادَةِ عَلَى مَا يُصْلِحُ الصَّلَاةَ: صَلَاةُ جَمَاعَةٍ تُثَبَّتُ سَاعَةً مَعْلُومَةً، وَوَرْدُ قُرْآنٍ يَثْبُتُ عَلَى قَدَرٍ مُيَسَّرٍ، وَدُعَاءٌ مَأْثُورٌ يَحْفَظُ الصَّدْرَ مِنَ الْخَوْفِ وَالْعُجْبِ. وَنَجْعَلُ

لِلْعِلْمِ مَعَالِمٌ تُدَوِّنُ مَا قُرِئَ وَمَا فُهِمَ وَمَا عُمِلَ، وَلِلْأَخْلَاقِ مَعَالِمٌ تَرْصُدُ سَكِينَةَ
اللِّسَانِ وَحِلْمَ الْقَلْبِ وَبَذْلَ الْعُذْرِ، وَلِلْخِدْمَةِ مَعَالِمٌ تُحْصِي الْمُتَنْفِعِينَ وَتُثَبِّتُ
الْقَصَصَ الْوَاقِعَةَ. ثُمَّ قَالَ وَهُوَ يَنْقُشُ فِي رَأْسِ اللَّوْحِ «نَكْتُبُ فَوْقَ الْكُلِّ قَوْلَ اللَّهِ

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الْحَشَر 18)

لِتَصِيرَ الْجُلُوسَةُ نَفْسِيَّةً بَيْنَ الدَّاخِلِ وَرَبِّهِ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ مُجَرَّدَ أَرْقَامٍ عَلَى
وَرَقٍ.

اَلْتَفَّ الشَّبَابُ حَلَقَةً وَأَمَامَهُمْ «مُصْفُوفَةٌ» مَرْسُومَةٌ كَالْبُسْتَانِ لَهُ أَرْبَعُ عَائِيَةٍ
تَسْقِي كُلَّ جِهَةٍ، فَقَالَ الْإِمَامُ «نَبْدَأُ بِالْعِبَادَةِ، فَمَنْ يَزِيهِ لَنَا قِصَّةٌ "جُمُعَةٍ" تَبَدَّلَ
فِيهَا الْغَفْلُ خُضُورًا؟» فَرَفَعَتْ مَرِيَمُ يَدَهَا وَقَالَتْ وَفِي عَيْنَيْهَا حَيَاءُ الْقَصِصِ
«خَرَجْتُ مَعَ أُمِّي قَبْلَ الْأَذَانِ فَجَلَسْنَا فِي الرِّوَاقِ وَقَرَأْنَا سُورًا قَصِيرَةً ثُمَّ دَخَلْنَا
الصَّلَاةَ وَقَدْ سَكَنَ الصَّدْرُ، فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ ثَبَتَ لِي «وَرْدٌ» لَا أَتْرُكُهُ، فَأَشَارَ
الْإِمَامُ أَنْ «تُكْتَبَ هَذِهِ الْقِصَّةُ» فِي خَانَةِ الْعِبَادَةِ مَعَ رَقْمٍ يُسَنِّدُهَا: «أَرْبَعُ جُمُعٍ
عَلَى التَّوَاتُرِ» ثُمَّ قَالَ «هَكَذَا نَجْمَعُ الرِّقَمَ وَالْحِكَايَةَ، فَلَا يُغَادِرُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ». وَفِي صَوْتِهِ بَشَاشَةٌ مَنْ يَرَى الثَّمَرَ وَهُوَ يَكْبُرُ.

ثُمَّ قَالَ «وَالآنَ نَمْضِي إِلَى الْعِلْمِ»، فَقَامَ زَيْدٌ وَفِي وَجْهِهِ أَثَرُ زَمَنِ قَرِيبٍ
«أَتَمَمْتُ قِرَاءَةَ كُرَّاسَةٍ فِي أدَبِ الْحَوَارِ وَكَتَبْتُ تَطْبِيقًا عَلَيْهَا فِي مُنَاقَشَةِ صَفِيَّةٍ،

فَنَفَعَنِي ذَلِكَ أَنْ أَقُولَ لِرَمِيلِي "أَبْصِرْنِي وَأَنَا أَبْصِرُكَ" فَأَبْتَسَمَ الْإِمَامُ وَقَالَ «نُثِبْتُ هَذِهِ الْفَائِدَةُ وَنَسْنِدُهَا بِرَقْمٍ: «ثَلَاثُ سَاعَاتٍ قِرَاءَةً وَتَطْبِيقًا وَاحِدًا مُوثَقًا»، لِيَكُونَ الْأَثَرُ عَلَى قَدَمَيْنِ». ثُمَّ تَلَا

﴿أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (التَّجْم 39)

لِيُثَبِّتَ الْقُلُوبَ عَلَى الْقَاعِدَةِ.

وَحِينَ جَاءَ دَوْرُ الْأَخْلَاقِ أَشَارَ الْإِمَامُ إِلَى مَكَانٍ فَارِغٍ فِي الْمِصْفُوفَةِ وَقَالَ «أَيْنَ قِصَّةُ قَوْلِ لَيْنٍ أَطْفَاءً جَذْوَةَ الْخِلَافِ؟» فَقَالَ الْفَتَى أَنَسُ «إِخْتَلَفْتُ مَعَ زَمِيلِي فِي الْصَفِّ فَقُلْتُ لَهُ قَوْلًا هَادِيًا وَأَحْلَنَّا الْقَضِيَّةَ إِلَى الْمُعَلِّمِ فَسَكَنَ الْجِدَالَ»، فَقَالَ الْإِمَامُ «هَذَا مِنْ "سَدِيدِ الْقَوْلِ"، نُثِبْتُهِ مَعَ رَقْمٍ: «خُصُومَةٌ وَاحِدَةٌ أَطْفِئَتْ فِي دَقَائِقٍ» ثُمَّ أَضَافَ بِصَوْتٍ يَنْبُضُ بِالتَّوْجِيهِ «نَسْتُحْضِرُ هُنَا أَنَّ «أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» (حَدِيثٌ) فَندُومُ عَلَى «قَوْلِ لَيْنٍ» وَلَوْ فِي صَغِيرٍ.

وَأَمَّا رُكْنُ الْخِدْمَةِ فَقَدْ فَاضَتْ فِيهِ الْحِكَايَاتُ، فَقَالَتْ الْأُمُّ «أَعَدَدْنَا مَعَ الْجَارَاتِ مَائِدَةً لِثَلَاثِ أُسَرٍ وَقَدْ حَضَرَ صَبِيٌّ فِي عَيْنَيْهِ طَلٌّ مِنْ بُكَاءٍ فَمَسَحْنَا عَلَى قَلْبِهِ قِرَاءَةً وَرَفَقًا» فَقَالَ الْإِمَامُ «نُثِبْتُ هَذَا فِي الْخِدْمَةِ مَعَ رَقْمٍ يَدْعُمُهُ: «ثَلَاثُ أُسَرٍ مُنْتَفِعَةٌ وَأَرْبَعُ سَاعَاتٍ بَدَلًا» ثُمَّ قَالَ «خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمُ لِلنَّاسِ» (حَدِيثٌ) لِيَكُونَ الْمِيزَانُ مُنْصَرِفًا إِلَى النِّفْعِ لَا إِلَى الصُّورَةِ.

وَبَيْنَمَا الْأَقْلَامُ تَنْسَابُ عَلَى الْأَوْرَاقِ كَالْمَوْجِ فِي خَلِيجٍ هَادِيٍّ قَالَ الْإِمَامُ
بِحَزْمٍ رَفِيقٍ «نَحْذَرُ مِنْ آفَتَيْنِ: «قِيَاسِ شَكْلِي» تَعْتَمِدُ فِيهِ الْأَرْقَامُ دُونَ رُوحِ،
وَإِهْمَالِ الْقِصَصِ النَّوْعِيَّةِ» تَذْهَبُ فِيهَا الْعِبَرَةُ. لِذَلِكَ نُنْثِبُ كُلَّ شَهْرٍ «قِصَّةَ أَثَرٍ
وَاحِدَةٍ» مَعَ «رَقْمٍ دَائِمٍ» لِتَكُونَ الصُّورَةُ بَيِّنَةً وَالْمَعْنَى مَشْهُودًا. ثُمَّ قَرَأَ تَقْرِيْبًا
لِلْقُلُوبِ

﴿فَلَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الْكَهْف 30)

لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ خَفِيَ الْخَيْرِ وَلَا يَنْسَى دَمْعَةً مُخْلِصٍ.

وَأَقَامُوا «جَلْسَةً شَهْرِيَّةً» يَجْتَمِعُ فِيهَا الْبَيْتُ وَمَنْ شَاءَ مِنْ جِيرَانٍ وَزُمَلَاءَ،
فَتُعْرَضُ الْمِصْصُوفَةُ عَلَى لَوْحٍ عَرِيضٍ وَيُقْرَأُ فِي أَوَّلِهَا قَوْلُ اللَّهِ

﴿وَلَنَنْظُرَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِإِعْدٍ﴾ (الْحَشْرِ 18)

ثُمَّ تُتْلَى «قِصَّةُ الشَّهْرِ» وَيُنْثَبُ «رَقْمٌ دَائِمٌ»، ثُمَّ تُشَارُ الْأَصَابِعُ إِلَى
«مَوَاطِنِ التَّقْوِيمِ» لِتُعَالَجَ قَبْلَ أَنْ تَسْتَفْحَلَ. وَفِي آخِرِ الْجَلْسَةِ يَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ
بِدُعَاءٍ يُثَبِّتُ الْقُلُوبَ «اللَّهُمَّ اجْعَلْ سَعِينَا صَالِحًا وَآثَرَنَا بَيْنًا وَنَيْتَنَا خَالِصَةً».

وَحِينَ حَلَّ الشَّهْرِ الْأَوَّلُ عَلَى تَمَامِهِ قَرَأُوا «قِصَّةَ الشَّهْرِ»: صَبِيٌّ كَانَ
يَتَعَثَّرُ فِي قِرَاءَةِ فَأَمْسَكَ الشَّبَابُ بِيَدِهِ أُسْبُوعَيْنِ مُتَتَالِيَيْنِ فَاتَمَّ سُورَةً كَانَ يَحْلُمُ
بِهَا، وَثَبَّتُوا رَقْمًا يَشْهَدُ: «أَرْبَعُ جَلْسَاتٍ وَعَشْرُونَ دَقِيقَةً فِي كُلِّ جَلْسَةٍ». ثُمَّ قَرَأَ

الْإِمَامُ

﴿أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النَّجْم 39)

وَاتَّبَعَهَا بِتَشْيِيتِ الْقُلُوبِ «أَحْرَصَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَأَسْتَعِينَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ» (حَدِيثٌ). وَفِي الشَّهْرِ الثَّانِي رَوَى زَيْدٌ قِصَّةَ «خُصُومَةٍ» انْقَلَبَتْ «مُؤَافَقَةً» بِلِسَانِ لَيْلٍ وَرَقَمٍ مُسَانِدٍ: «خَمْسُ رَسَائِلَ تَهْدِيَّةٍ وَمُدَّةٌ لَمْ تَتَجَاوَزْ سَاعَةً»، فَحَمِدُوا اللَّهَ عَلَى جَمَالِ الْمَرْجِعِ وَسُرْعَةِ الْإِصْلَاحِ.

وَأَشْتَدَّتْ عَلَيْهِمْ بَعْضُ الْحَيَاةِ فِي الشَّهْرِ الثَّلَاثِ، فَظَهَرَ «قِيَاسُ شَكْلِيٍّ» فِي رُكْنٍ، يَزِيدُ فِيهِ الرَّقْمُ بِالْمُجَاوِزَةِ وَتَخَفُّقٌ فِيهِ الرُّوحُ، فَنَبَّهَ الْإِمَامُ بِلَيْلٍ حَازِمٍ «لَا تُكْثِرُوا الْأَعْدَدَ عَلَى حِسَابِ الْإِحْسَانِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» (حَدِيثٌ) وَأَسْتَدْرَكَ بِقَوْلٍ يَرْفَعُ الْفَرِيقَ «نَزَوِي الْقِصَّةِ الَّتِي أَثْمَرَتْ فِي قَلْبٍ وَلَوْ كَانَ رَقْمُهَا صَغِيرًا، وَنُخِفَّ مَا لَمْ يُثْمَرْ وَلَوْ عَظُمَ رَقْمُهُ». ثُمَّ تَلَا

﴿فَلَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الْكَهْف 30)

فَسَكَتَ الْأَنْفُسُ وَعَادَ الْقِيَاسُ يُصَاحِبُ الْعَدْلَ.

وَفِي آخِرِ كُلِّ جُلُوسَةٍ كَانُوا يُثَبِّتُونَ «مُؤَشِّرًا مَرْكَبًا» يَجْمَعُ أَرْبَعَةَ الْأَرْكَانِ، يَتَصَاعَدُ كَخَيْطِ ضَوْئِيٍّ فِي سَمَاءِ الصَّفْحَةِ. فِي الْبِدَايَةِ كَانَ خَافِتًا ثُمَّ بَدَأَ يعلو،

وَفِي نَهَايَةِ الْفَصْلِ دَارَ الْحِسَابِ عَلَى مَهْلٍ فَإِذَا بِالْمُؤَشِّرِ قَدْ أَرْتَفَعَ «خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً مِنْ مِائَةٍ» بَعْدَ أَنْ كَانَ «خَمْسًا وَأَرْبَعِينَ»، فَضَحِكَتِ الْعُيُونُ وَتَبَسَّمَتِ الْقُلُوبُ وَقَالَ الْإِمَامُ «نَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى تَحَقُّقِ رَجَائِنَا أَنْ يَرْتَفَعَ «مُؤَشِّرُ الْأَثَرِ الْمُرَكَّبِ» نَحْوَ «عِشْرِينَ فِي الْمِائَةِ» فَقَدْ زَادَ عَلَيْهَا، وَنَسَّأَلُهُ زِيَادَةً فِي الرُّشْدِ وَلَا نَعْتَرُ بِرَقْمٍ يُسْكِرُ». ثُمَّ قَرَأَ

﴿وَلْتَنْتَظِرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الْحَشَر 18)

لِيُرْسِمَ خَاتِمَةً مِنْ جِنْسِ الْإِبْتِدَاءِ.

وَفِي مَسَاءٍ مَطِيرٍ جَاءَتْ «قِصَّةُ الشَّهْرِ» تُشْبِهُ دَمْعَةً مُسْتَبْشِرَةً؛ شَابُّ كَانَ يَتَأَخَّرُ عَنِ الصَّلَاةِ فَأَمْسَكَ بِقَلْبِهِ صَاحِبٌ يَعْرِفُ طَرِيقَ اللَّيْلِ فَلَا زَمَهُ أُسُوعَيْنِ يَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، فَصَارَ يَسْتَيَقِظُ مَعَ الْفَجْرِ وَيَحْضُرُ الْجَمَاعَةَ فِي شَيْءٍ مِنَ الثَّبَاتِ، فَثَبَّتُوا الرَّقْمَ: «سَبْعُ صَلَوَاتٍ فِي الْمَسْجِدِ مِنْ عَشْرِ» وَوَثَّقُوا الْقِصَّةَ بِكَلِمَاتٍ قَصِيرَةٍ، ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ «هَذَا "قَصْدٌ" أَثْمَرٌ»، وَتَلَا

﴿أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (التَّجْم 39)

وَقَالَ «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا» (حَدِيثٌ) فَأَرْتَفَعَتِ أَلْهُمُّمُ وَانْكَسَرَتْ أَسْوَارُ الْفُتُورِ.

وَكَانَ مِنْ دَائِبِهِمْ أَنْ لَا يَنْقُصَ شُكْرُهُمْ إِذَا تَحَقَّقَ لَهُمْ خَيْرٌ، فَكَانَ الْإِمَامُ

يُذَكِّرُهُمْ «لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ» (حَدِيثٌ) فَيَذَكِّرُونَ بِالْخَيْرِ كُلِّ مَنْ أَعَانَ أَوْ نَصَحَ أَوْ تَحَمَّلَ وَقْتًا فِي سَبِيلِ النَّاسِ، ثُمَّ يَسْتَتِرُونَ عَنِ التَّفَاخُرِ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيْهِمْ نِيَّتَهُمْ. وَإِذَا ضَعُفَ أَحَدُهُمْ قَالُوا لَهُ رِفْقًا «سَدِّدْ وَقَارِبْ» (حَدِيثٌ) وَأَعَانُوهُ عَلَى أَنْ يَعُودَ إِلَى الْخَطِّ الْمُسْتَقِيمِ.

وَفِي مَطْلَعِ فَضْلِ آخَرَ قَالَ الْإِمَامُ لِأَهْلِ الْبَيْتِ وَالْجِيرَةِ وَالشَّبَابِ «نُرِيدُ هَذَا الْمَرَّةَ أَنْ نُحْسِنَ مِفْتَاحَ "الْمُرَاجَعَةِ"، فَتَبْدَأُ بِنُفُوسِنَا، فَمَنْ وَجَدَ فِي صَدْرِهِ رِيحًا مِنْ عُجْبٍ فَلْيُقْصِصْهُ قِصَّةً عَلَى نَفْسِهِ ثُمَّ لِيُدْفَعْهُ بِدُعَاءٍ وَتَوْبَةٍ، وَمَنْ شَعَرَ بِفُتُورٍ فَلْيُحِمِلْهُ أَخُوهُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْحِمَاسِ، وَمَنْ رَأَى فِي الْمِصْفُوفَةِ "رَقْمًا" يَرْتَفِعُ وَلَا يَنْعَكِسُ أَثَرُهُ فِي الْقِصَصِ فَلْيُصْلِحْ «الْمَعْنَى» قَبْلَ الصُّورَةِ.» ثُمَّ تَلَا

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الْحَشْر 18)

وَحَتَمَهَا بِقَاعِدَةِ الْعَمَلِ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» (حَدِيثٌ) لِيَكُونَ الْمِيزَانُ مُحْتَفِظًا بِأَصْلِهِ.

وَعِنْدَ «جَلَسَةِ شَهْرِيَّةٍ» تَالِيَةِ دَخَلَ الرُّكْنُ الْأَخِيرُ فِي الْحِكَايَةِ؛ رُكْنُ «الْعَدْلِ» فِي الرِّوَايَةِ وَالْقِيَّاسِ، فَقَالَ الْإِمَامُ «لَا نُسَاوِي بَيْنَ صَنِيعَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ فِي الْمَشَقَّةِ وَالْمَنْفَعَةِ، فَلِلْمُجْتَهِدِ أَجْرٌ مَعْلُومٌ وَلِلْمُقَصِّرِ حِسَابٌ مَعْلُومٌ، وَإِنَّمَا نَزِنُ بِقَدْرِ الرَّفْقِ وَقَدْرِ الْإِحْسَانِ وَقَدْرِ النَّفْعِ.» وَتَلَا مَا يُطْمِئِنُّ الْقُلُوبَ

﴿فَلَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الْكَهْف 30)

فَانْشَرَحَتِ النُّفُوسُ وَمَضَى التَّقْوِيمُ عَلَى بَصِيرَةٍ.

ثُمَّ كَانَ مِمَّا ثَبَتُوهُ فِي «دَفْتَرِ الْقِصَصِ» حِكَايَةُ تَشْبِهِ نَفْسًا عَلَى الصَّدْرِ؛ فَتَأَةً آوَتْ صَاحِبَتَهَا عِنْدَمَا ضَاقَ بِهَا الْفِكْرُ وَأَنْقَبَضَتِ النَّفْسُ، فَقَرَأَتْ مَعَهَا وَأَخَذَتْ يَدَيْهَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَأَثْبَتَتْ فِي «مِصْفُوفَةِ الْأَخْلَاقِ» «سَاعَتَيْنِ مِنَ الْمُؤَانَسَةِ وَمَسَاءَيْنِ فِي الرِّوَاقِ» ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ «هَذِهِ قِصَّةٌ تَفُوقُ أَحْيَانًا مِائَةَ «رَقْمٍ»، فَأَعْقِلُوا أَلْمَعْنَى وَثَبِّتُوا مَا يُؤَيِّدُهُ مِنْ رَقْمٍ لِيَسْتَقِيمَ الْمِيزَانُ». وَقَرَأَ

﴿أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النَّجْم 39)

حَتَّى تَسْتَقِيمَ النِّيَّةُ عَلَى سُلَّمِ الْعَمَلِ.

وَمَرَّتِ الْأَسَابِيعُ وَقَدْ صَارَتْ «الْمِصْفُوفَةُ» مِرَآةً تَرَى الْقُلُوبَ صُورَهَا، فَإِذَا أَنْخَفَضَ «رُكْنُ الْعِبَادَةِ» شَعُرُوا بِعَطَشٍ فِي الرُّوحِ فَسَقَوْهُ بِوَرْدٍ وَنَافِلَةٍ، وَإِذَا نَقَصَ «رُكْنُ الْعِلْمِ» أَثَارُوا الْفِرَآءَةَ وَتَدَاوَلُوا الْمَعَارِفَ، وَإِذَا لَانَ «رُكْنُ الْأَخْلَاقِ» تَذَاكَرُوا «قَوْلًا لَيْنًا» وَ«عَفْوًا جَمِيلًا»، وَإِذَا فَتَرَ «رُكْنُ الْخِدْمَةِ» ذَكَّرُوا أَنْفُسَهُمْ «اللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» (حَدِيثٌ) فَيَتَدَفَعُونَ عَلَى الْبِرِّ تَدَافِعَ الْمَوْجِ الرَّقِيقِ عَلَى الشَّاطِئِ.

وَجَاءَ يَوْمٌ كَانَ فِيهِ الرِّيحُ طَيِّبًا فَقَالَ الْإِمَامُ «نَجْعَلُ الْيَوْمَ لِلْخِتَامِ مُرَاجَعَةً

وَلِلْعَدِ عَهْدًا» فَجَلَسُوا حَلَقَةً وَقَرَأُوا «مُحَضَّرَ الْأَثَرِ»، فَإِذَا «الْمُؤَشِّرُ الْمُرَكَّبُ» قَدْ ارْتَفَعَ فَوْقَ الْمَقْصُودِ بِنِسْبَةِ تُبَسِّمٍ وَتُحَفِّزٍ، وَإِذَا الْقِصَصُ قَدْ رَسَمَتْ فِي الصُّدُورِ مَسَارَاتٍ جَدِيدَةً. فَقَالَ الْإِمَامُ «نَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي بَصَّرَنَا بِنُقَاطِ الْقُوَّةِ وَمَوَاطِنِ التَّحْسِينِ، وَنَعْقِدُ لِلْفَضْلِ الْآتِي «عَهْدًا» نَرْفَعُ فِيهِ «رُكْنَ الْعِلْمِ» بِسَاعَةِ زَائِدَةٍ كُلِّ أُسْبُوعٍ، وَ«رُكْنَ الْخِدْمَةِ» بِمَنْفَعَةٍ ظَاهِرَةٍ لِأُسْرَتَيْنِ جَدِيدَتَيْنِ، وَنُثَبِّتُ لِكُلِّ ذَلِكَ «قِصَّةً وَرَفْعًا» ثُمَّ تَلَا بِصَوْتٍ يَسْتَدْعِي الْعَزَمَ

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الْحَشْرِ 18)

وَاتَّبَعَهَا بِمِفْتَاحِ الرَّجَاءِ

﴿فَلَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الْكَهْف 30).

وَلَمَّا أَذَّنَ الْمَغْرِبُ قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَحْمِلُ فِي صَدْرِهِ «مِصْفُوفَةً بَاطِنَةً» تُرْتَّبُ الْأَيَّامَ عَلَى رُبُوعِ الْعِبَادَةِ وَالْعِلْمِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْخِدْمَةِ، فَإِذَا سَلَّمُوا رَفَعَ الْإِمَامُ يَدَيْهِ وَقَالَ دُعَاءٌ يَجْمَعُ الْقَصْدَ وَالشَّبَاتَ «اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَا قَسَمْنَاهُ مِنْ أَرْكَانِ الْأَثَرِ قِسْمًا فِي قُلُوبِنَا لَا يَتَبَدَّلُ، وَارْزُقْنَا عَدْلًا فِي الْقِيَاسِ وَرَحْمَةً فِي الْحِكَايَةِ وَإِحْسَانًا فِي الْعَمَلِ» ثُمَّ آمَنُوا وَقَدْ عَرَفُوا أَنَّ «الْمِيزَانَ» إِذَا اسْتَقَامَ فِي الصُّدُورِ اسْتَقَامَ فِي الصُّحُفِ، وَأَنَّ «الرَّقَمَ» إِذَا خَدَمَ «الْمَعْنَى» صَارَ شَاهِدَ صِدْقِ لَا زِينَةَ عَابِرَةً.

وَخَرَجُوا مِنَ الرَّوَاقِ وَقَدْ صَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَرَى فِي طَرِيقِهِ «عَتَبَةً»
لِلْمُرَاجَعَةِ؛ فَعِنْدَ «الْعِبَادَةِ» يَسْأَلُ نَفْسَهُ: هَلْ أَخَذْتُ نَصِيْبِي مِنَ الْوَرْدِ؟ وَعِنْدَ
«الْعِلْمِ» يَسْأَلُ: هَلْ حَمَلْتُ مَعْرِفَةً إِلَى عَمَلٍ؟ وَعِنْدَ «الْأَخْلَاقِ» يَقُولُ: هَلْ كُنْتُ
لَيْنَا سَدِيدًا؟ وَعِنْدَ «الْخِدْمَةِ» يَتَفَقَّدُ: مَنْ أُنْتَفَعَ الْيَوْمَ؟ فَتَعُوذُ «الْمَصْفُوفَةُ» مِرَاءً
صَادِقَةً لِسَعِيهِمْ، وَتَبْقَى «الْقِصَّةُ» نُقْطَةً نُورٍ فِي صُدُورِهِمْ، وَيَدُقُّ فِي الْبَاطِنِ
صَوْتُ آيَةِ

﴿أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النَّجْم 39)

كَأَنَّهَا جَرَسٌ لَطِيفٌ يُنَبِّهُهُمْ إِلَى الْخُطَايَا. هَكَذَا تَسِيرُ «مَصْفُوفَةُ الْأَثَرِ»
فِي الْوَرَقِ وَفِي الصُّدُورِ جَمِيعًا، تُقِيمُ لِلْعَمَلِ مِيزَانًا وَتَكْشِفُ لِلْقَصْدِ طَرِيقًا
وَتُثَبِّتُ أَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ،

﴿فَلَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الْكَهْف 30)،

وَأَنَّ كُلَّ نَفْسٍ إِنَّمَا تُجَاوِزُ عَلَى سَعِيهَا

﴿أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النَّجْم 39)،

وَأَنَّ نَظَرَ الْيَوْمِ إِلَى «عَدٍ» هُوَ مِفْتَاحُ الرُّشْدِ

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الْحَشْرِ 18).

الدَّرْسُ الثَّانِي عَشَرَ: عَهْدُ عَامٍ جَدِيدٍ

اسْتَيْقَظَ الْفَجْرُ عَلَى سَمَاءِ الْحَيِّ كَمَا تَسْتَيْقِظُ الْعُيُونُ عَلَى وَعْدٍ قَدِيمٍ
يُجَدِّدُهُ الزَّمَانُ، وَتَفْتَحُ رِوَاقُ الْمَسْجِدِ لِلْوَارِدِينَ فَتَدْفَقُ الْأَهْلُ وَالشُّرَكَاءُ وَالشَّبَابُ
وَالصَّبِيَّةُ وَالْبَنَاتُ عَلَى صَفْحَةِ بِلَاطٍ نَقِيٍّ تُعَانِقُهَا أَطْلَلَةٌ مِنْ نَخْلٍ وَسَوَارٍ مِنْ ضِيَاءٍ،
ثُمَّ تَقْدَمُ الْأِمَامُ وَفِي وَجْهِهِ سَكِينَةٌ مِنْ جَمْعِ التَّجَرُّبَةِ وَالرُّؤْيَا وَوَقَفَ يَسْتَمِدُّ مِنَ
الْكِتَابِ مِيزَانَ الْبَيْتَاءِ فَقَالَ بِصَوْتٍ يَنْقُطُ وَقَارًا

"وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" (الْعَصْر 1-3)،

ثُمَّ اتَّبَعَ التَّلَاوَةَ بِنَفْسٍ قَصِيرٍ كَأَنَّهُ سُجُودُ قَلْبٍ وَقَالَ "نَحْمِلُ الْيَوْمَ عَهْدًا
يُقِيمُ الزَّمَانَ عَلَى طَاعَةٍ، وَيَجْمَعُ شَعْتَ الْهُمُومِ فِي صَحِيفَةٍ وَاحِدَةٍ، وَيَرْبِطُ
الْأَبْيُوتَ وَالْمَدَارِسَ وَالْجَبَرَةَ بِحَبْلِ مَتِينٍ مِنَ الصِّدْقِ." ثُمَّ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ"

(التَّوْبَةُ 119)

وَقَالَ "لَا يَقُومُ عَهْدٌ إِلَّا عَلَى صِدْقٍ يَحْمِلُهُ الصَّدْرُ وَيَشْهَدُ لَهُ الصَّنِيعُ".

تَقَدَّمَ حَامِلُ الصَّحِيفَةِ يَسْتَكْشِفُ فِي الْعُيُونِ رُوحَ الْقِبَالِ، وَفِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ أَبٌ يَضُمُّ ابْنَهُ وَأُمُّ تُرْبِتُ عَلَى كَتِفِ ابْنَتِهَا وَشَبَابٌ يَتَلَفَّتُونَ إِلَى صَدْرِ الرَّوَاقِ كَأَنَّهُ بَوَابُهُ بَدِءُ أَبَدِيٍّ. رَفَعَ الْإِمَامُ الصَّحِيفَةَ وَقَالَ وَفِي لَفْظِهِ نَسِيمُ التَّوْفِيرِ "هَذِهِ «صَحِيفَةُ الْعَهْدِ» تُتْلَى عَلَى الْحُضُورِ، فَمَنْ شَهِدَ فَلْيَسْتَحْضِرِ النِّيَّةَ، وَمَنْ تَلَا فَلْيَزِنْ بِلِسَانِ الْعَدْلِ، وَمَنْ وَقَعَ فَلْيَجْعَلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ عَهْدًا لَا يَنْقُطِعُ". ثُمَّ قَرَأَ فِيهَا عُقُودًا قَصِيرَةً وَاضِحَةً يَلْحَقُ كُلُّ جُمْلَةٍ مِنْهَا سُكُوتٌ مُتَأَمِّلٌ يَفْسَحُ لِلْقَلْبِ مَجَالَ الْقَبُولِ وَالْعَزْمِ، ثُمَّ رَفَعَ بَصَرَهُ وَقَالَ "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى" (حَدِيثٌ)، فَاسْتَقِيمُوا عَلَى نِيَّةٍ تُرِيدُ اللَّهَ وَتَطْلُبُ الرِّضَا وَتَسْتَمْسِكُ بِالْدَّوَامِ".

هَمَسَ فَتًى مِنَ الشَّبَابِ وَفِي عَيْنَيْهِ بُرْقَةٌ تَرُقُبُ "هَلْ نَقَرْنَا الْآنَ «مُحْضَرِ الْمَوْسِمِ»؟" فَابْتَسَمَ الْإِمَامُ وَأَشَارَ إِلَى صَدْرِ الرَّوَاقِ "نَقَرَاهُ لِنُثَبِتَ الْأَثَارَ وَنَعْرِفَ مَوَاطِنَ الزِّيَادَةِ، فَالْمُحَاسَبَةُ صِنَاعَةُ الثَّابِتِينَ". تَقَدَّمَ قَارِئٌ صَبِيٌّ وَصَوْتُهُ يَخْفُقُ حَجَلًا، فَتَلَا قِصَصًا مُخْتَصَرَةً تُشَبِّهُ خُيُوطًا مِنْ نُورٍ تُحَاكُ فِي الْمِحْرَابِ: قِصَّةَ فَتَاةٍ قَدَمَتْ «سَاعَتَيْنِ مُوَأَنَسَةٍ» لِصَدِيقَةٍ كَسَاها الْحُزْنُ فَانْكَشَفَ، وَقِصَّةَ فَتًى تَرَجَّلَ إِلَى الْجِيرَانِ يَرْفَعُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ حَتَّى كَانَ لِلنَّظَافَةِ عِطْرٌ فِي الرُّوحِ، وَقِصَّةَ أُمٍّ ثَبَّتَتْ «وَرْدًا» لِبَنَتِهَا حَتَّى صَارَ التَّلَاوَةُ سَجِيَّةً فِي الْمَسَاءِ. وَعِنْدَ كُلِّ

قِصَّةٌ كَانَ الْإِمَامُ يُنْبِئُ رَقْمًا مُوَافِقًا لِيَشْهَدَ الْمَعْنَى: «سَبْعُ صَلَوَاتٍ فِي الْمَسْجِدِ مِنْ عَشْرِ»، «ثَلَاثُ خِدْمَاتٍ مُوثَّقَةٌ فِي أُسْبُوعٍ»، «وَرَدٌ يَدُومُ عَلَى قَدْرِ مُسْتَطَاعٍ».

وَبَيْنَمَا الْقِصَصُ تُتْلَى وَالظُّلَالُ تَتَحَرَّكُ عَلَى أَعْمَدَةِ الرُّوَاقِ قَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَجْمَعُ الْأَنْفَاسَ عَلَى رَفْقٍ "نُجَدُّ الْيَوْمَ عُهُودًا لَا تَسْقُطُ بِنَشْوَةِ الْإِبْتِدَاءِ، فَإِنَّ مِنْ مَخَافِ الْعُهُودِ «حِمَاسَ الْإِفْتِتَاحِ» الَّذِي يَخْبُو سَرِيعًا، فَاسْتَعِينُوا عَلَى الدَّوَامِ بِقَاعِدَةِ النَّبِيِّ (ص) «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» (حَدِيثٌ)، "وَإِنْ ضَعُفَتْ نُفُوسٌ فَاسْمَعُوا مِفْتَاحَ التَّقْوِيَةِ «أَحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ» (حَدِيثٌ). ثُمَّ قَالَ وَفِي عَيْنِيهِ ضَوْءٌ مُعَلِّمٌ "أَجْعَلُوا لِلْبِدَايَةِ «أَرْبَعَ أَسَابِيعَ انْضِبَاطٍ» تَامَّةً لَا تَخْلُفَ فِيهَا، فَمَنْ صَدَقَ فِي أَوَّلِ الطَّرِيقِ سَهَّلَ عَلَيْهِ آخِرُهُ".

تَقَدَّمَ أَبٌ وَفِي يَدِهِ قَلَمٌ قَصَبٍ وَقَالَ "كَيْفَ نُثَبِّتُ الْأَهْدَافَ يَا سَيِّدَنَا؟" فَقَالَ الْإِمَامُ وَفِي نَبَرَتِهِ رَفَقٌ الْمُرَبِّي "نَخْطُ فِي صَدْرِ الصَّحِيفَةِ «ثَلَاثَةَ أَهْدَافٍ كِبَارًا» تَجْمَعُ الْأَرْكَانَ الْأَرْبَعَةَ وَتُوزَعُ عَلَى السَّنَةِ تَوَازِيًا يَعْرِفُ الزَّمَانُ وَيَرَعَى الطَّاقَةَ، ثُمَّ نَنْشُرُ فِي أَيَّامِهَا «اثنِي عَشَرَ هَدَفًا شَهْرِيًّا» كَانَهَا بُدُورٌ فِي بُسْتَانٍ، كُلُّ شَهْرٍ لَهُ بُدْرَتُهُ وَسُقْيَاهُ وَحِرَاسَتُهُ". وَقَالَ "وَنُشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلَ اللَّهِ

"﴿وَالْعَصْرِ﴾" (الْعَصْر 1-3)

لِنَعْلَمَ أَنَّ الزَّمَانَ مِثَاقٌ وَأَنَّ الْخُسْرَ حَاضِرٌ إِلَّا مَعَ إِيْمَانٍ وَعَمَلٍ وَتَوَاصٍ

بِحَقِّ وَصَبْرٍ."

وَجَلَسُوا يَكْتُبُونَ "الْأَهْدَافَ الْكُبْرَى" عَلَى سَطْرِ عَرِيضٍ: أَوَّلُهَا أَنْ تَرْتَقِيَ الْعِبَادَةُ مِنْ عَادَةٍ مُتَقَطَّعَةٍ إِلَى دَوَامٍ مُسْتَقَرٍّ، وَثَانِيهَا أَنْ يُصْبِحَ الْعِلْمُ مَسَارًا مُعَمَّدًا بِالتَّطْبِيقِ لَا مَحْفُوظًا بِلَا أَثَرٍ، وَثَالِثُهَا أَنْ تُصْنَعَ لِلْخِدْمَةِ صِبْغَةٌ تَجْرِي فِي الْأُسْبُوعِ كَمَا يَجْرِي النَّفْسُ فِي الصَّدْرِ. ثُمَّ قَسَمُوا السَّنَةَ عَلَى "اَثْنَيْ عَشَرَ هَدَفًا شَهْرِيًّا" يَتَشَابَهُ أَوَّلُهَا وَيَخْتَلِفُ حَسَبَ الْإِحْتِيَاجِ: شَهْرٌ لِدُورِدِ تِلَاوَةِ مُسْتَمَرٍّ، وَشَهْرٌ لِنَعَاهِدِ الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ، وَشَهْرٌ لِفَصَاحَةِ الْقَوْلِ وَتَرْكِيبَةِ اللِّسَانِ، وَشَهْرٌ لِدِخْدَمَةِ مُوثِقَةٍ لِأَسْرِ أَحْتِيَاجِيَّةٍ، حَتَّى انْتَضَمَتِ الْأَسَابِيعُ كَأَنَّهَا سُلَّمٌ يُصْعَدُ أَلْبَيْتَ إِلَى سَمَاءِ الثَّبَاتِ.

فِي ذَلِكَ الْحِينِ رَفَعَتْ أُمُّ يَدَهَا وَقَالَتْ بِصَوْتٍ يَخْتَلِطُ فِيهِ الْهَنَانُ بِالْحِكْمَةِ "نَخَافُ عَلَى قُلُوبِنَا مِنْ فُتُورٍ يَعْزُضُ بَعْدَ أَيَّامٍ، فَهَلْ مِنْ عُدَّةٍ نَسْتَظِلُّ بِهَا؟" فَقَالَ الْإِمَامُ وَهُوَ يَرْسِمُ فِي الْهَوَاءِ خَيْطًا لَطِيفًا "أَجْعَلُوا لِكُلِّ هَدَفٍ «حَارِسًا» مِنْ الدُّعَاءِ وَ«شَاهِدًا» مِنَ التَّوْقِيعِ وَ«مِيزَانًا» مِنَ الزَّمَانِ، ثُمَّ تَوَاكَلُوا عَلَى مِثْلِ قَوْلِهِ (ص) «سَدُّوا وَقَارِبُوا» (حَدِيثٌ) "فَالْخَيْرُ مَدَى يُصَابُ مِنْ طَرِيقِ التَّقَرُّبِ وَالْإِسْتِقَامَةِ".

ثُمَّ قَالَ "نَجْعَلُ لِلْسَّنَةِ مِفْتَاحًا «أَرْبَعَ أُسَابِيعَ انْضِبَاطٍ» لَا يَسْقُطُ فِيهَا مِيزَانُ الصَّلَاةِ وَلَا مِيزَانُ الْعِلْمِ وَلَا مِيزَانُ الْأَخْلَاقِ وَلَا مِيزَانُ الْخِدْمَةِ، فَإِذَا تَمَّتْ

عَلَى أَلْوَجِهِ الْمَرَضِيِّ ثَبَتَ مُؤَشِّرُنَا الْأَوَّلُ وَدَخَلْنَا فِي أَلْبَابِ وَقُلُوبِنَا مُؤَيَّدَةً. "وَأَخَذَ يَسْرُدُ مَعَهُمْ كَيْفَ يَكُونُ الْإِنْضِبَاطُ الْيَوْمِي: مَوْعِدُ صَلَاةٍ فِي الْمَسْجِدِ لِأَقْرَبِ الْفَرَائِضِ، وَقِرَاءَةُ قَدْرِ مُيسَّرٍ لَا يُفَارِقُ الْمَسَاءَ، وَجُمْلَةُ «قَوْلِ سَدِيدٍ» تُقَالُ عِنْدَ مَبْدَأِ الْحَوَارِ، وَخِدْمَةُ صَغِيرَةٍ تُثَبِّتُهَا الْأَقْلَامُ فِي آخِرِ النَّهَارِ. وَقَالَ "إِذَا انْقَضَتِ الْأَسَابِيعُ الْأَرْبَعُ عَلَى هَذَا النِّظَامِ ثَبَتَ لَنَا «مُؤَشِّرُ الْإِبْتِدَاءِ» وَأَنْسَلَّتْ عَادَاتُنَا فِي الْأَيَّامِ كَمَا يَنْسَلُ الضُّوءُ فِي الْغُرُوبِ."

وَأَشَارَ الْإِمَامُ إِلَى جَانِبٍ مِنَ الرِّوَاقِ "يُرْفَعُ الْآنَ «مُحَضَّرُ الْمَوْسِمِ» فَقَامَ الشَّبَابُ حَامِلِينَ لَوْحَةً كَبِيرَةً عَلَيْهَا مَقَاطِعُ صُورٍ نَقِيبَةٍ وَسُطُورٌ مُخْتَصِرَةٌ وَأَرْقَامٌ مُؤَيَّدَةٌ، فَوَقَفُوا أَمَامَ الْمَلَا وَقَالَ قَائِلُهُمْ "هَذِهِ قِصَصٌ مِنْ «حَصَادٍ قَرِيبٍ» يَشْهَدُ أَنَّ «مِثَاقَ الْبَيَانِ» لَمْ يَبْقَ كَلَامًا وَأَنَّ «حَلَقَاتِ الْقُرْآنِ» لَمْ تَبْقَ مَجْلِسًا وَأَنَّ «خِدْمَةَ النَّاسِ» لَمْ تَبْقَ شِعَارًا. "ثُمَّ قَرَأُوا مَشَاهِدَ مُوجَزَةٍ: مَشْهَدُ شَابٍّ أَطْفَأَ سُخْرِيَةَ زَمِيلٍ بِلِسَانٍ لَيِّنٍ فَانْقَلَبَ الْحِدَالُ مُوَافَقَةً، وَمَشْهَدُ أُمٍّ جَمَعَتْ جَارِيَاتٍ عَلَى قِرَاءَةِ فِي الرِّوَاقِ فَانْفَتَحَتْ لَهُنَّ أَبْوَابُ سُؤَالٍ وَتَدْبِيرٍ، وَمَشْهَدُ فَتَاةٍ أَغْلَقَتْ مَسَارِبَ الْإِشَاعَةِ فِي قِنَاةِ الصَّفِّ بِلُطْفٍ وَحِكْمَةٍ.

ثُمَّ رَفَعَ الْإِمَامُ يَدَهُ وَقَالَ وَالْقُلُوبُ تُصْنَعِي "نَخْتِمُ الْقِرَاءَةَ بِعَهْدٍ عَلَى «وَحْدَةِ الصَّوْتِ» فِي الْبَيَانِ أَلْعَامَ، وَعَلَى «قِسْمَةِ الزَّمَانِ» بِلَا تَفْرِيطٍ وَلَا تَفْرِيطَ، وَعَلَى «ثَبَاتٍ» يَرْفَعُ الْقَلِيلَ بِالْدَّوَامِ. وَنُذَكِّرُ بِقَوْلِ اللَّهِ

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ" ﴿١١٩﴾

(التَّوْبَةُ 119)

فَلَا تَقُومُ الْوَحْدَةُ إِلَّا عَلَى صِدْقٍ وَلَا يُبْنَى الزَّمَانُ إِلَّا عَلَى صِدْقٍ وَلَا يَدُومُ الثَّبَاتُ إِلَّا عَلَى صِدْقٍ. "وَسَكَتَ سُكُوتًا قَصِيرًا ثُمَّ قَالَ" «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» (حَدِيثٌ)، فَاشْتَبِكُوا فِي الْخَيْرِ اشْتَبَاكَ الْقَضَبَانِ يَقْوَى بَعْضُهَا بِبَعْضٍ.

وَأَشَارَ الْإِمَامُ إِلَى طِفْلِ يَقِفُ فِي الطَّرَفِ "أَقْرَأْ لَنَا يَا بُنَيَّ" فَتَقَدَّمَ وَقَالَ وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى قَلْبِهِ "أَجَدُّ لِنَفْسِي الْعَهْدَ أَنْ لَا أُفَارِقَ «وَرَدَ الْمَسَاءَ» وَلَا «خِدْمَةَ الْأُسْبُوعِ»" فَابْتَسَمَ الْحُضُورُ وَقَالَ الْإِمَامُ "مَنْ جَدَّدَ الْعَهْدَ فِي الْقَلْبِ سَهَّلَ عَلَيْهِ التَّوْقِيعَ فِي الصَّحِيفَةِ." ثُمَّ قَالَ "نَشْرَعُ إِذَا فِي التَّوْقِيعِ." فَاقْبَلَ الْأَبَاءَ وَالْأُمَّهَاتِ وَالشَّبَابَ يَخْطُونَ أَسْمَاءَهُمْ تَحْتَ بُنُودٍ قَصِيرَةٍ: أَعِدْ أَنْ أَجْعَلَ الزَّمَانَ مِيزَانًا لَا يُخَالِفُهُ الْمِيلُ، أَعِدْ أَنْ أَجْعَلَ الصَّدَقَ عِمَادًا لَا تَهْزُهُ الظُّرُوفُ، أَعِدْ أَنْ أَجْعَلَ الْخِدْمَةَ سَجِيَّةً لَا تُسْتَدْعَى إِلَّا لِتَرْدَادٍ.

وَبَيْنَمَا الْأَقْلَامُ تَسِيرُ قَالَ شَابٌّ يَنْظُرُ إِلَى الْبُعِيدِ "أَخْشَى أَنْ نَبْدَأَ قَوِيًّا ثُمَّ تَسْرِفَنَا الْأَيَّامُ." فَقَالَ الْإِمَامُ وَقَدْ رَسَمَ فِي الْهَوَاءِ قَوْسًا يُشِيرُ إِلَى السَّمَاءِ "أَسْتَمْسِكُ بِقَوْلِ اللَّهِ

"وَالْعَصْرِ" (الْعَصْر 1-3)

فَهُوَ قَسَمٌ بِالزَّمَانِ يَكْشِفُ خَسَارَةَ مَنْ لَمْ يَزِنْ، وَيُثَبِّتْ نَجَاةَ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ وَتَوَاصَى. ثُمَّ قَالَ "وَأَسْتَعِزُّ بِقَوْلِهِ (ص) «سَدُّوْا وَقَارِبُوْا وَأَبْشُرُوْا»" (حَدِيثٌ) "فَإِنَّ الْأَبْشُرِيَّةَ تُقِيمُ فِي الصَّدْرِ عُذَّتْهَا وَتَدْفَعُ عَنْهُ ثِقْلَ الْعَجْزِ."

وَعِنْدَ أَطْرَافِ الرُّوَاقِ قَامَتِ فَتَاةٌ تَحْمِلُ لَوْحَةً صَغِيرَةً كُتِبَ فِيهَا "أَهْدَافُ شَهْرِيَّةٍ" فَقَالَتْ "نَجْعَلُ لِكُلِّ شَهْرٍ شِعَارًا مُخْتَصَرًا: شَهْرُ الشَّهَادَةِ بِالْعَمَلِ، شَهْرُ الْقَوْلِ السَّيِّدِ، شَهْرُ الْخِدْمَةِ الظَّاهِرَةِ، شَهْرُ عَادَاتٍ صَغِيرَةٍ دَائِمَةٍ" فَقَالَ الْإِمَامُ "نِعْمَ مَا صَنَعْتَ، فَالْشُّعَارُ يَجْمَعُ الْقُلُوبَ عَلَى كَلِمَةٍ وَيُسَوِّقُ الزَّمَانَ عَلَى قَصْدٍ."

وَفِي خِتَامِ الْجَلْسَةِ دَعَا الْإِمَامُ إِلَى قِرَاءَةِ جَمَاعِيَّةٍ فَتَلَّوْا

"وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" (الْعَصْر 1-3)

وَتَتَابَعَتِ الْأَصْوَاتُ كَأَنَّهَا نَهْرٌ صَغِيرٌ يَجْرِي فِي قَلْبِ الْمَحْرَابِ، ثُمَّ قَرَأَ

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ"

(التَّوْبَةُ 119)

فَاسْتَقَرَّ فِي الصُّدُورِ أَنَّ لَا فَوْزَ إِلَّا بِصِدْقٍ وَلَا اجْتِمَاعَ إِلَّا عَلَى صِدْقٍ وَلَا

ثَبَاتِ إِلَّا بِصِدْقٍ.

ثُمَّ قَالَ "نَشْهَدُ الْآنَ الْإِنْطِلَاقَ: «أَرْبَعُ أَصَابِعَ انْضِبَاطٍ» بَلَا تَخْلُفِ، فَمَنْ رَأَى مِنْ نَفْسِهِ فُتُورًا فَلْيَسْتَعِنْ بِأَخِيهِ، وَ«اللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» (حَدِيثٌ)، "وَمَنْ وَجَدَ فِي قَلْبِهِ عُجْبًا فَلْيُرُوهُ بِذِكْرِ اللَّهِ، وَ«مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ» (حَدِيثٌ). ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ دُعَاءً "«اللَّهُمَّ اجْعَلْ بَدَاءَنَا هَذِهِ عَلَى بَصِيرَةٍ وَاجْعَلْ عَهْدَنَا عَادَةً صَالِحَةً وَارْزُقْنَا صِدْقًا فِي الْقَصْدِ وَثَبَاتًا فِي اللِّسَانِ وَزِيَادَةً فِي الْخَيْرِ»."

وَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الرُّوَقِ كَانَ الزَّمَانُ يَمْشِي عَلَى مَهَلٍ كَأَنَّهُ يَحْمِلُ لَهُمْ بَشَارَةَ سَنَةِ تَوْلَدٍ، فَسَارَ الْأَبُ مَعَ ابْنِهِ وَهُمَا يَتَحَادَثَانِ، وَسَارَتِ الْأُمُّ وَفِي يَدِهَا صَحِيفَةٌ تُثَبِّتُ «الْأَهْدَافَ الشَّهْرِيَّةَ»، وَسَارَ الشَّبَابُ وَفِي قُلُوبِهِمْ رَغْبَةٌ تُشْبِهُ أَجْنِحَةً صَغِيرَةً. وَعِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ وَقَفَ الْإِمَامُ وَقَالَ وَصَوْتُهُ يَتَلَطَّفُ "إِبْدَءُوا مِنْ الْيَوْمِ وَأَكْمِلُوا الْأُسْبُوعَ الْأَوَّلَ عَلَى كِتَابَتِكُمْ، ثُمَّ النَّاقِصُ يُسَدِّدُ وَالزَّائِدُ يُشْكِرُ وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ."

وَمَضَتْ الْأَيَّامُ فِي أَوَّلِ السَّنَةِ كَمَا تَمْضِي الْأَنْهَارُ عَلَى سِكَّةٍ رُسِمَتْ لَهَا، فَتَتَابَعَ الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ وَتَتَابَعَ الْوَرْدُ وَتَتَابَعَ الْقَوْلُ السَّيِّدُ وَتَتَابَعَ الْخِدْمَةُ الظَّاهِرَةُ، وَفِي آخِرِ كُلِّ أُسْبُوعٍ كَانُوا يَجْلِسُونَ فِي دَائِرَةٍ صَغِيرَةٍ يُشَبِّهُونَ مَا تَحَقَّقَ وَيُصَلِّحُونَ مَا تَرَجَّعَ وَيَدْعُونَ "«اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا»". وَعِنْدَ تَمَامِ الْأَرْبَعَةِ تَمَّ

«الْمُؤَشِّرُ» وَثَبَتْ "أَنَّ الْبِدَايَةَ انْضَبَطَتْ" فَافْتَرَّتِ الْوُجُوهُ وَقَالَ الْإِمَامُ "أَلَا نَ يَسْهَلُ
الِاسْتِمْرَارُ".

وَفِي مَسَاءِ الْأُسْبُوعِ الرَّابِعِ عَادُوا إِلَى الرَّوَاقِ لِيَرْفَعُوا "تَقْرِيرَ الْإِنْتِدَاءِ"،
فَقَرَأُوا سُطُورًا قَصِيرَةً ثَبِتَتْ أَنَّ «الصَّلَاةَ فِي الْمَسْجِدِ» لَمْ تَتَخَلَّفْ، وَأَنَّ «الْوَرْدَ»
لَمْ يَنْقَطِعْ، وَأَنَّ «الْقَوْلَ السَّيِّدَ» أَطْفَأَ مَوَاقِدَ كَثِيرَةً، وَأَنَّ «الْخِدْمَةَ» حَمَلَتْ نَفْعًا
مُحَسَّنًا. ثُمَّ تَلَّوْا مَرَّةً أُخْرَى

"﴿وَالْعَصْرِ﴾" (الْعَصْرُ 1-3)

وَقَالُوا فِي قُلُوبِهِمْ قَوْلًا لَا يُسْمَعُ "لَا نَفَارِقُ هَذَا الْمِيزَانَ".

وَكَذَلِكَ أُقِيمَ "عَهْدُ عَامٍ جَدِيدٍ" عَلَى ثَلَاثَةِ أَعْمَدَةٍ ظَاهِرَةٍ فِي الْمَشْهَدِ
وَرَاسِخَةٍ فِي الصُّدُورِ: ثَبَاتٌ يَدُومٌ وَحِدَةٌ تَجْمَعُ وَقْتُ يُقَادُ إِلَى اللَّهِ. وَكُلَّمَا تَذَكَّرُوا
الْبِدَايَةَ تَذَاكَّرُوا مَعَهَا قَوْلَ اللَّهِ

"﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾"

(التَّوْبَةُ 119)

لِيَعْصِمَهُمُ الصِّدْقُ مِنْ زُيُوفِ الظُّوَاهِرِ، وَتَذَاكَّرُوا

"﴿وَالْعَصْرِ﴾" (الْعَصْرُ 1-3)

لِيَحْمِلُوا الزَّمَانَ فِي صُحُفِهِمْ حَقًّا لَا تَهْدِيهِمُ الْعَادَاتُ.

ثُمَّ انْفَضُّوا عَنِ الرُّوَاقِ وَفِي الْأَرْوَاقِ صَدَى يَرْجِعُ كَأَنَّهُ خُطْبَى تَعُودُ فِي كُلِّ مَسَاءٍ: "الْعَهْدُ عَادَةٌ وَالْعَادَةُ عَهْدٌ" وَصَوْتُ الْآيَةِ يَدُقُّ فِي الْقُلُوبِ

"وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" (الْعَصْرُ 1-3)

وَهُمْ يَسْتَقْبِلُونَ غَدًا عَلَى قَدَمَيْنِ: قَدَمِ الصِّدْقِ وَقَدَمِ الزَّمَانِ، وَعَلَى ظَهْرِهِمْ "صَحِيفَةُ الْعَهْدِ" كَأَنَّهَا سِقَايَةُ رَاحِلَةٍ لَا تَنْضُبُ. هَكَذَا يُفْتَحُ الْعَامُ فِي الْمَسْجِدِ وَهَكَذَا تَسِيرُ أَلْبِيُوتُ وَالْمَدَارِسُ وَالْجَبَرَةُ فِي نَهْرٍ وَاحِدٍ، تَجْمَعُهُمُ الْعُهُودُ وَتَحْرُسُهُمُ آيَاتُ وَتُسَدُّ خُطَاهُمْ الْأَحَادِيثُ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ" (حَدِيثٌ) "وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ" (حَدِيثٌ) "وَسَدُّوا وَقَارِبُوا" (حَدِيثٌ) "وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ" (حَدِيثٌ). وَيَبْقَى الدَّمْعُ الَّذِي يُشْرِفُ عَلَى أَطْرَافِ الْعُيُونِ بِشَارَةً أَنَّ الْقُلُوبَ وَجَدَتْ مِيزَانَهَا وَأَنَّ الزَّمَانَ شَاهِدٌ لَهَا لَا عَلَيْهَا، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ.

خَاتِمَةُ الْكِتَابِ

يَخْتِمُ هَذَا الْكِتَابُ مَقْصِدَهُ كَمَا بَدَأَهُ: غَايَتُهُ تَعْلِيمُ تَرْبَوِيٍّ دِرَاسِيٍّ صِرْفٌ، يَسْتَعْمِلُ السَّرْدَ لِيُيسِّرَ الدَّرْسَ وَيَجْعَلَهُ أَقْرَبَ إِلَى الْقَلْبِ وَأَمْكَنَ فِي السُّلُوكِ، لَا لِيُقَدِّمَ عَمَلًا أَدَبِيًّا مُحَضًّا. قَدْ جَعَلْنَا الْمَشَاهِدَ مِفَاتِيحَ لِلْأَفْهَامِ وَالْحِوَارَ مِيزَانًا لِلْأَقْوَالِ وَالنَّشَاطَ جَسْرًا بَيْنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْحَيَاةِ، حَتَّى يَخْرُجَ الْقَارِئُ «مِنَ النَّدَاءِ إِلَى الْوَعْيِ» مُتَمَلِّكًا أَدَوَاتٍ بَيْنَهُ لِلتَّرْبِيَةِ فِي زَمَنِ التَّقَانَةِ وَسُرْعَةِ التَّدَاوُعِ.

وَقَدْ تَعَمَّدْنَا التَّكْرَارَ الْمُنْضَبَّطَ فِي طَيِّ الدُّرُوسِ لِثُبَّتِ «الْمَفَاهِيمُ الْمِفْتَاحِيَّةُ» وَ«الآيَاتُ الشَّاهِدَةُ» فِي الذَّاكِرَةِ وَالْعَمَلِ؛ فَالْمَقْصِدُ تَعْلِيمِيٌّ أَكْثَرُ مِنْهُ تَثْقِيفِيٌّ أَوْ تَسْلِيَّةٌ. لِذَلِكَ دَعَوْنَا إِلَى «قَاعِدَةِ بَيْتٍ» تُمَارَسُ، وَ«مَجْلِسِ بَيْتٍ» يُرَاجَعُ، وَ«مِيزَانِ الْقَوْلِ» يَحْفَظُ اللِّسَانَ، وَ«بِطَاقَةِ مَوْقِفٍ» تُقَوِّمُ الْأَثَرَ عَلَى «سَلَمِ الْإِتْقَانِ»؛ لِتَتَعَدَّ الْعَادَةُ الصَّالِحَةُ وَيَثْبُتَ النِّفْعُ فِي الْبُيُوتِ.

﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ (التَّوْبَةُ: ١٠٥)

﴿فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ﴾ (البَقَرَةُ: ١٤٨).

وَالْخُطْوَةُ الْآفِلَةُ هِيَ الْخُطْوَةُ الَّتِي لَمْ تُؤْخَذْ؛ فَلْيَبْدَأْ كُلُّ بَيْتٍ مِنَ الْيَوْمِ
بِمَجْلِسٍ قَصِيرٍ بَعْدَ صَلَاةٍ، تُقْرَأُ فِيهِ قِصَّةُ الدَّرْسِ وَتُخْتَارُ «قَاعِدَةٌ وَاحِدَةٌ» لِلتَّطْبِيقِ
أُسْبُوعًا، ثُمَّ يُقَاسُ الْأَثَرُ وَتُهَذَّبُ الْعَادَاتُ تَدْرِيجًا، فَيَرْتَفِعَ صَوْتُ السَّكِينَةِ فَوْقَ
ضَجِيجِ الشَّاشَةِ وَتَقْتَرِبَ الْقُلُوبُ بَيْنَ الْأَجْيَالِ. وَيَبْقَى الْمِيعَارُ:

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾
(الرَّعْدُ: ١٧).

اللَّهُمَّ اجْعَلْ هَذَا الْعَمَلَ خَالِصًا، وَاجْعَلْهُ نُورًا فِي الْبُيُوتِ، وَارْزُقْنَا سَدَادَ
الْقَوْلِ وَحُسْنَ الْعَمَلِ، وَهَبْ لِابْنَائِنَا وَبَنَاتِنَا نَصِيبًا وَافِرًا مِنَ الْعِلْمِ وَالرُّشْدِ
وَالسَّكِينَةِ، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

❖ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِشْعَارِ ❖

يَجِيءُ هَذَا الْكِتَابُ رَوَايَةً تَعْلِيمِيَّةً تَرْبَوِيَّةً مَدْرَسِيَّةً تُسَاعِدُ الْأَهْلَ عَلَى التَّعَامُلِ الرَّاشِدِ مَعَ زَمَنِ الْحَدَاثَةِ وَالتَّقَانَةِ وَالتَّوَاصُلِ الشَّبَكِيِّ وَالْحُرُوبِ الثَّقَافِيَّةِ النَّاعِمَةِ. يَجْمَعُ الْمَسْجِدَ وَالْمَدْرَسَةَ وَالْبَيْتَ وَالْهَاتِفَ فِي مَسَارٍ عَمَلِيٍّ «مِنَ النِّدَاءِ إِلَى الْوَعْيِ» فَيُقَرِّبُ لِلآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ خُطًى وَأُضْحَةً لِحَفْظِ الْهُوِيَّةِ وَتَهْذِيبِ اللِّسَانِ وَتَرْتِيبِ الْأَوْقَاتِ. وَيَضَعُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ «قَاعِدَةَ بَيْتٍ» تُمَارَسُ وَ«مَجْلِسَ بَيْتٍ» يُرَاجَعُ وَ«مِيزَانَ الْقَوْلِ» يَحْفَظُ اللِّسَانُ وَ«بُطَاقَةَ مَوْقِفٍ» تُقَوِّمُ السُّلُوكَ عَلَى «سُلْمِ الْإِتْقَانِ» لِيَتَّصِلَ الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ وَتَثْبُتَ السَّكِينَةُ فِي الْبُيُوتِ.

وَيُقَدِّمُ الْكِتَابُ لِلأُسْرِ أَدَوَاتَ مُبَاشَرَةٍ لَتَحْصِينَ نَاشِئَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ تَهْدِيدِ الْهُوِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْدِينِ وَالسُّلُوكِ. فَيُعِينُ عَلَى إِدَارَةِ أَوْقَاتِ الشَّاشَةِ وَتَثْبُتِ الْأَخْبَارِ وَأَدَبِ الْخِلَافِ وَتَشْكِيلِ الْعَادَاتِ النَّافِعَةِ وَرَدِّمِ الْفَجْوَ بَيْنَ الْأَجْيَالِ. هَكَذَا يَتِمَكَّنُ الْأَهْلُ مِنْ تَكْوِينِ الْجِيلِ الرَّاشِدِ الَّذِي يَحْفَظُ هُوِيَّتَهُ وَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ وَمَجْتَمَعَهُ فِي زَمَنِ سَرِيعٍ يَحْتَاجُ إِلَى مِيزَانٍ وَبَصِيرَةٍ وَعَمَلٍ مُحْكَمٍ.